T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP P. ŞA K. F. FLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 47

RAGIP P.
Ka. Nu.
56

ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب
الكريم
للشيخ الاستاذ ابي السعود

٥٧

قال الفقير الى الله تعالى قطب الدين بن علاء الدين الحنفي غفر الله تعالى ذنوبه وستر عيوبه ورحم اسلافه ومشايخه هذه ترجمة اشعر تهامن كتابي تراجم اهل العصر مولانا ابو السعود افندي المفتي بن مولانا محمد محيي الدين ابن مولانا مصلح الدين مصطفى بن مولانا عماد الدين العمادي نسبة الى جده الاعلى الاسكليبي نسبة الى اسكليب قصبة في اناضولي مفتي الممالك المحمية الاسلامية وعماد الاسلام ودعائم الملة الحنيفية استاذ اعاظم الموالي العظام مظهر ما دق وخفي من العلوم على الافهام واحد زمانه غير مدافع وفسيح وحيد غير منازع مالك ناصية العلوم وفارسها الذي لا يجارى ومبين غوامضها الدقيقة فلا يجادل ولا يمارى العالم العلامة الذي طبق الارض بعلمه وقلد جيد الزمان بدرر فوائد كلامه الحبر البحر الفهامة الذي فلق بعصى فكره بحر العلوم فتفجرت ينابيع الحكم على السنة اقلامه الامام الهمام الكبير لا وحيد الا علم الخطير صاحب التفسير الشهير الذي سارت به الركبان في الافاق اعظم مسير فلو شاهده الزمخشري لرمى بكشافه جوف البير وانقلب اليه في الا عتق النصرح خاسئا وهو حسير ولد في اسكليب تاسع عشر صفر سنة ست وتسعين وثمانمائة ووالدته بنت اخي العلامة المحقق مولانا علاء الدين القوشجي قدس الله روحه وكان والده من اكابر علماء الظاهر والباطن من اهل الكشف والكرامات في سائر المواطن وهو على طريقة سلطان حاجي بيرم له فقراء ومريدون وصوفية معتقدون منهم مشاهير منهم مولانا مصلح الدين السيروزي ومولانا محمد بهاء الدين ومولانا عبد الرحيم الشهير بحاجي افندي وغيرهم ممن اشتهر بالذكر من غير رقص وكانت وفاته في سنة عشرين وتسعمائة ونظم في تاريخ وفاته هذا البيت الفارسي كردم طلب زهاتف تاريخ ابن مصيبت گفتا بگو جابش در سال نهصد وبيست وتوفي صاحب الترجمة سعيدا في حجر والده المرحوم مرتضعا ثدي الكرامات في مهد العلوم فحفظ والده من الصبا كتبا يظهر العجب منها مفتاح العلوم للسكاكي فرسخت شجرة البلاغة في جبلته من الصغر وصارت رسوم الفصاحة في صحيفة خياله كالنقش في الحجر فامتاز من صغره على كبار اقرانه بفصاحة العرب العرباء وفاق بذكائه على اهل عصره شرقا وغربا واشتغل بتحصيل العلوم والفنون والاداب وتميز في كل فن ودخل الى الفضائل من كل باب وتلمذ لمولانا العلامة سيدي افندي قاضي العسكر ثم لمولانا عبد الرحمن بن المؤيد قاضي العسكر وصار ملازما منه وما بقل عذاره وزاحم العلماء في المناصب مع كل استحقاق وما اخضر جلد عذاره وولي تدريس مدرسة اينكول بثلاثين وانتقل منها الى مدرسة داود باشا بادرنه ثم الى مدرسة الوزير مصطفى باشا في كيوبري بخمسين ثم امتحن العلماء بالبحث السلطان الاعظم المرحوم الاقدس الافخم سليمان خان سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان ليختبر اذهانهم ويعلم شانهم وذلك لما تحلت مدرسة السلطان في بروسا بخمسين فنجح مولانا المشار اليه في بحثه وعلم الناس شدة اجتهاده في تحصيل العلوم وحيده وتبين للسلطان المرحوم رجحانه وفضله وعلم انه حقيق بالتقدم واهله فاعطاه تلك المدرسة بخمسين ثم نقله الى احدى المدارس الثمانية واشتهر بالتفوق والرتبة العالية ثم ولي قضاء بروسا واحيى بها رسوم الشرع الشريف كما نشر بها العلم وافاد بعد دروسه ببروسا ولم يلبث ان ولي قضاء اصطنبول فاعطى منصب القضاء حقه وتعاطى الاحكام الشرعية بغاية التحرير والدقة وكنت اجتمعت به وهو قاضي اصطنبول في رحلتي اليها سنة ثلث واربعين وتسعمائة وانا ارفل يومئذ في حلل الشباب واجتهد في تحصيل العلم مع الطلاب واولع بفنون العربية والاداب فرايت منطقا فصيحا ووجها صبيحا مليحا وادبا غضا طريا وتعجبت من صدور ذلك منه فانه في خطابه وجوابه وسحرني بلطفه وادابه ومفاكهة يقتطف السامع منها ثمرا جنيا فانه في درجات البلاغة بالاسلوب الرجيح ممن لم يسلك ديار العرب ذلك الكلام الجزل الفصيح الفائق في درجات ولا الاكابر الذين يتلونها ولكن تلك الحالة لا تسكن ولا اظنه بدع ولا اغرب ولا مضغ شيحها ولا قيصومها ولا المحالة انها منح ربانية ومواهب اختصاصية تفيض من المبدأ الفياض وناهيك بكرم الكريم الفياض ثم ولي في سنة اربع واربعين وتسعمائة قضاء العسكر المعظم ونال باستحقاق ذلك المقام المكرم وصار يخاطب السلطان الاعظم ويفاوض سلطان سلاطين العرب والعجم ويعرض عليه الامور على الوجه المشكور

فلا يتلعثم كيف والفصيح بين يديه ابكم والبليغ الفطن في حضرته يخاف ان يهم فلا يتكلم واستمر على تلك الحالة وهو في غاية العظمة والجلالة ثم في سنة احدى وخمسين ولي منصب الفتوى وسلك فيه غاية التحري فلا عوج ولا امتا طالما اثمرت غصون اقلامه بالهدى واوضحت سطور فتاويه لمحق طرائق قددا وامدت الف الصحف الاضواء فكم يقتبس جدا ويلتمس جدا ما ترك فروعا للعلم الا صعدها ولا هضبة للمجد الا تسنمها وابعدها ولا ابرة الا تصدى اليها وتصيدها الا ان قال التفسير لبراعته حكم كتاب الله المنزل وقال الفقه تعلم فتاويه انت الراوي وكل اعرابه وقال له التمام امسك فقد اشتبه يومك بامسك فسبحان من خصصه بالكمال في سائر الفنون ورقاه في كل فن الى مقام تحار فيه العيون وجمع له المحاسن الجلية والانفاس النفيسة الزكية واليد الشريفة التي قامت في نصح الدين مقام السيوف لوح عجائب صنع الله ما نبتت تلك انامل في لحم وله عصب واجتمعت بحضرته الكبرى مرة اخرى في رحلتي الثانية الى قسطنطنية في سنة خمس وستين وتسعمائة فشرفني باجلاله واكرامه وباسطني وخاطبني بشريف كلامه وذكر لي مبحثا من اول تفسير سورة الانعام وما فيه من دقيقة المرام على الافهام قال لي اني افتيت فيها بخلاف ما افتى به ابن كمال باشا وبعضها بخلاف ما افتى به شيخ محمد الياس المعروف بچوي زاده افندي سقى الله تعالى ضريحهما صوب الرحمة والرضوان وحفت تربتهما بالروح والريحان فكنت مصغيا اليه مستفيدا من بديع انشاده مقبلا بكليتي عليه لما ادهشني من علو شانه ونفاسة لفظه وعلو مكانه وطالت بيننا المحاورات والمحادثات والمفاكهات وصرت كما قال القائل لقد امرت ليلى بقلبي اعين وان بها جنى فكلي مانع ثم تكرر ايام اقامتي باصطنبول الاجتماع بحضرته واضاف في اثناء ذلك واحسن الي احسن الله تعالى اليه وضاعف رحمته ورضوانه عليه وكان مما ذكره لي انه بلغنا عن المرحوم المقدس مولانا شمس الدين احمد بن كمال باشا انه كتب يوما من الايام على الف فتيا فقال لي جلست يوما بعد صلوة الصبح اكتب على الاسئلة التي اجتمعت عندي فكتبت الى صلوة العصر على الف واربعمائة واثنتي عشرة فتيا ما تخلل كتابتي غير صلوة الفرض وسننه ووقع لي مرة اخرى اني كتبت كذلك على الف واربعمائة وثلاث عشرة فتيا وما حصرت الذي كتبته في غير هذين اليومين فغلب بهذا امد الله انه نفس قدسي واما القوى البشرية فلا تستطيع ذلك مع القاء الدروس الدقيقة ومطالعتها وتحفظ الاكابر عليه وملازمتهم وكان له في الالسنة الثلاثة شعر بديع كانه الروض المريع تفوق ازاهره كمائم زهر الربيع ولا شك انه بحر لفظ الدر النظيم وروض نضير طلعه هضيم ولقد عارض بعض قصائد من عرف بجودة الشعر من شعراء العرب فما اجاد ولا احدى وحادت كمانة الطاعنين علماء الادب فوقف كل وما اعاد ولا ابدى فمن قصائده الشهيرة هذه الميمية التي سارت بها الركبان وطنت حصاتها في ديار العرب وتداولتها الركبان

ابعد سليمى مطلب ومرام … وغير هواها لوعة وغرام
وفوق حماها ملجا ومثابة … ودون ذراها موقف ومقام
وهيهات ان يثنى الى غير بابها … عنان المطايا او يشد حزام
هي الغاية القصوى فان فات نيلها … فكل منى الدنيا علي حرام
سلا النفس عنها ان لطان لبابها … سلو رضيع قد عراه فطام
وصب سقاه الدهر سلوان رشفة … فما في القلب منه هيام
صحى عن سلاف الغي بعد نهاكه … عليه فبان الكاس منه وجام
محوت نقوش الجاه من لوح خاطري … فاضحى كان لم يجر فيه قلام
كداب ديار قد عفتها يد البلى … ولم يبق فيها ارسم وعلام
نسيت اساطير المحاد كانها … حديث ليال قد نجاه عام
انست بلأواء الزمان وذله … فيا عزة الدنيا عليك سلام
الى كم اعاني ذلها ودلالها … الم يان عنها سلوة وقطام
وقد اخلق الايام خلعة حسنها … فاضحت وديباج البهاء زمام
على حين شيب قد الم بمفرقي … وعاد دليل الشعر وهو ثغام
طلائع ضعف قد اغارت على القوى … وثار بميدان المزاج قتام
فلا هي في برج الجمال مقيمة … ولا انا في عهد المجون مدام

وله غير ذلك من ملح الاشعار ولطائف الكلام المختار ما لو جمع كان ديوان الادب وعنوان الارب وترجمان لسان العرب
وقد الف تفسير كتاب الله العظيم وخدم في علوم كلام الله القديم وافرغ في قالب الابداع وشنف به فوائد قراين الاسماع
سلك فيه طريق التحقيق ودقق فيه اثار التدقيق بعبارة واضحة للافهام وحسن تاديته لافانين الكلام نسخ به تفسير البيضاوي
والكشاف وزاد عليهما كثيرا من نكتة الطراف واجاد اللطاف مع غاية التحري والانصاف فتداولته ايادي جهابذة
العلما الكرام في المدارس العظام وسارت به الركبان واشتهر بين الانام ووصلت منه نسخ الى الحرمين الشريفين
وقرئها المصنف على العلماء الاعلام وانتشرت نسخه في اطراف البلاد ورغب فيه العلماء الامجاد وله تعليقات على الهداية
ورسايل عديدة معتبرة الى الغاية وجمعت من فتاويه عدة اسفار وتناقلها الفضلاء الاخيار ولم يزل في عزة
شامخة قعسا وعظمة باذخة شما الى ان دعاه الله تعالى الى حظاير قدسه واصطفاه لمراتب حضرات انسه
وساقه الى ما يليق به من الرتب العلية يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فجف غصون اقلام فتاويه
وطويت صحف تراكيبه ومبانيه وخمد نور مصباح زجاجة مشكوته وذوى نواد واح رياض حيوته وتدرج ٩٨٢ ٩٦ ٨٨٦
الى رحمة ربه الكريم واندرج في اكفان فضله ولطفه العميم في جمادى الاخرة سنة ٩٨٢ اثنين وثمانين وتسعمائة

الاول

سورة البقره ۶	سورة آل عمران ۷۴	سورة النسا ۱۱۰	سورة المائده ۱۴۴
سورة الانعام ۱۷۰	سورة الاعراف ۱۹۴	سورة الانفال ۲۱۷	سورة التوبه ۲۲۵
سورة یونس ۲۴۴	سورة هود ۲۶۰	سورة یوسف ۲۷۵	سورة الرعد ۲۹۱
سورة ابراهیم ۲۹۷	سورة الحجر ۳۰۶	سورة النحل ۳۱۳	سورة الاسرا ۳۲۸
سورة الکهف ۳۳۹	سورة مریم ۳۵۲	سورة طه ۳۶۰	سورة الانبیا ۳۷۱
سورة الحج ۳۸۰	سورة المومنون ۳۸۸	سورة النور ۳۹۵	سورة الفرقان ۴۰۶
سورة الشعرا ۴۱۴	سورة النمل ۴۲۲	سورة القصص ۴۳۰	سورة العنکبوت ۴۳۶
سورة الروم ۴۴۰	سورة لقمان ۴۴۴	سورة السجده ۴۴۷	سورة الاحزاب ۴۴۹
سورة سبا ۴۵۶	سورة الملایکه ۴۶۰	سورة یس ۴۶۴	سورة الصافات ۴۶۹
سورة ص ۴۷۴	سورة الزمر ۴۸۰	سورة غافر ۴۸۵	سورة فصلت ۴۹۰
سورة حم عسق ۴۹۴	سورة الزخرف ۴۹۷	سورة الدخان ۵۰۱	سورة الجاثیه ۵۰۳
سورة الاحقاف ۵۰۴	سورة محمد ۵۰۷	سورة الفتح ۵۱۰	سورة الحجرات ۵۱۲

سورة ق ۵۱۴	سورة الذاریات ۵۱۶	سورة الطور ۵۱۸	سورة النجم ۵۱۹
سورة القمر ۵۲۱	سورة الرحمن ۵۲۳	سورة الواقعه ۵۲۶	سورة الحدید ۵۲۸
سورة المجادله ۵۳۱	سورة الحشر ۵۳۲	سورة الممتحنه ۵۳۴	سورة الصف ۵۳۵
سورة الجمعه ۵۳۶	سورة المنافقین ۵۳۷	سورة التغابن ۵۳۸	سورة الطلاق ۵۳۸
سورة التحریم ۵۴۰	سورة الملک ۵۴۱	سورة ن ۵۴۳	سورة الحاقه ۵۴۴
سورة المعارج ۵۴۶	سورة نوح ۵۴۷	سورة الجن ۵۴۸	سورة المزمل ۵۴۹
سورة المدثر ۵۵۰	سورة القیمه ۵۵۲	سورة الانسان ۵۵۲	سورة المرسلات ۵۵۴
سورة النبا ۵۵۵	سورة النازعات ۵۵۷	سورة عبس ۵۵۹	سورة التکویر ۵۶۰
سورة الانفطار ۵۶۲	سورة المطففین ۵۶۲	سورة الانشقاق ۵۶۳	سورة البروج ۵۶۴
سورة الطارق ۵۶۵	سورة الاعلی ۵۶۵	سورة الغاشیه ۵۶۶	سورة الفجر ۵۶۷
سورة البلد ۵۶۸	سورة الشمس ۵۶۸	سورة اللیل ۵۶۹	سورة الضحی ۵۶۹
سورة الم نشرح ۵۷۰	سورة التین ۵۷۰	سورة العلق ۵۷۱	سورة القدر ۵۷۱
سورة البینه ۵۷۲	سورة الزلزله ۵۷۲	سورة العادیات ۵۷۳	سورة القارعه ۵۷۳
سورة التکاثر ۵۷۴	سورة العصر ۵۷۴	سورة الهمزه ۵۷۴	سورة الفیل ۵۷۴
سورة قریش ۵۷۵	سورة الدین ۵۷۵	سورة الکوثر ۵۷۵	سورة الکافرون ۵۷۵

MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 47

RAGIP P.
Ka. Nu.
56

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وقف عدم ...

٥٧

ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم
تأليف العلامة المحقق والفهامة المدقق
استاد العلماء العظام مفتي ممالك
الاسلام مولانا ابي السعود
افندي العمادي
تغمده الله تعالى
برضوانه
واسكنه
فسيح
جنانه
نعم

الحمد لله الكريم الوهاب
اهدى هذا التفسير الشريف تبركا وتيمنا من مكة المشرفه
شرفها الله تعالى الى خزائن كتب المقام الشريف العالي
تاج مفارق المكارم والمراحم والمعالي امير الامراء العظام
صاحب السيف والقلم والفضل والكرم بكلاربكي ممالك
اليمن الميمن حضرت مراد باشا بلغه الله تعالى من مراتب
السعادة ما يشاء ونصره نصرا عزيزا وفتح له فتحا قريبا امين

هو
ثم ساقه سائق التقدير الى ملك العبد الحقير
محمد راغب الوزير اوان كونه واليا
بولاية القاهرة وذلك خلال سنة
ثمان وخمسين ومائة والف
٩

سورة النصر ٥٧٥		سورة تبت ٥٧٦		سورة الاخلاص ٥٧٦		سورة الفلق ٥٧٧
		سورة الناس ٥٧٧				

بسم الله الرحمن الرحيم ● وبه ثقتي سبحانه

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ● وبين له من شعائر الشرايع كل ما جل ودق ● انزل عليه اظهر بينات وابهى حجج ● قرانا عربيا غير ذي عوج ● مصدقا لما بين يديه من الكتاب ● ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب ● ناطقا بكل امر رشيد ● هاديا الى صراط العزيز الحميد ● امرا بعبادة الصمد المعبود ● كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود ● تكاد الرواسي لهيبته تمور ● ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور ● حقيقا بان يسير به الجبال ● ويتيسر به كل صعب محال ● معجزا افحم كل مصقع من مهرة قحطان ● وبكت كل مفلق من سحرة البيان ● بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته ● لعجزوا عن الاتيان بمثل اية من آياته ● نزله عليه على فترة من الرسل ● ليرشد الامة الى اقوم السبل ● فهداهم الى الحق وهم في ضلال مبين ● فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين ● فمن اتبع هداه ● فقد فاز بمناه ● واما من عاند وعصاه ● واتخذ الهه هواه ● فقد هام في موامي الردى وتردى في مهاوي الزور ● ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ● صلى الله عليه وعلى آله الاخيار ● وصحبه الابرار ● ما ناوب الانوار ● وتعاقبت الظلم والاضواء ● وعلى من تبعهم باحسان ● مدى الدهور والازمان ● اما بعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي ابو السعود ابن محمد العمادي ● ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم ● وما كان من حرف منها مسطورا ● والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم ● ولم يكن شيئا مذكورا ● ليست الا معرفة الصانع المجيد ● وعبادة الباري المبدي المعيد ● ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل ● سوى الوقوف على مواقف التنزيل ● فانه عز سلطانه ● وبهر برهانه ● وان سطر آيات قدرته في صحايف الاكوان ● ونصب رايات وحدته في صفايح الاعراض والاعيان ● وجعل كل ذرة من ذرات العالم ● وكل قطرة من قطرات العيلم ● وكل نقطة جرى عليها قلم الابداع ● وكل حرف رقم في لوح الاختراع ● مرآة لمشاهدة جماله ● ومطالعة صفات كماله ● حجة نيرة واضحة المكنون ● وآية بينة لقوم يعقلون ● برهانا جليا لا ريب فيه ● ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه ● بل ناطقا يتلو آيات ربه ● فهل من سامع واع ● ومجيبا صادقا فهل من داع ● يكلم الناس على قدر عقولهم ● ويرد جوابهم بحسب مقولهم ● يحاورتارة باوضح عبارة ● ويلوح اخرى بالطف اشارة ● لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلايل ● والاستشهاد بتيك الامارات والمخايل ● والتنبه لتلك الاشارات السرية ● والتفطن لمعاني تيك العبارات العبقرية ● وما في تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر ● وكنوز آثار التعاجيب والعبر ● مما لا يطيق به عقول البشر ● الا بتوفيق خلاق القوى والقدر ● فاذن مدار المراد ليس الا كلام رب العباد ● اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية ● والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية ● والكاشف عن خفايا حظاير القدس ● والمطلع على خبايا سراير الانس ● وبه يتكسب الملكات الفاخرة ● وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والآخرة ● خلا انه ايضا من علو الشان ● وسمو المكان ● ونهاية الغموض والاعضال ● وصعوبة الماخذ وعزة المنال ● في غاية الغايات القاصية ● ونهاية النهايات النائية ● اعز من بيض الانوق ● وابعد من مناط العيوق ● لا يتسنى العروج الى معارجه الرفيعة ● ولا يتأتى الرقي الى مدارجه المنيعة ● كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقائق العلوم النظرية والعملية ● ومنطويا على دقايق الفنون الخفية والجلية ● حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعية ● ومحيطا بمناط الدلايل الاصلية والفرعية ● منبئا عن اسرار الحقايق والنعوت ● مخبرا باطوار الملك والملكوت ● عليه يدور فلك الاوامر والنواهي ● واليه يستند معرفة الاشياء كما هي ● قد نسج على اغرب منوال وابدع طراز ● واحتجبت طلعته بسبحات الاعجاز ● طويت حقايقه الابية عن العقول ● وزويت دقايقه الخفية عن اذهان الفحول ● يردع عيون العقول سبحانه ● ويخطف ابصار البصاير بريقه ولمعانه ● ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته ● اساطين ايمة التفسير ● في كل عصر من الاعصار ● وتولى لتيسير عويصات معضلاته ● سلاطين اسرة التقرير والتحرير ● في كل قطر من الاقطار ● فغاصوا في بحره ● وخاضوا في ثبجه ● فنظموا فرايده في سلك التحرير ● وابرزوا فوايده في معرض التقرير ● وصنفوا كتبا

العبقري الكامل من كل شيء ق

جليلة الاقدار ● والفوايد جليلة الآثار ● اما المتقدمون المحققون ● فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام ● وترتيب الاحكام حسبما بلغهم من سيد الانام عليه شرايف التحية والسلام ● واما المتاخرون المدققون ● فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرايقة ● وابداء خباياه الفايقة ● ليعاين الناس دلايل اعجازه ● ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن ساير الكتب الكريمة الربانية ● والزبر العظيمة السبحانية ● فدونوا اسفارا بارعة ● جامعة لفنون المحاسن الرايعة ● يتضمن كل منها فوايد شريفة ● تقر بها عيون الاعيان ● وعوايد لطيفة ● يتشنف بها آذان الاذهان ● لا سيما الكشاف وانوار التنزيل ● المنفردان بالشان الجليل ● والنعت الجميل ● فان كلا منهما قد احرز قصب السبق اي احراز ● كانه مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز ● صحايفهما مرايا المزايا الحسان ● وسطورهما عقود الجمان ● وقلائد العقيان ● ولقد كان في سوابق الايام ● وسوالف الدهور والاعوام ● اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما ● وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما ● يدور في خلدي على استمرار ● آناء الليل واطراف النهار ● ان انظم درر فوايدهما في سمط دقيق ● وارتب غرر فرايدهما على ترتيب انيق ● واضيف اليهما ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة ● من جواهر الحقايق ● وصادفته في اصداف العيالم الزاخرة ● من زواهر الدقايق ● واسلك خلالها بطريق الترصيع ● على نسق انيق واسلوب بديع ● حسبما يقتضيه جلالة شان التنزيل ● ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ● ما سنح للفكر العليل ● بالعناية الربانية ● وسمح به النظر الكليل ● بالهداية السبحانية ● من عوارف معارف يمتد اليها اعناق الهمم ● من كل ماهر لبيب ● وغرايب رغايب ترنو اليها احداق الامم ● من كل نحرير اريب ● وتحقيقات رصينة ● تقيل عثرات الافهام ● في مداحض الاقدام ● وتدقيقات متينة ● تزيل خطرات الاوهام ● من خواطر الانام ● في معارك افكار ● يشتبه فيها الشؤن ● ومدارك انظار ● يختلط فيها الظنون ● وابرز من وراء استار الكمون ● من دقايق السر المخزون ● في خزاين الكتاب المكنون ● ما تطمئن اليه النفوس ● وتقربه العيون ● من خفايا الرموز ● وخبايا الكنوز ● واهديها الى الخزانة العامرة ● الغامرة للبحار الزاخرة ● للجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض ● واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض ● الا وهو السلطان الاسعد الاعظم ● والخاقان الامجد الافخم ● مالك الامامة العظمى ● والسلطان الباهر ● وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر ● رافع رايات الدين الازهر ● موضح آيات الشرع الانور ● مرغم انوف الفراعنة والجبابرة ● معفر جباه القياصرة والاكاسرة ● فاتح بلاد المشارق والمغارب ● بنصر الله العزيز وجنده الغالب ● الهمام الذي شرق عزمه المنير فانتهى الى الشرق الاسنى ● وغرب حتى بلغ مغرب الشمس او دنا ● بخميس عرمرم متراحم الافواج ● وعسكر كخضم متلاطم الامواج ● فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب ● وما بين نقطتي الشمال والجنوب ● منتظما في سلك ولايته الواسعة ● ومندرجا تحت ظلال رايته الرايعة ● فاصبحت منابر الربع المسكون ● مشرقة بذكر اسمه الميمون ● فيا له من ملك استوعب سلكه البر البسيط ● واستغرق فلكه البحر المحيط ● فكانه فضاء ضرب فيه خيامه ● او نصبت عليه الويته واعلامه ● مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الامم ● قاصم القياصرة وقاهر القروم ● سلطان العرب والعجم والروم ● سلطان المشرقين ● وخاقان الخافقين ● الامام المقتدر بالقدرة الربانية ● والخليفة المعتز بالعزة السبحانية ● المفتخر بخدمته الحرمين الجليلين المعظمين ● وحماية المقامين الجميلين المفخمين ● ناشر القوانين السلطانية ● عاشر الخواقين العثمانية ● السلطان بن السلطان السلطان سليمان خان ابن السلطان المظفر المنصور ● والخاقان الموقر المشهور ● صاحب المغازي المشهورة ● في اقطار الامصار ● والفتوحات المذكورة ● في صحايف الاسفار ● السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد ● والخاقان المجيد ● السلطان بايزيد خان ● لا زالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان ● وارواح اسلافه العظام متنزهة في روضة الرضوان ● وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام لقصور شاني وعزة المرام ● اين الحضيض من الذرى ● شتان بين الثريا والثرى ● وهيهات اصطياد العنقاء بالشباك ● واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك ● فمضت عليه الدهور والسنون ● وتغيرت الاطوار وتبدلت الشؤن ● فابتليت بتدبير مصالح العباد ● برهة في قضاء البلاد ● واخرى في قضاء العساكر والاجناد ● فحال بيني وبين ما كنت اخاله تراكم المهمات وتراحم الاشغال ● وهجوم العوارض والعلايق ● وهجوم الصوارف والعوايق ● والتردد الى المغازي والاسفار ● والتنقل من دار الى دار ● وكنت في تضاعيف هاتيك الامور ● اقدر في نفسي ان انتهز نهزة من الدهور ● ويتسنى لي القرار ● ويطمئن بي الدار ● واظفر حينئذ بوقت خال ● ابتل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال ● واوجه اليه وجهي ● واسلم له سري وعلانيتي ● وانظر الى كل شيء بعين الشهود ● واعرف سر الحق في كل موجود ● تلافيا لما فات واستعدادا لما هو آت ● والتصدي لتحصيل ما عزمت عليه ● والتولي لتكميل ما توجهت اليه ● برفاهية واطمئنان ● وحضور قلب وفراغ جنان ● فبينا انا في هذا الخيال ● اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال ● تحولت الاحوال ● والدهر حول ● فوقعت في امر اشق من الاول ● امرت بحل مشكلات الانام ● فيما يجري بينهم من النزاع والخصام ● فلقيت معضلة طويلة الذيول وصرت كالهارب من المطر الى السيول ● بلغ السيل الزبى وغمرني اي غمر ● غوارب ما جرى بين زيد وعمرو ● فانمحت

فى ضيق المجال ● وسعة الاشغال ● اشهر ممن يضرب بها الامثال ● فجعلت امثل بقول من قال لقد كنت اشكو الحوادث هيبة
واستمرض الايام وهي صحايح ● الى ان تغشتني وقيت حوادث ● تحقق ان السالفات منايح ● فلما انصرمت عرى الآمال ●
عن الفوز بفراغ البال ● ورايت ان الفرصة على جناح الفوات ● وشمل الاسباب فى شرف الشتات ● وقد مسنى الكبر
وتضاءلت القوى والقدر ● ودنا الاجل من الحلول ● واشرفت شمس الحيوة على الافول ● عزمت على انشاء ما كتب انويه
وتوجهت الى املاء ما طالت ابتغيه ● نا وياان اسميه عند تمامه ● بتوفيق الله تعالى وانعامه ● ارشاد العقل السليم
الى مزايا الكتاب الكريم ● فشرعت فيه مع تفاقم المكاره على ● وتزاحم المشادة بين يدى ● متضرعا الى رب العظمة والجبروت
خلاق عالم الملك والملكوت ● فى ان يعصمنى عن الزيغ والزلل ● ويقينى مصارع السوء فى القول والعمل ● ويوفقنى
لتحصيل ما اورومه وارجوه ● ويهدينى الى تكميله على احسن الوجوه ● ويجعله ذخيرة وعتادا ● انعم به يوم المعاد ●
فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ● ورفعت ايدى الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع ● افض علينا
شوارق انوار التوفيق ● واطلعنا على دقايق اسرار التحقيق ● وثبت اقدامنا على مناهج هداك ● وانطقنا بما فيه
امرك ورضاك ● ولا تكلنا الى انفسنا فى لحظة ولا آن ● وخذ بناصيتنا الى الخير حيث كان ● جئناك على جباه الاستكانة
ضارعين ● ولابواب فيضك قارعين ● انت الملاذ فى كل امر مبهم ● وانت المعاذ فى كل خطب ملم ● لا رب
غيرك ● ولا خير الا خيرك ● بيدك مقاليد الامور ● لك الخلق والامر واليك النشور ●

سورة فاتحة الكتاب سبع آيات ● بسم الله الرحمن الرحيم

الفاتحة فى الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة فى فتح الكل ثم اطلقت على اول
كل شىء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجى حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء
للنقل من الوصفية الى الاسمية اوهى مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس
الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقى بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة فى تعلقه بالباقى ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى فى الختم
لما ان الختم الذى عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق
بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام فى الخاتمة فان بلوغ آخر الشئ
يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذى تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافى فلا حاجة الى
الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصى لا
القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير فى اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم
فى اوايل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
بالاذن فيكفى فيها تحصله باعتبار تحققه فى علمه عز وجل او فى اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل
عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة
بمعنى اللام كما فى جزء الشئ لا بمعنى من كما فى خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئى له ومدار التسمية
كونه مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود لا فى القراءة فى الصلوة ولا فى التعليم ولا فى النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس
المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ فى الصلوة حتى يعتبر فى التسمية مبدئيتها له واما الاخيران فلان اعتبار
المبدئية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعى مراعاة الترتيب فى بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب
فى ان الترتيب التعليمى والترتيب النزولى ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له اما
لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على
جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل
الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات
والآيات الواضحة الدلالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر فى ام القرآن لا ما اورده
الامام البخارى فى صحيحه من انه يبدأ بقراءتها فى الصلوة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله
لقوله عليه السلام انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر فى ام القرآن كما انه الوجه فى تسميتها الاساس والكافية و
الوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها فيها وسورة
الشفاء والشافية لقوله عليه السلام هى شفاء من كل داء والسبع المثانى لانها سبع آيات تثنى فى الصلوة او لتكرر نزولها
على ما روى انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد
آتيناك سبعا من المثانى وهو مكى بالنص **بسم الله الرحمن الرحيم** اختلف الائمة فى شان التسمية فى اوايل

السورة الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود رضى الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب
قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها و
هو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هى آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا
رضى الله عنهم وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزى فى زاد المسير حيث قال روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انها انزلت
مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهرى وعطا وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
وهو القول الجديد للشافعى رضى الله عنه ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من
الشافعى لم يسبقه اليه احد وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا فى ساير السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا
ولا لكونها آية تامة اولا وهو احد قولى الشافعى على ما ذكره القرطبى ونقل عن الخطابى انه قول ابن عباس وابى هريرة
رضى الله عنهم وقيل انها آية تامة فى الفاتحة وبعض فى البواقى وقيل بعض آية فى الفاتحة وآية تامة فى البواقى وقيل
انها بعض آية فى الكل وقيل انها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها وهذا
القول غير معزى فى الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتاخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها آية تامة فى الفاتحة
وليست بقرآن فى ساير السور ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك احد محتملى تردد الشافعى رضى الله عنه فانه قد نقل
عنه انها بعض آية فى الفاتحة واما فى غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرآنا اولا وقيل بين ان يكون آية تامة
اولا قال الامام الغزالى والصحيح من مذهب الشافعى التردد الثانى وعن احمد بن حنبل رضى الله عنه فى كونها آية كاملة
وفى كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزى ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القرآن هذا و
المشهور من هذه الاقاويل هى الثلاثة الاول والاتفاق على اثباتها فى المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام
الله عز وجل يقضى بنفى القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها
جزءا من القرآن لا يستدعى كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعى كونها آية منفردة منه واما ما روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وما روى عن ابى هريرة من انه صلى الله
عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روى عن ام سلمة رضى الله عنها من انه عليه السلام
قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية وان دل كل واحد منها على نفى القول الثانى فليس شىء
منها نصا فى اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور
المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة منها الا ان يلتجأ الى ان يقال ان كونها آيات متعددة
بعدد السورة المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثانى فساكت عن التعرض لحالها فى
بقية السور واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثانى فى السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه
الفعل المصدر بها كما انها كذلك فى تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال
ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اى بسم الله اقرأ او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما
فى اياك نعبد وتقدير ابدأ لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود اعنى شمول البركة للكل وادعاء
ان فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفى تقدير اقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشىء فان مدار الامتثال
هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل فى الحديث الكريم كل امر ذى بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدأ وهذا الى
آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد
وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسألة وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح
لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم
عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوايل على السكون قد ادخلت عليها عند الابتداء همزة لان
من دابهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمى وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال
والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفع للمسمى وتنويه له
وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد عليه بان الهمزة لم
تعهد داخلة على ما حذف صدره فى كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال بسم الذى فى كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق
بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة
على ايقاع الفعل واحداثه اى افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه
المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهى المطلوبة باياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة فى كون
الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة
وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هى الاستعانة

الاولى ان قيل فليحمل البآء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله
هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم ليقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل البآء على الاستعانة التامة
او التبرك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت البآء عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزته على غير
قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله ٥
بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس
تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا
يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف
الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة
فعلم مختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما
نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به
حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة
هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا
ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في
الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله
مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى
تحير لانه سبحانه يحار في شانه العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله بالكسر وكذا تأله واستأله
اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح
الى معرفته وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به واللهه غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه
وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل
ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه
على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو
وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر
في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب
بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد
به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال
والرحمن والرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل ان
الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف
ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها هاهنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا
على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات و
الاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص
العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلانة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة
قبل الاختصاص بان تقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان
هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فتمتنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن
الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تأخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير
وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما
يدل على جلائل النعم وعظائمها واصولها احق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك
سلسلة الرحمة **الحمد لله** الحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختياريا كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجيهه الى المنعوت وبقيد
الجهة يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته
فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج عامة الافعال المتعدية الى مفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله مبني على معنى الانهاء كما في قولك كلمته
فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبني على المعنى المذكور وتحقيقه
ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا
واما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما تقتضيه خصوصيات الافعال
بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه

ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتدآء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لائقة
به لكن النحو مغايرة لما اعتبر في النحو بين الاخيرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة
لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر
بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى
بالاخر على الثانية او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسلني المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية
الثانية وبالحديث على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان
اختلاف هذه الكيفيات الثلث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان
كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل او اختلاف المفعول واذ
لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق
عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده واياما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير
وتناسب تام في المعنى كالنصر والتأييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول
وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التأييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق بالارادة
في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قولهم
لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة هاهنا
استقلالا او استتباعا فحمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة
بالثنآء وآداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال افادتكم النعمآء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة النعم والاعتداد
بشأنها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفآء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاكا لامر في قوله صلى
الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة
بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد و
اياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل لم يبين بان يحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد ثم انه لا حاجة اليه
مما لا تحته له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب في
ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر بباله احد ان يسأل عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال غير
مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لحمدهم والا عتذار بان المعنى نخصل بالعبادة
وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتحمل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته عز وجل
فاتت نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا
يتضح فساد ما قيل انه استئناف جوابا لسؤال يقتضيه اجرآء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شأنكم معه
وكيف توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان تناسي جانب السائل بالكلية وبنآء الجواب على خطابه عز وعلا
مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه استئناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى
بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شيء آخر كما سيحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب
الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة
النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام
وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي
لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون الافراد الواقعة بمقابلة
ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم
كما او كيفا وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ
الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة
واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل **رب العالمين** بالجر على انه صفة لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة
تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد
لقلة الاعمال المصدر المحلى باللام ولزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي
تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما
بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور وسمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب
الدابة ومنه قوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا

يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه وانما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله تعالى جاز في
اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ءارباب متفرقون خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم
به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها
في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه
محدث وقيل حواسم لاولي العلم من الملايكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط فان كل
واحد منهم من حيث اشتماله على نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك
امر بالنظر في الانفس كالنظر في الافاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر واشارة صيغة الجمع لبيان
شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو
الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل
العالم وان لم يطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق آحاد مفرده وان
لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم يطلق
عليها كانها آحاد مفردة التقديرية ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل يتناول كل واحد
من آحاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله
تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام
لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الآحاد ليس
الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل على
الله سبحانه بمجموع ماسواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد
تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر
كائنا ما كان دليل لايح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة
الى بيانه اذ لا شيء مما احدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات
والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آنا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار
الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن
يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته مالا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير
ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما
لا يتصور وجوده ابتداء مالم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته مالم ينسد
عليه جميع انحاء عدمه الطاري لما ان الدوام من خصايص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور
الوجودية التي هي علله وشرايطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل
في وجوده وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده
او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في انفسها فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية
لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفايضة على كل فرد من افراد الموجودات في كل آن من آنات
الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شانه لا
يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم شكره قاصرون نسالك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك
والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك **الرحمن الرحيم** صفتان لله فان اريد
بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تاخيرهما عن
وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية
لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب
عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل
والاوفق لمقاصده **مالك يوم الدين** صفة رابعة لقوله تعالى وتاخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان وجهه وقرأ
اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة
على التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك بالنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على
انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي
الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الثاني في

المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واما الاول في الاول والثاني في
الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة وتسمية للشيء باسم مسببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه
اذا قمتم الى الصلوة وقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها
بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظايره فان قيام السرقة التي هي سبب العقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب به وهي العقوبة
فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى
ملابسة كاضافة ساير الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين ساير
ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء
ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء
المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف
المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللايق بالمقام
فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا
في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما
يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم
كون الاضافة لفظية الا ترى انك تقول في مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب
محلا وتخصيصه بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلايق المجازية بين
الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى
المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن
وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهر لانهما معربتان صراحة لكونه تعالى
ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين
وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة
له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعني بالاختصاص **اياك نعبد واياك نستعين** التفات من الغيبة
الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضي المقام لما ان التنقل
من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل
واحد من الآخرين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الاية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير
ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استاثر به هذا المقام الجليل من النكت الرايقة
الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم
ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعدما تامل فيما
سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للمعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلايل الصفات و
احكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت
اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظاير
القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعوه بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب
المناجاة قايلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق
الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من
الصلوة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومظنة للتبتل اليه بالكلية وايا ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء
حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة
محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضماير وايا دعامة
لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة
اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى به الله والعبودية
الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص
كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك
وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحد من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة و
الخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة
فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة

حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول هذا
على تقدير كون اطلاق الاستعانة على المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤول هي
المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشان التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانة
مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى
واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه و
التوجه التام اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه آخرا فكيف يتصور
ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يعمها وغيرها كانه قيل واياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين
على اداء حقوقه من غير اعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها و
بكونها عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الملاءمة لما يعقبه من الدعاء
ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه
وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور
من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك وللاشعار باشتراك سائر الموحدين في الحالة العارضة له
بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم **اهدنا الصراط المستقيم** افراد لمعظم افراد
المعونة المسؤولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل
الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام كما في قوله
عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه
قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة
القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة
التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة
المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان
المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية
الآفاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله
عز وعلا ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف
الاسرار على قلب المهدي بالوحي والالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في
قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه
الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا
عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا
والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط السابلة اذا
سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاء تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص
الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي
والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول
بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم
وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام
لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل
الاظهر انهم المذكورون في قوله عز قائلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة
ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من
انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه
النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي
ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة
في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيآت العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس
عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيآت المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال
والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من
القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** صفة للموصول على انه عبارة

عن

عن احدى الطوايف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسالك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه
كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة
للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي
الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين
لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب
عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير
بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدليته مما اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة
مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم
وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شان البدل ان يفيد متبوعه مزيد تاكيد وتقرير
وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول واما
استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء
ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب
بالنسبة اليناعلى مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على
التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على
الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام
جري على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي
هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتاكيد
ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع
انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في
الهرب عن التقاء الساكنين **آمين** اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى
آمين فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين
فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب
وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن ابي حنيفة رضي الله عنه ان المصلي ياتي بها مخافتة وعنه
انه لا ياتي بها الامام لانه الداعي وعن الحسن رضي الله عنه مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى
الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها لما روي وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع بها
صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت
بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين
فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مائتان وست وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم
ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية وما
وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من انه صلى الله عليه
وسلم قال من قرا حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وفي
رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف
حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصنعة وانما الحرف
عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز
وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في
المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القرآن وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم
عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في
قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا اسماؤها المؤلفة كما اذا قلت الالف

مولف من ثلثة احرف كما ان الحسنات فى قراة قوله ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك فى قراة قوله تعالى
الم بمقابلة حروفه الثلثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمايها الملفوظة والالفات الموافقة فى العدد اذ الحكم بان كلا منها
حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة اذ العبرة فى ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة
منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرانية فكما ان ساير الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك
الفواتح المكتوبة لا تفيد المعانى المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمايها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق
بينهما الا ترى الى ما فى الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عنهما فى ذلك باسميهما مع كونهما
ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت فى هذه التسمية نكتة رايقة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون
هو المفهوم منه اثر ذى اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهى معربة اذ لا مناسبة بينها
وبين مبنى الاصل لكنها لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك
قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهولاء وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر آخر
الف عند التهجى لابتغاء الخفة لالان وزانه وزان لا تعصرنا زة فتكون حرفا وتعد اخرى فتكون اسما لها كما فى قول حسان رضى
الله عنه ما قال لا قط الا فى تشهده لولا التشهد لم تسمع له لاء هذا وقد تكلموا فى شان هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل
انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة روى عن الصديق رضى الله عنه انه قال فى كل كتاب سر وسر القران اوايل السور
وعن على رضى الله تعالى عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبى عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل حرف
منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف الاؤه واللام لطفه والميم
مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظى وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اى انزل
الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد وقيل هى اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات
ومبادى كتبه المنزلة ومبانى اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل وقيل ولكن الذى عليه التعويل
اما كونها اسماء السورة المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات
عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحى من الله عز وجل لما عجزوا من معارضته ويقرب منه ما قال
الكلبى والسدى وقتادة من انها اسماء للقران والتسمية بثلثة اسماء فصاعدا انما تستنكر فى لغة العرب اذا ركبت وجعلت
اسما واحدا كما فى حضر موت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم
والمسمى غاية الامر دخول الاسم فى المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور فى عكسه حسبما تحققته آنفا وانما كتبت فى المصاحف
صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهى ان يكون على نهج التهجى دون التركيب ولان فيه سلامة
عن التطويل لا سيما فى الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس واما كونها مسرودة على
نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها لهم على انه منتظم من
عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت
قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وامراء الكلام فى نادى الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه
مع تظاهرهم فى المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة
انموذجا لما فى الباقى من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف فى تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام يتناوله
الخواص والعوام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتاتى ممن درس وخط واما ممن لم يحم حول ذلك قط
فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سرى مبنى
على نهج عبقرى بحيث يحار فى فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح فى تسع وعشرين
سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوى على انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند الفحص
والتنقير حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من ان تطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان ينالها ايدى
الافكار وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها على السور
دون ايرادها كلها مرة كذلك ولما فى التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه
وعد بعضها آية دون بعض مبنى على التوقيف البحت اما الم فاية حيثما وقعت وقيل فى آل عمران ليست باية والمص آية والمر لم
تعد آية والر ليست باية فى شىء من سورها الخمس وطسم آية فى سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست باية وحم آية فى سورها
كلها وكهيعص آية وحمعسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على راى الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح
آيات عندهم فى السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعد شيئا منها آية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط
التعديد لا تشم رايحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسورة او للقران كان لها حظ منه اما الرفع

على

على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما
تقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان
ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتاتى فيها الاعراب اللفظى ايضا وقد قرئ بالنصب على اضمار فعل اى اذكروا او اقرأ صاد وقاف
ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز
سيبويه فيها مثل ذلك قال فى باب اسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقران وقاف والقران فكانه جعله اسما اعجميا
ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافى ايضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان يكون ذلك فى الكل تحريكا لالتقاء الساكنين
ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القران والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه
واحد قبل انقضاء الاول وهو السر فى جعل ما عدا الواو الاولى فى قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق
الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثانى فى الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار
الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز فى طاسين ميم ان تفتح
نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه فى كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل ما
احكام كل منها مشروحة فى مواقعها باذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقران فمحلها
الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم اى مسمى به وانما صحت الاشارة الى القران بعضا او كلا مع عدم سبق
ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ اى المسمى به
الم والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية
قبل تحققها الا خبار بها وادعاء شهرتها باباه فى ان المراد المسمى هى السورة او كل القران **ذلك** ذا اسم اشارة واللام
عماد جىء به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصرى
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه فى الغاية القاصية من الفضل والشرف
اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضى او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه فى حكم المتباعد وان كان
مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هى السورة لان
المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى بالسورة ولتناديه باعتبار الحيثية الثانية فى الاولى بناء على ان التسمية
لتمييز السور بعضها من بعض فذلك ان كبر ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثانى مبتدأ ثان
وقوله عز وعلا **الكتاب** اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستأنفة موكدة لما افادته الجملة
الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثانى فى محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة
مغن عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر سمى به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بنى
للمفعول كاللباس من الكتب الذى هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الضم والجمع فى الامور البادية للحس البصرى ومنه
الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم فى الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما ان ماله الكتابة
والمراد به على تقدير كون المسمى هو السورة جميع القران الكريم وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه فى علم
الله عز وجل او باعتبار ثبوته فى اللوح او باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا حسبما ذكر فى فاتحة الفاتحة واللام للعهد و
المعنى ان هذه السورة هو الكتاب اى العمدة القصوى منه كانه فى احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغنى عن الوصف بالكمال
لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القران فالمراد بالكتاب الجنس واللام
للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد فى حيازة كمالات الجنس
كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من
مراضى الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس فى فرد من افراده وفى
الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل فى الجزء ولا مساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرده المعهود هو مجموع القران المقابل لسائر
افراده من الكتب السماوية لا بعضه الذى ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على
حياله ولان حصر الكمال فى السورة مشعر بنقصان ساير السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير
كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبر المبتدأ محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر
الاول او مبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ اما خبر له او مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول
والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هى السورة او القران ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك
الكتاب العجيب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فمعنى البعد حينئذ ظاهر خلا انه ان كان المسمى
هى السورة ينبغى ان يراد بالوعد ما فى قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القران فهو فى التوراة و
الانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقران واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب

اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او بتقدير مبتدا اى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب
وقوله تعالى لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلث المذكورة وعلى انه خبر ثان لالم او
لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتداء المقدر آخرا على رأى من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية
تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
موكدة لما قبلها او كلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان بحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها
واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف
فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف
اى لا ريب موجود ونحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه
عن الريب المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا
وجعل المذكور خبر ما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا
مجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك
مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب
انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا انه
لا يرتاب فيه احد اصلا الا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الخ فانه في قوة ان يقال وان كان بكم
ريب فيما نزلنا او ان ارتبتم فيما نزلنا الخ الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه
ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد ههنا ذلك الاشعار كما لم يقصد
الاشعار بثبوت الريب في ساير الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر من هداه كالسرى
والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اى ما من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته
في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم
الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي
اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل
بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم
اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل
بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق
التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال
لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين
ومحققة للتقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحقق مفهوم الهدى او لا بد فيه
من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا
فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه
في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل
الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى الزيادة ولان التوجه الى المقصد تدريجي
والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه
من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لقارنه في ذلك الآن
مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه لزم
ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا
من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد
اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما
اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر
عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان
له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها متعلقة
باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس الى كل اثر من تلك الآثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها
من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا مؤثر
لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا

وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذي هو اثر خاص لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة
العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر آخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة
له وهذا امر مطرد في آثاره الطبيعية واما الآثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة
وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا
اليها فحيث كانت تلك الآثار مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم
تعد من متمماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المامور
والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما
عليهما غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا
من متمماتهما ولم تعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسم الامر والدعوة بل جعلا عبارة عن نفس الطلب
المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة اولا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الامتثال والاجابة فعلان مستقلان
في انفسهما صادران عن المامور والمدعو باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال
الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهدي اى توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه
باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة فلم يعد من متممات
الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلولهما علم انه لم يعد الهدى من متممات الهداية ولم يعتبر
الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما
فان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مامورا ومدعوا وليس من ضرورته اتصافهما بالامتثال
والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لا
من تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره الماخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه
بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور
والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن
الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي الا اتصافه بالمدلولية التي هي عبارة عن المصدر الماخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض
لقبوله لتلك الدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة
فكيف يوخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم
مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست
كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل التعليم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلوله التعلم قطعا فليكن الهدى
مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما
قيل فان المعلم ليس بمستقل في ذلك ففي اسناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصله الى الآخر
فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق
اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه
المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها
ولا معتبرا في مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول
التعليم اعتبارا للهدى في مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك واستعداد المتعلم لسلوكه
من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت جلية الامر في ذلك التقدير ان قيل اليس تخلف الهدى عن الهداية
كتخلف التعلم بحيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فليكن الهداية ايضا كذلك ويحمل تسميته ما لا يستتبع الهدى بها على التجوز
قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف كذلك
واما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بعد تكامل
ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية
بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير ان يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما والمفارقة
عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت و
قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان الدلالات التكوينية المنصوبة في
الانفس والآفاق والبيانات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات
حقيقية فايضة من عند الله سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله للمتقين اي المتصفين
بالتقوى حالا او مآلا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر

من مومن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة و
التقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من
يترك ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه باس وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن
حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرا عن حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله
حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك
الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات من لا يجاوزها لا يناله اختيار الشدة على النعمة واختيار
الضعف على القوة والذل على العزة والجهد على الراحة والموت على الحيوة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام
التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن ينظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك
للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله
تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى
في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق ويتبتل
اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض
عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية الالهية المبنية
على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوات والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية
وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون
الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين
فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى وبيانها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجاز الاستحالة
تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك الايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شانهم
وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان
عني بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهداية المرتبة وكذا الحال فيما بين
المرتبة الثانية والثالثة فانه ان اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت
الحقيقة وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى لهم
تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهوما داخلا في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين
حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف
اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدا خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من
الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كانه قيل لم يحصل فيه
الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما
للمبالغة كانه نفس الهدى او بجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب هذه الجمل ان تكون
متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم تتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدا مضمر او طائفة من حروف
المعجم مستقلة بنفسها او الم خبر لمبتدا محذوف الذي هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة
التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غايته فضله بنفي الريب فيه اذ لا افضل مما للحق واليقين
وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدا جملة موكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع
السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا
عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص
مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة
شانه حسبما تحققته الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك
المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات
وترك السيئات معا لانها حينئذ يكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس
الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية
الى التجنب عن المعاصي غالبا الا يرى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين و
الزكوة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من
الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير

اعني

(margin note, right page:) بان يقال هدى للصائرين الى التقوى

اعني او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سياتي بيانه فالوقف على
المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه
غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من
ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان
له حقيقة الا يرى كيف التزم حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما
قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اي
للتفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك
ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب ان قيل لا ريب في ان حال الموصول عند كونه
خبر المبتدا محذوف كحاله عند كونه مبتدا خبره اولئك على هدى فانه ينسبك به جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات
الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم
للهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل ذلك في الصورة الاولى من توابع المتقين وعد الوقف غير تام وفي الثانية
مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر في ذلك ان المبتدا في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا
لما تضمنه المبتدا اجمالا حسبما تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك
في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان معلوم
الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى
قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على
ما لا ينبئ عنه المبتدا من المعاني اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة
على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال آمنته غيري
ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه
معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمانينة ومنه ما حكي عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما
صرت ذا امن وسكون وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد
والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول راي الشيخ الاشعري
ومن شايعه فان الاقرار عنده منشا لاجراء الاحكام والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين
له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند
جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو
فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب اما
مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين
وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث
لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام واليوم الآخر واحواله
من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا عن
الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى
الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين
عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه ذكروا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من
الايمان بغيب ثم تلا هذه الآية واما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم فالباء ح للالة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم
فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به
ويقيمون الصلوة اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من فرايضها وسننها وادابها زيغ من
اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها
اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا
جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود

(margin note, left page:) وهو ان كان وصفا مقيدا او موضحا او مادحا لتسبيح لتسبيح

والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبتا بالواو مراعاة
للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتيان في اعلى الفخذين
لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا
تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي
للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى
من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا يرى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا
بانهم ينفقون من الحلال الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روي عنه عليه السلام في حديث
عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة
فقال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت
ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال
الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول
والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها
لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤس الآي وادخال من
التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد يجوز ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة
ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون
﴿والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك﴾ معطوف على الموصول الاول على تقديري وصله بما قبله وفصله عنه مندرج
معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين الذين
آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالآخرين الذين آمنوا بالقرآن بعد
الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف
الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال القباحة والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف
الآخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل
كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات
كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب للايذان
بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شان
خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للآخر وقد شفع الاول باداء الصلوة و
الصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان
بالآخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد اهل الكتاب من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير
تعلق الباء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع
قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة
مستتبعة لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه
من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين
السبيلين فليتأمل وان يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب بان
يخصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكال به اثر جريان ذكر الملئكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم
في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها
فنزول ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا
او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليك هو القرآن باسره والشريعة
عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه
منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا
وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد
الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل
الآية والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا

حرجا

حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقد قرئا على البناء للفاعل
﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما
قطعيا مزاحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دائم او لا وفي تقديم
الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن
الوصول الى مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما ان الدنيا تأنيث الادنى غلبتا على الدارين فجريا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضمة ما قبلها مجرى ضمتها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله
لحب المؤقدان الي مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود وقوله تعالى ﴿اولئك﴾ اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث
اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وعلا ﴿على هدى﴾ خبره وما فيه من الابهام المفهوم
من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم
في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة
تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب
للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى ﴿من ربهم﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية
اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون
الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين
موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف
لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من
الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كانه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا بهدى
ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام اصل الهدى الجامع
لعنوانه المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد حاد عن سنن الصواب من قال في تقرير
الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير كونهما مفصولين
عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئناف وقع جوابا عن
سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين
به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هذه شؤنهم احقاء
بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله اولئك
سواد عيني وسويداء قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد
حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من
الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال
تميزهم بها وانتظامهم بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلتهم كما مر هذا وقد جوز ان يكون الموصول
الاول مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ واولئك الخ خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير
المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح ﴿واولئك هم المفلحون﴾ تكرير اسم الاشارة
لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان
كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم
اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة
للاولى واما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه
المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره
المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او اشارة الى ما
يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات
الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه
والله ولي الهداية والتوفيق ﴿ان الذين كفروا﴾ كلام مستأنف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال
اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى

ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شان الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستيناف مبني على سؤال نشا من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وتراميهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير فلا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسالك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وانما اوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان ان الكتاب هاد للاولين وغير مجد للآخرين لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كانني ولعلني ونظايرهما واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل والالما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف واثرها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويوتى بها في مواقع الشك والانكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قايم اخبار عن قيامه وان عبد الله قايم جواب سايل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقايم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وعليه قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظايرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتج المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم **سواء** هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى **عليهم** متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى **ءانذرتهم ام لم تنذرهم** مرتفع به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدا وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدا وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وتوسيطها والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن **لا يؤمنون** جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان وما قبلها اعتراض بما هو علة الحكم او خبر ثان على راي من يجوزه عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا على ان كون الموضوع عنهم ليس معلوما لهم وفايدة الانذار بعد العلم بانه لا ينفع الزام الحجة واحراز الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية الكريمة اخبار

بالغيب

بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة **ختم الله على قلوبهم** استيناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد قصدا بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن للهيئة المنتزعة منها مدلولا وضعيا لها ليكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما براسه ومن رام تقليل الاقسام عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبايح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهايم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او بقلوب قد ختم الله تعالى عليها كما في سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بتراميهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملايكة فيبغضونهم وينفرون عنهم **وعلى سمعهم** عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديمه على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال او لان جنايتهم من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل او لتقدير المضاف وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل **وعلى ابصارهم غشاوة** الابصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على راي سيبويه مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك واما

الآيات التي تتعلق بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها جنساً اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هي احط طريقي معرفته اعني القلب الجملة الفعلية وعلى رأي الاخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال بناءً ومعنىً يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لما انه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخاً لانه ينقخ العطش ويكسره وفراتاً لانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقاباً يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير و الكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتأكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضرباً من الغشاوة خارجاً مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين **ومن الناس** شروع في بيان بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل يضمون اليه فنوناً اخر من الشر والفساد وتعديد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة لاحوال هائلة عاجلة وآجلة واصل ناس اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما ما في قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فشاذ وسموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جناً لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه مأخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيساً ثم قلبت الفاً سموا بذلك لنسيانهم ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سمي الانسان انساناً لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد او للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم او ومن اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او نعت لمحذوف هو المبتدأ كما في قوله عز وجل ومنا دون ذلك اي وجمع منا الخ ومن في قوله تعالى **من يقول** موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الخ او فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الخ على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة وما يتعلق به من الصفات جميعاً لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبراً كما هو الشايع في موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى لا لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبارية عارية عن الفائدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقاً وكذا ما قيل في الجواب عنه بان الفائدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فتحوج من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه وانت خبير بان الناس عبارة عن المعهودين او عن الجنس المقصور على المصرين واياً ما كان فالفائدة ظاهرة بل لان خبرية الظرف تستدعي ان يكون اتصاف هؤلاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة آية عنواناً للموضوع مفروغاً عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب لاحد في انه يجب حمل النظم الجليل على اجزل المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله تعالى **آمنا بالله وباليوم الآخر** وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء ادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقايد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايماناً في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياماً معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايماناً فكيف وهم يقولونه تمويهاً على المسلمين واستهزاءً بهم **وما هم بمؤمنين** رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان جواز دخول الباء في خبرها لتأكيد النفي اتفاقي بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهمن ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعاً كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلاً فضلاً عن الايمان بما ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور ومدلول الآية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمناً فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقها او بما فيه مؤمن **يخادعون الله والذين آمنوا** بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استئناف وقع جواباً عن سؤال

ينساق

ينساق اليه الذهن كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اي يخدعون وقد قرئ كذلك وابراز صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعاً او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهم المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين و ان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة واياً ما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جناياتهم اي يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وابقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناءً على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلاً لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجاً لهم وامتثال الرسول عليه السلام والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدي للخدع و اما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان غائلتها آيلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز وعلا **وما يخدعون الا انفسهم** فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون و المعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضاً تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضاً لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضاً لان قوامها به وللماء ايضاً لشدة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى **وما يشعرون** حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون بشيء اصلاً جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس فالمشاعر **في قلوبهم مرض** المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعيله ويؤدي الى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعاً مبهماً غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه **فزادهم الله مرضاً** بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وبها تضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفراً بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفراً ويجوز ان يكون المرض مستعاراً لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضاً ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتأييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ حينئذ استئناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون الله الخ كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف مضاعف هذه حالهم في الدنيا **ولهم في الآخرة عذاب اليم** اي مؤلم يقال ألم فهو اليم كوجع فهو وجيع وهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجيء في قوله تعالى بديع السموات والارض **بما كانوا يكذبون** الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعاً ويجوز ان يكون محمولاً على

الظاهر بناء على راى من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به فى قول الشاعر ببذل وحلم ساد فى قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير
اى لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجباته القوية اما لان المراد بالعذاب
الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسبما اشتركهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما
ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى كمال
سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان
الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضى الله عنه ويروى مرفوعا ايضا الى النبى صلى الله عليه وسلم
اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روى ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمى به لشبهه به
صورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف اى بالذى يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبى صلى الله عليه و
سلم او القرآن وما مصدرية اى بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او القرآن او موصولة اى بالذى يكذبونه على ان العائد محذوف
ويجوز ان يكون من صيغة التفعيل للمبالغة كما فى بين فى بان وقلص فى قلص او التكثير كما فى موتت البهايم وبركت الابل وان يكون
من قولهم كذب الوحشى اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف فى امره متردد فى رايه ولذلك قيل له مذبذب
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ شروع فى تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمن مستقبل
يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا فى الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل معناها الانهاء والتبليغ والقائم
مقام فاعله جملة لا تفسدوا واعلم ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشىء عن الحالة اللائقة به و
الصلاح مقابله والفساد فى الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش
والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدى الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور
كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك فى النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت
كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب ولا باس بتخلل البيان او الاستيناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس بتوسط
بالاجنبى وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد فى الارض قَالُوا
ارادة للناصحين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلى انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سياتى توضيحه
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ اى مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من
الوضوح بحيث لا ينبغى ان يرتاب فيه واما كلام مستانف سيق لتعديد شنايعهم واما عطفه على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكونهم
ويقولون لهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية
مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما فى قوله تعالى بما كانوا يكذبون
فان مضمونه عبارة عما حكى عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وكذا ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما فى قوله عز وجل ان
الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتما نسيان
جانب الآخرة التى من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما فى قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا
النار الآية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية الى غير ذلك ولا ريب فى ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين
المعطوفتين عليها ليس مضمون شىء منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى تستحق الانتظام
فى سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان تكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحد
من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا كيف لا وقوله عز وجل أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ينادى بذلك نداء جليا فانه رد من
جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستيناف المودى الى زيادة تمكن الحكم فى
ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفى التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان الهمزة الانكارية الداخلة على النفى تفيد
تحقيق الاثبات قطعا كما فى قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم
واختها التى هى اما من طلايع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان للنسبة وعرف الخبر ووسط
ضمير الفصل لرد ما فى قصر انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ للايذان
بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام فى الشرطيتين الآتيتين وما بعد كل منهما من رد
مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خبائثهم وهناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب والله
اعلم بالصواب وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد آمِنُوا
حذف المؤمن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان كَمَا آمَنَ النَّاسُ الكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر موكد محذوف اى
آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما فى ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة ويكون للتشبيه بين
مضمونى الجملتين اى حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون فى الانسانية العاملون بقضية العقل
فان اسم الجنس كما يستعمل فى مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعانى الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك

فيقال

فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن
من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم قَالُوا مقابلين
للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ مشيرين باللام الى من اشير اليهم
فى الناس من الكاملين والمعهودين او الى الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأى يورثهما
قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم فى الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم
فى السفاهة وتماديهم فى الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمى الهدى لا محالة ضلالا
او لتحقير شانهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على
تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله وايا ما كان فالذى يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل ان
يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير
الاعلام والقدح فى ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا ينبغى
ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الامام الواحدى انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله
تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين بذلك عنهم وانت خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين فى الخلاء فى معرض ما جرى بينهما
فى مقام المحاورة مما لا عهد به فى الكلام فضلا عما هو فى منصب الاعجاز فالحق الذى لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم
بمحضر من الناصحين لا يقتضى كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكفر انيق ودفن فى النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع
فكما انه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع
غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون فى انفسهم
المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهى عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر فى تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان
الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان
الناس حتى تامرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك
بقوله عز قائلا أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفى التاكيد حسبما اشير اليه
فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر فى تفسير قوله تعالى
انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما هو راى الجمهور مناف لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا
عنه من الافساد اصلاحا كما مر اظهار منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم
للمشركين كما ذكر فى بعض التفاسير وبالاصلاح الذى يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى الا انهم هم
المفسدون انهم فى تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها عن ضعفهم الملجئ الى توسيط من
يتصدى لاصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين مما لا يميل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف
لا وانه يقتضى ان يكون المنافقون فى تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح وبانهم الافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب
فانهم فيها كاذبون لا يعاشرونهم الا مضارة للدين وخيانة للمؤمنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن
مصلحون محتمل للحمل على الكذب وانكار صدور الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه
من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم وارائة لارادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله
تعالى الا انهم هم المفسدون الآية والله سبحانه اعلم بما اودع فى تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق
والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذى هو فن من فنون الجهل ولان
الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال
واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا فامر بديهى يقف عليه من له شعور
ولذلك فصلت الآية الكريمة السابقة بلا يشعرون وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم
فى اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وسياق ما صدرت به قصتهم ليس لبيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك
لم يتعرض ههنا لمتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرير روى ان عبد الله بن ابى واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فقال ابن ابى انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابى بكر
رضى الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم اخذ بيد على كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له على رضى الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال
له مهلا يا ابا الحسن انى تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابى لاصحابه كيف رايتمونى

مركب مع ما عطف عليه ملا سمعت او اسمع غير مجاب كما ذكر فى موضعه منه سلمه الله

دُدوا

فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اى صادفته واستقبلته وقرئ اذا لاقوا وَإِذَا خَلَوْا من خلوت
الى فلان اى انفردت معه وقد يستعمل بالباء او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم اى جاوزك ومضى
عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تعالى إِلَى شَيَاطِينِهِمْ لتضمنه معنى الانهاء اى
واذا انهوا اليهم السخرية الخ وانت خبير بان تقييد قولهم المحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون منهم للشيطان
في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون
الشيطان تارة اصلية فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى
زائدة فوزنه فعلان على انه من شاط اى هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
اى في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم عندهم تحقق
الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتاكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الشياطين بخلاف معاملتهم
مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه او الثبات عليه إِنَّمَا نَحْنُ اى
في اظهار الايمان عند المؤمنين مُسْتَهْزِئُونَ بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وهو استئناف مبني على سؤال ناشئ
من ادعاء المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزئون
بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تاكيد
لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه
يقال هزأت واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اى
تسرع به وتخف اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ اى يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة
في اللفظ او للمقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو
لازم الاستهزاء او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة
في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبما يروى انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد
عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في
استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير
هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ
الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من باب النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف
وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائلا اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او
مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما انبأ
عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤوا ان الله مخرج ما تحذرون وَيَمُدُّهُمْ
اى يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت واسناد
على تزيدهم للرمز الى ان ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه انما يتحقق عند الاستمداد وما يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه كما
في الامثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الامداد وهو صريح في ان القراءة المشهورة ليست من المد في العمر فانه يستعمل باللام كاملي له
قال تعالى ونمد له من العذاب مدا وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل فِي طُغْيَانِهِمْ متعلق
بعدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان
ولقيان وانما اضافه اليهم لما اشير اليه من ترتب الحكم على اختيارهم يَعْمَهُونَ حال من الضمير
المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدرى اين
يتوجه واسناده الى الله تعالى مع اسناده اليهم ... الانبياء مستند من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى ...
... النظر الكريم ... الرين في قلوبهم ...
الى المسبب له وفاعله الحقيقي ... في الطغيان ... تمكنه تعالى ... أُولَئِكَ اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة
لهم عما عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون ... ومحله
الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها ...

عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة
الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء
استبدال السلعة بالثمن اى اخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو
الجلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى للاعراض عما
في يده محصلا به غيره كما قيل وان استلزمه لما مر ومنه قوله اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة
فيها والاعراض عنه ولما اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل
لهم اذ ذاك حسبما هو في البيت ولا ريب في انهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة اشتد عجاء الحال لتحقيق ما جرى مجرى العوضين
فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع اصناف الكفرة حتى تكون حاصلة لهم
من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد في الطغيان المترتب على ما حكي
عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى
بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتآخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى بجامع المشاركة
في استتباع الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة
من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر
بالايمان الصحيح وتلك نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة
الاصلية الحاصلة لكل احد يأباه ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب
المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك
يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا ضائعا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها
عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فانه
مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة
المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه
من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه في التوراة من نعوته عليه السلام وقد كانوا
على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة
ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا
مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ عطف على الصلة
داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو
الفضل على راس المال يقال ربح فلان في تجارته اى تشفف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران
اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار
وعموم المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايرادهما اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما
فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك ان التجارة
في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة
اذ ليس من ضروريات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك رايت
اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد
يكون مستعارا من ملايم المستعار منه لملايم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قولك فلما رايت النسر
عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع
تتخذه الطائر للتفريخ للراس واللحية او للفودين اعني جانبي الراس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر
للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك
الاستعارتين باعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ اى الى طريق التجارة
فان المقصود منها سلامة راس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل
واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان راس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا
كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها
مشاركة له في الترتيب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا الخ مَثَلُهُمْ الخ زيادة كشف لحالهم وتصوير لها
غب تصويرها بصورة ما يؤدي الى الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها

فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي
وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابداء المنكر
في صورة المعروف واظهار الوحشي في هيئة المالوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه
وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير
في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ
بينها وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى
مثل الجنة التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشان كمثل الذي اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا
انه وحد الضمير في قوله تعالى استوقد نارا نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين لان
المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته
بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل
هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة
للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء
حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا واستيقادها طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها
وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او فلما استضاء ما حوله
والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها
لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير
واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفا الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور
دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها
او نحو ذلك وهو جواب لما او استيناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما لهم اشبهت حالهم حال مستوقد انطفات ناره او
بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز
والامن من الالتباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها
واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر
واما للمبالغة كما يوذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله
اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور
لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح
عنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان الظلمة هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة
متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور
عين ولا اثر واما لان المراد بالنار ما لا يرضى به الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة
ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث والفساد فاطفاها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الاصل بمعنى
طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم
والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الروية وقرئ في ظلمات بسكون
اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم
الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيمة يوم ترى المومنين
والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المويد بما شاهدوه
من دلايل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه من النور حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفاها
الله تعالى وتركه في ظلمات هايلة لا يتسنى فيها الابصار صم بكم عمي اخبار لمبتدا محذوف هو ضمير المنافقين او خبر
واحد بالتاويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه
الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد
منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وصفوا بذلك
مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا ان
يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم

ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه
صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية وهذا عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما
في قول من قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة
التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي السلاح
مقذف له لبد اظفاره لم تقلم فهم لا يرجعون الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات
المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة
تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هايلة من غير تعرض لشيء من السمع والنطق ولا لاختلال مشاعرهم
وقيل الضمير للمقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضماير المتقدمة فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم
ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في الظلمات كثيفة هايلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا و
اتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون
ام يتاخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدؤوا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما
بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون والمستوقدون واما على الحالية من الضمير
المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون اما على المفعولية لتركهم فالضميران للمستوقدين او كصيب تمثيل لحالهم
اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفي حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتقلبهم
فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شانهم الامثال ويرخى في حلبته اعنة المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد
لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامي
الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعي عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو
عطف على الاول على حذف المضاف لما سياتي من الضماير المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او للايذان بتساوي
القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول
الذي له وقع وتاثير يطلق على المطر والسحاب قال الشماخ عفا آية نسج الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق الرعد صيب
ولعل الاول هو المراد هنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هايل كالنار في التمثيل الاول وامد به
ما فيه من المبالغة من جهة مادة الاولى التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادة الثانية اعني الصوب
المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصايب من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع
صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة
الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اي كل ما يحيط
به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد ارض بيننا وسماء كما ان كل طبقة من طبقاتها سماء قال تعالى واوحى في كل سماء امرها والمعنى
انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية فيه ظلمات اي انواع
منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله
محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه
من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هي الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها
لكل اذ لو قيل وكظلمات فيها صيب لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها ورعد وهو صوت يسمع من
السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق
الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمع وكونهما
في الصيب باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل
كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق
وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول
على تقدير كونه صفة لصيب والضماير في قوله عز وجل يجعلون اصابعهم في آذانهم للمضاف الذي اقيم مقامه المضاف اليه
فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان
الضمير للاهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان رضي الله عنه يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق
السلسل فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا لانث حتما وايثار الجعل المنبئ عن دوام الملابسة
واستمرار الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما ان ايراد
الاصابع بدل الانامل للاشباع في بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانامله فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون
هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد وكذا الحال في عدم

تعيين الاصبع المعتادة اعنى السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب مبنى على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فماذا يصنعون فى تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله تعالى من الصواعق متعلق بيجعلون اى من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها شقة نار لا تمر بشئ الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الرواية او مصدر كالعافية وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الاذان انما يفيد على التقدير الثانى دون الاول وقرئ من الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين فى التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اى مجهر بخطبته حذر الموت منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واصفح عن شتم اللئيم تكرما ولا ضير فى تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية اى يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين اى لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به فى استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية فى الصفة متفرعة على ما فى مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثانى تمثيلية قد اقتصر من طرفى المشبه به على ما هو العمدة فى انتزاع الهيئة المشبه بها اعنى الاحاطة والباقى منوى بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر فى التمثيل كما مر تحريره فى قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الاذان بالاصابع لا يغنى عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل ولا يرد باس الله عز وجل وفايدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشى من السخط اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون قد دل على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى فى الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه او تاخيره لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشان المشبه يكاد البرق استيناف اخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك يخطف ابصارهم اى يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتآخذ اسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما فى قوله فابت الى فهم وما كدت آيبا وكذا مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما فى قول رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمصحا كما تحمل هى عليها بالحذف لما بينهما من المقارنة فى اصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كما فى عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويختطف ويخطف بفتح الياء والخاء ونقل فتح التاء الى الخاء وادغامها فى الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم كلما ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اى كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعايد محذوف اى كل وقت اضاء لهم فيه والعامل فى كلما جوابها وهو استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون فى اثناء ذلك الهول ايفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء مشوا فيه اى فى ذلك المسلك او فى مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشى على ما فوقه من السعى والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما واذا اظلم عليهم اى خفى البرق واستتر والمظلم وان كان غيره لكن لما كان الظلام دائرا على استتاره اسند اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغة فى موجبات تخبطهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ومنه ما جاء فى قول ابى تمام هما اظلما حالى ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول قاموا اى وقفوا فى اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجاء يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشى مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضيته مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذى لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بنى الحكم على اعتباره فهى دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعى لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما فى مادة الدوران الكلى كما فى قوله عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين وقولك لو جئتنى لاكرمتك فظاهر لان وجود المشية علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجئ علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما فان قيل قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما فى المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشايع لكلمة لو ولذلك قيل هى لامتناع الثانى لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثانى لكونه ظاهرا او

مسلما

مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما فى قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفى قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الالهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان لازم لخيريته فى زعم الكفرة ولا ريب فى انتفاء اللازمين فيتعين انتفاء الملزومين حقيقة فى الاول وادعاء باطلا فى الثانى ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما فى المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثانى للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثانى واما فى مادة الدوران الجزئى كما فى قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذى هو طلوعها ليس وجود اى ضوء كان كضوء القمر المجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا ريب فى انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بنى الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بنى على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار اخر له اولا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه فى الحقيقة معلق بسبب اخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو هو ليس مدارا لوجود الضوء فى الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار اخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب اخر كالقمر مثلا ولا ريب فى ان هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمرى عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما فى قوله صلى الله عليه وسلم فى بنت ابى سلمة لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى انها لابنة اخى من الرضاعة فان المدار المعتبر فى ضمن الشرط اعنى كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذى هو كونها ربيبته عليه السلام بل بنى الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا ومساق الكلام لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما فى قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم وقوله عليه السلام لو كان الايمان فى الثريا لناله رجال من فارس وقول على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعى نقايضها ايذانا بانها فى انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية فى مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ولها تفاصيل وتفاريع حررناها فى تفسير قوله تعالى اولو كنا كارهين وقول عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان فى ضمن عدم الخوف بمدار اخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابى سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والاية الكريمة واردة على الاستعمال الشايع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشية الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشية محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما فى قوله فلو شئت ان ابكى دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشا لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كما فى قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الاية والافراد فى المشهور لان السمع مصدر فى الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستينافية وقيل على كلما اضاء الخ وقوله عز وجل ان الله على كل شئ قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهانى والشئ بحسب مفهومه اللغوى يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه فى الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى فى ذلك باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص هاهنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هى صفة تقتضى ذلك التمكن والقادر هو الذى ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير البارى جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء ابقاه على الوجود ابقاه عليه فان علة الوجود هى علة البقاء وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشا لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفى العجز عنه واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما يقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شئ وكل شئ مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما فى قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى بان يشبه المنافقون فى التمثيل الاول بالمستوقدين واظهارهم الفطرى بالنار وتاييدهم اياه بما شاهدوه من الدلايل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم وازالته باذهاب النور النارى واخذ الضلالة بمقابلته عليها بلبسهم الظلمات الكثيفة وبقائهم فيها ويشبهوا فى التمثيل الثانى بالسابلة والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التى هى مدار الحيوة الابدية بالصيب الذى هو سبب الحيوة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان

والكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد
والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم
في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي
لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه
التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في
جانب المشبه به بان ينتزع من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من
المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة بحيالها فتشبه كل واحدة من الاوليين بما يضاهيها من الاخريين هو
الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زايد عليه هو تشبيه
الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان تكون مثلا في الغرابة يا ايها الناس اعبدوا
ربكم اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شانه الى ثلث فرق مومنة به محافظة على ما فيه من
الشرايع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت
كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء
وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به ويا
حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله ويا رب وهو
اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء
فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشانه واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام لا على
انه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود
بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تاكيدا لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه ولما ترى من استقلال
هذه الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد
من الاحكام والشرايع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان
واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين
في ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى
فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بعمومها شايعا ذايعا واما من عداهم ممن سيوجد
منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة ان مقتضى
خطابهم واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة
والحسن البصري من ان كل ما انزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه
باهلها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن اهلها كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين
قبل ورود هذا الامر لما ان المامور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة
حسب تكرر اسبابها ولا في انتفاء شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا تتم الا به وقد علم من
الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلوة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال
القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كل ما ورد في القران من العبادة فمعناه
التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا في كون بعض من الفريقين الاخيرين ممن لا يجدي فيهم الانذار
بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا
اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم كذلك لا ان كونهم
كذلك لورود النص بذلك فلا جبر اصلا نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم
تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد وجوب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة الذي
خلقكم صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب
بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله
التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على
الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة
بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم
من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى لكل وتخصيصه بالمشركين يودي الى عدم التعرض
لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع

انهم

انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم
للتقوى من الظهور بحيث لا يتاتى لاحد انكاره وقرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول
وصلته توكيدا كاقحام اللام بين المضافين في لا اباك او بجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتدا محذوف اي الذين هم اناس
كائنون قبلكم لعلكم تتقون المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما
محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله
يرحمني وهو الاصل الشايع في الاستعمال لان معاني الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس
التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز
ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا
فان روعي في الاية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة
بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في
كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة
على قوة الطلب من الوقوع واما الى التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون
منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل
في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية وقد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع
الهيئة المشبه بها اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما جعل
المشتد ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى
فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين
لانهم المامورون بالعبادة اي خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحال في معنى خلقهم لاجل
التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير
من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى
لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان تكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم
بما ذكر من الحال او العلة لتكميل عليته للمامور به وتاكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب وايثار تتقون على
تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها
لما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة
المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين
بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره
عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين ابتدائه والثبات عليه
ليرتجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يوثم من فعل وترك كما في تفسير في م
المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام
الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل واما
ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونكم
جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى جامعين لمباديها الافاقية والانفسية
كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان
الاية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان
مطالعة الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الايات ما يتعلق
بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذي جعل لكم
الارض فراشا وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص وامدح او في محل الرفع
على المدح والتعظيم بتقدير المبتدا فان ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كما في المنادى
وحذف المبتدا في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط
النهي ما في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شانا واجل
خطرا والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه
على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه
التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن واما في الوجه وما عطف عليه من

اوسع طول لوقد مرلفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا **والسماء بناء** عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اى جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد و جمع سماوة او سماءة والبناء فى الاصل مصدر سمى به المبنى بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء ماء** عطف على جعل اى انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روى ذلك عنه عليه الصلوة والسلام او المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار فى موضع الاضمار ومن على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اى كائنا من السماء وقدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التاخر عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله ومبداه واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى **فاخرج به** اى بسبب الماء **من الثمرات رزقا لكم** وذلك بان اودع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المختلفة على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر فى الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا مبادى ومواد كما ابدع نفوس المبادى والاسباب لكن له عز وجل فى انشائها متقلبة فى الاحوال ومتبدلة فى الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولى الابصار عبرا ومزيد طمأنينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس فى ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعنى ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة فى قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلثة قروء او لانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اى رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار النهى هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التى عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف عليه كما فى قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهى والانتهاء او لان مآل النهى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه وخصوها به والاظهار فى موضع الاضمار لما مر انفا وقيل هو نفى منصوب باضمار ان جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثانى ولا ريب فى ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذى هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع فى قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اى خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل فى بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذى جعل الخ على تقدير رفعه على المدح اى هو الذى حفكم بهذه الايات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركا وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية النهى مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتأويل مقول فى حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى رأى الاخفش فى تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما فى قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المناوئ من ند ندودا اذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوى بالمماثل فى المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى فى صفاته ولا انها تخالفه فى افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله عز وجل و تمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفى ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله تعالى **وانتم تعلمون** حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهى من قبح المنهى عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الرأى او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك

المثل ح

او

اوتعلمون انه لا يماثله شئ اوتعلمون ما بينه وبينها من التفاوت اوتعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما فى قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ وغير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذى يستدعيه عموم الخطاب فى النهى بجعل المنهى عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة والثبات عليه كما هو شان المؤمنين حسبما مر مثله فى الامر واما صرف التقييد الى نفس النهى فيستدعى تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهى على حال العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة فى التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطى القبائح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور فى حق الكفرة فمن صرف القيد الى نفس النهى مع تعميم الخطاب للمؤمنين فقد فاته تعانى العنقاء ان قلت اليس فى تخصيصه بالكفرة والنهى خلاص من اشكال ما فى التكلفات حسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا محيد فى اية التحدى من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رعاية حال المؤمنين ورفع شانهم عن نظمهم فى سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما يفصح عنه التعرض لعنوان الكفرية مستغنون عن الامر والنهى قلت بلى وجه سرى ونهج سوى لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتامل **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا** شروع فى تحقيق ان الكتاب الكريم الذى من جملته ما تلى من الايتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وان ما ذكر فيهما من الايات التكوينية الدالة على ذلك صادر عنه تعالى لتوضيح ما تقدمه فاذكر فى مطلع السورة الكريمة من النعوت الجليلة التى من جملتها نزاهته عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم فى حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا فى غاية ما يكون من المكابرة و العناد هو الارتياب فى شانه واما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة فى تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافى اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن فى مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب فى الجملة وحاشاه وما اما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم فى ريب منه ارتيابهم فى استقامة معانيه وصحة احكامه بل فى نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدى عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى التحامل [illegible] ... فى النكت وازاحة العلل وفى ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر فى قوله تعالى **فاتوا بسورة** من باب التعجيز والقام الحجر كما فى قوله تعالى فات بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر والاتيان بالمأمور به لما اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للدعوى مطلقا والثانى على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بنى نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة واقلها ثلث آيات وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التى هى الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة فى المجد ليس غرابها بمطار فان سور القرآن مع كونها فى انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهى من حيث انتظامها مع اخواتها فى المصحف مراتب يرتقى اليها القارئ شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشئ ولا يخفى ما فيه ومن فى قوله تعالى **من مثله** بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اى بسورة كائنة من مثله فى علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدارا للعجز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة معه بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم يأباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بغير جد وقيل هى زائدة على ما هو رأى الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هى ابتدائية فالضمير حتما للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له

مثلا محققا وقد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشئ منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه
السلام في البشرية والعربية والامية يهون الخطب في الجملة خلا ان تخصيص التحدي بفرد يشاركه عليه السلام فيما ذكر من
الصفات المنافية للاتيان بالمامور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل توهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او
مجتمعين مع انه يستدعي عود المنزل على ما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدي الامة جمعه
وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وتبعا وتواطي على
الاتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال لما اتى بجملته واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او
القايم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من شئ يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ثم استعير
للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي
حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الآخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من اما متعلقة بادعوا فكونها لابتداء
الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم كائنا من كان او الحاضرين في مشاهدكم
ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات او القائمين بشهاداتكم
الجارية فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصرتكم حقيقة
او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء في الاول مع اندراجه في الحضور لتاكيد تناوله
لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه واما في
ساير الوجوه فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما
سواه والالتفات لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون اولياء الله شهداء كم الذين هم وجوه الناس
وفرسان المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله ايذانا بانهم يابون ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة
ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدي لاولئك الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم
فيحضروا انهم دعوا لكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد ان ما ندعيه حق فان ذلك ديدن المحجوج وفيه
انه ان اريد بما يدعون حقيقته ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي وان اريد مثلية ما اتوا به
للمتحدى به فمع عدم ملاءمته لابتناء التحدي يوهم انه قد تصدوا للمعارضة واتوا بشئ مشتبه الحال متردد بين المثلية و
عدمها وانهم ادعوا مستشهدين في ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك تمس الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهي عن
الاستشهاد به تعالى واني لهم ذلك وما نبض لهم عرق ولا نبسوا ببنت شفة واما تعلق بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون
بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم
متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام بالشهداء
لتعيين مدار الاستظهار بها تهكما بهم مما زعموا من انها بمكان من الله تعالى وانها تنفعهم بشهادتها لهم انهم على الحق فان
ما هذا شأنه يجب ان يكون ملاذهم في كل امر مهم وملجأ يأوون اليه في كل خطب ملم كانه قيل اولئك عدتكم فادعوهم
لهذه الداهية التي دهمتكم فوجه الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الالوهية الجامعة لجميع
صفات الكمال عبادة ما لا احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو ادنى مكان من شئ لقدامه
كما في قول الاعشي تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فتكون ظرفا لغوا معمولا
لشهداءكم لكفاية رائحة الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير يشهدون اي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم
بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات
تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فان ما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام الخطير حقه ان يستعان به في كل مرام وفي امرهم في
الوجهين بان يستظهروا في معارضة القرآن الذي اخرس كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من هنا
تبعيضية لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما
يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد نقل كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع
بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تتصرف وتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجر الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء
مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية اي ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم به
مثله متجاوزين في ذلك اولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا لا يشهدون بذلك وانما قدر المضاف
الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله يقابل ذكر الاصنام والمقصود
بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما
هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذارا من اللائمة وانفة من الشهادة
البينة البطلان كيف لا وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملاءمة

لابتدا

لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولئك الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشئ يحتاجوا في اثبات مثليته للمتحدى به
الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اي في زعمكم انه من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه
لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله الخ واستلزام المقدم للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم
يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة و
الاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقايع والايام لا سيما عند المظاهرة والتعاون ولا
ريب في ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا اي ما امرتم به من الاتيان بالمثل
بعدما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول
وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهوره لكنهم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل
وجعل مصدر الفعل المامور به مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري استقل به المقام
وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول
اي المأتي به ضرورة استحالته وان مناط الجواب في الشرطية اعني الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت
حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار تعلقها
بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل
واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك
تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى
فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع يرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تأتوا به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
بعد قوله تعالى ايتوني باخ لكم من ابيكم فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر وهي غرضه بالتكليف
استحضاره بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية لهم الى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المامور به بالاشارة الاجمالية
الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا للمطلوب واعراضا عن
مقصد هذا وقد قيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة
بالضماير الراجعة اليها حذرا من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من اللازم المصحح للانتقال
بمعونة قراين الحال فتدبر واتيانا بكلمة ان المفيدة للشك على اذاعة تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم
قبل التجربة او تهكما بهم وَلَنْ تَفْعَلُوا كلمة لن لنفي المستقبل كلا خلا ان في لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل
لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهي احدى الروايتين عن الخليل والجملة
اعتراض بين جزئي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص
علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشئ يداينه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف فَاتَّقُوا النَّارَ
جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم
عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه
الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع
امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكنى عنه وفيه من الايجاز البديع
ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا
لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ صفة للنار موضحة لها زيادة تهويل و
تفظيعا اعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة
كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب او يابس الا احرقته لا كنيران الدنيا
تتقد في الالتهاب الى وقود من حطب او حشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضيه لكون اتصافها به امرا ثابتا
معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الاية
المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فاشير هاهنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون
جميع آياتها كذلك كما هو المشهور واما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب
فيه هين لما ان المخاطب هناك المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الاصنام
وبالناس انفسهم حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ اي هيئت
للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة
ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار
مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل به ومبينة لمن اريد

بالناس رافعة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار قد منا لنار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل
صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف **وبشر الذين آمنوا** اي بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف
على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل انه عطف قصة
المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب
والوعد بالوعيد وكأن تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول
عطفا على اعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح
لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده
وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتقاء على احداث الايمان وتحذيرهم
من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين
الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيمة فانه عليه السلام لم يأمر بذلك واحدا بعينه بل كل واحد ممن يتأتى منه ذلك
وفيه رمز الى ان الامر لعظم وفخامة شأنه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به
اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوئه **وعملوا الصالحات** الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما
استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير اليها
في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان
دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه
ولا غناء باس لا بناء به **ان لهم جنات** منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لأفعلن والجنة
هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كأن عيني في غربي مقتلة
من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا كأنها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس الستر وعلى الارض
ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر ان يكون مأخوذا من الفعل المبني للمفعول
وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع
التنكير لان سبعا على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى و
دار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها **تجري من تحتها الانهار**
في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها
فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر
المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان
بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا او للعهد والاشارة
الى ما ذكر في قوله عز وعلا انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل
والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي او المجاري انفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا
عقليا كما في سال الميزاب **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى
لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار اهلها المتنعمين بها او خبر مبتدأ محذوف او جملة
مستأنفة كأنه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها و
كلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كأنه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا
مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة
فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم على المبين كما في قولك رأيت
منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك وان اشرت
الى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل اي من قبل هذا في الدنيا
ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المألوف
متنفرة عن غير المعروف وليتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه
من قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رضي الله عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى
فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي
نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب
لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا لا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب
لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كأنهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له

هذه المرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان
ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط
بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الآية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة لتفاوته فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما
فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب **وأتوا به متشابها** اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل
عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى
الرزق **ولهم فيها ازواج مطهرة** اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان
التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة
وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ
مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو
الا الله سبحانه وتعالى واما التطهر فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والانثى
وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على
ازواج اهل الجنة لخلوهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدارية لبقاء الفرد ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى
يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة **وهم فيها خالدون** اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل
للاثافي والاحجار الخوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله عز وعلا
خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعا لما يقتضيه من الآيات والسنن وما قيل من ان
الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مداره قياس ذلك
العالم الكامل بما نشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها
الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متقاومة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة
الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب
والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان
ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية
من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبما به تكمل البهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليها من
العقد والعمل **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب
خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب
بالتحدي والقام الحجر وافحام كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافقين
طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه
رضي الله عنه ان هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا
له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الآية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب
الله تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتوهم
فيه التردد فضلا عن النكير بل هو من اوضح ادلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان
التمثيل كما ترى ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني
بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق
الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت
في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضيته وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم
والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء اجمع
من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى والحياء تغير النفس وانقباضها
عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حي واشتقاقه من الحياة اشتقاق شظي ونسي وحشي من الشظى والنسا
والحشا يقال شظي الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كان من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وتنتقص
واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد
يحذف منه احدى الياءين ومنه قوله الا يستحيي منا الملوك ويتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم وقوله اذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد وكما انه اذا اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يستحيي
من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع

فيهما خبرا يراد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل تركه تعذيب ذى الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك رد المحتاج حياء كذلك اذا نفى عنه تعالى فى المواد الخاصة كما فى هذه الاية الشريفة وفى قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهى لترك المستحيى منه لا سلب وصف الحياء عنه تعالى راسا كما فى قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب شانه فى الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل بالمماثل لترك من يستحيى من ضربه وفيه رمز الى تعاضد الدواعى الى ضربه وتآخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور فى الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيى رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب المحقر كما فى قول من قال من مبلغ افناء يعرب كلها انى بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله فى مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه فى نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة فى مواردها ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك فى مضاربها لفقدان الانشاء هناك والامثال الواردة فى التنزيل وان كان استعمالها فى مضاربها عين انشائها فى انفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل بالاعتبار الاول قطعا وهو ماخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال فى مضاربها تطبيقها بها كان المضارب قوالب تضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشأ بحسبها بعد ان لم يكن كذلك بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها حاكما من الامثال التنزيلية فان مضاربها قوالبها او قبل ذلك كسائر الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا ان تطبيقها اى ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعديته بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما فى قولك اعطنى كتابا ما كانه قيل مثلا تاما من الامثال اى مثل كان فهى صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما فى قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه فى النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها بحذف صدرها كما فى قوله تعالى تماما على الذى احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحل ما على الوجهين النصب على انه بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهى خبر لها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واى مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع فى قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فى لغة هذيل من الخمش وهو الخدش **فما فوقها** عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير كونها موصولة وموصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها اعنى بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذى فوقها او فشئ فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشيوع بل يقرره ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة فى المعنى الذى اريد بالتمثيل اعنى الصغر والحقارة واما الزيادة فى الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل فى الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فاى شئ فوقها فى الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره فى احتمال الامرين ما روى ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضى الله عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة فى الالم كالخرور وما زاد عليها فى القلة كنخبة النملة بقوله عليه السلام ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها فى الالم كامثال ما حكى من الخرور **فاما الذين آمنوا** شروع فى تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقية صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه فاما الذين الخ وتقديم بيان حال المومنين على ما حكى من الكفرة مما لا يفتقر الى بيان السبب وفى تصدير الجملتين باما من احماد امر المومنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف يتضمن معنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شئ ولذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما فى نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد يقتصر على واحد منها كما فى قوله عز من قائل فاما الذين فى قلوبهم زيغ الخ قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شئ فهو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المومنين المعهودين كما ان

المراد

المراد بالموصول الآتى فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاخلاله بالمعنى اى فاما المومنون **فيعلمون انه الحق من ربهم** كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن فى الحق او من الضمير العائد الى المثل او الى ضربه اى كائنا او صادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولى يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثانى محذوف عند الاخفش اى فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية اعترافهم بموجبه كما فى قوله تعالى والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للايماء بوقوع ما بينهما من التلازم وظهور المعنى عن الذكر **واما الذين كفروا** من حكيت اقوالهم واحوالهم **فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا** اوثر يقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينة دلالة على كمال غلوهم فى الكفر وترامى امرهم فى العتو فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة انكارها والاستهزاء به صريحا وتمهيدا لتعداد ما نعى عليهم فى تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنايعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلم بها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتأمل وكن على الحق المبين وماذا اما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذى وصلته ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجئ جوابه مرفوعا واما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى اى شئ فالاحسن فى جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها اليه او القوة التى هى مبدأ والاول مع الفعل والثانى قبله وكلا المعنيين مما لا يتصور فى حقه تعالى ولذلك اختلفوا فى ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا يكون المعاصى بارادته تعالى وقيل هى علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفى المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهى اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفى كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما فى قوله تعالى ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة فى ضرب المثل ولا القدح فى اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء انه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز من قائل **يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا** جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هى كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين فى الغواية ووضع الفعلان موضع الفعل الواقع فى الاستفهام مبالغة فى الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية فى سلك الارادة لايهامه تساويهما فى تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظايره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم وايثار صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوؤهم ويفت فى اعضادهم وهو السر فى تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هى بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح فى ذلك اقلية المهتدين بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور ونحو ذلك و اعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد فى الاولين الكثرة من حيث العدد وفى الآخرين من حيث الفضل والشرف كما فى قول من قال ان الكرام كثير فى البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله سبحانه مبنى على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتاكيدها **وما يضل به** اى بالمثل او بضربه **الا الفاسقين** عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس الا ابتداء بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق فى اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها اى خرجت قال رؤبة يذهبن فى نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا وفى الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التى من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغابى وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك فى تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المومن لاتصافه بالتصديق الذى عليه يدور الايمان

ولقوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتيسر لهم ادخال الفاسق فى احدهما فجعلوه قسما بين قسمى المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض احكامه والمراد بالفاسقين ههنا العاتون المارقون فى الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكى عنهم ما حكى من انكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجرى عليهم من القبايح للايذان بان ذلك هو الذى اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر فى حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير ما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله فى ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد كلامى المتعاهدين بالآخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد فى شجاعته وبحر فى افاضته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القايمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او المعنى الظاهر منه او الماخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره فى الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظايره وقيل عهود الله تعالى ثلثة الاول ما اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته والثانى ما اخذ على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين اى من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثانى ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبنى للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبنى للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثقته تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المومنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطى شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التى هى المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمى الامر الذى هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يومر به كما يقال له شان وهو القصد والطلب لما انه اثر للشان وكذا يقال له شئ وهو مصدر شاء لما انه اثر للمشية ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثانى اولى لفظا ومعنى ويفسدون فى الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه اولئك اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك فى سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم فى الفساد هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الآيات بالايمان بها والتامل فى حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله التفات الى الخطاب المذكورين مبنى على ايراث ما عدد من قبايحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكارى لا بمعنى انكار الوقوع كما فى قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الخ بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس فى توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهانى وقوله عز وجل وكنتم امواتا الى آخر الآية حال من ضمير الخطاب فى تكفرون موكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة من الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اى فى اى حال او على اى حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اى اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما فى قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى وآية لهم الارض الميتة فاحياكم بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم فى تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا ثم يميتكم اى

عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلايل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التى هى الحيوان والنعمة العظمى والتراخى المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ فى الصور او للسؤال فى القبور وايا ما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر ثم اليه ترجعون بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يتسنى مقارنة شئ منها لما هو حال منه فى الزمان لكن الحال فى الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه ومآله التعجيب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرجع فى سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما نصب من الدلايل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل فى ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة فى القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا مجاز فى القوة النامية لكونها من طلايعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وعند وصفه تعالى بها يراد به صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرى ترجعون بفتح التاء والاول هو اللايق بالمقام هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا تقرير للانكار وتاكيد له من الحيثيتين المذكورتين غير سبكه عن سبك ما قبله مع اتحادهما فى المقصود ابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر ادخل فى الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجرى مجراها وفى جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين والتشويق اليه كما سلف اى خلق لاجلكم جميع ما فى الارض من الموجودات لتنتفعوا بها فى اموردنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلايمه من لذات الآخرة والامها وما يعم جميع ما فى الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء فى الكل وجميعا حال من الموصول الثانى موكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما فى الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل فى استمراره على ما هو عليه من النظام اللايق الذى عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس فى العالم شئ مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر فى تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل ثم استوى الى السماء اى قصد اليها بارادته ومشيته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شئ آخر فى تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا لما لعدم تحققه فى خلق السفليات لما روى من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضى الله عنه خلق الله تعالى الارض فى موضع بيت المقدس طينة الفهر عليها دخان يلتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخى الزمانى فان تقدمه على خلق ما فى الارض المتاخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها ولما روى عن الحسن رضى الله عنه والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعى سابقة الوجود واما جهات العلو فسويهن اى اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سويهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما فى مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو والذبول كما فى السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها فى معنى الجنس وقيل هى جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثانى مبهم يفسره قوله تعالى سبع سموات كما فى قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتاخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما فى الارض مع كونه اقوى منه فى الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما فى الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان فى ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يخفى هذا ما قالوه وسياتى فى حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى وهو بكل شئ عليم اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوى على الحكم الفايقة والمصالح اللايقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها وبارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعى ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرايق وقرى وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد واذ قال ربك بيان لامر آخر من جنس الامور المتقدمة الموكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية الحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبى صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان فحوى الكلام ليس مما يهتدى اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التى نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحى الخاص به عليه السلام وفى التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه

حقيقة

السلام من الاباء عن تشريفه عليه السلام مما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع
لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله فى قوله عز وجل واذكروا اذ
كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث
مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت
مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على تاويل اذكر
الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه وايا ما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه
السلام غب ما اوحى اليه ما خوطب به الكفرة من الوحى الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم
بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو اشكر النعمة فى خلق
السموات والارض او تدبر ذلك فغير سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بمواجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه
واين ذلك من مقامه الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا وياباه انه يقتضى ان يكون هو المقصود
بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين امنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه الاية المتقدمة
مثل وبدا خلقكم اذ قال الخ ولا ريب فى انه لا فائدة فى تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا وفيه ما فيه
وقيل اذ زائد ويعزى ذلك الى ابى عبيدة ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام فى قوله عز قائلا **للملائكة** متعلق بقال وتقديم الجار و
المجرور فى هذا الباب مطرد لما فى المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملئكة
جمع ملك باعتبار اصله الذى هو ملأك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل فى جمع شمال والتاء لتاكيد تانيث الجماعة واشتقاقه
من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مالك من الالوكة وهى الرسالة اى موضع الرسالة او مرسل على
انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسايط بين الله وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف العقلاء
فى حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل
باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة
فى الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجرى منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق فى معرفة
الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم
يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت
طائفة من النصارى هى النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل فى شرح كتاب انه عليه السلام قال اطت السما
وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروى ان بنى ادم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر
الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء
عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك فى مقابلة الكرسى نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق
واحد من سرادقات العرش التى عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما
وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم له زجل بالتسبيح والتقديس
ثم هؤلاء كلهم فى مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة فى البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام
والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما
قال وما يعلم جنود ربك الا هو وروى انه عليه السلام حين عرج به الى السماء راى ملائكة فى موضع بمنزلة شرف يمشى بعضهم
تجاه بعض فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادرى غير
ان الله عز وجل يخلق فى كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقنى اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم
قدرته وما اعظم ملكوته واختلف فى الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس رضى
الله عنهما انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله عز وعلا لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا
الدماء فقتلوهم الا قليلا قد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم
العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء واخرى فى
الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم انهم كل الملائكة لعموم اللفظ و
عدم المخصص وقوله تعالى **انى جاعل فى الارض خليفة** فى حيز النصب على انه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك
عملت عمله وفيها ما ليس فى صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهى من الجعل بمعنى التصيير المتعدى الى مفعولين
فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولى التصيير فى الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول
وثانيهما الثانى وهما مبتدا وخبر والاصل فى الارض خليفة ثم قيل صار فى الارض خليفة ثم صير فى الارض خليفة فمعناه بعد التا
والتى انى جاعل خليفة من الخلائف او خليفة بعينه كائنا فى الارض فان جعلها رفى الحقيقة هو الكون المقدر العامل فى الظرف ولا

ريب

ريب فى ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذى يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم
السلام فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر ويجوز ان
وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما فى قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
التى جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا فى قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اى لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب
فى تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكى فهى واضحة لوقوعه فى اثناء ذكره عليه السلام على ما سنفصله كانه قيل
انى خالق بشرا من طين وجاعل فى الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة فى الارض لكنه حذف
عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليه السلام قال العلامة الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة انى خالق
بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم انى خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم انى خالق خلقا
من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك المفصل بمجرد الاسم من غير قرينة
تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدى الى مفعول واحد هو خليفة وحال
الظرف فى التعلق والتقديم كما مر خلا يكون ما سياتى من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روى انه تعالى قال
لهم انى جاعل فى الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون فى الارض ويتحاسدون و
يقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل
والتاء للمبالغة والمراد به اما آدم عليه السلام وبنوه واما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر
ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة فى قريش واما من يخلف او خلق يخلف فيعمه عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة
اما الخلافة من جهته سبحانه فى اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل
لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة ممن كان فى الارض
فتعم ح للجميع **قالوا** استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة ح فقيل قالوا **اتجعل فيها من يفسد**
فيها وهو ايضا من الجعل المتعدى الى اثنين فقيل فيهما ما قيل فى الاول والظاهر ان الاول كلمة من والثانى محذوف ثقة بما
ذكر فى الكلام السابق كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكر ههنا قال قائلهم لا تخلنا على غرائك انا طالما قد وشى بنا الاعداء اى عن
المفعول الثانى اى لا تخلنا جازعين على غرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه
لما مر مرارا والثانى بيفسد وفائدته تاكيد الاستبعاد لما ان فى استخلاف المفسد فى محل افساده من البعد ما ليس فى استخلافه
فى غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدى الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من
يفسد فى الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقضى ببطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى
الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف
مكان المطيعين على الطاعة من من شانه بحسب نوعه الافساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا
ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التى لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفى عليهم من الحكم التى بذت على
تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التى جعلته اهلا لذلك كسؤال
المتعلم عما ينقدح فى ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكا فى اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا
فى ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل او بتلق من اللوح او باستنباط عما ارتكز فى عقولهم من اختصاص
العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الآخر **ويسفك الدماء** السفك والسفح والسكب والسبك انواع من الصب والاول مختص
بالدم بل لا يستعمل اولها الا فى الدم المحرم اى بقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل
وافظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع الى من
موصولة او موصوفة اى يسفك الدماء فيهم **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** جملة حالية مقررة لتعجبهم السابق ومؤكدة
له على طريقة قولك من يجد فى خدمة مولاه وهو يامر بها غيره اتستخدم العصاة وانا مجتهد فيها كانه قيل اتستخلف من من شان
ذريته الفساد مع وجود من ليس من شانه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع
ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكانهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التى رذيلتها الافراطية الفساد فى الارض
والقوة الغضبية التى رذيلتها الافراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما اذا سخرتهما القوة العقلية ومرنتهما على
الخير يحصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبته القوة العقلية عند انفرادها فى افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال
الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به امر الخلافة والتسبيح
تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح فى الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه

ومن سبوح اى واسع الجرى وكذلك تقديسه تعالى من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اى طهره فان مطهر
الشئ مبعده عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اى ننزهك عن كل ما لا يليق بشانك ملتبسين
بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير
صفات الانعام واللام في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله واما للبيان كما في سقيا لك فتكون
متعلقة بمحذوف اى نقدس تقديسا لك اى نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر
نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد الذي اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدما الذي هو تلويث النفس
باقبح الجرايم بتطهير النفس عن الاثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع قال استيناف كما سبق انى اعلم ما لا
تعلمون ليس المراد به بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى
التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معانى مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه
ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعانى والمعنى انى اعلم ما لا تعلمونه من دواعى
الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى
به وغفلتهم عنه تفخيما لشانه وايذانا بابتناء امره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدور قولهم عن الغفلة وقيل
معناه انى اعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفى عليكم وان هذا ارشاد للملئكة الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة وحكمة
وان خفى عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل وبكون تعجبهم مبنيا على ترددهم
في اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشانهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها
ماذا اهل هو امر راجع الى محض حكم الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الاجمال
والابهام ان فيه فضايل غايبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته
وينزاح شبهتهم بالكلية وعلم آدم الاسما كلها شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالى تحقيقا لمضمونه وتفسيرا
لابهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة المحكية انما جرت بعد خلقه
عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملئكة على احواله عليهم السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه انى جاعل اياه
خليفة فقيل ما قيل كما اشير اليه وايراده عليه السلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة
لا يلايم مقام تمهيد مباديها وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعاذر وعابر وفالغ لا افعل والتصدى
لاشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من انه
تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت الوان ذريته او من الادم والادمة بمعنى الالفة
تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون
علامة للشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان
او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا
اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعنى مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة
عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض
وتلقيه من جهته كما مر في تفسير الهدى وهو السر في ايثاره على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر
الذي يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر احقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة
بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه تعالى اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا
تفصيليا باسماء جميع المسميات واحوالها وخواصها اللايقة بكل منها او يلقى في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه
كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فيتلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه
استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبايع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال
ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير رضي الله عنهم علمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة
والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة كل شئ الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما يكون الى يوم القيمة وقيل معنى
قوله تعالى وعلم آدم الاسما خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات
والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين
الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره
ولكن هناك جملا مطوية عطف عليها المذكور اى فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلم الخ ثم عرضهم على الملائكة الضمير
للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن
وعرضها اى عرض مسمياتهن او مسمياتها وفي الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد

كل نوع مما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيتا لهم واظهارا
لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات
ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه وايثاره
على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ان كنتم صادقين
اى في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد
يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان
المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان اول بان يقال في زعمكم
اني استخلف من غالب حاله الافساد وسفك الدماء من غير ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق له بالانباء وجواب
الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه قالوا استيناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا هل خرجوا عن عهدة ما
كلفوه اولا فقيل قالوا سبحانك قدموه على الجواب [illegible] ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وعدم صرفه
للتعريف والالف والنون الزائدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر واما منونا في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ به وقبلنا
سبحه [illegible] وقيل لانه مصدر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول ننزهك عما لا يليق بشانك الاقدس من
الامور التي من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تنزيها ناشئا عن كمال طمأنينة النفس والايقان بما
في استخلاف آدم عليه السلام من الحكم البالغة وعلى الثاني تنزها ثابتا عن ذلك تنزها ناشيا عن ذاتك وارادوا به انهم
قالوه عن اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه السلام يكلف ما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة
وقوله عز وعلا لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتناه بحسب قابليتنا من
العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا
وما في ما علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم
يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن
البيان انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون الحكيم
اى المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل لا محل
له من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء او لما بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت
بك انت وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تعالى وما فهم
من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفي عليهم فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه
السلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك
الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف
الجزئية المتعلقة بالاحكام الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة عليها قال استيناف كما سلف يا آدم انبئهم اى
اعلمهم واوثر على انبئني كما وقع في امر الملائكة عليهم السلام مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل آدم عليهم عليهم
السلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا بان علمه عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى
الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما باسمائهم التي
عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها فلما انبأهم باسمائهم الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على
محذوف يقتضيه المقام ويستدعيه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه في اسرع ما يكون
كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موقع
الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام انباهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانباهم
باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما رأوا انه عليه
السلام لم يتلعثم في شئ من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك
من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما انباهم بذلك قال عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا
له الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض لكن لا لتقريره نفسه كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل
لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه السلام بظهور مصداقه وايراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى
السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليه السلام
من الامور المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هنالك
كانه قيل الم اقل لكم انى اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها

اى علم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما يبدون قولهم اتجعل الخ وبما يكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روى انه تعالى لما خلق آدم عليه السلام رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان حينئذ الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو الا من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة عليهم السلام لانه اعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطفا للقصة على القصة اى واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اى اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما في امثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاحوال المحكية المتصلة به للايذان بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة في موقع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعا لضم الجيم في قوله تعالى اسْجُدُوا لِآدَمَ كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شأنه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه فكأنه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه أليس اول من صلى لقبلتكم ۝ واعرف الناس بالقرآن والسنن ۝ او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل فَسَجَدُوا عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله تعالى إِلَّا إِبْلِيسَ استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منهم او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية والتي في سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة وكما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روي عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تأخير وتأويل الآيات السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه حينئذ يكون في حكم التنجيز يأباه ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتأخر ورود الامر عن التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر عن الامر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي على الرتبي والتراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى بينه وبينهم عليه السلام في شأن الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا مما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج ابليس من البين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والاحتجاج بالتجافي القضي عنه الا بتأويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما به حيوة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف ينبئ عن ضيق الحال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عليه السلام انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله عليه السلام المبني على المحاورة المسبوقة بالانباء وبخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر

التعليقي

التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضية وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فان الفاء الجزائية ليست بنص في وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الآية وبعدم وجوب اقامة الصلوة عقيب الاطمئنان لقوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي انما هي حمل الملائكة عليهم السلام على التأمل في شأنه عليه السلام ليتدبروا في احواله طرا ويحيطوا بما لديه خبرا ويستفهموا ما عسى يشتبه عليهم في امره عليه السلام لابتنائه على حكم ابيه واسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي ويحتم الامتثال وقد قالوا بحسب ذلك ما قالوا وعاينوا ما عاينوا وعدم نظم الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي في السور المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك وحيث صير اليه مع انه لم يرد به نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد القي اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وبينت لكم شأنه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا والقي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله عز وجل بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي اعتناء بشأن المأمور به وتعيينا لوقته وقد حكى بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الخ بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملأ الاعلى الملائكة عليهم السلام وآدم عليه السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الامة وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن خلافة آدم عليه السلام من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البديهة وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء قبله فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما [illegible] والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فانه لم يكن للتردد او التأمل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قال ابى ان يكون مع الساجدين وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباح امر الله تعالى اياه بالسجود لآدم عليه السلام زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء للدلالة على ان محض الاباء والاستكبار كفر لا انهما سببان له كما يفيده الفاء وَقُلْنَا شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في مباشرة المأمور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها ما انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن

الى فقال الملئكة تجربة لعلمه من هذه قال مراة قالوا لما سميت مراة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها قال حوا قالوا لما سميت
حوا قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث الله تعالى جندا من الملائكة فحملوا آدم وحوا على
سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى دخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار
الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله امتحانا لآدم عليه السلام وحمل
الاهباط منها على النقل الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه عليه السلام كان في الارض بلا خلاف ولم
يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد
لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها
الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع **وَكُلَا مِنْهَا** اي من ثمارها وانما وجه
الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور به فان حوا
اسوة له عليه السلام في الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه **رَغَدًا** صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا اي رافها **حَيْثُ شِئْتُمَا**
اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر
عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى **وَلَا تَقْرَبَا**
بفتح الراء من قرب الشيء بالكسر اذا قربه بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته
بالكسر قربانا دنوت منه **هَذِهِ الشَّجَرَةَ** نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجر
اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او العنبة او التينة
وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتاتقربا وقرئ
الشيرة بكسر الشين وفتح اليا **فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب النهي واياما كان
فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل
بالكرامة والنعيم او تعد واحد ود الله تعالى **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا** اي اصدر زلتهما اي زلقهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره
عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عن كذا اذا ذهب عنه
ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله
هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما
اني لكما لمن الناصحين وهذه الايات مشعرة بانه عليه السلام لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف
لما قلد من خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف في كيفية توصله اليهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه انما منع
من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل قام عند الباب
فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية فدخلت معها وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم
عند الله سبحانه **فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها و
ملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة **وَقُلْنَا اهْبِطُوا** الخطاب لآدم
وحوا بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس على انه
اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها مسارقة واهبط من السماء وقرئ بضم الباء **بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ** حال استغني
فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله او استيناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ
البعض واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول **وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ** التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم
من الاستقرار **مُسْتَقَرٌّ** اي استقرار او موضع استقرار **وَمَتَاعٌ** اي تمتع بالعيش وانتفاع به **إِلَى حِينٍ** هو حين الموت على ان المراد
تمتع كل فرد من المخاطبين او القيمة على ان تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار و
التمتع واستينافا **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ** اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع
كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى
جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك
قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب
ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به و
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام للتشريف والايذان بعلية لالقاء الكلمات المدلول عليها بتلقيها **فَتَابَ**
عَلَيْهِ اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف
بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفي بذكر شان آدم عليه السلام لما ان حوا تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء
في اكثر مواقع الكتاب والسنة **إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ** اي الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوب الرجوع

فاذا

فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة **الرَّحِيمُ** المبالغ
في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه **قُلْنَا** استئناف
مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا **اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا** كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه
وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى ان يقع في امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهار النوع رافة به عليه السلام
لما بين الامرين من الفرق البين كيف لا والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني
مقرون بوعد ايتاء الهدى المودي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو
دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين
الامرين فكيف بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض ويأباه التعرض لاستقرارهم في الارض
في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي
الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاوا جميعا بخلاف قولك جاوا معا **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى** الفاء لترتيب ما بعدها على
الهبوط المفهوم من الامر به واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون
التاكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على
الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى **فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا**
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان
بالله تعالى والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية و
التمكين من النظر والاستدلال او للجري على سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا
خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم
لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف
والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين
والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل
على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيم وتاكيد وجوب اتباعه
او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية كما قيل وقرئ
هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا** عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر
عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب
للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الآيات اليها لاظهار كمال
قبح التكذيب بها اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا بآياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا بآياته التي انزلها
على الانبياء او اظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور
والآية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة توهمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وتقال للمصنوعات من حيث
دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها عما
بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم اي بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا
واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه اي رجع واصلها اوية او ايية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية
كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا **أُولَئِكَ** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب
وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدا وقوله
عز وجل **أَصْحَابُ النَّارِ** اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او
عطف بيان له واصحاب النار خبر له وقوله تعالى **هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب
النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل فيه معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على
انه خبر آخر لاولئك على راي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد
الاجماع على ان المراد به الدوام **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي عليه السلام لتذكيرهم
بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكيرهم بالنعم العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى
واذ قال ربك الخ واذ قلنا للملائكة الخ لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر لهم جعلنا اباهم خليفة في الارض وسجود الملائكة عليهم السلام
وتشريفه بتعليم الاسماء وقبول توبته والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابن الحرب وبنت فكر و
اسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرال بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل
بقلب الهمزة ياء واسرائل بهمزة مفتوحة واسرئل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر

الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها
بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى الضمير لجلاله لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان
الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضى والشكر قيل اريد بها ما انعم به على آبائهم من النعم
التي سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعماء التي اجلها ادراك عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ ادكروا من الافتعال ونعمتي باسكان
الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن
الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان
والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه
منا هو الايمان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا
فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام
اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا
بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما
عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني
اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات الخ وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد واياي فارهبون فيما تأتون وفيما تذرون خصوصا
في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام
معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب
الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت افراد الايمان بالقرآن بالامر به لما انه
العمدة القصوى في شان الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه
لها فان المعية مئنة لتكرر المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتورية
انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي
عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة
في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع
وليس في التورية دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض
لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في
الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا
ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر
فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول كافر به اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان
تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شانه وحقيقته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون
به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع
اول كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتأويل اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيهم
عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا
فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما عنده فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه
او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا
غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي اي لا تأخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا هي الحظوظ
الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم
ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في
عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء
التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا واياي فاتقون بالايمان واتباع
الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي
من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث
خص بالعلماء امرهم بالتقوى الذي هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين
المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب
الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك
الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عن من لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا

بين

بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه ويكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار
بان استقباح اللبس بما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلى الله عليه وسلم
الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي عنه اذ في التصريح
باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون اي وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل
العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر و
اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اي صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلوة وزكاة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر
باصوله واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس
في المناجاة وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط
ابن قريع السعدي لا تحقرن الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتأمرون الناس بالبر تجريد للخطاب وتوجيه له الى
بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيها للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع
اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم
اي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا
يتصدقون وقال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون
على المعصية وقال ابن جريج كانوا يامرون الناس بالصلوة والزكاة وهم يتركونها ومدار الانكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة دون ما
عطفت هي عليه وانتم تتلون الكتاب تبكيت لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون اي والحال انكم تتلون التورية الناطقة بنعوته صلى الله عليه
وسلم الآمرة بالايمان به او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون اي اتتلونه
فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف
او لا تتأملون فلا تعقلون فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال
الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به يدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية لانه
يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ سوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل
الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم
غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه
واحد واثنان من شدة تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور
مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت
لتهدي الانام ولا تهتدي • الا ان ذلك لا ينفع • فيا حجر الشحذ حتى متى • تسن الحديد ولا تقطع • فلما سمعه الواعظ شهق شهقة
فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله سبحانه واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة
من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم
الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات
النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح
واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا
الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة
بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الخشوع
الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم
لانهم يتوقعون ما ادخر لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذا
قال عليه الصلوة والسلام وقرة عيني في الصلوة او اعتراض تذييلي الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
اي يتوقعون لقاءه تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه
اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب
ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية
والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين
معنى التوقع قال فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وجعل خبران في الموضعين اسما للدلالة على تحقق
اللقاء والرجوع وتقررهما عنده يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتاكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد به واني

فضلتكم عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اى فضلت آباءكم على العالمين اى عالمي زمانهم بما منحهم من العلم والايمان
والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين وهم آباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا واتقوا يوما اى
حساب يوم او عذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا اى لا تقضي عنها شيئا من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء
فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اى لا تغني عنها فتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط
الكلي والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اى لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجري مجرى المفعول
به ثم حذف كما حذف في قوله ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها
عدل اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل
الفدية وقيل البدل واصلها التسوية سمي بها الفدية لانها تساوي المفدي وتجزي مجراه ولا هم ينصرون اى يمنعون من عذاب الله
عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد و
الاناسي والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه
محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او لا والاول الشفاعة والثاني اما ان يكون باداء ما
كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وتمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب
انها خاصة بالكفار للآيات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم
ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تذكير لتفصيل ما اجمل في قوله تعالى اذكروا نعمتي اى واذكروا وقت تنجيتكم من فنون
النقم وصنوف الآلام من زمرة آل فرعون واتباعه واصل آل اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس و
قيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب
ابن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل فلحق بالشام
فلم يتسع المقام به فدخل مصر فرأى في ظاهرها حملا من البطيخ بدرهم وفي نفسه بطيخا بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء اليوم
فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذ منه بطيخا فدخل البلد وما
معه الا بطيخة فدفنها بدرهم ومضى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بهم وباء عظيم
فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم ومضى ثم
وآخر حتى جمع في مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم
فابوا ذلك وقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما
فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره
ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت
احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان
فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم اى يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله
الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اى افظعه واقبحه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم
والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم
ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لما ان فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد
منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود وتسعين الفا
وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت
معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى
قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اى استبقائهن على الحياة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال
في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان انما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة
بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم
من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما جميعا عظيم صفة لبلاء وتنكيرهما
للتفخيم وفي الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على
المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك
نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اى واذكروا اذ فلقنا بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن او بسبب انجائكم
وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثنتي عشرة بعدد الاسباط فانجيناكم
اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل

وكذا قوله تعالى واغرقنا آل فرعون اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه
كما روي ان الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد وشخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه وانتم تنظرون
ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر
بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم
على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا
نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون
فرآه منفلقا اقتحمه وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة
عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة
جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت
اوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها وروايتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله موسى عليه السلام ان يعطيه التوراة وضرب
له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم
بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين
وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي
وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي
تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي من بعده اى من
بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم الشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم
او اعتراض تذييلي اى وانتم قوم عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازما
كما عرفت المنزل الخالي عفا من بعد احوال عفاه كل حنان كثير الوبل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك اى من بعد
الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون كي تشكروا نعمة العفو
وتستمروا بعد ذلك على الطاعة واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اى التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين
الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع
الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم
تهتدون كي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم انكم
ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اى معبودا فتوبوا اى فاعزموا على التوبة الى بارئكم اى الى خالقكم بريئا من العيوب والنقصان
والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيآت مختلفة واصل التركيب الخلوص عن الغير اما بطريق التفصي كما في برئ
المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن
الغباوة منتهاها حتى تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي
هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب فاقتلوا
انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده
روي ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا
يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهارون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين
الفا والفاء الاولى للتسبب والثانية للتعقيب ذلكم اشارة الى ما ذكر من التوب والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه طهرة
عن الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على
نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه فانه مبني على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد
الفعل الى الضمير باريكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو
عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم واعتبار تعلق فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة
اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام
لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شأن التنزيل كيف لا وهو حينئذ
حكاية لوعد موسى عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقوله تعالى حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية
القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اى الذي يكثر توفيق المذنبين
للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم
ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اى لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التوراة

او تكلمه اياه او انه نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة اى عيانا وهي في الاصل مصدر قولك
جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات
ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل والمفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة
فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة على عبادة العجل روى انهم لما ندموا على ما
فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى عليه السلام ان يجمع سبعين رجلا ويحضرهم
الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عليه السلام يأمره
وينهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع
موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل
عشرة آلاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام
ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب في استحالته انما الممكن في شانه تعالى الرؤية
المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث كانهم
كانهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء
فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما
راوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك
فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم
يكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اى ما اصابكم بنفسه او باثاره ثم
بعثناكم من بعد موتكم بسبب تلك الصاعقة قيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى
ثم بعثناهم لنعلم الخ لعلكم تشكرون اى نعمة البعث او ما كفرتموه بما رايتم من باس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اى
جعلناها بحيث تلقي عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل
عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل
عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا
على ارادة القول اى قائلين لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى
وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم
عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اى فظلموا بان
كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول
للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على
تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اى واذكروا
وقت قولنا لآبائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند
الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اى واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية
من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما في سورة الاعراف من
قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اى باب القرية على ما روى من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عليه السلام
كما سيجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام
سجدا اى متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اى مسألتنا او امرك حطة وهي
فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اى قولوا هذه الكلمة
وقيل معناه امرنا حطة اى ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعاء
وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطائي كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها
بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت
الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج
ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل
الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا آخر مما لا خير فيه روى انهم
قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا شقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل غير الذي قيل لهم
نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه
فانزلنا اى عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد الى الموصول الاول

التعليل والمبالغة في الذم والتقريع والتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من السماء
اى عذابا مقدرا والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم
وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف
عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون
الفا واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير
الترتيب لما اشير اليه مرارا من الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب التذكير والتذكر ولو روعي الترتيب الوقوعي
لفهم ان الكل امر واحد امر بذكره واللام متعلقة بالفعل اى استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روى انه
كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف
وسعة العسكر اثنا عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه
موسى عليه السلام مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبراه الله تعالى به عما رموه به من الادرة
فاشار اليه جبريل ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا
كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس
فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر
من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة ٥
فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر
بالضرب اى فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما تعلق الفاء بمحذوف اى فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة
شان النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم
عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء
وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار وياباه ان المامور به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه
تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه
قوله تعالى فقلنا الخ ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام ولا تعثوا
في الارض العثى اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين وقيل انما قيد به لما ان العثى في
الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المتعدي بفعله وقد يكون فيه
صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العيث خلا انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم
تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد
القول المحكي الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا بذلك جميع
ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ ياباه التعرض للوحدة بل ارادوا ان يكون هذا
تارة وذاك اخرى روى انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية و
اطرادها وتاقت انفسهم الى الشقاء فادع لنا ربك اى سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء و
التعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة يخرج لنا اى يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد
مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة
موقع الحال اى كائنا من بقلها الخ وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل كالنعناع
والكرفس والكراث واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال اى الله تعالى او
موسى انكارا عليهم وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال اتستبدلون اى اتاخذون
لانفسكم وتختارون الذي هو ادنى اى اقرب منزلة وادون قدرا سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه
وكونه تافها مرذولا قليل القيمة واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة
فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة من الهمزة بالذي هو خير اى
بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن
يتبدل الكفر بالايمان وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال
المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما هو من صورة المناوبة اهبطوا مصرا امروا به بيانا
لدناءة مطلبهم او اسعافا لمرامهم اى انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم و
اصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او لتاويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف

ابن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم ما سالتم تعليل للامر بالهبوط اى فان لكم فيه ما
سالتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسؤلة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل يناله كل احد بغير مشقة
وضربت عليهم الذلة والمسكنة اى جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا
تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود فى غالب الامر اذلاء
مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان يضاعف جزيتهم وباؤا اى رجعوا بغضب عظيم وقوله تعالى من الله متعلق
بمحذوف هو صفة لغضب موكدة لما افادة التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى بغضب كائن من الله تعالى
او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اى صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب
واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم كانوا
يكفرون على الاستمرار بآيات الله الباهرة التى هى المعجزات الساطعة الظاهرة على يدى موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد
ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق
الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا بحقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك
حب الدنيا واتباع الهوى والغلو فى العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى
جرهم العصيان والتمادى فى العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صغار الذنوب اذا دووم عليها
ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مودية الى تحرى كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه
بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى
مع ويجوز الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتاويل ما ذكر او تقدم كما فى قول رؤبة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق
كانه فى الجلد توليع البهق اى كان ما ذكر والذى حسن ذلك فى المضمرات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على
الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الذين ان الذين آمنوا اى بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم فى سلك
الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا
ينقذهم من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا اى تهودوا من هاد اذا دخل فى اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب
سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد
يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء فى نصرانى للمبالغة كما
فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا
اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصرى كمهرى والصابئين هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل
دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج من دين
الى آخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لما انهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى
الباطل من آمن بالله واليوم الآخر اى من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق وعمل
عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم بمقابلة ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم اى مالك امرهم ومبلغهم
الى كمالهم اللائق فمن اما فى محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما فى قوله تعالى
ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما فى الصلة باعتبار لفظه والجملة
كما هى خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اى من آمن منهم الخ واما فى محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه
وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفى اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف عن ظ
بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت مأمون من الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اى لا خوف عليهم
حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفى وان دخل على نفس
المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون
منهم والمنافقون فح لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان
ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسائر
الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين فى الايمان ببيان ان تاخرهم فى الاتصاف به غير مخل بكونهم
اسوة لاولئك الاقدمين فى استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل فى تفسيره من كان منهم فى دينه قبل
ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب فى دين
الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث انه
على حقيته فى زمانه فى الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى فى حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل

الشرك

الشرك فلا امر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته
فى وقت من الاوقات ولو سلم ان كان لهم دين سماوى ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من
الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف
من حيث هو مجموع لا الى كل واحد منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى
شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب
تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم فى حيز اسم ان ليس لهم فى حيز خبرها عين ولا اثر فتامل و مع ظ
كن على الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما فى
التورية ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اى وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روى ان موسى عليه السلام
لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم
حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اى احفظوه ولا تنسوه
وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكى تتقوا المعاصى او لتنجوا من هلاك الدارين او
رجاء منكم ان تنتظموا فى سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم اى اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك
من بعد اخذ ذلك الميثاق الموكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم
الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اى المغبونين بالانهماك فى المعاصى والخبط فى مهاوى الضلال عند الفترة و
قيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة
من لو الامتناعية وحرف النفى ومعناها امتناع الشئ لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها
عند سيبويه مبتدا خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل
محذوف اى لولا ثبت فضل الله تعالى عليكم ولقد علمتم اى عرفتم الذين اعتدوا منكم فى السبت روى انهم امروا بان يتمحضوا
يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم فى زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد و
كانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق فى البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى
تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله
لقد علمتموهم حين فعلوا من قبلكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
اى جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجيز
عمل كان فى الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن فى قردة لانه فى معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم
فتمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده
عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اى المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها
اى تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم فى زبر الاولين و
اشتهرت قصصهم فى الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها
او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ
آخر لاخلاف بنى اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم اى واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم ان
الله يامركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا فى ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا
يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا استئناف وقع جوابا عما
ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال اولا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم الزاى وقلب الهمزة
واوا وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اى اتجعلنا مكان هزء او اهل هزء او مهزوا بنا او الهزء نفسه استبعادا لما قاله و
استخفافا به قال استئناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء فى اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه
نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه وآكده باخراجه مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا
له واستعظاما لما اقدموا عليه من العظيمة التى شافهوه عليه السلام بها قالوا استئناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد
ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ما مبتدا وهى خبره والجملة فى حيز النصب
بيبين اى يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سالوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب
بعضها ميت فيحيى فان ما وان شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما فى ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة
والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهم باى لكنهم لما راوا ما امروا به على حال مغايرة لما
عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حاله قال اى موسى عليه السلام بعد ما دعا ربه عز وجل بالبيان
واتاه الوحى انه تعالى يقول انها اى البقرة المامور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اى لا مسنة ولا فتية يقال فرضت

البقرة فروضا اى اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة
عوان اى نصف لا فخم ولا ضرع قال: طوال مثل اعناق الهوادي * نواعم بين ابكار وعون * بين ذلك اشارة الى ما ذكر من
الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما
قبله من بيان صفة المامور به ما تؤمرون اى ما تؤمرون به بمعنى تؤمرونه كما فى قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
فان حذف الجار قد شاع فى هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام لحثهم على الامتثال
وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى قالوا استيناف كما مر كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان التام
والامر المكرر فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المامور بها قال اى موسى عليه السلام بعد
المناجاة الى الله تعالى ومجىء البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان فى كل مرة الى الله عز وجل لاظهار
كمال المساعدة فى اجابة مسؤلهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها
ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانئ وفى اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته
ما لا يخفى من فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما فى جد جده وعن الحسن رضى الله عنه سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالى جمالة صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل
يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع
او توقعه من السر عن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استيناف كنظائره ادع لنا ربك يبين لنا ما هى
زيادة استكشاف عن حالها كانهم سالوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها فى الاوصاف المذكورة والاحوال
المشروحة فى اثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير
من البقر ولا نهتدى الى تشخيص ما هو المامور بها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت علينا ايذانا بان النعوت المعدودة ليست
بمشخصة للمامور بها بل صادقة على سائر افراد الجنس وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء
والتاء ويشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه
بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وفيه دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها فى الجملة وانما بقى اشتباه
يشرف على الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التوكيد اى لمهتدون بما سالنا من البيان الى
المامور بذبحها وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث
اى لم تذلل للكراب وسقى الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا
ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وقرئ تسقى
من اسقى مسلمة اى سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا خلص له ويؤيده قوله
تعالى لا شية فيها اى لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط
بلونه لونا آخر قالوا عند ما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها
ولم يبق لنا فى شانها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيهما لم يكن فى التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا
قبل ذلك قد راوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة فى المرات الثلث من غير مشارك لها فيما عد فى المرة الاخيرة
والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام فذبحوها الفاء فصيحة كما فى فانفجرت اى فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال
المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اى فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض
تذييلى ومآله استثقال استعصائهم واستبطائهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كان ينتهى خيط اسهابهم فيها
قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روى انه كان فى بنى اسرائيل
شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفى الشيخ وشبت
العجلة فكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت وحيدة بالصفات
المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم انه لا خلاف فى ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان
الامتثال فى آخر الامر انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف فى ان المراد
المامور به اولا هل هو المعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم
فى الامتثال وتماديهم فى التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بان الضماير فى الاجوبة اعنى انها بقرة الخ للمعينة
قطعا ومن قضيته ان يكون فى السؤال ايضا كذلك ولا ريب فى ان السؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فتكون هى المعينة وهو
مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص
فسألوا عنها فرجعت الضماير الى المعينة فى زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر

هي

هى المعينة والحق انها كانت فى اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال به لدلالة ظاهر النظم الكريم
وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم
وروى مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثانى والثانى بالثالث تشديدا
عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف
لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فان الامتثال بالامر بدون الوقوف
على المامور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مر نظائره
والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد القتل والتدارؤ اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف
الى الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصهما بالاسناد دون ما مر من هناتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اى اذكروا
وقت قتلكم نفسا محترمة فادارأتم فيها اى تخاصمتم فى شانها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر وتدافعتم بان طرح كل
واحد قتلها الى الآخر واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر لما
تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما اعمل مخرج لانه حكاية حال ماضية ٥
فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار
انها عبارة عن الرجل او بتأويل الشخص او القتيل ببعضها اى ببعض البقرة اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها
وقيل بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذى يلى الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير
الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية
لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات
على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان تنعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع
لما علم استقلال كل منها بما يخص بها من التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله عز وجل كالامر
بالضرب لان انجرارهم كانت بمراجعتهم اليه عليه السلام والافتيات على رأيه كذلك يحيى الله الموتى على ارادة قول معطوف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فضربوه فحيى وقلنا كذلك الخ فحذفت الفاء الفصيحة فى فحيى مع ما عطف بها وما
عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب فى كذلك للحاضرين عند حيوة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين
عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل تنتهى الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة
اى مثل ذلك الاحياء العجيب يحيى الله الموتى يوم القيمة ويريكم آياته ودلائله الدالة على انه تعالى على كل شئ قدير ويجوز ان
يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على امور بديعة من ترتب الحيوة على عضو ميت واخباره بقاتله وما
يلابسه من الامور الخارقة للعادات لعلكم تعقلون اى لكى تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء
الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة فى اشتراط ما اشترط فى الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء
بلا واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى و
الشفقة على الاولاد ونفع بر الوالد وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى
بثمنه كما يروى عن عمر رضى الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات
لا تاثير لها وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى القوة
الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة
عن دنسها لا سمة بها من قبائحها بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما
بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال ثم قست قلوبكم الخطاب لمعاصرى النبى صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن
الغلظ والجفا والصلابة كما فى الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التاثر بالعظات والقوارع التى تميع منها الجبال وتلين بها
الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة
من مراتب القساوة حادثة واما لان الاستمرار على شئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد
القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل
او الى جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اى من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته عليه السلام وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتأويل الفريق او لان المراد مجرد
الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور فهى كالحجارة فى القساوة او اشد منها قسوة اى هى فى القسوة مثل الحجارة
او زائدة عليها فيها او انها مثلها ومثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده
القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع
مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه فى قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل

كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل واقسى منها لما فى التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين فى الشدة واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى ومن عرفها شبهها بالحجارة او قال هى اقسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة فى القساوة وعدم التاثر واستحالة صدور الخير منها يعنى ان الحجارة ربما تتاثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وان منها لما يشقق اى يتشقق فيخرج منه الماء اى العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اى يتردى من الاعلى الى الاسفل بقضية ما اراد الله عز وجل فيها من الثقل الداعى الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام فى لما لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعايد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات وقوله تعالى افتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عدد هناتهم ونعت عليهم جناياتهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المومنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما فى قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما فى قوله اضرب ابى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما فى افلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه منفيا اى الا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثانى على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اى انظرون فلا تبصرون فالمنكر ترتب الثانى على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اى اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤنهم المويسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متماثلون فى شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتاتى من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل فى ان يؤمنوا وهو مع ما فى حيزها فى محل النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام فى لكم لتضمين معنى الاستجابة كما فى قوله عز وجل فآمن له لوط اى فى ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اى فى ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعى وتشقيق على ما فيه من المزية باذن الله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور فى محل الرفع اى فريق كاين منهم وقوله تعالى يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دونى اى والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضى الله عنه هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهى عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغى لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل من بعد ما عقلوه اى فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم فى مضمونه ولا فى كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله يقول فى آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس فثم للتراخى زمانا او رتبة وقال القفال رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تاويلا فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التورية بعد ما احاطوا بها علما وقيل هم الذين غيروا نعت النبى عليه السلام فى عصره وبدلوا آية الرجم وياباه الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التورية وان كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب انسب وآثر التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لاستمرار دراستهم وهم المباشرون للتحريف فان وصفهم التلاوة دون السماع لكان الانسب ان يقال يتلون كتاب الله تعالى فالمعنى افتطمعون فى ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم فى خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن هنا ظهر ما فى ايثاركم على بالله من الفخامة وقوله عز وجل وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه او على الخطاء فى بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون واذا لقوا جملة مستانفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنايع المويسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما سيق على سره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل تحريا لاتحاد الفاعل فى فعلى الشرط والجزاء حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا اى المنافقون لكن لا بطريق تصدى الكل القول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال

بنو

بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل فى تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اى قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا على ذلك بل [illegible] نعت النبى صلى الله عليه وسلم فى التورية وعلموا انه النبى المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتى واذا خلا بعضهم الى بعض اى بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اثر فراغهم عن الاشتغال بالمومنين متوجهين ومنضمين الى البعض آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم [illegible] الساكتين فى لقاء المومنين كما اشير اليه آنفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال [illegible] حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط [illegible] قالوا اى الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ما موصولة والعايد محذوف وفى اى بينه لكم خاصة فى التورية من نعت النبى صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد ويجوز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم [illegible] فى دينهم كما ذهب اليه غير واحد مما لا يليق بشان التنزيل الجليل واللام فى قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تاكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا فى نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل [illegible] عند ربكم اى [illegible] عالمين بانهم يحاجونكم [illegible] تحدثونهم بما فى كتابكم فى الدنيا [illegible] الضمير [illegible] باذن الله عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر [illegible] فلا تعقلون هذا الخطاء الفاحش [illegible] ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه [illegible] قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمومنين متصل بقوله تعالى افتطمعون [illegible] فى ايمانهم فيأباه قوله تعالى اولا يعلمون فانه تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون توسيط خطاب المومنين فى اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان فى تخصيص الخطاب بالمومنين من التعسف وفى تعميمه للنبى ايضا صلى الله عليه وسلم كما فى افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اى ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اى يسرونه فيما بينهم من المومنين او ما يضمرونه فى قلوبهم فيثبت الحكم فى ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اى يظهرونه للمومنين او لاصحابهم حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى للمومنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع فى آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاى فايدة فى اللوم والعتاب ومن هنها تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهى حاصلة فى الدارين حدثوا به ام لا لا التحديث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين او لاباءهم المحرفين اى اتفعلون ما تفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما فى الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شىء فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل ان تخفوا ما فى انفسكم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء لما ذكر بناء على عكس ما وقع فى قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل فى تعلق المحاسبة به هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شىء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية ومنهم اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امى وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف فى نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها فى الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤن النساء بل من خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التى ولدته امه فى الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامى اى على عادة العامة روى عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين

[illegible] مصدرية [illegible]

قوله كان المنافقين [illegible]

وعن علي رضي الله عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستانفة لبيان قبائحهم اثر بيان شنايع
الطوائف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع
عن ايمانهم كما هو مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد
سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في التورية كما وقع من الفريقين الاخيرين اي
ومنهم طايفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة **لا يعلمون الكتاب** اي لا يعرفون التورية ليطالعوها ويتحققوا
ما في تضاعيفها من دلايل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سياق النظم وسياقه **الا اماني** بالتشديد وقرئ
بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كتمنى في قوله تمنى كتاب الله اول ليله فاعلت اعلال سيد وميت
ومعناها على الاول ما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما
يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو
عنهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون
الكتاب لكن يتلقون قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الاماني على الاكاذيب المختلقة
على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم **وان هم الا يظنون** ما هم الا قوم
قصارى امرهم الظن من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فاني يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال
هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقب ببيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وبكيفية اضلالهم
وتعيين مرجع الكل بالاخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم **فويل** هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وعول من المصادر
المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع
نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في
الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى او بينه وبينها فرق
وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضي الله عنهما الويل العذاب الاليم وعن سفيان
الثوري انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي
فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من
شدة حره وقال ابو بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدا
خبره قوله عز وعلا **للذين يكتبون الكتاب** اي المحرف وما كتبوه من التأويلات الزايغة **بايديهم** تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك
كتبته بيميني **ثم يقولون هذا** اي جميعا على الاول وخصوصه على الثاني **من عند الله** روي ان احبار اليهود خافوا ذهاب
ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى
صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا
مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلم
فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف والتأويل الزايغ الى الله سبحانه صريحا اشنع من نفس التحريف والتأويل
ليشتروا به اي ليأخذوا لانفسهم بمقابلته **ثمنا** هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل وانما
عبر عن المشتري الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود
بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات **قليلا** لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوا
به من العذاب الخالد **فويل لهم** تكرير لما سبق للتأكيد وتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراد
بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل **مما كتبت ايديهم** تعليلية
متعلقة بويل او بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعايد محذوف اي كتبته او مصدرية والاول ادخل في
الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف **وويل لهم مما يكسبون** الكلام فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيد
والتشديد والقصد الى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما انه من مبادي ترويج ما كتبت
ايديهم فهو داخل في التعليل به **وقالوا** بيان لبعض آخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الاكاذيب التي اختلقوها
ولم يكتبوها في الكتاب **لن تمسنا النار** في الآخرة **الا اياما معدودة** قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل اربعين يوما
مدة غيبة موسى عليه السلم عنهم وحكى الاصم عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادتهم العجل سبعة وروي عن ابن عباس ومجاهد
ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اليهود زعمت انهم وجدوا في التورية ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون
في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها **قل** تبكيتا لهم وتوبيخا **اتخذتم** باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج وباظهار الذال
وقرئ بادغامها في التاء **عند الله عهدا** خبرا او وعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الا بناء على وحي وعهد ولذلك عبر عنه

بالعهد **فلن يخلف الله عهده** الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا
ثم القفول فقد جئنا خراسانا اي ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة
الحكم فان عدم الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده
لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان
معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد **ام تقولون** مفترين **على الله ما لا تعلمون** وقوعه وانما علق
التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في
التوبيخ والتنكير فان التوبيخ على الادنى يستلزم التوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى وقولهم المحكي وان لم يكن صريحا بالافتراء
عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه تعالى وام اما متصلة والاستفهام للتقرير
المؤدي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كانه قيل ام لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام
لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما يفيده بهما من
التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وعلا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون **بلى** الى آخره جواب عن قولهم
المحكي وابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار
كذبهم اجمالا او تفويض ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظايفه عليه السلام مع ما فيه من
الاشعار بانه من الاجوبة التي لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفي خبرا واستفهاما **من كسب سيئة** فاحشة
من السيآت اي كبيرة من الكباير كما هو شأن هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب
اليم **واحاطت به** من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه **خطيئته**
التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر
حسبما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما وابي هريرة رضي الله عنه وابن جرير عن ابي وايل ومجاهد وقتادة و
عطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات
والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما وخطيئاته
وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم **فاولئك** مبتدأ **اصحاب النار** خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط
وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد
للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب
اللفظ في الضماير الثلثة لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تينك الجملتين فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به
في حالة الانفراد وصاحبية النار في حالة الاجتماع اي اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم
اصحاب النار اي ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من
تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال بلى انهم اصحاب
النار لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل **هم فيها خالدون** دائما
ابدا فاني لهم التقصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من
اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل **والذين آمنوا وعملوا
الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما يقتضيه الحكمة
في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى **واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل** شروع
في تعداد بعض آخر من قبايح اسلاف اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء
صنيع اسلافهم اي اذكر واذ اخذنا ميثاقهم **لا تعبدون الا الله** على ارادة القول اي وقلنا او قايلين لا تعبدون الخ وهو
اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كيت وكيت وهو ابلغ من صريح
النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة
لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه
جواب قسم دل عليه المعنى كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب **وبالوالدين احسانا** متعلق بمضمر
اي وتحسنون او احسنوا **وذي القربى واليتامى والمساكين** عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل و
مسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب **وقولوا للناس حسنا** اي قولا حسنا سماه حسنا للمبالغة و
قرئ كذلك وحسنا بضمتين وهي لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد **واقيموا الصلوة وآتوا**

الزكوة هما ما فرض عليهم فى شريعتهم ثم توليتم ان جعل ناصبا الظرف خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم والمومنين بهذا
التفات الى خطاب بنى اسرآئيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم جميعا على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة
لاسلافهم محكية داخلة فى حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هى عليهم وان
جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه
تعميم للتولى بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد فى التوبيخ اى اعرضتم عن المضى على مقتضى الميثاق ورفضتموه
الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام و
اضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اى وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل
الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واذ اخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود
قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعى عليهم اخلافهم بموجب الميثاق الماخوذ منهم فى حقوق العباد على طريقة النهى اثر
بيان ما فعلوا بالميثاق الماخوذ منهم فى حقوق الله سبحانه وما يجرى مجراه على سبيل الامر فان المقصود الاصلى من النهى
عن عبادة غير الله هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم فى التورية وقوله تعالى لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار فى معنى النهى غير السبك اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به
النهى عن تعرض بعض بنى اسرآئيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم
بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوى نسبا ودينا للمبالغة فى الحمل على مراعاة حقوق
الميثاق بتصوير المنهى عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق
تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين
من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سياتى من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم
منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتاكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم فيحتمل
للوجهين مفاد الاول كون المسفوك دما ادعائيا للمخاطبين حقيقة ومفاد الثانى كونه دماء حقيقة للمخاطبين ادعاء
وهما متقاربان فى افادة المبالغة فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يودى الى قتل انفسكم قصاصا او ما
يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل فى الحقيقة ولا
تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء الحقيقى فمما لا يساعده سياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه
كما ستقف عليه ثم اقررتم اى بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم تشهدون توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على
نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين
فيه توبيخ وتشديد واستبعاد قوى لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء خبره
ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزلة منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون
المتناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الآتية فان قوله عز وجل تقتلون انفسكم بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة
تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اى الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتلون بالتشديد
للتكثير وتخرجون فريقا منكم الضمير اما للمخاطبين والمضاف محذوف اى من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم
جعلوا انفس المخاطبين والا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين فى ذلك العنوان الذى عليه يدور فلك المبالغة
فى تاكيد الميثاق حسبما نص عليه ولا ينتظم كمال قباحة جناياتهم فى نقضه من ديارهم الضمير للفريق وايثار الغيبة مع جواز
الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر فى الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين من
حيث ديارهم لا من حيث ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملتان فى حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم تظاهرون عليهم بحذف
احدى التائين وقرئ باثباتهما وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التائين من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من
فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال
دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق بتظاهرون حال من فاعله اى ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذى يستحق فاعله الذم
واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب والعدوان وهو التجاوز فى الظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير وهو
من يوخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الاسر اى الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ اسرى ومحله
النصب على الحالية تفادوهم اى تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدى ان الله تعالى اخذ على بنى
اسرآئيل فى التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من بنى اسرآئيل
فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن
فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا
فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيى ان

نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدا ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل
وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر ضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل
الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى العائد لعليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيدا وبيان والجملة حال من الضمير فى تخرجون
او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقيد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ
الميثاق لكونه مظنة للمساهلة فى امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض
افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشئ من دية او قصاص وهو السر فى تخصيص التظاهر
به فيما سبق واما تاخيره عن الشرطية المعترضة مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدى فلان نظر افاعيلهم المتناقضة فى سمط
واحد من الذكر ادخل فى اظهار بطلانها افتؤمنون ببعض الكتاب اى التورية التى اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار
التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اى اتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة وتكفرون ببعض
وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقى لكون الكل من عند الله داخلا فى الميثاق فمناط
التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعى فى المقام الخطابى اصالة المقدم
وتقدمه بوجه من الوجوه حتما واذ ليس ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا ايمانهم بالبعض
مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا مجرد كفرهم بالبعض كما يفيده ان يقال
افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس فما جزاء من يفعل ذلك ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل
ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى
ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى منكم حال من فاعل يفعل الا خزى استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدا
والخزى الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل
الجزية فى الحيوة الدنيا في حيز الرفع على انه صفة خزى اى خزى كائن فى الحيوة الدنيا او فى حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزى
ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له
اصلا مع الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ بالتاء او ترصيغة الجمع نظرا الى معنى من بعد ما اوثر الافراد نظرا الى لفظها
لما ان الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم اشد المعاصى وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم فى الدنيا
من الخزى والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافى بين جزائى
النشاتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر وما الله بغافل عما تعملون من
القبائح التى من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تاكيد للوعيد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف
القبيحة وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين اشتروا اى آثروا الحيوة الدنيا واستبدلوها بالاخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم
من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع
الدنية الدنيوية فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا كان او اخرويا ولا هم ينصرون بدفعه عنهم شفاعة او جبرا والجملة معطوفة
على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها ولقد آتينا
موسى الكتاب شروع فى بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك فبعث
بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به اذا
اتبعه اياه اى ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا
وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات
الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك
ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تندمه
ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اى قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اى بالروح
المقدسة وهى روح عيسى عليه السلام كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم
تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قيل فى القرآن وروحا من امرنا وقيل باسم
الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات
والتاييد بروح القدس لما ان بعثهم كانت لتنفيذ احكام التورية وتقريرها واما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثيرا من
احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل فى حقه عليه السلام ببيان حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام افكلما
جاءكم رسول من اولئك الرسل بما لا تهوى انفسكم من الحق الذى لا محيد عنه اى لا تحبه من هوى كفرح اذا احب والتعبير
عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة لها لا شئ آخر وتوسيط الهمزة بين

الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا وللتعجيب من شأنهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اى لم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشئ آخر من المضار والفاء السببية او التعقيب وفريقا آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة او للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بالمرية له من جهته عليه السلام وسحروه وسموا له الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا من غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فانى لهم ادعاء العلم الذي هو اجل آثارها وعلى الثالث بعدا بعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون للحق المؤدي اليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اى فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء سببية اللعن لعدم الايمان ولما جاءهم كتاب هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اى كائن من عنده للتشريف مصدق لما معهم من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا من قبل اى من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اى وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اى يسألون من انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى كما هو رأي المبرد اوجوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اى عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شئ منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفتها اى بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب واياما كان لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله اى بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الانزال بالمجئ للايذان بعلو شأنه الموجب للايمان به بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا حتما دون اشتروا لما قيل من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل بما سيأتي من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء اى يشاؤه ويصطفيه من عباده المستأهلين لتحمل اعباء الرسالة وما له تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان

بتجدد

بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره حسب تكثره فباؤا بغضب على غضب اى رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب ما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عليه السلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين اى لهم والاظهار في موضع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلوة والسلام واذا قيل من جانب المؤمنين لهم اى لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في كلام التبليغ آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اى نستمر على الايمان بما انزل علينا يعنون به التوراة وما انزل على انبياء بني اسرائيل عليهم السلام لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل عليهم السلام وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالقرآن لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولان المراد بالموصول وان كان هو التوراة وما في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار عما عرضوا به تعسف لا يخفى والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ اى قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد به مجرد بيان ان ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه وهو الحق اى المعروف بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اى احقه مصدقا لما معهم من التوراة والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به وآله انهم ادعوا الايمان بالتوراة والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله عز من قائل ببيان ان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اى قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاى شئ كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد اى ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحد من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتأتى الا على رأي الكوفيين وابي زيد وقيل ان نافية اى ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اى وبالله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التوراة وليس بواضح فان المجئ بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اى الها من بعده اى من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التوراة من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى او اعتراض اى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله سبحانه وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بكذبهم اى واذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اى خذوا بما امرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استيناف مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فاذا قال اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التوراة فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا في قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اى تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر ما بين احوال رؤسائهم

الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون بئسما يأمركم به إيمانكم بما انزل عليكم من التورية حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فانه قدح في دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التورية وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم في فن آخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة اليه في تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار الآخرة اي الجنة او نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة اي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر اعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص لي كذا من كذا واللام للجنس اي الناس كافة او للعهد اي المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص اليها من دار البوار وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه لا ابالي اسقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني وقوله تعالى ان كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا كلام مستأنف غير داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنايعه ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى فانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص والتنكير في قوله تعالى على حيوة للايذان بان مرادهم نوع خاص منها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اي واحرص من الذين اشركوا فقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستيناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله ومنهم طايفة يود احدهم اي كل واحد منهم لو يعمر الف سنة وهو حكاية لودادتهم كانه قيل ليتني اعمر وانما اجري على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العايد الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زايدة وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه اي يبعده وينحيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وان يعمر مفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد المعنى واعراض واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عليم بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله ابن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عمن ينزل عليه بالوحي فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات رسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي ياتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فبأي حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اتيتكم لحبكم ولا اسألكم لشك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك

عدونا

عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان قال عمر رضي الله عنه ان كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب وقرئ جبرئيل كسلسبيل وجبرئل كجحمرش وجبريل وجبرئل وجبرائيل وجبراعيل وجبرائل وجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فانه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الاول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن اضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شانه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شيء من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة باذن الله بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه اي من الكتب الالهية التي معظمها التورية حال من مفعوله وكذا قوله تعالى وهدى وبشرى للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك يستدعي انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب نفي ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه من كان عدوا لله اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشانهم وايذانا بان عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال وانما افردا بالذكر مع انهما اول من يشمله عنوان الملائكة والرسل لاظهار فضلهما كانهما عليهما السلام من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع وقوله تعالى فان الله عدو للكافرين اي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه معنى اعطوا العهد نبذه فريق منهم اي رموا بالذمام ورفضوه وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه بل اكثرهم لا يؤمنون اي بالتورية وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون بها سرا ولما جاءهم رسول هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتاكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية مصدق لما معهم من التورية من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقية نبوة موسى عليه السلام بما انزل عليه او من حيث انه عليه السلام جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اي التورية وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عليه السلام اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلو الشياطين وايثارهم له عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير

للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله اي الذي اوتوه قال السدي لما
جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتورية فاتفقت التورية والفرقان فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت
وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها
عليهم وتهويلا لما اجترءوا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعد ما كانوا
يستفتحون به من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كأنه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيء
الرسول معرب عن مجيء الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة
التفات اليه كأنهم لا يعلمون جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كأنهم لا
يعلمونه على وجه الاتقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون
او كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل ففي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم عما في
التورية من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كأنهم لا يعلمون هو
العلم بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جل
اليهود اربع فرق ففرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة
جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها
ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين
عطف على جواب لما اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي كانت تقرأها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوا حكاية حال
ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه
وسلم فلا يتسق عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا على ملك سليمان اي في عهد ملكه قيل كانت
الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا
ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر
الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير
ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة
من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عليه السلام وانه ما بلغ هذا المبلغ الا
بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعبير
عن كونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك ولكن الشياطين وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو
عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا كفروا باستعمال
السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من
رائحة الفعل كافية للعمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار
التعليم وتجدده او جملة مستأنفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه
واما استئنافية فحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم كانوا يعبدون الكواكب ويزعمون
انها المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية
بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك
والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالاهية الافلاك ويتخذون لكل منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها
وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض
تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير
الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو
المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الثاني
وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله
سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة
صدق الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما يأتي ويذر وكان من يستعين
به من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي
لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة لا
محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة
وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار

فاطلاق

فاطلاق السحر عليهما بطريق التجوز لما انهما من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه او من الصرف عن الجهة
العادة [illegible] الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما
انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار وهو نوع اقوى منه او على ما تتلوا وما بينهما اعتراض اي واتبعوا ما انزل
الآخر وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلي قوم طالوت بالنهر وتمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر
به الناس اولان السحر كثر في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين
الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة [illegible] والمراد مما يحكى من ان الملائكة
عليهم السلام لما راوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا [illegible] الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال
عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين
فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة و
غيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا
وكانا يقضيان بينهما نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امرأة من اجمل النساء
تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما راياها افتتنا بها فراوداها
عن نفسها فابت [illegible]
[illegible]
[illegible]
بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان ذلك في عهد ادريس عليه السلام فالتجآ اليه ليشفع لهما ففعل
فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما
وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة [illegible] رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة
العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا
ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر ببابل الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من
الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية
او للتانيث والعلمية هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت
بمعنى الكسر لانصرفا واما من قرأ الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من
الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد من مزيدة في المفعول به لافادة
تأكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام حتى يقولا
انما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطأة للمبالغة كأنهما نفس
الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا
من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن
توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر
ان غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب لموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان
اعتناء الملكين بشأن النصح والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن
العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل الخ نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جيء
بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان
من الجن خصا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر
فيكون مثلا يأباه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع
ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة
كأنه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ما يفرقون به
اي بسببه وباستعماله بين المرء وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة وزوجه بان يحدث الله تعالى بينهما
التباغض والفرك والنشوز عند ما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب
العادية ابتلاء لا لان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيراه الناس ويعتقدون انه حق فيكفروا
فتبين ازواجهم وما هم بضارين به اي بما تعلموه واستعملوه من السحر من احد اي احدا ومن مزيدة لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان
من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حملت الاسمية في ذلك على الفعلية كأنه قيل وما يضرون به من احد

الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله
ابتلاءً وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها
على النفي او الضمير المجرور في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرى بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا
من المجرور وفصل ما بين المضافين بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم
صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار
بالاكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوايله
كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس وقع
فيه ولقد علموا اي اليهود الذين حكيت جناياتهم لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام
الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله
تعالى ما له في الاخرة من خلاق اي من نصيب جملة من مبتدا وخبر ومن مزيدة في المبتدا وفي الاخرة متعلق بمحذوف وقع
حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الاخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة
في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعول الواحد ان جعل متعديا الى واحد والجملة ولقد علموا
الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة
موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الاخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف
اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فح يكون الجملتان مقسما عليهما ولبئسما شروا به
انفسهم اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئسما باعوا انفسهم السحر او الكفر
وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون
الشرا بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان المشترى متعين وهو ما تتلوا الشياطين ولان متعلق الذم هو الماخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه
في تفسير قوله تعالى بئس ما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اي يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم
عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا على
التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب عليه من غير تحقيق وجواب لو محذوف اي لما فعلوا
ما فعلوا ولو انهم امنوا اي بالرسول المومى اليه بقوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ او بما انزل اليه من الايات المذكورة
في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتورية التي اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقران والرسول عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصي المحكية عنهم لمثوبة من عند
الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم
دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة تشريفية للمثوبة اي لشيء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اي لاثيبوا وما
بعده جملة مستانفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه انهم من فضاعة حالهم
بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلطفا عليهم وقرى لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا
يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين امنوا خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة
الى بعض اخر من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان
المسلمون اذا القى عليهم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتانّ بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه
وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين
ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبة او نسبته عليه
الصلاة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روى ان سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة
الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا او لستم تقولونها فنزلت
الاية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التدليس فقيل وقولوا انظرنا
اي انظر الينا بالحذف والايصال او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرى انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرى راعونا
على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل اي قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب
بالرعن اتصف به واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية
واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا
الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اي لليهود
الذين توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما

اجتروا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا الود
حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما في
حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في
هذه الاية بالخير فكانه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل
كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى
من اهل الكتاب ولا المشركين للتبيين كما في قوله عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما ستعرفه
ان ينزل عليكم في حيز النصب على انه مفعول ليود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الاتي وقوله
تعالى من خير هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى
والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يا باه وصفه فيما سياتي بالاختصاص وتقديم الظرف
عليه مع ان حقه التاخر عنه لاظهار كمال العناية به لانه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى من ربكم ابتدائية
والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم
لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتعرضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة
من نزل عليهم الخير من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم
ليس معنى خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة
عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي
اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا
بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك
قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لا سيما في اثناء ذكر ابتلائهم به
لم يلزم من نفي ودادتهم لما ذكر نفي ودادة المشركين له فزيدت كلمة لا لتاكيد النفي والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت
لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اهم يقسمون
رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي رضي الله عنه بنبوته خص بها نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق
لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة
والباء داخلة على المقصور اي يؤتي رحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لا استحقاقه الذاتي الفائض عليه
بحسب ارادته عز وعلا تفضلا لا تتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على
التقديرين وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم
كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم من ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن
الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونهما وكون كل منهما مستقلة بشانها فان الاضمار
في الثانية مبني عن توقفها على الاولى ما ننسخ من اية او ننسها كلام مستانف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد
من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له راسا قيل نزلت
حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عليه الصلاة والسلام يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة
والنقل يقال نسخت الريح الاثر اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او
بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية
وقرى ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النساء اي نؤخرها وننسها بالتشديد
وتنسها وتنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرى ما ننسخ من اية او ننسكها وقرى ما
ننسك من اية او ننسخها والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا
الى بدل او الى غير بدل نات بخير منها اي نوع اخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرى بقلب
الهمزة الفا او مثلها اي فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الاية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها
ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنصب كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الايات التي عليها يدور
فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل بحسب
تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ
لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام الم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده وقوله تعالى الم نشرح
لك صدرك او خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله

الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مناط احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدا والجملة خبر لان واشارة على ان يقال ان الله ملك السموات والارض للقصد الى تقوى الحكم بتكرر الاسناد وهو اما تكرير التقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف ان مع ما في حيزها على ما سبق من مثلها رعاية لزيادة التاكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما يقتضيه مشيئته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته شيء من الاشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير معطوف على الجملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناوله للخطابين السابقين للامة ايضا وانما افراده عليه السلام بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدا مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجوز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى ام تريدون تجريد للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة في انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى بل تريدون ان تسالوا وانتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل ساله عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سال موسى لان المشبه هو المصدر المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين لا من المبني للمفعول اعني مسؤولية الرسول عليه السلام حتى تشبه بمسؤولية موسى عليه السلام فلعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية واكتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الاخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز ان يكون ما موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال الذي سئله موسى عليه السلام وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جيء به للتاكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختر ويأخذ لنفسه بالايمان بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السؤال المذكور او ارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالايات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الايات الناسخة التي هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما للشرطية روما للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف

كانه

كانه نفس الشيء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم على القولين باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارا للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة على ان الكفر المفروض بطريق القسر وابراز الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصادر عن العاقل بمباشرته واما لممانعة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا علة لود او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير بخير من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة بما عاينوا في التورية من الدلائل وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون في الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه منسوخ باية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ ان الله على كل شيء قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة او غير ذلك اي اي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ودوا والضمير لاهل الكتابين جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم باولئك من قام باليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعوذ جمع عائذ وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا تلك امانيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويرده قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فانه ليس مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه دعوى الاختصاص به فان قوله تعالى بلى الى آخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي ما اثبتوه واذ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذي كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات دعواهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته

واما نفس الدخول بحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز وانما المفايز به
من انطمه قوله سبحانه من اسلم وجهه لله اى اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء
ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذى هو من اخص خصايص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوى
عزيمته الى شئ غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اى والحال انه محسن فى جميع اعماله التى من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة
الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللايق وهو حسنه الوصفى التابع لحسنه الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله اجره الذى وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل
هو فيه دخولا اوليا وايا ما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى
عند ربه حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار فى الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من
اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة اى فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه
الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى
بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اى بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر
وايا ما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بان اولئك المدعين من دخول
الجنة بمعزل من الاختصاص به بالف منزل ولا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب
اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع فى الضماير الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد
فى الضماير الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى على شئ بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان
تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا
فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شئ اى امر يعتد به من الدين او على شئ ما منه اصلا مبالغة فى ذلك كما قالوا اقل من لا
شئ وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شئ على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتورية لا انهم قالوا
ذلك بناء الامر على منسوخية التورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اى قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق
منهم من اهل العلم والكتاب اى كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى
متصادقة كذلك اى مثل ذلك الذى سمعت به والكاف فى محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة
القصر اى قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة
اى قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ واما على انها حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اى قال القول الذين لا يعلمون
حال كونه مثل ذلك القول الذى سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفى قبله اى مثل
ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك
من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اى بين اليهود والنصارى فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار
كمال بطلان مقالهم لان الحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير
فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم
النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤس الآى لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار
واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد
به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل
من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك فى اى مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طايفة معينة فى مسجد مخصوص
روى ان النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه و
احرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان طيطوس الرومى ملك النصارى واصحابه غزوا بنى اسرايل
وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم
يزل خرابا حتى بناه المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه وانما وقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى
والتخريب متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها مسألة لدعوى اليهود
اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها
بما قبلها من حيث انه من الجهلة القائلين لكل من عداهم ليسوا على شئ ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع كقوله
تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك
بحذف الجار اى من ان وان يكون مفعولا له اى كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها بالهدم والتعطيل بانقطاع
الذكر اولئك المانعون الظالمون الساعون فى خرابها ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها
الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال الهيبة وارتعاد

الفرايض

الفرايض من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم فى علم الله تعالى وقضائه
بالآخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصر واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد روى انه لا يدخل
بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الايمة فى
ذلك فجوزه ابو حنيفة رضى الله عنه مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره لهم اى لاولئك
المذكورين فى الدنيا خزى اى خزى فظيع لا يوصف بالقتل والسبى والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم فى الآخرة عذاب عظيم
وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكى من ظلمهم كذلك فى العظم وتقديم الظرف فى الموضعين للتشويق الى ما يذكر
بعده من الخزى والعذاب لما مر من ان تاخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن
كما فى قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اى له كل الارض
التى هى عبارة عن ناحيتى المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان
فان منعتم من اقامة العبادة فى المسجد الاقصى او المسجد الحرام فاينما تولوا اى ففى اى مكان فعلتم تولية وجوهكم
شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبنى على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم
ووجه الله مبتدا والجملة فى محل الجزم على انها جواب الشرط اى هناك جهته التى امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد
دون مسجد او مكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمى اى فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرى بفتح التاء
واللام اى فاينما توجهوا القبلة ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم
واعمالهم فى الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرط وعن ابن عمر رضى الله عنهما نزلت فى صلوة المسافر على الراحلة اينما
توجهوا وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد
ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون فى جهة وقالوا اتخذ الله ولدا
حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقال الذين لا على صلة من لما بينهما
من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرى بغير واو على الاستئناف
نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملئكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع
والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اى صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه
وتبرية له عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه
اى انزهه تنزيها لايقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب والابعاد فى الارض
ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة
فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اى تنزه بذاته
تنزها حقيقا به ففيه مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد تنزاهته تعالى عما
لا يليق به لا اثباتها له تعالى وقوله تعالى بل له ما فى السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل
للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشئ من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة
الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها
بالآخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجرى مجرى الولد من الحيوان اى ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع
الموجودات التى من جملتها عزير والمسيح والملئكة كل التنوين عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيهما كائنا ما كان من اولى
العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصى شئ منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شانه لم يتصور
مجانسته لشئ ومن حق الولدان يكون من جنس الوالد وانما جئ بما المختصة بغير اولى العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال
بعدهم عما نسبوا الى بعض منهم وصيغة جمع العقلاء فى قانتون للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اى مطيعون
عابدون له معترفون بربوبيته تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات
والارض اى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذى به ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبدع يطلق على المبدع
نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر فى القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى
المسمع فى قوله امن ريحانة الداعى السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها
باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم
الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتداء محذوف اى هو بديع الخ وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على
انه بدل من الضمير فى له على راى من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما فى قوله على جوده لضن بالماء حاتم واذا قضى امرا
اى اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها

اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اى احدث فيحدث
وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتى المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة
حدوثها بما هو علم فى الباب من طاعة المامور المطيع للآمر القوى المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح بحجة اخرى
لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شان من يفتقر فى تحصيل مراده الى مبادئ يستدعى ترتيبها مرور زمان وتبدل اطوار
وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم فى امر النبوة بعد حكاية
قدحهم فى شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف فى هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رضى الله عنهما
هم اليهود وقال مجاهد النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغى او لعدم علمهم بموجب
علمهم او لان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركو العرب لقوله
تعالى فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اى هلا يكلمنا بلا واسطة
امرا ونهيا كما يكلم الملئكة او هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك او تاتينا آية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار
الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما اتاهم من
البينات الباهرة التى تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات قاتلهم الله انى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن
العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن
نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء و
اولئك فى العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الآيات اى نزلناها بينة بان جعلناها كذلك فى انفسها
كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين ويوقنون
بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الآية وفى تعريف الآيات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال
التوضيح مكان الاتيان الذى طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذة ونحن قد بينا الآيات العظام
لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الى الرد
والجواب انا ارسلناك بالحق اى ملتبسا بالقرآن كما فى قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما فى قوله تعالى
احق هو وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اى ارسلناك ملتبسا بالقرآن حال
كونك بشيرا لمن آمن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب
ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لانفسهم ما احبوا لا قاسرا لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل
عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسئل وما تسئل وقرئ لا تسأل على صيغة النهى
ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع
السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم
والجحيم المتأجج من النار وفى التعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان
بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد
لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفى لما مر من ان تصلب اليهود فى امثال هذه العظائم اشد من النصارى وللاشعار بان
رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اى لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم
ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة فى اقناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم
ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه صلى الله عليه وسلم
ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه السلام وهذه حالتهم فى
انفسهم ومقالهم فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبى صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان بالغت
فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله هو
الهدى صريح فى ان ما وقع منهم جوابا عنه ليس بعين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزمه من الدعوة الى اليهودية
والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما كما حكى عنهم بقوله عز وعلا وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا اى قل ردا
عليهم ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى بالحق والذى يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما
تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اى آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية
شهوات انفسهم وهى التى عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هى التى ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان
الانبياء وهو المعنى الحقيقى للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذى جاءك من العلم اى الوحى او الدين المعلوم صحته ما لك من الله
من جهته العزيزة من ولى يلى امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفى الولى نفى النصير وسط بينهما

حرف النفى للتاكيد كما بين المعطوفين لتاكيد النفى وهذا من باب التهييج والالهاب والا فانى يتوهم امكان اتباعه عليه السلام
لملتهم وهو جواب للقسم الذى وطأته اللام واكتفى به عن جواب الشرط الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد
الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر فى معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة
والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له اولئك اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل يؤمنون به اى بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع
الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ومن جملتها التورية وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته
نعت النبى صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به عليه السلام وانى فضلتكم على العالمين افردت هذه النعمة
بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانافتها فيما بين فنون النعم واتقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزى فى ذلك
اليوم نفس من النفوس عن نفس اخرى شيئا من الاشياء او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل اى فدية ولا تنفعها شفاعة ولا
هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة فى النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود
من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات شروع فى تحقيق ان
هدى الله هو ما عليه النبى صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذى هو ملة ابراهيم عليه السلام وان ما عليه اهل
الكتابين اهواء زائغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم وابنائه الانبياء
عليهم السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبى صلى الله عليه
وسلم وبكون ذلك النبى الذى استدعاه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فاذ
منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبى عليه السلام بطريق التلوين اى واذكر لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا
بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه فى اثناء تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك
للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اى واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجئ من قوله تعالى
قال انى الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا وخوطب به بنو اسرائيل ليتأملوا فيما
يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنائه عليهم السلام من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء
فى الاصل الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا
وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب
عليه شيئا هو من مباديه العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم اسم اعجمى
قال السهيلى كثيرا ما يقع الاتفاق والتقارب بين السريانى والعربى الا ترى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته
سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة على ما روى البخارى فى حديث الرؤيا ان النبى صلى الله عليه وسلم
راى فى الروضة ابراهيم عليه السلام وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان
الربوبية تشريف له عليه السلام وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة
المختبر حيث كلفه اوامر ونواهى يظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة
وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان بان بعثة النبى صلى الله عليه
وسلم ايضا مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهى التى اجيب بها
دعوة ابراهيم عليه السلام كما سياتى واختلف فى الكلمات فقال مجاهد هى المذكورة بعدها ورد بانه يأباه الفاء فى فاتمهن ثم
الاستيناف وقال طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما هى عشر خصال كانت فرضا فى شرعه وهى سنة فى شرعنا خمس فى الراس
المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس فى البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط و
تقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفى الخبر ان ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم
الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم ابتلاه الله تعالى بثلثين
خصلة من خصال الاسلام عشر منها فى سورة براءة التائبون الخ وعشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ وعشر فى المؤمنون
وسأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم
والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هن محاجته قومه والصلوة والزكوة والصوم والضيافة
والصبر عليها وقيل هى مناسك الحج كالطواف والسعى والرمى والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هى قوله عليه السلام الذى خلقنى
فهو يهدين الآيات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضى سابقة الوحى واجيب بان
مطلق الوحى لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه اى دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن

اولا فاتمهن اى قام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان كما فى قوله تعالى وابراهيم الذى وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما روى عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الايات وقوله عز وجل قال على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستانفة وقعت جوابا عن سوال نشا من الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى من دواعى الاحسان اليه فبعد حكايتهما تترقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل فماذا كان بعد ذلك قال انى جاعلك للناس اماما او بيان لقوله تعالى ابتلى على رأى من جعل الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب اذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو فى المعنى داخلة على قال اى وقال اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثانى اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اى لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبى امام لامته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبى الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته قال استيناف مبنى على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام عنده فقيل قال ومن ذريتى عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اى وجاعل بعض ذريتى كما تقول وزيدا لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اى واجعل فريقا من ذريتى اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتى والذرية نسل الرجل فعولة من ذرو او ذرى والاصل ذرووة او ذروية فاجتمع فى الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء فصارت ذرية او فعيلة منهما والاصل فى الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما بالسكون فصارت ذريية كالثانية فادغمت الياء فى شبهها فصارت ذرية او فعيلة من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة فى المبدلة او فعيلة من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالى الامثال كما فى تسرى وتقضى وتظنى فادغمت الياء فى الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام و قرئ بكسر الذال وهى لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدنى بالفتح وهى ايضا لغة فيها قال استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق لا ينال عهدى الظالمين ليس هذا ردا لدعوته عليه السلام بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه الكرم بنيل عهد الامامة حسبما وقع فى استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادى الامامة من ذريته اجمالا وتفصيلا وابراز الباقين لئلا ينتظم المعتدون بالاية من الامة فى سلك المحرومين وفى تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما فى هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته عليه السلام كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هى حاصلة فى ضمن امامة ابراهيم عليه السلام تنال كلا منهم فى وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على ان عهدى مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اى الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة اى مرجعا يثوب اليه الزوار بعدما تفرقوا عنه او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثانى واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام فى قوله تعالى للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة اى مثابة كائنة للناس او بجعلنا اى وجعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين وامنا اى آمنا كما فى قوله تعالى حرما آمنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اى ذا امن او على الاسناد المجازى اى آمنا من حجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو رأى ابى حنيفة رحمه الله ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شئ كائنا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال من فاعله اى وقلنا او قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذى يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كانه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل فى اذ وقيل هى جملة مستانفة والخطاب على الوجه الاخير له عليه السلام ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر صريحا كان او مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذى عليه اثر قدمه عليه السلام والموضع الذى كان عليه حين قام ودعا

الناس

الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء روى انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضى الله عنه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى جابر رضى الله عنه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعى فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اى امرناهما امرا موكدا ان طهرا بيتى بان طهراه على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا لجواز كون صلتها امرا ونهيا كما فى قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهى محققة فيهما ووجوب كونها خبرية فى صلة الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفى فليس كذلك ولما كان الخبر و الانشاء فى الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهى صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهى نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال او اى طهراه على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير ههنا اليهما عليهما السلام لا ينافى ما فى سورة الحج من تخصيصه بابرهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وكان اسمعيل عليه السلام حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهى وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين حوله والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين فى الصلوة كما فى قوله عز وعلا للطائفين والقائمين والركع السجود جمع راكع وساجد اى الطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلى ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما اى خلصاه لهؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم به وان كانت مع مقارنتهما مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا آمنا ذا امن كعيشة راضية او آمنا اهله كليلة نائم اى اجعل هذا الوادى من البلاد الآمنة وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادى فقال ربنا انى اسكنت الاية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا فى سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السؤال لما انه عليه السلام سأل اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له فى احدهما وتأخر الآخر الى وقته المقدر له لما يقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد فى الدعاء والابتهال او كان المسؤل اولا البلدية ويجرد الامن المصحح للسكنى كما فى سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤل اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثانى لاستدامته والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلى او لان المعتاد فى البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤل كلا الامرين وقد حكى ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوى اليه كما سيأتى تفصيله هنالك باذن الله عز وجل وارزق اهله من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او تجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهرى انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشأن اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه فى الايمان وزجر عن الكفر كما ان فى حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قال استئناف مبنى على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى فامتعه معطوف على ذلك الفعل او فى محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فامتعه خبره اى فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا مجاب كانه عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه

من امتع وقرئ فنمتعه قليلاً تمتيعاً قليلاً او زماناً قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره الى ذلك قرأه فنمتعه وقرئ فامتعه قليلاً ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابراهيم عليه السلام وفى قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما الرزق فمن اس فانما هو على طريقة التفضيل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره بادغام الضاد فى الطاء وهى لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اى بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين فى واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذى بنى عليها لكنهما لما التأما صارا شيئاً واحداً فكانها نمت وارتفعت وقيل المراد بها ساقات البناء فان كل ساف قاعدة لما يبنى عليه وبرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفى ابهامها اولاً ثم تبيينها من تفخيم شأنها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعنى يجعل هيئة القاعدة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء روى ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقى وغربى وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشياً وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وحج ادم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خالياً الى زمن ابراهيم عليه السلام فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم عليه السلام حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت وسار ابراهيم فى ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودى ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه فى ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما مسته الحيض فى الجاهلية اسود وقال الفاسى فى شفاء الغرام فى تاريخ البلد الحرام والذى تحصل من جملة ما قيل فى عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووى فى تهذيب الاسماء واللغات والازرقى فى تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم عليه السلام ومنها بناء ادم عليه السلام ذكره البيهقى فى دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى ادم عليهما السلام فقال له ولحواء ابنيا لى بيتاً فخط جبريل وجعل آدم عليه السلام يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودى من تحته حسبك يا ادم فلما بناه اوحى اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكر الازرقى فى تاريخه وعبد الرزاق فى مصنفه ومنها بناء بنى ادم عند ما رفعت الخيمة التى عزى الله تعالى بها آدم عليه السلام وكانت ضربت فى موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتاً من الطين والحجارة فلم يزل معموراً يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان مسه الغرق فى عهد نوح عليه السلام ذكره الازرقى بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه فى القرآن مشهور فيما بين قاص ودان ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقى بسنده الى على بن ابى طالب رضى الله عنه ومنها بناء قصى بن كلاب ذكره الزبير بن بكار فى كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلى ان بناءها لم يكن فى الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل عطف على ابراهيم ولعل تأخيره عن المفعول للايذان بان الاصل فى الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول اى يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام وقيل على انه هو العامل فى اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا اذ يرفعان اى وقت رفعها وقيل واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف هو العامل فى ربنا تقبل منا فيكون ابراهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعى والجملة فى محل النصب على الحالية اى واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره فى قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التى من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت السميع لجميع المسموعات التى من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التى من زمرتها نياتنا فى جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه

تعالى

تعالى سميعاً لدعائهما عليماً بنياتهما مصحح للتقبل فى الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما فى اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلاً وتأكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر صفتى السمع والعلم عليه تعالى لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعى فى الحكاية لنظم الشؤون الصادرة عن جنابه تعالى فى سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال فى سلك آخر واما قوله تعالى ومن كفر الخ فانما وقع فى تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلاً كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتى فى خلال كلامه سبحانه كذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد وايا ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كانا عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخالهما هاجر معهما فى الدعاء او لان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضى اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلى على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان يكون من مبينة قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما فى قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا وارنا من الروية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف اى بصرنا او عرفنا مناسكنا اى متعبداتنا فى الحج او مذابحنا والنسك فى الاصل غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياساً على فخذ وفخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة فى التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهواً ولعلهما قالاه هضماً لانفسهما وارشاداً لذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته ربنا وابعث فيهم اى فى الامة المسلمة رسولاً منهم اى من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبى صلى الله عليه وسلم فهو الذى اجيب بدعوتهما عليهما السلام روى انه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة له لما انه الاصل فى الدعاء واسمعيل تبع له عليهما السلام يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحى اليه من البينات ويعلمهم بحسب قوتهم النظرية الكتاب اى القرآن والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم العملية اى يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصى انك انت العزيز الذى لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة المسؤول فان وصف الحكمة مقتض لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التى من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابراهيم انكار واستبعاد لان يكون فى العقلاء من يرغب عن ملته التى هى الحق الصريح والدين الصحيح اى لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء الا من سفه نفسه اى اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق او اهلك او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد فى الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ونحو قوله

ونأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام •

وقوله

وما قومى بثعلبة بن سعد • ولا بفزارة الشعر الرقابا •

وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ فى اذلال نفسه واذالتها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجراً الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التورية انى باعث من ولد اسمعيل نبياً اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه فى الدنيا اى اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشئ كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اى وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى وانه فى الآخرة لمن الصالحين اى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليه داخل فى حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضاً آخر او حالاً مقدرة فان من كان صفوة للعباد فى الدنيا مشهوداً له بالصلاح فى الآخرة كان حقيقاً بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل وايثار الاسمية لما ان انتظامه فى زمرة صالحى اهل الآخرة امر مستمر فى الدارين لا انه يحدث فى الآخرة والتأكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها

الى التاكيد اشد من الامور التى تشاهد آثارها وكلمة فى متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى
يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر فى الظرف ما لا يغتفر فى غيره كما فى قوله ربيته حتى اذا تمعددا
كان جزائى بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظه اى وانه لصالح فى الآخرة لمن الصالحين او من غير لفظه اى اعنى
فى الآخرة كقولك بعد رعيا وقيل هى متعلقة باصطفيناه على ان فى النظم الكريم تقديما وتاخيرا تقديره ولقد اصطفيناه
فى الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبى بل هو مقرر له لان اصطفاه
فى الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه
المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص
سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم اى لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل
والمعنى اخطر بباله دلايل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكوكب والقمر والشمس وقيل اسلم اى
اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على
حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته
واضافة الرب فى جوابه عليه السلام الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول
ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المامور به ووصى بها ابراهيم بنيه شروع فى بيان تكميله عليه السلام
لغيره اثر بيان كماله فى نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة فى ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير و
صلاح للمسلمين من فعل وقول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصى يصل فعله
بفعل الوصى والضمير فى بها للملة او قوله اسلمت لرب العالمين بتاويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى انى براء مما
تعبدون الا الذى فطرنى فى قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية فى عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف
على ابراهيم اى وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه يا بنى على اضمار القول عند البصريين وتعلق
بوصى عند الكوفيين لانه فى معنى القول كما فى قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا فهو عند الاولين
بتقدير القول وعند الآخرين متعلق بالايجاد الذى هو فى معنى القول وقرئ ان يا بنى وبنوا ابراهيم عليه السلام
كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثنى عشر روبيل و
شمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخور وزبولون وذوانا ونفتونا وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام
ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اى فاثبتوا عليه ولا
تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه
ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة
مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى
الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان
كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم
عليه السلام الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما حكى عنهم واما تعميم الافتراء ايمانا
لساير الانبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب عليه السلام بالذكر وما سياتى من قوله عز وجل ام تقولون
ان ابراهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه
بدل من اذ حضر اى ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدى اى اى شىء تعبدونه
بعد موتى فمن اين لكم ان تدعوا عليه عليه السلام ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت
ثم بين ان الامر قد جرى على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام
واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسال به كل شىء ما لم يعرف فاذا
عرف خص العقلاء بمن اذا سيل عن شىء بعينه وان سيل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب فقوله تعالى قالوا
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا عن حكاية سؤال يعقوب عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا
نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراد ابيهم عليه السلام بالسؤال اى نعبد الاله المتفق على وجوده
والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام
فى العباس هذا بقية آبائى وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما فى قوله فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا
وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها واحدا

بدل

بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير
المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله
او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدا وخبر والاشارة الى ابراهيم
ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هى الجماعة التى تامها فرق الناس اى يقصدونها ويقتدون بها قد خلت
صفة للخبر اى مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهى الارض التى لا انيس بها لها ما
كسبت جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير فى خلت وما موصولة او موصوفة
والعايد اليها محذوف اى لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا تتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب
قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتداة على الوجهين
الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه فى الصفة ولا مقارنة فى الزمان ولا بد منها فى الحال اى لكم ما كسبتموه لا ما كسبه
غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل فى قوله تعالى لكم دينكم ولى دين اى ولى دينى لا دينكم
وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم
متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذى يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه
بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما
ينفعهم اتباعهم لهم فى الاعمال كما قال عليه السلام يا بنى هاشم لا ياتينى الناس باعمالهم وتاتونى بانسابكم ولا تسألون
عما كانوا يعملون ان اجرى السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه
اعنى الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع
بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهانى فى ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة
عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب فى انه مما لا يليق بشأن
التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفائه وقالوا
شروع فى بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم فى انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة
الالتفات المؤذن باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اى قالوا
للمؤمنين كونوا هودا او نصارى ليس هذا القول مقولا لكلهم ولا لاى طائفة كانت من الطايفتين بل هو موزع عليهما على
وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اى قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى فعل
بالنظم الكريم ما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام تهتدوا
جواب للامر اى ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما
هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اى لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عليه السلام وقيل بل نتبع
ملته عليه السلام ويجوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه السلام او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اى بل ملتنا
او امرنا ملته او نحن ملته اى اهل ملته حنيفا اى مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما فى رايت وجه هند
قائمة وفى قوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا الخ وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان
دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام
برد مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشادهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اى قولوا لهم بمقابلة ما قالوا
تحقيقا للحق وارشادا ضمنيا لهم اليه آمنا بالله وما انزل الينا يعنى القرآن قدم على ساير الكتب الالهية مع تاخره عنها نزولا
لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان كانت نازلة
الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة
اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام او ابناؤه الاثنا
عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتى موسى وعيسى من التورية والانجيل وساير المعجزات الباهرة
الظاهرة بايديهما حسبما فصل فى التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام
مع اليهود والنصارى وما اوتى النبيون اى جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات
لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان
الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما
اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول
بين عليه كما فى مثل المال بين الناس ومنه ما فى قوله صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم حيث
وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه فى حيز النفى وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف

قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالماً ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحاً على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائناً من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اي مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على آمنا فان آمنوا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتابين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما آمنتم به اي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به ويجوز ان يكون الباء للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بمروره آنفاً او على ان الفعل مجرى مجرى اللازم اي فان آمنوا بما آمنتم مفصلاً او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان يكون الاولى زايدة والثانية صلة لآمنتم وما مصدرية اي فان آمنوا ايماناً مثل ايمانكم بما ذكر مفصلاً وان تكونا للملابسة اي فان آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين به او فان آمنوا ايماناً ملتبساً بمثل ما آمنتم ايماناً ملتبساً به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن به فانه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق فيأباه انه مقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلائمه تجويز ان يكون له طريق آخر وراءه وان تولوا اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك كأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو دينهم وديدنهم فانما هم في شقاق الشقاق والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة والعداء من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الآخر صورة او معنى ويوليه خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هي على ان المراد مشاقتهم الحادثة بعد توليهم عن الايمان كجواب الشرطية الاولى واما وقوع الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك واما بتأويل فاعلموا انما هم في شقاق هذا هو الذي يستدعيه فخامة شان التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فان آمنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مماثلاً له في الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب في انه مما لا يليق بجمل النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله اي سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبي صلى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام اتم واكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيراً للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم بآثاره الجميلة ومتداخلاً في قلوبهم كما ان شان الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع استناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا تستقل العبد بتحصيلها وهي اذن مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا منتصب على انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغته وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اي الزموا صبغة الله وانما وسط بينهما الترتيبا وما بعدهما اعتناءً ببيان انه الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى تسليته عليه السلام ومن احسن من الله مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تعالى صبغة نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اي لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن للحقيقي والفرضي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره تعالى حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج ونحن له اي لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة عابدون شكراً لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف

للاهتمام

للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على صبغة الاغراء بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة حينئذ يجري مجرى التعليل للاغراء قل اتحاجوننا تجريد للخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المامور به من الوظايف الخاصة به عليه السلام وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله اي في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى وتارة كونوا هوداً او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلاً لانه تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فانى لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام في قوله تعالى ام تقولون اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اي الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً او نصارى نحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخاً لهم وانكاراً عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاماً وتبكيتاً فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالاً ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم فمع عدم ملايمته لسياق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل ءانتم اعلم ام الله اعادة الامر ليست لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلاً بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما بعده قد ضرب عنه الذكر صفحاً لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز قائلاً قال ءاسجد لمن خلقت طيناً قال ارايتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاماً لصاحبه متعلقاً بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله اي كذبهم في ذلك وبكتهم قائلاً ءانتم اعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابراهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقاً فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما تصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهي شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الانكار وتأكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التورية والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولاً اولياً اي هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الاية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيراً عن الاقتداء بهم وقيل

المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود **سيقول السفهاء** اى الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روى عن ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهم قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يانسون بموافقته عليه السلام لهم فى القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل الى الكعبة بل طعنا فى الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم القادحون فى التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى **من الناس** اى الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكى لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوايف الثلث بل عن اشقيائهم المعتادين للخوض فى فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طايفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس كثير فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضى تسليم الباقين للتحويل وارتضائهم اياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية **ما ولاهم** اى اى شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفى **عن قبلتهم** القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهى الحالة التى يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التى يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد الى جهة امره غلبت على الجهة التى يستقبلها الانسان فى الصلوة والمراد بها هنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى **التى كانوا عليها** اى ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتاكيد الانكار فان الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافى الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود فمدار الانكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن فى الدين والقدح فى احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لا لكراهتهم الانصراف عنها او التوجه الى الكعبة وتعليق الانكار بما يرادبهم عنها لا بما يوجههم الى غيرها مع تلازمهما فى الوجود لما ان ترك القديم ابعد عند العقول وانكار سببه ادخل لا للايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذى هو القبلة الحقة عندهم لا التوجيه الى خصوصية قبلة اخرى او هم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانها الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف لا والمنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلايل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم فان مفاجاة المكروه على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد اردّ وقوله عز وجل **قل لله المشرق والمغرب** استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فما ذا اقول عند ذلك فقيل قل الخ اى لله تعالى ناحيتا الارض اى الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيته **يهدى من يشاء** ان يهديه مشية تابعة للحكم الخفية التى لا يعلمها الا هو **الى صراط مستقيم** موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما تقتضيه مشيته المقارنة لحكم ابية ومصالح خفية **وكذلك جعلناكم** توجيه للخطاب الى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتاييد ما فى مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم كما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه فى سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اى ذلك الجعل البديع جعلناكم **امة وسطا** لا جعلا آخر ادنى منه والوسط فى الاصل اسم لما يستوى نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعواز والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائى •

كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت • بها الحوادث حتى اصبحت طرفا •

فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار فى هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التى جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفى الافراط والتفريط كالعفة التى طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التى طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التى طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التى هى كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانها نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التى يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رايقة هى ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذى عبر عنه بالصراط المستقيم الذى هو الطريق السوى الواقع فى وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب

فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع فى وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اى متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل **لتكونوا شهداء على الناس** بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من مذكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هى الكيفية المتشابهة المتألفة من العفة التى هى فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التى هى فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التى هى فضيلة القوة العقلية الملكية المشار اليها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقايق المودعة فى الكتاب المبين المنطوى على احكام الدين واحوال الامم اجمعين حاويا لشرايط الشهادة عليهم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم ويسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز وعلا **ويكون الرسول عليكم شهيدا** وكلمة الاستعلاء لما فى الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم **وما جعلنا القبلة التى كنت عليها** جرد الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ايذانا بان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقة بان يخص معرفته عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشيء من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثانى كما فى قولك جعلت الطين خزفا فينبغى ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثانى هو القبلة فكلام صناعى ينساق اليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدى الى العكس فان المقصود افادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او هى الصخرة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من ان قبلته عليه السلام بمكة كان بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة فيتاتى ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها اولا اى وهى الكعبة وعلى الثانى وما جعلناها التى كنت عليها قبل هذا الوقت وهى الصخرة **الا لنعلم** استثناء مفرغ من اعم العلل اى وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس اى نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ **من يتبع الرسول** فى التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع **ممن ينقلب على عقبيه** يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالى اى ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او لتمييز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذى هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما فى من من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى ممن ينقلب الخ اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه **وان كانت لكبيرة** اى شاقة ثقيلة وان هى المخففة من المثقلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هى الفارقة بينها وبين النافية كما فى قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اى ما كانت الا كبيرة والضمير الذى هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما فى قوله واخوان لنا كانوا كرام واصله وان هى لكبيرة كقوله ان زيد لمنطلق **الا على الذين هدى الله** اى الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عليه السلام **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اى ما صح وما استقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روى انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام فى ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راى البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اى ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الخ ففى توجيه النفى الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليس فى توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راى الكوفية ولا يقدح فى ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر فى عملها وقوله تعالى **ان الله**

بالناس لرؤف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لامحالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع
ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ منه لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم
وقيل الرحمة اكثر من الرأفة في الكمية والرأفة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن
الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتاكل وقرئ رؤف بغير مد ككندس قد نرى
تقلب وجهك في السماء اي تردد وجهك وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم
ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء للدلالة
على سببية ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينكها و
لنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اي صيرته واليا له او لنجعلنك تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة بحذف
الجار اي الى قبلة وقيل هو منصوب الى مفعولين ترضاها تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته
فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد
به كل البدن اي فاصرفه شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو نصب على الظرفية من ول او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان
له وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل
كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوه وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان
بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد
زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة
الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم
الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة
على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو
قوله تعالى اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريقي اليهود والنصارى ليعلمون انه اي التحويل
او التوجه المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة وتفهمهم
لما هو مسطور في كتبهم من انه عليه السلام يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب
وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم
متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائن
من ربهم وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل
الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يزعم
منه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله بكل آية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم
وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك بشبهة تزيلها الحجة
وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالاية
من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها
مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تقريرا
له عليه السلام وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار
اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم
بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك
لتصلب كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت عليه
وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انك اذا لمن
الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شانه ذلك اذا نهي عنه ورتب على
فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين
اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حقها ان تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين الشرط و
جوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم تتأخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم
وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من الانبياء عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب

اي

اي علما وهو اذهم العبرة في تلاوته ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم
والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول صلى الله عليه وسلم ولا التفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس شهوده الضمير
له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها
انه عليه السلام يصلي الى القبلتين كانه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل
هو راجع لما قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عليه السلام وانه علم معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او سياق الذي
هو الوحي او للقرآن او التحويل ويؤيد الاول قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عليه السلام باوصافه المنعوتة
المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم
بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك فيه انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه رضي
الله تعالى عنهما وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا والحق والباقون هم الذين
آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فما هم
بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم الحق بالرفع على انه مبتدا وقوله تعالى من ربك خبره
واللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه الرسول صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من
الله تعالى كالذي انت عليه لا ما يدعيه اهل الكتاب وعلى انه خبر مبتدا محذوف اي هو الحق وقوله تعالى من
ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في
كتمانهم الحق عالمين به وقيل في انه من ربك وليس المراد به نهي الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه
عليه السلام وليس بقصد واختيار بل ما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة
للشك على الوجه الابلغ ولكل اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه وجهة اي قبلة وقد قرئ كذلك
او لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه او الله موليها
اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر ضعف العامل
وقرئ مولاها اي يولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات اي تسابقوا اليها بنزع الجار كما في قوله تنادي عليكم الحرب
ومن يمل سواكم فاني مهتد غير مايل وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات
جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا
يات بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله تعالى الى المحشر
للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم
كانها صليت الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث
خرجت تاكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول
او بمحذوف عطف هو عليه اي من اي مكان خرجت اليه للسفر فول وجهك عند صلوتك شطر المسجد الحرام او افعل ما
امرت به من اي مكان خرجت اليه فول الخ وانه اي هذا الامر للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون
فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه
في اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر انفا وحيثما كنتم
من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين
في الافاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث
اقامتهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لما ان القبلة لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة
والفتنة فبالحري ان يؤكد امرها مرة غب اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة
متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع
احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية من اوصافه انه يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم
ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون
ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا للبلد او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية
هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها افحش الاباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق
الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كالذي في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه على انه استيناف فلا تخشوهم فان

مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما امرتكم لاتمامي النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادتي اهتداءكم لما انه صراط مستقيم مود الى سعادة الدارين كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى وعطف على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم عنهم واتم الخ او على قوله تعالى لئلا يكون لكم الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الخ بينهما للمسارعة الى التسلية والتثبيت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة اتماما كائنا كاتمامي لها بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافؤها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني الخ وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلوا عليكم آياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلوا اي يحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجباته اي فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما امرتكم به يا ايها الذين آمنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا في كل ما تأتون وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقابلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخول مع على الصابرين لانهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا الخ سيق لبيان ان لا غائلة للامور به وان الشهادة التي ربما يؤدي اليها الصبر حيوة ابدية لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحالهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رضي الله عنه ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رايت في المنام [illegible] دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات والسنن ولعل تخصيص الشهداء بذلك لاستدعاء مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة ولاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وعلا ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم انصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبرهم به وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة ونقص

من

من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكاة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من تتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرأفة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة اليهم اما بالاعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا والاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما انه مقدم عليهما فلا بد لتاخيره عما هو نتيجة لهما من داع يوجبه وليس بظاهر وبالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون [illegible] الدينية والدنيوية فان من نالته رأفة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريده عن التعلق به فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي رضي الله عنهما انه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لانه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا حينئذ نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل و قرئ يطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد عليم مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا ما في التورية من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يابى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات من الآيات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اي والآيات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية ويأباه الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكد بقبح الكتم او تفهيمهم بواسطة موسى

عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه الصلوة
والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون الكتاب الخ اولئك اشارة الى الموصوفين
ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي امرهم وبعد منزلتهم في الفساد يلعنهم
الله اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وادخال الروع
والاشعار بان مبدا صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدا الانزال والتبيين من وصف الجمال و
الرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد بيان
دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى الا الذين تابوا اي عن الكتمان واصلحوا اي ما افسدوا
بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس معاينة فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا
لهم ما وقع منهم اولا وآخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او
بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم اضرابهم وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين
مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصوفين باعتبار اتصافهم بما في حيز
الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتاكيد ذلك اتوب عليهم اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله وانا التواب
الرحيم اي المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان
في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدا في فعليه تعالى السابق واللاحق ان الذين
كفروا جملة مستانفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتاكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما
يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه
فكما ان وجود تلك الامور الثلثة مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان
الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الاولى اولئك الكلام
فيه كما فيما قبله عليهم اي مستقر عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ممن يعتد بلعنهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي
بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على
محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم
ان لعنهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار على انها
اضمرت من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما مستانف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف
اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف
ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اي لا يمهلون
ولا يؤجلون ولا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة
اله واحد اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدا او صفة اخرى للخبر او اعتراض
وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران آخران
للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها
وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر
استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثماية وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا
وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما على ما هما عليه
مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدايع صنايع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات
متخالفة الحقايق دون الارض واختلاف الليل والنهار اي اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للاخر كقوله تعالى وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة او اختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك التي
تجري في البحر عطف على ما قبله وتانيثه اما بتاويل السفينة او بانه جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير
اذ الاولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اي متلبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها
من انواع المنافع او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتاخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها
نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه
والاطلاع على عجايبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية
بيانية او تبعيضية واياما كان فتاخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيى
به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها
كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء وبث فيها اي فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة

معطوفة

معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيى الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شي واحد كانه قيل وما
انزل في الارض من ماء وبث فيها الخ وعلى جيء بحذف الجار والمجرور والعايد الى الموصول وان لم يتحقق الشرايط المعهودة
كما في قوله وان لساني شهدة يشتفى بها وكل على من صبه الله علقم اي عليه وقوله لعل الذي اصعدتني ان يردني
الى الارض ان لم يقدر المخبر قادره اي اصعدتني به على معنى فاحيى بالماء الارض وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على ما انزل اي تقليبها من مهب الى آخر ومن حال الى اخرى وقرئ على الافراد
والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والارض
صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا والتسخير تقليبه في الجو بواسطة
الرياح حسبما تقتضيه مشية الله تعالى ولعل تاخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال
الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي للاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة في كونها آية ولو
روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المرتب بعضه على بعض آية واحدة لايات اسم ان دخلته اللام لتاخره عن
خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية
لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل
المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم آية تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة
العقول والا فمن تامل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وساير صفاته الكمالية الموجبة
لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سايرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه
الممكنة دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان يقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط
معين متنوع بحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيته متعاليا
عن معارضة الغير اذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي
الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لكمال ركاكة آراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير
الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه شي من الموجودات في صفة من صفات
الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله و
باليوم الآخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون ذلك الاله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة
وايثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات اندادا اي امثالا وهي رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما
ياتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سياتي من وصفهم بالتبري عن المتبعين وقيل هي الاصنام
وارجاع ضمير العقلاء اليها في قوله عز وجل يحبونهم مبني على آرائهم الباطلة في شانها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء
والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منه احب على حد مكن
الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة
طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب على انها صفة
لاندادا او حالا من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اي نعت
لمصدر موكد للفعل السابق ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعلهما فانهم كانوا يقرون به
تعالى ايضا ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى اي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم
وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في اصل الحب لا في
وصفه كما او كيفا لما سياتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغني
عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير الى ما
اسلفناه في تفسير قوله عز قائلا كما سئل موسى من قبل واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف
وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا اشد حبا لله جملة مبتداة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه
حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اي المؤمنون اشد حبا لله تعالى منهم لاندادهم ومآله ان حب اولئك له تعالى اشد
من حب هؤلاء لاندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم
لله تعالى لما ان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور في حبهم لاندادهم لكونه منوطا بمبان فاسدة
ومبادي موهومة يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما زمانا
فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة الهها عام المجاعة وكان من حيس وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار اختلاف
حبهم في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال كما سياتي بل اعتبار
مخل بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه وايثار الاظهار في موضع الاضمار لتفخيم الحب

والاشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا اي باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ يرون العذاب المعد لهم يوم القيمة اى لو
علموا اذ عاينوه وانما اوثر صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضى فى الدلالة على التحقيق فى اخبار علام الغيوب ان القوة
لله جميعا ساد مسد مفعولى يرى وان الله شديد العذاب عطف عليه وفايدته المبالغة فى تهويل الخطب وتفظيع الامر
فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه
عن دايرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر والمستمع
من الضجر والتفجع عليه اى لو علموا اذ راوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه احد من اندادهم ان القوة لله جميعا ولا
دخل لاحد فى شئ اصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية على ان الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب ح لرايت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ
يرون على البناء للمفعول وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من اذ يرون
اى اذ تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه فى الدنيا ويدعونهم اليه من فنون
الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس انى كفرت بما اشركتمونى من قبل وقرئ بالعكس
اى تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو فى قوله عز وجل وراوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ والضمير فى راوا
للموصولين جميعا وتقطعت بهم الاسباب والوصل التى كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزايغة
والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما
للتنبيه على علة التبرى وقد جوز عطفها على الجملة الحالية وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرء الرؤساء منهم وندموا على ما
فعلوا من اتباعهم لهم فى الدنيا لو ان لنا كرة اى ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم هناك كما تبرؤا منا اليوم كذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده لا الى شئ آخر مفهوم كما سبق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه
وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه فى سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة
ومحله النصب على المصدرية اى ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اى ندامات شديدة فان الحسرة شدة
الندم والكمد وهى تالم القلب وانحساره عما يوكله واشتقاقها من قولهم بعير حسير اى منقطع القوة وهى ثالث مفاعيل
يرى ان كان من روية القلب والا فهى حال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا الحسرات مكان اعمالهم وما هم
بخارجين من النار كلام مستانف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفى
الخروج والضمير للدلالة على قوة امرهم فيما اسند اليهم كما فى قولهم هم يفرشون اللبد كل طمرة واجرد سباق يبذ المغاليا
يا ايها الناس كلوا مما فى الارض اى بعض ما فيها من اصناف الماكولات التى من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث
والانعام قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى قوم من ثقيف وبنى عامر بن صعصعة وخزاعة وبنى مدلج حرموا
على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحاير والسوايب والوصايل والحام وقوله تعالى حلالا حال من الموصول اى كلوه حال
كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر موكد اى اكلا حلالا ويويد الاولين قوله تعالى طيبا
فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت فى قوم من المومنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده
قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تقتدوا به فى اتباع الهوى فانه صريح فى ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم
الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى وانما الذى نزل
فيهم ما فى سورة المايدة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية وقرئ خطوات بسكون الطاء
وهما لغتان فى جمع خطوة وهى ما بين قدمى الخاطى وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو وبفتحتين على
انها جمع خطوة وهى المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهى اى ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الولاية
لمن يغويه ولذلك سمى وليا فى قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء استيناف لبيان كيفية عداوته
وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم فى ذلك والسوء فى الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة
اذا حزنه يطلق على جميع المعاصى سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها فى انها تسوء صاحبها والفحشاء
اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اى وبان تفتروا على الله تعالى بانه حرم
هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليقا مره بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى
لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة فى الزجر فان التحذير من الاول مع كونه فى القبح
والشناعة دون الثانى تحذير عن الثانى على ابلغ وجه وآكده وللايذان بان العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم
وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا
واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن فى طريقه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء

وتفصيل

وتفصيل مساوى احوالهم لهم على نهج المبائنة اى اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذى انزله قالوا
لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اى وجدنا عليه آباءنا على انه مفعول ثان له مقدم على الاول او على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من آبائنا والفينا
متعد الى واحد وما عبارة عن الدين نزلت فى المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى
من الحجج الظاهرة والآيات الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو
ذلك كتابا على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التوراة لانها
ايضا تدعو الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف مسوق من جهته تعالى ردا
لمقالتهم الحمقاء واظهارا لبطلان آرائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه لا لانكار الوقوع كما فى قوله
تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو فى امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشئ فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فلا يلاحظ
لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم
الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته
او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلأن
يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها
المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عطفا وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر فى الخبر الموجب
والمنفي والامر والنهي كما فى قولك فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطى ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو
اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من وروده للانكار عليه لكن الاصل
فى الكل واحد الا ان كلمة لو فى الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال ١
هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما فى حيز لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف
ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول
المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلى
انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدايرة وان ما فى حيز لو لا يقصد استبعاده
فى نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع الخاطبين على معتقدهم لئلا يلبسوا من
التصريح بنسبة آبائهم الى كمال الجهالة والضلالة جلد النمر فيركبوا متن العناد ومبالغة فى الانكار من جهة ان اتباعهم لآبائهم
حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون آبائهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى و
التقدير ايتبعون ذلك لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة فى حيز
النصب على الحالية من آبائهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون دين آبائهم حال كونهم
عاقلين وجاهلين ضالين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع على اى حالة كانت من الحالتين غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية
تنبيها على انها هى الواقعة فى نفس الامر وتعويلا على اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذى تعلق به الانكار
حين تحقق مع كون آبائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى ان قلت الانكار المستفاد
من الاستفهام الانكارى بمنزلة النفى ولا ريب فى ان الاولوية فى صورة النفى معتبرة بالنسبة الى النفى الا يرى ان الاولى
بالتحقق فيما ذكر من مثال النفى عند الحالة المسكوت عنها اعنى عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغى ان يكون
الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهى حالة كون آبائهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ
هو الذى يدل عليه ايتبعون الخ فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذى اريد بيان تحققه
على كل حال وذلك فى مثال النفى عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفى المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد
من الفعل المقدر اذ هو الذى يقتضيه الكلام السابق اعنى قولهم بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار
ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه كما فى صورة النفى وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه
كونه بمنزلة صريح النفى كما سيأتى تحقيقه فى قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على
معنى العطف فى ساير اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها
مضاف قد حذف لدلالة ما بعده عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضماير السابقة لذمهم بما فى حيز
الصلة وللاشعار بعلة ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القايل وحاله الحقيقة لغرابتها بان تسمى مثلا وتسير فى
الآفاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه راسا لانهماكهم فى التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة
وعدم فهمهم من جهة الداعى الا الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء
ونداء من البهايم فانها لا تسمع الا صوت الراعى وهتافه بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصو

الثانی للدلالة کلمة ما علیه فانها عبارة عنه مشعرة مع ما فی حیز الصلة بما هو مدار التمثیل ای مثل الذین کفروا فیما ذکر
من انهماکهم فیما هم فیه وعدم التدبر فیما القی الیهم من الایات کمثل بهایم الذی ینعق بها وهی لا تسمع منه الا جرس النغمة و
دوی الصوت وقیل المراد تمثیلهم فی اتباع ابائهم علی ظاهر حالهم جاهلین بحقیقتها بالبهایم التی تسمع الصوت ولا
تفهم ما تحته وقیل تمثیلهم فی دعائهم الاصنام بالناعق فی نعقه وهو تصویته علی البهایم وهذا یغنی عن الاضمار لکن
لا یساعده قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل عن ذلک وقد عرفت ان احسن التمثیل فیما تشابه افراد الطرفین
صم بکم عمی بالرفع علی الذم ای هم صم الخ فهم لا یعقلون شیئا لان طریق التعقل هو التدبر فی مبادی الامور المعقولة
والتامل فی ترتیبها وذلک انما یحصل باستماع آیات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من یوخذ منه العلوم فاذا
کانوا صما بکما عمیا فقد انسد علیهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالکلیة یا ایها الذین آمنوا کلوا من طیبات ما رزقناکم
ای من مستلذاته واشکروا لله الذی رزقکموها والالتفات لتربیة [illegible] ان کنتم ایاه تعبدون فان عبادته تعالی لا تتم الا بالشکر له
وعن النبی صلی الله علیه وسلم یقول الله عز وجل انی والانس والجن فی نبأ عظیم اخلق ویعبد غیری وارزق ویشکر غیری
انما حرم علیکم المیتة ای اکلها او الانتفاع بها وهی التی ماتت علی غیر ذکوة والسمک والجراد خارجان عنها بالعرف
او استثناء الشرع خروج الطحال من الدم والدم ولحم الخنزیر انما خص لحمه مع ان سایر اجزائه ایضا فی حکمه لانه
معظم ما یوکل من الحیوان وسایر اجزائه بمنزلة التابع له وما اهل به لغیر الله ای رفع به الصوت عند ذبحه للصنم
والاهلال اصله رؤیة الهلال لکن لما جرت العادة برفع الصوت بالتکبیر عندها سمی ذلک اهلالا ثم قیل لرفع الصوت
وان کان لغیره فمن اضطر غیر باغ بالاستیثار علی مضطر آخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقیل غیر باغ علی الوالی ولا
عاد بقطع الطریق وعلی هذا لا یباح للعاصی بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعی وقول احمد رضی الله عنهما فلا اثم علیه
فی تناوله ان الله غفور لما فعل رحیم بالرخصة ان قیل کلمة انما تفید قصر الحکم علی ما ذکر وکم من حرام لم یذکر قلنا
المراد قصر الحرمة علی ما ذکر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته علی حالة الاختیار کانه قیل انما حرم علیکم هذه الاشیاء ما لم
تضطروا الیها ان الذین یکتمون ما انزل الله من الکتاب المشتمل علی فنون الاحکام التی من جملتها احکام المحللات والمحرمات
حسبما ذکر آنفا وقال ابن عباس رضی الله عنهما نزلت فی رؤساء الیهود حین کتموا نعت النبی صلی الله علیه وسلم ویشترون
به ای یاخذون بدله ثمنا قلیلا عوضا حقیرا وقد مر سر التعبیر عن ذلک بالثمن الذی هو وسیلة فی عقود المعاوضة وقوله تعالی
اولئک اشارة الی الموصول باعتبار اتصافه بما فی حیز الصلة من الوصفین الشنیعین الممیزین لهم عمن عداهم اکمل تمییز الجاعلین
ایاهم بحیث کانهم حضار مشاهدون علی ما هم علیه وما فیه من معنی البعد للایذان بغایة بعد منزلتهم فی الشر والفساد
وهو مبتدأ خبره قوله تعالی ما یاکلون فی بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدأ ثان او بدل من الاول
والخبر ما یاکلون الخ ومعنی اکلهم النار انهم یاکلون فی الحال ما یستتبع النار ویستلزمها فکانه عین النار واکله اکلها کقوله
اکلت دما ان لم ارعک بضرة بعیدة مهوی القرط طیبة النشر او یاکلون فی المآل یوم القیمة عین النار عقوبة علی اکلهم
الرشی فی الدنیا وفی بطونهم متعلق بیاکلون وفایدته تاکید الاکل وتقریره ببیان مقر الماکول وقیل معناه ملء بطونهم
کما فی قولهم اکل فی بطنه واکل فی بعض بطنه ومنه کلوا فی بعض بطنکم تعفوا فلا بد من الالتجاء الی تعلیقه بمحذوف
وقع حالا مقدرة من النار مع تقدیمه علی حرف الاستثناء والا فتعلیقه بیاکلون یودی الی قصر ما یاکلونه الی الشبع علی
النار والمقصود قصر ما یاکلونه مطلقا علیها ولا یکلمهم الله یوم القیمة عبارة عن غضبه العظیم علیهم وتعریض بحرمانهم
ما اتیح للمومنین من فنون الکرامات السنیة والزلفی ولا یزکیهم لا یثنی علیهم ولهم مع ما ذکر عذاب الیم مولم اولئک
اشارة الی ما اشیر الیه بنظیره بالاعتبار المذکور خاصة لا مع ما یتلوه من احوالهم الفظیعة اذ لا دخل لها فی الحکم الذی یراد
اثباته ههنا فان المقصود تصویر ما باشروه من المعاملة بصورة قبیحة تنفر منها الطباع ولا یتعاطاها عاقل اصلا ببیان
حقیقة ما نبذوه واظهار کنه ما اخذوه وابانة فظاعة تبعاته وهو مبتدأ خبره الموصول ای اولئک المشترون بکتاب
الله عز وجل ثمنا قلیلا لیسوا بمشترین للثمن وان قل بل هم الذین اشتروا بالنسبة الی الدنیا الضلالة التی لیست مما یمکن
ان یشتری قطعا بالهدی الذی لیس من قبیل ما یبذل بمقابلة شیء وان جل والعذاب ای اشتروا بالنظر الی الآخرة
العذاب الذی لا یتوهم کونه مما یشتری بالمغفرة التی یتنافس فیها المتنافسون فما اصبرهم علی النار تعجب من حالهم
الهایلة التی هی ملابستهم بما یوجب النار ایجابا قطعیا کانه عینها وما عند سیبویه نکرة تامة مفیدة لمعنی التعجب مرفوعة
بالابتداء وتخصصها کتخصص شیء فی شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها ای شیء عظیم جعلهم صابرین علی النار وعند الفراء
استفهامیة وما بعدها خبرها ای ای شیء اصبرهم علی النار وقیل هی موصولة وقیل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف
ای الذی اصبرهم علی النار او شیء اصبرهم علی النار امر عجیب فظیع ذلک العذاب بان الله نزل الکتاب ای جنس الکتاب
بالحق ای ملتبسا به فلا جرم یکون من رفضه بالتکذیب والکتمان ورکب متن الجهل والغوایة مبتلی بمثل هذا من افانین
العذاب وان الذین اختلفوا فی الکتاب ای فی جنس الکتاب الالهی بان آمنوا ببعض کتب الله تعالی وکفروا ببعضها او فی التوریة

بان

بان آمنوا ببعض آیاتها وکفروا ببعض کالایات المغیرة المشتملة علی امر بعثة النبی صلی الله علیه وسلم ونعوته الکریمة فمعنی
الاختلاف التخلف عن الطریق الحق او الاختلاف فی تاویلها او فی القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم
اساطیر کما حکی عن المفسرین لفی شقاق بعید عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب لیس البر ان تولوا وجوهکم قبل
المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضی الخصال والخطاب لاهل الکتابین فانهم کانوا اکثروا الخوض فی امر القبلة حین حولت
الی الکعبة وکان کل فریق یدعی خیریة التوجه الی قبلته من القطرین المذکورین وتقدیم المشرق علی المغرب مع تاخر زمان
الملة النصرانیة اما لرعایة ما بینهما من الترتیب المتفرع علی ترتیب الشروق والغروب واما لان توجه الیهود الی المغرب
لیس لکونه مغربا بل لکون بیت المقدس من المدینة واقعا فی جانب الغرب فقیل لهم لیس البر ما ذکرتم من التوجه الی تینک الجهتین
علی ان البر خبر لیس مقدما علی اسمها کما فی قوله سلی ان جهلت الناس عنی وعنهم فلیس سواء عالم وجهول وقوله الیس عظیما
ان تلم ملمة ولیس علینا فی الخطوب معول وانما اختیر ذلک لما ان المصدر المؤول اعرف من المحلی باللام لانه یشبه الضمیر من
حیث انه لا یوصف ولا یوصف به والاعرف احق بالاسمیة ولان فی الاسم طولا فلو روعی الترتیب المعهود لفات تجاوب
اطراف النظم الکریم وقرئ برفع البر علی انه اسمها وهو اقوی بحسب المعنی لان کل فریق یدعی ان البر هذا فیجب ان یکون
الرد موافقا لدعواهم وما ذلک الا بکون البر اسما کما یفصح عنه جعله مخبرا عنه فی الاستدراک بقوله عز وجل ولکن البر من آمن
بالله وهو تحقیق للحق بعد بیان بطلان الباطل وتفصیل لخصال البر ما لا یختلف باختلاف الشرایع وما یختلف باختلافها
ای ولکن البر المعهود الذی یحق ان یهتم بشانه ویجد فی تحصیله بر من آمن بالله وحده ایمانا بریا من شایبة الاشراک
لا کایمان الیهود والنصاری المشرکین بقولهم عزیر ابن الله وقولهم المسیح ابن الله والیوم الآخر ای علی ما هو علیه لا کما
یزعمون من ان النار لا تمسهم الا ایاما معدودة وان آباءهم الانبیاء یشفعون لهم ففیه تعریض بان ایمان اهل الکتابین
حیث لم یکن کما ذکر من الوجه الصحیح لم یکن ایمانا فی تعلیق البر بهما آنفا ولما امر عقیب تغییره عن التوجه الی المشرق والمغرب
من الجزالة ما لا یخفی کانه قیل ولکن البر هو التوجه الی المبدأ والمعاد اللذین هو المشرق والمغرب فی الحقیقة والملائکة
ای وآمن بهم وبانهم عباد مکرمون متوسطون بینه تعالی وبین انبیائه بالقاء الوحی وانزال الکتب والکتاب ای بجنس
الکتاب الذی من افراده الفرقان الذی نبذوه وراء ظهورهم وفیه تعریض بکتمانهم نعوت النبی صلی الله علیه وسلم
واشترائهم بما انزل الله تعالی ثمنا قلیلا وآتی المال علی حبه حال من الضمیر فی آتی والضمیر المجرور للمال الذی آتاه کاینا
علی حب المال کما فی قوله صلی الله علیه وسلم حین سئل ای الصدقة افضل ان توتیه وانت صحیح شحیح وقول ابن مسعود رضی الله
عنه ان توتیه وانت صحیح شحیح تامل العیش وتخشی الفقر ولا تمهل حتی اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان کذا ولفلان
کذا وقیل الضمیر لله تعالی ای آتاه کاینا علی محبته تعالی لا علی قصد الشر والفساد ففیه نوع تعریض لباذلی الرشی
وآخذیها لتغییر التوریة وقیل للمصدر ای کاینا علی حب الایتاء ذوی القربی مفعول اول لآتی قدم علیه مفعوله الثانی
اعنی المال للاهتمام به او لان فی الثانی مع ما عطف علیه طولا لو روعی الترتیب لفات تجاوب الاطراف فی الکلام وهو
الذی اقتضی تقدیم [illegible] ایضا وقیل هو المفعول الثانی والیتامی [illegible]
[illegible] والمساکین جمع مسکین [illegible]
[illegible] وابن السبیل [illegible] والسائلین
[illegible] وفی الرقاب [illegible]
فی [illegible] الرقاب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] واقام الصلوة [illegible] وآتی الزکوة [illegible]
[illegible]
[illegible] والموفون بعهدهم [illegible]
[illegible]
[illegible] اذا عاهدوا [illegible] والصابرین [illegible]
تنبیها علی فضیلة الصبر ومزیته [illegible]
فی بعضها الاعراب [illegible]
[illegible] فی الباساء [illegible] والضراء
ای المرض والزمانة وحین الباس ای وقت مجاهدة العدو فی مواطن الحرب [illegible]
[illegible] اولئک اشارة الی المذکورین باعتبار اتصافهم بالنعوت [illegible]

من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا اى فى الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم الاحوال و
لم تزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير
للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما
انها مع تكثر فنونها وتشعب شجونها منحصرة فى خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس
وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف الحائزون
لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم
من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع فى بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافى
لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التى عليها بنى اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اى فرض والزم
عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولى على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام او القاتلين
القصاص فى القتلى اى بسبب قتلهم كما فى قوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها اى بسبب ربطها
اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول
على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فأمرهم ان يتباوأوا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعى ايضا الا ان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر
للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رأيت الوجه ههنا وانما يتمسك فى ذلك هو ومالك رضى
الله عنهما بما روى على رضى الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده
وبما روى عنه رضى الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضى الله
عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله
تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة
لنا ولان القصاص يعتمد المساواة فى العصمة وهى بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل
ونصب القصاص فمن عفى له من اخيه شئ اى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو
بمنزلة كله فى اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا فى العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شئ من العفو
وقيل معنى عفى ترك وشئ مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما فى قول
من قال ديار عفاها جور كل معاند وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال فيكون المعنى فمن محى له من اخيه شئ
صرف للعبارة المتداولة فى الكتاب والسنة على معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفى استعمال الناس
فانهم لا يستعملون العفو فى باب الجنايات الا فيما ذكر من قبل وعفا يعدى بعن الى الجانى والذنب قال تعالى عفا
الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة
اخيه يعنى ولى الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بنى آدم عليه السلام لتحريك سلسلة
الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافى بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف
من غير تعنيف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها باحسان من غير مماطلة وبخس ذلك
اى ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم
العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم اما
فى الدنيا فالاقتصاص بما قتله بغير حق واما فى الآخرة فبالنار ولكم فى القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه
بديع لا تنال غايته حيث جعل الشئ محلا لضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما
لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل
والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه
اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بالحيوة هى الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الآخرة
والظرفان اما خبران لحيوة او احدهما خبر والآخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ فى القصص اى فيما قص عليكم
من حكم القتل حيوة او فى القرآن حيوة للقلوب يا اولى الالباب اى ذوى العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا
بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التامل فى حكمة القصاص لعلكم تتقون اى تتقون انفسكم
من المساهلة فى امره والاهمال فى المحافظة عليه والحكم به والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدى
اليه كتب عليكم بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه وظهر اماراته او دنا
نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها ان ترك خيرا اى مالا
وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى

ان ترك

ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار
فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصى فسألته كم مالك فقال ثلثة الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت
انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب اخر عما
بينهما لما مر مرارا وايثار تذكير الفعل مع جواز تأنيثه ايضا للفصل او على تأويل ان يوصى او الايصاء ولذلك ذكر الضمير
فى قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه والعامل فى اذا مدلول كتب لكن لا من حيث صدوره عنه تعالى بل من
حيث تعلقه بهم تعلقا تعليقيا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ لجعل العامل
هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما فى قوله تعالى من يفعل الحسنات
الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول
آية المواريث بقوله عليه السلام ان الله قد اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الآحاد
لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم فى سلك المتواتر فى صلاحيته للنسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ
حقيقة هى آية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى كان قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين
والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك
الى آرائكم حيث قال بالمعروف اى بالعدل فالآن قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى تبيين طبقات استحقاق كل واحد
منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذى حق منهم حقه الذى يستحقه بحكم القرابة من غير نقص
ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرأيكم اصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها
بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان ما قيل من ان آية المواريث لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها
تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقى الامة اياها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز
عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او
بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية للوارث
كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت آية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها
تنبيه النبى صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية التى كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك
الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان
مدلول آية الوصية حيث كان تفويض الامر الى آراء المكلفين على الاطلاق وتسليطهم للخروج عن عهدة التكليف باداء
ما ادى اليه آراؤهم بالمعروف فكون آية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القطعية
بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على احد وقوله تعالى حقا على
المتقين مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا فمن بدله اى غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اى بعد ما وصل
اليه وتحقق لديه فانما اثمه اى اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع
الموصول فى موضع الضمير الراجع الى من لتأكيد الايذان بعلية ما فى حيز الصلة الاولى وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين
انواعا او كثرتهم افرادا او الايذان بشمول الاثم لجميع الافراد ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف
من موص اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرئ من موص جنفا اى ميلا بالخطأ فى الوصية او اثما اى
تعمدا للحيف فاصلح بينهم اى بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة فلا اثم عليه اى فى هذا التبديل لانه
تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس
ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء
به والصيام والصوم فى اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم
الآية وقيل هو الامساك عن الشئ مطلقا ومنه صامت الريح اى امسكت عن الهبوب والفرس اى امسكت عن العدو
قال خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفى الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات
المعهودة التى هى معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب فى حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اى كتبا كائنا كما كتب
او على انه حال من المصدر المعرفة اى كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت
لمصدر من لفظ الصيام اى صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اى حال كونه
مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب
فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة فى اصل الوجوب واما فى
الوقت والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته وصامت يوما من
السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا فى ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى

كما دفي احزانه نسويًا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة
ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون
اى المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون
الاخلال بادائه لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان
القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ بعد صوم عاشورا
وثلثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبى بل بمضمر دل عليه اعنى صوموا
اما على الظرفية او المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا له
بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اى مرضا يضره الصوم او
يعسر معه او على سفر مستمرين عليه وفيه تلويح ورمز الى ان من سافر في اثناء اليوم يفطر فعدة اى فعليه صوم عدة
ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور وقرى بالنصب اى فليصم عدة وهذا
على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضى الله عنه وعلى الذين يطيقونه اى وعلى
المطيقين للصيام ان افطروا فدية اى اعطاء فدية وهى طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند
اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فا
شتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرى يطوقونه اى يكلفونه او يقلدونه ويتطوقونه ويطوقونه بادغام التاء
في الطاء ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها
ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثانى يكلفونه اى يتكلفونه على جهد
منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هولاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى
يطيقونه اى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اى التطوع او الخير الذى
تطوعه خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتجهدوا عن انفسكم وتجهد واطاقتكم او المرخصون في
الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات
الى الخطاب للهز والتنشيط ان كنتم تعلمون اى ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف
ثقة بظهوره اى اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبير علمتم ان الصوم خير من ذلك
شهر رمضان مبتدا بيانى خبره او خبر لمبتداء محذوف اى ذلك شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف
اى صيام شهر رمضان وقرى بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول تصوموا او بدل من اياما معدودات
ورمضان مصدر رمض اى احترق من الرمضاء فاضيف الى الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف و
النون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن
من الالتباس وانما سمى بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه
في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذى انزل فيه القران خبر للمبتدا على الوجه الاول وصفة
لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه انه ابتدى انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى
السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما يقتضيه المشيئة الربانية او انزل في شانه القران وهو قوله عز وجل كتب
عليكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين منه والانجيل
لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان من القران اى انزل حال كونه هداية للناس
بما فيه من الاعجاز وغيره وايات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد
منكم الشهر اى حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع
والترتيب او لتضمن المبتدا معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدا والموصول صفة له وهذه الجملة
خبر له وقيل هى جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اى فليصم فيه بحذف الجار
وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقوله شهدت الجمعة
اى صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا وان كان حاضرا فيه او على سفر وان كان صحيحا فعدة
من ايام اخر اى فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه
كما نسخ قرينه يريد الله بهذا الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رافته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله
على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اى وشرع هذه الامور شرع ما مر من امر الشاهد
بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر
بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير

بعلى

بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان تكون معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم
او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اى بريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفئوا الخ والمعنى
بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدرية والموصولة
اى على هدايتكم اياكم او على الذى هداكم اليه وقرى ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادى عنى في تلوين الخطاب وتوجيهه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله فانى قريب اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال
علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد
للداعى بالاجابة فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم وليؤمنوا بى امر بالثبات
على ما هم عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد اى الحق وقرى بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تعالى
بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الكريمة الدالة على انه تعالى
خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام
فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا
العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضى الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه
فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى يصبح منها صائما والرفث كناية
عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء والانهاء
وايثاره هاهنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمى خيانة وقرى الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل لما
مر مرارا من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عند ها وقت وروده فضل تمكن
هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة
بهن وجعل كل من الرجال والمراة لباسا للاخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الاخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت وكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
استيناف اخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها
بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اى تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا
عنكم اى محا اثره عنكم فالآن لما نسخ التحريم باشروهن المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع الذى
يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب للسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اى واطلبوا ما قدره الله لكم وقرره في
اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة وقيل فيه نهى عن العزل
وقيل عن غير الماتى والتقدير واتبعوا المحل الذى كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان
الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل
ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى
خيطين ابيض واسود وطفقوا ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان و
تاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى
تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان
لآخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اى معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف
فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض دون
بعض وان الوطء فيه حرام ومفسد له لان النهى في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اى الاحكام المذكورة
حدود وضعها الله تعالى لعباده فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة
في النهى عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع
فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه كذلك اى مثل ذلك التبيين البليغ يبين الله اياته الدالة
على الاحكام التى شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهى عن اكل
بعضهم اموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهى عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان اى لا ياكل بعضكم
مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها الى الحكام عطف
على المنهى عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم اليهم فريقا
من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون

فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له
بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه السلام ان الذين يشترون بعهد
الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال
عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه
فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا
ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقال ما بال الهلال
يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج كانوا سألوه عليه
السلام عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة في ذلك
ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما
يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة
الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحاضر والمستقبل والوقت الزمان المفروض
لامر وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون
ويخرجون من نقب او فرجة وراءها ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى
المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من
افعالهم في الحج استطرادا او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرائع
لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكر جواب ما سألوا عنه تنبيها على ان
اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال وكونه من قبيل
دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله وأتوا
البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول برا وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه او في جميع
اموركم امر بذلك صريحا بعد بيان ان البر بر من اتقى اظهارا لزيادة اعتناء بشان التقوى وتمهيدا لقوله تعالى
لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم
الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشان المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين وبصدد الاول ما روي ان المشركين
صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى
ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت
ويعضده ايراده في اثناء بيان احكام الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة
او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم ان الله لا يحب المعتدين اي لا يريد بهم
الخير وهو تعليل للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم من حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك
الشيء علما او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها والفتنة اشد من القتل
اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء تالم النفس بها
وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتل
هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم ثمة فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم
الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة
بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا
بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما راوا قتالكم
فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان
فيه نصيب فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم
الا لمن ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام
بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة ايضا
وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذلك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص اي كل حرمة

وهي

وهي مما يجب المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم
ان قاتلوكم كما قال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله في شان
الاقتصاد واحذروا ان تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين
وانفقوا في سبيل الله امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اي لا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده
ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا
نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل
انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس
والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي والهلك والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا
تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اي اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على
الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد بهم الخير وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب اتمام افعالهما
عند التصدي لادائهما وارشاد الناس الى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير
تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى
الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى ولله على
الناس حج البيت الآية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل
على وجوب العمرة قطعا وادعاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين كاملين حسبما يقتضيه قراءة واقيموا الحج
والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج للقرون
حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغي من غير تعرض
لحالهما في انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال
منكم بشيء منهما هذا وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود
رضي الله تعالى عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل هو جعل
نفقتهما حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض في
الآية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روي ان ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العمرة لقرينة الحج وقول
عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما وفي رواية
فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا بما روي عن جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة
مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر فان احصرتم اي منعتم من
الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو وعند
مالك والشافعي رضي الله عنهما لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر
الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من
كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر
والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند
الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى
ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر
فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما ومرجعهم في ذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره عليه السلام طرف الحديبية الذي
الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي
الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي
وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا محوجا الى الحلق او به اذى من راسه
كجراحة او قمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي
انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق
بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة آصع فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع
بالعمرة الى الحج اي فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع
بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر عليه

لسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية فمن لم يجد اى الهدى
فصيام ثلثة ايام في الحج اى في اشهره بين الاحرامين قال الشافعي في ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقبل التحلل
والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اى نفرتم وفرغتم
من اعماله وفي احد قولي الشافعي اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة
الحساب وفايدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا
فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا كاملة صفة
موكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة لكمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد
وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى ذلك اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعي لمن
لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان منسكه وراء الميقات
عندنا واهل الحل عند طاوس وغير اهل مكة عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في الحج
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية
المهابة وادخال الروعة الحج اى وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة
عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعمال
مناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح
الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل واطلاقا للجمع على
ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء تجي بالالف والتاء فمن فرض فيهن الحج اى اوجبه على نفسه
بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدى فلا رفث ولا فسوق اى لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج من
حدود الشرع بارتكاب المحظور وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ولا جدال اى لا مراء مع الخدم والرفقة في الحج
اى في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم
والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على ان
ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج افحش كلبس الحرير في الصلوة
والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى
لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف
ساير العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزي
به خير جزاء وهو حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر وتزودوا فان خير الزاد التقوى اى تزودوا لمعادكم التقوى فانه
خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا
ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار
خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرؤا من كل شي
وهو مقتضى العقل المعري عن شوايب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولو الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا
اى في ان تبتغوا اى تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اى الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو
المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت
فاذا افضتم من عرفات اى دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف
المفعول حذفه من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه علمية وتانيث لما ان تنوين
الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف
وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما بالتاء المذكورة وهي ليست بتاء التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع
المونث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تابى تقديرها لما انها كالبدل منها لاختصاصها بالمونث
كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام كان يدور
به في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء
المرتجلة الا ان يجعلها جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامورة
بها بقوله تعالى ثم افيضوا وبقوله النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر
المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة
العشاء بين عند المشعر الحرام هو جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول
ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم

يزل

يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب
منه فانه افضل والا فالمزدلفة موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم اى كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا
كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته اياكم لمن الضالين
غير العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل هي نافية واللام بمعنى الا كما في قوله عز وعلا
وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون
بجمع وساير الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك
احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناسي
بكسر السين اى الناسي على ان يراد به آدم عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم
فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو
تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم اى
فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا في ذلك كما تفعلون بذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم و
قفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر
بجعله ذكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه
بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد
مذكورية من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم فمن الناس تفصيل للذاكرين
الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الآخرين
من يقول اى في ذكره ربنا آتنا في الدنيا اى اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة
من خلاق اى من حظ ونصيب لاقتصار همه على الدنيا فهو بيان لحاله في الآخرة او من طلب خلاق فهو بيان
لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة هي الصحة والكفاف
والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة هي الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وروى عن علي كرم الله وجهه
ان الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا
العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المودية الى النار اولئك اشارة
الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة الى علو
درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى
الثاني للتنويع اى لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به
نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لما انه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة
اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شان قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس
فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله اى كبروه في اعقاب الصلوة وعند ذبح القرابين ورمي
الجمار وغيرها في ايام معدودات هي ايام التشريق فمن تعجل اى استعجل في النفر او النفر فان التفعل والاستفعال
يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتاخر كما في قوله قد
يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل في يومين اى في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم
الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار فلا اثم عليه بتعجيله ومن تاخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال
او بعده وعند الشافعي بعده فقط فلا اثم عليه بما صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح فيه
افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين في موثم المتعجل وموثم المتاخر
لمن اتقى خبر لمبتدأ محذوف اى الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج
على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك
المحظورات ليعبا بكم وتنتظموا في سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والرخص او احذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام
وهو الانسب بقوله عز وجل واعلموا انكم اليه تحشرون اى للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر
الجمع وضم المتفرق وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك
من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى ومن الناس من يعجبك قوله تجريد للخطاب وتوجيه له عليه السلام وهو كلام مبتدا
سيق لبيان تحزب الناس في شان التقوى الى حزبين وتعيين مآل كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما
بين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اى ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في
نفسك لما تشاهد فيه من ملاءمة الفحوى ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب

ما يعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اي ما يقوله في حق الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريد بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى ان له قولا آخر ليس بهذه الصفة او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحته لا في الآخرة لما انه يظهر هنالك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا مبالغة حينئذ في سوء حاله فان ماله بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل يعني في الحيوة الدنيا انه لحب الحيوة الدنيا اي لا يصدر منه فيها الا القول الحسن ويشهد الله على ما في قلبه اي بحسب ادعائه حيث يقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما والله يشهد على ما في قلبه على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو الد الخصام اي شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت العذر او اشد الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا تولى اي من مجلسك وقيل اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد اي لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من تعاطاه وهو اعتراض تذييلي واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما تباشره من الفساد او النفاق واحذر سوء مغبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدأ وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدأ وخبر كما مر اي يبيعها ببذلها في الجهاد وشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب على القتل ابتغاء مرضات الله اي طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده قسيما للاول من حيث ان ذلك يأنف من الامر بالتقوى وهذا يامر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله فاتى المدينة فيشري حينئذ بمعنى يشتري لجريان الحال على صورة الشراء والله رؤف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم اي الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله خرجت بها تمشي تجر وراءنا على اثرينا ذيل مرط مرحل وهي في الاصل اسم لجماعة تكف مخالفيها ثم استعمل في معنى جميعا وتاؤها ليست للتانيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرايع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الآن ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهرها وهو تعليل للنهي او الانتهاء فان زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج القطعية الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مواخذة المجرمين المتعصين على اوامره هل ينظرون استفهام انكاري في معنى النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه الا ان ياتيهم الله اي امره وباسه او ياتيهم الله بامره وباسه فحذف الماتي به لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل في جمع قلة

وهي

وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال في جمع قلة من الغمام اي السحاب الابيض وانما اتاهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل اي ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الآتون بباسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتي اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل والغمام وقضي الامر اي اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة مستانفة جيء بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتانيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء عليهم السلام او آية ناطقة بحقية الاسلام المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن يبدل نعمة الله التي هي آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او بتحريفها وتاويلها الزائغ من بعد ما جاءته ووصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعدما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله تعالى سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شيء الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا هم الذين آمنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيمة لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم في الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الخ وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب الذي علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين بين الناس اي المذكورين والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام اي فاختلفوا او وما اختلف فيه الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الاعنة كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلق به من اي اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما وفي ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى

الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا
لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم السلم
ودو بين فيه مآل اختلافهم وما لقى الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدايد ومقاساة الهموم وان عاقبة
امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد اى بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم من الانبياء ومن معهم من المؤمنين اى والحال انه لم ياتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال
الهايلة التى هى مثل فى الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن
كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اى الشدة من الخوف والفاقة والضراء اى الالام والامراض وزلزلوا
اى ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين امنوا معه اى انتهى امرهم من
الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى واوثقهم بنصره والمؤمنون
المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره متى اى متى ياتى نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء
وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية
كيف لا والرسل مع علو كعبهم فى الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان الامر
بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اى فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب
القرب الزمانى وفى ايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتاكيد من الدلالة
على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما انها فى حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف
ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكى وفيه رمز الى
ان الوصول الى الجناب القدسى لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلم حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون اى من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية
واما موصولة حذف العايد اليها اى ما انفقتموه من خير اى خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع المال
وبيان لما فى السؤال الا انه جعل من جملة ما فى حيز الشرط او الصلة وابرز فى معرض البيان المصرف حيث قيل فللوالدين
والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه فى موقعه عن
ابن عباس رضى الله عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا
واين نضعها فنزلت واليتامى والمساكين وابن السبيل اى المحتاجين منهم ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما
ذكر فى المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع فى اى مصرف
كان فان الله به عليم فيوفى ثوابه وليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كما نقل عن السدى كتب عليكم القتال
بناء الفعل للمفعول ورفع القتال اى قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب
عليكم القتل اى قتل الكفرة والواو فى قوله تعالى وهو كره لكم حالية اى والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر
وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف
او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التى من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على
ان فى القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله
لا محل للجملتين من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يامركم به وانتم لا تعلمون اى لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او
والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا فى ذلك رايكم وامتثلوا امره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصدوا
عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة
الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام
شهرا يامن فيه الخايف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم
ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن
ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار والمسلمون
عن القتال فى الشهر الحرام على ان قوله عز وجل قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق
القتال الواقع فى الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام وقرئ عن قتال
فيه بتكرير العامل كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه قل فى جوابهم قتال فيه كبير جملة

من

من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف
وقع صفة له اى قتال كاين فيه واما بالعمل ان تعلق به وايثار التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد
مطلق القتال الواقع فيه اى قتال كان عن عطاء انه سئل عن القتال فى الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا
فى الحرم ولا فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده اى ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى
وكفر به عطف على صد عامل فيما بعده مثله اى وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد
الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور فى حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبى محض
وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اى وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهو النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
منه اى من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة اى كبائر السائلين اكبر عند الله
مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وافعل يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة
اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل اى افظع من قتل الحضرمى
ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة فى الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم
الباطل واضافة الدين اليهم لتذكيرنا كون ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا اشارة
الى تصلبهم فى الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد ومن يفعل ذلك
باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب فى الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد فاولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد
منزلتهم فى الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى اى اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة
التى كانوا عملوها فى حالة الاسلام حبوطا لا تلافى له قطعا فى الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية و
الاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبايح اصحاب النار اى ملابسوها وملازموها هم فيها
خالدون كداب ساير الكفرة ان الذين آمنوا نزلت فى اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين
هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شان الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان فى تحقيق الرجاء
اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادى الفوز رحمة الله اى ثوابه اثبت لهم الرجاء دون الفوز
بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان فى فوزهم اشتباها
والله غفور مبالغ فى مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها
يسألونك عن الخمر والميسر توارد فى شان الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضى الله عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن
عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فقام احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن وقاص فى نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا حتى
انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم
بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا يا رب
وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة منها فى بئر فبنيت فى مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف
فنبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضى الله عنه لو ادخلت اصبعى فيها لم تتبعنى وهذا هو الايمان والتقى حقا رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اى ستره سمى به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها
العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما اى تحجزهما والميسر مصدر ميمى من يسر كالموعد
والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب
له وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هى الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل
والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية و
عشرين الا الثلثة هى المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس
خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها فى الربابة وهى خريطة ويضعونها على يدى عدل ثم يجلجلها ويدخل يده
فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج
له من تلك الثلثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون
بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفى حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبى

صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج
من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما قل فيهما اثم كبير
اي في تعاطيهما ذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال ومنافع
للناس من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم
بيان اثمه ووصفه بالكبر وتاخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق
به قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما
ويسألونك ماذا ينفقون عطف على يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي اي شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن
الجموح ايضا سال اولا عن اي جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سال ثانيا من
اي اصنافها ينفق امن خيارها ام من غيرها او سال عن مقدار ما ينفقه فقيل قل العفو بالنصب اي ينفقون العفو
او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اي الذي ينفقونه العفو قال
الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطا
والسدي وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل
وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض
عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فاخذها فحذفها حذفا لو اصابته لشجته ثم قال
ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل
الآتي وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في
سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين
باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي مثل
ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في اجوبة الاسئلة المارة يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام الشرعية
المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي يبين الآيات تنزيلها مبينة
الفحوى واضحة المدلول لا انه تعالى بينها بعد ان كانت مشتبهة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون
كي تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق اما بيبين اي يبين
لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة الآيات واما بمحذوف وقع حالا من الآيات اي يبينها لكم كائنة فيهما اي مبينة للاحكام
المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل لمزيد الاعتناء بشان التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون اي تتفكرون في الامور
المتعلقة بالدنيا والآخرة في الاحكام الواردة في اجوبة الاسئلة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون
عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة
فذلك اشارة الى ما مر من البيانات كلا او بعضا لا الى مصدر ما بعده فانه فعل مستقل ليس بعبارة عن تلك
البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد في الاجوبة المذكورة يبين الله لكم الآيات والدلائل
لعلكم تتفكرون في اموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتاخذون ما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم
حسبما يقتضيه تلك الآيات المبينة ويسألونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روي انه لما نزلت ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية تحامى الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله
عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي التعرض لاحوالهم واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم
وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم اي في الدين الذي هو اقوى من العلاقة النسبية ومن
حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم
بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز اي يعلم من يفسد في امورهم عند المخالطة او من يقصد
بمخالطته الخيانة والافساد مميزا له ممن يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ففيه وعد ووعيد
خلا ان في تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيدا للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء ان يعنتكم اي يكلفكم
ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب على امره لا يعز عليه امر من
الامور التي من جملتها اعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله عز وجل حكيم اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه
الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات
اي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح اي لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن اما ما يعم
الكتابيات ايضا حسبما تقتضيه عموم التعليلين الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب

من

من قبلكم واما غير الكتابيات فهي ثابتة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها
ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت
هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستامره فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة تعليل للنهي عن
مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التاكيد مبالغة في الحمل على
الانزجار واصل امة اموة حذفت لامها على غير قياس وعوض عنها تاء التانيث بدليل كون لامها واوا رجوعها الى الجمع قال الكلابي
اما الاماء فلا يدعونني ولدا اذا ترامى بنو الاموان بالعار وظهورها في المصدر يقال هي امة بينة الاموة واقرت له بالاموة
وقد وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف اي ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين
والدنيا من مشركة اي امراة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان ولو اعجبتكم قد مر ان كلمة لو في امثال هذه المواقع
ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انصباب المعنى
على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها
على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق
مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال
كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المآل ولامة مؤمنة خير من امراة مشركة حال
عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادي الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اي على كل حال
وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه فلان تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية
وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان يكون الجملة
الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على
الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر او اماء حتى يؤمنوا ويتركوا ما هم عليه من الكفر ولعبد مؤمن
مع ما به من المملوكية خير من مشرك مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة الى ذاته او
صفاته اولئك استئناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اي اولئك المذكورون من المشركات والمشركين يدعون من يقارنهم
ويعاشرهم الى النار اي الى ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم والله يدعو بواسطة
عباده المؤمنين من يقارنهم الى الجنة والمغفرة اي الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة
مع ان حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء باذنه متعلق بيدعو اي يدعو ملتبسا بتوفيقه الذي من
جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة ويبين آياته المشتملة على الاحكام الفائقة
والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل
معنى والله يدعو واولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان
الضمير في المعطوف على الخبر اعني قوله تعالى ويبين لله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة
والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين
الواقعتين خبرا للمبتدا لكن يفوت ح حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما
اوضحناه اولا وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما في الاحكام السابقة ويسألونك عن المحيض عطف
على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع
كل من ذلك في وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجيء والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا
يواكلونهن كداب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله عليهم
فنزلت قل هو اذى اي شيء يستقذر منه ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن
في حالة المحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب
قليلة فان آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا
مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه
على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رحمه الله فان كان ذلك في اكثر
المدة حل القربان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او من مضي وقت صلوة وعند الشافعي رضي الله عنه ان يغتسلن بعد
الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد ويعضده قوله عز وجل فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فاتوهن من حيث امركم
الله من الماتى الذي حلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر

الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس
لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم حرث لكم اي مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن
وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه فاتوا حرثكم لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان
وهو بيان لقوله تعالى فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امراته
في قبلها من دبرها ياتي ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم اي ما يدخر لكم الثواب
وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الامور واعلموا
انكم ملاقوه فتزودوا لتحصيل ما تنتفعون به ح واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا
به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور
التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما فيه من تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة
في تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه
بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث
الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا منه كما يقال فلان
عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما في قوله فلا تجعلوني عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعا للامور
الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها بها كما في قوله عليه السلام لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين
فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم
او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة لما فيها من
معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي برزخا حاجزا بان تحلفوا به تعالى
على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجزها بما ذكر من الحلف به تعالى على تركها
وقد جوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الى آخره بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت
خبير بانه يؤدي الى الفصل بين العامل ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه
بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا
علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة
بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع يسمع ايمانكم عليم يعلم نياتكم فحافظوا على ما
كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد في الايمان ما لا عقد معه
ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعنى بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند
الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا
يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من
اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكم
بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا
من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ
وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هي التي يتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من
نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمنه معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من
نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من
نسائهم والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق
ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليها في المدة بالوطء ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر
ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف
الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاؤا اي رجعوا من اليمين بالحنث
والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله
غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبته اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المراة وان عزموا
الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التي لا تخلو عنها
الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر
المدخول بهن لما تبين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان

عدة

عدة الامة قرآن او شهران يتربصن خبر في معنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره بان المامور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى
الاتيان به فكانهن امتثلن بالامر بالتربص فخبر به موجودا متحققا وبناؤه على المبتدا مفيد لزيادة تاكيده بانفسهن
الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها من التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الاباء
عن الاتصاف بما يستنكفن منه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلثة قروء
نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلثة قروء او يتربصن مضي ثلثة قروء وهو جمع قرء والمراد
به الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء
الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات
لعدتهن وهي الحيض الثلث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الآخر
شائع ذائع وقرئ ثلثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة
وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر جواب الشرط محذوف
يدل عليه ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء
والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتانيث الجمع كما في الحزونة
والسهولة او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم
بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن الى النكاح بالرجعة اليهن في ذلك اي في زمان التربص وصيغة
التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمراة تاباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا
اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح
لصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم في الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من الحقوق
التي يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر
والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية في الفضل لما انهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض
من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم ينطوي
شرائعه على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق الاقرب حكمه
ولما روي انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده
اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين آنفا مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم
عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا ايضا فامساك اي فالحكم بعدهما
امساك لهن بالرجعة بمعروف اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه صلى
الله عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية
بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق
دون الجمع بين الطلقتين او الثلث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدا وتخيير مستانف والفاء
فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق
مما آتيتموهن اي من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه
اذا لم يحل لهم ان ياخذوا مما آتوهن بمقابلة البضع اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا على الكثير وتقديم الظرف
عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند المرافعة وقيل مع الازواج
وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو
مؤيد لتفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله اي ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول
وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اي الزوجان
حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما
افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكن اكره
الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم
وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة
والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اي لانفسهم بتعريضها لسخط
الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي

بالوعيد للمبالغة في التهديد فان طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى
تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على
اشتراط الاصابة لما روى ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن
الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام
لا الا ان تذوقي عسيلته ويذوق من عسيلتك ومثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطي والعقد مستفاد
من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح
بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين لقوله صلى الله عليه وسلم
لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي على الزوج الاول والمراة ان يتراجعا ان يرجع
كل منهما الى الآخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التي اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم
لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة
الى الاحكام المذكورة الى ههنا حدود الله اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا
البيان اللائق او سيبينها فيما سياتي بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان
عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وحال من حدود الله والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون
اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان اولان ما سيلحق بعض النصوص من
البيان لا يقف عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة
يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد ههنا لقوله عز وجل فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اي فراجعوهن بغير ضرار وخلوهن حتى
تنقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة في ايجاب المحافظة
عليه ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن
ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها
العدة فنهى عنه بعد ما امر بضده وضرارا نصب على العلة او الحالية اي لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام
في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك المودي الى
الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن بتعريضها
للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا اي بجله
مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد في الامر
انما انت هازئ كانه نهي عن الهزو بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق
رعايتها والا فقد اخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها
عمل بموجب آيات الله بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت
العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله
عليكم حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف
وقع حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائنة عليكم
ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في عمله تاء التانيث لانه مبني
كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصولة
حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب والحكمة بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين
على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى
وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر
قبله من الاحكام يعظكم به اي بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله في شان المحافظة
عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء مما تاتون وما تذرون فيؤاخذكم بانواع
العقاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم
ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج
والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روى انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى
زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه
كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل

المذكور

المذكور وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي الاولياء عن العضل لما ان النهي لدفع الضرر
عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا
يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى
الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة
الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه
بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة ان ينكحن اي من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه و
الفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح
بعبارتهن ازواجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فبالاعتبار الاخير اذا
تراضوا ظرف للا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام
التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف الجميل عند الشرع
المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي تراضيا كائنا
بالمعروف واما بتراضوا بما يحسن في الدين والمروة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفو او بما دون مهر المثل ليس
من باب العضل ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما
بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتاويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر
والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان
حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فيسارع الى الامتثال باوامره
ونواهيه اجلالا له وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عمله في الظروف وشبهها واما
بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن اي كائنا منكم ذلكم اي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اي انمى وانفع
واطهر من ادناس الاثام واوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح
اموركم من الاحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونها فدعوا رايكم وامتثلوا بامره تعالى ونهيه في كل
ما تاتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع في بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصا واشتراكا وهو
امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بمادة عدم قبول الصبي ثدي الغير
او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام للمطلقات
وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التاكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني
على المسامحة المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على
جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت
فلانة لفلان ولده وعلى المولود له اي الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي
لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام وهو غير جائز عندنا
ما دامت في النكاح او العدة جائز عند الشافعي رضي الله عنه بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس
الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافي
امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه
ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل او
بالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط
في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره
واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه وللتنبيه على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان يضرا به
او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير
معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصابته وقال الشافعي رضي الله عنه هو وارث الاب
وهو الصبي اي ثمن المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال وقيل
للباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة
فان ارادا اي الوالدان فصالا اي فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد عن تراض
متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي صادرا عن تراض منهما اي من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال
اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المراة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور في شان الولد وتفحص عن
احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته

ويكرهها للتفخيم فلا جناح عليهما في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رايهما واجتهادهما على ان صلاح الولد
في الفطام وقلما يتفقان على الخطاء وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى الخطاب للآباء لهزهم
الى الامتثال بما امروا به ان تسترضعوا اولادكم بحذف المفعول الاول استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم
يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها اياه وقيل انما تعدى الى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المراة للصبي
اي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم فحذف حرف الجر ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم فلا جناح عليكم اي في
الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد ويمنع الام من الارضاع اذا سلمتم اي الى المراضع ما آتيتم اي ما
اردتم ايتاءه كما في قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ
ما اوتيتم اي من جهة الله عز وجل كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم الى التسليم
بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم
بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك
ادخل في استصلاح شؤون الاطفال واتقوا الله في شان مراعاة الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم
بذلك واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف
اي ازواج الذين يتوفون منكم اي يقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان
واستوفيته منه اي اخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا اي على حذف العائد الى المبتدا في الخبر اي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ
يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون
يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان
لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كانت انثى يتحرك
لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي
تساوي المسلمة والكتابية والحرة والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله عز وجل واولات
الاحمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن
اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الحكام والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب
وساير ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان
يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف ما امرتم به ولا جناح عليكم خطاب
للكل فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ابهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والاصل
امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد
للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف
بالقول والفعل فقيل هي ماخوذة من الخطب اي الشان الذي له خطر لما انها شان من الشؤون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب
لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن ان يقول لها انك
لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه
ولا يصرح بالنكاح او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون
على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف
دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا نكاحا بل اكتفوا بما رخص من التعريض والتعبير عن النكاح
بالسر لان مسببه الذي هو الوطء مما يسر به وايثاره على اسمه للايذان بانه مما ينبغي ان يستر به ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم
الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك
المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة
معروفة غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف او لا تواعدوهن بشيء من الاشياء
الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا
تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام
من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام من الليل والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقدة النكاح اي لا تعزموا عقدة
عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها
ولا تقدموا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها
العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور يغفر

لمن

لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما
يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل
من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي
ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء في جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم اياهن على ان
ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني
قيدا للاول كما في قولك ان تاتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تاتني محسنا الي والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى
ابعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة
او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا
يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الحال
مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة
فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز ان يكون مصدرا
صيغة واعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال تسمية
المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المسيس فعليه
في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على
معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة
في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى
المقتر قدره اي ما يليق بحال كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة
بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم الخ او على جعل الالف و
اللام عوضا عن المضاف اليه عند من يجوزه اي على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها
الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي يستحسنه
الشريعة والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة اي وان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق اي عند
النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما وتغيير
الغرض من المبني للفاعل او للمفعول وان لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب
في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم
لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي
فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر في الوقوع لما ان الاية الكريمة نزلت في
انصاري تزوج امراة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له عليه السلام متعها ولو بقلنسوتك الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض
معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما
الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل
مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ناصبة ها هنا ونصب ما عطف على محله من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده
عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد ذكرنا
فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه فمرجع
الاستثناء الى منع الزيادة في المستثنى منه كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا نقصان
ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفي ذلك او ينحط او في حال عفو الزوج فانه
حينئذ يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء
منقطعا لان في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي رضي الله عنه ان المراد
عفو الولي الذي بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ الا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى
الخ فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول
واكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض
كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا

بما يضيع ما علمتم من الفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اى داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه
صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها فى تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة
بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها فى حالة الخوف
ولذلك امر بها فى خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الآخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى
اى المتوسطة بينها او الفضلى منها وهى صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى
صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التى شغل عنها سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها
لكثرة اشتغال الناس فى وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل هى صلوة الظهر لانها
فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها
لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل هى صلوة بين صلوتى النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص فى السفر
وقيل هى صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين فى طرف الليل وعن عائشة وابن عباس رضى الله عنهم
انه عليه السلام يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون حينئذ احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر
لانفرادهما بالفضل وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله اى فى الصلوة
قانتين ذاكرين له تعالى فى القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء من
اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب رحمه الله المراد به القنوت فى الصبح فان خفتم اى من عدو وغيره
فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ
فرجلا اى راجلا او ركبانا جمع راكب اى فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف
فى الجملة وقد جوز الشافعى رحمه الله اداءها حال المسايفة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اى فصلوا
صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا للمصدر محذوف اى ذكرا كائنا
كما علمكم اى كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلوة المؤداة موافقة
لما علمه الله تعالى وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازى تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون
من الشرائع والاحكام التى من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتى الخوف والامن هذا وفى ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان
المفيدة لمشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته
مع الايجاز فى جواب الاولى والاطناب فى جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المامور به فيهما منزلة مقام
وقوع الامر تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول فى كل منهما مجرى مقتضى المقام الثانى من الجزالة ولطف
الاعتبار ما فيه عبرة لاولى الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف
اثر الوصية لازواجهم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف فى المبتدأ او الخبر اى حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم
بدل وصية متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج
بدل منه او مصدر مؤكد كما فى قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون
ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة
بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما فى التلاوة متأخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها
الربع او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعى رحمه الله هى باقية فان خرجن عن منزل الازواج باختيارهن
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن فى انفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض
للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها
ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه
حكيم يراعى فى احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواء كن مدخولا بهن اولا متاع اى مطلق المتعة الشاملة
للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهرى للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام
للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتاكيد بالمعروف شرعا وعادة حقا على المتقين اى مما لا ينبغى كذلك
اى مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم آياته الدالة على احكامه التى شرعها لعباده لعلكم تعقلون لكى تفهموا ما فيها وتعملوا
بموجبها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فان سماعها بمنزلة
الرؤية النظرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشياع بحيث يحق لكل
احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويعجب بها وان لم يكن من رآهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام
قد جرى مجرى المثل فى مقام التعجيب لما انه شبه حال غير الرائى لشىء عجيب بحال الرائى له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه

الفجر لانها بين صلوتى الليل والنهار [illegible] كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة [illegible] العدد [illegible]

بحيث

بحيث استوى فى ادراكه الشاهد والغايب ثم اجرى الكلام معه كما يجرى مع الرائى قصدا الى المبالغة فى شهرته وعراقته
فى التعجب وتعدية الرؤية بالى فى قوله تعالى الى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر
وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء اى الم ينته علمك اليهم وهم الوف اى الوف كثيرة
قيل عشرة آلاف وقيل ثلثون وقيل سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له روى
ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا
مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم
فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما رأى من امرهم فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من
الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى
بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة فى اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوحاه بامر آمر مطاع
لمامور مطيع كما فى قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف على مقدر يستدعيه المقام اى فماتوا
ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما ما قيل من انه عبارة
عن الاماتة ففيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر
فاولى ان يكون فى سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم
فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن اكثر الناس لا يشكرون
اى لا يشكرون فضله كما ينبغى ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار الناس فى مقام الاضمار لمزيد التشنيع
وقاتلوا فى سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا فى سبيله لما
علمتم ان الفرار لا ينجى من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت فى سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز
وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه فى انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا
وشرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا الذى يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء
وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد ههنا
اما الجهاد الذى هو عبارة عن بذل النفس والمال فى سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم
له انتظاما اوليا قرضا حسنا اى اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له
بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه فى معنى ايقرضه وقرئ بالرفع اى يضاعف جزاءه وجعل ذلك
مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المبالغة للمبالغة وقرئ فيضعفه
بالرفع والنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان بتضمين المضاعفة معنى
التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد
بسبعمائة والله يقبض ويبسط اى يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تأخير البسط عن القبض فى الذكر
للايماء الى انه يعقبه فى الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم
على ما قدمتم من الاعمال خيرا وشرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله فى التعجب مع
ان له مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الامر بالقتال الى الملأ من بنى اسرائيل الملأ من القوم وجوههم واشرافهم
وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملؤون العيون مهابة والمجالس بهاء او
لانهم مليئون بما يبتغى منهم ومن تبعيضية وما فى قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملهما مقدر وقع حالا
من الملأ اى كائنين بعض بنى اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام ولا ضير فى اتحاد الحرفين لفظا عند اختلاف
معنى اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اى الم تر الى قصة الملأ او حديثهم حين قالوا لنبى لهم هو
يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب
عليه السلام وقيل اشمويل بن بالى بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هارون عليه السلام
وقال مجاهد هو اشمويل بن هلقايا ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اى انهض للقتال معنا اميرا نصدر فى تدبير
امر الحرب عن رأيه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اى ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف مبنى على السؤال
وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب للامر والوصف لملكا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق
اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبى حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين
عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اى هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم

بذكر في معرض الشرط ما المقسوم بان قيل هل عسيتم ان بعث لكم ملكا الخ مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال
عليهم للمبالغة في بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا
عند عدم فرضيته اولى ولان ايراد ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ
عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استيناف كما سبق وما لنا ان لا نقاتل اي اي سبب لنا في ان لا نقاتل في سبيل الله
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان
والاغتراب من الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت راس العمالقة
وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
وظهروا على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا
عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه السلام ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا
وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر ههنا مآل امرهم
اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه
وهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد
وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم
من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعدما اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روي انه عليه السلم
لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استيناف كما مر انى
يكون له الملك علينا اي من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى
حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه
ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط
بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلم
ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل سقاء قال ان الله اصطفيه عليكم لما
استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم
خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك
قوله عز وعلا وزاده بسطة في العلم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا وقيل قد اوحي اليه ونبي
والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره براسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال
راسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه
من يشاء من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق واظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما
بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه عليه السلام آية تدل
على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اي
الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التانيث
كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به صندوق
التورية وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب
القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملئكة يحفظونه فاتاهم
كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال ارباب الاخبار
ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة
اذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه السلام الى ان توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى
يعقوب عليه الصلوة والسلام ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه الصلوة والسلام فكان
عليه السلام يضع فيه التورية وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان
توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا
القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون
العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم

على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال
عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مداين فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه
وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت
فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده
ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو
التورية المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل
وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهر وذنبه وجناحان فتئن فيزف
التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه
كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي رضاض الالواح وعصا موسى و
ثيابه وشيء من التورية وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام وآلهما ابناؤهما او انفسهما
والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل تحمله الملئكة حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال
كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين
الحاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شان التابوت فهو من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم لقومه
او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهته تعالى جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية وافراد
حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقديرين بتاويل الفريق او غيره كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على
ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر
ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او لشيء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله
وقيل بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس والاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله
شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا براسه ممتازا
من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وكصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة
بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه
ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن
اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا فبعد ما ظهر له تعلقت
به مشيته تعالى من جهة النبي صلى الله عليه وسلم او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر
بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتداء شربه من النهر بان كرع لا بان الشرب منه حقيقة فليس مني اي من
جملتي واشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم
يطعمه اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء
سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما فانه مني الا من اغترف غرفة بيده طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا
استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما اخر عن الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة
في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة ما يغرف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف
او بمحذوف وقع صفة لغرفة اي غرفة كائنة بيده يروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته ودوابه
واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه
المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثناء من التولي وقرئ
الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن عدوة اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال فلم
يطيعوه حتى ان يرد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف
فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد
بالمنفصل والظرف متعلق بجاوزه لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول كانه قيل
فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان
قالوا اي بعض من معه من المومنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا
عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح قال
استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال الذين يظنون انهم الله قيل اي الخلص منهم ملاقوا
الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا ينافي ايمان الباقين فان
درجات المومنين في التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل

الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمخلصين منهم كأنهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس من فاوت راسه اذا شققتها او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء وخبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثرت اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل طاقت بفئة كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث الياس من الغلبة ولا لتوقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدار الحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتاييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنته نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد به معيته نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل يأباه انهم انما قالوه تتميما لجوابهم وتاييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتنشيطا لهم على الصبر المؤدي الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام لله تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي ومن جهة التابوت (منجهة) والسكينة انهم ملاقو نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا اي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة قالوا اي جميعا عند تقوي قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني متضرعين الى الله تعالى مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا على مقاساة شدائد الحراب واقتحام موارده الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايراد الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى وثبت اقدامنا في مداحض القتال ومزالق النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى فهزموهم اي كسروهم بلا مكث باذن الله بنصره وتاييده اجابة لدعائهم وايراد هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت كان ايشي ابو داود في عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار قال له كل منها احملنا فانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته قيل لما ابطأ على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم لياتيه بخبرهم فاتاهم وهم في القراع وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان ظله ميلا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فجاء ناحية اخرى ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه بنتي واعطيه شطر مملكتي فبرز له داود ورماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصاب في صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انما كلمه الاحجار عند بروزه لجالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها والحكمة اي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط وعلمه مما يشاء اي مما يشاء الله تعالى تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع في امنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد بالانة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الذين يباشرون الشر والفساد ببعض آخر منهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع الله على ان صيغة المغالبة للمبالغة لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وساير ما يعمر الارض

ويصلحها

ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيثهم وقتلهم المسلمين او لو لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره على العالمين كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كأنه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا يفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وتنصلح احوال الامم تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستانفة وقوله تعالى نتلوها عليك اي بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق والصدق وانك لمن المرسلين اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم وهي شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتاكيد من مقتضيات مقام الجاحدين بها تلك الرسل استيناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم الصلوة والسلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم فاللام في المآل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم فضلنا بعضهم على بعض في مراتب الكمال بان خصصناه حسبما تقتضيه مشيئتنا بمآثر جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اي فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه الصلوة والسلام حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة فانه كلم الله تعالى كما انه تعالى كلمه وبهذا سمي كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عليه السلام منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه وللاشعار بانه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث خصه الله تعالى بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل عليهم الصلوة والسلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وايدناه اي قويناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما مر وافراده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين في شأنه عليه السلام من التفريط والافراط والآية ناطقة بان الانبياء عليهم الصلوة والسلام متفاوتة الاقدار يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي جاؤوا من بعد الرسل من الامم المختلفة اي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء هدى الناس جميعا ما اقتتل الخ وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة اولئك الرسل البينات المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدي الى الاقتتال ومن متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية اشير به الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كأنه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا فمنهم من آمن اي بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال

بحسب العادة ما اقتتلوا وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس
للتاكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه
فالاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك
بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اى من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم
فان الترك ايضا من جملة الافعال اى يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه
دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا في سبيل
الله مما رزقناكم اى شيئا مما رزقناكم على ان ما موصولة حذف عائدها والامر لعموم منه تعالى للحث على الانفاق
كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب لدلالة ما بعده من الوعيد من قبل ان
يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما فان الاولى
تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اى انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم
فيه اذ لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه وتفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم
عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت
الثلاثة مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون اى
والتاركون للزكوة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك
الزكوة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة هم الظالمون اى الذين ظلموا انفسهم
بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر اى هو المستحق
للمعبودية لا غير وفي اعرابه وجوه مثل في الوجود او بحيث ان يوجد خلاف النحاة معروف الحي الباقي الذي لا
سبيل عليه للموت والفناء وهو اما خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف او بدل من لا اله الا هو او من هو وحده
وبمضمونه القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه اى دائم القيام
بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تأخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور
الذي يعتري من الرياح العائلية وسناه اقصده النعاس فرقدت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حالة
تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث يقف المشاعر الظاهرة عن
الاحساس راسا والمراد بيانها انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما قاصرا بالنسبة الى القوة الالهية
فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على ان القادر على دفع
السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي كما في قولك فلان يقظ لا يغلبه سنة ولا نوم وانما تأخير النوم للمحافظة
على ترتيب الوجود وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة
صغيرة ولا كبيرة الاية واما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فلمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم
لمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حيا
قيوما فان من يعتريه احدهما يكون الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير وقيل استيناف مؤكد لما سبق وقيل
حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على
تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما
من العقلاء وغيرهم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما
يريده شفاعة وضراعة فضلا من ان يدافعه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما قبلهم وما بعدهم
او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او بالعكس او ما يحسونه
وما يعقلونه او ما يدركونه والضمير لما في السموات والارض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دلت
عليه من ذا الذي من الملائكة والانبياء عليهم السلام ولا يحيطون بشيء من علمه اى من معلوماته الا بما شاء
ان يعلموه وعطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع
كرسيه السموات والارض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس الذي هو
الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شانه وسعة سلطانه عز وجل واحاطة علمه بالاشياء
قاطبة على طريقة قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسي العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسي الملك فان الكرسي كلما كان
اعظم يكون عظمة القاعد اكثر واوفر فعبر عن شمول علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته
بالاقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلوة والسلام

ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على
تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصري انه العرش ولا يؤده اى لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما
اى حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه وهو العلي المتعالي بذاته عن
الاشباه والانداد العظيم الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولما ترى من انطواء هذه الاية الكريمة على
امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجليلة فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية
متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره ولما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز
والحلول مبرا عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح
مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم
بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق
عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما تناله الاوهام عظيم لا يحدق به الافهام تفردت بفضائل رائقة
وخواص فائقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم آية في القران آية الكرسي من قراها بعث الله تعالى
ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قرئت هذه الاية في دار الا هجرتها
الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية
اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا
يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات
حوله وقال عليه الصلوة والسلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب
وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران سورة البقرة وسيد
البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته عليه السلام للعرب بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا تدل على نفي
ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السلام لجميع افراد البشر لا اكراه في الدين
جملة مستانفة جيء بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤن الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق
العاقل انه لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اى لا
تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث
حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان تنصرا قبل بعثته عليه السلام
ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه
كما في قوله تعالى قد تبين من لدن عذرا اى قد تبين بما ذكر من نعوته التي يمتنع توهم اشتراك الغير في شيء منها الايمان
الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت
هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب بتقديم لامه على عينه فقيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي
وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتذكير لارادة الالهة وهو راي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل
يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث اى فمن يكفر بما يتبين الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والايات
البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى لما تبين كونه بمعزل
من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل
الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية مقدمة على
التحلية فقد استمسك بالعروة الوثقى اى بالغ في التمسك بها كانه وهو متلبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات
عليه لا انفصام لها الفصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة
اما استيناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى
ولها في حيز الخبر اى كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي
لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المامون
انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز ان تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان و
التوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من الملازمة
وترشيح للاستعارة الاولى والله سميع بالاقوال عليم بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على
الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد الله ولي الذين آمنوا اى معينهم او متولي امورهم والمراد
بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مآلا او حالا يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة

٥ او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم
الاستدلالية من نوع ضعف وخفا بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه
الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة
التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين
ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين وساير المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ ثان والطاغوت
خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة
الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا
يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من
نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى
الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت
او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في اسناده من حيث الخلق الى قدرته
سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبايح اصحاب النار اي ملابسوها
وملازموها بسبب ما لهم من الجرايم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه استشهاد على
ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد
على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق
بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته
ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هدايته تعالى ايضا
بواسطة ابراهيم عليه السلام فانما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافرين من اثار ولايته تعالى والهمزة
الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال
الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى
على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتاييده في المحاجة ان اتاه الله الملك اي لان اتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله
على المحاجة او حاجه لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لان احسنت
اليك او وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من اتاه
على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح ربي وقرئ بحذفها روي انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه
فقال من ربك الذي تدعو اليه قال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الموت والحيوة في الاجساد قال استيناف مبني
على السؤال كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل
احدهما واطلق الاخر فقال ذلك قال ابراهيم استيناف كما سلف كانه قيل فماذا قال ابراهيم لمن في هذه المرتبة من
الحماقة وبماذا افحمه فقيل قال فان الله ياتي بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته فات بها من المغرب ان كنت قادرا
على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث
لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه
والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله اي فغلب ابراهيم الكافر
واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم الظالمين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية
الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته
تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار او الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد
المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها
فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر واما زايدة كما ارتضاه اخرون والمعنى او لم تر الى مثل الذي او الى الذي مر
على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رايت ذلك وشاهدته فاذن
لا ريب في ان الله ولي الذين امنوا الخ هذا واما جعل الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي
حاج الخ اي انظر اليه وتعجب من امره وفي الثاني او ارايت مثل الذي مر الخ ايذانا بانحطاطه وما جرى عليه من الغرابة
بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه راي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شانه الجليل قد بر والمار هو عزير
ابن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي وقيل هو ارميا بن خلقيا

من

من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا
بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير
سابر اباد وقال السدي هي سلم اباد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد
وجاوزوا في الطغيان كل حد معتاد سلط الله عليهم بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستماية الف راية حتى وطئ الشام
وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا ماية
الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك اربعة اغلمة وكان عزير من جملتهم فلما
نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فراه على افظع مراى وافحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي
خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت الارض
اي تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا قال اي تلهفا عليها وتشوقا الى عمارتها
مع استشعار الياس عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحيوة وتقديمها على الفاعل للاعتنا
بها من حيث ان الاستبعاد ناش من جهتها لا من جهة الفاعل وانى نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من
هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي واياما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان ممن بقايا اهلها الذين تفرقوا
ايدي سبا ومن غيرهم وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه واكده اراه الله تعالى
اثر ذي اثير ابعد الامرين في نفسه ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما
حمل احيائها على احياء اهلها فيباه التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه ادخل
في الاستبعاد لشدة مباينته للحيوة وغاية بعده عن قبولها على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة
المار لها كما ستحيط به خبرا فاماته الله والبثه على الموت ماية عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها
احدا فقال وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو
شاب وامات حماره وبقية تينه وعنبه او عصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى
من موته سبعون سنة وجه الله عز وعلا ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ونراجع ليعمره من
تفرق منهم ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثماية الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت
دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم الى بيت المقدس ونراجع اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين
سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت الماية من موت عزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم بعثه وايثاره
على احياه للدلالة على سرعته وسهولة تاتيه على الباري تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا
فاهما مستعدا للنظر والاستدلال قال استيناف مبني على السهولة كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم
لبثت ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤونه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين في الجملة بل بعد مدة
طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على امر اخر من بدايع اثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء
المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف اي
كم وقتا لبثت والقايل هو الله تعالى او ملك مامور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت
قال لبثت يوما او بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه واما ما يقال من انه مات ضحى وبعث
بعد الماية قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت اليها فراى بقية فقال او بعض يوم على وجه الاضراب
فبمعزل من التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من اوله قال استيناف كما سلف
بل لبثت ماية عام عطف على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاين امرا اخر من دلائل قدرتنا الى
طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد تينه وعنبه كما جنى
وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء واما من الطعام والشراب وافراد الضمير
لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء واما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم
يتسن والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة لما ان لامها هاء او واو وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون
فقلبت نونه حرف علة كما في تقضى البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت لا حقيقة
بل تشبيها اي هو على حاله كانه لم يلبث ماية عام وقرئ لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف نخرت عظامه
وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك اية للناس
عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستيناف مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد
ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك اية للناس الموجودين في هذا القرن بان يشاهدوك
وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا عنك ما طوي عنهم منذ احقاب من علم التورية كما سياتي او متعلق بفعل مقدر

زمانا عنها لا لاجل الاحياء الذي هو عليهم فالمعد عنا الذي زاده تهويل للخطب
بكيفية الاستبعاد كانه جملة ... تقديرها

احياء بها على

بعده اى ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك قرن بينه و
بين الامر بالنظر الى حماره وتكرير الامر في قوله تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان المامور به اولا
هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تعتريها الحيوة ومباديها اى وانظر الى
عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه في نفسك كيف ننشزها بالزاي المعجمة اى نرفع
بعضها الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي نلينها ونعظمها ولعل من فسره
بحسبها اراد بالاحياء هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اى احياها لا معناه الحقيقي
لقوله تعالى ثم نكسوها لحما اى نسترها به كما نستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله
اراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة اما حال من العظام اى وانظر اليها مركبة مكسوة لحما
او بدل اشتمال اى وانظر الى العظام كيف انشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما
لا تقتضي الحكمة بيانه روي انه نودي ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع كل جزء من اجزائها التي ذهب
بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع
بالضلع والذراع بمحلها والراس بموضعها ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور
ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فلما تبين له اى ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحياء بمباديه والفاء
للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار
بسرعته ووقوعه كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل
فانشزها الله تعالى فضل وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اى اتضح اتضاحا تاما قال
اعلم ان الله على من الاشياء التي من جملتها ما شاهد في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه امر كل شئ
من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل
بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما للامر وقد قيل فاعل
تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اى فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قدير وقرئ تبين على صيغة المجهول وقرئ
تبين قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر الناس وانكر المنازل
فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا
منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فاني عزير قالت
سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي
يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله فقامت صحيحة
كانها نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في انديتهم
وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت
انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه
مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قرأ التورية اربعين الف رجل ولم
يكن يومئذ بينهم نسخة من التورية ولا احد يعرف التورية فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال
رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي عن جدي انه دفن التورية يوم
سبينا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوها فوجدوها فعارضوها
بما املى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هذا ابن الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا واذ قال ابراهيم دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك
له مسلك الاستشهاد كما قبله بان يقال او كالذي قال رب الخ لجريان ذكره عليه السلام في اثناء المحاجة ولانه
لا دخل لنفسه عليه السلام في اصل الدليل كداب عزير عليه السلام فان ما جرى عليه من احيائه بعد مائة
عام من جملة الشواهد على قدرة الله تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى و
اذكروا اذ جعلكم خلفاء اى واذكر وقت قوله عليه السلام وما وقع فيه من تعاجيب صنع الله تعالى لتقف على ما
مر من ولايته تعالى وهدايته او بتوجيه الامر بالذكر في امثال هذه المواقع الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات
مع انها المقصودة بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه
بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ
عنها شيء مما ذكر عند الحكاية او لم يذكر كانها مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة
في استدعاء الاجابة ارني من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر

هو

هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما يعلق النظر البصري اى اجعلني مبصرا كيف تحيي الموتى بان
تحييها وانا انظر اليه وكيف في محل النصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش والعامل
فيها تحيي اى في اى حال او على اى حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر
الوجود عند السائل والمسؤل فالاستفهام ههنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اى بصرني كيفية احيائك
للموتى وانما ساله عليه السلام ليتايد ايقانه بالعيان ويزداد عليه اطمينانا على اطمينان واما ما قيل من ان نمرود لما
قال انا احيي واميت قال ابراهيم عليه السلام ان احياء الله تعالى برد الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر
على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سال ربه ان يريه ذلك فياباه تعليل السؤال بالاطمينان قال استئناف
كما مر غير مرة او لم تؤمن عطف على مقدر اى الم تعلم ولم تؤمن باني قادر على الاحياء كيف اشاء حتى تسالني اراءته
قال استئناف اعلم بانه عليه السلام اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين و اى لبعد
بلى علمت وآمنت بانك قادر على الاحياء على كيفية اشئت ولكن سالت ما سالت ليطمئن قلبي بمضامة العيان الى الايمان
والايقان وازداد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة قال فخذ الفاء لجواب شرط محذوف اى ان اردت ذلك فخذ
اربعة من الطير قيل هو اسم لجمع كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف
طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة اى اربعة كائنة من الطير قيل هي طاوس
وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان و
لسهولة تاتي ما يفعل به من التجزئة والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره اى ماله وقرئ بكسر الصاد من صاره
يصيره اى املهن واضممهن وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه فصرهن
من التصرية بمعنى الجمع اى اجمعهن اليك لتتاملها وتعرف شانها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزءا من اجزائها
لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط
ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن
جزءا اى جزئهن وفرق اجزاءهن على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل
ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الوقف
ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن ياتينك في حيز الجزم على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصاله بنون جمع المؤنث
سعيا اى ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية اوامره تعالى من غير تعرض
لامتثاله عليه السلام ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روي عليه السلام انه نادى فقال
تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤسهن فانضمت
كل جثة الى راسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر
الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل
الخليل ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال حيث اراه الله تعالى ما ساله في الحال على ايسر ما يكون
من الوجوه واري عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما السلام واعلم ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه شيء
عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق آخر
خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اى في وجوه الخيرات من النفل
والواجب كمثل حبة لا بد من تقدير المضاف في احد الجانبين اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة
انبتت سبع سنابل اى اخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد
ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع
وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدي الناظر والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله
تعالى لمن يشاء ان يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب
الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار انفاقه
وكيفية تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله جملة مبتدأة جيء بها لبيان كيفية الانفاق الذي بين
فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اى ما انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد على
من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انفاقه عليه وانما قدم
المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف قيل
نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه حين اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما شيء من المن والاذى لهم اجرهم

اى حسبما وعدلهم فى ضمن التمثيل وهو جملة من مبتداء وخبر وقعت خبرا من الموصول وفى تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب فى الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولاهم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب قل او جل اى لا يعتريهم ما يوجبه لا انهم يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصار الجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف اى كلام جميل يقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شىء ومغفرة اى ستر لما وقع من السائل من الالحاف فى المسئلة وغيره مما يثقل على المسئول وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة فى الاول لاختصاصها بالوصف وفى الثانى بالعطف او بالصفة المقدرة اى ومغفرة كائنة من المسئول خير اى للسائل من صدقة يتبعها اذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وقيل المغفرة نيل مغفرة من الله تعالى بسبب رد الجميل او بعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسئول لتؤدى الى ان يكون فى الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير فى الجملة مع بطلانها بالمرة والله غنى لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببها والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا يا ايها الذين آمنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة فى ايجاب العمل بموجب النهى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اى لا تحبطوا اجرها بواحد منهما كالذى فى محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اى لا تبطلوها ابطالا كابطال الذى ينفق ماله رئاء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اى لا تبطلوها مشابهين الذى ينفق اى الذى يبطل انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو رأى سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اى لاجل رئايهم او على انه حال من فاعله اى ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الآخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اى فمثل المرائى فى الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان اى حجر املس عليه تراب اى شىء يسير منه فاصابه وابل اى مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس ليس عليه شىء من الغبار اصلا لا يقدرون على شىء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا يكون حالهم ح فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم اصحاب المن والاذى كذلك والضميران الاخيران للموصول باعتبار المعنى كما فى قوله عز وجل وخضتم كالذى خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضماير الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدى القوم الكافرين الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلام الرياء والمن والاذى من خصايص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اى وتثبيت بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما فى قوله حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذى هو رأس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلث وقد قرئ بها المكان المرتفع اى مثل نفقتهم فى الزكاء كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجاره تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضى المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اى مثلى ما كانت تثمر فى سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فطل يكفيها لجودتها وكرمها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل هو المطر الصغير القطر وقيل فالذى يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا يضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما

يقارنها

يقارنهما من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة القليلة والكثيرة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جليلة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شىء منه وهو ترغيب فى الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم الود حب الشىء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لانكار الوقوع كما فى اضرب ابى لا لانكار الواقع كما فى قولك أتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل واعناب اى كائنة منها على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين الجامعين لفنون المنافع والباقى من المستتبعات لا على ان لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كان عينى فى غربى مقتلة من النواضح تسقى جنة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجرى من تحتها الانهار اى على الثانى لا بد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سيأتى مجازيا والجملة فى محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او فى محل النصب على انه حال منها لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثانى حال والثالث مبتدأ اى صفة للمبتدأ قائمة مقامه اى له رزق من كل الثمرات كما فى قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اى وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو الكثير كما فى قوله تعالى واوتيت من كل شىء واصابه الكبر اى كبر السن الذى هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اى وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير فى اصابه اى اصابه الكبر والحال ان له ذرية ضعفاء لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادى المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اى ريح عاصفة تستدير فى الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيمة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا فى التحسر والتأسف عليها كذلك توحيد الكاف مع ان كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اى مثل ذلك البيان الواضح الجارى فى النظم مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون كى تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اى انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اى من طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تأمموا والكل بمعنى القصد اى لا تقصدوا الخبيث اى الردى الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقونه والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اى مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريقة قوله كأنه فى الجلد توليع البهق او للثانى وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اى ولا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم او مما اخرجنا لكم او ومما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اى تنفقون والحال انكم لا تأخذونه فى معاملاتكم فى وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اى الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم فيه وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استونف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تأخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكارى فكأنه قيل امنه تنفقون الخ واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم وفى الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شىء من زمان او غيره يستعمل فى الشر استعماله فى الخير قال تعالى النار وعدها الذين كفروا اى يعدكم فى الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يضف مجىء الفقر الى جهته للايذان بمبالغته فى الاخبار بتحقق مجيئه كأنه نزله فى تقرره

الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب الادتبر او لوقوعه فى مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرى بالضم الفقر والسكون وبضمتين وبفتحتين ويأمركم بالفحشاء اى بالخصلة الفحشاء اى ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور على فعل المامور به والعرب تسمى البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصى والسيآت والله يعدكم اى فى الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار فى محل قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة موكدة لفخامتها التى افادها تنكيرها اى مغفرة كائنة منه تعالى عز وجل وفضلا صفته محذوف لدلالة المذكور عليها كما فى قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اى وفضلا كائنا منه تعالى اى خلفا مما انفقتم زائدا عليه فى الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا فى الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه عليم مبالغ فى العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف فى الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتى الحكمة قال مجاهد الحكمة هى القرآن والعلم والفقه وروى عن ابن نجيح انها الاصابة فى القول والعمل وعن ابراهيم النخعى رحمه الله انها معرفة معانى الاشياء وفهمها وقيل هى معرفة حقائق الاشياء وقيل هى الاقدام على الفعل الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسر فى القرآن باربعة اوجه فتارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من عجائب الاسرار ومرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبنية فى تضاعيف الآيات الكريمة من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعمل والعلم بها اى يبينها ويوفق للعلم والعمل بها من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه فى ضمن الآى من الحكم البالغة التى يدور عليها فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها و الموصول مفعول اول ليؤتى قدم عليه الثانى للعناية به والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرى على البناء للفاعل اى من يؤته الله الحكمة والاظهار فى مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشانها وللاشعار بعلة الحكم فقد اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر اى وما يتعظ بما اوتى من الحكمة او ما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه من الترغيب فى المحافظة على الاحكام الواردة فى شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال واما اعتراض تذييلى وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلى شامل لجميع افراد النفقات وما فى حكمها اثر بيان حكم ما كان منها فى سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اى وما انفقتموه من نفقة اى نفقة كانت فى حق او باطل فى سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم من نذر النذر عقد الضمير على شئ والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر اى نذر كان فى طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما فان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثانى مزيدة فى الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما فى قولك زيدا او عمرا اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا صير الى التاويل فى قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعادل الضمير تارة الى المقدم واخرى رعاية للاول كما فى قوله عز وجل واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما فى هذه الآية وفى قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تاويل المذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثانى عليه كما فى قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء اى فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر فى المعاصى او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذى هو عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه الذى يحق ان يوضع فيه من انصار اى اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اى وما لظالم من الظالمين من نصير من انصار و الجملة استيناف مقرر لمضمون ما قبله من الوعيد مفيد لانقطاعه حال من يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان ورعاية الخلان ان تبدوا الصدقات فنعما هى نوع تفصيل لبعض ما اجمل فى الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اى ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وقرى بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرى بكسر النون وسكون العين وقرى باخفاء حركة العين وهذا فى الصدقات ه المفروضة واما فى صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهو الذى اريد بقوله تعالى وان تخفوها اى تعطوها خفية

وتؤتوها

وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح باتيانها الفقراء مع انه واجب فى الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس و الاشتباه فان الغنى ربما يدعى الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اى فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال واما فى الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سياتكم اى والله يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اى شيئا من سياتكم كما ستر تموها وقيل من مزيدة على راى الاخفش وقرى بالتاء مرفوعا ومجزوما عطفا على ان الفعل للصدقات وقرى بالنون مرفوعا معطوفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف اى ونحن نكفر او على انها جملة مبتداة من فعل وفاعل وقرى مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب فى الاسرار ليس عليك هداهم اى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهى عن الشر والردع عنه بما اوحى اليك من الآيات والذكر الحكيم ولكن الله يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير و الجملة معترضة جيئ بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة فى حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبى صلى الله عليه وسلم مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين كى تحملهم الحاجة على الدخول فى الاسلام فنزلت اى ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم فى الاسلام فلا التفات ح فى الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال وعلى الثانى تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبى صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اى اى شئ تنفقوا كائنا من المال فلانفسكم اى فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الدينى لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اى ليست نفقتكم لشئ من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست فى حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفى فى معنى النهى وما تنفقوا من خير يوف اليكم اى اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم فى ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو من نتائج دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل لمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابى بكر فاتتها امها تسالها وهى مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار فى اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف للفقراء ه متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما فى قوله عز وجل فى تسع آيات الى فرعون اى اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا فى الارض اى ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اى من اجل تعففهم عن المسئلة تعرفهم بسيماهم اى تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة فى بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اى الحاحا من الحهم بحفى من فضل بحا فراى اعطانى من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا وان سألوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفى لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى لمناره اى لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب فى التصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت فى شان الصديق

رضى الله عنه حيث تصدق باربعين الف دينار عشرة الاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية
وقيل فى على كرم الله تعالى وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة
ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل فى رباط الخيل والانفاق
عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف
اى ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين ياكلون الربوا
اى ياخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به ولشيوعه فى المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو
الزيادة فى المقدار او فى الاجل حسبما فصل فى كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم فى امثالها وزيدت
الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اى من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع
وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس
اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من
الفعل المنفى اى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكلهم الربوا او بيقوم او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى فى بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون
ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما فى اسم الاشارة من معنى
البعد للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا
والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته
درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا اصلا فى الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين فى
الاول ضايع حتما وفى الثانى منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من
جهته تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه فى مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك فى المناط
والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اى فمن بلغه وعظ وزجر كالنهى عن الربوا وقرئ جاءته
من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجئ
الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اى فاتعظ بلا تراخ وتبع النهى فله ما سلف اى ما تقدم اخذه التحريم
ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راى سيبويه لعدم
اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل
يحكم فى شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اى الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى
كما ان الافراد فى عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم فى الشر والفساد اصحاب النار
اى ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اى يذهب ببركته ويهلك
المال الذى يدخل فيه ويربى الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذى اخرجت منه الصدقة
روى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربى احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت
زكوة من مال قط والله لا يحب اى لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات
اثيم منهمك فى ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما فى الصالحات لانافتهما على ساير الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكائيل
عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان اى اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى
عند ربهم حال من اجرهم وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا
خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اى قوا انفسكم
عقابه وذروا ما بقى من الربوا اى واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة
فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اى ان كنتم مؤمنين فاتقوا
وذروا الخ روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا
اى ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله ورسوله
اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثانى فكحرب البغاة وقرئ
فآذنوا اى فاعلموا بها غيركم قيل هو من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة
العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها اى بنوع من الحرب عظيم لا
يقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روى انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله
وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمته بعد ما سمعتموه من الوعيد فلكم رؤوس اموالكم تاخذونها كملا

لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير فى لكم والعامل ما تضمنه
الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله اى لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة تعلق هذا
الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها اما ان يكون مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب فى حال الردة
فئ للمسلمين عند ابى حنيفة رضى الله عنه وكذا سائر اموالهم عند الشافعى وعندنا هو لورثتهم ولا شئ لهم على كل حال
وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤوسهم فكيف برؤوس اموالهم والا فكذلك
عند ابن عباس رضى الله عنهما فانه يقول من عامل بالربوا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون
الى ان يظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شئ من اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم
وان كان ذو عسرة اى وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة
اى فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى الانظار والامهال وقرئ فناظره اى فالمستحق ناظره او فصاحب
نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره امرا من المفاعلة اى فسامحه بالنظرة الى ميسرة اى الى يسار وقرئ بضم
السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما فى قوله واخلفوك عد الامر
الذى وعدوا وان تصدقوا بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد الصاد اى تتصدقوا على معسرى غرمائكم
بالابراء خير لكم اى اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو ندب الى ان يتصدقوا
برؤوس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق
الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون
جوابه محذوف اى ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيمة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء
به للمبالغة فى التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء
للفاعل من الرجوع والاول ادخل فى التهويل وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وقرئ تردون وقرئ تصيرون الى الله
لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة فى تهويل اليوم اى تعطى كملا ما كسبت اى جزاء ما
عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس تفيد ان المعاقبين وان كانت عقوبتهم مؤبدة غير مظلومين
فى ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد اوفق بحال الكسب عن ابن عباس
رضى الله عنهما انها اخر اية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها
الذين امنوا اذا تداينتم بدين شروع فى بيان حال المداينة الواقعة فى تضاعيف المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع
السلع بالنقود بعد بيان حال الربوا اى اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين دفع
توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتبة وتعيين المرجع للضمير
المنصوب المتصل بالامر الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام او الاشهر ونظائرها
مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اى الدين باجله لانه اوثق وادفع
للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف و
ليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما لتعينه
او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اى ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغى ان يتوسط بين المتداينين
ويكتب كلامهما ولا يكتفى بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اى كاتب كائن بالعدل
اى وليكن المتصدى للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين
باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيئ كتابه موثوقا به معدلا بالشرع ويجوز ان يكون حالا منه اى ملتبسا بالعدل وقيل
متعلق بالفعل اى وليكتب بالحق ولا يأب كاتب اى ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله
على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم
الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهى عن ابائها تاكيدا لها و
يجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان لا يكون النهى عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذى عليه الحق
الاملال هو الاملاء اى وليكن المملى من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه جمع بين
الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة فى التحذير اى وليتق المملى دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اى من
الحق الذى يمليه على الكاتب شيئا فانه الذى يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع
منه النقص فلو اريد نهيه لنهى عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد فى تكليف المملى حيث جمع فيه بين
الامر بالاتقاء والنهى عن البخس لما فيه من الدواعى الى المنهى عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف

ما فی ذمته بما امکن فان کان الذی علیه الحق صرح بذلک فی موضع الاضمار لزیادة الکشف والبیان لا لان الامر والنهی لغیره سفیها ناقص العقل مبذرا مجازفا او ضعیفا صبیا او شیخا مختلا او لا یستطیع ان یمل هو او غیر او غیر مستطیع للاملاء بنفسه لخرس او رعی او جهل او غیر ذلک من العوارض فلیملل ولیه ای الذی یلی امره ویقوم مقامه من قیم او وکیل او مترجم بالعدل ای من غیر نقص او زیادة لم یکلف بعین ما کلف به من علیه الحق لانه یتوقع منه الزیادة کما یتوقع منه البخس واستشهدوا شهیدین ای اطلبوهما لیتحملا الشهادة علی ما بینکما من المداینة وتسمیتهما شهیدین لتنزیل المشارف منزلة الکائن من رجالکم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائیة او بمحذوف وقع صفة لشهیدین ومن تبعیضیة ای شهیدین کائنین من رجال المسلمین الاحرار اذ الکلام فی معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبید بطریق العبارة کما بین فی موضعه واما اذا کانت المداینة بین الکفرة او کان من علیه الحق کافرا فیجوز استشهاد الکافر عندنا فان لم یکونا ای الشهیدان جمیعا علی طریقة نفی الشمول لا شمول النفی رجلین اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان ای فلیشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان یکفون وهذا فیما عدا الحد والقصاص عندنا وفی الاموال خاصة عند الشافعی رضی الله عنه ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان ای کائنون مرضیین عندکم وتخصیصهم بالوصف المذکور مع تحقق اعتباره فی کل شهید لقلة اتصاف النساء به وقیل نعت لشهیدین ای کائنین ممن ترضون ورد بانه یلزم الفصل بینهما بالاجنبی وقیل بدل من رجالکم بتکریر العامل ورد بما ذکر من الفصل وقیل متعلق بقوله تعالی فاستشهدوا فیلزم الفصل بین اشتراط المرأتین وبین تعلیله وقوله تعالی من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمیر المحذوف الراجع الی الموصول ای ممن ترضونهم کائنین من بعض الشهداء لعلمکم بعدالتهم وثقتکم بهم وادراج النساء فی الشهداء بطریق التغلیب ان تضل احدیهما فتذکر احدیهما الاخری تعلیل لاعتبار العدد فی النساء و العلة فی الحقیقة هی التذکیر ولکن الضلال لما کان سببا له نزل منزلته کما فی قولک اعددت السلاح ان یجیء عدو فادفعه کانه قیل لاجل ان تذکر احدیهما الاخری ان ضلت الشهادة بان نسیتها ولعل ایثار ما علیه النظم الکریم علی ان یقال ان تضل احدیهما فتذکرها الاخری لتاکید الابهام والمبالغة فی الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحدیهما بعینها والتذکیر بالاخری وقری فتذکر من الاذکار وقری ان تضل علی الشرط فتذکر بالرفع کقوله تعالی ومن عاد فینتقم الله منه ولا یأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسمیتهم شهداء قبل التحمل لما مر من تنزیل المشارف منزلة الواقع وما مزید عن قتادة انه کان الرجل یطوف فی الحواء العظیم فیه القوم فلا یتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا ای لا تملوا من کثرة مداینتکم ان تکتبوه ای الدین او الحق او الکتاب وقیل کنی به عن الکسل الذی هو صفة المنافق کما ورد فی قوله تعالی واذا قاموا الی الصلوة قاموا کسالی وقد قال النبی صلی الله علیه وسلم لا یقول المؤمن کسلت صغیرا او کبیرا حال من الضمیر ای حال کونه صغیرا او کبیرا ای قلیلا او کثیرا او مجملا او مفصلا الی اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء فی تکتبوه ای مستقرا فی الذمة الی وقت حلوله الذی اقر به المدیون ذلکم اشارة الی ما امر به من الکتب والخطاب للمؤمنین اقسط ای اعدل عند الله ای فی حکمه تعالی واقوم للشهادة ای اثبت لها واعون علی اقامتها وهما مبنیان من اقسط واقام فانه قیاسی عند سیبویه او من قاسط بمعنی ذی قسط وقویم وانما صحت الواو فی اقوم کما صحت فی التعجب لجموده وادنی ان لا ترتابوا واقرب الی انتفاء ریبکم فی جنس الدین وقدره واجله وشهوده ونحو ذلک الا ان تکون تجارة حاضرة تدیرونها بینکم استثناء منقطع من الامر بالکتابة ای لکن وقت کون تداینکم او تجارتکم تجارة حاضرة بحضور البدلین تدیرونها بینکم بتعاطیها یدا بید فلیس علیکم جناح ان لا تکتبوها ای فلا بأس بان لا تکتبوها لبعده عن التنازع والنسیان وقری برفع تجارة علی انها اسم کان وحاضرة صفتها وتدیرونها خبرها او علی انها تامة واشهدوا اذا تبایعتم ای هذا التبایع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة فی الآیة الکریمة للندب عند الجمهور وقیل للوجوب ثم اختلف فی احکامها ونسخها ولا یضار کاتب ولا شهید نهی عن المضارة محتمل للبنائین کما ینبئ عنه قراءة من قرأ ولا یضارر بالکسر والفتح وهو نهیهما عن ترک الاجابة والتغییر والتحریف فی الکتبة والشهادة او نهی الطالب عن الضرار بهما بان یعجلهما عن مهمهما ویکلفهما الخروج عما حد لهما او لا یعطی الکاتب جعله وقری بالرفع علی انه نفی فی معنی النهی وان تفعلوا ما نهیتم عنه من الضرار فانه ای فعلکم ذلک فسوق بکم ای خروج عن الطاعة ملتبس بکم واتقوا الله فی مخالفة اوامره ونواهیه التی من جملتها نهیه عن المضارة ویعلمکم الله احکامه المتضمنة لمصالحکم والله بکل شیء علیم فلا یکاد یخفی علیه حالکم وهو مجازیکم بذلک کرر لفظ الجلالة فی الجمل الثلث لادخال الروعة وتربیة المهابة وللتنبیه علی استقلال کل منها بمعنی علی حیاله فان الاولی حث علی التقوی والثانیة وعد بالانعام والثالثة تعظیم لشانه تعالی وان کنتم علی سفر ای مسافرین او متوجهین الیه ولم تجدوا کاتبا فی المداینة وقری کتابا وکتبا فرهان مقبوضة ای فالذی یستوثق به ارهانکم او فلیؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة ولیس هذا التعلیق لاشتراط السفر فی شرعیة الارتهان کما حسبه مجاهد والضحاک لانه صلی الله علیه وسلم رهن درعه فی المدینة من یهودی بعشرین صاعا من شعیر واخذه

لاهله بل لاقامة التوثیق بالارتهان مقام التوثق بالکتبة فی السفر الذی هو مظنة اعوازها وانما لم یتعرض لحال الشاهد لما انه فی حکم الکاتب توثقا واعوازا والجمهور علی وجوب القبض فی تمام الرهن غیر مالک وقری فرهن کسقف وکلاهما جمع رهن بمعنی مرهون وقری بسکون الهاء تخفیفا فان امن بعضکم بعضا ای بعض الداینین بعض المدیونین لحسن ظنه به واستغنی بامانته عن الارتهان وقری فان اومن بعضکم ای آمنه الناس ووصفوه بالامانة قیل فیکون انتصاب بعضا علی نزع الخافض ای علی متاع بعض فلیؤد الذی اؤتمن وهو المدیون وانما عبر عنه بذلک العنوان لتعینه طریقا للاعلام وحمله علی الاداء امانته ای دینه وانما سمی امانة لایتمانه علیه بترک الارتهان به وقری الذیتمن بقلب الهمزة یاء وقری بادغام الیاء فی التاء وهو خطأ لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم لانها فی حکمها ولیتق الله ربه فی رعایة حقوق الامانة وفی الجمع بین عنوان الالوهیة وصفة الربوبیة من التاکید والتحذیر ما لا یخفی ولا تکتموا الشهادة ایها الشهود او المدیونون ای شهادتکم علی انفسکم عند المعاملة ومن یکتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه مرتفع به علی الفاعلیة کانه قیل یأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الی القلب لان الکتمان مما اقترفه ونظیره نسبة الزنا الی العین والاذن او للمبالغة لانه رئیس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال کانه قیل تمکن الاثم فی نفسه وملک اشرف مکان فیه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضی الله عنهما ان اکبر الکبائر الاشراک بالله لقوله تعالی فقد حرم الله علیه الجنة وشهادة الزور وکتمان الشهادة وقری قلبه بالنصب کما فی سفه نفسه وقری اثم قلبه ای جعله آثما والله بما تعملون علیم فیجازیکم به ان خیرا فخیر وان شرا فشر لله ما فی السموات وما فی الارض من الامور الداخلة فی حقیقتهما والخارجة عنهما المتمکنة فیهما من اولی العلم وغیرهم ای کلها لله تعالی خلقا وملکا وتصرفا لا شرکة لغیره فی شیء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما فی انفسکم من السوء والعزم علیه بان تظهروه للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان تکتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهین ولا یندرج فیه ما لا یخلو عنه البشر من الوساوس واحادیث النفس التی لا عقد ولا عزیمة فیها اذ التکلیف بحسب الوسع یحاسبکم به الله یوم القیمة وهو حجة علی منکری الحساب من المعتزلة و الروافض وتقدیم الجار والمجرور علی الفاعل للاعتناء به واما تقدیم الابداء علی الاخفاء علی عکس ما فی قوله عز وجل قل ان تخفوا ما فی صدورکم او تبدوه یعلمه الله فلما ان المعلق بما فی انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فیها الاعمال البادیة واما العلم فتعلقه بها کتعلقه بالاعمال الخافیة کیف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال من ان یکون بطریق حصول الصورة بل وجود کل شیء فی نفسه فی ای طور کان علم بالنسبة الیه تعالی وفی هذا لا یختلف الحال بین الاشیاء البارزة والکامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة علی مرتبة الابداء اذ ما من شیء یبدی الا وهو او بادیه قبل ذلک مضمر فی النفس فتعلق علمه تعالی بحالته الاولی متقدم علی تعلقه بحالته الثانیة وقد مر فی تفسیر قوله تعالی اولا یعلمون ان الله یعلم ما یسرون وما یعلنون فیغفر بالرفع علی الاستیناف ای فهو یغفر بفضله لمن یشاء ان یغفر له ویعذب بعدله من یشاء ان یعذبه حسبما تقتضیه مشیئته المبنیة علی الحکم والمصالح وتقدیم المغفرة علی التعذیب لتقدم رحمته علی غضبه وقری بجزم الفعلین عطفا علی جواب الشرط وقری بالجزم من غیر فاء علی انهما بدل من الجواب بدل البعض والاشتمال ونظیره الجزم علی البدلیة من الشرط فی قوله متی تأتنا تلمم بنا فی دیارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء فی اللام لحن والله علی کل شیء قدیر تذییل مقرر لمضمون ما قبله فان کمال قدرته تعالی علی جمیع الاشیاء موجب لقدرته سبحانه علی ما ذکر من المحاسبة وما فرع علیه من المغفرة والتعذیب آمن الرسول لما ذکر فی فاتحة السورة الکریمة ان ما انزل الی رسول الله صلی الله علیه وسلم من الکتاب العظیم الشان هدی للمتقین بما فصل هناک من الصفات الفاضلة التی من جملتها الایمان به وبما انزل فیه من الکتب الالهیة وانهم حائزون لاثرتی الهدی والفلاح من غیر تعیین لهم بخصوصهم ولا تصریح بتحقق اتصافهم بها اذ لیس فیما ذکر فی حیز الصلة حکم بالفعل وعقب ذلک ببیان حال من کفر به من المجاهرین والمنافقین ثم شرح فی تضاعیفها من فنون الشرائع والاحکام والمواعظ والحکم واخبار الامم وغیر ذلک مما یقتضی الحکمة شرحه عین فی خاتمتها المتصفون بها وحکم باتصافهم بها علی طریق الشهادة لهم من جهته عز وجل بکمال الایمان وحسن الطاعة وذکر صلی الله علیه وسلم بطریق الغیبة مع ذکره هناک بطریق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقیة علی مر الدهور ان لا یخاطب بها المشهود له ولم یتعرض ههنا لبیان فوزهم بمطالبهم التی من جملتها ما حکی عنهم من الدعوات الآتیة ایذانا بانه امر محقق غنی عن التصریح به لا سیما بعد ما نص علیه فیما سلف وایراده علیه السلام بعنوان الرسالة المنبئة عن کونه علیه السلام صاحب کتاب مجید وشرع جدید تمهید لما یعقبه من قوله تعالی بما انزل الیه ومزید توضیح لاندراجه فی الرسل المؤمن بهم علیهم السلام والمراد بما انزل الیه ما یعم کله وکل جزء من اجزائه ففیه تحقیق لکیفیة ایمانه صلی الله علیه وسلم وتعیین لعنوانه ای آمن علیه السلام بکل ما انزل الیه

من ربه ايمانا تفصيلياً متعلقاً بجميع ما فيه من الشرايع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك
من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقيته احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من
الحيثية المذكورة وفي هذا الابهام اجلال لمحله عليه الصلوة والسلام واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه
واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اى الفريق
المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز
وجل كل مبتدأ ثان وقوله تعالى امن خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذى ناب مناب التنوين
وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع
كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه
عليه السلام المبنى على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف
الجلي كانهما مختلفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد
منهم على الوجه الانفي من نوع خفاء محوج الى التقوية والتأكيد اى كل واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك
له في الالوهية والعبودية وملائكته اى من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شانهم التوسط بينه تعالى وبين
الرسل بانزال الكتب والقاء الوحى فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه
تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اى من حيث مجيئهما من عنده تعالى لارشاد
الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى
الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم الصلوة والسلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم الآية
ولا على ان مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب
المنزل الى الرسول عليه السلام ومستند اليه لما تلى من الاية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرايعها باقية
بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر
ناسخ وان ما لم ينسخ منها الى الان من الشرايع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى
يوم القيمة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الاخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة
والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تعالى
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في افراد الجنس والجمع
في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر
عليه ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف
طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب
الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه السلام بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل
ما فيه من الجلايل والدقايق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم
الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة
اليها في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللايق بشان التنزيل والتحقيق بمقدار التدبر
وقد جوزان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذى عوض عنه التنوين راجع
الى المعطوفين معا كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول
والمؤمنين آمن بالله الخ خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشانه وايذانا باصالته عليه السلام في الايمان به
ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال اجلال شانه عليه السلام وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه
ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشانه صلى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال
اسنادهما الى غيره عليه السلام وضاع التكرير وان حملا على ما لا يليق بشان آحاد الامة كان ذلك حطا لرتبته
عليه السلام وان حملهما على ما يليق بكل واحد ممن نسبا اليه من الاحاد ذاتا وتعلقا بان يحملا بالنسبة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد الامة على الايمان المكتسب من
جهته عليه السلام اللايق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله
قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه
حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اى يقولون لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل

نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيد وابه ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول
صلى الله عليه وسلم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم بما كفروا
به من رسالته عليه السلام لا اظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القائلين آحاد المؤمنين
خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقول لا فرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه
وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم
من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد
الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور
وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي
الشمول والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من
الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق
بين رسله واثار اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد
منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه لان المعتبر
عدم التفريق من حيث الرسالة دون ساير الحيثيات الخاصة وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى
وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اى فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا ما فيه
من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك غفرانك ربنا اى اغفر لنا غفرانك او نسألك غفرانك
ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما
ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في
التضرع والجؤار واليك المصير اى الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة
لما ان الرجوع الى الحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة جئ بها اثر حكاية تلقيهم
لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد
السؤال كما سيجئ هذا وقد روى انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد
ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اى رسول الله كلفنا من
الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية لا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
فقرأها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فتوهم
الغفران المعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا
للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز
عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اى سنته تعالى انه لا يكلف
نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة
لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع
التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف
والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاة منفعة
زايدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله
من اقوى الدواعي الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اى لها ثواب ما كسبت من الخير
الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها
باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذى كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعمال
ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم
اثر بيان سر التكليف اى لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطاء من تفريط وقلة مبالاة
ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا
فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطاء مؤد الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي
الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة وعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك من آثار فضله
ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان وقد روى ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا
عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا

وآتنا ما وعدتنا على رسلك **ربنا ولا تحمل علينا اصرا** عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة **كما حملته على الذين من قبلنا** في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكوة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله تعالى عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شانهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا يفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان **واعف عنا** اي آثار ذنوبنا **واغفر لنا** واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الاشهاد **وارحمنا** وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية **انت مولانا** سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا **فانصرنا على القوم الكافرين** فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تعالى حسبما امر في تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قراهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ آيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة بل ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران

سورة آل عمران مائتان آية . بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنا لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما فتحها في القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي لبقاء حركتها في حكم الثابت المبتدا به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها الا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها وضعا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل وتحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر او اقرأ او نحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستانفة اي هو المستحق للمعبودية لا غير وقيل هو صفة للمبتدا او بدل منه او من الخبر الاول لما هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدا والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه او ما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل

عليه

عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل سالوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم قال الحي القيوم ويروى ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلثة منهم اكابر اليهم يؤل امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وايل وقد كان ملوك الروم شرفوه وموّلوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنايس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا امنا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولدا لله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى عليه السلام في الرحم كيف شاء وان ربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الا جحودا فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون **نزل عليك الكتاب** اي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستانفة او خبر آخر من الاسم الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو الخ اعتراض او حال وقوله تعالى الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر ان تكون مستانفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده **بالحق** حال من الفاعل او المفعول اي نزله محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق في اخباره التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده او بما يحقق انه من عند الله من الحجج البينة **مصدقا** حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال واما عند من يمنعه فقد قيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور لانه حينئذ يتحمل ضمير القائم مقام عامله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما **لما بين يديه** مفعول لمصدقا واللام دعامة لتقوية العمل لخوف العامل اي مصدقا لما قبله من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضورها وكمال ظهور امرها بين الناس وتصديقه

على

اياها فى الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشانه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا فى
انباء الانبياء والامم الخالية وكذا فى نزوله على النعت المذكور فيها وكذا فى الشرايع التى لا تختلف باختلاف الامم والاعصار
ظاهر لا ريب فيه واما فى الشرايع المختلفة باختلافهما فمن حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما يقتضيه الحكمة
التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللايقة بشانهم **وانزل التورية والانجيل** تعيين
لما بين يديه وتبيين لرفعه محله تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شان ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد
فى القلوب قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما فى الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام
اى انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكر الآن الكلام فى الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان
اعجميان الاول عبرى والثانى سريانى وبعضده القراءة بفتح همزة الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدى
لاشتقاقهما من الورى والنجل تعسف **من قبل** متعلق بانزل اى انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع
ظهور الامر للمبالغة فى البيان **هدى للناس** فى حيز النصب على انه علة للانزال اى انزلهما لهداية الناس او على انه
حال منهما اى انزلهما حال كونهما هادين لهم والافراد لما انه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف
اى ذوى هدى ثم ان اريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما
الى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا
الشرايع المنسوخة من الامور التى يصدقهما القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم
تعم الناس قاطبة **وانزل الفرقان** الفرقان فى الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا
اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها
بالذكر كما فى قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف
خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى كما فى
قوله سبحانه فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل
على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه
مع تاخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتورية فى الاشتمال على الاحكام والشرايع وشيوع اقترانهما فى الذكر واما
القرآن نفسه ذكر بنعت مادح له بعدما ذكر باسم الجنس تعظيما لشانه ورفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجى
الى الارض وثانيا انزاله الدفعى الى السماء الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العارى عن قيد التدريج وعدمه
واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل **ان الذين كفروا بآيات الله** وضع موضع الضمير
العايد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات الآيات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم
وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر
بالكل بل يكفى فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم او
جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اى ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده
تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا
بالقرآن اصالة وبساير الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما او اصالة
ايضا بان كذبوا بانها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وبآياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبى صلى الله عليه
وسلم وغيروها **لهم** بسبب كفرهم بها **عذاب** مرتفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة
خبر ان والتنوين للتفخيم اى اى عذاب **شديد** لا يقادر قدره وهو وعيد جىء به اثر تقرير امر التوحيد
الذاتى والوصفى والاشارة الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر
والعصيان **والله عزيز** لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **ذو انتقام** عظيم خارج عن افراد جنسه وهو
افتعال من النقمة وهى السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلى مقرر
للوعيد ومؤكد له **ان الله لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء** استيناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى و
احاطته بجميع ما فى العالم من الاشياء التى من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان
كمال قدرته وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان فى عيسى عليه
الصلوة والسلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه
كما فى قوله سبحانه وما يخفى على الله من شىء فى الارض ولا فى السماء ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت
فى اقصى الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شايبة خفاء بوجه من الوجوه
كما فى علوم المخلوقين بل هو فى غاية الوضوح والجلاء وفى الجملة المنفية خبرا لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة فى

متعلقة بمحذوف وقع صفة لشىء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه فى سياق النفى اى لا يخفى عليه شىء ما كاين فى الارض
ولا فى السماء اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر بهما عن كل
العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشان احوال اهلها وتوسيط حرف النفى بينهما للدلالة
على الترقى من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل
هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان احوال الخلق فى
اطوار الوجود حسب مشيته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها
تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصورة المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشية قبل تحققها بمراتب
وكلمة فى متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اى يصوركم وانتم فى الارحام مضغ وكيف معمول
ليشاء والجملة فى محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم اى يصوركم كاينا على مشيته تعالى اى مريدا او من
مفعوله اى يصوركم كاينين على مشيته تعالى تابعين لها فى قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا
غير مخلقة ثم مخلقة وفى الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات
وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه الصلوة والسلام وهو من جملة ابناء النواسيت
المتقلبين فى هذه الاطوار على مشية البارى عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرى تصوركم على صيغة الماضى
من التفعل اى صوركم لنفسه وعبادته **لا اله الا هو** اذ لا يتصف بشىء مما ذكر من الشؤن العظيمة الخاصة
بالالوهية احد ليتوهم الوهيته **العزيز الحكيم** المتناهى فى القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط
البديع **هو الذى انزل عليك الكتاب** شروع فى ابطال شبههم الناشية عما نطق به القرآن فى نعت عيسى عليه السلم
بطريق الاستيناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل ما عداه
مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا محمد
ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان
الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطق بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال
والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف
عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشان بشارته عليه السلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق
الى ما انزل فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شانه او بمنفعته تبقى مترقبة
له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسميه **منه آيات** الظرف خبر وآيات
مبتدأ او بالعكس بتاويل مر تحقيقه فى قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة
والثانى ادخل فى جزالة المعنى اذ المقصود الاصلى انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب
فتذكر والجملة مستانفة او فى حيز النصب على الحالية من الكتاب اى هو الذى انزل الكتاب كاينا على هذه الحال
اى منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية **محكمات** صفة آيات
اى قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه **هن ام الكتاب** اى اصل فيه
وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى فى كما فى واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدى
الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مستانفة وانما افرد الام مع تعدد الآيات لما ان
المراد بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما فى قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين
وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما فى قول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب
اى واما جلودها **واخر** نعت لمحذوف معطوف على آيات اى وآيات اخر وهى جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول من الاخر او من آخرين **متشابهات** صفة لاخر وفى الحقيقة صفة للمحذوف اى محتملات لمعان متشابهة
لا يمتاز بعضها من بعض فى استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتامل الانيق فالتشابه فى
الحقيقة وصف لتلك المعانى وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شان
الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها سمى كل ما لا يهتدى اليه العقل متشابها وان لم يكن ذلك بسبب
التشابه كما ان المشكل فى الاصل ما دخل فى اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من
تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد فى تدبرها وتحصيل العلوم التى
نيط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرايح فى استخراج مقاصدها الرايقة ومعانيها
اللايقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمينان الى المعارج القاصية واما
قوله عز وجل الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ وايدت بالحجج القاطعة الدالة

على حقيقتها او جعلت محكمة لا تطرق بها على حلايل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتاباً متشابها مثاني معناه متشابه الاجزاء اى يشبه بعضها بعضاً في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول فاما الذين في قلوبهم زيغ اى ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقراً للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد فيتبعون ما تشابه منه معرضين عن المحكمات اى يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتاويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل ابتغاء الفتنة اى طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تاويله اى وطلب ان يؤولوه حسبما يشتهونه من التاويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اى يتبعون المتشابه لابتغاء تاويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تاويله دون نفس تاويله وتجريد التاويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التاويل في شئ وان ما يبتغونه ليس بتاويل اصلاً لا انه تاويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به يقولون آمنا به اى بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اى كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او آمنا به وبحقيته على مراده تعالى وما يذكر حق التذكر الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحاً للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تاويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها في تصوير ما نزلت به النصارى من تحريف الكلم عن مواضعه وتكثير الآية ولعل القاهرة ازهرا على وجه الاجمال وسيجئ الجواب المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين اى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبتلينا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا اى الى الحق والتاويل الصحيح او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرف واذ في محل الجر باضافته اليه خارج عن الظرفية اى بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مراراً ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول اى كاينة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد يكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف لصريح الزمان كما في قوله تنتفض الرعدة في ظهيري * من لدن الظهر الى العصير * ولا تقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله ولم تقطع اصلا من لدن ان وليتنا قرابة ذي رحم ولا حق مسلم اى من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله تذكر نعماه لدن انت يافع والى الجملة الفعلية ايضاً كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم * فلا يك منكم للخلاف جنوح * وبعد العجم من كافة البيتين الاخيرين رحمة واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقاً للثبات على الحق وتاخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع بالدم فاذا ورد تمكن عندها فضل تمكن انك انت الوهاب تعليل للسؤال او لاعطاء المسئول وانت اما مبتدا او فصل او تاكيد لاسم ان والاطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم اى لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه تهويلاً له وتفظيعاً لما يقع فيه لا ريب فيه اى في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم والتاكيد لاظهار ما هم عليه من كمال الطمانينة وقوة اليقين باحوال الآخرة ان الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء الريب والتاكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سياتي ولا للاشعار بعلته للحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان يكون من كلامه

مسوقة

مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقاً ان الذين كفروا اى بما يجب الايمان به من الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شان القرآن العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركو العرب لن تغني عنهم اى لن تدفع وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جداً في استثقال الحركة على حروف اللين اموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار ولا اولادهم الذين بهم يتناصرون في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتاخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئاً اى شيئاً من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئاً اى بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفعه جده بدلك اى بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى او طاعته مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاولى ان الجملة حال الكفرة وتهويل امرهم والتنبيه لما بعده من قوله تعالى واولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فاخذهم الله بذنوبهم وحصرها الذي لا يسعه بيان حال طعمة السعير فانها بابتاء الجملة الاسمية لا بد لا يخلو بحقق الامر وتقرره لاولها فهو لا ابدان بحقيقته حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستانفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على خبر ان واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم منه شيئاً وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر اى اهل وقودها كدأب آل فرعون الدأب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اى لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم اى دابهم الدأب المذكور في تفسير الدأب اى داب هؤلاء وهو التكذيب والاخذ ان وفي قوله لن تغني عنهم مع اعتبار عدم الاغناء وفيه لا سيما على تقدير مكون من معنى البدل كما هو رأي الجمهور ولا يقاد النار تعلق الدأب يحتمل التعليل ولا على اقتراب حال تفريقه الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بل تعني وهو قوله تعالى والذين من قبلهم عطف على آل فرعون اى والذين من قبلهم من الامم الكافرة كذبوا باياتنا بيان وتفسير لدابهم الذي فعلوا على طريقة الاستيناف المبني على السؤال كانه قيل كيف كان دابهم فقيل كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم اى كقوم فرعون ومن قبلهم على ان الموصول في محل الجر عطفاً على آل فرعون والمراد بهم من قبلهم وقيل كذبوا الخ حال من آل فرعون والذين من قبلهم على اضمار قد اى داب هؤلاء كداب اولئك وقد كذبوا الآخ وما كونه خبراً عن الموصول كما قيل فيأباه الذوق الكريم والالتفات الى التكلم للجري على سنن الكبرياء وفي التعبد بتانيتها الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جيء بها تاكيداً لما يفيده من تفريع الاخذ على التكذيب وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوباً اخرى اى فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع وسمي الجريمة ذنباً لانها تتلو اى تتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى وفي التورية نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكباً الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد ابن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشاً ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوماً اغماراً لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اى قل لهم ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة ولذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيؤدي الى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لان قوله

بعد وقعة بدر وتحشرون اى فى الآخرة الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على انه عليه السلام امر بان يحكى لهم ما اخبره الله تعالى به من وعيدهم بعبارته كانه قيل اد اليهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام ما يقال لهم او استيناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اى وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المامور به جئ به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة ولتوسطها بينها وبين اسمها ترك التانيث كما فى قوله ان امرأ غره منكن واحدة بعدى وبعدك فى الدنيا لمغرور على ان التانيث ههنا غير حقيقى وهو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اى والله قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون فى فئتين اى فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا فى حيز الجر على انه صفة فئتين اى تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدأ محذوف اى احديهما فئة كما فى قوله اذا مت كان الناس حزبين شامت، وآخر مثن بالذى كنت اصنع اى احدهما شامت واخر مثن وقوله حتى اذا ما استقل النجم فى غلس، وغودر البقل ملوى ومحصود، والجملة مع ما عطف عليها مستانفة لتقرير ما فى الفئتين من الآية وقوله تعالى تقاتل فى سبيل الله فى محل الرفع على انه صفة كانه قيل فئة مومنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار فى تحقق الآية وهى روية القليل كثيرا وقرئ يقاتل على تاويل الفئة بالقوم او الفريق واخرى نعت لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اى وفئة اخرى وانما نكرت والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح ان التفريق لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر المبتدأ المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى واسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير فى التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضمير اى فئة منها تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كل منهما مبتدأ وما بعدهما خبرا اى فئة منها تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر اى منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد مر انه لا بد من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما فى قول كثير عزة وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت وقرئ فئة الخ بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا كانه قيل التقتا مومنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما كما فى قولك جاءنى زيد رجلا صالحا يرونهم اى يرى الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الروية لكل واحد واحد من آحاد الفئة والجملة فى محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة او مستانفة مبينة لكيفية الآية مثليهم اى مثلى عدد الرائين قريبا من الفين اذ كانوا زهاء من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفين وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عددا لا يحصى عن محمد بن ابى الفرات عن سعد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسالوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلى عدد المرئيين اى ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين على بن ابى طالب رضى الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجى رضى الله عنه وكان فى العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والاخر لمرثد بن ابى مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضوان الله عز وجل عليهم اجمعين اراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم فى اعينهم عند ترائيهما ليجترءوا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين يجبيهم الهرب وقيل يرى الفئة الاولى الفئة الاخيرة مثلى انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود فى قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان روية المثلين غير متعينة من جانب المومنين بل قد وقعت روية المثل بل اقل منه ايضا فانه روى ان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قد نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله تعالى ايضا فى اعينهم حتى رايتهم عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم

قال

قال الفا فلو اريد روية المومنين المشركين اقل من عددهم فى نفس الامر كما فى سورة الانفال لكانت رويتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر فى كونها آية من رويتهم مثليهم على ان ابانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة باراءتهم القليل كثيرا او تضعيف قويا والقاء الرعب فى قلوبهم بسبب ذلك ادخل فى كونها آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكونهم مخالطيهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا سواء جعل الجملة صفة او مستانفة اولى من العكس هذا ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغى جعل الخطاب لمشركى مكة كما قيل اما ان جعل الموعود عبارة عن هزيمة بدر كما صرحوا به فظاهر لاستقرار به واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التى شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون ح فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة اليها مع كون اسنادها الى المخاطبين اوقع فى الزام الحجة وادخل فى التبكيت مما لا داعى اليه وبهذا تبين حال جعل الخطاب الثانى للمومنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه الخطاب الثانى الى المشركين لكنه ليس بنص فى ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل روية المشركين نزلت منزلة روية اليهود لما بينهم من الاتحاد فى الكفر والاتفاق فى الكلمة لا سيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الروية اليهم مبالغة فى البيان وتحقيقا لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب فى صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اى يريهم او يريكم الله تعالى كذلك راى العين مصدر موكد ليرونهم ان كان الروية بصرية او مصدر تشبيهى ان كانت قلبية اى روية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى روية العين والله يويد اى يقوى بنصره من يشاء ان يويده من غير توسط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة فى سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المامور به ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من روية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكى السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه فى الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب و الجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اى لعبرة عظيمة كائنة لاولى الابصار لذوى العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقررا لما قبله بطريق التذييل واما واردة من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستانف سيق لبيان حقارة شان الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة فى كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات او ايذانا بانهماكهم فى حبها بحيث احبوا شهواتها كما فى قوله تعالى انى احببت حب الخير او استرذالا لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو البارى سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعى والحكمة فى ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الآية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبنى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائى بين المباحات واسند تزيينها اليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين فى محل النصب على انه حال من الشهوات وهى مفسرة لها فى المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن فى معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد فى حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف فى ان وزنه فعلال او فنعال ولفظ المقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض او المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال والخيل عطف على القناطير قيل هى جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق من الخيلاء المسومة اى المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعى او المطهمة التامة الخلق والانعام اى الابل والبقر والغنم والحرث اى الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك اى ما ذكر من الاشياء المعهودة متاع الحيوة الدنيا اى ما يتمتع به فى الحيوة الدنيا اياما قلائل فتفنى سريعا والله عنده حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفى تكرير الاسناد بجعل الجلالة مبتدأ واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تاكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله تعالى من النعيم المقيم والتزهيد فى ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية قل اونبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين شان مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآل اجمالا امر النبى صلى

الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل الناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اي اخبركم بما هو خير مما
فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شانه والتشويق اليه وقوله تعالى **للذين اتقوا عند ربهم جنات**
استيناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدأ والجار مع المجرور خبرا وعلى ان جنات مرتفع به على الفاعلية عند من
لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه
على ما ينبئ عنه النعوت الاتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات
عليه وعند نصب الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات و
سمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة
بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير
ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان بما هو خير لطايفة ربما يوهم ان هناك خيرا آخر لاخرين **تجري** في محل الرفع
او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين **من تحتها الانهار** متعلق بتجري فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو
الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا
خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار **وازواج مطهرة** عطف على
جنات اي مبرأة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية **ورضوان** التنوين للتفخيم وقوله تعالى **من
الله** متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان واي رضوان لا يقادر قدره
كاين من الله عز وجل وقرئ بضم الراء **والله بصير بالعباد** وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال
الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد **الذين يقولون ربنا اننا آمنا** في
محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ
او النصب على المدح او الجر على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا كذلك والاول اظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد معترضة
وتاكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم **فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب
النار** على مجرد الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار **الصابرين** هو على تقدير كون الموصول
في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب والجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو
الصبر على مشاق الطاعات وعلى الباساء والضراء وحين الباس **والصادقين** في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم **و
القانتين** المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات **والمنفقين** اموالهم في سبيل الله تعالى **والمستغفرين
بالاسحار** قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال
الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا
فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل
حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لا سيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة
على استقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها **شهد الله انه** بفتح الهمزة اي بانه وعلى انه **لا اله الا هو** اي
بين وحدانيته بنصب الدلايل التكوينية في الافاق والانفس وانزال الايات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه
بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء
شهد مجرى قال واما بجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الخ على قراءة ان بفتح الهمزة كما سيأتي
وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وما له الرفع على
المدح اي هم شهداء لله وهو اما جمع شهيد كظرفاء فجمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر **والملائكة** عطف
على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك **واولوا العلم**
اي آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون
والانصار وقيل علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى
بالدلايل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الاخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما
وانت خبير بان ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملئكة واولي العلم وليس فيه
كثير فايدة فالوجه حينئذ كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اي والملائكة واولوا العلم
شهداء بذلك وكذا ان تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا فيحسن العطف على المستتر على كل حال وقوله **قائما بالقسط**
اي مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله
تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق

ويعقوب

ويعقوب نافلة ولعل تاخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد اعتناء
بشانه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو الاوجه والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد او احقه لانها حال مؤكدة او على
المدح وقيل على انه صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما الخ والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل
صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة
او على انه خبر لمبتدأ محذوف وقرئ قيما بالقسط **لا اله الا هو** تكرير للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد و
الحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى **العزيز الحكيم** فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته
على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية لمبتدأ مضمر وقد روي
في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من
وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه كان
حول البيت ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الاية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال
الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه هذه المدينة
بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد
قال عليه السلام نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام انا محمد واحمد قالا فانا نسالك عن شيء فان اخبرتنا به آمنا بك
وصدقناك قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله تعالى هذه الاية
فاسلم الرجلان **ان الدين عند الله الاسلام** جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي
هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى
وقرئ ان الدين عند الله للاسلام وقرئ ان الدين الخ على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او
بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه **وما
اختلف الذين اوتوا الكتاب** نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم و
انكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتي ما يزيله
ويقطع شافته في غاية القبح والسماجة وقوله تعالى **الا من بعد ما جاءهم العلم** استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم
الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه
او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والايات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة
ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى **بغيا بينهم** اي حسدا
كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع **ومن يكفر بآيات الله** اي باياته الناطقة بما
ذكر من ان الدين عند الله تعالى هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او باية آية كانت من آياته تعالى على ان يدخل فيها
ما نحن فيه دخولا اوليا **فان الله سريع الحساب** قائم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر باياته تعالى فانه تعالى
يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اي ياتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية
المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر باياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون
كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم **فان حاجوك**
اي في كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعد ما اقمت عليهم الحجج **فقل اسلمت وجهي** اي اخلصت نفسي
وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما تقع
به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شيء **لله** لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذي
قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل عليهم الصلوة والسلام **ومن اتبعن** عطف على المتصل في اسلمت وحسن
ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التاكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول معه **وقل للذين اوتوا الكتاب** اي
من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين **والاميين** اي الذين لا
كتاب لهم من مشركي العرب **ءاسلمتم** متبعين لي كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه
لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسئلة ولم يدع من طرق
التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه هل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي
الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا
يخفى **فان اسلموا** اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به حسما لباب اطلاق اسم الاسلام
على شيء آخر بالكلية **فقد اهتدوا** اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوي الضلال **وان تولوا** اي اعرضوا عن

الاتباع وقبول الاسلام فانما عليك البلاغ قايم مقام الجواب اى لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه الاية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله اى اية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالايات الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذى مر تفصيله دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتل اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حايمين حول قتل النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان عصم الله عز وجل ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرى بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان عندهم ايضا بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس اى بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما فى الوقت عن ابى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرى ويقاتلون الذين فبشرهم بعذاب اليم خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تاكيدا وكذا الحال فى النسخ بان المفتوحة كما فى قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما فى قوله فوالله ما فارقكم عن ملالة ولكن ما يقضى فسوف يكون وانما يتغير معنى الا فى النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة كما فى قولك الشيطان فاحذره عدو مبين وعلى الاول هو استيناف واسم الاشارة مبتدا وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامى امرهم فى الضلال وبعد منزلتهم فى فظاعة الحال والموصول بما فى حيز صلته خبره اى اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون باسوء الحال الذين بطلت اعمالهم التى عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر فى الدارين بل بقى لهم اللعنة والخزى فى الدنيا وعذاب اليم فى الاخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من باس الله وعذابه فى احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع فى مقابلته لا لنفى تعدد الانصار من كل واحد منهم كما فى قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه الروية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم فى الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اى الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التقريب ح يكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوا منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التى من جملتها ما علموه من نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم اى يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة فى تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذين اوتوا نصيبا منه وهو التورية والاظهار فى مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استيناف مبين لمحل التعجب مبنى على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم يدعون الى كتاب الله وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت فى الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القران فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرى ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الاخرون ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اى يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اى وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولى والاعراض وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اى حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار باقتراف الذنوب وركوب المعاصى الا اياما معدودات وهى مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان اباءنا الانبياء يشفعون لنا او ان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبايح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال اى فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم

اى لجزاء يوم لا ريب فيه اى فى وقوعه ووقوع ما فيه روى ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اى جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شئ واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها وهم اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حروف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصايص الاسم الجليل كدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اى اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اى مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء ايجادا واعداما احياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتى الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذى يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذى هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اى ايتاءه اياه وتنزع الملك ممن تشاء اى نزعه منه فالملك الاول حقيقى عام ومملوكيته حقيقية والاخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبيهما مجازية وقيل الملك الاول عام والاخران بعضان منه فتامل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى آخرين وتعز من تشاء ان تعزه فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء ان تذله فى احديهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اى بقدرتك الخير كله لا يقدر احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضى بالذات واما الشر فمقضى بالعرض اذ ما من شر جزئى الا وهو متضمن لخير كلى او لان فى حصول الشر دخلا لصاحبه فى الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه فانه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه الصلوة والسلام واخذ منه المعول فضرب بها ضربة صدعها وبرز منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل عليه السلام ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شئ قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل فى النهار اى تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثانى وتولج النهار فى الليل على احد الوجهين وتخرج الحى من الميت اى تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحى اى تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب قال ابو العباس المقرى ورد لفظ الحساب فى القران على ثلثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن على رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب واية الكرسى وآيتان من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب متعلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل انى حلفت انه لا يقرأكن احد دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته فى حظيرة القدس ونظرت اليه بعينى كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفى بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما فى قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة بهم فى الغزو وساير

الامور الدينية من دون المومنين في موضع الحال اي متجاوزين المومنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم
الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل
للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان
موالاة المتعادين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة
اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل
فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا وباطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم منهم اي
من جهتهم تقاة اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة ح مع اطمينان
النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه الصلوة والسلم
كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه
اي ذاته المقدسة فانه جوز اطلاق النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين
وقد صرح بعض محققي المتاخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه
وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يوبه دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما
قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم من الضماير التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم
يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره في تفسير قوله تعالى وان
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في الارض كلام مستانف
غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة
وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن ساير
الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية
الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس اي من النفوس المكلفة ما عملت
من خير محضرا عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت و
الاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر
من مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحايف الاعمال من
الخير والشر واجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية هوله وفي اسناد
الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل سيء او لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم
وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار
اذكروا وتود اما حال من كل نفس او استيناف مبني على السؤال اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
وشر محضرا وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا او كان سائلا قال حين امروا بذكر ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك
فقيل تود لو ان بينها الخ او تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع
تود وقرئ ودت فح يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهورة
ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤف بالعباد
من ان تحذيره تعالى من رافته بهم ورحمته الواسعة او ان رافته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه وان
تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرافة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس
الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك
يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على طاعته يحببكم الله اي يرض عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب
عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او
المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر
لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة و
الرحمة روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا
لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من

العمل

العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش في المسجد الحرام يسجدون
للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد
خالفتم ملة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله تعالى زلفى فقال
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي
اتبعوا شرعي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله والرسول اي في جميع الاوامر و
النواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلم دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين
حيثية الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة المامور بها اطاعته عليه السلم من حيث انه رسول الله لا من حيث
ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي
صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التائين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة
الماضي الغايب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب
الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على
الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة
كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمومنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي
والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق
رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة فبدا ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم الصلوة والسلام كافة واتبعه
ذكر مبدا امر عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه
اهل الكتابين في شانهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابراهيم عليه السلم وادعائهم الانتماء
الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة
الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة
والنبيين وان اممهم قاطبة مامورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما سياتي
تفصيله وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشا النبوة وكذا حال نوح عليه السلم فانه آدم الثاني
واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم
نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر من التنبيه على كونه عليه الصلوة والسلم عريقا في النبوة
من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر
عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف في شانه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل وهو
الداعي الى اضافة الآل الى ابراهيم دون نوح وادم عليهم السلم والاصطفاء اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثل
به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة
للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم السلم او فيمن يلابسه وينشا منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه
السلم بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكان الجنة واصطفى نوحا عليه السلام
بكونه اول من نسخ الشرايع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة
دعوته في حق الكفرة والمومنين وحمله على متن الماء والمراد بآل ابراهيم اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين
من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه عليه السلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية و
عدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكون
اصطفاء آله بدعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم و
بآل عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازار بن ابي هود بن ربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشا بن
اموز بن ميشك بن حارفا بن احاد بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود
عليهما السلام بن ايشا بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عميادب بن رام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن
يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي عليهما السلام و
بين العمرانين الف وثمانماية سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام ح بالاندراج في آل ابراهيم عليه السلام و
الاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام بالانتظام في سلك آل ابراهيم
عليه السلم انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه

ذرية نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها فى قوله تعالى ومن ذريتى وقوله تعالى بعضها
من بعض فى محل النصب على انه صفة لذرية اى اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من
البعض فى النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض فى الدين فالاستمالة على الوجه الاول قرابية
وعلى الثانى برهانية والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم البادية والخافية فيصطفى من بينهم لخدمته من يظهر
استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امراة
عمران فى حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستيناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اى
اذكر لهم وقت قولها الخ وقد مر مرارا توجيه وجه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من
الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اى سميع لقولها المحكى عليم بضميرها المنوى وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء
المدلول عليه باصطفى المذكور كانه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف
المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل فى ذلك الوقت وامراة عمران هى حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه
السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس
بذاك فان قصة كفالة زكريا عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا له
وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام واما قوله صلى الله عليه وسلم فى شان يحيى وعيسى عليهما السلام
هما ابنا خالة فقيل تاويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما الصلوة والسلام
ابنى خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت لهما
ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب فى شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها
من الام لانها اخت حنة من الام روى انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هى ذات يوم فى ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم
فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس
فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم فى الغلمان ثم هلك عمران وهى حامل وجنينها فقولها رب
انى نذرت لك ما فى بطنى لا بد من حمله على التكرير لتاكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز
والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة
ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتاكيد الجملة لابراز
وفور الرغبة فى مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وانما عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره
عن درجة العقلاء محررا اى معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شان آخر او مخلصا للعبادة ونصبه على
الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره فى الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها فى قوة ما
استقر فى بطنى ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه
من الاستقرار فى بطنها فتقبل منى اى ما نذرته والتقبل اخذ الشئ على وجه الرضى وهذا فى الحقيقة استدعاء
للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى انك انت السميع لجميع المسموعات
التى من جملتها تضرعى ودعائى العليم بكل المعلومات التى من زمرتها ما فى ضميرى لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول
لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما فى ضميرها مصحح للتقبل فى الجملة بل من حيث انه علمه تعالى
بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتى
السمع والعلم عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة فى الضراعة
والابتهال فلما وضعتها اى ما فى بطنها وتانيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعى ظهور انوثته واعتباره فى
حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعنى قوله تعالى قالت رب انى وضعتها انثى لا على وضع ولد ما كانه قيل فلما وضعت
بنتا قالت الخ وقيل تانيثه لان ما فى بطنها كان انثى فى علم الله تعالى او لانه مؤول بالحبلة او النفس او النسمة وانت
خبير بان اعتبار شئ مما ذكر فى حيز الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال موكدة من
الضمير او بدل منه وتانيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء او لما مر من التاويل بالحبلة او النسمة
فالحال حينئذ مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك
نذرته محررا للسدانة والتاكيد للرد على اعتقادها الباطل والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى لموضوعها
وتفخيم لشانه وتجهيل لها بقدره اى والله اعلم بالشئ الذى وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعله وابنه
آية للعالمين وهى غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اى انك لا تعلمين
قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشان وسمو المقدار وقرئ وضعت على صيغة المتكلم مع الالتفات
من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح لما

نذرته

نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل الله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات
ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالانثى اعتراض آخر مبين لما فى الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام فى الذكر
والانثى للعهد اى ليس الذكر الذى كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التى
وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين واما على تقدير
الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى فى الفضيلة بل ادنى منها واما على التفسير الاول لها فمعناه تاكيد
الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه
وانى اعيذها بك عطف على انى سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اى اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء
المتكلم فى المواضع التى بعدها همزة مضمومة الا فى موضعين بعهدى اوف آتونى افرغ وذريتها عطف على الضمير
وتقديم الجار والمجرور عليه للايذان لابراز كمال العناية به من الشيطان الرجيم اى المطرود واصل الرجم الرمى
بالحجارة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه
الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى
عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها اى اخذ مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها
الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى بقبول حسن قيل الباء زائدة والقبول مصدر موكد للفعل السابق
بحذف الزوائد اى تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته
للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل
وان كان المراد بها فى حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وقيل القبول ما يقبل به الشئ كالسعوط واللدود
لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها
من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة روى ان حنة حين ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم
وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام فى الكتب الالهية فقال زكريا عليه السلام انا احق بها عندى خالتها فابوا
الا القرعة وكانوا تسعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا عليه الصلوة والسلام
ورسب اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اى فتقبلها بذى قبول اى بامر ذى قبول حسن وقيل
تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل اى استقبلها فى اول امرها حين ولدت بقبول
حسن وانبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها نباتا حسنا مصدر موكد للفعل المذكور بحذف الزوائد
وقيل بل للفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا اى جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا
لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحى بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته عليه السلام فى كفالتها
وطفو قلمه ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ اكفلها وقرئ
زكرياء بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكريا ممدودا ومقصورا وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها
على صيغة الامر فى الكل ونصب ربها على الدعاء اى فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا
لها فهو تعيين لجهة الكفل التربية قيل بنى عليه السلام لها محرابا فى المسجد اى غرفة يصعد اليها بسلم وقيل
المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى
المحاريب روى انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب كلما دخل عليها زكريا المحراب
تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية
والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اى كل زمان دخوله
عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اى نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان
يجد عندها فى الصيف فاكهة الشتاء وفى الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط قال استيناف
مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال يا مريم انى لك
هذا اى من اين لك هذا الذى لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة
للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لزكريا عليه السلام
فيباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما شاهده
انها موبدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استيناف كما قبله كانه قيل فماذا صنعت مريم وهى صغيرة
لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من

يشاء ان يرزقه بغير حساب اى بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلاً منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون فى محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستانف روى ان فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزاً ولحماً فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة بنى اسرائيل ثم جمع علياً والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك كلام مستانف وقصة مستقلة سيقت فى تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما فى ايرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء ادلة على فضائل الاخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب اى فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب او فى ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه لما راى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها منه تعالى رغب فى ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد حنة فى النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت حنة كذلك وقيل لما راى الفواكه فى غير اوانها تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفانى فاقبل على الدعاء من غير تاخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل الا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط بل كان جزءاً اخيراً من العلة التامة التى من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل فى سورة مريم قال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لى من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازاً اى اعطنى من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالاً من ذرية اى كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد فالتانيث فى الصفة لتانيث لفظ الموصوف كما فى قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال وهذا اذا لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعاء اى مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة كان المنادى جبريل عليه السلام كما يفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما فى قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له غير فرس وثوب قال الزجاج اى اتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة وقيل لما كان جبريل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيماً له وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع كونه صادراً عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلى اما صفة لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثانى جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن فى قائم وقوله تعالى فى المحراب اى فى المسجد او فى غرفة مريم متعلق بيصلى او بقائم على تقدير كون يصلى حالاً من ضمير قائم لان العامل فيه وفى الحال شئ واحد فلا يلزم الفصل بالاجنبى كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه نوعاً منه وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثى واياً ما كان ينبغى ان يكون هذا الكلام الى آخره محكياً بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما ينبئ به مراجعته عليه السلام فى الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع فى سورة مريم للجرى على سنن الكبرياء كما فى قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكى هنالك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى فى السورتين الكريمتين فتامل ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربياً فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انما سمى يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان قال القرطبى كان اسمه فى الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه الحال اى بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقاً حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اى بعيسى عليه السلام وانما سمى كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التى هى عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اى بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدى لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلى فقالت مريم وانا ايضاً حبلى قالت فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك

قوله تعالى مصدقاً بكلمة الخ وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر وقيل بثلث سنين وقتل قبل رفع عيسى عليه السلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما ان مريم ولدت وهى بنت ثلث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اى بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيداً عطف على مصدقاً اى رئيساً يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وكان فائقاً الناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيا لها من سيادة ما اسناها وحصوراً عطف على ما قبله اى مبالغاً فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبياً عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة من الصالحين اى ناشئاً منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائناً من جملة المشهورين بالصلاح كما فى قوله تعالى وانه فى الآخرة لمن الصالحين و المراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذى لا بد منه فى منصب النبوة البتة من اقاصى مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عليه السلام وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام ح فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادى له مع انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة فى التضرع والمناجاة وجداً فى التبتل اليه تعالى واحترازاً عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه فى عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه فى بعضها انى يكون لى غلام فيه دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاماً عند التبشير كما فى قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى كيف او من اين وكان تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اى كيف او من اين يحدث لى غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالاً من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى و اللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب على الظرفية وقد بلغنى الكبر حال من ياء المتكلم اى ادركنى كبر السن واثر فى كقولهم ادركته السن واخذت منه السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس و ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتى عاقر اى ذات عقر وهو ايضاً حال من ياء لى عند من يجوز تعدد الحال او من ياء بلغنى اى كيف يكون لى ذلك والحال انى وامرأتى على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة استعظاماً لقدرة الله سبحانه وتعجباً منها واعتداداً بنعمة عز وجل عليه فى ذلك لا استبعاداً له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسى دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاماً عن كيفية حدوثه قال استيناف كما سلف كذلك اشارة الى مصدر يفعل وقوله عز وجل الله يفعل ما يشاء اى ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف فى محل النصب على انها فى الاصل نعت لمصدر محذوف اى الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلاً مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة لتاكيد افادة اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطاً او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفاً اى يفعل الفعل كائناً مثل ذلك او فى محل الرفع على انها خبر والجلالة مبتدأ اى على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشان المبهم او كذلك خبر لمبتدأ محذوف اى الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لى آية اى علامة تدلنى على تحقق المسؤول ووقوع الحبل وانما سالها لان العلوق امر خفى لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهوراً معتاداً ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سنى يحيى وعيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلث سنين لان ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى فى سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان يكون المحاورة بعد ذكر بلوغ مريم فى حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم فى الصغر بموجب توطئة الحكى والجعل ابداعى واللام متعلقة به والتقديم لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالاً من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين اولهما آية وثانيهما لى والتقديم لانه مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى المبتدأ والخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اى ان لا تقدر على تكليمهم ثلثة ايام اى متوالية لقوله تعالى فى سورة مريم ثلث ليال سوياً مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كانه قيل آية حصول

المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اى اشارة
بيد او راس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اى تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لان الاشارة
ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب فى كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ
رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين
كقوله متى ما تلقنى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك اى فى ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل
والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية كثيرا اى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا وسبح اى سبحه تعالى وافعل
التسبيح بالعشى اى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى
قيل المراد بالتسبيح الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما فى قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل
الذكر اللسانى كما ان المراد بالذكر الذكر القلبى وقرئ الابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة
شروع فى شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضائل بعض اقاربهما اعنى زكريا ويحيى
عليهما السلام لاستدعاء المقام اياها حسبما اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام
وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على
الظرف السابق اعنى قوله تعالى اذ قالت امراة عمران منصوب بناصبه فتدبر اى واذكر ايضا من شواهد
اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام يا مريم وتكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام
الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة
بحال صغر مريم عليها السلام وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل
كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة وقيل
الهموها ان الله اصطفيك اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى وربّاك فى حجر
زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك اى مما يستقذر من الاحوال
والافعال ومما قرفك به اليهود بانطاق الطفل واصطفيك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى عليه
السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية
هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال
بالتذكير ولو روعى الترتيب الخارجى لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفاءين واحد والتكرير
للتاكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا اشكال فى ترتيب النظم الكريم اذ يحمل حينئذ الاصطفاء على
ما ذكر اولا ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه السلام ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات
والعبادات حسبما امرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة اليه تعالى منسلخة عن احكام البشرية
مستعدة لفيضان الروح عليها يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله
من تذكير النعم تمهيد لذلك وترغيبا فى العمل بموجبه اقنتى لربك اى قومى فى الصلوة او اطيلى القيام
فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر واسجدى واركعى
مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة فى ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته
وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب فى شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلوة و
اقصى مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق به الترقى من الادنى الى الاعلى
واما ليقترن اركعى بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع فى صلوتهم ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو لا توجب
الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر بالركنين الاخيرين عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر
بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعات كما فى قوله تعالى
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات
قيل لما امرت بذلك اقامت فى الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ذلك اشارة الى ما سلف من
الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وهو مبتدا خبره
قوله تعالى من انباء الغيب اى من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وقوله
تعالى نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه
او حال من ضميره اى نوحى من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان
بان الوحى لم ينقطع بعد وما كنت لديهم اى عند الذين اختلفوا وتنازعوا فى تربية مريم وهو تقرير وتحقيق
لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما فى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى الاية وما كنت ثاويا فى اهل مدين

الاية

الاية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والواقعات اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقى احتمال
المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف للاستقرار العامل فى لديهم والاقلام اقداحهم
التى اقترعوا بها قيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التورية تبركا ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه
يلقون اقلامهم اى يلقونها ينظرون او ليعلموا ايهم يكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون اى فى شانها تنافسا فى
كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما فى قوله
عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره صلى
الله عليه وسلم عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لاسيما
اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغير الترتيب فى الذكر مؤكد له اذ قالت الملائكة شروع
فى قصة عيسى عليه السلام وهو بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جئ به تقريرا
لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على
اتحاد المخاطب والمخاطب وايذانا بتقارن الخطابين او تقاربهما فى الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه
وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت حاضرا فى ذلك الزمان المديد الذى وقع فى طرف منه الاختصام
وفى طرف آخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عليه السلام بتفاصيل احوال مريم عليها السلام من اولها الى آخرها والقائل
جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع لما مر يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بمحذوف وقع صفة لكلمة اى بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن
مذكر وهو مبتدا خبره المسيح وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدا محذوف
وقيل منصوب باضمار اعنى مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما يتميز المسمى عمن سواه
فالخبر حينئذ مجموع الثلثة اذ هو المميز له عليه السلام تمييزا عن جميع من عداه والمسيح لقبه عليه السلام وهو من
الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصدى لاشتقاقهما
من المسح والعيس وتعليله بانه عليه السلام مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه جبريل عليهما السلام
او مسح الارض ولم يقم فى موضع او كان عليه السلام يمسح ذا العاهة فيبرا وبانه كان فى لونه عيس اى بياض يعلوه
حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى
امه وبذلك فضلت على نساء العالمين وجيها فى الدنيا والآخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو
حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة فى
الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفى الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة ومن المقربين اى من الله عز وجل
قيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبته الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس
فى المهد وكهلا اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به ما يمهد للصبى
اى يسوى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفى ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه
بمعزل من الالوهية ومن الصالحين حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السالفة او من الضمير فى يكلم قالت استيناف
مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها رب انى
يكون اى كيف يكون او من اين يكون لى ولد على وجه الاستبعاد العادى والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل
وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره ويكون اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتاخير
الفاعل على الجار لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد
اذ لو تاخر لكان صفة له واما ناقصة واسمها ولد وخبرها اما انى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر او خبر
وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسنى بشر جملة حالية محققة للاستبعاد اى والحال انى على حالة منافية
للولادة قال استيناف كما سلف والقائل هو الله تعالى او جبريل عليه السلام كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام فى
اعرابه كما مر فى قصة زكريا بعينه خلا ان ايراد يخلق ههنا مكان يفعل هناك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها
بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان الخلق المنبئ عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق
الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل اذا قضى امرا من الامور اى اراد شيئا كما فى قوله تعالى انما امره اذا
اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة
وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول له كن اى الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة اى العلوم و
تهذيب الاخلاق والتورية والانجيل افردهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما
وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما

ويعلمه الكتاب

اهمها من خوف الاذية لما علمت انها تلد من غير زواج وقرئ نعلمه بالنون ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر يعود اليه
المعنى معطوف على يعلمه اى ويجعله رسولا الى بنى اسرائيل اى كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين
ثم قيل كان رسولا حال الصبى وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بنى اسرائيل يوسف واخرهم عيسى عليهما السلام وقيل
اولهم موسى واخرهم عيسى عليهما السلام وقوله تعالى انى قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اى رسولا
ناطقا بانى الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على ما يعلمه او يقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم
الخ وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها فى حكم الغيبة مع كون هذا فى حكم الكلام لما عرفت من ان فيه معنى
النطق كانه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا بانى الخ وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلمة والباء فى قوله تعالى باية
متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها و
كثرتها وقرئ بآيات او بجئتكم على انها للتعدية ومن فى قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بمحذوف وقع صفة لاية اى قد جئتكم ملتبسا باية عظيمة كائنة من ربكم او آتيتكم اية عظيمة كائنة منه تعالى و
التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال بما سياتى من الاوامر وقوله تعالى
انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى انى قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه و
الفراء والجر على راى الخليل والكسائى او بدل من اية وقيل منصوب بفعل مقدر اى اعنى انى الخ وقيل مرفوع على
انه خبر مبتدا محذوف اى هى انى اخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف اى اقدر لكم اى لاجل تحصيل ايمانكم
ودفع تكذيبكم اياى من الطين شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير
وقرئ فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اى اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فانفخ فيها فيكون طيرا حيا
طيارا كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش
روى انه عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير
بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق
الله تعالى قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهى تحيض
وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان ويطير بغير ريش ولا تبصر فى ضوء النهار ولا فى ظلمة
الليل وانما ترى فى ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه
اى الذى ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شئ نفرتها منه ويقال له الواضح
ايضا وتخصيص هذين الدائين لانهما مما اعيى الاطباء وكانوا فى غاية الحذاقة فى زمنه عليه السلام الوف من المرضى
من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداويه الا بالدعاء واحيى الموتى باذن الله كرره
مبالغة فى دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية قال الكلبى كان عليه السلام يحيى الموتى بيا حى يا قيوم احيى عازر وكان
صديقا له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقى وولد له
وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيى من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم
سكتة فاحى لنا سام بن نوح فقال دلونى على قبره فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد
شاب راسه فقال عليه السلام كيف شبت ولم يكن فى زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتنى سمعت صوتا
يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فسأله عن النزع فقال يا روح الله
ان مرارته لم تذهب من حنجرتى وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة الاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبى فامن
به بعضهم وكذبه اخرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك
قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم اى بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال و
التخفيف ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لاية عظيمة وقرئ لايات لكم دالة على صحة رسالتى
دلالة واضحة ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه او دلالة المذكور عليه اى انتفعتم
بها او ان كنتم ممن يتاتى منهم الايمان فذلكم على صحة رسالتى والايمان بها ومصدقا لما بين يدى من التورية عطف
على المضمر الذى تعلق به قوله تعالى باية اى قد جئتكم ملتبسا باية الخ ومصدقا لما بين الخ او على رسولا على الاوجه
الثلثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما فى رسولا اى ويجعله مصدقا ناطقا بانى اصدق الخ او ويقول ارسلت
بانى قد جئتكم الخ ومصدقا الخ او حال كونه مصدقا ناطقا بانى اصدق الخ او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم
اى وجئتكم مصدقا الخ وقوله من التورية اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من الضمير المستتر فى الظرف
الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر فى الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل لكم معمول لمضمر
دل عليه ما قبله اى وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاجتلب رضاه كانه قيل

جئتكم لاصدق ولاحل الخ وقيل عطف على باية اى جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم اى فى شريعة موسى
عليه السلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له
واختلف فى احلال السبت وقرئ حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يديه او الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا
يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ فى الحقيقة بيان لتخصيص
فى الازمان وتاخير المفعول عن الجار والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى ما اخر
وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتى وقرئ بآيات فاتقوا الله فى عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون
فيما امركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الاية هو قولى ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فانه
الحق الصريح الذى اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون اية بينة على انه عليه السلام من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من
اية او قد جئتكم باية على ان الله ربى وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما
سبق اى قد جئتكم باية بعد اية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره
من ولادتى بغير اب ومن كلامى فى المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك
رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اى لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة فاتقوا
الله فى المخالفة واطيعونى فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف
قريش الخ ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية
بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بلازم الطاعة التى هى
الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة
ونظيره قوله عليه السلام قل امنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع فى بيان مآل احواله عليه السلام
اثر ما اشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة عليهم السلام
وخروجه من القوة الى الفعل حسبما شرحته كما فى قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا اتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة
وايذانا بعدم الخلف وثقة بما فصل فى المواضع الاخر واما عدم نظم بقية احواله عليه السلام فى سلك النقل فاما
للاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها لمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه السلام للشدايد ومعاناته للمكايد
والمراد بالاحساس الادراك القوى الجارى مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع
العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل فى امثال هذه المواقع عند كون متعلقه امرا
محذورا مكروها كما فى قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور
لبنى اسرائيل اى ابتداء الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء
به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر قال مخلص احبابه لا بجميع بنى اسرائيل لقوله تعالى
كما قال عيسى ابن مريم للحواريين الاية وقوله تعالى فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص فى توجيه
الخطاب الى الكل بل يكفى فيه بلوغ الدعوة اليهم من انصارى الانصار جمع نصير كاشراف جمع شريف الى الله
متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اى من انصارى متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصارى مضمنا معنى الاضافة
كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل ينصروننى كما ينصرنى وقيل الى بمعنى فى اى فى سبيل الله وقيل بمعنى
اللام وقيل بمعنى مع قال استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالوا فى جوابه عليه السلام
فقيل قال الحواريون جمع حوارى يقال فلان حوارى فلان اى صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص
ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء
سرائرهم وقيل لما عليهم من اثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك
صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة لا يزال ياكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك
فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت قال عيسى بن مريم فترك ملكه فتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون
وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى
عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتمونى صرتم بحيث تصيدون الناس بالحيوة الابدية
قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجز وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما
اصطاد شيئا فامره عيسى عليه السلام بالقائها فى الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع فى الشبكة من السمك ما كادت تتمزق
واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثنى عشر رجلا
امنوا به عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد

دعيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عليه السلم
افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى صباغ
فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له عليه السلام ههنا ثياب مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة
معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عليه السلام كلها في جب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ
فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى
ان خرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عليه السلام وهم الحواريون قال
القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثنى عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من
القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين
في طاعته ومحبته **نحن انصار الله** اى انصار دينه ورسوله **آمنا بالله** استئناف جار مجرى العلة لما قبله فان
الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه **واشهد بانا مسلمون** مخلصون في الايمان
منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيمة يوم يشهد الرسل عليهم السلم
لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية **ربنا آمنا بما انزلت** تضرع الى الله عز وجل وعرض
لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار امرهم **واتبعنا الرسول** اى في كل ما يأتي ويذر من امور
الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا **فاكتبنا مع الشاهدين** اى مع الذين يشهدون بوحدانيتك
او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد عليه السلم فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول
اكتبنا **ومكروا** اى الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة **ومكر الله** بان
رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها
غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روى عن ابن عباس رضي الله عنه ان ملك بني
اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امره جبريل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليه السلم
من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل
شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم
ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى
احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل
شبه عيسى عليه السلم ورفعه الى السماء فاخذ المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا
وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين
عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها امرأة ابرأها الله تعالى
من الجنون بدعاء عيسى عليه السلام وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله تعالى عيسى عليه السلم فجاءهما
فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد
ابن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان
ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين
فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عليه السلم فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ
الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك
آخر يقال له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك
في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى
عليه السلام ولها ثلث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر
على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على رأس ثلثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان
وهو ابن ثلث وثلثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين **والله خير الماكرين** اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم
على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله
اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك **يا عيسى اني متوفيك** اى مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى
عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روى انه رفع وهو نائم وقيل مميتك
في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن او مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل
اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تعالى رفعه من

غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل القصة ان
اليهود لما عزموا على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة
فاخبر بهم ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة آلاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج و
يقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه
والقي عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عليه السلام فكساه الله الريش والنور
والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان اصحابه حين
راوا ذلك تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا
ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء
الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا
الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم **ورافعك الي** اى الى محل كرامتي ومقر ملائكتي **ومطهرك من الذين كفروا** اى
من سوء جوارهم حيث مجيئهم ودنس معاشرتهم **وجاعل الذين اتبعوك** قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي
هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من
النصارى **فوق الذين كفروا** وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم
ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام
والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه
عليه السلام **الى يوم القيمة** غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان الجعل والفوقية ينتهي حينئذ و
يتخلص من الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد
ثم الي مرجعكم اى رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتأكيد الوعد والوعيد والضمير
لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فانه ابلغ في
التبشير والانذار **فاحكم بينكم** يومئذ اثر رجوعكم الي **فيما كنتم فيه تختلفون** من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون
وتقديمه عليه لرعاية الفواصل **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا** تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته
والبداية ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى **في
الدنيا والآخرة** متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة واحيائهما يوم
القيمة بل بمعنى تمام مجموعهما يومئذ وقيل ان المرجع اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية
للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود ولا عن الفوقية المحدودة على نهج قولك ساعيرك سكنى
هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة لزم تأخر الخلع عن الاعارة لا عن الشهر **وما لهم من ناصرين** يخلصونهم من عذاب
الله في الدارين وصيغة الجمع المقابلة ضمير الجمع اى ليس لواحد منهم ناصر واحد **واما الذين آمنوا** بما ارسلت به
وعملوا الصالحات كما هو ديدن المؤمنين **فيوفيهم اجورهم** اى يعطيهم اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان
بما بين مصدري التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء
والله لا يحب الظالمين اى يبغضهم فان هذه الكناية فاشية في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار
بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود وواضعون للكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر
لمضمونه **ذلك** اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأن المشار
اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشأن بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدأ وقوله عز
وعلا **نتلوه** خبره وقوله تعالى **عليك** متعلق بنتلوه وقوله تعالى **من الآيات** حال من الضمير المنصوب او خبر
بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدأ مضمر اى الامر ذلك ونتلوه حال كما مر و
صيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد **والذكر الحكيم** اى المشتمل على الحكم
او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح
المحفوظ فمن ابتدائية **ان مثل عيسى** اى شأنه البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال **عند الله** اى في تقديره
وحكمه **كمثل آدم** اى كحالته العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع **خلقه من تراب** تفسير لما ابهم
في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى
عليه السلام بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عليه السلام بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب **ثم قال له كن**
اى انشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم لتراخي الاخبار لا
لتراخي المخبر به **فيكون** حكاية حال ماضية روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا

قال وما اقول قالوا انقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذرآء البتول فغضبوا وقالوا هل
رايت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السلام ان آدم
عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه السلام الحق من ربك
خبر مبتدا محذوف اى هو الحق اى ما قصصنا عليك من نبأ عيسى عليه السلام وامه والظرف اما حال اى كائنا من
ربك او خبر ثان اى كائن منه تعالى وقيل هما مبتدا وخبر اى الحق المذكور من الله تعالى فلا تكن من الممترين فى ذلك
الخطاب اما للنبى صلى الله عليه وسلم على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان الامترآء فى المحذور بحيث
ينبغى ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف عمن هو بصدد الامترآء واما لكل من له صلاحية الخطاب
فمن حاجك اى من النصارى اذهم المتصدون للمحاجة فيه اى فى شان عيسى وامه زعما منهم انه ليس على
الشان المحكى من بعد ما جاءك من العلم اى ما يوجبه ايجابا قطعيا من الايات البينات وسمعوا ذلك منك فلم
يرعووا عما هم عليه من الغى والضلال فقل لهم تعالوا اى هلموا بالراى والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم
عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النسآء فتعلقهن من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى ليدع
كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس فى اثناء المباهلة التى هى
من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلى الله عليه
وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم فى ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر فى تقديم جانبه عليه
السلام على جانب المخاطبين فى كل من المقدم والمؤخر مع رعايتها لا صل فى الصيغة فان غير المتكلم تبع له فى الاسناد ثم
نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اى
تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع
وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان
محمدا نبيا مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم
ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها رضى
الله عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى وجوها
لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم
القيمة فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم
فاذا ابيتم فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال انى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة
ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة الف فى صفر والف
فى رجب وثلثين درعا عادية من ∴ فصالحهم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران
ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس
الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى وامه لهو القصص الحق دون
ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا
وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص خبر ان والحق صفته او هو مبتدا والقصص خبره والجملة خبر لان وما من اله الا الله
صرح فيه بمن الاستغراقية تاكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم وان الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات
الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه فى القدرة والحكمة ليشاركه فى الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول
الحق الذى قص عليك بعدما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله عليم بالمفسدين اى بهم وانما وضع
موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذى لا محيد عنه بعدما قامت به الحجج افساد للعالم
وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب
يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهى الا نعبد الا الله اى نوحده بالعبادة
ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم
والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال
عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام اليس انهم كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم
قال نعم قال عليه السلام هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اى قل لهم انت
والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به

الكتب

الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه انظر الى ما روعى فى هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى
المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما تواردت عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوتهم الناس
الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد
دعوا الى ما اتفق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم اجدائه ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا
مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون فى ابراهيم اى فى ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى
فى ابراهيم عليه الصلوة والسلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم وما انزلت التورية على موسى عليه السلم والانجيل على عيسى عليه السلام
الا من بعده حيث كان بينه وبين موسى عليه السلم الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلم الفا سنة فكيف يمكن ان
يتفوه به عاقل افلا تعقلون اى الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او اتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه
ها انتم هؤلاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اى انتم
هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم فى الجملة حيث وجدتموه فى التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم فى احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله اانتم
على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شئ فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم
لا تعلمون اى محل النزاع او شيئا من الاشياء التى من جملتها ذلك ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما نطق به
البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اى مائلا عن العقائد الزائغة كلها مسلما اى منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان
على ملة الاسلام والا اشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله
ورد لادعاء المشركين انهم على ملته عليه الصلوة والسلام ان اولى الناس بابراهيم اى اقربهم اليه واخصهم به
للذين اتبعوه اى فى زمانه وهذا النبى والذين آمنوا لموافقتهم فى اكثر ما شرعه لهم على الاصالة وقرئ والنبى بالنصب
عطفا على الضمير فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم عليه السلم والله ولى المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم
وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم فى النبى عليه السلام بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت
فى اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم جملة حالية جئ بها للدلالة على
كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اى وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما
انه يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا امثالهم ويأباه قوله وما يشعرون اى باختصاص وباله وضرره بهم
يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اى بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم
تشهدون اى والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات
انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى التمييز بينهما وقرئ
تلبّسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كما فى قوله عليه السلام كلابس ثوبى زور وتكتمون
الحق اى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون اى حقيته وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤسا وهم و
مفسدوهم لاعقابهم آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا اى اظهروا الايمان بالقران المنزل عليهم وجه النهار اى اوله
واكفروا اى اظهروا ما انتم عليه من الكفر به آخره مرائين لهم انكم آمنتم به بادى الراى من غير تامل ثم تاملتم فيه
فوقفتم على خلل رايكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اى المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد
بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة
الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون
وقيل هم اثنا عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا فى الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا فى كتابنا
وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذى ورد فى التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا
اى لا تقروا بتصديق قلبى الا لمن تبع دينكم اى لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم
من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدى به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم
بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى
الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل
من الهدى وقرئ ان يؤتى على الاستفهام التقريعى وهو مؤيد للوجه الاول اى الان يؤتى احد الخ دبرتم وقرئ ان على
انها نافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند
ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير

احد لانه فى معنى الجمع اذ المراد غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال لما زعموا بالحجة الباهرة
يختص برحمته اى يجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب
شروع فى بيان خيانتهم فى المال بعد بيان خيانتهم فى الدين والجار والمجرور فى محل الرفع على الابتداء حسبما مر تحقيقه فى تفسير قوله
ومن الناس من يقول الخ خبر قوله تعالى من ان تامنه بقنطار يؤده اليك على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا
كونهم ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تامنه بقنطار اى بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام رضى الله عنه
استودعه قرشى الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشى
آخر دينارا فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة
الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات اى لا يؤده اليك فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات
الا فى حال دوام قيامك او فى وقت قيامك على راسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله
تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم فى الشر والفساد بانهم اى بسبب انهم قالوا ليس علينا فى
الاميين اى فى شان من ليس من اهل الكتاب سبيل اى عتاب ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب بادعائهم
ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل فى
التورية فى حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم
دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شىء
فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم
سبيل وقوله تعالى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير
المجرور لمن او لله تعالى وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من ومشعر بان التقوى ملاك الامر
عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهى ان الذين يشترون اى يستبدلون ويأخذون
بعهد الله اى بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا
به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا
خلاق لا نصيب لهم فى الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اى بما يسرهم او بشىء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ
والتقريع فى اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى واياته والظاهر انه كناية عن شدة
غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة بهم و
السخط عليهم متفرع على الكناية فى حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه
ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى
الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا
يزكيهم اى لا يثنى عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم عذاب اليم على ما فعلوه من المعاصى قيل انها نزلت
فى ابى رافع ولبابة بن ابى الحقيق وحيى بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا
الرشوة على ذلك وقيل نزلت فى الاشعث بن قيس حين كان بينه وبين رجل نزاع فى بئر فاختصما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالى فقال صلى الله عليه وسلم من
حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان وقيل فى رجل اقام سلعته فى السوق فحلف
لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وان منهم اى من اليهود المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب اى يفتلونها بقراءته فيميلونها من المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب
وقرئ يلوون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن
لتحسبوه اى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الخ وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اى من جملته وقوله
تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب اى والحال انه ليس منه فى نفس الامر وفى اعتقادهم ايضا ويقولون
مع ما ذكر من اللى والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض هو اى المحرف من عند الله اى منزل من عند الله
وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدا فى الخبر اى والحال انه ليس من عنده تعالى فى اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة
فى تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جراءتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب فى محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه
من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون على الله تعالى وهو تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب
على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا
كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذى عندهم ما
كان لبشر بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه

ربا حاشاه عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وابطاله اى ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا
بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذى اسنده الكفرة اليهم ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الامر بالتوحيد
الناهى عن الاشراك والحكم الفهم والعلم او الحكمة وهى السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر بعد ما شرفه الله
عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا لى الجار متعلق بمحذوف
هو صفة عبادا اى عبادا كائنين لى من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية له ويحتمل
الحالية لتخصص النكرة بالوصف اى متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما
حتما قيل ان ابا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عليه السلام
معاذ الله ان يعبد غير الله تعالى وان نامر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين
يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون الله تعالى
ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اى ولكن يقول كونوا ربانيين الربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف
والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تعالى ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما
كنتم تدرسون اى بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اى قراءته فان جعل خبر كان مضارعا لافادة الاستمرار
التجددى وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم
على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثانى لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون
من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز كون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى
على تقدير بما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا بالنصب عطفا على ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد
معنى النفى فى قوله تعالى ما كان لبشر اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يامر الناس بعبادة نفسه او يامر باتخاذ
الملائكة والنبيين اربابا وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان ما يليق بشانه ويحق
صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق به ويمتنع صدوره عنه واما ما قيل من انها غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر
بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة فيقضى بفساده ما ذكر من توسيط الاستدراك
بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة انهما فى حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى ايامركم بالكفر فانه صريح فى ان المراد
بيان انتفاء كلا الامرين قصدا لا بيان انتفاء الاول لانتفاء الثانى ويعضده قراءة الرفع على الاستيناف ويجوز كونه حالية
بتقدير المبتدا اى وهو لا يامركم الخ بين الفساد لما عرفته آنفا وقوله تعالى بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان الخطاب
للمسلمين وهم المستاذنون للسجود له عليه السلام واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبى
صلى الله عليه وسلم اى اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من
النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ
الله الميثاق الذى وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم
نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا
منا واللام فى لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم
والشرط ويحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم لمجىء رسول مصدق
اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما
بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا قال اى
الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق أأقررتم بما ذكر واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى سمى به لانه يؤصر اى يشد وقرئ
بضم الهمزة وهى اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قالوا
عند ذلك فقيل قالوا اقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا اى فليشهد بعضكم
على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملئكة وانا معكم من الشاهدين اى وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد
وادخال مع على المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اى اعرض
عما ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى البعد فى اسم الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة الى من
للجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فى تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامى امرهم فى السوء وبعد منزلتهم
فى الشر والفساد اى فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من
الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اى ايتولون فيبغون
غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب

على تقدير وقيل لهم وله من في السموات والارض جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار طوعا وكرها اى طايعين بالنظر
واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجى الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملكة
والمومنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضى عليهم واليه يرجعون اى من فيهما والجمع باعتبار المعنى
وقرى بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما مستانفة سيقت للتهديد والوعيد قل امنا بالله
امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المومنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى وما انزل علينا
وهو القران لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل او عن نفسه
فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك
ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عليه السلام في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهايه الى الرسل
يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمومنين فقد تعسف
الا يرى الى قوله تعالى بما انزل اليك الخ وقوله آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا الخ وانما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه
وسلم على ما انزل على ساير الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه المعترف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو
الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناوه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم عليه السلم وما اوتى
موسى وعيسى من التورية والانجيل وساير المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص
بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما السلم اى وما
اوتى النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى
امنوا ببعض وكفروا ببعض بل نومن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق
بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله في سورة البقرة قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية
فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمونث ولذلك صح دخول بين عليه
كما في مثل المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه
باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير اذ جاء سالما ابو حجر الا ليال
قلايل اى بين الخير وبينى ونحن له مسلمون اى منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض
بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين
صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا ينتحل اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام
حال منه لما انه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير
الاسلام فلن يقبل منه ذلك ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى وهو في الاخرة من الخاسرين اما حال من الضمير
المجرور او استيناف لا محل له من الاعراب اى من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد
للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة
على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمان بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل
والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى الحق قيل هم عشرة
رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه
وسلم بعد ان كانوا مومنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله تعالى
فان الحايد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة
المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله الخ فانه في قوة ان يقال بعد ان آمنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان
خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع
الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية اوليك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدا وقوله تعالى جزاؤهم مبتدا ثان
وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين خبره والجملة خبر لاوليك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه
ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة راسا
بخلاف غيرهم والمراد بالناس المومنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين
فيها في اللعنة والعقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اى يمهلون الا
الذين تابوا من بعد ذلك اى من بعد الارتداد واصلحوا اى ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم

فيقبل

فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه
ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا
كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
او كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان و
نقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه
باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا
في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك
لم يدخل فيها الفاء واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء
الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء ههنا للاشعار به
وملء الشيء ما يملأ به وذهبا تمييز وقرى بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن
يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما
في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اوليك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم مر لاسم الاشارة مبتدا والظرف خبره ولاعتماده على المبتدا
ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة
الجمع لمراعاة الضمير اى ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من ناله يناله اذا اصابه والخطاب للمومنين وهو كلام
مستانف سيق لبيان ما ينفع المومنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى
يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شاوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار ولن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه
وجنته حتى تنفقوا اى في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويويده قراءة
من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اى مما تهوون ويعجبكم من كرايم اموالكم واحبها اليكم كما
في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل
وصفنى وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز
وجل وروى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الى بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك
الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رايح فانى ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء
زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان
زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها
منك قيل وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله عنه الى ابى موسى
الاشعري رضي الله عنه ان يشترى له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال
ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت
لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم يعطها اياه ثم لما ولى الخلافة زينتها وارسلتها
اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المومنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابى عبد الملك ففتش عن
كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر
ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله
تعالى فقالت لم يا امير المومنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا
من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وهو صفة لاسم
الشرط اى اى شيء تنفقوا كاينا من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور
النصب على التمييز اى اى شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع
موقعه اى فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته
وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردى ما
لا يخفى كل الطعام اى كل افراد المطعوم او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل اى حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به
ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء
متصل من اسم كان اى كان كل المطعومات حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب عليه السلام على نفسه
وهو لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع النسا فنذر لئن شفى لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه

وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى فيه وهو كتحريمه ابتداء **من قبل ان تنزل التورية** متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التورية ليس فيه مزيد فايدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التورية مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة عما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها **قل فاتوا بالتورية فاتلوها** امر عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم واظهار اسم التورية لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى **ان كنتم صادقين** اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بالتورية فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة روي انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها **فمن افترى على الله الكذب** اي اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم **من بعد ذلك** من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التورية وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال **هم الظالمون** المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخلة تحت القول عطفا على قوله تعالى فاتوا بالتورية **قل صدق الله** اي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل في شان التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا الخ او صدق في كل شان من الشؤون وهو داخل في ذلك دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح **فاتبعوا ملة ابراهيم** اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنية الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه **حنيفا** اي مائلا عن الاديان الزائغة كلها **وما كان من المشركين** اي في امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عليه السلام في الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها **ان اول بيت وضع للناس** شروع في بيان كفرهم ببعض اخر من شعاير ملته عليه السلام اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا له عليه السلام روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى **للذي ببكة** خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بما بين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وسبد راسه وسمدها واغبطت الحمى واغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا ولانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله تعالى عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد هذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم البلد لقوله تعالى للذي ببكة روي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس سئل كم بينهما قال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم عليه السلام وقيل آدم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان **مباركا** كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب

ويكفر

وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال **فيه آيات بينات** واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى **مقام ابراهيم** اي اثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل راسه على ما روي انه عليه السلام جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل عليه السلام انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه وهو اما مبتدا حذف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم عليه السلام كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد من اثر قدمه في صخرة صماء وغوصه فيها الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه دون ساير آيات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة (فيه آية بينة) على التوحيد واما بما يفهم من قوله عز وجل **ومن دخله كان آمنا** فانه وان كان جملة مستانفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله فتكون بحسب المعنى والمآل معطوفة على مقام ابراهيم عليه السلام ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكتفى بذلك او يحمل على انه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوي ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام **ولله على الناس حج البيت** جملة من مبتدا هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك اذا كانت هي ظرفا او عاملها حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت للعهد والحج قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها **من استطاع اليه سبيلا** في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العايد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدا مضمر اي هم من استطاع الخ وقيل في حيز النصب بتقدير اعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العايد الى الناس اي من استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشانه كما في قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال او غيره فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روي انه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر رضي الله عنهما وعليه اكثر العلماء

ان الشافعي رضي الله عنه اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه عليه السلام لصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدًا لوجوبه وتشديدًا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديًا او نصرانيًا وروى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديًا او نصرانيًا او مجوسيًا فان الله غني عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفي بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاؤه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحًا اسقاطًا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروى انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروى حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان ينبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عامًا ما نوظروا قل يا اهل الكتاب هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شان الحج وغيره وما في التورية والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتاكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع انحاء اتيانه ويقطع اسبابه بالكلية قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه الصلوة والسلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع الائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه السلام وقرئ تصدون من اصد عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام من آمن مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله فتولى غلامهم ثم نادى اظليمًا اصيدكم ام حمارًا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل عوجًا اعوجاجًا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم

عن

عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال كما قال ابن عباس رضي الله عنهما اي شهداء ان في التورية ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور وما الله بغافل عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى على ما يعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرًا لهم عن طاعة اهل الكتاب وافتتانهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ردعًا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر والمحافظة على سبب النزول فانه روى ان نفرًا من الاوس والخزرج كانوا جلوسًا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تآلف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الراي بعدما كان بينهم ما كان من العداوة والشنآن فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان يومًا عظيمًا اقتتلت فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون بالجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضًا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآيات الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقراهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضًا وجعلوا يبكون وقوله كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الخ لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وانتم تتلى عليكم آيات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون موكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤن الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبهة من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله فقد هدي جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى الى صراط مستقيم موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجًا وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتبارات وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز يا ايها الذين آمنوا تكرير الخطاب بعنوان الايمان تشريف اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر

وقد روى مرفوعاً اليه عليه السلام وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او
ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل
هدى للمتقين والتقاة من التقى كالتؤدة من اتاد اصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها
المفتوحة الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في
قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تموتن على حال من الاحوال الا
حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل
الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهياً عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام لكن المقصود
هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام ح وحيث كان الخطاب
للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور
فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له من اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان
قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلوة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلوة
لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلوة مثلا
يفيده قولك لا تترك الخشوع وان الصلوة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وعلا
واعتصموا بحبل الله اى بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه
ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة
الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مامون
الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها
او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا اى مجتمعين في الاعتصام ولا تفرقوا اي
لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا
ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها واذكروا نعمة الله مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق
به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى اذ كنتم ظرف له او للاستقرار في عليكم اى اذكروا انعامه مستقرا عليكم
وقت كونكم اعداء في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين
لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة فالف بين قلوبكم
بتوفيقكم للاسلام فاصبحتم اى فصرتم بنعمته التي هي ذلك التاليف اخوانا خبر اصبحتم اى اخوانا متحابين مجتمعين
على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء متعلقة
بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اى فاصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار
شفا الحفرة وشفتها حرفها اى كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها
فانقذكم بان هداكم للاسلام منها الضمير للحفرة او للنار او للشفا والتانيث للمضاف اليه كما في قوله تعالى
كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فانها شفا البير وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله
شفو قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في
سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر
محذوف اى مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم اياته اى دلائله لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم
فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها
بما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على
حقوقها وحدودها ويذكر الناس كافة ويزعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر وقرئ بكسرها
على الاصل وهو من كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة ويدعون
صفتها اى لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون
بها او من الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اى لتكن منكم امة داعين الى الخير واياما كان فتوجيه الخطاب
الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها
البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل
وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية ولانها من عظائم الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب
الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يامر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في

مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي والاصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات منهم الاية والامر من كان الناقصة والمعنى كونوا امة يدعون الاية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس الاية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء
الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى
ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما
على ساير الخيرات كعطف جبريل وميكايل على الملايكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلثة اما
للايذان بظهوره اى يدعون الناس ويامرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي
ويمنع اى يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واولئك اشارة الى الامة المذكورة باعتبار
اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة وما
فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والافراد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح
للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اى هم الاخصاء بكمال
الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره
المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم
للرحم وعنه عليه السلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه
وعنه عليه السلم والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده
ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمامور به واما النهي عن المنكر فواجب كله لان
جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما
وجوب شيء منهما والتوبيخ في قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم
بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود
فرقا والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التاويلات الزايغة وكتم الايات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من
حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم البينات اى الايات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة
فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة
المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه
الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا
للنصوص البينة او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه السلم من اجتهد فاصاب فله اجران ومن
اخطا فله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدا وقوله تعالى
لهم خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او مبتدا والظرف خبره والجملة خبر
للمبتدا الاول وفيه من التاكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض
وجوه اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد وعن عطا تبيض وجوه المهاجرين والانصار
وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار في لهم اى لثبوت العذاب العظيم لهم او على
انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك
بالدين اى اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكابة الخوف فيه وقيل
يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك
فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان المقام
مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين
كما بدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اى فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من
حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم
او ايمان انفسهم به قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او
بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلايل الواضحة والايات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء
والفاء في قوله عز وعلا فذوقوا العذاب اى العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب
على طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون صريح في ان نفس الذوق معلل بكفرهم

والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله
اعني الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا
برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من السياق كانه قيل
كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي تلك
اشارة الى الآيات المشتملة على نعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شانها وسمو مكانها في الشرف
وهو مبتدا وقوله تعالى آيات الله خبره وقوله تعالى نتلوها جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر
وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز
كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى
بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اى متلبسين او متلبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص
ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب
الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه واكده فان تنكير الظلم
وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم باحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا
بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اى ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين
في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام
كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء
الدوام وفي سبك الجملة نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى
ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ولله ما في السموات وما في الارض اى له تعالى وحده من غير
شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا واحياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب
غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى والى الله اى الى حكمه
وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا ترجع الامور اى امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعده من غير دخل في ذلك
لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون
العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم كنتم خير امة كلام مستانف سيق لتثبيت المؤمنين
على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان
الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى
او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اى اظهرت
لهم وقيل بخير امة اى كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا
اى اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تاتون بهم في السلاسل فتدخلونهم
في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام
فهم خير امة للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس و
يكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا
بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز
ابن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون
سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى وظاهر ان المراد بكل امة اوايلهم واواخرهم لا اوايلهم فقط فلا بد
ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين
مرا بنفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة
رضي الله تعالى عنهم فقالا لهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروي عن الضحاك انهم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وتؤمنون بالله اى
ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي
يؤمن به المؤمنون وللايذان بان الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شيء من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس
من الايمان به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا
اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالته

على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اى لو آمنوا كما ينبغي لكان
ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز
بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم
بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به هنا اصلا للاشعار بظهوره وانه الذي يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو
فصل المؤمن به هنا ومنها قيل لما فيهم ان اهل الكتاب ايضا انما تاتى لهم لكن ايمان المؤمنين خير منه وجهات
ذلك منهم المؤمنون جملة مستانفة سيقت جوابا عما نشا من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم
كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام
واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم الا اذى استثناء مفرغ من المصدر
العام اى لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
منهزمين ولا يلحقكم ضرر اصلا من قتل او اسر ثم لا ينصرون عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اى لا ينصرون
من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم و
تضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى الضرر بعيدا به مع انه وعدهم
الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود
هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وكم بين الوعدين كانه قيل ثم شان
الذي اخبركم به واشرتكم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يقومون
على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا ضربت عليهم الذلة
اى هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل اينما ثقفوا اى وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
استثناء من اعم الاحوال اى ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة
الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباءوا بغضب من الله اى رجعوا به مستوجبين
له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اى كائن
من الله عز وجل وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي
المسلمين والنصارى ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم بانهم كانوا يكفرون بآيات
الله اى ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها و
بسائر الآيات القرآنية ويقتلون الانبياء بغير حق اى في اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم
لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من الكفر
والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اى بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار
على الصغائر يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة
في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث
انهم مخاطبون بالفروع ايضا من حيث المؤاخذة ليسوا سواء جملة مستانفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني
اهل الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة
وهو اسمها وخبرها سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف
بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في اصل الاتصاف بها اى ليس جميع
اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى
من اهل الكتاب امة قائمة استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله
تعالى تامرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الخ ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم
لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من ارذالهم و
القائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة
ابن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثلثة
من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عليهما السلام وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه
وسلم منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون
من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرايع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه و
قوله تعالى يتلون آيات الله في محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصصها بالنعت
والعامل فيه الاستقرار الذي يتضمنه الجار او من ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه خبرا لامة والمراد

بآيات الله القرآن وقوله تعالى آناء الليل ظرف ليتلون اى فى ساعاته جمع انى بزنة عصا او انى بزنة معا او انى بزنة ظبى او انى بزنة نحى او انو بزنة جرو وهم يسجدون اى يصلون اذ لا تلاوة فى السجود قال صلى الله عليه وسلم الا انى نهيت ان اقرا راكعا وساجدا او تخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة لكونه ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم آيات الله فى الصلوة مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا فيما قبل الآية انفا وهو السر فى تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلوتهم التهجد اذ هو ادخل فى مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها فى المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلوات المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هى مستانفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون فى الصلوة من الخضوع لله عز وجل كما فى قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما فى قوله تعالى ولله يسجد ما فى السموات والارض يؤمنون بالله واليوم الآخر صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اى يؤمنون بهما على الوجه الذى نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور انه الذى يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره و للتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما فى شئ اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم ان المنفى عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل وهيهات ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود فى الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم فى الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم فى الاحتساب بل بتعكيسهم فى الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهى عن المعروف ويسارعون فى الخيرات صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع فى توليه والقيام به وآثر الفور على التراخى اى يبادرون مع كمال الرغبة فى فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة فى على ما وقع فى قوله وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان بانهم مستقرون فى اصل الخير متقلبون فى فنونه المترتبة فى طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها واولئك اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وسمو طبقتهم فى الفضل وايثاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمد اى اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين اى من جملة من صلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر فلن يكفروه اى لن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول للجرى على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعى توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى المنطوى على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان الذين كفروا اى بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضى الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال لن تغنى عنهم اى لن يدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء واولئك اصحاب النار اى مصاحبوها على الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم التى كانوا يعولون عليها فى جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها اى حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة التى تجرى مجرى المثل فى الغرابة كمثل ريح فيها صر اى برد شديد فانه فى الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة فى تجريدية كما فى قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى فباؤا بغضب من الله تعالى وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع فاهلكته

عقوبة

عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذى مر تفصيله فى تفسير قوله تعالى كمثل الذى استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما انفقوا من الاموال ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغى وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام فى الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اى ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز ان يكون المعنى وما ظلم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه انه قد مر التعرض له تصريحا واشعارا وقرئ لكن بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها و العائد محذوف للفاصلة اى ولكن انفسهم يظلمونها واما تقدير ضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما فى قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل ووليجته من يعرفه اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضى الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل وهى صفة المنافق واياما كان فالحكم عام للكفرة كافة من دونكم اى من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اى كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا جملة مستانفة مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة يقال الا فى الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين فى قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد اى لا يقصرون لكم فى الفساد ودوا ما عنتم اى تمنوا عنتكم اى مشقتكم وشدة ضرركم وهو ايضا استيناف مؤكد للنهى موجب لزيادة الاجتناب عن المنهى عنه قد بدت البغضاء من افواههم استيناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهى عنه اى قد ظهرت البغضاء فى كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم فى ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على افواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهى وما تخفى صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون اى ان كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه ها انتم اولاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها اى انتم اولاء المخطئون فى موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم فى ذلك وهو خبر ثان لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله اى بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول فى لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اى من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكهم ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما فى صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى عليم بذات الصدور وقيل هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اى على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التى دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء فى القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اى لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئا على الخصم ان الله بما يعملون فى عداوتكم من الكيد محيط علما

فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية اى بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت كلام
مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على ان وجودهما مستتبع لما وعد
من النجاة عن مضرة كيد الاعداء واذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع
عموم الخطاب فيما قبله وفيما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام اى واذكر لهم وقت
غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضركم
كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في
ايجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة الخ والمراد
به خروجه عليه السلام الى احد وكان ذلك من منزل عائشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله تعالى من اهلك
اى من عند اهلك تبوئ المؤمنين اى تنزلهم او تهيئ وتسوي لهم مقاعد ويؤيده قراءة من قرأ تبوئ للمؤمنين
والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اى ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان المقصود
تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة وما يترتب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو
الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه السلام بعد صلوة الجمعة كما ستعرفه اذ منه وقعت التبوئة التي هي
العمدة في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير ما فيه لامر النبي صلى الله عليه وسلم وتنزيلهم عن احيازهم
المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل راى من احتج به على جواز اداء صلوة الجمعة قبل الزوال
واللام في قوله تعالى للقتال اما متعلقة بتبوئ اى لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اى كائنة
مقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شايع ذايع كما في قوله تعالى
قبل ان تقوم من مقامك روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول
الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف
وانت فينا فدعهم ان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا
عنهم وقال عليه السلام اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما
فاولته هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وقال النعمان
ابن مالك الانصاري رضي الله عنه يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة فقال له
بم قال بقولي اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه كذلك
ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي
لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال
لسنة ثلاث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكأنما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال
تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا
عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم
والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره عنهم اذ همت بدل
من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين سماع الاقوال والعلم
بالضمائر في ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء معنى قولك ضربت
واكرمت زيدا ان زيدا منصوب بهما وانهما تسلطا عليه معا طائفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء محذوف
اى بان تفشلا اى تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما
الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة الاف انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس
فقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله تعالى في نبيكم وانفسكم
فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهمت الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت
الا همة وحديث نفس فلما تخلو النفس عنه عند الشدائد والله وليهما اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة
اعتراض ويجوز ان تكون حالا من فاعل همت او من ضميره في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما

في

في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما
عداه مطلقا استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون في جميع امورهم فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به و
التعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا اوليا
وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستأنفة سيقت لايجاب
الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله
تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه
كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع او الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنين
من الهجرة وانتم اذلة حال من مفعول نصركم واذلة جمع ذليل وانما جمع جمع قلة للايذان باتصافهم حينئذ بوصفي
القلة والذلة اذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم
على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وسبعون بعيرا وست ادرع وثمانية
سيوف وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه
مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مبادئه اللازمة له ولذلك قدم عليه في
الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اى اذا
كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون اى راجين ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم
من النصرة كما شكرتم فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي
هو الانعام اذ تقول تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه والايذان بان وقوع
النصر كان ببشارته عليه الصلوة والسلام واذ ظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية و
المراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده تعويلا على شهادة الحال مما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اى نصركم وقت قولك للمؤمنين حين اظهروا العجز عن المقابلة قال
الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر الحنفي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل ح ثم حكي ههنا الن
يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال
قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال
فيه مده مدا ومنه والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم
يعمهون وقوله ونمد له من العذاب مدا والامداد في الخير كما في قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين والتعرض
لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة الامداد
والمعنى انكار عدم كفاية الامداد والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم
كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة بيان او صفة لالاف او لما اضيف
اليه اى كائنين من الملائكة منزلين صفة لثلاثة الاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير
او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا ثلاثة الاف ثم خمسة الاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين
اى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اى بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى
حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة
نبيه عليه السلام ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا اى من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت
القدر اى اشتد غليانها ثم استعير للسرعة ثم اطلق على كل حالة لا ريب فيها اصلا ووصفه بهذا لتأكيد السرعة
بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبعين له وجودا وعدما اعني
الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطأوا لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله او
لبيان تحققه على اي حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق
الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا
بانه حيث تحقق مع ما ينافيه فلان يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول
ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك بايد شداد وسيوف حداد لم تتأثر منها قطعا يمددكم ربكم بخمسة الاف من
الملائكة مسومين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء اى معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا
بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق
قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة
عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد علموا بالعهن في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال لاصحابه رضي الله عنهم تسوموا فان الملئكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته
سبحانه وتعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وما جعله الله كلام مبتداء غير داخل في حيز القول مسوق من
جنابه تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون
ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه واماراته معطوف على ما فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام
فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملئكة
مرة بعد اخرى وتعيين وقته فيما مضى يقتضي بوقوعه قضاء قطعيا لكن لم يصرح به [illegible] على تعاضد الدلائل
وتآخذ الامارات والمخايل وايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرير او عن ايهام احتمال الخلف في الوعد
المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين فامدكم بهم وما جعله الله الخ والجعل
متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور اعني قوله تعالى
ان يمدكم او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان الجملة البسيطة
متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان و
جوده في نفسه ولا ريب في ان المصدرين المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر
حتى يتصدى لبيان الاحكام وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو
الامداد بثلثة الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ من اعم العلل
وتلوين للخطاب تشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بوثوق الاسباب
الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التاييد الروحاني اي وما جعل امدادكم بانزال
الملئكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به اي بالامداد وتسكن اليه
كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل
والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية
واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار
بان الملئكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين بتكثير السواد
ونحوه كما هو راى بعض السلف رحمهم الله وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم
المفاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره
ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا
اوليا الا من عند الله اي الا كائن من عند الله تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي
مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملئكة فانهم بمعزل من التاثير
وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز اي الذي لا يغالب في حكمه وقضيته واجراء هذا
الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله الحكيم اي الذي يفعل كل ما
يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من
مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية و
قوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمينان انما هو الامداد بالملئكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك
في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر في قوله عز وعلا وما النصر الا من عند الله على
تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة والاطمينان انما هو الامداد الصوري لا ما في
ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل فمع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله
باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلل معينة على الحصول من جهته تعالى
وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ او وما النصر الظاهر
عند امداد الملئكة الا ثابت من عند الله ليقطع اي يهلك وينقص طرفا من الذين كفروا اي طائفة منهم بقتل و
اسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون او يكبتهم اي يخزيهم و
يغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ و
الحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء عن مبدلة واو للتنويع فينقلبوا
خائبين اي فينهزموا منقطعي الامال غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالاجل لتحقيق
ان لا تاثير للمنصور اثر بيان ان لا تاثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب

للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون
فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر مباشري القتال مدخل في الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى
ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا
وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص
باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور
في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشي من علمهم بحقية
الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق
على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل
عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه
نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء الاية كانه نوع معاتبة على انكاره عليه السلام لفلاحهم
وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم ح معطوف على الامر
او على شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة
عليهم او تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الانباري ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله
عليهم فتفرح به او يعذبهم فتتشفى منهم واياما كان فهو كلام مستانف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة
احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى
ومبني على سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت
وان ما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى
فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى
انما هو الامداد بخمسة الاف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي ح ان
ينعى عليهم جناياتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السباق والسياق عليه
بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله الخ
الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف يبين علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك
الوعد لبشارتكم واطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لما ان
قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد الموعود لكن اثره انما هو مجرد البشارة
والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى وجعله استثناء منقطعا مقررا لعدم وقوع
الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف
يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الاية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى
من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الاية مع كون ما
بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا
لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد بيان انتفائه مما لم يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام
المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكي في اثنائه الى قوله تعالى خائبين
متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله
تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض كلام مستانف سيق
لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق
وتكملة له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا
لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء
ان يعذبه بعدله مشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم
المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبانها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات
سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم
تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينته من الاعتناء بشان
المغفرة والرحمة ما لا يخفى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا كلام مبتداء مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب
لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف
القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه ايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان

الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق عمدة في امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة
كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه السلام لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في
اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في
تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد باكله اخذه و
انما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في الماكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل
اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى
اجل فاذا حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف
ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها
الربوا لعلكم تفلحون راجين للفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه
كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في
اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون
راجين لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة
منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم
بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستئناف اي بادروا واقبلوا وقرئ
سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اي الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى
الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما مر من الامور المامور بها والمنهي عنها
دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة
لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله
تعالى عرضها السموات والارض اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة
على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين
لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها
لتخصصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون
في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون
محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالتي
الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق
ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار
واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه
قال المبرد تاويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملاته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين
عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه
امنا وايمانا والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي انه ينادي مناد يوم القيمة اين
الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم
الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام عن الرماة
وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه الصلوة والسلام وندب له عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من
مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك والله يحب المحسنين
اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة من
باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره
صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين مرفوع
على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما
مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم من حظهم او على نفس
المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة اي فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا
ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس
كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة
على عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا

التمر

التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على
ذلك واتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري وامراة رجل ثقفي كان بينهما
مواخاة فندم الانصاري وحثا على راسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت واياما كان فاطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الرماة انتظاما اوليا ذكروا الله
تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه وعقابه فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم
والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري والمراد بالذنوب
جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة
فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب احد
الا الله خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل احد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك
الانتفاء فيسارع الى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين
المعطوفين او بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا
عطف على فاستغفروا وتاخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشان الاستغفار
واستحقاقه للمسارعة اليه عقيب ذكره تعالى او حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اي ما فعلوه
من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد
في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل يصروا اي
لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم
ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به اولئك اشارة الى المذكورين آخرا باعتبار اتصافهم بما مر من
الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى
جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبر له او جزاؤهم مبتدا ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك
وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن
سابقة الذنب في سلك الجزاء اذ على الوجهين الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك الخ جملة مستانفة مبينة لما قبلها
كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في
مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخيرين مع اشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهما تعسف
ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افادها التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف و
جنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه
الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين
فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك لابرز الضمير ونعم اجر العاملين
المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما
تستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص
بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين وناهيك مضمونها دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت
البين والتباين المبين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجرتهم وعمالتهم
قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات
الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من
سنن اي قد مضت من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله عز وجل وقتلوا
تقتيلا سنة الله في الذين خلوا الخ والفاء في قوله تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة
على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا الخ وكيف خبر مقدم لكان
معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما سلف
من قوله قد خلت الخ بيان للناس اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف
وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر
بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين
ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينوا من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام
مسوقا لهم وهدى وموعظة اي وزيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم فان مدار

تعليل لاظهرية الوجه الاول منه

كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما
اى هذا بيان لمآل امر الناس وسوء مغبته وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد بما يعمهم
وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا
للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة
آثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدى او اصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان بالمكذبين
مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين
مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصد الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اى هذا بيان للناس كافة وهدى
وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى
قد خلت الاية اعتراض للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين وانت خبير بان الاعتراض لا بد
ان يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلثة
للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن ولا يخفى بعده **ولا تهنوا ولا تحزنوا**
تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من
المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعبد الله بن جحش بن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس مولى عتبة رضي الله عنه ومن الانصار
سبعون رجلا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اى لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من
قتل منكم **وانتم الاعلون** جملة حالية من فاعل الفعلين اى والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير
امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار به فيما سبق
او وانتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل و
قتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا
منكم اليوم **ان كنتم مؤمنين** متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اى ان كنتم
مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة باعدائه و
ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو لا محالة او ان كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون
وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري و
لذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان **ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** القرح
بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ بفتحتين و
قيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف
ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون
وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا
منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل **وتلك الايام**
اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد
بل هي داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة **نداولها بين الناس** نصرفها بينهم نديل
لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة
يقال داولته بينهم فتداولوه اى عاورته فتعاوروه واسم الاشارة مبتدا والايام اما صفة له او بدل منه او
عطف بيان له ونداولها خبره او خبر ونداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او خبر بعد خبر وصيغة
المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقتها
ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل **وليعلم الله الذين آمنوا** اما من باب التمثيل اى ليعاملكم
معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب
على المسبب اى ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز
الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي
يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه
للايذان بان اسم الايمان لا ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى اسم الذات المستجمع للصفات
لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار منشأ معين من
صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق المداولة التي نطق بها قوله تعالى نداولها

بين

بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد
بالوقوع بين الفريقين المذكورين او بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى معتبرة
اما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مباديها كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم
ليظهر امركم وليعلم الخ فان ظهور اعمالهم وخروجها من القوة الى الفعل من مبادي تمييزهم عن غيرهم ومواجب تعلق
العلم الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب التمثيل فتامل واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلل غير
منحصرة فيما عدد من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بان لله تعالى في ذلك من الالطاف
الخفية ما لا يخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تاكيد
التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر افرادها الجارية
فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولك ان تجعل المحذوف المبهم عبارة عن
علل سائر افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها له علة داعية اليه كانه قيل نداولها بين الناس كافة
ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الخ فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقيده
بتلك الافراد والثانية باعتبار تقيده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف موخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا
فعل ذلك **ويتخذ منكم شهداء** جمع شهيد اى ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد فمن ابتدائية او تبعيضية
متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اى ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم
من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيمة فمن بيانية
لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط واياما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء
والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم ما لا يخفى وقوله تعالى **والله لا يحب الظالمين** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين
على الايمان فالتقرير من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما
من الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما
ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين وقوله تعالى **وليمحص الله الذين آمنوا** اى ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب عطف
على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز
مزيد الاعتناء بشان التمحيص وهذه الامور الثلثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت
في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تاخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين
او ليقترن بقوله عز وعلا **ويمحق الكافرين** فان التمحيص فيه محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة
عن النقص والاذهاب قال المفضل هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربوا
اى يستاصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا **ام حسبتم** كلام مستانف سيق لبيان ما هي الغاية
القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عدم مبالاتهم
للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة
الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة للانكار والاستبعاد اى بل احسبتم **ان تدخلوا الجنة**
وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** حال من ضمير تدخلوا موكدة للانكار فان رجاء الاجر
بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني
على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة
في تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علمه
الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع ان المنفي هو
الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء الوصف
وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تاكيد الانكار
وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون او على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله
تعالى ومنكم حال من الذين **ويعلم الصابرين** منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تاكل السمك وتشرب
اللبن اى لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد
والصبر اى الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر وللمحافظة على
الفواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله قد حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويويده القراءة

بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف اي وهو يعلم الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي تمنون الحرب فانها من مبادي الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه فقد رايتموه اي ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رايتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من تمناها نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة وما محمد الا رسول مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد خلوه لا محالة كانه قيل قد خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه السلام رسول لا كسائر الرسل في انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس الا رسولا كسائر الرسل فسيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وايا ما كان فالكلام مخرج على خلاف مقتضى الظاهر افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر اخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان الموت في شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هنالك اهم ولان الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وكذلك علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قاتل قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم وراوا انهم قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده الا ثمانية نفر فلما راهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في ما بين خمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هنالك نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب ابن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يزعم انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله عليه السلام فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل

حتى

حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه السلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما ان كل آية ليس يسمعها كل احد ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في هذا المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس وقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ولاقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول الآية قال الراوي والله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو الا ان سمعت ابا بكر رضي الله عنه يتلو فعقرت حتى ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله مات صلى الله عليه وسلم ومن ينقلب على عقبيه بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا ما كان من المنافقين فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب شيئا اي شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وسيجزي الله الشاكرين اي الثابتين على دين الاسلام الذي هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والانصار وعن علي رضي الله عنه ابو بكر واصحابه وعنه رضي الله عنه ابو بكر من الشاكرين ومن احباء الله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان جزائهم وما كان لنفس ان تموت كلام مستانف سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل امر مخوف وفيه اشارة الى انها لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه فيه وبذلك لم يقتلوا الا لاحجامهم على مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعالى الا باذن الله استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئته تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي لا يتسنى للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى او بتنزيل اقدامها على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها عليه او على مباديه وسعيها في ايقاعه فلان يستحيل عند عدم ذلك اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر موكد لمضمون ما قبله اي كتب الله كتابا مؤجلا موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو وبدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحيوة محض مشيئة الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على اراداتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقيل ومن يرد اي بعمله ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة على طريق الالتفات منها اي من ثوابها ما نشاء ان نؤتيه اياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يومئذ وقد مر تفصيله ومن يرد اي بعمله ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما اتاهم الله تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التاكيد والدلالة على فخامة شان الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلثة بالياء وكاين كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة مركبة من كاف التشبيه واي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي احديهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كائن مثل كعين والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كان مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من نبي تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله اطرد الياس بالرجا فكائن آلما حم يسره بعد عسر وقوله تعالى قاتل معه ربيون كثير خبرها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني

للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب الى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرى بضمها وبفتحها
ايضا على الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه
علماء اتقياء او عابدون او جماعات كثيرة والظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الاخيرتين
اذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل اي قتلوا او قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير رحمه الله
ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند
الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا
واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف اي كم من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون كثيروا ما على القراءتين الاخيرتين
فتعين ظاهره لا سبيل على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وايده بان مدار التوبيخ انخزالهم للارجاف بقتله صلى الله
عليه وسلم اي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل او في القتال ربيون الخ وقوله تعالى فما وهنوا عطف على قاتل على
ان المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد
مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله اي فما فتروا وما انكسرت همتهم لما اصابهم في اثناء القتال
وهو علة للمنفي دون النفي نعم يشعر بعلته قوله تعالى في سبيل الله فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي
قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة فان جعل الضمير لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل
من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وان جعل للبعض الباقين بعد ما قتل الاخرون كما هو الانسب لمقام توبيخ
المنخزلين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير
ذلك هذا على القراءة المشهورة واما على القراءتين الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين فالضمير للباقين
منهم حتما وان اسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخزال بسبب الارجاف بقتله
صلى الله عليه وسلم فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في
القتال وما ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصله
استكن من السكون لان الخاضع يسكن صاحبه ليفعل به ما يريد والالف من اشباع الفتحة او استكون من
الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة
عليهم والارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم
لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين اي على
مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون
والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها وما كان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل
المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها في قوله تعالى الا ان قالوا والاستثناء
مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحراب واصابة ما اصابهم من
فنون الشدائد والاهوال شيء من الاشياء الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي صغائرنا واسرافنا في امرنا اي
تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين براء من التفريط في جنب
الله تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو
الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم وثبت اقدامنا اي في مواطن الحرب بالتقوية والتاييد من عندك او ثبتنا
على دينك الحق وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء
وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة
الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومصادر الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرا ابن
كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما في حيزها اي ما كان قولهم شيئا من الاشياء
الا هذا القول المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار
بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من الاخبار بكون
خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما
هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن
السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما يفيد الاضافة من النسبة المطلقة
الاجمالية فحيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع

لا مقصودا بالذات في باب البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف
منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه
لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم فتامل فآتاهم الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا
اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الآخرة اي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص
وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة
الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به وهو مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر
موضع الضمير المعهودين للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم
داخلون فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة يا ايها
الذين آمنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها لخسران الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم في
الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء و
التنبيه لاظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم
كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير
عن طاعتهم قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم
فوقوع قوله تعالى يردوكم على اعقابكم جوابا للشرط مع كونه في قوة ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى
اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى فتنقلبوا خاسرين اي للدنيا والآخرة
غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب علم في انتكاس الامر ومثل في
الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين و
يقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما
عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استيمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه
والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة حينئذ
الى التصدي لما مر من البيان بل الله مولاكم اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصاركم
حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم
بل اطيعوا الله مولاكم بنصب على انه صفة له وهو خير الناصرين مخصوص بالطاعة والاستعانة سنلقي
بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتاكيد الالقاء
في قلوب الذين كفروا الرعب بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد
حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا
ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم
الرعب فامسكوا فلا بد من كون الآية في تضاعيف الحراب او عقيب انقضائه وقيل هو ما القي في قلوبهم يوم
الاحزاب بما اشركوا بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات
خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب ما لم ينزل به اي باشراكه سلطانا اي حجة سميت
به لوضوحها وانارتها او لقوتها او لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل
قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء
والاهواء الباطلة ومأواهم بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ما ياوون اليه في
الآخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ
والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اي
بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها ماواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة
المنبئة عن المكث واما المأوى فلمنه فهو المكان الذي ياوي اليه الانسان ولقد صدقكم الله وعده نصب على انه مفعول
ثان لصدق صريحا وقيل بنزع الجار اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من
اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث
قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال
غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم
بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلون قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم اي تقتلونهم
قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى باذنه اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق

ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الاية وقد مر ان ذلك
كان يوم بدر كيف لا والموعود بما ذكر امداده عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى
بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح فى ان الموعود هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملئكة وقيل هو ما وعده
تعالى بقوله سنلقي الخ وانت خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك
فى الطريق على اختلاف الروايتين وايا ما كان فلا سبيل الى كونه مغيا بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اى جبنتم وضعف
رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب وتنازعتم فى الامر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون
وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا هاهنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي
الله عنه لا تخالف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه فى نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون
للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون اى من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما راى المشركون
ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل فى تفسير قوله تعالى افان
مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتلاء
غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم
الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الاخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة
هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما فى قولهم اذا يقوم زيد
اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد
نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الاول
عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين اى كفكم عنهم حتى
حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اى يعاملكم معاملة من يمتحنكم
بالمصايب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو
فضل على المومنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق
الوجوب عليه اى شانه ان يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم فى جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم
اذ الابتلاء ايضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمومنين اما المخاطبون والاظهار فى موقع الاضمار للتشريف و
الاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بقوله
ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض وقرئ يصعدون من الثلاثي او فى الجبل
وقرئ تصعدون من التفعل بطرح احدى التائين وقرئ يصعدون بالالتفات الى الغيبة ولا تلوون على احد
اى لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة
وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم الى عباد الله الى عباد الله انا بيدعوهم
رسول الله من يكر فله الجنة وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه السلام كانت بطريق
الرسالة من جهته سبحانه اشباعا فى توبيخ المنهزمين فى اخريكم فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم عطف
على صرفكم اى فجازاكم الله تعالى بما صنعتم غما موصولا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف
بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله عليه السلام
بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم اى لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات او
ضر آت وقيل لا زايدة والمعنى لتتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة
لكم وقيل الضمير فى اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اى واساكم فى الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل
عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما اصابكم من الجراح
وغير ذلك والله خبير بما تعملون اى عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب
للمومنين حقا من بعد الغم اى الغم المذكور والتصريح بتاخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة
البيان وتذكير عظم النعمة كما فى قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية امنة اى امنا نصب على المفعولية
وقوله تعالى نعاسا بدل منها او عطف بيان وقيل مفعول له او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه
او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ بسكون
الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق
الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا كانوا
يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يامنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متاهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة

فاثابكم

فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما آمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من امن والخايف
لا ينام وقال الزبير رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله انى
لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وقال
ابو طلحة رضي الله عنه رفعت راسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس
قال وكنت ممن القى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فاخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه
دلالة على ان من المومنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طايفة منكم قال ابن عباس
هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك فى عموم الانزال للكل والجملة فى محل النصب على انها صفة لنعاسا
وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا يفصل
بينها وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه وطايفة قد اهمتهم انفسهم
اى اوقعتهم فى الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم همني الشيء اى كان من
همي وقصدي والقصر مستفاد من معونة المقام وطايفة مبتدا وما بعدها اما خبرها وانما جاز ذلك مع كونها
نكرة لاعتمادها على واو الحال كما فى قوله سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا محياك اخفى ضوءه كل شارق او لوقوعها
فى موقع التفصيل كما فى قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول واما صفتها والخبر محذوف
اى ومعكم طايفة او وهناك طايفة وقيل تقديره ومنكم طايفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين فى الخطاب
بانزال الامنة وايا ما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول موكدة لعظم النعمة فى الخلاص عنه كما فى قوله
تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستانفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله
تعالى عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طايفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد
خبر او استيناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق فى حكم المصدر اى يظنون به تعالى غير الظن الحق الذي يجب
ان يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة كما فى حاتم
الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما ان مسالتهم كانت صادرة عن الظن اى يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اى من امر الله تعالى ووعده من النصر
والظفر من شيء اى من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اى الغلبة بالاخرة
لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى فى
سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يخفون فى انفسهم اى يضمرون فيها او يقولو
فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون لك استيناف او حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل ان الامر الخ اعتراض
بين الحال وصاحبها اى يقولون ما يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذ
وقوله تعالى يقولون استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله كانه قيل اى شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم
او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد عليه السلام من ان الغلبة لله تعالى و
لاوليائه وان الامر كله لله او لو كان لنا من التدبير والراي شيء ما قتلنا هاهنا اى ما غلبنا او ما قتل من قتل منا فى هذه
المعركة على ان النفي راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لما برحنا من منازلنا كما راه ابن ابي وبويه تعيين
مكان القتل وكذا قوله تعالى قل لو كنتم فى بيوتكم اى لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين
كتب عليهم القتل اى فى اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مضاجعهم الى مصارعهم التي قدر
الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هنالك البتة ولم ينفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه
لا يعقب وفيه مبالغة فى رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما فى قوله عز وجل اينما تكونوا
يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا ولا ريب فى تعيين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون روي ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة هايلة فلما قام قال
الرجل من هذا قال سليمان عليه السلام ملك الموت قال ارسلني مع الريح الى عالم آخر فاني رايت منه مراى هايلا فامرها
عليه السلام فالقته فى قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث ان عاد الى سليمان عليهما السلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك
الرجل فى هذه الساعة فى ارض كذا فلما وجدته فى مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان
فوجدته هنالك فقضي امر الله عز وجل فى زمانه ومكانه من غير اخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل و
نصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد على البناء للمفعول وليبتلي الله ما فى صدوركم اى
ليعاملكم معاملة من يبتلي ما فى صدوركم من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السراير وهو علة لفعل مقدر قبلها
معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الخ وجعلها علة للبرز

ملك الموت

باباه الله وقوّ السليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض
او لفعل مقدر بعدها اى وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل
مقدما خال عن هذه المزية وليمحص ما في قلوبكم من مخفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله
عليم بذات الصدور اى السرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما
اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غني عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار حال
المنافقين او حال من متعلق الفعلين اى فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غني عنهما محيط بخفيات
الامور وفيه وعد ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم احد حسبما مرت حكايتهم
انما استزلهم الشيطان اى انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب
والمعاصي التي من جملتها مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فحرموا التأييد
وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها الى بعض
كالطاعة وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج عن المظلمة ولقد عفا
الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة
تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد التعليل يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا
بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم ابتداء وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه
والمماثلة التي نهوا عنها اى قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض
اى سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية
الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج
اذا هاهنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها
لقولهم انما هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف له لا لقولهم كأنه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم
حين ضربوا الخ او كانوا غزا اى اخوانهم غزا جمع غاز كعفى جمع عاف وقال ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى
لها قلب عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاء على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه
تحت الضرب في الارض لانه المقصود بالذكر في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه على انه
قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم
بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اى كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا عندنا اى مقيمين ما ماتوا وما قتلوا
مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اى اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا و
ليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنكر
على قائله الا ترى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل فيها قطعا واليه اشير بذلك
كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم
بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا
اى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك
اصلا وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله تعالى حسرة
في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة
الى ما دل عليه النهي اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول
والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اى هو المؤثر في الحياة والممات
وحده من غير ان يكون للاقامة او السفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد
الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان
يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ولمنشئه الذي هو
اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار الاسم الجليل
في موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل
الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى
ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم
وما في قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع

صفة المبتدأ والمغفرة وفي صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب القسم سادّ مسد جواب الشرط والمعنى ان
السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة
كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اى الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم وعن ابن عباس
رضى الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اى مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيريتها
من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولها لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة تخلفهما عنه تعالى بعد
الاطلاع وقيل لا بد من حذف آخر لمغفرة لكم من الله الخ وقيل يكون ايضا اخراج المقدم مخرج الصفة
المخبر بحيث ادعاء الظهور والغنا عن الاخبار به وتعيين تسبب الواقع في قوله ما ماتوا وما قتلوا
على كثرة الوقوع وقلته لما لغيره في الترغيب في الجهاد بيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته في استجلاب
المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون
القول المذكور والعمل بموجبه لا في النطق به واضلال الناس به ولئن متم او قتلتم اى على اي وجه اتفق هلاككم
حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات لالى الله اى الى المعبود بالحق العظيم الشان الواسع
الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويجزل عطاءكم والكلام في الجملة كما في اختيها
فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام
على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته
تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت وما مزيدة للتأكيد او نكرة ورحمة بدل منها مبين لابهامها
والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اى فبرحمة عظيمة كائنة من الله تعالى وهي ربطه
على جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما
كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو كنت فظا جافيا في المعاشرة قولا و
فعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق غليظ القلب قاسيه وقال
الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وتردوا في مهاوي
الردى والفاء في قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب العفو والامر به على ما قبله اى اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم
فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا
للبر بهم وشاورهم في الامر اى في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا
بآرائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت اى عقيب
المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه
يختص به تعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اى عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور
بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل والامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات
الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح
والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب
تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على الالتجاء اليه وتحذيرهم عما يفضي الى الخذلان اى ان ينصركم
كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا
يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي
المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فهما قطعيا هو نفي المساواة واثبات الغالبية للمخاطبين
فاذا قلت لا اكرم من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا
امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما
في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل ومما هو نص قاطع فيما ذكرنا ما وقع في
سورة هود حيث قيل بعدما في حقهم لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر
يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا فمن
ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اى من بعد
خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل
لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيب الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم و
مغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين
اما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات وايا ما كان ففيه تشريف لهم و

بعنوان الايمان اشعارا بها او استقلالا وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا وما كان لنبي اى وما صح لنبى من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل اى يخون فى المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا الى الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنايم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امرى فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة فى النهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى انه بعث طلايع فغنم النبى عليه الصلوة والسلام بعدهم غنايم فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلايع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبى ان يعطى قوما من العسكر ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه السلام عما نفوه به بعض المنافقين اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فبعيد جدا وقرى على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا اى ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات بالذى غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد فى الحديث الشريف وروى انه عليه السلام قال الا لا اعرفن احدكم ياتى ببعير له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادى يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او يات بما احتمل من اثمه ووباله ثم توفى كل نفس ما كسبت اى تعطى وافيا جزاء ما اكتسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا وضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كانهما شئ واحد وفى اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيمة من الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة فى بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حين وفى كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شئ وان كان جرمه فى غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال شئ وجرمه من اعظم الجرايم اظهر واجلى وهم اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب او بنقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اى سعى فى تحصيله وانتحا نحوه حيث ما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبى ومن يسير سيرته كمن باء اى رجع بسخط عظيم لا يقادر قدره كاين من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تاكيد نفى الغلول عن النبى عليه السلام وتقريره لتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كلا منهما بنقيض ما وصف به الاخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلا عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ومأواه جهنم اما كلام مستانف مسوق لبيان ما لمن باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية واياما كان فلا محل له من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلى والمخصوص بالذم محذوف اى وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثانى هم راجع الى الموصولين باعتبار المعنى درجات عند الله اى طبقات متفاوتة فى علمه وحكمه شبهوا فى تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذووا درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف اى والله لقد من الله اى انعم على المؤمنين اى من قومه عليه السلام اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اى من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وفى ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرى من انفسهم اى اشرفهم فانه عليه السلام كان من اشرف قبايل العرب وبطونها وقرى لمن من الله على المؤمنين اذ بعث الخ على انه خبر لمبتداء محذوف اى منه اذ بعث الخ او على ان اذ فى محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اى كاينا من انفسهم وقوله تعالى يتلو عليهم آياته صفة اخرى اى يتلو عليهم القران بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى ويزكيهم عطف على يتلو اى يطهرهم من دنس الطبايع وسوء العقايد واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة اى القران والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر ولو روعى ترتيب الوجود كما فى قوله تعالى ربنا وابعث

فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر فى التعبير عن القران بالايات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فى ذلك شمول الحكمة لما فى مطاوى الاحاديث الكريمة من الشرايع كما سلف فى سورة البقرة وان كانوا من قبل اى من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه لفى ضلال مبين اى بين لا ريب فى كونه ضلالا وان هى المخففة من ان المثقلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق بكان والثانى خبرها وهى مع خبرها خبر لان المخففة التى حذف اسمها اعنى ضمير الشان وقيل هى نافية واللام بمعنى الا اى وما كانوا من قبل الا فى ضلال مبين واياما كان فالجملة اما حال من الضمير المنصوب فى تعليمهم او مستانفة وعلى التقديرين فهى مبينة لكمال النعمة وتمامها اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مبتدا مسوق لابطال بعض ما بنوا عليه من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض اخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم فى محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع ان المقصود انكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتاكيد النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح فى غير وقته اقبح والانكار على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم فى ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة له داعيا اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة او افعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم غايلته قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة فى انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه فى المعركة من حيث هو هو من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما هى عند الحكاية بقوله عز وجل قل هو من عند انفسكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق فساده بالانكار والتقريع ويبكتهم ببيان ان ما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة وياباه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الاية وان عمل النبى صلى الله عليه وسلم بموجبه قد دفع الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على ان اختيار الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وانهم من النفوس بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم الفداء يوم بدر وقبل ان يوذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى وربما يعضده توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت اليه عليه السلام فان توبيخ الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان اشد تاثيرا ان الله على كل شئ قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر وما اصابكم رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام لتبيين تقضيه وارشادهم الى حقيقة الحق فى ما سالوه عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم من استقلالهم فى وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى يوم التقى الجمعان اى جمعكم وجمع المشركين فباذن الله اى فهو كاين بقضايه وتخليته الكفار سمى ذلك اذنا لكونها من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على قوله فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام فى قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر فى ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والاخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كاين ليميز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه فى حيز الصلة او كلام مبتداء قال ابن عباس رضى الله عنهما هم عبد الله بن ابى واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا قال السدى ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وولدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا فى سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو الثانى وذكر الاول توطئة له وترغيبا فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون

قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نحسن قتالا ونقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبروا عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لم نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا للمقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان الضمير مبتدأ واقرب خبره واللام في للكفر وللايمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف او بدلية انما هو فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين كأنه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين اي هم للكفر يومئذ قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشؤه الذي لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر عنه بها تنبيها على ما بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون بقول لا وجود له او لمنشئه في قلوبهم اصلا من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل والله اعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف اقوالهم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الالهي الذين قالوا مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ خبره قل فادرءوا بحذف العائد تقديره قل لهم الخ او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا او بدل منه وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال لو اطاعونا اي فيما امرناهم به ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخذال حين انخذلوا واغووهم كما غووا وحمل القعود على ما استصوبه ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رأيه والعمل به يرده كون الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطاعة باخوانهم ينادي باختصاص الامر ايضا بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم فادرءوا عن انفسكم الموت جواب لشرط قد حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى ان كنتم صادقين كما ان شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليهم فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل اريد ان كنتم صادقين في مضمون الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت ح استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا كلام مستأنف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب

ومصعب

ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه السلام او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم احقاء بان يتسلوا بذلك ويبشروا بالحياة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى والجود خير تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا او على انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدأ المقدر او صفة لاحياء او في محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اي من الجنة وفيه تأكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي الاصح في حياة الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم في اجواف طير خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وروي ترد انهار الجنة الخ وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا وتتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحياة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب اولا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحياة التي يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان يخاف ويحذر اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل في قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افادها التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة منه تعالى وفضل اي زيادة عظيمة كما في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بفتح ان عطفا على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ بكسرها على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب

في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وقالوا حسبنا الله اي محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف اي الله عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روي انه عليه السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا والباء في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم اي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل اي ربح في التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم لم يمسسهم سوء حال اخرى من الضمير في فانقلبوا او من المستكن في الحال كأنه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا واتبعوا في كل ما اتوا من قول وفعل رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوؤهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله عز وجل ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم اشارة الى المثبط او الى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى الشيطان اما خبره وقوله تعالى يخوف اولياءه جملة مستأنفة مبينة لشيطنته او حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية الخ واما صفته والجملة خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان اي ابليس والمستكن في يخوف اما للمقدر واما للشيطان بحذف الراجع الى المقدر اي يخوف به والمراد باوليائه اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود رضي الله عنه ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم اي اولياءه وخافون في مخالفة امري واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني اي فلا تخافوهم في مخالفة امري واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به والخطاب لفريقي الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه ولا يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والايذان باصالته في تدبير امور الدين والاهتمام بشؤونه الذين يسارعون في الكفر اي يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الآية للاشعار باستقرارهم في الكفر ودوام

ملابستهم

ملابستهم له في مبادئ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فان ذلك مؤذن بملابستهم الخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشارة بما في حيز الصلة الى مظنة وجود المنهي عنه واعترائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنوك بمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهي الى جهتهم مع ان المقصود نهيه عليه السلام عن التأثر منهم للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التأثير نهي عن التأثر باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه اي جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن انهم لن يضروا الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك اولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئا في حيز النصب على المصدرية اي شيئا من الضرر والتنكير لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روى ابو ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملك الله شيئا ولو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملك الله جناح بعوضة والاول هو الانسب بمقام التسلية والتعليل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم في الآخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان الكلي عذاب عظيم لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتدأة مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا شيء لهم من الثواب واما حال من الضمير في لهم اي يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى مستوفى لن يضروا الله شيئا تفسير كما مر غير ان فيه تعريضا ظاهرا باقتصار الضرر عليهم كأنه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه اما باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في تحقق ضررهم بانفسهم وعدم تعديه الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهي اعز من الابلق الفرد وامنع من عقاب الجو وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفر بدلا مما نزل منزلته نفس الايمان من الاستعداد القريب الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول الاول عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة شأن التنزيل لما ان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه السلام مما لا وجه له وقوله تعالى ولهم عذاب اليم جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها

سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتداء والخبر ومسد احدهما
والاخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عايدها ووصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن
الكافرون ان املاءنا لهم او ان ما نمليه خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم
ثابتة او واقعة ومآله نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه
شر بحت وضرر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على
توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة
فيندرج تحت حكمه الكلي احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لرعاية
المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم دهرا طويلا فان المقارن
له دائما انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المقتضية في
تضاعيف الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام
التسلية او لكل من يتاتى منه الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم اما بدل
منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر
على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض واما مفعول ثان بتقدير مضاف اما فيه اي
لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اي لا تحسبن حال الذين كفروا
ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف مبين لحكمة الاملاء
وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه وكسرها
فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورد في معنى لا يحسبن
الكافرون ان املاءنا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شأنهم بل هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان
ولهم في الآخرة عذاب مهين لما تضمن الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر
وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما مبتداة مبينة لحالهم في الآخرة اثر بيان حالهم
في الدنيا واما حال من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما انتم عليه كلام مستانف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي
هي الفضيحة والخزي اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور
المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم
بعضا واستواؤهم في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار والمنافقين
وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين
عطف تفسيري للكفار والا فلا شركة بين المؤمنين والمهاجرين في امر من الامور والمراد بما هم عليه ما مر من القدر
المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته الى كل منهما الا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا
مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعاني ففيه تلوين والتفات
كما مر والتعرض لايمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلية الحكم والمراد بما هم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب واليه جنح
المحققون من اهل التفسير لكونه صريحا في كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث
هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو
الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فانما يفهم
من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام
في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا
او متصديا لان يذر المؤمنين الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه
واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف
الجر في عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور كانه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط
بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على
كل منهما بما يليق به واشعار بعلية الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعدد ما اريد بكل منهما وتكثره لا سيما بعد ذكر ما
اريد باحدهما اعني المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الآخر هو اتصافهما بوصفيهما
لا خصوصية ذاتهما وتعدد آحادهما كما في مثل قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا وقوله تعالى تذهل كل
مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء او غيرهم

وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وافرازهم عن
المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء
المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع
بقاء المؤمنين على ما هم عليه من الاستمرار ولان فيه مزيد تاكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من
المصلح وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير
ملائمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان
الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اشارة الى
كيفيته ووقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين في
الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من
الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما
حكي عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤس الاشهاد ويخلصكم من خسة الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء
للايذان بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية لا يتاتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم
الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على ان شأنه عليه السلام
في هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم الصلوة والسلام
وتعميم الامر في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسله مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لايجاب الايمان به
بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة
نبوته عليه السلام والمأمور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما اخبر به من احوال
المنافقين دخولا اوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز
الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح
في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى به وانت خبير بان الاستدراك باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد مزيتهم
وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم على الوقوف على خفايا السرائر صريح في ان المراد اظهار تلك السرائر
بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على ان
يكون مسوقة لبيان الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط
ابدا كما تركهم كذلك الى الآن لسر تقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعله يومئذ حيث خلى الكفرة وشأنهم
فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤس الاشهاد وقيل قال الكافرون
ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وان تؤمنوا ايما ذكر حق الايمان وتتقوا اي عدم مراعاة
حقوقه او النفاق فلكم بمقابلة ذلك الايمان والتقوى اجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال البخل وسوء عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال
الاملاء وايراد ما يبخلون به بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من
موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول
الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من
غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه
وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب
اي ولا يحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته لهم مع انفهامها
من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لكيفية شريته
اي سيلزمون وباله الزام الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال
المناسبة بينهما وروي عن النبي عليه السلام انه قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه
يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا
مالك ولله وحده لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا ميراث السموات والارض اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره
من الرسالات التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه
ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير
فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار
باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير

ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه السلام كتب
مع ابى بكر رضى الله عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا
حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر رضى الله عنه فى وجهه وقال لولا الذى بيننا وبينكم من
العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون القائل
واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان
بانه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قايله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمى للتشديد فى التهديد والمبالغة فى
الوعيد سنكتب ما قالوا اى سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء فى صحايف الحفظة او سنحفظه ونثبته
فى علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتاكيد اى لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه فى غاية العظم
والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقران العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم
الانبياء ايذانا بانهما فى العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ
على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى
بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اى كاينا بغير حق فى اعتقادهم ايضا كما هو فى نفس الامر وقرئ
سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى وننتقم
منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى و
قرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذلك اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة
على عظم شانه وبعد منزلته فى الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما قدمت ايديكم اى بسبب ما اقترفتموه
من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصى والتعبير عن الانفس بالايدى لما ان عامة افاعيلها
تزاول بهن ومحل ان فى قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراض
مقرر لمضمون ما قبلها اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم
مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته
تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال
باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى
بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى صورة المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده
وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث
ان نفى الظلم مستلزم للعدل المقتضى لاثابة المحسن ومعاقبة المسئ وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه
ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القايل فى سورة الانفال وقيل سببية
ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان
امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافى كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى
اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعى ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا
نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن صيفى وحيى بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن
يهودا ان الله عهد الينا اى امرنا فى التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار كما كان عليه امر
الانبياء عليهم السلام حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله اى تحيله الى طبعها
بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات
سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق
الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اى تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة العدد
كبيرة المقدار من قبلى بالبينات اى المعجزات الواضحة وبالذى قلتم بعينه من القربان الذى تاكله النار فلم قتلتموهم
ان كنتم صادقين اى فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول ياتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما
من الانبياء عليهم السلام قد جاؤكم بما قلتم فى معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع
فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحى اليه ما يحزنه عليه السلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود
وقوله تعالى فقد كذب رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط اى فتسل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة
لرسل اى كاينة من قبلك جاءوا بالبينات اى المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر هو جمع زبور وهو الكتاب
المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته والكتاب المنير قيل اى التورية
والانجيل والزبور والكتاب فى عرف القران ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى

عامة

عامة الوقائع وقرئ وبالزبر وباعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق
والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما فى قوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم اى تعطون اجزية اعمالكم
على التمام والكمال يوم القيمة اى يوم قيامكم من القبور وفى لفظة التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله
كما ينبئ عنه قوله عليه الصلوة والسلام القبر روضة من رياض الجنة وحفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار اى بعد
عنها يومئذ ونحى والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز
الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله
واليوم الاخر وياتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهت بالمتاع
الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهى له متاع بلاغ و
الغرور اما مصدر او جمع غار لتبلون شروع فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما
سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا
للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكرب مما يهون
الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته
وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه
للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف
اى والله لتبلون اى لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وايراد التوكيد
اما لتحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما لتحقيق وقوع المبتلى به مبالغة فى الحث على ما اريد منهم من التهيؤ و
الاستعداد فى اموالكم بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها فى سبيل الخير مطلقا فلا
يليق نظمه فى سلك الابتلاء لما انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما
يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى من قبل ايتائكم القران وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار
الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما فى قوله تعالى ان الله عهد الينا و
التصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به ومن الذين اشركوا اذى
كثيرا من الطعن فى الدين الحنيف والقدح فى احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما
كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك
مما لا خير فيه وان تصبروا اى على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل وتتقوا اى تتبتلوا
الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة الى
الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد
من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين من عزم الامور من
معزوماتها التى يتنافس فيها المتنافسون اى مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما
عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعنى ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل
لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان
ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفى ابراز الامر بالصبر و
التقوى فى صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى واذ اخذ الله كلام مستانف سيق لبيان بعض
اذياتهم وهو كتمانهم ما فى كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به
النبى صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تجريد الخطاب اثر الخطاب الشامل له عليه السلام وللمؤمنين لكون مضمونه
من الوظايف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها على ما مر بيانه فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة انى جاعل الخ اى اذكر وقت
اخذه تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة فى تقبيح حالهم
لتبيننه حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه
للناس وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التى من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ
بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما فى قولك والله لا يقوم زيد وقيل
اكتفى بالتاكيد فى الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدا بعد الواو اى وانتم لا تكتمونه
واما على راى من جوز دخول الواو على المضارع المنفى عند وقوعه حالا اى لتبيننه غير كاتمين والنهى عن الكتمان بعد الامر بالبيان

اما المبالغة في ايجاب المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الايات الناطقة بنبوته عليه السلام وبالكتمان المنهي عنه
القاء التاويلات الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه النبذ الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من
الميثاق الموثق بفنون التاكيد والقوة وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل
في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على
علماء الدين واظهار ما منحوه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في عرض من
الاعراض الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما من اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال
لوهب بن منبه اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما كتمته لرايت ان الله سيعذبك وعن
محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه
ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه
كدلائل نبوته عليه السلام ونحوها لما ان ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصلوة رفض
لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث انهما سيان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما
بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا
اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن
بالرغبة في الماخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشتري الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة
بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء
الداخلة على الالات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدنيء الحقير
على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى دلالة شانه ورفعة
مكانه فبئس ما يشترون نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي
بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن لا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له الذين يفرحون
بما اتوا اي بما فعلوا كما في قوله تعالى انه كان وعده ماتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما
آتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التورية قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود حرفوا التورية و
فرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في
التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه وأروه انهم صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان
النصوص الناطقة بنبوته عليه السلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عليه السلام فالموصول عبارة
عن المذكورين او عن مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه ما لهم المحكية من العقاب
الاخروي اثر بيان قباحتها وقد ادمج فيها بيان بعض اخر من شنايعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبايح
وفرحهم بذلك ومحبتهم لان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها ان
تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم
اعتذروا بانهم راوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى و
يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون
الى المسلمين بالايمان وهو عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهو في غاية القاصية من العداوة
فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء
الموصول على عمومه شاملا لكل من ياتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يمدحه الناس بما هو عار
منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واياما كان فهو مفعول اول للتحسبن وقوله تعالى فلا تحسبنهم
تاكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني في قوله تعالى بمفازة من العذاب اي ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة
مصدر ميمي ولا يضر تأنيثها بالتاء لما انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة
عقابك قد كانوا لنا كالموارد ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة كائنة
من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص بمعنى اي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف
الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا وقرئ بياء الغيبة
وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام ولكل احد ممن يتاتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء
في الثاني فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن
الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى فلا يحسبنهم تاكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل

الاول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة المفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله باي كتاب او باية سنة
ترى حبهم عارا علي وتحسب حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل الاول
للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه
والفعل الثاني مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم عن عدم حسبانه عليه السلام ومفعوله
الضمير المنصوب والاول وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة
وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يحسبون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية
وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته
صلى الله عليه وسلم ولهم عذاب اليم بعدما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له
في الشدة والالم كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ولله ملك السموات والارض اي خاصة
السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما بينهما كيفما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا
واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى والله
على كل شيء قدير تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى
قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورته
اختصاص القدرة به تعالى لاستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء فضلا عن المشاركة في ملك السموات والارض
وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية
المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل
من الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات جملة مستانفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان
الباهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد اعتناء بتحقيق مضمونها اي في انشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها
من الامور التي تحار في فهم اجلاها العقول والارض على ما هي عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما
في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض
او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا
بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من قطب الشمال
ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض
تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او
عصرا او غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع جمع والصحيح
انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة وكياكي كانها
جمع كيكات والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم
الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فيخلفه لآيات اسم ان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم
كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك
العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب
لما ان المقصود هاهنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك وما
هناك وقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل
الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل هناك من آيات رحمته تعالى كما انه من آيات الالوهية ووحدته
لاولي الالباب اي لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين
عن العوائق الظلمانية المتاملين في احوال الحقائق واحكام النعوت المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت
المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين
الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود مثابرين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين الى شيء مما سواه
الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فان كل ما ظهر في مظاهر الابداع وحضر محاضرة
التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع
واع ويخبر بانباء علمه وحكمته فهل له من واع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم تارة
باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة مراعيا في الحوار ابهامهم وتصريحهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم فتأمل هذه الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل لك يا عايشة ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك
واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القران وجعل
يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه
قد بلت الارض واتاه بلال يوذنه بصلوة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله ابكي وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان
في خلق السموات والارض الخ ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن
علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل تسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات
والارض الخ **الذين يذكرون الله** الموصول اما موصول باولي الالباب مجرور على انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة و
اما مفصول عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتداء محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء
والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا الخ وفيه من تفكيك النظم الجليل ما لا يخفى واياما كان فقد اشير بما في حيز
صلته ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة اوقاتهم باطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرايرهم في مراقبته
لما ايقنوا بان كل ما سواه فايض منه وعايد اليه فلا يشاهدون حالا من الاحوال في انفسهم واليه اشير بقوله عز
وجل **قياما وقعودا وعلى جنوبهم** ولا في الافاق واليه اشير بما بعده الا وهم يعاينون في ذلك شانا من شونه
تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء قارنه ذكر
اللسان اولا ومما يحكى عن ابن عمر رضي الله عنهما وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله تعالى عنهم من انهم خرجوا يوم
العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا
يذكرون الله تعالى على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الاية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به التبرك
بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها واما حمل الذكر على الصلوة في هذه الاحوال حسب الاستطاعة
كما قال عليه السلام لعمران بن حصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما لا يساعده
سباق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود جمع قايم وقاعد كنيام ورقود جمع نايم وراقد وانتصابهما على الحالية
من ضمير يذكرون اي يذكرونه قايمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على حالين اي وكاينين
على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر
بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا **ويتفكرون في خلق السموات والارض** عطف على
يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل محله النصب على انه معطوف على الاحوال
السابقة وليس بظاهر وهو بيان تفكرهم في افعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق والاشارة
الى نتيجته التي يودي اليها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وايات الكتب فكما انها ايات
تشريعية هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات ايات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى
منبهات لهم على الثانية ودواع الى الاستشهاد بها كهذه الاية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل
والثانية مويدات للاولى شواهد دالة على صحة مضمونها وحقيقة مكنونها فان من تامل في تضاعيف خلق العالم
على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية
والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر
على انشايه بلا مثال يحتذيه او قانون ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة
هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلايل
والامارات والمخايل وساير اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل
هو اشرف افراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضية كون الاول اشرف من الثاني كون عمله
ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التي هي اول الواجبات على العباد وغاية القصوى من الخلق
على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون كما اعرب عنه قوله عليه السلام
كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وانما طريقها النظري التفكر فيما ذكر من شونه تعالى وقد
روي عنه عليه السلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا
انما كان ذلك التفكر في امر الله تعالى ولذلك قال عليه السلام لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه مستتبع لتحقيق
ما جاءت به الشريعة الحقة والا لما فسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في
ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
تعالى فان التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة فحينيذ يتصادق الايات

التكوينية

التكوينية وتتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان بالشريعة
في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز كمال العناية ببيان حالهم
والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما
سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما
للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الايات من غير حاجة الى بعض اخر منها في اثبات المطلوب
والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون في انشايهما وابداعهما بما فيهما من عجايب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على
ان الاضافة بمعنى في اي يتفكرون فيما خلق فيهما اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها
بيانية **ربنا ما خلقت هذا باطلا** كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا
القران يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق
وباطلا اما صفة لمصدر موكد محذوف او حال من المفعول به اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشان عبثا
عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبي عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة
ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبداء والمعاد حسبما افصحت
عنه الرسل والكتب الالهية كما تحققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول
نعتا لاولي الالباب استيناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الايات ناشي مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص الايات
المنصوبة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك الايات تبقى مترقبة لما يظهر منهم
من اثارها واحكامها كانه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت
وكيت مما ينبي عن وقوفهم على سر الخلق المودي الى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية
على التفصيل الذي وقفت عليه هذا واما جعله حالا من المستكن في الفعل كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده النظم
الكريم لما ان ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي ثبوته
له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يودي الى اجتلاء تلك الايات والاستدلال
بها على المطلوب ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتايجها المترتبة عليه فاعتباره قيدا
لما في حيز الصلة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح
او مرفوعا على انه خبر لمبتداء محذوف اذ لا اشتباه في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا
القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى **سبحانك** اي تنزيها
لك مما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض موكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى
فقنا عذاب النار فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما يقتضيه من الاعمال
الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين احدهما الوقوف
على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو اعني الوقاية
على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا سرك واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا
يعرفون ذلك **ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته** مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء
للمبالغة في التضرع والجوار وتاكيدها لاظهار كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار
لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدي للاخزاء معان متقاربة
يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل فضحه قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع
حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اي المرعى الذي
لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى **وما للظالمين من انصار** تذييل
لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تاكيد الاستدعاء ووضع
الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير مواضعها وجمع الانصار
بالنظر الى جمع الظالمين اي ما لظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الاية
دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان** حكاية لدعاء اخر لهم
مبني على تاملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعايهم السابق المبني على التفكر في الادلة القطعية وتصدير مقدمة الدعاء
بالنداء لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتاكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد
بالنداء الدعاء وتعديتهما بالى لتضمنهما معنى الانتهاء وباللام لاشتمالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول
صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنايه بشان الدعوة وتبليغها الى الداني

والقاصى لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادى صفة لمناديا عند الجمهور كما فى قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو
كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسى واتباعه وهذا اسلوب بديع
يصار اليه للمبالغة فى تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل به الى تفصيله
واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زايدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادى ثم وصف بالنداء
للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس
واصور بالقبول وقيل المنادى القران العظيم **ان آمنوا** اى آمنوا على ان ان تفسيرية او بان امنوا على انها مصدرية **بربكم**
بمالككم ومتولى اموركم ومبلغكم الى الكمال وفى اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشانه **فآمنا** اى فامتثلنا بامره واجبنا نداءه
ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفاء فى قوله تعالى فاغفر لنا لترتيب
المغفرة والدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعى المغفرة والدعاء بها **ذنوبنا** اى كبايرنا
فان الايمان يجب ما قبله **وكفر عنا سياتنا** اى صغايرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكباير **وتوفنا مع الابرار** اى مخصوصين بصحبتهم
مغتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه
والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب **ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك** حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه
لتاخر التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مكررا والمراد بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما فى قولك وعد الله
الجنة على الطاعة اى وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر موكد محذوف اى وعدتنا وعدا كائنا
على السنة رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة فى مثل هذه المواقع
تعسف وجمع الرسل مع ان المنادى هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه السلام لاسيما فى باب التوحيد
وما اجمع عليه الكل من الشرايع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد اخذ منهم
الميثاق بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الاية وكذا الموعود على
لسانه من الثواب موعود على السنة الكل واظهار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود **ولا تخزنا**
يوم القيمة قصد وا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه مظهرين انهم ممن آمن
معه رجاء للانتظام فى سلكهم يومئذ وقوله تعالى **انك لا تخلف الميعاد** تعليل لتحقيق ما نظموا فى سلك الدعاء وهذه
الدعوات وما فى تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست من خوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من
جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل فمرجعها الى الدعاء بالتثبيت وللمبالغة فى التعبد والخشوع والميعاد
الوعد وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه البعث بعد الموت وفى الاثار عن جعفر الصادق من حزنه امر فقال ربنا ربنا
خمس مرات نجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الاية **فاستجاب لهم ربهم** الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج
القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤل وتتعدى باللام وبنفسها كما فى قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب
وهو عطف على الاستيناف المقدر فيما سلف مرتب على ما فى حيز من الادعية كما ان قوله تعالى ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف
على قيل المقدر قبل الآن اى قيل لهم الآن امنتم به ثم قيل الاية وكما ان قوله تعالى فى سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم
معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد الخ كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ ولا ضير فى اختلافهما صيغة لما ان صيغة
المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضى ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها
كما لا ضير فى الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سياتى ويجوز ان
يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اى دعوا بهذه الادعية فاستجاب الخ واما على تقدير كون المقدر حالا
فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعنى قوله ربنا ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم
لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالاخرة استحقت الانتظام فى سلك محاسنهم
المعدودة فى اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولى الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من
ان حق ما فى حيز الصلة ان يكون من مبادى جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك
فاين الاستجابة المتاخرة عنها وفى التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم
واظهار اللطف بهم ما لا يخفى **انى لا اضيع عمل عامل منكم** اى بانى وهكذا قرأ ابى رضى الله عنه والباء للسببية كانه
قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اى سنته السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم
والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشان الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تاكيدها ببيان سببها
والاشعار بان مدارها اعمالهم التى قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لساير العاملين وان لم يبلغوا درجة
اولى الالباب لتاكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة
اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما

يستحيل صدوره عنه من القبايح وابرازه الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه وقرى بكسر الهمزة على ارادة القول اى قايلا
انى الخ فلا التفات ح وقرى لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اى عامل كاين منكم وقوله تعالى
من ذكر او انثى بيان لعامل وتاكيد لعمومه وقوله تعالى **بعضكم من بعض** جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء
فى سلك الرجال فى الوعد فان كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما فى الدين
والعمل مما يستدعى الشركة والاتحاد فى ذلك روى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى
اسمع الله تعالى يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى **فالذين هاجروا** ضرب تفصيل لما اجمل فى العمل
وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين وقوله تعالى
واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثانى عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار **واوذوا فى سبيلى**
اى بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من المشركين **وقاتلوا** اى الكفار فى سبيل الله تعالى **وقتلوا**
استشهدوا فى القتال وقرى بالعكس لما ان الواو لا تستدعى الترتيب او لان المراد قتل بعضهم وقتال آخرين اذ ليس
المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر فى حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل فى الجملة سواء
كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر ما بطريق التوزيع او بطريق
حذف بعض الموصولات من البين كما هو راى الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان تدا منع عمل
من اتصف بالبعض وقرى قتلوا بالتشديد **لاكفرن عنهم سياتهم** جواب قسم محذوف اى والله لاكفرن والجملة القسمية
خبر للمبتداء الذى هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى **ولا**
دخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير
له **ثوابا** مصدر موكد لما قبله فان تكفير السيات وادخال الجنة فى معنى الاثابة وقوله تعالى **من عند الله** متعلق
بمحذوف وهو صفة له مبينة لشرفه اى لاثيبنهم اثابة كاينة او تثويبا كاينا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية
من الشرف وقوله تعالى **والله عنده حسن الثواب** اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدا خبره عنده
وحسن الثواب يرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتداء او هو مبتدا ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتداء
الاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شى
يكون بحضرة احد لا يد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب او لا
وفى تصدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذى لا يغادر قدره من لطف المسلك المنبى
عن عظم شان المحسن ما لا يخفى **لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد** بيان لقبح ما اوتى الكفرة من حظوظ الدنيا
وكشف عن حقارة شانها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتى المؤمنون من الثواب والخطاب للنبى صلى الله عليه
وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهى المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارة
القوم ورؤساهم والمراد افناؤهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهى للمخاطب وانما جعل للتقلب مبالغة
اى لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط فى المكاسب والمتاجر
والمزارع روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى
من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرى لا يغرنك بالنون الخفيفة **متاع قليل** خبر لمبتداء محذوف اى
هو متاع قليل لا قدر له فى جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه الصلوة والسلام ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع فاذن لا يجدى وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه لفاقديه **ثم مأويهم** اى مصيرهم الذى
يأوون اليه لا يبرحونه **جهنم** التى لا يوصف عذابها وقوله تعالى **وبئس المهاد** ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما
جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اى بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم **لكن الذين اتقوا ربهم لهم**
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين عقب بيان وبال الكفرة وتكرير له اثر تقرير مع زيادة خلودهم فى
الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تبجحهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى فى حيز الصلة للاشعار بكون
الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصى فالموصول مبتداء والظرف خبره وجنات يرتفع
به على الفاعلية لاعتماده على المبتداء او الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اى فى الجنات حال مقدرة
من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما فى الظرف من معنى الاستقرار **نزلا من عند الله** وقرى بسكون الزاء
وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما فى الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر موكد كانه قيل نزولا
اى عطاء من عند الله تعالى **وما عند الله خير** مبتدا وخبر وقوله تعالى **للابرار** متعلق بمحذوف وهو صفة لخير اى ما عنده
تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اى مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار

للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستانفة
سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب
جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من الروم
كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي عليهما السلام فقال عليه السلام
اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه و
استغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء
على اسم ان لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من كتابيهم
وتاخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم
بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن و
لتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة
خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة
حال كما قبله وتوسطها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد
نبوته صلى الله عليه وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عدد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد
للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدا خبره قوله تعالى لهم وقوله اجرهم اي المختص بهم
الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية
او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف
كالصفة ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تامل
والمراد بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم
والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدائد وصابروا
اي غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعداءكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد
الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين
له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل
الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق
فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين
بكل مطلوب الناجين عن كل الكروب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على
جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملائكة حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية مائة وست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك
الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف
الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخيرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع
منعقد على ان آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيمة
والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب
لاختصاص الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عداهما مما له دخل في تاكيد التكليف
وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل
اتقوا ربكم فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى
لما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده و
المامور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يوثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء
الجنس اي اتقوه تعالى في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا وايا ما كان فالتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به على طريقة
الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط
البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها

من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من
ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب
في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاصه فيما قبل بالمامورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل
من موكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمامورين
من نفس آدم عليه السلام حيث كان بوساطة ما بينه وبينهم عليه السلام من الآباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا
للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد
نطق بذلك قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه
سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها
اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استيناف مسوق لتقرير وحدة المبدا وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا
او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله
على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الخ لاظهار ما بين الخلقين
من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم
عليه السلام روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق
حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتاخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل
في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان
مبدائيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل
وبث منهما اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد
لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء
اي كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتاكيد الكثرة والمبالغة فيهما بترشيح
كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدائية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدا اي وهو خالق وباث واتقوا الله الذي
تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا
اسالك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم
الجليل لمزيد التاكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال لتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه
تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التاءين تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما
في الهمس وقرئ تساءلون من الثلاثي اي تسالون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل
على اعتبار الجمع كما في قولك رايت الهلال وتراءيناه وبه فسر عم يتساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى
السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة يسالون به وبالارحام
فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسالك بالله عز وجل ويقولون اسالك بالله و
بالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها ولا تقطعوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو
قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الاغراء اي والزموا الارحام
وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى
او يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى الا تعبدوا الا
اياه وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه
ان الله كان عليكم رقيبا اي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه
اي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك
وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وآتوا
اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه وتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة
بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء
وقلما يفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما
لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى
على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما قوله عليه
السلام لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم
قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى

تاتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ و
ايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الاية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون
مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم
من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الاية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى
عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة موجب
عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع عن الكبار فمستفاد مما سياتي من الامر
به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب
عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء
بمعنى الاعطاء بالفعل ويأباهما ما سياتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه
التكليف الابتدائي لا على تحقيق وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار
مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا وللايتاء مالا وتعميم الخطاب لاولياء كلا الفريقين على ان من
بلغ منهم فوليه مامور بالدفع اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مامور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما فيه من
تكلف لا يخفى فالانسب ما تقدم من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به
التعبير عن الاعطاء بالفعل بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر انفا واما ما
روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال
اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل
الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول يستعملان ابدا
بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان الخ وقوله تعالى اتستبدلون
الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الخ واخرى
بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه
بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال
مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتاكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي
عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه واياما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما
اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي بالجيد
ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردي من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري
والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبديل الخبيث
بالطيب مع انها تبديله به او تبدل الطيب بالخبيث فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا في المعاوضات عاملين
لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب اليه مشتري كان او ثمنا لا لسلب المسلوب عنه **ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم** نهي عن منكر اخر كانوا يتعاطونه اي لا تاكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذلك
حرام وقد رخص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا **انه** اي الاكل المفهوم من النهي **كان حوبا** اي ذنبا
عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقيل مصدر كالقال **كبيرا** مبالغة في بيان عظم ذنب
الاكل المذكور كانه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى** الاقساط العدل
وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط
قد يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر بذلك ايذانا بكون
المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن
الامر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر اخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة
وباموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق باموالهم خاصة وتاخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله
منه منزلة المركب من المفرد وذلك انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا رغبة فيهن بل
في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون
في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال
الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها واما ما
اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما اطلق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون

وليها

وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا بأس بعدم الامر بنكاح غيرهن فان الجزور بتقليل
عددهن اي وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق **فانكحوا ما طاب لكم**
ما موصولة او موصوفة ما بعدها صلتها او صفتها واوثرت على من ذهابا الى الوصف وايذانا بانه المقصود بالذات والغالب
في الاعتبار لا بناء على ان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن ابي عبلة
من طاب ومن في قوله تعالى **من النساء** بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من
استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف
في استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه
فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي
الضمني الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا
يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع
تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحل اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص له بمن
عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو افظع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال
والتخصيص يحمل على الثاني لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا
لئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الخ دالا على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليجعل دالا على التخصيص
مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها
وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع
ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افادها وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن
بتوسيع دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما
تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها لبعض منهم وبعضها
لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم منه
تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير
الاية الكريمة لما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا
من لحوق الحوب بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم
عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا
عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون
من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء
ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الاية الاولى وشيوعها
بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا **فان
خفتم ان لا تعدلوا** اي فيما بينهن ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لم تعدلوا في حقهن او كما لم تعدلوا
فيما فوق هذه الاعداد **فواحدة** اي فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او
فحسبكم واحدة **او ما ملكت ايمانكم** اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان
اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين
بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف ما سياتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات فمما
ملكت ايمانكم فان المامور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة
وبين السراري من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ او من ملكت
ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء **ذلك** اشارة الى اختيار الواحدة والتسري
ادنى ان لا تعولوا العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال في الحكم اي جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل
للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا
بانتفاء محله في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل
والخطر ومن ههنا تبين ان مدار الامر هو عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال
الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير
رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستانفة جارية مما قبلها مجرى التعليل **وآتوا النساء** اي اللاتي امر بنكاحهن **صدقاتهن**

قاله الامام الواحدي

جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة **نحلة** قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد رضي الله عنهم فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه الله تعالى في النحلة اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اي اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابه على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه **فان طبن لكم عن شيء منه** الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة انه حين قيل له في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول كانها وان اردت السواد والبلق ان تقول كانهما قال لكني اردت كان ذاك او للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كانه قيل وآتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل ان اصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء او كائن من الصداق وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب **نفسا** تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اي ان وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة **فكلوه** اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية **هنيئا مريئا** صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء الذي يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمي بذلك لمروء الطعام فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او على انهما حال من الضمير المنصوب اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم** رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لا نظرا الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكان اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل التي جعل الله لكم قياما اي جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيف الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش ويميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هي متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء او مصدر قاوم وقرئ بفتحها **وارزقوهم فيها واكسوهم** اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من نسائه واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم **وقولوا لهم قولا**

معروفا اي كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر **وابتلوا اليتامى** شروع في تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء اي واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم **حتى اذا بلغوا النكاح** بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح **فان آنستم** اي شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما في قول من قال خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس **منهم رشدا** اي اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وللاعتداد بمبدئيته له والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير تاخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هي التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشدا او لم يؤنس **ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا** اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع وتقرير لها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى **ومن كان غنيا فليستعفف** الخ اي من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه من اكلها وليقنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله **ومن كان** من الاولياء والاوصياء **فقيرا فليأكل بالمعروف** بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له عليه السلام ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد ابن كعب يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة **فاذا دفعتم اليهم اموالهم** بعدما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به **فاشهدوا عليهم** بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله تعالى **وكفى بالله حسيبا** اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون** شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقه بنصيب وللنساء نصيب **وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون** ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء الخ للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى التفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا
من مال اوس شيا حتى بين فنزل يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى لابنى العم وهو
دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه او كثر نصيبا بدل من ما الاخير باعادة الجار واليها
يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد فى الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفايدته دفع توهم اختصاص
بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل والآت الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق مفروضا
نصب على انه مصدر موكد كقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت
لهم نصيب كاين مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اى اعنى نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا
لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اى قسمة التركة وانما قدم مع كونها
مفعولا لانها المبحوث عنها ولان فى الفاعل تعددا فلو روعى الترتيب يفوت تجاوب اطراف الكلام اولوا القربى ممن
لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اى اعطوهم شيا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل
الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوايف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب
ثم اختلف فى نسخه وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا
عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه فى امر
اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء
بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف المال
عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم
بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا فى الوصية ولو بما فى
حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم
الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب
لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرى ضعفا وضعافى وضعافى فليتقوا الله فى ذلك والفاء لترتيب ما
بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبداء والمنتهى
اذ لا نفع للاول بدون الثانى ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او
للمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عذرا
ووعدا حسنا او يقولوا فى الوصية ما لا يودى الى تجاوز الثلث وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اى
على وجه الظلم او ظالمين استيناف جى به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهى انما ياكلون فى بطونهم نارا اى
ملاء بطونهم نارا اى ما يجر الى النار ويودى اليها وعن ابى بردة انه قال صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما
من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال الخ
وسيصلون سعيرا اى سيدخلون نارا هايلة مبهمة الوصف وقرى بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول
من سعرت النار اذا الهبتها روى ان اكل مال اليتيم يبعث يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه
واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم فى الدنيا وروى انه لما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على
الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الاية يوصيكم
الله شروع فى تفصيل احكام المواريث المجملة فى قوله عز وجل للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلثة قسم لا يسقط
بحال وهم الاباء والاولاد والازواج فهولاء قسمان والثالث الكلالة اى يامركم ويعهد اليكم فى اولادكم اى فى اولاد
كل واحد منكم اى فى شان ميراثهم بدئ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ
الانثيين جملة مستانفة جى بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم
ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما راه الفراء فانه يجرى ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه فى حكاية الجملة بعده
ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الاية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عايد
الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى للذكر منهم وقيل الالف واللام قايم مقامه
والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف اى للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر
لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط فى تضعيف حظه وايثار اسمى الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء
للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين فى الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر فى ذلك اصلا كما هو
زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اى الاولاد والتانيث باعتبار الخبر وقوله تعالى

نساء اى خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اى نساء زايدات على اثنتين فلهن ثلثا ما
ترك اى المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت اى المولودة واحدة اى امراة واحدة ليس معها اخ ولا اخت
وعدم التعرض للموصوف لظهور ما سبق فلها النصف مما ترك وقرى واحدة على كان التامة واختلف فى البنتين
فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما
فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان
ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويويد ذلك ان البنت
الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها فى الاستحقاق فلان يستحقه مع مثلها اولى واحرى وان
البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما ترك ولابويه
اى لابوى الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير
العامل وسط بين المبتداء الذى هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذى هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا
على استحقاق كل منهما السدس وتاكيدا له بالتفصيل بعد الاجمال وقرى السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك
الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر فى الخبر
اى كاينا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب فى صورة
الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقى من ذوى الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن
وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقى للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار
الوارث فى ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة
الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها اخصر واستحقاقه اتم واوفر ولان استحقاقه بطريق
العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقى بعد فرض
احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما فانه يفضى الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها فى
الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع
الشرع فان كان له اخوة اى عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما
وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه السدس واما السدس
الذى حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه
لهم على كل حال خلا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث وبالاخوات الخلص وقرى فلامه بكسر الهمزة
اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتداء محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اى هذه الانصبا
للورثة من بعد اخراج وصية يوصى بها اى الميت وقرى مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا و
فايدة الوصف الترغيب فى الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من
الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار فى الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة
على تساويهما فى الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها
عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط فى ادائها ولاطرادها بخلاف الدين اباؤكم
وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة فاباؤكم مبتداء وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم
مبتداء واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة فى
حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية موكدة لوجوب تنفيذ الوصية اى اصولكم وفروعكم الذين
يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصى ببعض ماله فيعرضكم لثواب الاخرة بتنفيذ وصيته ام من لا
يوصى بشئ فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفى الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية
كل من الاول والثانى فى حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الاخر كما فى قوله صلى الله عليه وسلم
مثل امتى مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب فى تنفيذ
الوصية بل تحقيق انفعية الاول فى ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثانى مبنيا على عدم الدراية
وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشاء خطيهم و
مبالغة فى الترغيب المذكور بتصوير الثواب الاجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر
كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثانى مع ان الامر بخلافه
فان ثواب الاخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب و
احضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنايه ابعد واقصى وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن

يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا وآجلا فتحروا فى شانهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان
بعض روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر فى الجنة سال ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته
قيل فالجملة الاعتراضية ح موكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار الارث ماذكر من اقربية النفع مع ان
العلاقة النسبية فريضة من الله نصب نصب مصدر موكد لفعل محذوف اى فرض الله ذلك فرضا او لقوله
تعالى يوصيكم الله فانه فى معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اى بالمصالح والرتب حكيما فى كل ما قضى
وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع فى بيان احكام القسم
الثانى من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اى ولد وارث من بطنها
او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم
او من غيركم والباقى لورثتهن من ذوى الفروض والعصبات او غيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا
فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه
مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقى لباقى الورثة من بعد وصية متعلق
بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين بها فى محل الجر على انه صفة لوصية وفايدتها ما مر من ترغيب الميت
فى الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار
او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما فى الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا
لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقى
لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوى الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا
فان كان لكم ولد على النحو الذى فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقى للباقين من بعد وصية توصون بها او دين
الكلام فيه كما فصل فى نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمراة كما فى النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر
ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا فى الجهة والقرب ولا يستثنى منه
الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن وان كان رجل شروع
فى بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تاخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت و
قوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لا من اورث خبر كان اى يورث منه كلالة الكلالة فى الاصل
مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها
بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى
ذى كلالة كما تطلق القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على انها مفعول
له اى يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اى حال كونه ذا كلالة او على انها خبر
لكان ويورث صفة لرجل اى ان كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء
للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اى يورث
وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انه مفعول به اى يورث ذا كلالة واما على انها مفعول له اى يورث
لاجل الكلالة او امراة عطف على رجل مقيد بما قيد به اى امراة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن
ذكره للايذان بشرفه واصالته فى الاحكام وله اى للرجل ففيه تاكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض
لها بعد جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اى من الام فحسب وقد قرئ كذلك
فان احكام بنى الاعيان والعلات هى التى ذكرت فى آخر السورة الكريمة والجملة فى محل النصب على انها حال من
ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان
الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه فى صورة وجود الام او الجدة مع
ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل
للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اى اكثر من الاخ او الاخت المنفردين
بواحد او باكثر والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد فهم شركاء فى الثلث
يقتسمونه بالسوية والباقى لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز ان يكون يورث
فى القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل
الكلالة او ذا كلالة اى غير والد او ولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه
او اخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك اى من الاثنين بان كانوا ثلثة او اكثر فهم شركاء فى الثلث الموزع
للاثنين لا يزاد عليه شئ فبمعزل من السداد اما اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث

وبين شريكه فى الارث من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التى عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير
المسئلة وانما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهى عامة لجميع صور القرابات التى لا تكون بالولاد فلا يكون نصيبه
ولا نصيب شريكه ماذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة ههنا
اولاد الام فقد اعترف ببطلان رايه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة قوله
تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والآية الآتية فى آخر السورة الكريمة
ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما
بحث عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والا لاقتصر البيان على
حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك
فى قوة الاجماع على ان يورث من ورث لا من اورث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضى ان يكون المعتبر فى استحقاق
الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير
الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى ح غير مبين وليس من ضرورة
كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند
الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد
الكل فى الادلاء الى المورث مما لا عهد به من بعد وصية يوصى بها او دين الكلام فيه كالذى مر فى نظايره خلا
ان الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور
على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار فى المرض كانه قيل او دين يوصى به غير
مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال فى قوله عز وجل
يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المبنى للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور ومن فاعل الفعل
المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل اى يوصى بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار
للورثة بان يوصى بما زاد على الثلث او يكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر فى المرض بدين
كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت فى حقهم وصية من الله مصدر
موكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له موكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية
اى يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر فى تخصيص كل منهما
بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت
حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول
به فانه اسم فاعل معتمد على ذى الحال او منفى معنى فيعمل فى المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة
اى غير مضار لوصية الله وعهده لا فى شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل فى شان الورثة
المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه
ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون
القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما فى قول يا سارق الليلة
اهل الدار للمبالغة فى الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن
الوصية بالثلث فما دونه يقتضى ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يودى
الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبى هو المعطوف على وصية مع انه لا يحسم به مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين
على اطلاقه والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بالامهال وايراد الاسم الجليل
مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى شئون اليتامى والمواريث
وغير ذلك حدود الله اى شرايعه المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله فى جميع الاوامر و
النواهى التى من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا يدخله جنات نصب على الظرفية عند الجمهور
وعلى المفعولية عند الاخفش تجرى من تحتها الانهار صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها خالدين فيها حال
مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعيته من حيث المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده
لفظا وذلك اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان
بكمال علو درجته الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظيم اما باعتبار متعلقه
او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله ورسوله ولو فى بعض الاوامر والنواهى
قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال

الله وقال الكلبى يعنى ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا والاظهار فى موقع الاضمار للمبالغة فى
الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة ويتعد حدوده شرائعه المحدودة فى جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه
دخولا اوليا يدخله وقرئ بنون العظمة فى الموضعين نارا اى عظيمة هائلة لا يقادر قدرها خالدا فيها
حال كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود
فى دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود فى دار العذاب بصفة الانفراد اشد فى استجلاب الوحشة
وله عذاب مهين اى وله مع عذاب الحريق الجسمانى عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحانى كما يؤذن
به وصفه والجملة حالية واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم شروع فى بيان بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء
اثر بيان احكام المواريث واللاتى جمع التى بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة
القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اى فعلها وباشرها وكذا جاءها
ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين
اى اللاتى يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اى من ازواجكم كما فى قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم
وقوله تعالى من نسائكم اللاتى دخلتم بهن وبه قال السدى فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول
والفاء للدلالة على سببية ما فى حيز الصلة للحكم اى فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين
واحرارهم فان شهدوا عليهن بذلك فامسكوهن فى البيوت اى فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن
حتى يتوفاهن الموت الى ان يستوفى ارواحهن الموت وفيه تهويل للموت وابرازله فى صورة من يتولى قبض الارواح
وتوفيها اى يتوفاهن ملائكة الموت او يجعل الله لهن سبيلا اى يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه
بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم واللذان
يأتيانها منكم هما الزانى والزانية بطريق التغليب قال السدى اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما
اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم الزانى المحصن منهما لاختصاص العقوبة الاولى
بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه باحد الحكمين دلالة لخفاء الشركة فى المناط فآذوهما اى بالتوبيخ والتقريع
وقيل بالضرب بالنعال ايضا وظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا
على ما ذكر آنفا فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه
الفاء واصلحا اى اعمالهما فاعرضوا عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق
الذم والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما
بالزجر على الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين فى اوائل
الاسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خذوا عنى خذوا عنى قد
جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة
مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد
لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن فى البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى
عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه مما لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم
وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين وما فى سورة النور فى الزناة والزوانى
متمسكا بان المذكور فى الاولى صيغة الاناث خاصة وفى الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب
على انه لا امكان له فى الاولى ويأباه الامر باستشهاد الاربعة فانه غير معهود فى الشرع فيما عدا الزنا ان الله
كان توابا مبالغا فى قبول التوبة رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض انما التوبة على الله استئناف
مسوق لبيان ان قبول التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما
بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى للذين يعملون السوء خبره وقوله
تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوى مما لا نزاع
فى جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر على راى من جوز تقديم
الحال على عاملها المعنوى عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق فى تفسير قوله تعالى ولله على الناس حج البيت
واياما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم
جرى العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هى
بمعنى عند وعن الحسن يعنى التوبة التى يقبلها الله تعالى وقيل اى التوبة التى اوجب الله تعالى على نفسه بفضله
قبولها وهذا يشير الى ان قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلقه معرفة على راى من جوز حذف الموصول

مع بعض صلته اى انما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله و
قوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن فى متعلق الخبر وليس فيه ما فى
الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوى الا ان الذى تقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول
لما ان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضى بيان اختصاص التوبة منه تعالى للمذكورين و
ذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبرا الا يرى الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات
الخ فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون
اى يعملون السوء ملتبسين بها اى جاهلين سفهاء او يعملون على ان الباء سببية اى يعملونه بسبب الجهالة لان
ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم لكونه سوء بل عدم التفكر فى العاقبة كما يفعله
الجاهل قال قتادة اجتمع اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فراوا ان كل شيء عصى به ربه فهو جهالة عمدا كان او
خطاء وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعنى بقوله بجهالة اختيارهم
اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اى من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه
ما سيأتى من قوله تعالى حتى اذا حضر الخ فانه صريح فى ان وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا يقبل فيه التوبة
فبقى ما وراءه فى حيز القبول وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك
كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم النخعى ما لم يوخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبى
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن
ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه فى جسده فقال تعالى وعزتى لا
اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اى يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية
وبين حضور الموت زمانا قريبا ففى اى جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب فاولئك اشارة الى المذكورين
من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم فى حكم البعيد والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من
تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد لقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول
وكان الله عليما حكيما مبالغا فى العلم والحكمة فيبنى احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض
مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ الاتصاف
تعالى بصفات الكمال وليست التوبة للذين يعملون السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة
تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها فى الزمان المديد لا لان المراد
بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان حتى حرف ابتداء والجملة التى
بعدها غاية لما قبلها اى ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ انى تبت وذكر الآن لمزيد
تعيين الوقت وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشى عن تسميته توبة ولا الذين يموتون
وهم كفار عطف على الموصول الذى قبله اى ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم
راسا مبالغة فى بيان عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل فى تكرير حرف النفى فى المعطوف
اشعار خفى بكون حال المسوفين فى عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصول
اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم فى الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما فى قوله تعالى ومن كفر فان الله
غنى عن العالمين واما من يعم الفريقين جميعا فالتسمية للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثانى الكفرة
ففيه مبالغة اخرى اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بترامى حالهم فى الفظاعة و
بعد منزلتهم فى السوء وهو مبتدأ خبره اعتدنا لهم اى هيأنا لهم عذابا اليما تكرير الاسناد لما مر من تقوية
الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه
للتفخيم الذاتى والوصفى يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات قريبه يلقى ثوبه
على امرأته او على خبائها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها
بلا صداق غير الصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها
لتفتدى بما ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهى احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل
لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه و
قيل كانوا يمسكوهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم وقرئ لا تحل بالتاء
الفوقانية على ان ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف والضعف وكان الرجل اذا تزوج

امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن
عطفا على ترثوا ولا لتاكيد النفى والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنق
بولدها فخرج بعضه وبقى بعضه اى ولا ان تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن اى من الصداق بان يدفعن
اليكم بعضه اضطرارا وتاخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا
وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة فى تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور
شنيع الاخذ والاذهاب منهن لانه عبارة عن الذهاب مصطحبا به الا ان ياتين بفاحشة مبينة على صيغة الفاعل من
بين بمعنى تبين وقرى على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبين اى بينة القبح من النشوز وشكاسة
الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابى الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنى
وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اى ولا يحل لكم عضلهن فى حال من الاحوال او فى وقت
من الاوقات او لعلة من العلل الا فى حال اتيانهن بفاحشة او الا فى وقت اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان
السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون فى طلب الخلع وعاشروهن بالمعروف خطاب للذين يسيئون العشرة معهن
والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروة والمراد ههنا النصفة فى المبيت والنفقة والاجمال فى المقال ونحو ذلك فان
كرهتموهن وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا
تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت
مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه
خيرا كثيرا اى ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اى فقد قربت كراهتكم
شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح فى الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب
ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه
وانحصار العلية فى الثانى للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى اى ليس مخصوصا
بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وانما نحن فيه مادة من موادها
وفيه من المبالغة فى الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرى ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف
والجملة حالية تقديره وهو اى ذلك الشئ يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل تقديره والله يجعل الله بوضع
المظهر موضع المضمر وتنوين خيرا للتفخيم الذاتى ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به ههنا
الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة وان اردتم استبدال زوج اى تزوج امراة ترغبون فيها مكان زوج ترغبون
عنها بان تطلقوها وآتيتم احداهن اى احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار
قد لا معطوفة على الشرط اى وقد آتيتم التى تريدون ان تطلقوها قنطارا اى مالا كثيرا فلا تاخذوا منه
اى من ذلك القنطار شيئا يسيرا فضلا عن الكثير اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استيناف مسوق لتقرير النهى و
التنفير عن المنهى عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اى اتاخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان احدهم
كان اذا تزوج امراة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة
فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك
فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل وكيف تاخذونه انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه عقب تنفير وقد بولغ فيه
حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت
الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال واذا لم يكن لشئ حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله
عز وجل وقد افضى بعضكم الى بعض حال من فاعل تاخذونه مفيدة لتاكيد النكير وتقرير الاستبعاد اى على اى حال
او فى اى حال تاخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت
حق خدمتهن لكم وغير ذلك واخذن منكم ميثاقا غليظا عطف على ما قبله داخل فى حكمه اى اخذن منكم عهدا
وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة وما اوثق الله تعالى عليهم فى شانهن بقوله تعالى فامساك بمعروف
او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة
الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم شروع فى بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهى
ولم ينظم فى سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة فى الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه وعن ابن عباس
رضى الله عنهما وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج ابائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم
الاجداد مجازا فثبتت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستقل فى اثبات هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان صحيحا
واما اذا كان فاسدا فلا بد فى اثباتها من الوطئ او ما يجرى مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت
لها فى الحقيقة حتى لو وقع شئ من ذلك بحكم ملك اليمين او بالوجه المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعى فى المحرم
اى لا تنكحوا التى نكحها اباؤكم وايثار ما على من للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء
بيان لما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء مما نكح مفيد للمبالغة فى التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على
طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل ابائكم الا من ماتت منهن
والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهى
ويستوجبه مباشرة المنهى عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى فانه
معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر وبابهما قوله تعالى انه كان
فاحشة ومقتا فانه تعليل للنهى وبيان لكون المنهى عنه فى غاية القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم يزل فى حكم الله تعالى
وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلائم ان يوسط بينهما ما يهون امره من ترك المؤاخذة على
ما سلف منه وساء سبيلا فى كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس فى الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره
ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب اى ذلك
الماء وثانيهما انها كسائر الافعال ففيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل
لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف فى الحقيقة تقديره ومقولا فى حقه ساء سبيلا
فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك فى الاعصار والامصار قيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلى والقبح الشرعى
والقبح العادى وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك وقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلى وقوله تعالى
ومقتا مرتبة قبحه الشرعى وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادى وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى
مراتب القبح حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم
ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاع محليتهن له راسا
واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين فى المواد التى يتصور فيها قرار الملك كما فى بعض المعطوفات على تقرير رقهن فثابتة
بدلالة النص لاتحاد المدار الذى هو عدم محلية ابضاعهن للملك لا بعبارته بشهادة سباق النظم الكريم وسياقه وانما
لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا ولا حرمة سببه الذى هو العقد او ما يجرى مجراه كما اوجب
حرمة عقد النكاح وامتناع وروده عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذى هو مورد ملك النكاح حتى يفوت
بفوات المحلية له كملك النكاح فان حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة
فى كل رقيق فيتحقق بتحقق محله حتما ثم يزول بوقوع العتق فى المواد التى بسبب حرمتها محض القرابة النسبية
كالمذكورات ويبقى فى البواقى على حاله مستتبعا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا واما حل الوطئ فليس من
تلك الاحكام فلا ضير فى تخلفه عنه كما فى المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن
وان سفلن والاخوات ينتظمن الاخوات من الجهات الثلث وكذا البواقى والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك
والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى و
امهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما
للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير مرضعة
قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل ولد لها من هذا الزوج فهم
اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم
من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلى جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام
عمه وام خاله لاب فليس حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة حلهن فى صور الرضاع بل من جهة
المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده
الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد وامهات نسائكم شروع فى بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان
المحرمات من جهة الرضاعة التى لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا
بهن او لا وعليه جمهور العلماء وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل
ان يدخل بها انه لا باس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن حصين رضى الله عنهما
ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هى مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما
ابهموا ما ابهم الله خلا انه روى عنه وعن على وزيد وابن عمر وابن الزبير رضى الله عنهم انهم قرءوا ولامهات
نسائكم اللاتى دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها
كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت فى ذلك مقام الدخول كما قام مقامه

في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن وامهات
نعم المرضعات كما نعم الجدات حسبما ذكر وربائبكم اللاتي في حجوركم الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء
للنقل الى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا
وهو المعنى بكونهن في الحجور فان شأنهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن
كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون
بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي
الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم
بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا بخلاف ما في قوله تعالى
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانه لتقييدها به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من
ضميرها المستكن في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ
ولا مساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين الاستغناء به ولا مع ما ذكر اولا ضرورة ان حاليته
من ربائبكم او من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات او نسائكم تستدعي كونها بيانية
وادعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة للنساءين مع اختلاف عامليهما
مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه سعي في اسكات ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور
حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمول على النسخ ومعنى الدخول بهن
ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره
كما مر فان لم تكونوا دخلتم بهن اي قبل دخلتم بهن اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهو تصريح بما اشعر به ما قبله
والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم
سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن
يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد
والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفا على ما قبله من
المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما
في المدار ولقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك
اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى الوطء ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى
لو وطئهما لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه وطء الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته
الموطوءة لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما وطأ واسناد الحرمة
الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة
وكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المراة وعمتها ونظائرها
فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل اولى
فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها
ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب الا ما قد سلف
استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل الى جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما مر
فيما سلف لان قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء و
السدي معناه الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه قد جمع بين ليا ام يهوذا وبين راحيل ام يوسف عليه
السلام ولا يساعده التعليل لما ان ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى الا امراة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام
ابن عبيد الله عن محمد بن الحسن رضي الله عنه انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح
امراة الاب والجمع بين الاختين الا يرى انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير
الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد ويأباه اختلاف التعليلين والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن
التزوج او الازواج او الاولياء اي اعففهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن
فروجهن عن غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول
على الشذوذ كما في نظيريه ملقح ومسهب من الفح واسهب قيل قد ورد الاحصان في القراءة بازاء اربعة
معان الاول التزوج كما في هذه الآية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث

الحرية

الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره
اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات
من النساء وفائدته تاكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم الا ما ملكت ايمانكم
استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي مملوكاتكم واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة
الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقاء لا سيما في اناثهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح
الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب
عموم صلتها فالاستثناء ح ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم
لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي مملوكاتكم فان منهن ليس من المحرمات
على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرأيين واما
خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما
حلهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان
حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص و
ذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما عدهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا
بالتباين او بالسبي على اختلاف الرأيين فمبني على اعتقاد الناس حيث كانوا غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روي عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله
عليه وسلم وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من
النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا
توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة
ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها اياه بوجه من وجوه الدلالات لا على افادتها بطريق العبارة
او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين فنهي عن نكاحهن فالمحصنات عبارة
عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي لتحريم المحقق
وتعرف حال المتوقع والا فما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة
بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدين فلأن ينقطع ما بين المهاجرة وزوجها احق واولى كما يفصح عنه قوله عز
وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية كتاب الله مصدر
مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله
وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة
المذكور عليه او بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اني رأيت
الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم
عطف على حرمت عليكم الخ وتوسط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة
وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان
مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعد ما
اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل
لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض
للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن
لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة
كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المراة
وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد
ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة
ونكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق
الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق
هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا به ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن
لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان

تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اى تبتغوا النساء او متروك اى تفعلوا الابتغاء باموالكم بصرفها الى مهورهن
او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة و
تحصين النفس عن الوقوع فى ما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال ثانية منه او حال من الضمير فى
محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذى هو صب المنى سمى به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين
محذوف اى محصنين فروجكم عنه مسافحين الزوانى وهى فى الحقيقة حال موكدة لان المحصن غير مسافح البتة
وما فى قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين
فهى اما شرطية بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها واياما كان فهى مبتدا خبرها على تقدير كونها
شرطية اما فعل الشرط وجوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى فآتوهن اجورهن
والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعايد الى المبتدا هو الضمير المنصوب
فى فآتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور
فى به والمعنى فاى فرد استمتعتم به او فالفرد الذى استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فآتوهن
اجورهن وقد روعى تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير
كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعايد الى المبتدا محذوف والمعنى اى فعل
استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذى استمتعتم به من قبلهن من الافعال
المذكورة فآتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن فريضة حال من
الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر موكد اى فرض ذلك فريضة
اى لهن عليكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اى لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر والابراء منه على
طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله الا ان
يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل
الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة
ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون
الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت فى المتعة التى هى النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان
الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمراة واستمتاعها بما يعطى وقد ابيحت ثلثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى
ثم نسخت لما روى انه صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من
هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروى عن ابن عباس رضى
الله عنهما انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم انى اتوب اليك من قولى بالمتعة وقولى فى الصرف
ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللايقة بحالكم
ومن لم يستطع منكم من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل يستطع اى حال كونه منكم وقوله تعالى طولا اى غنى وسعة واعتلاء ونيلا واصله
الزيادة والفضل مفعول ليستطع وقوله عز وجل ان ينكح المحصنات المؤمنات اما مفعول صريح لطولا فان اعمال
المصدر المنون شايع ذايع كما فى قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع
منكم ان ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اى ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار فى محل
النصب صفة لطولا اى طولا موصلا اليه او كاينا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة فى القاموس الطول
والطايل والطايلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء و جر
عند الكسائى والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطع وطولا
مصدر موكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول او تمييز اى ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة
من جهة الطول والغنى اى لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام
والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال و
غيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا فمما ملكت ايمانكم اما جواب للشرط او خبر للموصول والفاء
لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة اى فلينكح امراة او امة من النوع
الذى ملكته ايمانكم وهو فى الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اى
فلينكح امراة كاينة من ذلك النوع وقيل من زايدة والموصول مفعول للفعل المقدر اى فلينكح ما ملكته ايمانكم
وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات فى محل النصب على الحالية من الضمير المقدر فى ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول

للفعل

للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض
اى فلينكح فتياتكم كاينات بعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر
ومما ملكت على ما تقدم آنفا ومن فتياتكم حال من العايد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة
للمستطيع كما ذهب اليه الشافعى رحمه الله وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو راى اهل الحجاز وقد جوزهما
ابو حنيفة رحمه الله متمسكا بالعمومات فحمل الشرط والوصف هو الافضلية ولا نزاع فيها لاحد وقد روى عن ابن
عباس رضى الله عنهما انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله
تعالى والله اعلم بايمانكم جملة معترضة جىء بها لتانيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه
ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز قائلا
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه
تعالى اعلم منكم بمراتبكم فى الايمان الذى به ينتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح فى المعاش والمعاد ولا
تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحراير وقوله تعالى بعضكم من بعض ان اريد بالاتصال
من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم فى ذلك وان اريد به الاتصال من حيث
النسب فهو اعتراض آخر موكد للتانيس من جهة اخرى والخطاب فى الموضعين اما لمن كما فى الخطاب الذى يعقبه
قد روعى فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتانيس واما لغيرهم من
المسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا واياما كان فاعادة الامر بالنكاح على وجه
الخطاب فى قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب فى نكاحهن
وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله اى واذ وقفتم على جلية
الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفى اشتراط اذن الموالى دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز
مباشرتهن له وآتوهن اجورهن اى مهورهن بالمعروف متعلق بآتوهن اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل و
اضرار والجاء الى الاقتضاء واللزحسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن الموالى
فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل اصله آتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل
الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن عفايف عن الزناء غير مسافحات
حال موكدة اى غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات ولا لتاكيد ما فى غير من معنى النفى والخدن
الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على
معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اى غير مجاهرات بالزناء ولا مسرات له و
كان الزنا فى الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن اى بالتزويج وقرى على البناء للفاعل اى حصن
فروجهن وازواجهن فان اتين بفاحشة اى فعلن فاحشة وهى الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما
على المحصنات اى الحراير الابكار من العذاب من الحد الذى هو جلد ماية فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان
فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحراير فالفاء فى فان اتين جواب اذا والثانية جواب
ان فالشرط الثانى مع جوابه مترتب على وجود الاول كما فى قولك اذا اتيتنى فان لم اكرمك فعبدى حر ذلك
اى نكاح الاماء لمن خشى العنت منكم اى لمن خاف وقوعه فى الاثم الذى يودى اليه غلبة الشهوة واصل العنت
انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعترى الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة
المآثم بارتكاب افحش القبايح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد فالاول هو اللايق بحال
المؤمن دون الثانى لايهامه ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اى على نكاحهن متعففين كافين
انفسكم عما تشتهيه من المعاصى خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد
للرق قال عمر رضى الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا
الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحراير ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد
فى السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادى وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة
مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هى اللايقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها
فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحراير صلاح البيت والاماء هلاك
البيت والله غفور مبالغ فى المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما فى ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين
رحيم مبالغ فى الرحمة ولذلك رخص لكم فى نكاحهن يريد الله ليبين لكم استيناف مسوق لتقرير ما سبق من
الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين

لكم فزيدت اللام لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل
اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل
لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار
ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد يقام مقام ان في فعل الارادة والامر فيقال اردت
لان اذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون
ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم وفي آخر وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل
وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان اي
امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذي قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتدا
ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع به ويعزى هذا الراي الى بعض البصريين
ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم اذا تبتم اليه تعالى عما
يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتموه من الشرائع فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعي
تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة
لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة
حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها ما شرع لكم من الاحكام حكيم
مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتداة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده
الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير
ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى ويريد الذين
يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما في قوله تعالى الله ولي الذين
آمنوا الاية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون
غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات
الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة
عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال
المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما اي بالنسبة
الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص وما في عهدتكم من مشاق
التكاليف والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقا[بلة]
دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رضي الله
عنه ان المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف
بالرخصة في نكاح الاماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وانما يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة
وقيل المراد به ضعفه في امر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم
قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف
علي فتنة النساء وقرئ وخلق الانسان على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضي
الله عنه ثماني آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله
يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وآمنتم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال
والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد
بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربوا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اي لا ياكل
بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع
صفة لتجارة اي الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم
يوما الخ او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض
اي وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها و
اغلبها وقوعا وارفقها لذوي المروات والمراد بالتراضي مرضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب
والقبول عندنا وعند الشافعي رحمه الله حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اي من كان من جنسكم من

المؤمنين فانهم كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رحمه الله لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في
الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه
فانه القتل الحقيقي كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم
بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة ويؤيده ما روي
عن عمرو بن العاص انه تاوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير
وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها
واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق الاستئناف
اي مبالغا في الرحمة والرافة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي وللذين هم في معرض
التعرض لهم بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون
توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة او بما قبله من
اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهما في الفساد عدوانا وظلما اي افراطا في التجاوز عن الحد
واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما
النصب على الحالية او على العلية اي متعديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه
جواب للشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء
والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي نارا اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب وكان ذلك
اي اصلاؤه النار على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة
وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا
وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على طريق الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه
تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم سيئاتكم صغائركم ونمحها عنكم قال
المفسرون الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب
الكبائر واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما
علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرمها الله وقذف المحصنة
واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله تعالى عنه التعرب بعد الهجرة
مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رجلا
قال له الكبائر سبع قال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وروي عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا
كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها بل بحسب الاوقات والاماكن ايضا
واكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليه الامران فمن عن له امران منهما
ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق عليه اجتناب الاكبر من الثواب
وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان هو الجنة كريما اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ
بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون
مدخلا او دخولا كريما كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم تدع فلم يبق
الا مسحت الخ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه للتفادي عن المواجهة
بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي اليه
من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل
الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه
والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال
العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها وعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى
حظ المفضل ولا يحسده عليه لانه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا لانه لو
كان خلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سياتي من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي
عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت
النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت
وهذا هو الانسب بتعليل النهي بقوله تعالى للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن فانه صريح في جريان

الا المسحت او المجلف [illegible]

التمنى بين فريقى الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر فى النهى لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين فى الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على اقتضاء تشبيه حاله لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه بحيث لا يتخطاه الى الغير فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمنى المذكور وقوله تعالى واسألوا الله من فضله عطف على النهى وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب فى الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى من خزائن نعمه التى لا نفاد لها وحذف المفعول الثانى للتعميم اى واسألوه ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اى واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوا فضله وقد جاء فى الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقنى اللهم اعطنى مثله وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروى وابقاء الاكتساب على حقيقته بحمل سبب النزول ما روى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله كان بكل شئ عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتاكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما فى قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اى ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة فى الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل فى قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليه اعنى غيرا او ولكل قوم جعلناهم موالى اى وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة لكل والضمير راجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اى حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالى مما ترك اى وراثا منه على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوراث وفى ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالى كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالى بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه فى تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالى اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناول الوالدين والذين عقدت ايمانكم هم موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابى حنيفة رضى الله عنه اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وما سحتموهم وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعنى قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الخ جملة مبينة للجملة قبلها وموكدة لها والضمير للموالى ان الله كان على كل شئ من الاشياء التى من جملتها الايتاء والمنع شهيدا ففيه وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء كلام مستانف مسوق لبيان استحقاق الرجال الزيادة فى الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم فى الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اى شأنهم القيام عليهن بالامر والنهى قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبى وكسبى فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اى قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او متلبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التى هى كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الراى ومزيد الاعمال فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها

مى

من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اى وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب ما انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضى الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير فالصالحات شروع فى تفصيل احوالهن ببيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اى فالصالحات منهن قانتات اى مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اى لمواجب الغيب اى لما يجب عليهن حفظه فى حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبى صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلى الاية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله فى حق التصرف فى حكم مالها ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية بما حفظ الله ما مصدرية اى بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اى بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اى بالامر الذى حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتى تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل فى القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن اى فانصحوهن بالترغيب والترهيب واهجروهن بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة فى المضاجع اى فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتات اى لا تبايتوهن وقرئ فى المضجع وفى المضطجع واضربوهن ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شانه يتجاوز عن سيآتكم ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يتحقق او يفرض تحققه وان الذى يتوقع منهن ويليق بشانهن لا سيما بعد ما كان ما كان من الزواجر هو الطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعنى عدم الاطاعة المؤدى الى الخصومة والمرافعة اليهم وشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الاخر او لان كلا منهما فى شق اى جانب غير شق الاخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضى الله عنهما والجزم بوجود الشقاق لا ينافى بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما فى قوله يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما فى قولك نهاره صائم اى ان علمتم او ظننتم تاكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا اى الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح من اهله من اهل الزوج وحكما آخر على صفة الاول من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف فى انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رايا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروى عن على رضى الله عنه وبه قال الشعبى وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالعا ان كان الصلاح فيه ان يريدا اى الحكمان اصلاحا اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت قلوبهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والقى فى نفوسهما المودة والرافة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يفرض صدوره عنهما وان الذى يليق بشانهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين فى الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اى ان ارادا اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق

كما في معالم

الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي اكد
الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شان حقوق الوالدين بنظمها في سلكها كما في ساير المواقع وشيا نصب على انه مفعول
اي لا تشركوا به شيا من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اي لا تشركوا به شيا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين
احسانا اي احسنوا بهما احسانا وبذي القربى اي بصاحب القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك واليتامى
والمساكين من الاجانب والجار ذي القربى اي الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين
وقرى بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذي القربى والجار الجنب اي البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى
الله عليه وسلم الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار
وحق الاسلام وجار له حق واحد هو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرى والجار الجنب والصاحب بالجنب
اي الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في
مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه وقيل هي المراة وابن السبيل هو المسافر المنقطع
به او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اي متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه
واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل
بضم الباء وسكون الخاء وقرى بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من كان او نصب على الذم
او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقا بكل ملامة
ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اي من المال والغنى او من نعوته صلى الله عليه وسلم التي بينها لهم في التورية وهو
انسب بامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها ويامرون اعقابهم بكتمها واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع
الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمته تعالى
فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طايفة من اليهود كانوا يقولون للانصار
بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اي للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء
وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين وانما شاركوهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف
الذي هو الانفاق فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان
يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتايب في المزدحم او مبتدا خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كانه قيل والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون اموالهم
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اي فقرينهم الشيطان
وانما حذف للايذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك القبايح
وزينوها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن
بهم في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي على من ذكر من الطوايف ابتغاء لوجه الله
وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الاخر فانه يقتضي ان يكون الانفاق
لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اي وما الذي عليهم او واي تبعة ووبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في
سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشي بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب
الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوايد الجليلة والعوايد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر
فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان بهما لاهميته في نفسه و
لعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس على عدم ايمانهم بهما مع كون المؤخر اقبح
من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وامرهم للناس به وكان الله بهم وباحوالهم
المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب او باعمالهم المفروضة فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا قد امنوا وانفقوا
كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول
قايم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص وبمعنى وضع الشي في غير موضعه اي لا ينقص من الاجر ولا يزيد في
العقاب شيا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر نايب منابه اي لا يظلم ظلما مثقال ذرة وهي النملة الصغيرة او كل
جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان قلته في الثقل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه ادخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اي وان
تك مثقال ذرة حسنة انث لتانيث الخبر او لاضافته الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة

وتخففا

وتخففا لكثرة الاستعمال وقرى حسنة بالرفع على ان كان تامة يضاعفها اي يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة
لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كانهما واحد وقرى يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرى نضاعفها
بنون العظمة على طريق الالتفات عن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك تقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة رضي الله
عنه لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الاية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد
ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زايدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء
جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف محلها الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف واما النصب
بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو راي سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الاخفش اي
تكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون اذا جئنا يوم القيمة من كل
امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقايد وقبايح الاعمال وهو نبيهم كما في قوله
تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وعظم
الشان او الفعل المقدر ومن متعلقة بجينا وجينا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى الشهداء المدلول عليهم
بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقايدهم لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين
المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد ساير الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين
كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
استيناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها وفضاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد به المكذبون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لا سيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما في حيز الصلة
والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر الهايل وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه
وزيادة تكذيب حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس
الكفرة وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول الجنس المنتظم للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما
اوليا واياما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا
داخل معه في الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع
في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل هو صلة لموصول اخر اي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين
الكفر والعصيان للرسول او والذين كفروا وقد عصوا الرسول او الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في
قوله تعالى لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود اي يودون ان يدفنوا وتسوى
بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانهم والارض سواء وقيل تصير البهايم
ترابا فيودون حالها وان جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية
الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره اي لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا
عطف على يود اي ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا
في الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه لقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا
ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض
وقرى تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرى تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته
فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الاشراك
به تعالى نهوا ههنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع
طعاما وشرابا حين كان الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فاكلوا وشربوا حتى
ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف
النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي الى قربان الصلوة مع ان المراد
هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المسجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم
صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقوموا الى الصلوة في حالة السكر حتى تعلموا قبل
الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤونه في الصلوة وحمل ما تقولون على ما في
الصلوة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون
ما ستقرؤونه في الصلوة تطويل بلا طايل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان اشارة ما تقولون
على ما تقرؤون حينئذ يكون عاريا عن الداعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم واياما كان فليس مرجع

النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله ان الصلوة كانت على المومنين
كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين امنوا لا تسكروا في اوقات الصلوة وقد روى انهم كانوا يتقون بعد ما انزلت
الاية لا يشربون الخمر في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا
ما يقولون ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا
والجنب من اصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمونث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر الا عابري سبيل استثناء
مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه فعل
النهي اي لا تقربوا الصلوة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين على معنى انه في حالة السفر ينتهي حكم النهي لكن لا
بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المنتفي ولا
على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة نعم يشير
الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية فان ملاك
الامر في ذلك انما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي لا جنبا غير
عابري سبيل ومن حمل الصلوة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله
وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء او الطريق فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان
يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم ذلك حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلوة حالة الجنابة
ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول الامر بان حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر
تشويقا الى البيان وروما لزيادة تقرره في الاذهان وفي الاية الكريمة اشارة الى ان المصلي حقه ان يتحرز عما يلهيه
ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادنى مراتب التزكية عند امكان اعاليها وان كنتم مرضى شروع
في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الاعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع
مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للاشعار بانه العذر الغالب المبني على الضرورة الذي يدور عليه امر الرخصة كانه
قيل ولا جنبا الا مضطرين واليه يرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض
ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله او على سفر عطف على مرضى
اي او كنتم على سفر ما طال او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته
فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للايذان باصالته
واستقلاله باحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه او جاء احد منكم من الغائط هو المكان الغائر
المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس واسناد
المجيء منه الى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن
التصريح به وكذلك ايثار الكناية فيما عطف عليه من قوله تعالى او لامستم النساء على التصريح بالجماع ونظمهما
في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما
المستفاد من قوله تعالى فلم تجدوا ماء بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا له وتنبيها على انه سبب للرخصة
بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل ولم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب
من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر
ايضا لندرة وقوعه فيهما واستغنائها عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر
بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك او كنتم مرضى
الخ واما لما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق
المريض مغن عن ذكره لفظا وما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه
بالمجيء من الغائط والملامسة معتبر في الكل مما لا يساعده النظم الكريم فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا شيئا من
وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب
المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي لا بد من ان يعلق
باليد شيء من التراب فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي الى المرفقين لما روى انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح
بيديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ان الله كان عفوا غفورا تعليل للترخيص والتيسير
وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون ميسرا لا معسرا
وقيل هو كناية عنهما فان الترخيص والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب كلام مستانف مسوق لتعجيب المومنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب

لكل

لكل من يتاتى منه الروية من المومنين وتوجيهه اليه ههنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة
حالهم وانما بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والروية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان
تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية على ان الى لتضمنها معنى الانتهاء كما فعلوه يا باه مقام تشهير
شناعتهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انها
نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه
رضي الله عنه ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا
لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التورية وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما اوليا تطويل للمسافة وبالذي
اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام
والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة ارائهم
حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مويد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في
حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوى ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين
وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي
نصيبا كائنا من الكتاب وقوله تعالى يشترون الضلالة قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير
اشترائهم المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال اشترائهم الخ وانت خبير
بانه خال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذي يقتضيه جزالة النظم
الكريم انه استيناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني
على سوال نشا منه كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل ياخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية
وانما طوى ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة
عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال
رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون
وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة ارائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه
احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يخل بمعنى الاشتراء المبني عن تاخرها عنه
بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا بشان النبي صلى الله عليه وسلم وتيقنوا بحقية دينه
وانه هو النبي العربي المبشر به في التورية ولا ريب في ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في اوائل سورة
البقرة ويريدون عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار
التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم
بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم ان تضلوا انتم ايضا ايها المومنون السبيل المستقيم الموصل
الى الحق والله اعلم اي منكم باعدائكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم
ومن مخالطتهم او هو اعلم بحالهم وما لامرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة وكفى بالله وليا في جميع اموركم و
مصالحكم وكفى بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره او لا تبالوا بهم وبما يسومونكم
من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة في فاعل كفى لتاكيد الاتصال الاسنادي
بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة في مقام الاضمار لا سيما في الثاني لتقوية استقلالهما
المناسب للاعتراض وتاكيد كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة والاشعار بعليتهما فان الالوهية من موجباتهما
لا محالة من الذين هادوا قيل هو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة
من اعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق ولانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما
اوليا كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرنا من الله وفيه ما فيه
من تحجير واسع نصرته عز وجل مع انه لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء لان ما في حيز الصلة ليس بوصف
ملائم للنصرة وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه صفة له اي من الذين هادوا قوم
او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضي كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة
فالذي يليق بشان التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين قد وسط بينهما ما وسط
لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المومنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام
بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور
وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما لزيادة تقرير

يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده كلمة ككتف وتمر وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده
معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به ههنا اما ما في التورية
خاصة واما ما هو اعم منه ومما سيحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة بان يجعل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا الخ
على ما قبله عطفا تفسيريا لما ستقف على سره فان اريد به الاول كما هو راى الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي
وضعه الله فيها من التورية كتحريفهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه في التورية بان وضعوا مكانه
آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى الذي انزله الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتاويلات
الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فلا بد من ان يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه
تعالى صريحا كمواضع ما في التورية او بتعيين العقل والدين كمواضع غيره واياما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي
ان يجرى على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل ان يحمل على ما هو اعم من القول
الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به ألسنة حالهم عند تحريف التورية فان
من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية والا يحمل على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه
وسلم من القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الاتية وما بعدها بهن من غير تعرض لتحريفهم
التورية مع انه معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتامل اي يقولون في كل امر
مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم اولا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا
عنادا وتحقيقا للمخالفة وقوله تعالى واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي و
يقولون ذلك في اثناء مخاطبته صلى الله عليه وسلم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى
اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه و
نحو يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى
الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له عليه السلام ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول
مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم له صلى الله عليه وسلم هذا ايضا
يريدون كلاما نازلا بعظائم الثلث في مواقعها وهو ايضا كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا او
انظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية
كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبونه عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير
والاحترام ومصيرهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا
من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون
الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به ليا بالسنتهم اي
فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا
المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلا بها وضما لما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير
وطعنا في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين
اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين
ولو انهم عند ما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه قالوا بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا
وعصينا سمعنا واطعنا انما اعيد سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا لا
للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم
للامر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من ازالته واقامة سماع القبول مقامه واسمع اي لو قالوه عند مخاطبة النبي
صلى الله عليه وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اي ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا
وفسادا اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوا واقوم اي اعدل
واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق
التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان حاله بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لان همهم مقصور على
ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن
الهدى بسبب كفرهم ذلك فلا يؤمنون بعد ذلك الا قليلا نبلا اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض
الكتب والرسل او الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان
من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد جوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على

طريقة

طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فانهم يحدثون شيئا من الايمان
فهو في المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكل يأباه ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن الناطق بهذا لافضائه
الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستثنى اما على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلان
امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم
الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا بجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في
لا يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القراء الى الاتفاق على غير المختار
بل بجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب
الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي يا ايها الذين اوتوا الكتاب
تلوين الخطاب وتوجيه له اما الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب
اي التورية واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة
وازالتهم ما اوتوه بمقابلتها بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما
ههنا فالمقصود تاكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق
موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم
الكفر بالتورية نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا
منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما اليهم والى غيرهم قاطبة وهو الاظهر واياما
ما كان فتفصيل ما فصل لما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر
بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل آمنوا بما نزلنا من القرآن عبر
عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل مصدقا لما معكم من التورية عبر
عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرر المراجعة اليها
من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله
حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن
المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست
بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور
فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك
قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي من قبل ان نطمس وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى
الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع
المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع
متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء
لهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها
قال ابن عباس رضي الله عنهما نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا
اعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة
مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر اشدهما
فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم
فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام فالمراد بذلك
اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد
اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي
ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله
فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية على كعب
الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر
بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان انصراف العذاب الموعود عن اوائلهم وهم
الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه
وفي التورية فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد

ماتت من السنين من اعقابهم الضالين باصلاحهم العاملين بما مهد وامن قوانين الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم المذكورين واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتاكيد نزول العذاب على الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى **او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت** فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وانت خبير بان المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه تغيير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعن بهذا الوصف انما الواقع عليهم ما تناولته الالسنة من اللعن المستمر الذي الفوه وهو بمعزل من صلاحية ان يكون محكما لهذا الوعيد اي مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الاخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب رضي الله عنهما فمبني على الاحتياط اللائق بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل في الزجر وعلى مبنى ما روي عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم ان المراد هو الثاني والله تعالى اعلم ولعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما اوجبها من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير **وكان امر الله** اي ما امر به كائنا ما كان او امره بايقاع شيء ما من الاشياء **مفعولا** نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال **ان الله لا يغفر ان يشرك به** كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي **ويغفر ما دون ذلك** عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل **لمن يشاء** اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة باهل الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان **ومن يشرك بالله** اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به **فقد افترى اثما عظيما** اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الاثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا **الم تر الى الذين يزكون انفسهم** تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال عليه السلام لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر لكافر شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وبعمله **بل الله يزكي من يشاء** عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستاهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم

الخبير

الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول **ولا يظلمون** عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب **فتيلا** اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد **انظر كيف يفترون على الله الكذب** كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بهما وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتاكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم **وكفى به** اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام **اثما مبينا** ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر سره وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء فتدبر **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب** تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله تعالى **يؤمنون بالجبت والطاغوت** استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله قيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان قيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه الصلوة والسلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى **ويقولون للذين كفروا** اي لاجلهم وفي حقهم **هؤلاء** يعنونهم **اهدى من الذين امنوا سبيلا** اي اقوم دينا وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبائح **اولئك** اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدا خبره قوله تعالى **الذين لعنهم الله** اي ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومالهم **ومن يلعن الله** اي يبعده عن رحمته **فلن تجد له نصيرا** يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد ممن يتسنى له الخطاب وتوجيه النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبي عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى **ام لهم نصيب من الملك** شروع في تفصيل بعض اخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكي عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى **فاذا لا يؤتون الناس نقيرا** بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف اي ان جعل لهم نصيب منهم فاذا لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا يكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ عليه اي لعدم منكرا غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف

والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى الهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما تقول لغني لا يراعي اباه الك هذا من المال ولا تنفق على ابيك شيئا وفائدة اذن تأكيد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كانه قيل فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها ام يحسدون الناس منقطعة ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لاسيما على ما هم بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس ايذانا بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل ابراهيم فان ذلك لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى تلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل ايحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى فقد آتينا تعليل للانكار والاستقباح والزامهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وابناء اعمامه الكتاب والحكمة اي النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته عليه السلام ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياؤهم عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تأكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل ابراهيم فيستدعي تأخر الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما تتصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله وكذا جعلهما للرسول صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان تكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه قيل بل ايحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتينا فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها ان الذين كفروا بآياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم الصلاة والسلام سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعد فيفيدان التأكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدل نحو قوله الا من قيل يبدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد اي كلما نضجت فيها جلودهم وقوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق الله مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس

وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر وناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان ان احساسهم بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة تأثيره من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تأثرا او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضاها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا لهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اي فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتأكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتأكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنه اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا فقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المأمور به ههنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المأمور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمحذوف وقع حالا من فاعله اي متلبسين بالعدل والانصاف ان الله نعما يعظكم به ما اما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا بصيرا لاقوالكم بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا فان فيه تأكيدا لكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين آمنوا بعدما امر

الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول عليه السلام في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في امر من امور الدين فراجعوا فيه كتاب الله والرسول اي الى سنته وقد استدل به منكروا القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر متعلق بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الى الله فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة ذلك اي الرد المأمور به خير لكم واصلح واحسن في نفسه تأويلا اي عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على احسنيته في نفسه لما من تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيبا له من حال قبلك
الذين يخالفون ما مر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله اعني التوراة لتأكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت استئناف سيق لبيان محل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت فهبط جبريل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار في معرض التعجيب والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضي منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة فانه كما يقتضي كونهم من منافقي اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتوراة وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى وقد امروا ان يكفروا به كونهم مأمورين بكفره في الكتابين وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بالولاية كالكهنة ونظائرهم لان من عداهم من لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتأكيد التعجيب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وعلا ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجيب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فانبتها الله نباتا حسنا اي اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا وايا ما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله

تعالى

تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجيب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا في آية ان اصلها آيية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمرأة تعالي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي رأيت المنافقين اظهار المنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر المتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه وصده عنه صدا اي منعه منه وقوله تعالى فكيف شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية ووخامة عاقبتها اي كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك ثم جاؤك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا اي ما اراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور والفساد المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم اي ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في انفسهم في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في السر انجع قولا بليغا مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على رأي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال والايذان بان ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات وانما هذه المكافة والتأخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق وبرزوا باشخاصهم من نفق
باذن النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا من رسول الا ليطاع الله كلام مبتدأ جيء به تمهيدا لبيان خطئهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اي وما ارسلنا رسولا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها لعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤك من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم وانما قيل واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه وايا ما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار وتنديد لاولئك المنافقين على ما صنعوا لما ان ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارهما نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد النفي في جوابه اعني قوله تعالى لا يؤمنون لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك اي يتحاكموا اليك ويرافعوا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم مع انه عليه السلام حاكم بامر الله سبحانه ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق

فيما شجر بينهم اى فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر
ينساق اليه الكلام اى فتقضى بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اى مما قضيت به او من قضائك
وقيل شكا من اجله اذ الشاك في ضيق من امره ويسلموا اى ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما تاكيد للفعل بمنزلة
تكريره اى تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا
جعلها سالمة له خالصة اى ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي
وقيل في شان الزبير ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان
بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله
الى جارك كان قد اشار على الزبير براى فيه سعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب
للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه
ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم
وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين
الفا في طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم منى الصدق لو امرني محمد
ان اقتل نفسي لفعلتها وروى انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فنزل في شان هؤلاء و
لو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اى لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من
قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا
في معنى امرنا ما فعلوه اى المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين الا قليل منهم اى الا ناس
قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي
لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على
الاستثناء او الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عليه السلام وطاعته والانقياد
لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان اي
فعلهم ذلك خيرا لهم عاجلا وآجلا واشد تثبيتا لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب
اعمالهم واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذن
لو ثبتوا لآتيناهم فان اذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب
الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول كلام مستانف
فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد
اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية
السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل بجميع الاوامر والنواهي ه
فاولئك اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى
البعد مع القرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا خبره مع الذين انعم الله عليهم
والجملة جواب للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين بيان للمنعم
عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم السلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم
في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم
التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله ان صرنا الى الجنة
تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال
ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني
لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت
في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وروى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت
الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي

بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروى ان انسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال عليه السلام المرء
مع من احب والصديقين اى المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال
وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق والشهداء الذين بذلوا ارواحهم
في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية
الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر
وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب ماخوذ من الرفق وهو
لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى
البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم
رفقاءهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد او لا نريد حسن كل واحد منهم
رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا
بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق
قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين
ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى الفضل صفته
وقوله تعالى من الله خبره اى ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف
وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اى ذلك الذي ذكر فضل كائنا من الله تعالى لا ان اعمال المكلفين توجبه
وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر
واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه اى تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره
اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم
اى استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اى اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي
الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض منها تاء التانيث وهل هي
واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثبا يثبو كحلا يحلو اى اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه
كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اى انفروا جماعات متفرقة
سرية بعد سرية او انفروا جميعا اى مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن
ليبطئن اى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطؤ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او
ليبطئن غيره ويثبطنه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد والاول انسب بما بعده
واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع
اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة
قال اى المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرأيه قد انعم الله علي اى بالقعود اذ لم اكن معهم شهيدا اى حاضرا في المعركة
فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان
نفس التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطئ وقوعه ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم
او بمحذوف وقع صفة لفضل اى فضل كائن من الله تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة
المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى
لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثرها فيهم اظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام
الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى كان لم يكن بينكم وبينه مودة
اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما لئلا يتوهم من مطلع كلامه
ان تمنيه المعية للنصرة وتقرير لمودة مظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما
ينطق به آخره وليس اثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من
ضمير ليقولن اى ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول اى ليقولن المثبط للمنافقين
وضعفة المؤمنين كان لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعملكم في الغزو حتى تفوزوا
بما فاز يا ليتني كنت معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم وتاكيدها كان مخففة من

الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى فى ياليتنى محذوف اى يا قوم وقيل يا لاطلاق
للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى فانا افوز فى
ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت داخل معه تحت التمنى فليقاتل فى سبيل الله قدم الظرف على الفاعل
للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اى يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اى ان بطا
هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة
وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اى ليتركوا ما كانوا عليه من التثبيط والنفاق وليعقبوه بالقتال فى سبيل الله
ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب
القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث
اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه فى استتباع الاجر روى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال تكفل الله تعالى لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه
الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وما لكم خطاب للمامورين بالقتال على طريقة الالتفات
مبالغة فى التحريض عليه وتاكيدا لوجوبه وهو مبتدا وخبر وقوله عز وجل لا تقاتلون فى سبيل الله حال عاملها
ما فى الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفى اى اى شئ لكم غير مقاتلين اى لا عذر لكم فى ترك المقاتلة
والمستضعفين عطف على اسم الله اى فى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على
السبيل بحذف المضاف اى فى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير
وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدى الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين او
حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان
معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب المرحمة وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان لارغام
آبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الآتى واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم فى التضرع الى الله تعالى
كل ذلك للمبالغة فى الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة وتغليب
الذكور على الاناث فاطلق الولدان على الولائد ايضا الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين او لما فى حيز البيان
او النصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها بالشرك الذى هو ظلم عظيم وباذية المسلمين
وهى مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجرى على غير من هو له كان
الفعل فى التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف
معنييهما وتقديم المجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة فى المؤخر بتقديم احواله فان
تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه
واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسؤل نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم و
يجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام فى قوله تعالى واجعل لنا من
لدنك نصيرا قال ابن عباس رضى الله عنهما اى ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا
ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل
لمن بقى منهم خير ولى واعز ناصر ففتح مكة على يدى نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم اى تولى ونصرهم اى نصرة ثم استعمل
عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اى كن انت
ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه للمبالغة فى التضرع والابتهال الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله كلام مبتدا
سيق لترغيب المؤمنين فى القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اى
المؤمنون انما يقاتلون فى دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل وفى اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة
والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت اى فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء فى قوله تعالى فقاتلوا
اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة لقتالهم
فى سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم فى سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين
فى القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم فى العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل فى الذلة والضعف
كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان
ضعيفا اى فى حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا
فائدة ادخال كان فى امثال هذه المواقع التاكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان
موصوفا بالضعف الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع

انهم

انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدى فان ذلك مشعر بكونهم
بصدد بسطها الى العدو وبحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبى ان جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم
عبد الرحمن بن عوف الزهرى والمقداد بن الاسود الكندى وقدامة بن مظعون الجمحى وسعد بن ابى وقاص الزهرى
رضى الله تعالى عنهم كانوا يلقون من مشركى مكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون
ائذن لنا فى قتالهم ويقول لهم النبى صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فانى لم اومر بقتالهم
وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبى صلى الله عليه وسلم للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه ولان المقصود
بالذات والمعتبر فى التعجيب انما هو كمال رغبتهم فى القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهى عنه وانما ذكر فى حيز
الصلة الامر بكف الايدى لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصية الامر غرض وكانوا
فى مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا
بالقتال فى وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار
بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال الخ وهو عطف على قيل
لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائى اذ هو المحقق التباين بين مدلولى المعطوفين وعليه يدور امر التعجيب كانه
قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس
جواب لما على ان فريق مبتدا ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره باذا المفاجاة لبيان مسارعتهم
الى الخشية اثر ذى اثير من غير تلعثم وتردد اى فاجا فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى
الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغى ان يصدر عن احدهم ما ينافى حالتهم الاولى وقوله تعالى
كخشية الله مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اى يخشونهم متشبهين باهل
خشية الله تعالى وقوله تعالى او اشد خشية عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه
مصدر موكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما فى جد جده اى يخشونهم خشية مثل خشية الله او
خشية اشد خشية من خشية الله واياما كان فكلمة او اما للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية
بعضهم اشد منها واما للابهام على السامع وهو قريب مما فى قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعنى ان من
ينصرهم يقول انهم مائة الف او يزيدون وقالوا عطف على جواب لما اى فلما كتب عليهم القتال فاجا فريق منهم خشية
الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فى هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه
بل على طريقة تمنى التخفيف لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة فى مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا عن
الموت وقد جوز ان يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا قل اى تزهيدا لهم فيما يؤملونه
بالقعود من المتاع الفانى وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقى متاع الدنيا اى ما يتمتع وينتفع به فى الدنيا
قليل سريع التقضى وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل والاخرة اى نعيمها الذى من جملته الثواب المنوط
بالقتال خير اى لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل لمن اتقى حثا
لهم على اتقاء العصيان والاخلال بمواجب التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى تجزون
فيها ولا تنقصون ادنى شئ من اجور اعمالكم التى من جملتها مساعيكم فى شان القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما فى
شق النواة من الخيط يضرب به المثل فى القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الى ظاهر من اينما تكونوا
يدرككم الموت كلام مبتدا مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شان الاخرة بواسطته عليه السلام فلا محل له من الاعراب
او فى محل النصب داخل تحت القول المامور به اى اينما تكونوا فى الحضر والسفر يدرككم الموت الذى لاجله تكرهون
القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم انه منجاة منه وفى لفظ الادراك اشعار بانهم فى
الهرب من الموت وهو مجد فى طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على
اعتبار وقوع اينما كنتم فى موقع اينما تكونوا او على انه كلام مبتدا واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اى لا تنقصون شيئا
مما كتب من آجالكم اينما تكونوا فى ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم فى بروج مشيدة فى حصون رفيعة او قصور
محصنة وقال السدى وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها
بفعل فاعلها مجازا كما فى قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب
لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اى لو كنتم فى بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى
مثلها اى لو لم تكونوا فى بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان
الشئ اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى لو الوصلية وان

الوصلية من التاكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدأ جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما
على اسناد ما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم
الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا
نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
اي وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما حكي عن
اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر النبي صلى الله عليه وسلم بان يرد زعمهم
الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان ان اسناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترؤن على معارضة
امر الله عز وجل حيث قيل قل كل من عند الله اي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا
من غير ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات
تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سياتي بيانه هذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا
على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اصابة السيئة التي
هي ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم الخ كلام
جال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل
وتقبيح حالهم والتعجب من كمال غباوتهم والفاء لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا
حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم
بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استيناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كانه قيل ما بالهم وماذا يصنعون
حتى يتعجب منه او يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون
اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بان
الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب
العباد لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي في الانبياء ولا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا جناية
انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من حسنة الخ بيان للجواب المجمل المامور به واجراؤه على لسان النبي صلى
الله عليه وسلم ثم سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات
لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى
بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين اي ما اصابك من نعمة
من النعم فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما
يفعله المرء من الطاعات التي يرجى كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حياته المقارنة
لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها فضلا عن استيجابها لنعمة اخرى ولذلك قال عليه السلام ما احد
يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن
نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة
من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها
ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال
الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم
بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه
وسلم ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل
وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي مرسلا لكل
الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل ورسولا حال مؤكدة وقد جوز
ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي برسالة
بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق
والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام
رسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل

وانما هو عليه السلام مبلغ لامره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب
الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان
يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون
الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل حيثية رسالته
واظهار الجلالة لتربية المهابة وتاكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه
السلام انتظاما اوليا يأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا
جواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا
لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسابها وحفيظا حال من الكاف وعليهم
متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون
شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء
طاعة اي امرنا وشأننا طاعة او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا
من عندك اي خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اي
زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان
وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره
بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تأنيث الطائفة
غير حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات
والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي يكتبه في جملة ما يوحي اليك
فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك الى الاضرار بكم سبيلا او يثبته في صحائفهم
فيجازيهم عليه واياما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اي لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف عنهم ولا تتصد
للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر لا سيما في شأنهم واظهار
الجلالة في مقام الاضمار للاشعار بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار
ههنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه افلا يتدبرون القرآن انكار و
استقباح لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشيء تأمله والنظر في
ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تأمل وتفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر اي ايعرضون عن القرآن
فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق و
النص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان اي القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كان
كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب
مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان
هؤلاء المنافقين كانوا يتواطؤن في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عليه السلام
على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف
فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض
وتفاوت النظم في البلاغة بان كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم و
بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده السباق ولا السياق
ومن رام التقريب وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف
في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به يقال اذاع السر
واذاع به اي اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما
عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام
لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله
عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا
يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع
فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعي عليهم ذلك وقيل ولو ردوه اي ذلك الامر الذي جاءهم الى الرسول اي فوضوه
على رأيه عليه الصلوة والسلام مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات

الرد والمراجعة الى رايه صلى الله عليه وسلم والى اولى الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء فى الامور رضى الله عنهم لعلمه
اى لعلم الرادون معناه وتدبيره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان بانه ينبغى ان
يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه اى لعلمه اولئك الرادون الذين يستنبطونه اى يتلقونه
ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اى من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم واولى الامر من صحابته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
ولما فعلوا فى حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره
بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها فكلمة من فى منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولى الامر لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اى يستخرجون تدبيره بفطنتهم و
تجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى الامر على امن
ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه
الى الرسول والى اولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون
وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة
فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولى الامر وقالوا نسكت حتى
نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين
يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فمساق النظم الكريم لبيان
جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب فى قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اى لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذى
هو المراجعة فى مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واولى الامر لاتبعتم الشيطان وعملتم باراء المنافقين
فيما تأتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولو الامر الواقفون على اسرار الكتاب
الراسخون فى معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال
الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى
طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادى وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة
ابن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء
اى ولولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولو البصائر
النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين على حقية الدين البالغين الى درجة حق
اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل فى سبيل الله تلوين
للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم
الكريم اى اذا كان الامر كما حكى من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين فى مراعاة احكام الاسلام فقاتل
انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل لا تكلف الا نفسك اى الا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فان
اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من
التثبط لا يضر عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل اى فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف
بالجزم على النهى وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اى لا نكلف الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا
الا نفسك وحرض المؤمنين عطف على الامر السابق داخل فى حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكى سبب للامر بالقتال
وحده وتحريض المؤمنين والتحريض على الشىء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه فى الاصل ازالة الحرض
وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اى رغبهم فى القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله
تعالى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا عدة منه سبحانه محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكروههم فان
ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه
بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا ووافوا الموعد والقى الله تعالى فى قلوب الكفرة
الرعب فرجعوا من مر الظهران وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثمانى ليال
وكان معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر فى سورة آل عمران والله اشد باسا اى من قريش واشد
تنكيلا اى تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدى اليها والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبلها
واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتاكيد التشديد وقوله تعالى

من

من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اى من ثوابها جملة مستانفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امر به
من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة هى التوسط بالقول فى وصول الشخص الى منفعة من المنافع الدنيوية
او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها
ما كانت فى امر مشروع روعى بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واى
منفعة اجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واى مضرة اعظم
مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى وعليه مساق آية التحية
الاتية روى انه عليه السلام قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك
وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهى ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها
اى نصيب من وزرها مساو لها فى المقدار من غير ان ينقص منه شىء وكان الله على كل شىء مقيتا اى مقتدرا من
اقات على الشىء اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه والجملة
تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب فى فرد شايع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما
رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفيته اداء فان
تحية الاسلام من المسلمين شفاعة منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر حيى اصلها تحيية كتسمية من سمى
واصل الاصل تحيى بثلث ياءات فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التانيث وادغمت الاولى فى الثانية بعد نقل
حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت فى كل دعاء وكانت العرب اذا لقى
بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع فى السلام وهى تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه
سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا فى السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات
الدينية والدنيوية وهى مستلزمة لطول الحياة وليس فى الدعاء بطول الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى
فالبداية بذكره مما لا ريب فى فضله ومزيته اى اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين فحيوا باحسن منها اى باحسن
منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعها المسلم وهى
النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التى هى السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها او ردوها
اى اجيبوها بمثلها روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله
وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال عليه السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام
عليك ورحمة الله وبركاته فقال عليه السلام وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية
فقال عليه السلام انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة
وتركها وعن النخعى ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الرد واجب وما من رجل يمر
على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد فى الخطبة وتلاوة
القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغنى
والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى فى الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امراته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم
الماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا
ابتدرا وعن ابى حنيفة رضى الله عنه لا يجهر بالرد يعنى الجهر الكثير وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل
الكتاب فقولوا وعليكم اى وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروى لا تبتدئ اليهود بالسلام
وان بدأ فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالاحسن
عند كون المسلم مسلما وردها عند كونه كافرا ان الله كان على كل شىء حسيبا فيحاسبكم على كل شىء من اعمالكم
التى من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتدا وخبر وقوله
تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف اى والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيمة وقيل الى
بمعنى فى والجملة القسمية اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدا او هى الخبر ولا اله الا هو اعتراض
وقوله تعالى لا ريب فيه اى فى يوم القيمة او فى الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اى جمعا لا ريب فيه فما لكم مبتدا
وخبر والاستفهام للانكار والنفى والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى
فى المنافقين متعلق اما بما تعلق به الخبر اى اى شىء كائن لكم فيهم اى فى امرهم وشانهم فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق اى فما لكم تفترقون فى المنافقين
واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اى كائنين فى المنافقين لانه فى الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو
شان صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير فى تفترقون وانتصاب فئتين عند البصريين على الحالية من

ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اصدق منه تعالى فى وعده وسائر
اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه تعالى دون غيره ع

المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اى فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شئ مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روى انهم قوم من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سيأتي من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم ينقل في امرهم اختلاف المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود النافي بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اى اى شئ يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا بسبب ما كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اى بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشئ مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسهم ايضا مخففا اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون الخ للمبالغة في انكاره ببيان انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما يأباه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال يخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل احد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو او اعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية ثم يجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم ودوا لو تكفرون كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مع ما بعدها نصب على المفعولية اى ودوا ان تكفروا وقوله تعالى كما كفروا نصب على انه نعت لمصدر محذوف اى كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأي سيبويه وقوله تعالى فتكونون سواء عطف على تكفرون داخل في حكمه اى ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم اى اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم حتى يهاجروا في سبيل الله اى حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اى عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اذا قدرتم عليهم واقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم ساير المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال ابن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة او جاؤكم عطف على الصلة اى او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سيأتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه صريح في ان كفهم عن

القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاؤا اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الخ ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة الاولى اى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله عز وجل والقوا اليكم السلم اى الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة اى دعوا الى الكفر وقتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير فان لم يعتزلوكم بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا اليكم السلم اى لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم ويكفوا ايديهم اى لم يكفوها عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى تمكنتم منهم واولئكم الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في الايقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في اخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن اى وما صح له ولا لاق بحاله ان يقتل مؤمنا بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك الا خطأ فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اى ما كان له ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا في حال الخطأ او على انه مفعول له اى ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ او على انه صفة للمصدر اى الا قتلا خطأ وقيل لا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث ابن زيد بن ابي انيسة فأتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة اى اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كساير المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها الا ان يصدقوا اى يتصدق اهله عليه سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او القاتل فان كان اى المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بان اتاهم بعدما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة اى فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله لانهم محاربون وان كان اى المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق اى عهد موقت او مؤبد فدية اى فعلى قاتله دية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم ساير المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الخ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي او المعاهد لئلا يلزم

التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما فمن لم يجد اى رقبة لتحريرها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها من الثمن فصيام اى فعليه صيام شهرين متتابعين لم يتخلل بين يومين من ايامهما افطار توبة نصب على انه مفعول له اى شرع لكم ذلك توبة اى قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف اى تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور فى عليه بحذف المضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة اى كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التى من جملتها حاله حكيما فى كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التى من جملتها ما شرعه فى شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطأ وفصل اقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا اى ان حكمه الدنيوى لما بين فى سورة البقرة اقتصر هنا على حكمه الاخروى روى ان مقيس بن ضبابة الكنانى وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا فى بنى النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهرى وكان من اصحاب بدر الى بنى النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون مسبة عليك اقتل الذى معك فيكون نفسا بنفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بنى النجار ارباب فارع وادركت ثأرى واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذى استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن آمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروى عن الكسائى سكون التاء كانه فر من توالى الحركات فجزاؤه الذى يستحقه بجنايته جهنم وقوله تعالى خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بانه انسب بعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما يقدر للحال او للعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كون جزائه ما ذكر لا يقتضى وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها او جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب الله عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اى انتقم منه ولعنه اى ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل الماضى على معنى المستقبل كما فى قوله تعالى ونفخ فى الصور ونظائره اى فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الخ واعد له فى جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره ولما ترى فى الاية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وتعاضد بما روى من الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لاشرك فى دمه وقوله صلى الله عليه وسلم من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها فى خلود من قتل المؤمن عمدا فى النار ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل من انها فى حق المستحل كما هو رأى عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت فى مقيس بن ضبابة الكنانى المرتد حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روى عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى فى التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روى عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روى عن ابن عباس ان رجلا سأله القاتل المؤمن توبة قال لا وسأله آخر القاتل المؤمن توبة قال نعم فقيل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس وقد روى عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال فى قوله تعالى فجزاؤه جهنم الاية هى جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروى مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدى والاصل فى ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث انس رضى الله عنه انه عليه السلام قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجز له ومن وعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى التفريع على ما نحن فيه على الاصل المذكور لانه اخبار منه تعالى بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزى كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين حكم القتل بقسميه وانما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع فى التحذير عما يؤدى اليه

من

من قلة المبالاة فى الامور اذا ضربتم فى سبيل الله اى سافرتم للغزو ولما فى اذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى فتبينوا بالفاء اى فاطلبوا بيان الامر فى كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اى اطلبوا اثبات وقوله عز وجل ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام نهى عما هو نتيجة لترك المامور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التى يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اى لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الاسلام او لمن القى اليكم مقاليد الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقراءتين الاخيرتين والاقتصار على ذكر تحية الاسلام فى القراءة الاولى مع كونها مقرونة بكلمتى الشهادة كما سيأتى فى سبب النزول للمبالغة فى النهى والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطائهم ببيان ان تحية الاسلام كانت كافية فى المكافاة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهى مقرونة بهما وقوله تعالى تبتغون عرض الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التانى لكن لا على ان يكون النهى راجعا الى القيد فقط كما فى قولك لا تطلب العلم تبتغى به الجاه بل اليهما جميعا اى لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذى هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهى عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمنى كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهى عن القول المذكور ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفى التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة والفاء فى فمن للعطف على كنتم اى مثل ذلك الذى القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا فى مبادى اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء فى قوله تعالى فتبينوا فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم فى اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطؤ الظاهر والباطن هذا هو الذى يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ومن حسب ان المعنى اول ما دخلتم فى الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام فى المكافة ولا تقولوا الخ فقد بعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه عليه فى حقهم يقتضى ترتبه عليه فى حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتأتى بتفسير منه تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله ايضا بحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسر بما فسر به لم يبق فى النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر حتى يمكن له ان يقول فحصنت دماءكم واموالكم حتى يتأتى البيان وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر فى تفسير المن اياه بناء على اساس واه كيف لا وان ما ذكره بصدد التفسير وان كان امرا مترتبا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه فى حقهم لكنه ليس بحكم اريد اثباته فى حقه بناء على ثبوته فى حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض له ولا بما له دخل فى وجوب اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه فى سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى انكم فى اول الامر كنتم مثله فى قصور الرتبة فى الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا تستقصروا حاله نظرا الى حالتكم هذه بل اعتبروها نظرا الى حالتكم السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستقصار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الاية الكريمة نزلت فى شأن مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثى فهربوا وبقى مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفى رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه وفى رواية افلا شققت قلبه ثم قرأ الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لى فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى وقال اعتق رقبة وقيل نزلت فى رجل قالوا يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال انى مسلم فقتلته فقال له رسول الله اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال عليه السلام افلا شققت عن قلبه

ان الله كان بما تعملون من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها خبيرا فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستيناف وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل لا يستوي القاعدون بيان لتفاوت طبقات المومنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الامر به وتحريض المومنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم الخارجون الى تبوك فانه لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى من المومنين متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين اي كائنين من المومنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم لما سياتي من الحسنى غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثناء وبالجر على انه صفة للمومنين او بدل منه والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المومنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون ايرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله عنهما وكذا تقييد المجاهدة بكونها في سبيل الله باموالهم وانفسهم لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو الرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول وقوله عز وجل فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة استيناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ واما تقدير ما لهم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستيناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته وفيه تعكيس ظاهر فان الذي يحق ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة واما عدم استوائهما فقصارى امره ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فقيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تاكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل وفضل الله المجاهدين على القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لهما عن ذكر القيود التي تركت على سبيل التدريج وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر موكد لفضل على انه بمعنى اجر وايثاره على ما هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له لتضمنه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى درجات بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربته اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اي

غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك طريق الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما انعم به في الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتاخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وبعبارة اخرى ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملائكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التائين واصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملائكة عليهم السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امور دينكم قالوا استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا فيها فضرب الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا منهم بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة ماواهم اي في الآخرة جهنم كما ان ماواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فماواهم مبتدا وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطها وهو الخبر والعائد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما في حيزه وساءت مصيرا اي مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي صلى

[illegible]

الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلوة والسلم الا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى من الرجال والنساء والولدان متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين او كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك او المراهقون ظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم اذا بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين فان ما فيه اللام ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز عسى الله ان يعفو عنهم جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اي من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله اي ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالايات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه بكمال ثواب هجرته واذا ضربتم في الارض شروع في بيان كيفية الصلوة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمرض والمطر وفيه تأكيد لعزيمة المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ف لذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة فليس عليكم جناح اي حرج ومأثم ان تقصروا اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى من الصلوة ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير ان يكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه اي شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رحمه الله مسيرة يومين وظاهر الاية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعي رضي الله عنه وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه الصلوة والسلم وعن انس خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضي الله عنهما صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان عن اتمامه بانه تأهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث حللت فهي داري وانما ورد ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي رحمه الله تعالى وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهمن انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فساكت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك ما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن به فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الاية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فكل ما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الخ وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما فهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلم كما في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بمحضر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا اي الطائفة القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا اي القائمون معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا بعد وهي الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك الركعة الباقية ولم يبين في الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الاية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت الى مقابلة العدو

حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطايفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى
صار لكل طايفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطايفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة
لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطايفة القايمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم
قايمين للحراب وتكليف كل من الطايفتين بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيره
ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
فانه استيناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا
فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى
ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم في وضعها اذا اثقل عليهم
استصحابها بسبب مطر او مرض وامروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليهم
غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو
احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء
ترش فحال الوادي بينه عليه السلام وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحرث المحاربي
فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على
راسه عليه السلام وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل
ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكب لوجهه
من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الان
قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد
ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت
خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته
فامن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل للامر باخذ الحذر اي اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم
فاهتموا باموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما
لتوقع غلبته واعتزازه نفي ذلك الايهام بان الله ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة
صلوة الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي فداوموا على ذكره
تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم
فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطماننتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعد ما وضعت
الحرب اوزارها فاقيموا الصلوة اي الصلوة التي دخل وقتها حينئذ اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرايطها
وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلثة الصلوة فيها اي فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا
كائنين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطماننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال
التي هي احوال القلق والانزعاج وهو راي الشافعي رحمه الله وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
اي فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حال الخوف ايضا على الوجه المشروح وقيل
مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا
في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى ان تكونوا تالمون
فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الالام
مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث
ترجون من الله من اظهار دينكم على ساير الاديان ومن الثواب في الاخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة
اي لا تهنوا لان تكونوا تالمون وقوله تعالى فانه تعليل للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان
الله عليما حكيما فيما يامر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق روي
ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جار له قتادة بن النعمان في جراب دقيق
فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف
ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة
وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم
وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة

وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن
علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل دعه فانه قد لجأ اليك فتركوه واخرجوه
من مكة فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه
وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ والقي في البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما عرفك
واوحى به اليك ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته
خصيما مخاصما للبراء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على امر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فاحكم به ولا
تكن الخ واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت
معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما
هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم شركاء له في الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة
مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس
لتخصيصه بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم
ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم
وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون
ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية
محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا
بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة
مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى
هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم
وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من باس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به
غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك
والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما
كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدتهم لاثار
المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما تر ومن يكسب اثما من الاثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره
ووباله الى الغير فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا واجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا
للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب
وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي يقذف
به ويسند وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما
وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى وثم للتراخي في الرتبة بريئا اي مما رماه به ليحمله
عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته على البريء بهتانا وهو الكذب على الغير
بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا
فاحشا وهو صفة لاثما وقد اكتفي في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كانه قيل بهتانا لا يقادر قدره
واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن امر واحد هو رمي البريء بجناية
نفسه قد عبر عنه بهما تهويلا للامر وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فان رمي البريء
بجناية ما خطيئة كانت او اثما بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون الذنب
بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البريء منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك
قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة ويكون تلك الجناية للرامي يتفاوت
ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة الى رمي البريء والا لكان الرمي بغير جنايته مثله في العظم
ولا بمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمي بغير جنايته مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله
على قصد تحميل جنايته على البريء واجراء عقوبتها عليه كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من
الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر فمع بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة
نفسه الى رمي البريء يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته
باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالتوبة والعصمة لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون

عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطايفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا تكسر اصنامنا ولا تعشرنا فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يضلوك اى بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بجلية الامر والجملة جواب لولا وانما نفى همهم مع ان
المنفي انما هو تاثيره فقط ايذانا بانتفاء تاثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة
وقيل الجواب محذوف اى لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستانفة اى لقد همت طايفة الخ وما يضلون الا انفسهم
لاقتصار وبال مكرهم عليهم من غير ان يصيبك منه شي والجملة اعتراض وقوله عز وجل وما يضرونك من شي
عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اى وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك
واما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القايلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف
ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اى القران الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي
من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم
ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة لا خير
في كثير من نجواهم اى في كثير من تناجي الناس الا من امر الا في نجوى من امر بصدقة او معروف وقيل المراد
بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني واياما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا
على معنى لكن من امر بصدقة الخ ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف
الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة
الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع
الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم او بمحذوف هو صفة له اى كاين بين الناس
عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم
فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام
الثلثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه
الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير
اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح
فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها
اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر به للدلالة على خيريته بالطريق
الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه حسن المامور به وقبحه بحيث ثبت خيرية الامر بها بالامور المذكورة فخيرية فعلها
اثبت وفيه تحريض للامر بها على فعلها او اشارة الى الامر بها كانه قيل ومن يامر بها والكلام في ترتب الوعد على فعلها كالذي
مر في الخيرية فان استتباع الامر بها للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق ابتغاء مرضات الله
علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نوتيه
بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان
الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤوا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الاتي بذلك من بعد ما تبين له الهدى ظهر
له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المومنين اى غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو
الدين القيم نوله ما تولى اى نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم
اى ندخلها اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اى جهنم وفيه دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد اى لقصة طعمة
وقد مر موته كافرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم
اوقع المعاصي جراة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تايب مستغفر فما ترى
حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها
عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد
افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يدعون اى ما يعبدون من دونه تعالى الا اناثا
هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن حي من احياء العرب الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى
بني فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها
على هيئات النسوان وقيل المراد الملايكة لقولهم الملايكة بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتانيث اسمائها او لانها

الاصل جماد والجمادات تونث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها وايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط
حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع الانثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد وانثا ايضا على انه جمع انيث
كقليب وقلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد و
اسد على الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا
اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير
واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا
وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا
القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما
يعبدونها ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة
للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلثة الاول انه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشي من الخير والهدى فيكون
طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال
والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته
والمفروض المقطوع اى نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة
لطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام اى فليقطعنها بموجب امري
ويشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحاير والسوايب ولامرنهم فليغيرن
ممتثلين به خلق الله عن نهجه صورة او صفة وينتظم فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والو
والوشم ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهايم لمكان الحاجة وهذه الجمل
المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمامور به في الموضعين
محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امره الله تعالى
به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع راس ماله بالكلية واستبدل بمكانه
من الجنة مكانه من النار يعدهم اى ما لا يكاد ينجز ويمنيهم اى الاماني الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية
على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها
وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة
اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اى وعدا ذا غرور او مصدر
على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك
اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدا وقوله تعالى
ماواهم مبتدا ثان وقوله تعالى جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا اى معدلا ومهربا
من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلص ونجا وقيل المحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من
محيصا اى كاينا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل
فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قرن وعيد الكفرة بوعد المومنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة اولئك وعد الله حقا اى وعده وعدا وحق
ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول
بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقا على انه
حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة مواعيد الشيطان
الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر
كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد
وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اى ليس ما وعد الله من الثواب يحصل
بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم اماني اهل الكتاب في
سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم
كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة
حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان
المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم فقال
المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويويده

تعدم ذكرهم اي ليس الامر قبل كتابكم ولا اماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن
خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به
عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما تحزن او تمرض اما يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله اي
مجاوزا موالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات اي بعضها
وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن
للبيان او من الصالحات فمن للابتداء اي كائنة من ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء
الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع
باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار
اليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اي لا
ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان لا يزاد
عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن
احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود
وقيل اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن
فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف المطرد
والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم و
افضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن
منقول من المبتدا والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين
لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما تنتهي اليه القوة البشرية وهو محسن اي آت بالحسنات
تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد
فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم
واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الاديان الزائغة
وهو حال من فاعل اتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة
الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام في موقع الاضمار لتفخيم شانه عليه السلام والتنصيص على انه الممدوح
وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل
واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة
بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع ملته عليه السلام
فان من بلغ في الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد
اليه اعناق الهمم واشرف ما يرنو نحوه احداق الامم قيل انه عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت
الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا
ما اصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منه الغرائر حياء من الناس
وجاؤوا بها الى منزل ابراهيم عليه السلام والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم بالقصة فاغتم
لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه ونام وعمدت سارة الى الغرائر فاذا
فيها اجود ما يكون من الحواري واختبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستنبه ابراهيم فاشتم رائحة الخبز
فقال من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله عز
وجل خليلا ولله ما في السموات وما في الارض جملة مبتداة سيقت لوجوب طاعته تعالى على اهل
السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء
منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا وشرا وقيل بيان ان اتخاذه تعالى على اهل السموات والارض
ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى مطلقا لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى
ذلك في شان من شؤونه كما هو داب الادميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم
بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه
عليه السلام للخلة بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله تعالى

وكان

وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع
الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك اكمل تقرير ويستفتونك في النساء اي في
حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الاتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه عليه السلام قد سئل عن احوال
كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين
ههنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب باسناد الافتاء الذي هو تبيين
المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى واما ما تلي من الكتاب فيما سبق باعتبار دينه على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه
بعطف ما على المبتدا او ضميره في الخبر لكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان
باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اي يتلى كائنا
فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة
لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل في الحقوق المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة
عليها مما يتلى حينئذ متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم
به وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه
السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى في يتامى النساء
على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شانهن وعلى الاخيرين بدل من فيهن وهذه
الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن اي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية
وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتاويل وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك
فائدة الا اذا اريد بما كتب لهن صداقهن ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل
كل مالهن او في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها من انها اليتيمة
تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان
يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك ما روي عنها رضي الله عنها انها يتيمة يرغب و
ليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها رضي الله عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة
وهو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في ~ فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله
بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى
وان خفتم وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تاكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم
وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الاية
والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا
في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوامين بالامور روي ان عيينة
ابن حصين الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت
النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت
وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا
بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز
نصبه باضمار فعل اي ويامركم وهو خطاب للولاة او للاولياء والاوصياء وما تفعلوا في حقوق المذكورين
من خير حسبما امرتم به او ما تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان
الله كان به عليما فيجازيكم بحسبه وان امراة خافت شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام اي ان
توقعت امراة من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا
بان يقل مجالستها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب فلا جناح عليهما حينئذ ان يصلحا
بينهما صلحا اي في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين
كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة او بان تهب له شيئا تستميله وقرئ
يصالحا من يتصالحا ويصلحا من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير
على انه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحا وتصالحا او اصطلاحا
حسبما قرئ الفعل او بفعل مترتب على المذكور او فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتنوين

لنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها الاخذ الذى هو مظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة
للمعطي والاخذ والصلح خير اى من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من الخيور
فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى واحضرت الانفس الشح اى جعلت حاضرة له مطبوعة
عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المراة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه تحقيقا
للصلح وتقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعى التمادي فى المماكسة والشقاق
بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المراة على بذل بعض
حقوقها اليه لاستمالته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان يقتنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير
فيتحقق بذلك الصلح وان تحسنوا فى العشرة وتتقوا النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية
اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان بما
تعملون اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فى ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم
على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفى خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن ذلك رعاية
حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم
عليه من لطف الاستمالة والترغيب فى حسن المعاملة ما لا يخفى روى انها نزلت فى عمرة بنت محمد بن مسلمة
وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهى شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت فى ابي السايب كانت له امراة قد كبرت وله منها اولاده
فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت
وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك
فنزلت ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اى محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما
الى جانب احداهن فى شان من الشئون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم
يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفى رواية وانت اعلم بما لا املك يعني
فرط محبته لعائشة رضى الله عنها ولو حرصتم اى على اقامة العدل وبالغتم فى ذلك فلا تميلوا كل الميل
اى فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم
تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اى التى ملتم عنها كالمعلقة التى
ليست ذات بعل او مطلقة وقرئ كالمسجونة وفى الحديث من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيمة
واحد شقيه مايل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله كان
غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ يتفارقا اى وان يفارق
كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما اى يجعله
مستغنيا عن الاخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه
وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه وقوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض اي
من الموجودات كاينا ما كان من الخلايق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستانفة منبهة على كمال سعته وعظم
قدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى امرناهم فى كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم
من الامم واللام فى الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله
اى وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان يكون مفسرة
لان التوصية فى معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض حينئذ من تتمة
القول المحكى اى ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الخ وعلى تقدير كون ان مصدرية مبنى الكلام
ارادة القول اى امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الاية وقيل هى جملة مستانفة خوطب بها
هذه الامة واياما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الاية بل هو الامر بعلمه كانه قيل
وان تكفروا فاعلموا ان لله ما فى السموات وما فى الارض من الخلايق قاطبة مفتقرون اليه فى الوجود وساير
النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع فلا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد
قرر ذلك بقوله تعالى وكان الله غنيا اى عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا فى ذاته حمدوه او لم يحمدوه
فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما فى
السموات وما فى الارض كلام مبتدا مسوق للمخاطبين توطية لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول
المحكى اى له سبحانه ما فيهما من الخلايق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيفما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى

بالله

وكفى بالله وكيلا فى تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشا يذهبكم ايها الناس
اى يفنكم ويستاصلكم بالمرة ويات باخرين اى يوجد دفعة مكانكم قوما اخرين من البشر او خلقا اخرين مكان
الانس ومفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء اى ان يشا افناكم وايجاد اخرين يذهبكم الخ يعني ان
ابقاكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيته المبنية على الحكم البالغة
بافنايكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك اى افنايكم بالمرة وايجاد اخرين
دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه كما فيما توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد
ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اى ان يشا يمتكم ويات بناس
آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى فان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما
نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد
ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اى فعنده تعالى ثوابهما ان اراد
فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من
جاهد خالصا لوجه الله لم تخطئه الغنيمة وله فى الاخرة ما هى فى جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين
فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد الاخرة نزد له فى حرثه الاية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات
والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها
الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين فى العدل واقامة القسط فى جميع الامور مجتهدين فى ذلك حق
الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم
اى ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان
ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه او الوالدين والاقربين
اى ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى فى العادة رضاه ويتقى سخطه
او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة
قوله تعالى فالله اولى بهما عليه اى فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى
اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم
فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اى مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذى حقه
ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اى السنتكم
عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تاتوا بها لا على وجهها وقرئ وان تلوا من الولاية والتصدى اى وان
وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا اى عن اقامتها راسا فان الله كان بما تعملون من لى الالسنة والاعراض
بالكلية او من جميع الاعمال التى من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة و
عيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد يا ايها الذين امنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى
امنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا
عليه او ازدادوا فيه طمانينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب
الثانى الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب
منزل منه تعالى على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار
الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرايعها باقية بالكلية
ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب
المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الان من
الشرايع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر فى
تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب
لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلمة وابن اخيه سلامة واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس
ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله ورسوله محمد
وكتابه القران وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب
المتناول للتورية مع انهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان ما يعم انشاءه والثبات عليه
ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كانه قيل امنوا بالكل ولا تخصوا بالبعض بل لان

المامور به انما هو الايمان بما في ضمن الايمان بالقران على الوجه الذي اشير اليه آنفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وامر كل طائفة بالايمان بكتابه في ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما انه بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسل في انزال الكتب ان الذين آمنوا قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا عند عوده اليهم ثم كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر و يثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان عندهم اهون شيء وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اي مريدا ليغفر لهم وقوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان المراد بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكم بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد عليه السلام فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لرايهم وابطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي ايطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رايهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد العزة في جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله جميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدا وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي يستدعيه تعديد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم وغاية استعصائهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه واكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب اي القران الكريم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هي المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزا بها عطف عليه داخل في حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر بها اي نزل عليكم في الكتاب انه اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزا بها الخ وفيه دلالة على ان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وان خوطب به خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزا بها انكم اذا مثلهم جملة مستانفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدا و الخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب و افراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن

كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية اي في مثل حالهم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بما خذ الاشتقاق و اما الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون بكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض اخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اي ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى فان كان لكم فتح من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص يستدعي شيئا ينتظر المتربص وقوعه قالوا اي لكم الم نكن معكم اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا اي للكفرة الم نستحوذ عليكم اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المؤمنين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم باضمار ان فالله يحكم بينكم يوم القيمة حكما يليق بشان كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدا سيق لبيان طرف اخر من قبائح اعمالهم اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الاخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليحسبوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة اما استيناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراؤن الخ او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن ولا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل او الا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمراى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اي مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او رايهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة واخرى في اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين او لا صائرين الى الاولين ولا الى الاخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له ومن يضلل الله لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدور نفسه كما في قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم الخ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد

والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ
بفتح الراء وهو لغة كالسطر وبعضهم أن جمعه ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق
إلا الذين تابوا أي عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر وأصلحوا ما أفسدوا
من أحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله أي وثقوا به وتمسكوا بدينه وأخلصوا دينهم أي جعلوه خالصا
لله لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه فأولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من
معنى البعد للإيذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين أي المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر
عنهم نفاق أصلا منذ آمنوا وإلا فهم أيضا مؤمنون أي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين
ذلك بقوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله
بعذابكم إن شكرتم وآمنتم استئناف مسوق لبيان مدار تعذيبهم وجودا وعدما إنما هو كفرهم لا شيء آخر
فيكون مقررا لما قبله من إثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على أبلغ وجه وآكده أي أي
شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثار أم يستجلب به نفعا أو يستدفع
به ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني المتعالي عن أمثال ذلك وإنما هو أمر يقتضيه كفركم فإذا زال
ذلك بالإيمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الإيمان لما أنه طريق موصل إليه فإن
الناظر يدرك أولا ما عليه من النعم الأنفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى إلى معرفة المنعم
فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضى
باليسير من طاعة عباده وإضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من
جملتها شكركم وإيمانكم فيستحيل أن لا يوفيكم أجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته تعالى
لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء أي لا يحب الله تعالى
أن يجهر أحد بالسوء كائنا من القول إلا من ظلم أي إلا جهر من ظلم بأن يدعو على ظالمه أو يتظلم منه ويذكره
بما فيه من السوء فإن ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم
ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت
وقرئ إلا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع أي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء
وكان الله سميعا بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من
جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء إن تبدوا خيرا أي خير كان من الأقوال
والأفعال أو تخفوه أو تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في إبداء
الخير وإخفائه لما أنه الحقيق بالبيان وإنما ذكر إبداء الخير وإخفاؤه بطريق التسبيب له كما ينبئ عنه قوله
عز وجل فإن الله كان عفوا قديرا فإن إيراده في معرض جواب الشرط يدل على أن العمدة هو العفو مع
القدرة أي كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته
على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو أقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب
من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا على إيصال الثواب إليه إن الذين يكفرون بالله ورسله أي يؤدي
إليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا أنهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون أن يفرقوا
بين الله ورسله أي بأن يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بأن يصرحوا بالإيمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة
بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض أي نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر
ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذاك إلا كفر بالله تعالى
ورسله وتفريق بين الله تعالى ورسله في الإيمان لأنه تعالى قد أمرهم بالإيمان بجميع الأنبياء وما من نبي
من الأنبياء إلا وقد أخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد
كفر بالكل وبالله تعالى أيضا من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك أن يتخذوا بين ذلك أي بين
الإيمان والكفر سبيلا يسلكونه مع أنه لا واسطة بينهما قطعا إذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق
إلا الضلال أولئك الموصوفون بالصفات القبيحة هم الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه
ويسمونه إيمانا أصلا حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي حق ذلك أي كونهم كاملين في الكفر حقا أو صفة
لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا أي ثابتا يقينا لا ريب فيه وأعتدنا للكافرين أي لهم وإنما
وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم أو لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا أوليا
عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله على الوجه الذي بين في تفسير قوله تعالى

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية ولم يفرقوا بين أحد منهم بأن يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما
فعله الكفرة ودخول بين على أحد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة
المذكورة سوف يؤتيهم أجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن
تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف
حسناتهم يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في أحبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم إن كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح
كما نزلت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا إلينا بأعياننا بأنك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه
العظيمة إلا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا
موسى أكبر من ذلك جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا أكبر منه و
قيل تعليل للجواب أي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى أكبر منه وهذه المسألة وإن صدرت عن أسلافهم
لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون أسندت إليهم والمعنى أن لهم في ذلك عرقا راسخا
وأن ما اقترحوا عليك ليس أول جهالاتهم فقالوا أرنا الله جهرة أي أرناه جهرة أي عيانا أو مجاهرين معاينين
له والفاء تفسيرية فأخذتهم الصاعقة أي النار التي جاءت من السماء فأهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم
أي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية
مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات أي المعجزات التي أظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق
البحر وغيرها لا التوراة لأنها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وكانوا أحقاء به قيل هذا
استدعاء لهم إلى التوبة كأنه قيل إن أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم أيضا حتى نعفو عنكم
وآتينا موسى سلطانا مبينا سلطانا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن معصيتهم ورفعنا
فوقهم الطور بميثاقهم أي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي أنهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع
الله تعالى عليهم الطور فقبلوها أو ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي أنهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل
فخافوا وأقلعوا عن النقض وهو الأنسب بما سيأتي من قوله تعالى وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان موسى
عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نحدث أنه باب من أبواب بيت المقدس وقيل
هو إيليا وقيل أريحاء وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في
حياة موسى عليه السلام سجدا أي متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا أي لا تظلموا باصطياد الحيتان في
السبت وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على أن أصله تعتدوا فأدغمت التاء في الدال
لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها إلى العين وأخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه ميثاقا غليظا مؤكدا
وهو العهد الذي أخذه الله عليهم في التوراة قيل إنهم أعطوا الميثاق على أنهم إن هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى
يعذبهم بأي أنواع العذاب أراد فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتأكيد أو نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء
متعلقة بفعل محذوف أي فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من
العقوبات النازلة عليهم أو على أعقابهم روي أنهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا
ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على أن قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون
التحريم معللا بالكل ولا يخفى أن قولهم إنا قتلنا المسيح وقولهم على مريم البهتان متأخر عن التحريم ولا ساغ
لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله تعالى
وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله أي بالقرآن أو بما في كتابهم وقتلهم الأنبياء
بغير حق كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع أغلف أي هي مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل
إليها ما جاء به محمد عليه السلام أو هو تخفيف غلف جمع غلاف أي هي أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا
من غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وقال الكلبي يعنون أن قلوبنا بحيث لا يصل إليها حديث إلا وعته
ولو كان في حديثك خير لوعته أيضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه
الاستطراد مسارعة إلى رد زعمهم الفاسد أي ليس كفرهم وعدم وصول الحق إلى قلوبهم لكونها غلفا بحسب
الجبلة بل الأمر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم أو ليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب
كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه أو إلا إيمانا قليلا لا يعبأ به وبكفرهم أي بعيسى
عليه السلام وهو عطف على قولهم وإعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون
هو وما عطف عليه من أسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للإيذان

بتكرير كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر
قدره حيث نسبوها الى ما هي عنه بالف منزل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله نظم قولهم هذا
في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء
به فان وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه
الذكر الخ ولانبائه عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته
تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله و
اظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم وما قتلوه وما صلبوه حال
او اعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله
قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان
يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب
وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه
السلام فرفع عليه السلام والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل
ان طيطانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى
فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه
الله تعالى الى السماء خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه
ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم
الا قليلا وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر
على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا
على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه اي في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة
اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا
عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى عليه السلام والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه
ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه
لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد
بقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر
الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل و
ما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا كما في قولك من
قال كذلك يخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي خبرا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا
بالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفي ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله
اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده حكيما في جميع افعاله فيدخل
فيها تدبيراته تعالى في امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا وان من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى
وقوله تعالى الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني
والاول لعيسى عليه السلام اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه
بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل
موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسره كذلك فقال له عكرمة
فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق
او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها
الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه
فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله
اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله
او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي و
قال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين
صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء
جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى عليه السلام والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى

اصـ

احد الا ليؤمنن به قبل موته روي انه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا
يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال ويقع الامنة حتى
ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى
محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة يكون اي عيسى عليه السلام عليهم على اهل الكتاب شهيدا فيشهد
على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا
لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا من عبادة العجل
مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اي بسبب
ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ولمن قبلهم لا لشيء
غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات
التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه و
يقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا
فكذبهم الله تعالى في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اي في ادعائكم انه تحريم
قديم روي انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التورية لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم
كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا
واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة
المنهي عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اي للمصرين
على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم عذابا اليما سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم
لكن الراسخون في العلم منهم استدراك من قوله واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا
وآجلا اي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد
به عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ
في العلم بطريق العطف المبني على المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف
الذاتي وقوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك حال من المؤمنون مبينة لكيفية ايمانهم وقيل
اعتراض مؤكد لما قبله وقوله تعالى والمقيمين الصلوة قيل نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين الصلوة
على ان الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء عليهم
السلام اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء او الملائكة قال مكي اي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة
لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اوليك اي يؤمنون بما انزل اليك
والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين
الصلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير
الذاتي وكذا الحال فيما سياتي من المعطوفين فان قوله تعالى والمؤتون الزكوة عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل
ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم الآخر فان المراد بالكل مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا
بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم
رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ثم بكونهم مؤمنين بالمبدأ والمعاد
تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين
بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجليلة وما فيه
من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى سنؤتيهم اجرا عظيما
خبره والجملة خبر للمبتدأ الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتاكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا
انسب بتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل
اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما واما ما جنح اليه الجمهور
من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك الخ خبرا للمبتدأ ففيه كمال السداد خلا انه غير متعرض لتقابل الطرفين
وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين

من بعده جواب لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه
ليس بدعا من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان ساير مشاهير الانبيا الذين لا ريب لاحد
في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى ايحاء مثل ايحاينا الى نوح او على انه حال من ذلك
المصدر المقدر معرفا كما هو راى سيبويه اى اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحاينا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما
بدئ بنوح لانه ابو البشر الثاني واول نبي شرع الله على لسانه الشرايع والاحكام واول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد
اهلك الله تعالى بدعايه اهل الارض واوحينا الى ابراهيم عطف على اوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه
اى وكما اوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى وايوب ويونس
وهارون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى
من كان عدوا لله وملايكته وجبريل وميكال وتصريحا بمن ينتمي اليهم اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير
الايحاء والتنبيه على انهم طايفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي وآتينا داود زبورا قال القرطبي
كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله عز
وجل وقرئ بضم الزاء وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب
الايحاء ثم اشير الى تحقيقها في مطلق الايحاء اى وكما آتينا داود زبورا وايثاره على واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة
في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحقيقها في امر لازم لها لزوما كليا
وهو الارسال فان قوله تعالى ورسلا نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه
كما قبله اى وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى قد قصصناهم عليك اى وقصصنا رسلا كما قالوا وزعموا
عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من
الاعراب فانه مما لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا اى قصصنا
من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب
بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة
بين شانه صلى الله عليه وسلم وبين شون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايحاء ثم في
ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كانه قيل
انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابراهيم ومن بعده واتيناك الفرقان ايتاء
مثل ما ايتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم
نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسالونك
شيئا لم يعطه احد من هولاء الرسل عليه السلام ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه
يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور ذلك الاحتجاج على الكفرة
ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا
اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول يقتضي تقديره
نفسه في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ
على القلب وقوله تعالى تكليما مصدر موكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى
الانسان كلاما باى طريق وصل ما لم يوكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة
على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير
قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به
من بينهم موسى فلم يكن ذلك قادحا في نبوة ساير الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التورية عليه عليه السلام
جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من
جملتها ان بني اسرايل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما
آمنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل
واحد منهم صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على
الحال بان يكون رسلا موطيا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اى مبشرين لاهل الطاعة بالجنة و
منذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على الله حجة اى معذرة يعتذرون بها قايلين لولا ارسلت الينا رسولا
فيبين لنا شرايعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز
اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا

رسولا

رسولا فنتبع آياتك الاية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل
ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي
لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله تعالى
لذلك حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما
احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى
مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اى كاينة على الله
او هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز
التعلق بحجة لان الظرف يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا لا
يغالب في امر من اموره ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسالة المتعنتين حكيما في جميع افعاله التي من
جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرايع
والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى براهم
على انحاء شتى واطوار متباينة حسبما يقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشانهم ويقتضيه
احوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرايع والاحكام حسبما يستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في
ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسوال تنزيل
الكتاب جملة اقتراح فاسد اذ جنبه لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة
وهو استدراك عما يفهم مما قبله كانه لما تعنتوا عليه بما سبق من السوال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك
كما اوحينا الخ قيل انهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على البناء
للمفعول والباء صلة للشهادة اى يشهد بحقيقة ما انزل اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله
تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انزله بعلمه اى ملتبسا بعلمه الخاص الذي
لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نمط بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزل عليه واستعداده لاقتباس الانوار
القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى
الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى والملايكة يشهدون اى بذلك مبتدا
وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اى انزله والملايكة يشهدون بصدقه وحقيته
وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها
ان الذين كفروا اى بما انزل الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوليا
والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة
محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا
بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه
ان الذين كفروا وظلموا اى محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع
غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق
المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي
طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المودية بهم
الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيمة بواسطة الملايكة
والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة
من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها ابدا
وقوله ابدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اى جعلهم في جهنم
على الله يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها الناس بعد ما حكى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير
رسالته ببيان ان شانه عليه السلام في امر الوحي والارسال كشون من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء
عليهم السلام واكد ذلك بشهادته تعالى وشهادة الملايكة امر المكلفين كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان
بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد
عذر في عدم القبول وقوله عز وجل قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود
به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتاكيد وجوب طاعته والمراد بالحق

[illegible]

هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق ومن ايضا
متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم
ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في قوله عز وعلا فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي
فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي
الخليل وسيبويه اي اقصدوا او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي
الفراء اي آمنوا ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط الصناعي وهو رأي
الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان خيرا لكم وان تكفروا اي ان تصروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما في
السموات والارض من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه وآكده او
خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له تعالى خلقا
وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شانه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان
كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه
وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا
حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب
وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شان
عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشدة
فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول
والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره في سورة آل عمران
وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف
بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله
تعالى رسول الله خبر للمبتدأ والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر
بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله اي مكون
بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم اي اوصلها اليها وحصلها فيها
بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اليها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم قيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمة من معنى
المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع
مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما
زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال
له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع
النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة
لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بامره سبحانه وقيل
سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمي بها القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف
شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف
بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى في الذكر مع تاخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في
الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التاويل
الزائغ فآمنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم
بوصفه بالالوهية ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبي عنه قوله تعالى أأنت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب
واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث
الحياة انتهوا اي عن التثليث خيرا لكم قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات منزه عن
التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الهيته سبحانه ان يكون له ولد اي

اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله
سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض
جملة مستانفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته
شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا اي يكل كل
الخلق امورهم وهو غني عن العالمين فاني يتصور في حقه تعالى اتخاذ الولد الذي هو شان العجزة المحتاجين في تدبير
امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف
الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن وجهك بالاصبع اي لن يانف ولن يترفع ان يكون عبدا لله
اي عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى
مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع ان شانه عليه السلام المباهاة به كما يدل
عليه احواله وتفصح عنه اقواله اولا ترى ان اول مقالة قالها للناس قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا
لوقوعه في موقع الجواب عما قالته الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال
ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا
بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبدا لله تعالى دون ان يقال عن عبادة الله و
نحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبدا له تعالى حالة
مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف منه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كالاثر
اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم
الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي لا يستنكف
الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله وقيل اريد بالملائكة كل واحد منهم لئلا يحتاج الى التقدير واحتج بالآية من
زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك
يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه
السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه
السلام وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه
عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام و
عالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية
وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبان الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على
عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه لما قالوا حينئذ وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله اريد بالعطف
المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس
ولئن سلم ارادة التفضيل فغايته الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش او
من هو اعلى منهم رتبة من الملائكة عليهم السلام على المسيح من الانبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل
احد الجنسين على الآخر مطلقا وهل التشاجر الا فيه ومن يستنكف عن عبادته اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة
لعدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم الى انكار اتصافهم به ان قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف
عنها مع ان ذلك منهم كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا استنكفوا
عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو الا استنكاف عن طاعة الله عز وجل اذ لا امر له عليه السلام سوى
امره تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يونف عنه واصله طلب
الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده
كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان ماله محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر
عن مثل ذلك بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت
العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك
بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبي عن توهم لحوق العار
والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا اي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح
والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين في المفصل تعويلا على انباء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء
حشر احدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما
الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء

للكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير فيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فيحشرهم اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الاتى اعتبار حشر الكل فى الاجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهى لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق المطوى ذكره فى الاجمال قدم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا معتبرا فى الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم اجورهم من غير ان ينقص منها شيئا اصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا اى عن عبادته تعالى واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلى امورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من باسه تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة التى تخرس الجبال وازاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد جاءكم اى وصل اليكم وتقرر فى قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القران الدال على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه من الاحكام التى من جملتها ما اشير اليه مما اثبته الايات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه النبى صلى الله عليه وسلم عبر عنه به لما معه من المعجزات التى تشهد بصدقه وقيل هى المعجزات التى اظهرها وقيل هو دين الحق الذى اتى به وقوله تعالى من ربكم اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثانى كونها تبعيضية بحذف المضاف اى كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم وانزلنا اليكم نورا مبينا اريد به ايضا القران الكريم عبر عنه تارة ٥ بالبرهان لما اشير اليه آنفا واخرى بالنور المنير بنفسه المنور لغيره ايذانا بانه بين بنفسه مستغن فى ثبوت حقيته وكونه من عند الله تعالى باعجازه غير محتاج الى غيره مبين لغيره من الامور المذكورة واشعارا بهدايته للخلق باخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف المبنى على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجئ المسند اليه المنبئ عن كمال قوته فى البرهانية كانه يجئ بنفسه فيثبت احكامه من غير ان يجئ به احد ويجئ على شبه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملابس بحيثية كونه نورا توفيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القران العظيم واما على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يده او عن الدين الحق فالامر هين وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان الى النبى صلى الله عليه وسلم لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته عليه السلام وانما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما فى قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظائره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم مبالغة فى الاعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر وللمحافظة على فواصل الاى الكريمة فاما الذين آمنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذى اتاهم واعتصموا به اى عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان وغيره فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل قال ابن عباس رضى الله عنهما هى الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن افاضة الفضل بالادخال على طريقة قوله علفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل تفخيمى ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم اليه اى الى الله عز وجل وقيل الى الموعود وقيل الى عبادته صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب فى الوجود بين ٥ الموعودين للمسارعة الى التبشير بما هو المقصد الاصلى قيل انتصاب صراطا على انه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اى يعرفهم صراطا مستقيما يستفتونك اى فى الكلالة استغنى عن ذكره بوروده فى قوله تعالى قل الله يفتيكم فى الكلالة وقد مر تفسيرها فى مطلع السورة الكريمة والمستفتى جابر بن عبد الله رضى الله عنه يروى انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق مكة عام حجة الوداع فقال ان لى اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى وروى عنه رضى الله عنه

انه

انه قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضا وصب من وضوئه على فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثنى كلالة فنزلت وقوله تعالى ان امرؤ هلك استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى ليس له ولد صفة له وقيل او حال من الضمير فى هلك ورد بانه مفسر للمحذوف غير مقصود فى الكلام اى ان هلك امرؤ غير ذى ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر فى الكلالة ثقة بظهور الامر ولا له تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى وله اخت عطف على قوله ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه فى صدر السورة الكريمة فلها نصف ما ترك اى بالفرض والباقى للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة وهو اى المرء المفروض يرثها اى اخته المفروض ان فرض هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها فى الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس فى الآية ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وانما دلت على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية الاولى اى اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة والتانيث والتثنية باعتبار المعنى وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر فى اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اى من يرث بطريق الاخوة اخوة اى مختلطة رجالا ونساء بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث فللذكر اى فللذكر منهم مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل من كتاب الله تعالى فى الاحكام روى ان الصديق رضى الله عنه قال فى خطبته ان الآية التى انزلها الله تعالى فى سورة النساء فى الفرايض فاولها فى الولد والوالد وثانيها فى الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية التى ختم بها السورة فى الاخوة والاخوات لابوين او لاب والآية التى ختم بها سورة الانفال انزلها فى اولى الارحام يبين الله لكم اى حكم الكلالة او احكامه وشرايعه التى من جملتها حكمها ان تضلوا اى كراهة ان تضلوا فى ذلك وهذا راى البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائى والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا فى طرفى ان اى لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اى لئلا تزولا وقال ابو عبيدة رويت للكسائى حديث ابن عمر رضى الله عنه وهو لا يدعون احد على ولده ان يوافق من الله اجابة لئلا يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الآية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائى واضرابه فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الخ وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اى يبين لكم ضلالكم الذى هو من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطاء والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك والله بكل شئ من الاشياء التى من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ فى العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية مائة وعشرون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوهما مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع فى تفصيل الاحكام التى امر بايفائها وبدئ بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اى احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية المعدودة فى سورة الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هى المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة فى الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المتضايفين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التى بين احلالها فيما سبق المماثلة لها فى مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما

سورة المائدة

يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام اى الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما
يتلى عليكم آية تحريمه غير محلى الصيد اى الاصطياد فى البر او اكل صيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى
عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شايع فى الكتاب والسنة وقوله وانتم حرم اى محرمون حال من الضمير فى
محلى وفايدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الانعام
ونظايرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على
التقدير الاول فغايته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد فى حالة
الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل
ما يغنيكم عنها فى بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفى اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول
المراد بان يقال غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية الامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها
القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما توجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا
مع ما فى ذلك من وصفهم بما هو اللايق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما يقتضيه مشيته المبنية
على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا
وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظايرها التى سيأتى بيانها يا ايها الذين
امنوا لا تحلوا شعاير الله لما بين حرمة احلال الاحرام الذى هو من شعاير الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال
ساير الشعاير واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب فى احلالها وهى جمع شعيرة وهى اسم لما اشعر
اى جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والطواف والمسعى والافعال التى هى علامات الحاج
يعرف بها من الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين
بها وان يحدث فى اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعاير الله فانها
اى دينه وقيل حرمات الله وقيل فرايضه التى حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام ولا
الشهر الحرام اى لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسئ والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج
وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس ولا الهدى بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله و
هو ما اهدى الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية كجدى وجدية ولا القلايد هى جمع قلادة وهى ما يقلد
به الهدى من نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له والمراد النهى عن التعرض لذوات القلايد من
الهدى وهى البدن وعطفها على الهدى مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل و
ميكاييل على الملايكة عليهم السلام كانه قيل والقلايد منه خصوصا او النهى عن التعرض لنفس القلايد مبالغة
فى النهى عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلايدها فضلا عن ان تحلوها كما نهى عن ابداء الزينة بقوله
تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت الحرام اى لا تحلوا قوما
قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باى وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اى قتال قوم او اذى
قوم آمين الخ وقرئ ولا آمى البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حال من
المستكن فى آمين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اى قاصدين زيارته حال كونهم
طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل
او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اى فضلا كاينا من ربهم ورضوانا كذلك
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على
الخطاب فالجملة حال من ضمير المخاطبين فى لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهى عنه لا تقييد
النهى بها واضافة الرب الى ضمير الآمين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل
المبتغى وفى ذلك من تعليل النهى وتأكيده والمبالغة فى استنكار المنهى عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد
بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
سورة المايدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن رحمه الله فيها منسوخ وعن
ابى ميسرة فيها ثمانى عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى
نهى المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم تثبت بطريق دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت
فى الحطم بن ضبيعة البكرى وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وحده
ووعده ان يأتى باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان فى العام
القابل خرج من اليمامة حاجا فى حجاج بكر بن وايل ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى فسأل المسلمون

وهو الحطم بن ضبيعة البكرى

النبى صلى الله عليه وسلم ان يخلى بينهم وبينه فاباه النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا
شعاير الله الآية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من
دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع
رضوانه تعالى لكن لا يبعد فى كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما فى
ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعايره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم فى الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة
فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون
جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبى لا تحلوا نسخ
بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب فى تناول الآمين للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا
لما سيأتى من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ فيتعين النسخ كلا او بعضا ولا بد فى الوجه الاخير من تفسير
الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اى الرزق للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء
الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروى ايضا ويختص ابتغاؤه
بالمؤمنين واذا حللتم فاصطادوا تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء
موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم فى الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة فى
حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهى عن احلال قوم من
الآمين خصوا به مع اندراجهم فى النهى عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم
داعية اليه وجرم جار مجرى كسب فى المعنى وفى التعدى الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه
وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا فى كسب ما لا خير فيه وهو السبب فى ايثاره ههنا على الثانى
وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثانى فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم
بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله كما قيل وهو
شدة البغض وغاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اى لان صدوكم عام الحديبية عن
المسجد الحرام عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة فى عموم آمين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم
على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم وقد ابرز الصد المحقق فيما سبق فى معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه
على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا اى عليهم وانما حذف تعويلا على
ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلى من النهى منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعاير
لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثانى مفعولى يجرمنكم اى لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم
عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفى وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب
الاعتداء للمخاطبين لكنه فى الحقيقة نهى لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه وآكده فان النهى عن اسباب الشئ
ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية وقد يوجه النهى الى المسبب ويراد النهى
عن السبب كما فى قوله لا ارينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهى عن قوله تعالى
واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهى بالخروج عن الاحرام كانتهاء
حرمة الاصطياد به بل هى باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعاير بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لساير
الآمين بالطريق الاولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا
اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فيدخل فيه ما نحن
بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون فى كل ما هو من
مقولة الظلم والمعاصى بقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاندرج فيه النهى عن التعاون على
الاعتداء والانتقام بالطريق البرهانى واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التاءين تخفيفا وانما
اخر النهى عن الامر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود من ايجاب
ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امر بقوله تعالى واتقوا الله
بالاتقاء فى جميع الامور التى من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهى فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق
البرهانى ثم علل ذلك بقوله تعالى ان الله شديد العقاب اى لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار
الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة حرمت عليكم الميتة شروع
فى بيان المحرمات التى اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح والدم اى المسفوح

منه لقوله تعالى او دماً مسفوحاً وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له
اي من فصد له ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات
والعزى والمنخنقة اي التي ماتت بالخنق والموقوذة اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته
اذا ضربته والمتردية اي التي تردت من علو او الى بير فماتت والنطيحة اي التي نطحتها اخرى فماتت
بالنطح والتاء للنقل وقرى والمنطوحة وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرى بسكون الباء
وقرى واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما صادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم
ذكوته وفيه بقية حيوة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع
بقطع الحلقوم والمرى بمحدد وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرى بسكون الصاد واياً ما
كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي
الاصنام وان تستقسموا بالازلام جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا
قصدوا فعلاً ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان
خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعهودة ذلكم اشارة
الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته في الشر فسق تمرد وخروج عن الحد
ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك
وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها اليوم
اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت
بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد
الناقة تندق لثقلها فبركت واياً ما كان فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى يئس الذين كفروا من دينكم
اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث او غيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من الله عز
وجل وفي بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى فلا تخشوهم اي ان يظهروا عليكم
واخشون اي واخلصوا لي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او
بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان
من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى و
واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول
الصريح لما مر مرات اي اتممتها بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي
عن حج الشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرايع او بالهداية والتوفيق وقيل معنى اتممت عليكم نعمتي
انجزت لكم وعدي بقولي ولاتم نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام ديناً اي اخترته لكم من بين الاديان
وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلاً من اليهود قال له يا امير المومنين اية
في كتابكم تقرونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال اي آية قال اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي انزلت على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو قايم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروى انه لما نزلت هذه
الاية بكى عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا
كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال عليه السلام صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما لبث بعد ذلك الا احداً وثمانين يوماً فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب
ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي
فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف
لاثم قيل غير مايل ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذاً او مجاوزاً حد الرخصة او ينتزعها من مضطر آخر كقوله
تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه بذلك يسألونك ماذا احل لهم شروع في تفصيل
المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا عنها عند بيان اضدادها ولتضمن السؤال
معنى القول اوقع على الجملة فماذا مبتدأ واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما انهم يسألون بلفظ الغيبة فانه كما يعتبر
حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد لا فعلن يعتبر حال الحاكي فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسئول ما احل لهم من
المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات

ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعايد
محذوف اي وصيد ما علمتموه او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها
موصولة ايضاً والخبر كلوا وانما دخلته الفاء تشبيهاً للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضمير
المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهايم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالباً مكلبين اي
معلمين لها الصيد والمكلب مودب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب كثيراً ما يقع فيه
او لان كل سبع يسمى كلباً لقوله عليه السلام في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظ النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فاكله اسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم لما
ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرى مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال
من ضمير مكلبين او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتاديب كان العلم به الهام من الله تعالى
او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره
بزجره وانصرافه بدعايه وامساك الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا مما امسكن عليكم قد مر فيما سبق ان هذه الجملة
على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبرها واما على تقدير كونها
عطفاً على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة للمضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه
يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر فالفاء فيها كما في قوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة
او موصوفة حذف عايدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم ياكلن منه واما ما
اكلن منه فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه
واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير لان تاديبها الى هذه الدرجة متعذر
وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقاً وقد روى عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم انه اذا
اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم اي سموا
عليه عند ارساله او لما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في شان محرماته ان الله سريع الحساب
اي سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه
يواخذكم سريعاً في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل
لكم الطيبات قيل المراد بالايام الثلثة وقت واحد وانما كرر للتاكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيه حسن تكريره
والمراد بالطيبات ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله تعالى عنه نصارى
بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه والمراد بطعامهم
ما يتناول ذبايحهم وغيرها حل لكم اي حلال وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل عن ذبايح نصارى العرب
فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رحمه الله واصحابه وحكم الصابيين حكم اهل الكتاب عنده
وقال صاحباه هما صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتاباً ويعبدون النجوم
فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبايحهم
ونكاح نسايهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسايهم ولا اكلي ذبايحهم وطعامكم
حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المومنات رفع على انه
مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضاً والمراد بهن الحراير او العفايف وتخصيصهن بالذكر
للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفايف منهن
واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة رحمه الله خلافاً للشافعي رحمه الله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم اي هن ايضاً حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تحل الحربيات اذا
آتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها
التزامها واذ ظرفية عامله حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اي اذا آتيتموهن اجورهن حللن لكم محصنين
حال من فاعل آتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين
وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان اي ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر
والانثى وهو اما مجرور عطفاً على مسافحين وزيدت لا لتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفاً على غير
مسافحين باعتبار اوجه الثلثة ومن يكفر بالايمان اي من ينكر شرايع الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من
الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك وهو في الآخرة

من الخاسرين هو مبتدا من الخاسرين خبره وفي متعلقه بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه
المذكور اى خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما
قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا ما تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا يا ايها الذين
آمنوا شروع في بيان الشرايع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اى اردتم القيام
اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز
والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها او اذا قصدتم الصلوة اطلاقا لاسم
احد لازميها على لازمها الآخر وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر
للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد
فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل
الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال و
اشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من انهم كانوا يتوضؤن
لكل صلاة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روى عنه صلى الله عليه وسلم
من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان
ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا
وجوهكم اى امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين
في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما
دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من
اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل
وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها
للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء
مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين
الفعل فاوجب الشافعي اقل ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها بربع الرأس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين
بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد
محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم ونظايره وللنحاة في ذلك باب
مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه
وبين اخواته ايماء الى فضيلة الترتيب وقرئ بالرفع اى وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا اى فاغتسلوا
وقرئ فاطهروا اى فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر
بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء او على سفر
اى مستقرين عليه او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا صعيدا وقد مر تفسير الآية
الكريمة مشبعا في سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة ما يريد الله اى ما يريد
بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق في الامتثال به ولكن يريد ما يريد بذلك
ليطهركم اى لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء
فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب
الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم بشرعه
ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزايمه لعلكم تشكرون
نعمته ومن لطايف الآية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب
وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتيهما مايع و
جامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب
واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اى
عهده المؤكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من
الضمير المجرور في به او من ميثاقه اى كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته

نسخه عبارة البيضاوي
تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب

بتذكير

بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على
السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته
اليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب آدم عليه السلام واتقوا
الله اى في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ان
الله عليم بذات الصدور اى بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها
فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة
وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرايع المتعلقة بما يجري بينهم وبين
غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها
شهداء بالقسط اى بالعدل ولا يجرمنكم اى لا يحملنكم شنآن قوم اى شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا
فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض
عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا هو اى العدل اقرب للتقوى الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبيانه
بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة
فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب له اعتناء بشانه وتنبيها على انه
ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان
الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نايرة الغيظ والجملة تعليل
لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على
طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم
مغفرة واجر عظيم حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانها استيناف مبين له وقيل الجملة في موقع
المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها
ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات اصحاب
الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة وهذا من السنة السنية القرآنية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب
ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير
نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها
وقوله تعالى اذ هم قوم ظرف على الاول لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا
لتنافي زمانيهما اى اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم
اى بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد
بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم
تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند
مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة التقرير اى منع
ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة
من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك
ما روى ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات
الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم
فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا
بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف وقيل هو ما روى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله تعالى عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية
الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سالت فاجلسوه في صفة
وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره
فخرج عليه السلام وقيل هو ما روى انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاه يستظلون بها
فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام
الله تعالى فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد

اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واتقوا الله عطف على اذكروا اى اتقوه فى رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او فى كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اى عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم فى ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغايب واسنادها الى المومنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما و اظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية و بيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب فى نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستيناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات فى قوله عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا للجري على سنن الكبريا او لان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سياتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا فى البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون و قال لهم انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها وانى ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفا بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقبا واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقبا وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقبا يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب سبط افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقبا الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلثة الالف وثلثماية وثلثة وثلثين ذراعا وقد عاش ثلثة الاف سنة وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم فى الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال واربعة فلما خرج النقبا قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا الا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان هما يريان رايهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا فى فرسخ فجا عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لراسه فانتقبت فوقعت فى عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى فى السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا راسه وقال الله اى لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ماذكر من الترغيب والترهيب كما ينبى عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اى بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون وما يذرون وعلى كونهم بمرصد من قدرته ومكنته مما يحملهم على الجد فى الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمايركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقبا ملوك بني اسرائيل الذين ينقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو لا يناسب قوله تعالى لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي بجميعهم واللام موطية للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى وعزرتموهم اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير وقرئ بالتخفيف وقرئ عزرتموهم بالتخفيف و اقرضتم الله بالانفاق فى سبيل الخير او بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله عز وعلا قرضا حسنا اما مصدر موكد وارد على غير صيغة المصدر كما فى قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المفروض وقوله تعالى لاكفرن عنكم سياتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط و لادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه فى حكم الجواب متاخر عنه فى الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية فمن كفر اى برسلى او بشئ مما عدد فى حيز الشرط والفا لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب بالترهيب بعد ذلك الشرط الموكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم فى مراتب الكفر فان الاتصاف بشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فقد ضل سواء السبيل اى وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطاه خطا فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة وتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه فى النفس اى بسبب نقضهم ميثاقهم الموكد لا بشئ آخر استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هلية الشئ البسيطة على هليته المركبة للايذان بان تحققهما امر جلي غنى عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تتاثر عن الايات والنذر وقيل املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اى ردي اذا كان مغشوشا له يبس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصحح الاجترا على تغيير كلام الله عز وجل والافترا عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا اى تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا التورية وزلت اشيا منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم اى خيانة على انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اى ذات خيانة او طايفة خائنة او شخص خائن على ان التاء للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية اى على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم استثنا من الضمير المجرور فى منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اى الا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح اى ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم بيان لقبايح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبايح اليهود و جناياتهم ومن متعلقة باخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطايفتين مما يوقع فى ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطايفة الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدا محذوف قامت صفته او صلته مقامه اى ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما فى الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل اى اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك اى مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم فى قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى فى شئ او اظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا به فى تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما اتى انفا وقيل هو ما كتب عليهم فى الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا اى الزمنا والصقنا من غري بالشئ اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف

وقع حالا من مفعوله اى اغرينا العداوة والبغضاء كاينة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل
فيما قبله وقوله تعالى الى يوم القيمة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اى يتعادون ويتباغضون الى
يوم القيمة حسبما يقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزايغة المودية الى التفرق الى الفرق الثلث فضمير بينهم
لهم خاصة وقيل لهم ولليهود اى اغرينا العداوة والبغضا بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم الله بما كانوا
يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت اى يجازيهم بما عملوه
على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتاكيد الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم الجليل
لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم فى ذلك وعن المجازاة
بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب
عليها فى افادة العلم بحقيقتها حالها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس
شامل للتورية والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبايح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله
صلى الله عليه وسلم والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة
فى التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف
ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال
من رسولنا وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان اى قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج
حسبما يقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اى التورية والانجيل كبعثة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم
فى التورية وبشارة عيسى باحمد عليهما السلام فى الانجيل وتاخير كثيرا من الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية
بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع
المخاطب تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان فى المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل
تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف وقع صفة كثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها
صلتها والعايد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العايد المحذوف والجمع بين صيغتى الماضى
والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفا اى يبين لكم كثيرا من الذى تخفونه على الاستمرار حال كونه من
الكتاب الذى انتم اهله والمتمسكون به ويعفو عن كثير اى ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية
دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما ينفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفا
ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة فى حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يواخذه وقوله تعالى
قد جاءكم من الله نور جملة مستانفة مسوقة لبيان ان فايدة مجى الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا
يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور وايا
ما كان فهو تصريح بما يشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل
للمسارعة الى بيان كون المجى من جهته العالية والتشويق الى الجائى ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف
النظم الكريم كما فى قوله تعالى وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد به
بقوله وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفى على الناس من الحق او
الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه
وسلم وبالثانى القرآن يهدى به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما فى حكم الواحد او اريد
يهدى بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع
على انها صفة ثانية لكتاب او النصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه اى رضاه بالايمان به
ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اى طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبيل الله تعالى وهو
شريعته التى شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدى والحق ان انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى
واختار موسى قومه وانما يعدى الى الثانى بالى او باللام كما فى قوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم
ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فى اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اى ظلمات فنون الكفر
والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الى الله تعالى ومود
اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى
كما فى قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا ان
الله هو المسيح ابن مريم اى لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القايلون بانه تعالى قد يحل فى بدن انسان
معين او فى روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان

متعلق م

الله

الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون
هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل اى تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد
والقاما لهم الحجر والفاء فى قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ
التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف اى ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته
فمن يستطيع ان يمسك شيئا منها ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا ومن حق من
يكون الها ان لا يتعلق به ولا بشان من شؤنه بل بشىء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع
شىء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا فى حقه والمراد بالاهلاك الاماتة
والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذى نسبوا اليه الالوهية فى مقام الاضمار لزيادة
التقرير والتنصيص على ان من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفى المالكية المذكورة بالاستفهام
الانكارى عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئا من الله ان اراد الخ
لتحقيق الحق بنفى الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب فى ضمنه بالطريق البرهانى فان انتفاء المالكية المستلزم
لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه وآكده فيظهر استحالة الوهيته
قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه بان يقال فمن يملك من الله شيئا ان اراد
ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد
به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لساير المخلوقات فى كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها فى
ما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها فى ضمن من فى الارض لزيادة تاكيد
عجز المسيح ولعل نظمها فى سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت وزيادة
تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان
يهلك المسيح وامه ومن فى الارض جميعا وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله
ولله ملك السموات والارض وما بينهما اى ما بين قطرى العالم الجسمانى لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر
فيتناول ما فى السموات من الملائكة وما فى اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى
وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اى من فى الارض كذلك اى له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف
المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية
به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستانفة مسوقة لبيان بعض احكام
الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة فى امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص اى يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على
المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اى خلق يشاء فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض
واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه
اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق ساير الناس ويخلق بلا توسط
شىء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه الصلوة
والسلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من
اجرى ذلك على يده والله على كل شىء قدير اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل و
تقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة
وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اى قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت
النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابى خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقول اقارب
الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود
الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى
يتلون فى الانجيل ان المسيح قال لهم انى ذاهب الى ابى وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا فى الحنو والعطف
ونحن كالابناء له فى القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على ساير الخلق
فرد ذلك عليهم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل اى الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم
اى ان صح ما زعمتم فلاى شىء يعذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم
فى الآخرة بالنار اياما بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما
وقع وقوله تعالى بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اى

من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشآء ان يغفر له من اوليك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله ويعذب من يشآء ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم ولله ملك السموات والارض وما بينهما من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه شي منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشآء ايجادا واعداما احياء واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعآء ما زعموا واليه المصير في الاخرة خاصة لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسي بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وايثار على مبينا الماضي فيما سبق اي يبين لكم الشرايع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الايات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنعاء وما سيأتي من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجي الرسل انما هو لبيانها او يفعل لكم البيان ويبذله لكم في كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور الدين واما تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير فائدة يرده قوله عز وجل على فترة من الرسل فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان الشرايع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرايع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي كاينة من الرسل مبتدئة من جهتهم وقوله تعالى ان تقولوا تعليل لمجي الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة احكام الدين ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد انطمست اثار الشرايع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجي وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضي بان المقدر او المنوي فيما سبق هو الشرايع والاحكام لا كيفما كانت بل مشفوعة من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء بما ذكر
الفصيحة وتبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير اي نذير والله على كل شي قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام حيث كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبي ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله صلى الله عليهما وسلم وهو الانسب بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه جملة مستانفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم ببيانها ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كاينة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كاينة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوي عدد كثير واولي شان خطير حيث لم يبعث في امة من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال بحيث لا يليق ان ينسب اليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط

فانقذهم

فانقذهم الله فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما اتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشان الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة والجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا من دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم قالوا استيناف مبني على سؤال نشا من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا بمقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتاتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاتي الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبر على الامر اي اجبر عليه وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها فان يخرجوا منها بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها فانا داخلون اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة وفي الامتثال بالامر قال رجلان استيناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه قرا ابن مسعود رضي الله عنه وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام فالواو لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة واليهم يعود العائد المحذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرا يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجاش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا عليهم الباب اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من غير حاجة الى القتال فانا قد رايناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر اعدايه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التاثير وانما التاثير من عند الله العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استيناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له موسى عليه السلام يا موسى انا لن ندخلها اي ارض مصر الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم ابدا اي دهرا طويلا ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف بيان فاذهب الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك فقاتلا اي فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما حقيقة كما ينبي عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقالوا ارادا وا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هرون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبوا بقتالهم وقوله تعالى انا ههنا قاعدون يؤيد الوجه الاول وارادوا

بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر قال عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى
الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب انى لا املك الا نفسى واخى عطف على نفسى
وقيل على الضمير فى انى على معنى انى لا املك الا نفسى وان اخى لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير فى لا املك للفصل
فافرق بيننا يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين
عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اى الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم
تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على
ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة ان جعل ظرفا لمحرمة يكون التحريم موقتا لا موبدا
فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم فى هذه المدة لكن لا بمعنى
ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقى حسبما روى ان موسى عليه السلام سار بمن بقى من بنى اسرائيل الى اريحا
وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه عليه السلام وقيل لم يدخلها احد
ممن قال لن ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى عليه السلام النواشى من ذرياتهم فالموقت بالاربعين فى الحقيقة تحريمها
على ذرياتهم وانما جعل تحريما عليهم لما بينهما من العلاقة التامة التاخمة للاتحاد وقوله تعالى يتيهون فى الارض اى يتحيرون
فى البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا
قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا فى ستة فراسخ او تسعة فراسخ فى ثلثين فرسخا
وقيل فى ستة فراسخ فى اثنى عشر فرسخا روى انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان
الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد
لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق
العرك والتأديب قيل كان موسى وهرون معهم ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار لابراهيم وملئكة العذاب
عليهم السلام روى ان هرون مات فى التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلثة اشهر
ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعدما قبل دعوته على بنى اسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد ان ينجى بعض
المدعو عليهم او ذراريهم ويقدر وفاتهما فى محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح وراحة وقد قيل
انهما لم يكونا معهم فى التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بانهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق
بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم الفاسقين روى انه عليه السلام ندم
على دعائه فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدر تعلق
به قوله تعالى واذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتى من جنايات بنى اسرائيل بعدما كتب عليهم
ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات نبأ ابنى ادم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن و
الضحاك انهما رجلان من بنى اسرائيل بقرينة اخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى ادم ان يزوج كلا منهما
توأمة الاخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله
تعالى بل من جهة ادم عليه السلام فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار
على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل بالحق
متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حالا من فاعل اتل او من مفعوله
اى ملتبسا انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر فى كتب الاولين اذ قربا قربانا منصوب بالنبأ
ظرف له اى اتل قصتهما ونبأهما فى ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف اى اتل عليهم نبأ نبأهما نبأ ذلك
الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى
من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اى يعطى وتوحيده لما انه فى الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما
قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من
الاخر هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلا قال استئناف
مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه
وحسده بما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اى والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة
قال استئناف كما قبله اى قال الذى تقبل قربانه لما رأى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه
انما يتقبل الله اى القربان من المتقين لا من غيرهم وانما تقبل قربانى ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه
اى انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلى فلم تقتلنى خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذارا من

تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح
بتقواه على وجه يستدعى سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا
بباسط يدى اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا
من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة
لما فى الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتأكيد النفى بما فى حيزها من الباء للمبالغة فى اظهار براءته عن بسط
اليد ببيان استمراره على نفى البسط كما فى قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية
الايجابية كما تدل بمعونة المقام على الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك
باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفى لا قبله حتى يرد النفى على المقيد بالدوام فيرفع قيده اى والله
لئن باشرت قتلى حسبما اوعدتنى به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك فى وقت من الاوقات ثم علله بقوله
انى اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه واكده ما لا يخفى كانه قال انى اخافه
تعالى ان بسطت يدى اليك لاقتلك ان يعاقبنى وان كان ذلك منى لدفع عداوتك عنى فما ظنك بحالك وانت البادى
العادى وفى وصفه تعالى بربوبية العالمين تأكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم
خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال صلى الله عليه وسلم
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة
المعصية فى استتباع الغائلة مبالغة فى التنزه وقوله تعالى انى اريد ان تبوء باثمى واثمك تعليل اخر لامتناعه عن
المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما
فى العلية والمعنى انى اريد باستسلامى لك وامتناعى عن التعرض لك ان ترجع باثمى اى بمثل اثمى لو بسطت يدى
اليك وباثمك ببسط يدك الى كما فى قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم
اى على البادى عين اثم سبه ومثل سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمى اثم قتلى ومعنى باثمك اثمك
الذى لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات
انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب فى جواز ارادة عقوبة العاصى ممن
علم انه لا يرعوى عن المعصية اصلا ويأباه قوله عز وجل فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه
بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء
الظالمين فانه صريح فى ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد
سلك فى صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا
الاصرار على الغى والانهماك فى الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه اى وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع
وترتيب التطويع على ما حكى من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل
بعد تقرر ما يزيله من الدواعى القوية وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه فى الحقيقة امر حادث
وصنع جديد كما فى قولك وعظته فلم يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده
فى قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له و
التصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل اى على ان قتل اخيه كانه
دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم
يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا ووضع رأسه على حجر ثم شدخها بحجر اخر فتعلم منه فرضخ
رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصى عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يومئذ عشرون
سنة واختلف فى موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم وقيل فى جبل نود ولما
قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح
وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمى به فتأكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث فى
الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه روى انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره و
رجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن فى يريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثانى
ببحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسوأة اخيه جسده
الميت قال استئناف مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب
فقيل قال يا ويلتى هى كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا اوانك والويل
والويلة الهلكة اعجزت ان اكون اى عن ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخى تعجب من عدم اهتدائه الى مثل

اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاوارى بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اى فانا اوارى فاصبح من النادمين
اى على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض
فساله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث ادم بعده مائة سنة
لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل
لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد النار من
اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض اخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة
الى عظم شان القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته
وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم
المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو
وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم
من جراك فعلته اى من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه
وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل
وتقديمها عليه للقصر اى من ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شئ اخر اى قضينا عليهم وبينا انه من قتل نفسا
واحدة من النفوس بغير نفس اى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض اى فساد يوجب اهدار
دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته صلي
لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما استفيد
من كلمة او من الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف
حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معا ففي الاول
يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد
نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط بتحقق احد شيئين
مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة
ان نقيض كل شئ مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي
ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا
واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما كان
مبهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما
معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او وانتفى تحققهما
معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا بني ربما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه
لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم اثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما
قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته فحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في
قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود
الترديد على النفي فافاد نفي احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته
اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما
فكانما قتل الناس جميعا فمن قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كانما
كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك
حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله
تعالى وعذابه العظيم ومن احياها اى تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد
في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه فكانما احيا الناس جميعا
وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب
الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان
عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه اول الامر الا شان مبهم له
خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال
العناية بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه

ادل

ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اى وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالايات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا
عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته وتابيدا لتحتم المحافظة عليه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اى من بعد ما ذكر من الكتب
وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال
تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته
في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون وكذا الظرف
المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وانما دخلها على الخبر
لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اى مسرفون
في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان الاحياء وجودا وذكرا وكان
هو اقبح الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله كلام مستانف سيق
لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد المبيح للقتل قيل اى يحاربون رسوله وذكر الله تعالى
للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه
السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق
خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل اخر وقيل جعل محاربة
المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع
الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض عطف على يحاربون و
الجار متعلق به وقوله تعالى فسادا اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اى مفسدين او مفعول له اى
للفساد او مصدر موكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد واسم
مصدر قيل نزلت الاية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا
يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو امن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو امن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا
فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل
الكتاب بينهم وبين رسول الله عليه السلام عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض ولما
كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه
بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع
فقيل ان يقتلوا اى حدا من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع
ولا فرق بين ان يكون القتل باله جارحة اولا او يصلبوا اى مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا
احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم
وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما او تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف اى ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في
المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساوي قيمتها اما قطع ايديهم فلاخذ المال و
اما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه او ينفوا من الارض ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد
والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه الارض بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر
الاخافة وازالة الامن وعند الشافعي رضي الله عنه النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو
النفي من بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك
اى ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدا وقوله لهم خزي جملة من خبر مقدم على المبتدأ وقوله تعالى في الدنيا
متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على انها خبر لذلك وقيل خزي
خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة
لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة ولهم في الاخرة غير هذا عذاب عظيم لا يقادر قدره
لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدا مؤخر وفي الاخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب
لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اى كائنا في الاخرة الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص
بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما ما هو من حقوق الاولياء
من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاءوا عفوا وان احبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه
وعن علي رضي الله عنه ان الحرث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله لما ذكر عظم شان القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر المومنين بان يتقوه تعالى في كل ما ياتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار وابتغوا اي اطلبوا لانفسكم اليه اي الى ثوابه والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا يعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المامور به فانه ملاك الامر كله كما اشير اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير فالجملة ح جارية مما قبلها مجرى البيان والتاكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة لعلكم تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكراماته ان الذين كفروا كلام مبتدا مسوق لتاكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المومنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيمة باقوى الوسايل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب لو ان لهم اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الخ لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال ما في الارض اي من اصناف اموالها وذخايرها وساير منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف خلا انه عند سيبويه رفع على الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين ساير ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت جميعا توكيد للموصول او حال منه ومثله بالنصب عطف عليه وقوله تعالى معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفايدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيد لافراد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم او بالخبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدما او موخرا او بالفعل المقدر بعد لو على راي المبرد ومن نحا نحوه ولا ريب في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول والعايد الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله فاني وقيار بها لغريب اي وقيار ايضا غريب وقد جوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو توفيقا على راي المبرد ومن راى رايه وانت خبير بانه يؤدي الى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قولك هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب يوم القيمة متعلق بالافتداء ايضا لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى الفرض قد رتبهم على ما ذكر او للمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده حيث لم يقل فاتى به فرآه فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه حيث غير ذكر خروجه عليه الصلوة والسلم عليهن ورويتهن له والجملة الامتناعية بحالها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل للزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى ولهم عذاب اليم تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استيناف مسوق لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سوال نشا مما قبله كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في تضاعيف ان عذابهم عذاب النار وقيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل وما هم بخارجين منها اما حال من فاعل يريدون او اعتراض واياما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مع

وقيل يقدر موخرا وتفصيل البحث في المغني فراجعه فانه يغنيك

بالجملة الدالة بما في حيزها من الباء على تاكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى وما انا بباسط الخ وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه انفا من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته والسارق والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شان الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدا خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم او وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والماخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موضعها والمراد بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر موكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى بما كسبا على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني باقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان وقد جاز ذلك في قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه حكيم في شرايعه لا يحكم الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرايع المنطوية على فنون الحكم والمصالح فمن تاب من السراق الى الله تعالى من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته واصلح اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا يسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه ويسقطه عند الشافعي في احد قوليه ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة وكذا في قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدا والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتي من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته يعذب من يشاء ان يعذبه ويغفر لمن يشاء ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه او خبر اخر لان والله على كل شيء قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ للايماء الى انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستمرون على الخير مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التاثر من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه الموديه اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي

عن السبب كما في قوله لا أرينك ههنا يريد نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاء وقرئ يسرعون يقال اسرع في الشيء اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتداء محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومبادية للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله و من الذين الخ خبرا على ان قوله سماعون صفة لمبتداء محذوف اي ومنهم قوم سماعون الخ لادائه الى الاختصاص بما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب او في قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص و التبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر بهم وايا ما كان فالجملة مستانفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يذرون وما يأتون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الافاعيل الفاسدة المؤدية الى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم آخرين خبر ثان للمبتداء المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثلها في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي قبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مكرر للتاكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الرأي والتدبير بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده وقيل الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنايعهم وقيل خبر مبتداء محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف وان مقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون اليه عليه السلام لمن لا يحوم حوله قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم المخالطين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التورية قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى و رفع فوقكم الطور وانزل عليكم التورية فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال نعم و الذي ذكرتني به لولا خشيت ان يحرقني التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد

لم يأتوك

قال عليه السلام اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التورية على موسى هكذا انزل الله في التورية على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي ضلالته او فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها والجملة مستانفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتداء خبره قوله تعالى الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرح فنون ضلالاتهم آخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التورية وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتداء ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى ولهم في الآخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتاكيد والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية سماعون للكذب خبر آخر للمبتداء المقدر كرر تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضا خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم او بناء على ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الآكلين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا اما الرشى التي كان يأخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة وهو المشهور او ما كان يأخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما قبل ذكره انتظاما اوليا وقرئ للسحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به فان جاؤك لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة وبما فاعليهم حسبما امر به عليه السلام خوطب عليه السلام ببعض ما يبتني عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم بين الامرين فقيل هو في امر خاص وهو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فقيل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم وقيل انه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام الا لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فيشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه السلام فامنه الله عز وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه ويعظم قدرهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التورية

ان جعلت من تفعت بالظرف وان جعلت مبتدا فهو حال من ضميرها المستكن فى الخبر وقيل استيناف مسوق لبيان ان عندهم
ما يغنيهم عن التحكيم وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم كموماة ودوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل
فى حكم التعجب وثم للتراخى فى الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اى من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا لتاكيد الاستبعاد
والتعجب اى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين تذييل
مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم فى الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء
الى علة الحكم ولما انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد درجتهم فى العتو والمكابرة اى وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اى بكتابهم لاعراضهم عنه
اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين فى الايمان تهكما بهم انا انزلنا التورية كلام مستانف
سيق لبيان علو شان التورية ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدى بهم
كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون
من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التورية فان ما فيها من الشرائع
والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذى لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم
من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اى انبياء بنى اسرائيل
وقيل موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التورية
فيكون حالا مقدرة اى يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا
ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر ولان فى المؤخر
وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين
على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا
فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف فى معرض
مدح العظماء مبنى على عظم قدر الوصف لا محالة كما فى وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم
السلام ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود وبانهم بمعزل
من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام لا سيما مع ملاحظة ما وصفوا به فى قوله تعالى للذين هادوا وهو
متعلق بيحكم اى يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل
الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم
له كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة
ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف
وقع صفة لهما اى هدى ونور كائنان للذين هادوا والربانيون والاحبار اى الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين
التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضى الله عنهما الربانيون الذين يسوسون الناس
بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحدهم حبر بالفتح والكسر والثانى افصح وهو راى
الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيون اى هم ايضا
يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل فى الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم
النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب لهم فى ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اى بالذى استحفظوه
من جهة النبيين وهو التورية حيث سالوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق ولا ريب فى ان ذلك
منهم عليهم السلام استخلاف لهم فى اجراء احكامها من غير اخلال بشئ منها وفى ابهامها اولا ثم بيانها بقوله تعالى من
كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان
الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها
صلة له كالتى فى قوله تعالى بها ليلزم تعلق حرفى جر متحدى المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اى ويحكم الربانيون
والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم وسالوهم ان يحفظوه وليس المراد بسببيته
لحكمهم ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ المترتب
لا محالة على ما فى حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف
جملة على جملة اى ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذى سالهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء
اى رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا
بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير فى استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار

جميعا

جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل اى كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى
فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهى بطريق
الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهى على ما فصل من حال التورية وكونها معتنى بشانها فيما بين الانبياء ومن
يقتدى بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظائف
مراعاتها والمحافظة عليها باى وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار جرأتهم على ذلك خشية ذى
سلطان او رغبة فى الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اى اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا
من كان واقتدوا فى مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم واخشون فى الاخلال بحقوق
مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا باياتى الاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه لا بذل
الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شئ بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما
اعطى ونبذ كما فصل فى تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا باياتى التى فيها
بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ
الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة فى نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن المشترى
الذى هو العمدة فى عقود المعاوضة والمقصد الاصلى بالثمن الذى شانه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الايات
التى حقها ان يتنافس فيها المتنافسون فى معرض الالات والوسائط حيث قرنت بالباء التى تصحب الوسائل ايذانا
بمبالغتهم فى التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا ومن لم يحكم بما انزل الله كائنا
من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اى من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له
كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف ايات الله تعالى اقتضاء بينا فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها
كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدا ما بعده
خبره والجملة خبر لاولئك وقد مر تفصيله فى مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير
وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه
الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله ليشتروا به
ثمنا قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التورية عليهم اى على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بنى اسرائيل فيها
اى فى التورية ان النفس بالنفس اى تقاد بها اذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين اذا فقئت بغير حق
والانف يجدع بالانف المقطوع بغير حق والاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن تقلع بالسن المقلوعة
بغير حق والجروح قصاص اى ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم
كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين الى اخره بالرفع عطفا على محل ان
النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التى هى قولك النفس
بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرات سورة انزلناها فمن تصدق اى من
المستحقين به اى بالقصاص اى فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة فى الترغيب فيه فهو اى
التصدق كفارة له اى للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجانى اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه
ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ وهو تعظيم لما
فعل كقوله تعالى فاجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمراة من اليهود تناولا
بينا بما انزل الله من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون
المبالغون فى الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشئ فى غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام
المذكورة وقفينا على اثارهم شروع فى بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية
اى اثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اى
قفيناهم بعيسى ابن مريم اى ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال من عيسى عليه السلام واتيناه
الانجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما فى التورية وهو فى محل النصب على انه حال من الانجيل
اى كائنا فى ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج فى ذلك شواهد نبوته صلى
الله عليه وسلم ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه داخل فى حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية
لزيادة التقرير وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه فى سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا
عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدا لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التى من جملتها دلائل رسالته

صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما قرره الشريعة الشريفة من احكامه واما احكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه
بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شاهدة بنسخها وبان
احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سياتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل
الاية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ وان ليحكم
على ان ان موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى
وموعظة على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فيه
منكرا له مستهينا به فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة
ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع
مامورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب
العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته
جميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف
على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق
وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف في اليك وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب اي حال كونه مصدقا لما
تقدمه اما من حيث انه نازل حسبما نعت فيه او من حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل
بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير
الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره
متضمن للحكمة التي عليها يدور امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ
المتاخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق بصحة
ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا
العنوان جنس براسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للعهد الا ان
ذلك لا ينتهي الى الخصوصية الفردية بل الى الخصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب
السماوي ايضا حيث خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه اي رقيبا على ساير الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد
لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرايعها وما يتابد من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها
المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى
وقت مشروعيته وخرج عنها من الاحكام كونه مهيمنا عليها وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة المفعول اي هو من عليه
وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من جهته تعالى
كما في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ في الاعصار والامصار والفاء في قوله فاحكم بينهم
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات
الحكم المامور به اي اذا كان شان القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم اليك بما انزل الله اي بما
انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتعديه ببينهم للاعتناء ببيان تعميم
الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن
متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف
وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع
الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجيء الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع
الاهواء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستانف جيء به لحمل اهل الكتاب من معاصريه عليه السلام
على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل اليه من القرآن الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من
الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات
للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو
اخبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا
ضير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة
منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى
شرعتها التي عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى عليه السلام الى مبعث عيسى عليه السلام شرعتهم التورية والتي كانت من مبعث عيسى

الى

الى مبعث النبي عليهما السلام شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم الفرقان ليس الا فامنوا به واعملوا بما فيه و
الشرعة والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب
للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا اوضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا
غير متعبدين بشرايع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعتنا لا من حيث انها شرعة
للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم
من الامم في شيء من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشية محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي
لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم
متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اي ولكن لم يشا ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية
الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرايع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل
تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة
لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى
وبهذا اتضح ان مدار عدم المشية المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف
على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا
الى ما هو خير لكم في الدارين من العقايد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة
واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تاكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى و
قوله تعالى الى الله مرجعكم استيناف مسوق مساق التعليل لاستباق بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى
جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول
واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا
يبقى لكم معه شايبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي
هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عطف على الكتاب الاخبار اي انزلنا عليك الكتاب والحكم
بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتاكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية
انزال الامر بهذا الحكم بعدما مر من الامر الصريح بذلك تاكيد وتمهيد بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم
اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتاكيد التحذير بتهويل الخطب
روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم
اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا اي اعرضوا
عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بذنب توليهم عن حكم الله
عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي
كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس وان كثيرا من الناس لفاسقون
اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله افحكم الجاهلية
يبغون انكار وتعجب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايتولون عن حكمك فيبغون
حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتاكيد الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم اخر
منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة
في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن
كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي ان بني النضير
لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم
بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضل فقال عليه السلام القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ
برفع الحكم على انه مبتدا ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف
ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الخ وقرئ بفتح
الحاء والكاف اي افحاكما كحكام الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او
مساو له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله لقوم يوقنون اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور
بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها يا ايها الذين آمنوا خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين

من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سياتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار
عما نهوا عنه بقوله عز وجل لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فان تذكر اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى
الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم
لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي بعضهم اولياء بعض اي بعض كل فريق
من ذينك الفريقين اولياء بعض اخر من ذلك الفريق الاخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح
انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى راسا والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهي وتاكيد ايجاب الاجتناب عن
المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما ياتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل
على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى ومن
يتولهم منكم فانه منهم حكم مستنتج منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة
ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك
من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله تعالى
ان الله لا يهدي القوم الظالمين تعليل لكون من تولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشانهم
فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعرض لانفسهم للعذاب
الخالد ووضع للشيء في غير موضعه وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما
يؤول اليه امرهم والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين واما لكل
احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اي لا يهديهم بل يذرهم وشانهم فتراهم الخ وانما وضع موضع
الضمير الموصول ليشاد بما في حيز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة
العقد في الدين وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول
هو الانسب بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم
عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض اخر
منها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ فيرى بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل
هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض ان
يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى والمراد بهم
عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين
بانهم لا يؤمنون ان تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة وهو حال من ضمير يسارعون
والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي يدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله
بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطوننا
الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا
عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لا ابرأ اني رجل اخاف الدوائر
ولا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في نفسه
المعنى الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان ياتي بالفتح رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة
وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين
وان ياتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو راي الاخفش او على انه مفعول به وهو راي سيبويه لئلا يلزم الاخبار
عن الجثة بالحدث في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى
اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين
او امر من عنده تقطع شافة اليهود من القتل والاجلاء فيصبحوا اي اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو
عطف على ياتي داخل معه في حيز خبر عسى ربك يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي وان لم يكن فيه ضمير يعود الى
اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه
في انفسهم من الكفر والشك في امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي
كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم على اصلها وسببها ويقول الذين آمنوا كلام مبتدأ مسوق
لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشا مما سبق كانه قيل فماذا يقول
المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على ياتي باعتبار المعنى كانه قيل فعسى ان ياتي الله

بالفتح ويقول الذين آمنوا اولا وله وجه كان هذا القول انما يصدر من المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان
الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم
ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم
بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم
انهم لمعكم اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره
والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم في ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى بعض المنافقين
ايضا اهؤلاء الذين اقسموا الكفرة انهم لمعكم فالخطاب في لمعكم لليهود على التقدير الاول الا ان ليس بجهة المؤمنين
وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى القسم لكن لا بالفاظهم
والا لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون
جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة ولا يبالي بتعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين او
على المصدر لان اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة مستانفة مسوقة
من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه
بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر
الموصول مع ما في حيزه صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط
اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شان موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا حيث لم يكن لكم
دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا
يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجيبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى على انفسهم من
التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم
التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما لو اظهر المنافقون
ثم خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك
على رؤوس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين المؤمنين ولا ريب في انهم بعد اشد ما كانوا
اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا خلافه وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس
ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم في اقسامهم فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما صدر عنهم
من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ يرتدد بالفك على الحجازية
والادغام لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين
وفصل مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر
عنها القرآن قبل وقوعها وروي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها
عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي
فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض عليه السلام
من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنهما وكان يقول قتلت في
جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد
ابن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة
ابن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن
نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري
في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس
وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه
غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل فسوف ياتي الله
جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي فسوف ياتي الله مكانهم بعدما اهلكهم بقوم يحبهم اي يريد بهم
خيري الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى ويحبونه اي يريدون طاعته ويتحرزون

وبقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم تمسك لذا تعالى

عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم
هذا وقيل هم الانصار رضي الله عنهم وقيل هم الفرس لما روى انه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان
وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف من كندة
وثلاثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية اذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اى ارقاء رحماء متذللين
ومتواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين
خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى اعزة على الكافرين اى اشداء متغلبين عليهم
من عزه اذا غلبه كما في قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف
للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تاخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف
كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما ياتيهم
من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوز من ان قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر
بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ
اذلة اعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة على ما
قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى
انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في
جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل
يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز
مباشرة واو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف
الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله اى لطفه واحسانه لا انهم مستقلون
في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع
كثير الفواضل والالطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية انما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين
ان من لا يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كانه قيل لا تتخذوهم اولياء لان
بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير وانما افرد انما اولياؤكم
الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية
لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا جرى مجرى الاسم او بدل منه او نصب على
المدح او رفع عليه وهم راكعون حال من فاعل الفعلين اى يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهم خاشعون
ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان كمال رغبتهم في
الاحسان ومسارعتهم اليه وروى انها نزلت في علي رضي الله عنه حين ساله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه
كانه كان مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس
في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا اوثر
الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله
هم الغالبون حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى من اى فانهم
الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم
حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روى ان رفاعة
ابن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب
النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شانه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية
ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع عن استهزائهم بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اى المشركين
خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول وفيه اشعار بانهم ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص
الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة
ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين اولياء وجانبوهم كل المجانبة واتقوا
الله في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم مؤمنين اى حقا

فان

فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اى الصلوة او المناداة ففيه دلالة على شرعية الاذان هزوا
ولعبا بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم روى ان نصرانيا
بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام
فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقته واهله جميعا ذلك اى الاستهزاء المذكور بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون
فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة قل امر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح
صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اى قل لاولئك الفجرة يا اهل الكتاب
وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سياتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم هل تنقمون منا من نقم منه كذا اذا عابه
وانكره وكرهه ينقم من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي لغة اى ما تعيبون وما تنكرون منا الا ان آمنا
بالله وما انزل الينا من القرآن المجيد وما انزل من قبل اى من قبل انزاله من التورية والانجيل المنزلين عليكم وسائر
الكتب الالهية وان اكثركم فاسقون اى متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه
لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما
بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه وانكاره والايمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه
ابرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا لنقمه مع كونه في نفسه موجبا
لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اى ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل الا لان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من
قبل من كتبكم ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به فـ
اسناد الفسق الى اكثرهم لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون لكن لا على ان
المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون
وقيل على حذف المضاف اى واعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على ما اى ما تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا
وبانكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة والتقدير لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع اى ما تنقمون منا
الا الايمان مع ان اكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر يدل عليه المذكور اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل هو
مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة وقرئ بان المكسورة والجملة مستأنفة
مبينة لكون اكثرهم فاسقين متمردين قل هل انبئكم بشر من ذلك لما امر صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان
مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عليه السلام عقيبه بان يبكتهم
ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وينعى عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم
من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل
البيان بما ينبئ عن عظم شأن المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة الى المخبر به والتنبيه المشعر بكونه
امرا خطيرا لما ان النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر وحيث كان مناط النقم شرية المنقوم حقيقة او اعتقادا وكان مجرد النقم
غير مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بانقم من ذلك تحقيقا لشرية ما سيذكر وزيادة تقرير لها وقيل انما قيل
لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث اتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال اومن بالله وما انزل
الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبر الشرية بالنسبة الى الدين هو
منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت ان دينهم شر من كل شر اى هل اخبركم
بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وان كان في نفسه خيرا محضا مثوبة عند الله اى جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي
لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب
لما اشير اليه بكلمة ذلك اى دين من لعنه الله الخ او بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن اى بشر من اهل ذلك والجملة على التقديرين
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية اما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم واما باعتبار
التقدير فيها فكانه قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الخ وقيل في السؤال من الذي هو شر من اهل ذلك
فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول
عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى عن رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح
البينات وجعل منهم القردة والخنازير اى مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى
عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول في
منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاوليين باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لانبئكم للقصد

ه بجواز كون العيب من جهة المعيب
كقول من قال وكم من عائب قولا
صحيحا وآفته من الفهم السقيم
منه سلمه الله
تعالى

الى اثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم
وعبد الطاغوت عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت
وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اى عبد فيهم او بينهم وتقديم اوصافهم
المذكورة بصدد اثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع انه الاصل المستتبع لها في الوجود وان دلالته على شريته بالذات لان
عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية الآثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد
والعمل اما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم به واما للايذان
باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب
عليه الخ لما فهم ان علة الشرية هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت بالاضافة على انه نعت كفطن ويقظ وكذا عبد الطاغوت
وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة وبالنصب في الكل عطفا على
القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل انه مجرور على انه بدل
من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة
مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كما عرفته مقدمة سيقت امام المقصود لهز
المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما يلقي اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ منها وهو المقصود
افادته وعليه يدور فلك الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول بما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فاين
الذي يلقي اليهم عقيبها جوابا عما نشأ منها من السؤال ليحصل به الالزام والتبكيت واما الجملة الآتية فبمعزل من صلاحية الجواب
كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية للسؤال الناشئ من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال الناشئ منها يستدعي
وقوع الشر من تتمة المخبر عنه لا خبرا كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيد اتضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل
وقيل هو الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله عز وجل فيعم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تأخير ذكر عبادته عن العقوبات
المذكورة اذ لو قرنت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيت ان ما هو شر محضا
نعوم دينهم او ان من هو شر من اجل ما نقموا انفسهم بحسب ما قدر من المضافين وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة
الموضوع غير مقصودة الاثبات لدينهم ولا نفسهم عقب ذلك باثباتها لهم على وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها
لهم بجملة مستأنفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال او داخلة تحت الامر تأكيدا للالزام
وتشديدا للتبكيت فقيل اولئك شر مكانا فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اى اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون
ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اى منصرفا واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له اى اكثر ضلالا عن الطريق
المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان
دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة
والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظهرون له الايمان
نفاقا فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اى اذا جاؤكم اظهروا الاسلام وقد
دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان
من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت
ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ويتوقع ان يظهره الله
تعالى ولذلك قيل والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد شديد لهم وترى خطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا منهم من اليهود والمنافقين وقوله تعالى يسارعون في الاثم
حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء
بسرعة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الآية لما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم
يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص
بهم من الآثام والعدوان اى الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي واكلهم السحت اى الحرام خصه بالذكر
مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح لبئس ما كانوا يعملون اى لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التوراة وقيل كلهم في
اليهود وهو تحضيض للذين يقتدي بهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته اساقطهم عن ذلك مع
توبيخ لهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما لبئس ما كانوا يصنعون
وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة

كما في قوله و خلقوكم عبد الامر الذي دعدبا اي عنه الامة سيه

ظ ولا ينهون

ولذلك

ولذلك ذهب به خواصهم وكان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار
عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء في توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وقالت اليهود قال ابن عباس رضي الله عنهما
وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى
بالكفر وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة
وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله انه
سبحانه ممسك يقتر بالرزق فان كان غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد ولا غل او بسط الا
يرى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله جابر الحي يسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد سلك لبيد
هذا المسلك السديد حيث قال وغداة ريح قد شهدت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فانه انما اراد بذلك اثبات
القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيفما تشاء على طريقة المجاز من غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما
واصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة في سورة آل عمران وقيل
ارادوا ما حكي عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل
المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها
في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره ولعنوا عطف على الدعاء
الاول اى ابعدوا من رحمة الله تعالى بما قالوا اى بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما خبر بل يداه مبسوطتان
عطف على مقدر يقتضيه المقام اى كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهي
اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا ايديهم وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل
على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستأنفة واردة لتأكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا
به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكفرة العظيمة والمعنى ان ذلك
ليس لقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور فلك امر المعاش والمعاد وقد اقتضت
الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سيأتي من قوله عز وعلا ولو انهم اقاموا التوراة
والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق اى ينفق كائنا على اى حال يشاء اى كائنا على
مشيئته اى مريدا او ترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل اليك
من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك
من ربك متعلق بانزل كالى اليك كذلك وتأخيره عنه مع ان حق المبدا ان يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام
ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما في قوله تعالى وانزل لكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه الكم طغيانا وكفرا مفعول ثان للزيادة اى ليزيدنهم طغيانا
على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها
فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا والقينا بينهم اى بين
اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة العداوة والبغضاء فلا يكاد يتوافق
قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم والجملة مبتداة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر
يؤدي الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلي الى يوم القيمة متعلق
بالقينا وقيل بالبغضاء كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين
اى كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم
او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم
فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله تعالى عليهم المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا
او متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اى كائنة للحرب ويسعون في الارض فسادا اى يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر
والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في موقع المصدر اى يسعون للفساد او
يسعون سعي فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك اطفأ نائرة افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
واما للعهد ووضع المظهر مقام الضمير للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد ولو ان اهل الكتاب اى اليهود والنصارى
على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وانما ذكروا بذلك العنوان تأكيدا للتشنيع فان اهلية الكتاب توجب
ايمانهم به واقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع ومفعول قوله
تعالى آمنوا محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل

وان اكثركم فاسقون وما يحكى من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية الخ اى لو انهم مع ما صدر عنهم من فنون الجنايات قولاً وفعلاً آمنوا بما نعى عليهم الايمان به فيندرج فيه فرض ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه السلام خاصة فيأباها المقام لان ما ذكر فيما سبق وما يحكى من كفرهم به عليه السلام انما ذكر مشفوعاً بكفرهم بكتابهم ايضاً قصداً الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه السلام مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الايمان ههنا على الايمان به عليه السلام خاصة مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واتقوا ما عددنا من معاصيهم التى من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التى اقترفوها وان كانت فى غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم وتكرير اللام لتأكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت كل حد معهود ولو انهم اقاموا التورية والانجيل بمراعاة ما فيهما من الاحكام التى من جملتها شواهد نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من اقامتهما فى شئ وما انزل اليهم من ربهم من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بنى اسرائيل وتقديم اليهم لما مر من قبل وفى اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم فى الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بنى اسرائيل ككتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوة بالبشارة ببعثته صلى الله عليه وسلم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة فى شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس الفعل كما فى قولك فلان يعطى ويمنع ومن فى الموضعين لابتداء الغاية وفى هاتين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور فى فيض الفياض ما لا يخفى منهم امة مقتصدة جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان الخ فقيل منهم امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدأ باعتبار مضمونه اى بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اى بعض كائن منهم كما مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الاية اى طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم امم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير منهم مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره ساء ما يعملون اى مقول فى حقهم هذا القول اى بئسما يعملون وفيه معنى التعجب اى ما اسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف واشباهه والروم يا ايها الرسول نودى عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة تشريفاً له وايذاناً بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحى اليه بلغ ما انزل اليك اى جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائناً ما كان وفى قوله تعالى من ربك اى مالك امرك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلاءته اى بلغه غير مراقب فى ذلك احداً ولا خائف ان ينالك مكروه ابداً وان لم تفعل اى ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت رسالته فان ما لا يتعلق به الاحكام اصلاً من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس اى فما بلغت شيئاً من رسالته وانسلخت مما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعاً كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك فى حكم شئ واحد ولا ريب فى ان الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ مؤمناً به غير مؤمن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادى منها كترك بعض اركان بعض الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئاً منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعاً من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى الله برسالاته فضقت بها ذرعاً فاوحى الله الى ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت وذلك قوله تعالى والله يعصمك من الناس فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له عليه السلام على الجد فى تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن انس رضى الله عنه انه عليه السلام كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمنى الله من الناس وقوله تعالى ان الله لا يهدى

القوم

القوم الكافرين تعليل لعصمته تعالى له عليه السلام اى لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الاية الكريمة فى تضاعيف الآيات الواردة فى حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصاً ما يتلوها من النص الناعى عليهم كمال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطباً للفريقين لستم على شئ اى دين يعتد به ويليق بان يسمى شيئاً لظهور بطلانه ووضوح فساده وفى هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه حتى تقيموا التورية والانجيل اى تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التى من جملتها دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما المنسوخة فليست من اقامتهما فى شئ بل هى تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وان احكامهما ما قررت الا النبى الذى بشر فيهما ببعثته وذكر فى تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما بيان شواهد النبوة والعمل بما قررته الشريعة المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى وما انزل اليكم من ربكم اى القرآن المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا يتأتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفى اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف فى الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بنى اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها باسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التورية حق من عند الله فقال عليه السلام بلى فقالوا فانا مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم فى المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعاً وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم للايذان بانسلاخهم عن تلك النسبة فلا تأس على القوم الكافرين اى لا تتأسف ولا تحزن عليهم لافراطهم فى الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ فى الكفر ان الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق للترغيب من عدا المذكورين فى الايمان والعمل الصالح اى الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطئها قلوبهم اولا والذين هادوا اى دخلوا فى اليهودية والصابئون والنصارى جمع نصران وقد مر تفصيله فى سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله فانى وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق خولف بين اسم ان وخبرها لا دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدأ المذكور وخبر ان مقدر كما فى قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء كقوله والصابئون عطفاً عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها لاشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر والا لزم دفع الخبر بان والابتداء معاً واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبراً لهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفاً فلا محذور فيه ولا على الضمير فى هادوا لعدم التأكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هوداً وقرئ والصابيون بياء صريحة بتخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات فى دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً اما فى محل الرفع على انه مبتدأ خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وجمع الضمائر الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما فى صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اى من آمن منهم واما فى محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما فى قوله عز وعلا ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الاية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف ايماناً خالصاً بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايماناً بهما وعمل عملاً صالحاً حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً لما مر مراراً ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص

بالمبداء والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شان المخلصين او بطريق احداثه وانشايه
كما هو حال من عداهم من المنافقين وساير الطوايف وفايدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان
تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل المعنى من كان منهم في دينه قبل ان
نسخ مصدقا بقلبه بالمبداء والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة ولقد
اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدا مسوق لبيان بعض اخر من جنايات المنادية باستبعاد الايمان منهم اي وبالله لقد
اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وساير الشرايع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي
شان خطير ليقفوهم في مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعظة
والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية مستانفة وقعت جوابا عن سوال نشا من الاخبار
باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا
تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرايع عصوه وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
جواب مستانف عن استفسار كيفية ما اظهروه من اثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف
فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء اخر من المضار وفريقا اخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم
بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهايلة للتعجيب منها وللتنبيه
على ان ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤس الاي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وللتشويق الى
الى ما فعلوا به لا للقصر واما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية
اذا جعلت صفة او صلة ينفسخ ما فيها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر اخر له ولذلك يجب ان يكون
الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار
والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى
عرضة للقتل والتكذيب حسبما يفيده جعلها استينافا على ابلغ وجه واكده لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين
بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة وحسبوا ان لا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من
الله تعالى بما اتوا من الداهية الدهيا والخطة الشنعا بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان
واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم
لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على
ما قبلها اي امنوا باس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة
وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة
الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا الاحكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا
ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر
موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكى عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤهم بعده عليه السلام باعصار ثم تاب الله عليهم
حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعدما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل
والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر
بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا
عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم
الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا
الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم
عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كسائر احوالهم من الحسبان والعمى
والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم
اياها بقوله تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة الى المرة الاخرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا
ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام لا الى طلبهم الروية كما قيل لما عرفت سره فان فنون الجنايات
الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان الاعتداد بما حكى عنهم ههنا في المرتين وترتبه على حكاية ما فعلوا
بالرسل عليهم السلام يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على
تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته
اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير
منهم والله بصير بما يعملون اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية

للفواصل

للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لا يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفي بها
تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة
المستوجبة لاشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يواخذهم بها ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك
في المرة الاولى حيث سلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى
والاول هو الاظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرا التورية وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا
هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل الى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا
الى المرة الاخرة من الافساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوايف اسمه حردوس وقيل قردوس
ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم فقال دم قربان لم يقبل منا فقال ما
صدقوني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال انه لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا
ينتقم الله منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم
فهدا لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم شروع في تفصيل قبايح النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة
بعد تفصيل قبايح اليهود وهولاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والمار يعقوبية خاصة قالوا
ومعنى هذا ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح حال
من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما اوعدهم
به اي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم انه اي الشان من يشرك بالله اي شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية فقد حرم
الله عليه الجنة فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه الى المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتهويل الامر وتربية المهابة وماواه النار فانها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم
الثواب وما للظالمين من انصار اي ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع
لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام اما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير الثلثة باعتبار لفظها
واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا ووضعه في موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا
عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه السلام واما وارد من جهته تعالى
تاكيدا لمقالته عليه السلام وتقريرا لمضمونها وقد قيل انه من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل
الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له
بذلك ورافعين من مقداره او من قوله عليه السلام على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته
وبعده عن المعقول ولا يخفى ان التعبير عما حكى عنه عليه السلام من مقابلته لقولهم الباطل بتصريح الرد والانكار في
الوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفي نصرته له مع خلوه عن الفايدة تصوير للقوي
بصورة الضعيف وتهوين الخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشانه عليه السلام من توهم
المساعدة والنصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الخ الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا
الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فان زجر اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر والمساعد
بعد زجره اياهم بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتاثير ولا سبيل ههنا الى الاعتذار بالتهكم
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة شروع في بيان كفر طايفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك
احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة
وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة
بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم عليهما السلام وكل واحد من هولاء اله ويؤكده قوله تعالى للمسيح ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلثة اي احد ثلثة الهة وهو المتبادر من قوله ظاهر تعالى وما من اله
الا اله واحد اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم
الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث
الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد الا اله بالذات منزه عن شايبة التعدد بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا
عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب
الشرط اي وبالله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن
في قوله تعالى منهم بيانية او ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جي بالفعل المنبي

عن الحدوث تنبيهاً على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينحي عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زايد
على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم اى نوع شديد الالم من العذاب وهمزة الاستفهام فى قوله تعالى افلا يتوبون الى الله
ويستغفرونه لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اى الا ينتهون عن تلك العقايد الزايغة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما
نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة معاً او ايسمعون هذه الشهادات
المذكورة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع
الهائلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر
وعدم مسارعتهم الى الاستغفار والحال انه تعالى مبالغ فى المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما
المسيح ابن مريم الا رسول استيناف مسوق لتحقيق الحق الذى لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال
امه بالاشارة اولاً الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التى بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس وآخراً الى الوصف
المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالاً لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا
عليهما وارشاداً لهم الى التوبة والاستغفار اى هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل
صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافى الالوهية فان خلو الرسل السالفة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضى لاستحالة
الوهيته اى ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر
منها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا فى يد موسى وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب
فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشؤونه وافعاله
وامه صديقة اى وما امه ايضاً الا كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق او التصديق ويبالغن فى الاتصاف
به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبى والآخر صحابى فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم
كانا يأكلان الطعام استيناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر فى الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد
من افراده بل من افراد الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا
يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بياناً لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول نبين والجملة فى حيز النصب
معلقة لانظر اى انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر انى
يؤفكون اى كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما فيما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة فى التعجيب
وثم لاظهار ما بين العجيبين من التفاوت اى ان بياننا للآيات امر بديع فى بابه بالغ لاقصى الغايات القاصية من التحقيق والايضاح
واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب وابدع قل امر له صلى الله عليه وسلم
بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من دون الله اى متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى ما لا
يملك لكم ضراً ولا نفعاً لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام
وايثار ما على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية رأساً ببيان انتظامه عليه السلام فى سلك الاشياء
التى لا قدرة لها على شىء اصلاً وهو عليه السلام وان كان يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك
مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة وتقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من
تحرى النفع ولان ادنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم حال من فاعل اتعبدون
مؤكد للانكار والتوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اى اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شىء من
ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التى من جملتها ما انتم عليه
من الاقوال الباطلة والعقايد الزايغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التى من جملتها مضاركم
ومنافعكم فى الدنيا والآخرة قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريق اهل الكتاب على لسان النبى صلى الله
عليه وسلم بعد ابطال مسلك كل منهما مبالغة فى زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وارشاداً لهم الى الامر لا تغلوا
فى دينكم اى لا تجاوزوا الحد وهو نهى للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا فى حقه من العظيمة
ولليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية الى ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل خاص بالنصارى
كما فى سورة النساء وذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكيرهم الانجيل الناهى لهم عن الغلو وقوله تعالى غير الحق نصب
على انه نعت لمصدر محذوف اى لا تغلوا فى دينكم غلواً غير الحق اى غلواً باطلاً او حال من ضمير الفاعل اى لا تغلوا مجاوزين
الحق او من دينكم اى لا تغلوا فى دينكم حال كونه باطلاً وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين او من النصارى على القولين قبل مبعث
النبى صلى الله عليه وسلم فى شريعتهم واضلوا كثيراً اى قوماً كثيراً ممن تابعهم على بدعهم وضلالهم او اضلالاً كثيراً

والمفعول محذوف ثقة وضلوا عن بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل
حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن
الذين كفروا اى لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجرى على سنن الكبرياء من بنى اسرائيل متعلق بمحذوف و
قع حالاً من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى على لسان داود وعيسى بن مريم متعلق بلعن اى لعنهم الله تعالى فى الزبور والانجيل
على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى
قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذاباً لم تعذبه احداً من
العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى ذلك
اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظايره وانتظامه بسببه فى سلك الامور
المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته فى الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستانفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كانه قيل باى سبب وقع ذلك فقيل ذلك
اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل وينبئ عنه
قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استيناف مفيد بعبارته لاستمرار عدم التناهى عن المنكر ولا يمكن استمراره الا
باستمرار تعاطى المنكرات وليس المراد بالتناهى ان ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل
بل مجرد صدور النهى عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهياً ومنهياً معاً كما فى تراءوا الهلال وقيل التناهى
بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة
لاستمرارهما صريحاً وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهى عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه فى وقت من الاوقات و
ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه
بالفعل الماضى وتعلق النهى به لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما يتعلق به النهى والانتهاء من مطلق المنكر باعتبار
تحققه فى ضمن اى فرد كان من افراده على ان المضى المعتبر فى الصفة انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهى حتى
يلزم كون النهى بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة او المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهى
لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين او الى تقدير المثل او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفى
كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمى كيف لا وقد اداهم
الى ما شرح من اللعن الكبير وليس فى تسببه بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببيته
فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما فى حيز الصلة له لما ان ما ذكر فى حيز
السببية مشتمل على كفرهم ايضاً ترى كثيراً منهم اى من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حين خرجوا الى
مشركى مكة ليتفقوا على محاربة النبى صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى يتولون الذين كفروا حال من كثيراً
لكونه موصوفاً اى يوالون المشركين بغضاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقى اهل الكتاب يتولون
اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم لبئس
شيئاً قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه تنبيهاً على كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما شىء واحد ومبالغة فى الذم اى موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على
الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدأ او على انه خبر لمبتدأ محذوف
ينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اى شىء هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم
تام معرفة فى محل الرفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة فى محل الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه
والتقدير لبئس الشىء شىء قدمته لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شىء المحذوف وهذا مذهب سيبويه وفى
العذاب اى عذاب جهنم هم خالدون ابد الآبدين ولو كانوا اى الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون بالله والنبى
اى نبيهم وما انزل اليه من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايماناً صحيحاً ما اتخذوهم اى المشركين واليهود
اولياء فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعاً ولكن كثيراً منهم فاسقون خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم
او متمردون فى النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستانفة مسوقة لتقرير
ما قبلها من قبايح اليهود وعراقتهم فى الكفر وساير احوالهم الشنيعة التى من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد القسمى
اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذاناً بان حالهم مما لا يخفى
على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثانى اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما
فى الاصل مبتدأ وخبر ومصب الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ضير فى التقديم والتأخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا
دليل واضح وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشدهم عداوة لهم الطائفتين

المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة الثانية اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتاخير
اذ المعنى انك ان تصديت ان تعرف من اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوايف طرا واحطت بما لديهم خبرا
وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد تينك الطايفتين
لا غير فتامل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله
ورهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اي كاينة للذين امنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم و
تضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبيا
والاجترا على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة
كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا اعيد الموصول مع صلته روما لزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا انا نصارى عبر
عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقادهم حقية
الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام
في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا اقل تفاوتا فيه
بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان يقال اخرا ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او بان يقال اولا لتجدن ابعد الناس
مودة الخ للايذان بكمال تباين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والاخر في اقرب
مراتب النقيض الاخر ذلك اي كونهم اقرب مودة للمؤمنين بان منهم اي بسبب ان منهم قسيسين وهم علما النصارى
وعبادهم ورؤساوهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشي اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله
الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشي ومنه سمي عالم النصارى قسيس لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل
انه عجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل في زمانه وبقي منهم رجل
يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس ورهبانا هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس
وفرسان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان دير في قلل لاقبل الرهبان يعدو ونزل
والترهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من
اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة
لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا ترى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال تعالى من اهل
الكتاب امة قايمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد
حكمهم الى جنس اليهود وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او
يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه
دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول عطف على لا يستكبرون اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القران وهو
بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابايهم اياه ترى اعينهم تفيض من الدمع اي تمتلي
بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلا مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكا كانها تفيض بانفسها
مما عرفوا من الحق من الاولى لابتدا الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتدا الفيض ونشا من معرفة الحق و
حصل من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو
عرفوا كله وقرأوا القران واحاطوا بالسنة وقرى ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول يقولون استيناف مبني على
سؤال نشا من حكاية حالهم عند سماع القران كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون ربنا امنا بهذا او بمن انزل
هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى و
نزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امته الذين
هم شهدا على الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نومن بالله وما جانا
من الحق كلام مستانف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفايه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نومن
حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شي حصل لنا غير مومنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب
والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظايره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله
تعالى فما لهم لا يومنون وامثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار
الوقوع كما في اضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الاية الثانية وقوله
تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجا امر محقق

قد

قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فليس يسري الى المسبب ايضا كما في الاية الاولى فيكون مضمون الجملة
الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة مفروض حتما وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى من
الضمير المذكور بتقدير مبتدا والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شي حصل لنا غير مومنين ونحن نطمع
في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نومن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المومنين وقيل معطوف
على نومن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي
معتقده وقرى فاتاهم الله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزا اي الذين احسنوا النظر والعمل والذين اعتادوا الاحسان
للمحسنين
في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب
والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفر ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين
وذكرهم بمقابلة المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما
تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهب ترغيبا للمومنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في الباب
اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا
صايمين قايمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النسا والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح و
يسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت
ولا تعتدوا اي ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتدا
وظلما فنهى عن مطلق الاعتدا ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك ان الله لا
يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم حال
منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عايده المحذوف او صفة
لمصدر محذوف اي اكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فايدة زايدة واتقوا الله الذي انتم به
مومنون تاكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتها عما نهى عنه لا يواخذكم الله باللغو
في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شي يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد
قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا فكيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رضي الله عنه ما يبدو من المرء من غير
قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عايشة رضي الله تعالى عنها وفي ايمانكم صلة يواخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يواخذكم
بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يواخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم
فحذف للعلم به وقرى بالتخفيف وقرى عاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة و
تسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين وراى غيرها خيرا
فلياتي الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف
صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كاينا من اوسط ما
تطعمون او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرى اهاليكم بسكون اليا على لغة من يسكنها
في الحالات الثلث كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف
على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرى
بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرى او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم
بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اي او اعتاق انسان
كيف ما كان وشرط الشافعي رحمه الله فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف
فمن لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة فصيام اي فكفارته صيام ثلثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراة ثلثة ايام متتابعات
والشافعي لا يرى الشواذ حجة ذلك اي الذي ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها
كما يشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم
بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتي لا الى تبيين اخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم
الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كاينا مثل ذلك التبيين
فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين الله لكم اياته اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما

امركم لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها فى اوائل السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اى شان الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان فى محل الرفع على انه صفة رجس اى كاين من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اى الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون اى راجين فلاحكم وقيل لكى تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الاية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلوة بالافراد مع دخولها فى الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر فى الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية واطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اى اطيعوهما فى جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا اى مخالفتهما فى ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما فى الخمر والميسر دخولا اوليا فان توليتم اى اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اى خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقى بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه عليه السلام وانما يضرون انفسهم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح اى اثم وحرج فيما طعموا اى تناولوا اكلا او شربا فان استعماله فى الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه منى قيل لما انزل الله تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم فى الجنة وفى رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضى الله عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر وفى رواية اخرى قال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما فى ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة بل هى على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطارى عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من الماكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون فى ذلك شىء من المحرمات والا لم يكن نفى الجناح فى كل ما طعموه بل فى بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الاول وآمنوا وعملوا الصالحات اى واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا داخل معه فى حيز الشرط اى اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وآمنوا اى بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذى يدل على التحريم الحادث الذى هو المؤمن به او واستمروا على الايمان ثم اتقوا اى ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء فى كل مرة اباحة كل ما طعموه فى ذلك الوقت واباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه واحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا فى طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شىء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه فى كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شىء محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها فى انتفاء الجناح وانما ذكرت فى حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء فى كل مرة تمييزا بينها وبين ماله دخل فى الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتى من الازمنة بقضية كلمة اذا لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم فى حقهم فى ضمن التشريع الكلى على الوجه البرهانى بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا فى طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشىء تلقوه

بالامتثال

بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر فى حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما فى عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جىء بالاحسان فى الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع فى الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما فى قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظايره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثانى اتقاء الكباير وبالثالث اتقاء الصغاير ولا ريب فى انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف اى والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم بشىء من الصيد اى من صيد البر ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت وروى انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عن ذلك فانزل الله تعالى الاية فالتاكيد القسمى فى ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شىء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهايلة التى تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء ببذل الانفس والاموال وانما هو من قبيل ما ابتلى به اهل ايلة من صيد البحر وفايدته التنبيه على ان من لم يثبت فى مثل هذا كيف يثبت عند شدايد المحن ومن فى قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اى بشىء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضى اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظايم البلايا فيخرج الكلام عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب اى ليتميز الخائف من عقابه الاخروى وهو غايب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل فى حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى بانه سيخافه وان كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وهو الذى يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اى ليعلم الله عباده الخ والعلم على القراءتين متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اى بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهى عنه كما قيل اذ النهى والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الاخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا للتشديد والعذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا للتخفيف وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اى فمن تعرض للصيد بعد ما بينا ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز المطيع من العاصى فله عذاب اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة لان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعى حكم الله تعالى فى مثل هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه فى عظايم المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس رضى الله عنهما يوسع ظهره وبطنه جلدا وينزع ثيابه يا ايها الذين آمنوا شروع فى بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهى فى قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم مع كونه معلوما لا سيما من قوله تعالى غير محلى الصيد وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام فى الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان فى الحل وفى حكمه من فى الحرم وان كان حلالا كردح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اى لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اى الصيد المعهود وذكر القتل فى الموضعين دون الذبح للايذان بكونه فى حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اى كائنا منكم متعمدا حال منه ايضا اى ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطأ لما ان الاية نزلت فى المتعمد كما مر فى قصة ابى اليسر ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير رحمه الله لا ارى فى الخطأ شيئا اخذا باشتراط التعمد فى الاية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما اى فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثانى على اعمال المصدر وقرئ بجر الثانى على اضافة المصدر الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء مثل ما قتل والمراد به عند ابى حنيفة وابى يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او فى اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته هديا يخير الجانى بين ان يشترى بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما

كاملا اذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى **من النعم** بيانا للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير
فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما ومن يرى رأيهما
هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف
النص وعن الصحابة رضي الله عنهم انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الارنب عناقا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب
والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل معنى واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع
اصلا واذا لم يمكن ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد الا يرى ان المماثلة بين
واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع اصلا افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع
ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل مضمونا بقيمته مع ان المنصوص
عليه في امثاله انما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها
وسهولة مراعاتها فلأن لا تعتبر ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة ماخذها وتعسر
المحافظة عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيرها مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواقع الاثبات
والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته لكن لا
باعتبار ان يعطيها الجاني مصروفة الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احدى الخصال الثلث فيقيمها
مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثاني الحال
بناء على وصفه الاول الذي هو المدار له ولما بعده من الطعام والصيام فحقهما ان يعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف
اللازم فضلا عن العطف على الموصوف كما سياتي باذن الله تعالى ومما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل
يحكم به اي بمثل ما قتل **ذوا عدل منكم** اي حكمان عدلان من المسلمين لكن لا لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد
من العدول دون الاشياء المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك ناشئ من الغفلة عما ارادوا بما به
المماثلة بل لان ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف والهيئات مع
تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال مما لا يهتدي من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية والرشاد الا المؤيدون
بالقوة القدسية الا يرى ان الامام الشافعي رضي الله عنه اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث
ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة امثال هذه
الدقائق الغويصة الى راي عدلين من احاد الناس على ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعدما تعين
بمقابلة كل نوع من انواع الصيد نوع من انواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى حكم اصلا
وقيل يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العدول دون الوحدة وقيل بل على ارادة الامام والجملة صفة لجزاء او حال منه لتخصصه
بالصفة وقوله تعالى **هديا** حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء المذكور لتخصصه بالصفة او بدل من مثل فيمن نصبه
او من محله فيمن جره او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء **بالغ الكعبة** صفة هديا لان الاضافة
غير حقيقية **او كفارة** عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله تعالى
طعام مساكين عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام مساكين
وقوله تعالى **او عدل ذلك صياما** عطف على طعام الخ كانه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام
ايام بعددهم فحينئذ يكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر بها الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث
فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها بدلا عن الآخرين هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم
الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء الى القياس على الهدي تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات
فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة
لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل بكسر العين والفرق بينهما
ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى
المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي يوسف وللحكمين عند محمد
رحمهم الله **ليذوق وبال امره** متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام
كانه قيل شرع ذلك ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في
العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمرئه المعدة **عفا**
الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم
كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما **ومن عاد** الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم **فينتقم الله منه**

خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا
اي فذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر فامتعه اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة واما الكفارة فعن عطاء
وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة على العائد وعن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا
بالظاهر **والله عزيز** غالب لا يغالب **ذو انتقام** شديد فينتقم ممن اصر على المعصية والاعتداء **احل لكم** الخطاب للمحرمين
صيد البحر اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء ماكولا او غير ماكول **وطعامه** اي وما
يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يؤكل منه وهو السمك
عندنا وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ وطعمه وقيل
صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه **متاعا لكم** نصب على انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب عليه السلام اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم ياكلونه طريا **وللسيارة** منكم
يتزودونه قديدا وقيل نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا وقيل مؤكد لمعنى احل لكم فانه في قوة متعكم
به تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم **وحرم عليكم صيد البر** وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ
فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء **ما دمتم حرما** اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره
يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له مدخل فيه وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم وعن ابي هريرة و
عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه
قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم
وعند مالك والشافعي واحمد رضي الله عنهم لا يباح ما صيد له **واتقوا الله** فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي التي من جملتها
ذلك **الذي اليه تحشرون** لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه **جعل الله الكعبة** قال مجاهد سميت
كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها وقوله تعالى **البيت الحرام** عطف
بيان على جهة المدح دون التوضيح كما يجيء الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى **قياما للناس** نصب على الحال
ويرده عطف ما بعده على المفعول الاول كما سيجيء بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما
مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به
الخائف ويامن به الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شبع اعل
عينه بما اعل في فعله **والشهر الحرام** اي الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف
على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام **والهدي والقلائد** ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد
ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر **ذلك** اشارة الى الجعل المذكور خاصة
او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده اي
شرع ذلك **لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض** فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية
والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء عن علمه المحيط
وقوله تعالى **وان الله بكل شيء عليم** تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة
فيهما وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي من قبيل المعاني **اعلموا ان الله شديد العقاب**
وعيد لمن انتهك محارمه او اصر على ذلك وقوله تعالى **وان الله غفور رحيم** وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى
او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر **ما على الرسول الا البلاغ** تشديد في ايجاب القيام بما
امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في
التفريط **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا **قل لا يستوي الخبيث والطيب** حكم عام في نفي
المساواة عند الله تعالى بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منها
والتحذير عن رديئها وان كان سبب النزول شريح بن ضبيعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تحلوا شعائر الله الخ وقيل نزل في رجل سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي واني اعتقدت من
بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد
او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وقال عطاء والحسن رحمهما الله الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم
الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستواء بين
الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في
قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم
الفاضل فيه لما ان صلته ملكة لصلة المفضول **ولو اعجبك كثرة الخبيث** اي وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الناس

امر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اى احسن
اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك كاينا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة
فان الشئ اذا لم يتحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد و
جواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلها عليه وسياتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولى الالباب
اى في تحري الخبيث وان كثر واثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل
خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشياء
هو اسم جمع على راى الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم
لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التانيث الممدودة وقيل هو جمع شئ على انه مخفف من شئ كهين مخفف
من هين والاصل شيئاء كما هو نار بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتانيث اذ الالف كالهمزة فخففت الكلمة
بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء فاجتمعت ياآن اولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت
اشياء ووزنها افلاء ومنعت الصرف لالف التانيث وقيل انما حذفت من اشياء الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة
وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء وقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة لاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال
عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال
عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اى تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي
كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والاسرار
الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال
عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم على المسالة والمراجعة وتجاوزهم
عما يليق بشانهم من الاستسلام لامر الله تعالى من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اى لا تكثروا مسالة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوا بها ونحو بعض
امور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله عليه السلام فحمد الله واثنى عليه ثم
قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول
الله فاعرض عنه حتى اعاد مسئلته ثلث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك بان اقول نعم والله لو قلت
نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم
على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وابي هريرة
رضي الله عنهما انه سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في المسالة فقام عليه السلام مغضبا خطيبا
فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسالوني عن شئ ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس رضي الله عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا احد رجلا
الا وهو لاف راسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى
الى غير ابيه وقال يا نبي الله من ابي فقال عليه السلام ابوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر وقال اين ابي قال عليه السلام
في النار ثم قام عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا ونبيا نعوذ بالله تعالى من
الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنها
استيناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمواخذة
وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسالة المدلول عليها بلا تسالوا اى عفا الله
تعالى عن مسائلكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء بمسالتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بساير مسائلكم فلا
تعودوا الى مثلها واما جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها بمعنى لا تسالوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها
فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين
ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفا
قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسالة الحج ونحوها مما سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن
السؤال عن الاشياء التي يسوؤهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب
السؤال عقوبة وتشديدا كمسئلة الحج لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة
بالاخبار بها كمسالة من قال اين ابي ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لايجاب المسرة ايضا لان
ايجابها للاولى ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للاخرى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة
عند السائل وانما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة فلم عبر عنها بحيثية ايجابها

[illegible]

للمساة قلت لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تاكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية ايجابها
للسرور ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال عن تلك الاشياء الموجبة للمساءة مستلزم لابدائها البتة
كما مر فلم تخلف الابداء عن السؤال في مسئلة الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو
السؤال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه ان قيل ما ذكرته انما يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور المترددة
بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتسنى لان ما تعلق به الابداء هو الذي وقع في نفس
الامر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسالة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الابداء لا غيره
فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة
في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل الوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم
الوقوع وحملة الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشياء التي توجب ابداؤها المساءة البتة اما بان يكون
تلك الاشياء بعرضية الوقوع فتبدى عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان يكون
واقعة في نفس الامر قبل السؤال فتبدى عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشأ توهم عدم الفرق بين المنهي عنه وبين
غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود او بعرضية الوجود من تلك الاشياء في نفس الامر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال
الوجود والعدم وغاية هذا الابهام الانتهاء عن تلك الاشياء على الاطلاق حذار ابداء المكروه والله غفور حليم اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اى
مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم قد سالها قوم اى سالوا هذه المسالة لكن
لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم متعلق بسالها ثم اصبحوا بها اى
او برجوعها كافرين فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم في اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا
تطرد عن ماء ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان
الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهي لآلهتهم فان ولدت ذكرا
وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء
ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتاكيد النفي فان الجعل التكويني
كما يجيء تارة متعديا الى مفعولين واخرى الى واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء متعديا الى مفعولين جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس واخرى الى واحد كما في الآية الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم
عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه الافاعيل الباطلة هذا شان رؤسائهم وكبارهم واكثرهم وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما يشهد به سياق النظم الكريم لا يعقلون انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد
وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل واذا قيل لهم اى للذين عبر عنهم باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد
تعالوا الى ما انزل الله من الكتاب المبين للحلال والحرام والى الرسول الذي انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال
حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي الى الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا
ولا يهتدون قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجيب اى احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى
مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او يقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب
ولو كانوا لا يعلمون الخ وكلتاهما في موقع الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا
مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشئ اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اساء
اليك اى احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اى احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة
اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو
محذوف لدلالة ما سبق عليه اى لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو من معنى الامتناع و
الاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة في الانكار والتعجيب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجيب اذا
كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال
فكذا ما عطف عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى
او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اى الزموا انفسكم واصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء
اى واجبة عليكم انفسكم وقوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة
الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرا لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره
واما مرفوع على انه كلام مستانف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرا لا يضيركم اى لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهم
ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال عليه

كا في قوله نعم

من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روي ان الصديق رض قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه اعمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله تع يا ايها الذين آمنوا الخ فيقول احدكم على نفسي والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه عليه السلام ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله تع ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت آباءك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية بان ضلال آبائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيمة جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين آمنوا استيناف سيق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرفي النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله تع اذا حضر احدكم الموت اي اذا شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله تع حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تع اثنان خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اي شهادة بينكم شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اي شهادة آخرين او ان يشهد بينكم آخران او ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تع من غيركم صفة لآخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تع واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا وقوله تع ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لا محل لها من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تع فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل وما معكم من الاقارب ومن اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد آخران او فاستشهدوا آخرين او فالشاهدان آخران كذا قيل والانسب ان يقدر غير ما سبق اي فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين او فان يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تع تحبسونهما استيناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كانه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي تقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلوة وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب واهل الاسلام واما اشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك يأباه مقام الامر باشهادهما اذ مآله فآخران شأنهما الحبس والتحليف وان امكن تمامه باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم كما سيأتي وقيل بعد اي صلوة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تع ان ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تع معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله تع لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونيهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمنك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته عز وجل والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشرى ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما فصل في تفسير قوله تع اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا نأخذ بدلا منها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين كما ذكر والا فلا سداد للمعنى سواء اريد بالقسم القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله ووصف الصحة والصدق في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له ههنا حتى يصح التبرؤ منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب ولم يبل استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعل ما اخذ باستعماله مأخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتأمل وقوله تع ولو كان اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى اي قريبا منا تأكيدا لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كانهما قالا لا نأخذ لانفسنا بدلا

من حرمته اسم الله تع مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تع ولو اعجبك الخ وقوله عز وجل ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله تع باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر اي اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الآثمين اي فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي فآخران اي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين صفته الذي هو الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي توليا ها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق عابرا كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما من الذين استحق على البناء للفاعل قراءة علي وابن عباس وابي رضي الله عنهم اي من اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم اي الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانهما احقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير في يقومان او من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تع فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اي ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها احق بالقبول من شهادتهما اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع انه لا حقيقة في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما انا اذا لمن الظالمين استيناف مقرر لما قبله اي انا ان اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تع وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تع او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن بدي خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما او في رواية الى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ذلك كلام مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تع او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى ان يأتوا الشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على يأتوا على معنى ان ذلك اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكول الورثة واما ما قيل من ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب والامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى توسط بينهما كلمة او وانما يأتي ذلك في شهود لم يتهموا بخيانة على ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي احدهما يقتضي الآخر لا محالة تحكم بحت فتأمل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها

هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اى فان لم تتقوا ولم
تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين اى الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال
من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية المظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لانتقال
الذهن من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالى كما فيما نحن فيه فان كونه تع خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف فى الباب مع ان
الامر بتقوى الله تع يتبادر منه الى الذهن ان المتقى اى شان من شؤونه واى فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتما
اى اتقوا عقاب الله فحينئذ يجوز انتصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه اى واحذروا او
واذكروا يوم الخ فان تذكير ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وعلا وتلقى امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله
تع لا يهدى اى لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدى اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تع واسمعوا بحذف مضاف اى اسمعوا خبر ذلك
اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهى
العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل فى موقع
الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود وقد قال الله تع يوم ندعو كل اناس بامامهم بل لابانة شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع
غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام فى سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام
يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغى حسبما يعرب
عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا واضحا والا لصدر الخطاب بان يقال بلغتم رسالاتى وما ذا فى قوله عز وجل ماذا اجبتم عبارة عن
مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية اى اى اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو فى محل النصب
بعد حذف الجار عنه اى باى جواب اجبتم وعلى التقديرين ففى توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال
الموؤدة يفصح عما لا يدوا لعدول عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الانباء عن كمال تحقير شانهم وشدة الغيظ والسخط
عليهم ما لا يخفى قالوا استيناف مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون
لا علم لنا وصيغة الماضى للدلالة على التقرر والتحقق كما فى قوله تع ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما
يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تع واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا لعجزهم
عن بيانه لكثرته وفظاعته انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اى فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروه فى قلوبهم
وفيه اظهار للشكاة ورد للامر الى علمه تع بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء الى ربهم فى الانتقام منهم وقيل المعنى
لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم حينئذ
ان بعضهم كانوا فى زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدى انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب
ثم يجيبون بعدما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلايمه التعليل المذكور وقيل المراد المبالغة فى تحقيق فضيحتهم وقرئ علام
الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انت اى انك انت المنعوت بنعوتك المعروف
بذلك اذ قال الله يا عيسى ابن مريم شروع فى بيان ما جرى بينه تع وبين واحد من الرسل المجموعين من المخاوضة على التفصيل اثر بيان ما جرى بينه
تع وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شانه عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون
سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شانه عليه السلام متعلق بكلا
الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم فى السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم
وافت فى اعضادهم وادخل فى صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضى لما ذكر من الدلالة على تحقق
الوقوع واظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار لما مر من المبالغة فى التهويل وكلمة على فى قوله تع اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك
متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اى اذكر انعامى عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اى اذكر نعمتى كائنة عليكما
وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعمة المنتظمة فى سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها
ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر فى اوانه اى خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما
بينه الله سبحانه اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ عنه النظم الكريم توبيخا ومزجرة
للكفرة المختلفين فى شانه عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهما جميعا اذ ايدتك ظرف لنعمتى اى اذكر انعامى عليكما وقت
تاييدى لك او حال منها اى اذكرها كائنة وقت تاييدى لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد اى قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام
لتثبيت الحجة او بالكلام الذى يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس حيوة
ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة
وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما تكلم الناس فى المهد وكهلا استيناف مبين
لتاييده عليه السلام او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام فى حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام فى تينك الحالتين

كان على نسق واحد بديع صادرا عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأى والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لانه
عليه السلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضى الله عنهما ارسله الله تع وهو ابن ثلاثين سنة ومكث فى رسالته ثلاثين شهرا
ثم رفعه الله تع اليه واذ علمتك الكتاب عطف على قوله تع اذ ايدتك منصوب بما نصبه اى اذكر نعمتى عليكما وقت تعليمى لك
الكتاب والحكمة اى جنسهما والتورية والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط
والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اى تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير باذنى بتسهيلى و
تيسيرى لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب مع
كون الخلق حقيقة لله تع كما ينبئ عنه قوله تع فتنفخ فيها اى فى الهيئة المصورة فتكون اى تلك الهيئة طيرا باذنى فان اذنه تع
لو لم يكن عبارة عن تكوينه تع للطير بل عن محض تيسير مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا تكوينا من جهة الهيئة و
تكرير قوله باذنى فى الطير مع كونه شيئا واحدا للتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شئ
الا باذنه تع وتبرئ الاكمه والابرص باذنى عطف على تخلق واذ تخرج الموتى باذنى عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى
من قبورهم لا سيما بعدما صارت رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة و
جارية وتكرير قوله باذنى فى المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى بل من جهته سبحانه
قد اظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصها به واما ذكره فى سورة آل عمران مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد
النعم واذ كففت بنى اسرائيل عنك عطف على اذ تخرج اى منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات
بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار
المجئ بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تع فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا
اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اى كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم
الموصول لذمهم بما فى حيز الصلة فكلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لان اشارتهم الى ما رأوه من نفس المسمى
من حيث هو او من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر مبين فهذا اشارة الى عيسى عليه السلام واذ
اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواتها الواقعة ظروفا للنعمة التى امر بذكرها وهى وان كانت فى الحقيقة عين ما يفيده
الجمل التى اضيف اليها تلك الظروف من التأييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها
لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة فى تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية فى
تحقيق ما اعتبر فى مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه احداهما معلومة
الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضا له فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا
للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما فى قولك اذكر احسانى اليك اذ احسنت الى تريد تنبيه المخاطب على
وقوع احسانك اليه وقت وقوع احسانه اليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما فى قولك اذكر احسانى
اليك اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها احسانا اليه لا على احسان آخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة
ما وقع فى التنزيل من قوله تع يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وقوله تع يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه تع اليهم امره تع اياهم فى
الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تع اياهم كما فى قوله تع واوحينا الى ام موسى وان فى قوله تع ان آمنوا بى وبرسولى مفسرة
لما فى الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه السلام كانه
قيل آمنوا بوحدانيتى فى الالوهية والربوبية وبرسالة رسولى ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا ترفعوه عنه غلوا قوله تع قالوا استيناف
مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحى اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اى بما ذكر من وحدانيته تعالى و
برسالة رسوله كما يؤذن به قولهم واشهد باننا مسلمون اى مخلصون فى ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تع
وامره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته ايضا روى انه عليه السلام لما علم
انه سيؤمر بذكر تلك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب
ولا ولد فيموت اينما امسى بات اذ قال الحواريون كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه
منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار فى موضع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبى عليه السلام بطريق تلوين الخطاب لكن
لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى
واتقوا الله الآية فتأمل كانه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تع
الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم الايمان و
الاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة اختلف فى انهم
هل كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا كافرين شاكين فى قدرة الله تع وعلى ما ذكروا وفى صدق عيسى عليه السلام كاذبين فى دعوى

من السماء

الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمينان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون
القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع
ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل
تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله عنهم وسعيد بن جبير في آخرين
والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال
ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعوله كعيشة راضية قال استئناف مبني على سؤال ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى
عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اى من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اى بكمال قدرته تع وبصحة نبوتي
او ان صدقتم في دعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم
بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤل كقوله تع ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استئناف كما سبق نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم
الى السؤال اى لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان
والتقوى بل نريد ان ناكل منها اى اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تع وان كنا مؤمنين به من قبل
فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمانينه وقوة اليقين ونعلم اى علما يقينا لا يحوم حوله
شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان وضمير الشان محذوف اى ونعلم انه قد
صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين
لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمانينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين
دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل
على اى شيء يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف
يفسره من الشاهدين قال عيسى ابن مريم لما راى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها
واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ راسه وغض بصره
ثم قال اللهم ربنا ناداه سبحانه وتع مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة
عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف على قوله تع مائدة لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تع من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اى كائنة من السماء نازلة منها وقوله
تعالى تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون
عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك
اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور
العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تع فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة
الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها
نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل ياكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا
واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اى كائنة منك دالة على كمال
قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا اى المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اى خير من يرزق لانه
خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته
ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل
الطمانينة كما في قول ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اضاف اليه من عنده
ما يؤكده ويقربه الى القبول قال الله استئناف كما سلف اني منزلها عليكم وورود الاجابة منه تع بصيغة التفعيل المنبئة
عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تع قل الله ينجيكم منها
ومن كل كرب الخ بعد قوله تع لئن انجانا من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة
التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار
بالاستمرار اى اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد اى بعد
تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة عذابا
اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز ان يكون مفعولا
به على الاتساع وقوله تع لا اعذبه في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له اى اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب
احدا من العالمين اى من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا

وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي انه
عليه السلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون
اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها
مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك
تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون راس الحواريين يا روح الله امن
طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تع بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله
ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم
قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما
غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير
الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تع الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى
دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات و
ياكلون العذرة في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى
عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم
ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا
ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا الله تعالى
المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس
كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار
الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما
شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم
فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا بذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا
ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر
المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اى اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام
في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤوس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة
الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما
واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من
ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تع ءانت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام
لتعيين انه بامره عليه السلام ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تع ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى
من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اى متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اى كائنين
من دونه تع وايا ما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما في قوله تع ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى
عما يشركون اذ به يتاتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى
ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم عليهما السلام لم يخلقها الله تع بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء
الهين مستقلين ولم يتخذوه تع الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من تعمق فقال ان عبادته تع مع عبادة غيره
كلا عبادة فمن عبده تع مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده تع فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فان
توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التاويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول
المسند الى عيسى عليه السلام قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام
حينئذ فقيل يقول واثار صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه
وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل
ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر
مع الفعل ما لا يخفى اى انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك واما تقدير من ان يكون لك شريك
في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تع ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق استئناف مقرر للتنزيه ومبين
للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اى ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله واثار ليس على الفعل الماضي

لظهور دلالته على استمرار انتفاء المحبة وافادة التاكيد بما في جرم من الباء فان اسمه ضمير العائد الى ما وجرم نحو والجار والمجرور
فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تع ان كنت قلته فقد علمته استيناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه
عليه السلام بالطريق البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تع به قطعا فحيث انتفى علمه تع به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان
عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استيناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف
بما اعلنه وقوله تع ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تع في نفسك للمشاكلة وقيل
المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كنسبتها الى الحقيقة
وقوله تع انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله تع ما قلت لهم الا ما امرتني به استيناف مسوق لبيان ما
صدر عنه فقد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه واكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمامور به
فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة
لما ورد في الاستفهام وقوله تع ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمامور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل
جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعوله اي هو او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم
واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر
مضاف اليه زمان ودمت صلتها اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كما في قوله تع اني متوفيك
ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال تع الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب
عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تاكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ
لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلايل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الايات وخذلت
من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تع كان هو الشهيد على الكل حين
كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقه بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا
ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد
فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من آمن منهم
قال الله كلام مستانف ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته ومآله اي يقول الله تعالى
يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي لما مر في
نظائره مرارا وقوله تع هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدا خبره ما بعده اي هذا اليوم الذي حكي بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه
تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون في الدنيا على الصدق في الامور الدينية
التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرايع والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصادقين الداعين الى ذلك وبه
تحصل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقلا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب
السامعين في الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في اي شيء كان ضرورة ان الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا
ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم اي صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره
في الدارين مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء اصلا وجره وهذه القراءة هي التي اطبق عليها الجمهور
وهي الاليق بسباق النظم الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال فهذا حينئذ اشارة الى قوله تع آانت قلت الى آخره
واما على انه خبر لهذا فهو ح اشارة الى جواب عيسى عليه السلام اي هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الخ او الى السؤال
والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه مضاف الى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تع
واتقوا يوما لا تجزي الاية لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استيناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل
ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تع رضي الله عنهم استيناف آخر لبيان انه عز وجل افاض عليهم غير
ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تع ورضوا عنه اذ لا شيء اعز منه حتى يمتد
اليه اعناق الهمم ذلك اشارة الى نيل رضوانه تع وقيل الى نيل الكل الفوز العظيم لما ان عظم شان الفوز تابع لعظم شان
المطلوب الذي تعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك اصلا وقوله تع لله ملك السموات والارض وما فيهن تحقيق
للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه اي له تع خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم
يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشيء من الاشياء مدخل في ذلك وفي ايثار ما على من
المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها للكل مراعاة للاصل واشارة الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية
وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية واهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة
عن رسول الله عم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام

سورة الانعام مكية وهي مائة وخمس وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما وجب من صفات الكمال واليه يؤول
جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار
جميع افراده عليه بالطريق البرهاني ووصفه تع ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجبات المنتظم في سلك الاجمال من عظائم
الآثار وجلائل الافعال من قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تع له واستقلاله به باعتبار افعاله
العظام وآثاره الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية وفيه
الخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تع على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية
المنوطة بمصالح العباد في المعاش والمعاد الى انشائها على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويتين من انواع
البدايع واصناف الروائع على ما تحار فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولي الابصار وجمع
السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها على الارض كما
وجعل الظلمات والنور [illegible]

[illegible]

لكن لا بناء على ان افعال العباد كلها مخلوقة له تع فيكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه عز وجل بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم كما لا يخفى منه سلمه الله

كما ينبئ عنه قول الفاضل الزمخشري ان قوله تع [illegible] منه

وهو عدول وظلم عن جهل منه سلمه

يعرف تعسف لا يساعده النظام وتعكيس يأباه المقام كيف لا وسياق النظم الكريم كما يفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية إساءتهم مع نهاية إحسانه تعالى إليهم لا ببيان نهاية إحسانه تعالى إليهم مع غاية إساءتهم في حقه تعالى كما تقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح أنه لا سبيل إلى جعل المعطوف من رادف المعطوف عليه لما أن حق الصلة أن يكون غير مقصود الإفادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت أن المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الإيمان به إثر بيان بطلان إشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع أن ما ذكر من خلق السموات والأرض من أوضحها وأظهرها كما ورد في قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم لما أن محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك أظهر وهم بشؤون أنفسهم أعرف والتعامي عن الحجة النيرة أقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ أي ابتدأ خلقكم منه فإنه المادة الأولى للكل لما أن منشأ آدم الذي هو أصل البشر وإنما نسب هذا الخلق إلى المخاطبين لا إلى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بأن يقال هو الذي خلق أباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام منه في إيجاب الإيمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في إزاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء إجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا لكل أحد من فروعه منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور إليه وأدل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين أولى بأن يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل ولله در شأن التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سيأتي وقيل المعنى خلق أباكم منه على حذف المضاف وقيل المعنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الأغذية المتكونة من الأرض وأيا ما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فإن من قدر على إحياء ما لم يشم رائحة الحياة فقط كان على إحياء ما قاربها مدة أظهر قدرة ﴿ثم قضى﴾ أي كتب لموت كل واحد منكم ﴿أجلا﴾ خاصا به أي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للإيذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكمة البالغة ﴿وأجل مسمى﴾ أي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول وتنوينه لتفخيم شأنه وتهويل أمره ولذلك أوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده مع أن الشائع المستفيض هو التأخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كأنه قيل وأي أجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله أحد لا مجملا ولا مفصلا وأما أجل الموت فمعلوم إجمالا وتقريبا بناء على ظهور أماراته أو على ما هو المعتاد في أعمار الإنسان وتسميته أجلا إنما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما أن مدار التسمية في الأجل الأول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه أول مدة الممات لما أن الأجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن أولها وقيل الأجل الأول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فإن الأجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الأوفق لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أجلا من مولده إلى موته وأجلا من موته إلى مبعثه فإن كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وإن كان فاجرا قاطعا نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فمعنى عدم تغير الأجل حينئذ عدم تغير آخره والأول هو الأشهر الأليق بتفخيم الأجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والأنسب بتهويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى فإن كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير أن يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزم الحمل على المعنى الثاني مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الأجل ونقصه فيما روي تأخير الأجل الأول وتقديمه ﴿ثم أنتم تمترون﴾ استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه أي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في أنفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فإن من قدر على إفاضة الحياة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها أصلا كان أوضح اقتدارا على إفاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين أن ما قيل من أن الأجل الأول هو النوم والثاني هو الموت أو أن الأول أجل الماضين والثاني أجل الباقين أو أن الأول مقدار ما مضى من عمر كل أحد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له أصلا لما رأيت من أن مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالأجل المسمى فحيث أريد بهما ذكر من الأمور الثلاثة فأي شيء يمترون ووصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد إليه مع أنهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على إنكاره كما ينبئ عنه قولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على أن جزمهم المذكور في أقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى ﴿وهو الله﴾ جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول أحكام إلهيته تعالى لجميع المخلوقات وإحاطة علمه بتفاصيل أحوال العباد وأعمالهم المؤدية إلى الجزاء إثر الإشارة إلى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير

آجالهم وقوله تعالى ﴿في السموات وفي الأرض﴾ متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه اللفظ الجليل إما باعتبار أصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كأنه قيل وهو المعبود فيهما وإما باعتبار أنه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كأنه قيل وهو المالك أو المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين أن الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي أو على معنى المالك أو المتصرف أو نحو ذلك بل مجرد ملاحظة أحد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم الأسد في قوله أسد علي الخ ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها بسببها جرى على وبهذا تبين أن ما قيل بصدد التصوير والتفسير أي هو المعروف بذلك في السموات وفي الأرض أو هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية أو هو المعروف بالإلهية فيهما أو نحو ذلك بمعزل من التحقيق فإن المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به إذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين آنفا لا اشتهاره به ألا يرى أن كلمة على في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحيد والتفرد كأنه قيل وهو المتوحد بالإلهية فيهما وقيل بما تفرد عنه الكل من إطلاق هذا الاسم عليه تعالى خاصة كأنه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحيد أو القول في فحوى الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل على معنى المتوحد بالإلهية أو على تقدير القول وقد جوز أن يكون الظرف خبرا ثانيا على أن كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والأشباح بكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فإن العالم إذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل ﴿يعلم سركم وجهركم﴾ أي ما أسررتموه وما جهرتم به من الأقوال أو ما أسررتموه وما أعلنتموه كائنا ما كان من الأقوال والأعمال بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما يفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم إلى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فإن ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب وأما على الأوجه الثلاثة الباقية فلا سبيل إلى كونه بيانا لكن لا لما قيل من أنه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيها من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم إذ ربما يعبد ويختص به من ليس له كمال العلم فإنه باطل قطعا إذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في أنهما مما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بداهة بل لأن ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له وبهذا تبين أنه ليس بيانا على الوجه الثالث أيضا لما أن التوحد بالإلهية لا يعتبر في مفهوم العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز تعدد الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فإذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم إذا كان هو فيه وأنت خارجه ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما لتوسيع الدائرة وتصوير أنه لا يعزب عن علمه شيء منهما في أي مكان كان لا لأنهما قد يكونان في السموات أيضا وتعميم الخطاب لأهلها تعسف لا يخفى ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ أي ما تفعلونه لجلب نفع أو دفع ضر من الأعمال المكتسبة بالقلوب أو بالجوارح سرا أو علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لإظهار كمال الاعتناء بها لأنها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في إعادة يعلم ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم بآيات الله وإعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الأولى إشراكهم بالله سبحانه وإعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية امتراؤهم في البعث وإعراضهم عن بعض آياته والالتفات للإشعار بأن ذكر قبائحهم قد اقتضى أن يضرب عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الأولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها إما الآيات التنزيلية فإتيانها نزولها والمعنى ما ينزل إليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان أحكام ألوهيته على كافة الكائنات وإحاطة علمه بجميع أحوال الخلق وأعمالهم الموجبة للإقبال عليها والإيمان بها ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ أي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه وأما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فإتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي إلى الإيمان بمكونها وأيا ما كان على أن يقال إلا أعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الإعراض حسب استمرار إتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على أنها حال من مفعول تأتي أو من فاعله المخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما وإيا ما كان فيها

دلالة بينة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في ان الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما
جاءهم فان الحق عبارة عن القران الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل اية اية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان
تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه
او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لحقيق ذلك المعنى كما في قوله
فقد جاءوا ظلما وزورا بعد قوله تع وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون فان ما جاءوا اي فعلوا
من الظلم والزور عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا
لامر كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه
بالفاء اظهار الغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تامل تاكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ما كذبوا به ان ذي بدء له عواقب جليلة
سيعد لهم البته والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الايات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا
في حاله وماله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تع بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله
كما ينبئ عنه قوله تع فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه
وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها ايات الوعيد وفي لفظ
الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبا لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو
كلمته يا باه الايات الاتية وسوف لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسياتيهم البته وان تاخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا
يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه وانما قيل يستهزءون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا
على ان يراد بالايات الايات القرآنية وهو الاظهر واما ان اريد بها الايات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط
محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الايات فلا تعجب فقد فعلوا بما هو اعظم منها ما هو اعظم
من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الايات ولا مساغ لحمل الايات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل من ان
المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا بالقران فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
استيناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سبق بها الوعيد وتقرير اتيانها بطريق الاستفهام وهمزة الانكار لتقرير
الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع
ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انه عبارة عن اهل عصر
من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث
وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على الظرفية على انها عبارة
عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اي لم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار
كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود
واضرابهم وقوله تع مكناهم في الارض استيناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشا من صدر الكلام
كانه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى مخصص فاذا وليها ما يصلح مخصصا لها
تعين وصفيته لها وانت خبير بان تنوينه التفخيمي مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون
ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه غير مقصود بسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد وتمكين الشيء في الارض
جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله تع ولقد مكناهم فيما
ان مكناكم فيه واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تع انا مكنا له في الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الاخر ومنه قوله تعالى
ما لم نمكن لكم بعد قوله تع مكناهم في الارض كانه قيل في الاول مكنا لهم وفي الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها
من الجملة المنفية والعائد محذوف ومحلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف
الحال مزيد بيان لشان الفريقين ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعي الضميرين وارسلنا السماء اي المطر او السحاب والمظلة
لانها مبدا المطر عليهم متعلق بارسلنا مدرارا اي مغزارا حال من السماء وجعلنا الانهار اي صيرناها فقوله تع تجري من تحتهم
مفعول ثان لجعلنا او انشاناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على [illegible]
الجريان على الوجه المذكور ما لا يخفى [illegible]
بعد ذكر تمكينهم [illegible]
المآرب ومبادي الامن [illegible]
والامتداد في الاعمار والسعة في الاموال [illegible]
اهل مكة ففعلوا ما فعلوا فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب [illegible]

وزيادة كلمة في لا ان ما
جعل مكانا له قطعة من
الارض لا كلها
سلمه الله

تلك العدد والاسباب فيحل بهم لا محالة مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى اخر ما به الاستشهاد والاعتبار
اما قوله سبحانه وانشانا من بعدهم اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن قرنا آخرين بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته
تع وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشا بدلها اخرى
ولو نزلنا عليك جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل
الباطلة اثر بيان اعراضهم عن ايات الله تع وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا
اليه عليه السلام مع نسبة اتيان الايات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدحهم
فيما نزل عليه صريحا وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد حيث قالوا
لرسول الله عليه السلام لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله تعالى
وانك رسوله كتابا ان جعل اسما كالامام فقوله تع في قرطاس متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان
جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه فلمسوه اي الكتاب وقيل القرطاس وقوله تع بايديهم مع ظهور ان اللمس لا
يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تع وانا لمسنا السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم
بعد ما راوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شانه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار لقال الذين كفروا اي لقالوا
وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه
اللغوي ايضا ان هذا اي ما هذا اشير به الى ذلك الكتاب الا سحر مبين اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره
كما هو داب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج وقالوا لولا انزل عليه ملك شروع في قدحهم في نبوته عليه السلام صريحا
بعد ما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدوره
عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم
الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي
ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله
معه عليه السلام نذيرا اجيب عنه على صورة لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تع ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي لو انزلنا ملكا
على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى الاحاد البشرية الا ترى ان الانبياء عليهم السلام
كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك
وحيث كان شانهم كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم
عما عليه يدور نظام الدنيا والاخرة من ارسال الرسل وتاسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وفيه كما ترى ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول
في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري
على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تع ثم لا ينظرون اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو المقصود
بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجاة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل في سبب
اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي اية لا شيء ابين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد
من اهلاكهم وقيل انهم اذا راوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثاني بقوله تع ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا على ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وانما لم يجعل للملك المذكور قبله بان يعكس
ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلنا الملك نذيرا لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه ايضا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض
الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول
مبتدا والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدا والخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم
بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعية اريد بها بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي
هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعولا ثانيا لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني كذلك رعاية
لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لا لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا
لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الاحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشرا ايذان بان الجعل بطريق
التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تع وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ
بحذف لام الجواب اكتفاء بما في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا اشبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر
بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم حينئذ بان يقولوا له انما انت بشر
ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقران المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي صلى الله
عليه وسلم ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تع رجلا باللبس اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سببا

للبسهم او لو قعد في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تاكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشاننا من لبس الامر عليهم وقد جوزان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة **ولقد استهزئ برسل من قبلك** تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي و بالله لقد استهزئ برسل اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه **فحاق** عقيبه اي احاط او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تع **بالذين سخروا منهم** اي استهزؤا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تع **ما كانوا به يستهزءون** للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل **قل سيروا في الارض** بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين وقد انجز ذلك يوم بدر اي انجاز اي سيروا في الارض لتعرف احوال اولئك الامم **ثم انظروا** اي تفكروا **كيف كان عاقبة المكذبين** وكلمة ثم اما لان النظر في آثار الهالكين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله تع فانظروا الآية واما ان الامر الاول لاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستيصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الامر وماله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم انه المدار في ذلك **قل لمن ما في السموات والارض** من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا قل لهم بطريق الالجاء والتبكيت وقوله تع **قل لله** تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتاتي لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله تع **كتب على نفسه الرحمة** جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير عن مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء ايضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تع قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما روي عن ابي هريرة رض ان رسول الله عليه السلام قال لما قضى الله تع الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وعنه في رواية انه عليه السلام قال لما قضى الله تع الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رض انه قال لكعب ما اول شيء ابتداه الله تع من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تع وان اريد بها الذات الا مشاكلة لما يرى من انتفاء المشاكلة هاهنا بنوعيها وقوله تع **ليجمعنكم الى يوم القيمة** جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تع انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيمة **لا ريب فيه** اي في اليوم او في الجمع وقوله تع **الذين خسروا انفسهم** اي بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول عليه السلام واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على الذم اي اعني الذين الخ او هم الذين الخ او هو مبتدا والخبر قوله تع **فهم لا يؤمنون** والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تع لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر **وله** اي لله عز وجل خاصة **ما سكن في الليل والنهار** تزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تع وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر **وهو السميع** المبالغ في سماع كل مسموع

العليم المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال **قل** لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب **اغير الله اتخذ وليا** اي معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تع اغير الله ابغي ربا وقوله تع افغير الله تامروني اعبد الخ **فاطر السموات والارض** اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رض ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها **وهو يطعم ولا يطعم** اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه او لانه معظم ما يصل الى المرزوق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتع وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير لغير الله والمعنى اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تع يقبض ويبسط **قل** بعد بيان ان اتخاذ غيره تع وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول **اني امرت** من جناب عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه لله مخلصا له لان النبي امام امته كقوله تع وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله تع سبحانك تبت اليك وانا اول المسلمين **ولا تكونن** اي وقيل لي لا تكونن **من المشركين** اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الامر **قل اني اخاف ان عصيت ربي** اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام من المعاصي على الاطلاق وقوله تع **عذاب يوم عظيم** اي عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم **من يصرف عنه** على البناء للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تع **يومئذ** ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ **فقد رحمه** اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تع فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستانفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي **وذلك** اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد مكانه من الفضل وهو مبتدا خبره قوله تع **الفوز المبين** اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والالف واللام لقصره على ذلك **وان يمسسك الله بضر** اي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك **فلا كاشف له** اي فلا قادر على كشفه عنك **الا هو** وحده **وان يمسسك بخير** من صحة ونعمة ونحو ذلك **فهو على كل شيء قدير** ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تع فلا راد لفضله وحمله على تاكيد الجوابين يأباه الفاء تذكر روي عن ابن عباس رض انه قال اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا **وهو القاهر فوق عباده** تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة **وهو الحكيم** في كل ما يفعله ويامر به **الخبير** باحوال العباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلث للقصر **قل اي شيء اكبر شهادة** روي ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاي مبتدا واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تع **قل الله** امر له صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لترددهم في انه اكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا في هذا الشان وقوله تع **شهيد** خبر مبتدا محذوف اي هو شهيد **بيني وبينكم** ويجوز ان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له عليه السلام وتكرير البين لتحقيق المقابلة **واوحي الي** اي من جهته تع **هذا القرآن** الشاهد بصحة رسالتي **لانذركم به** بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة **ومن بلغ** عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيمة خلا ان ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في سورة النساء **ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى** تقرير لهم مع انكار واستبعاد **قل لا اشهد** بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف **قل** تكرير للامر للتاكيد **انما هو اله واحد** اي بل انما اشهد انه تع لا اله الا هو **وانني بريء مما تشركون** من الاصنام او من اشراككم **الذين آتيناهم الكتاب** جواب عما سبق من قولهم لقد سالنا عنك اليهود والنصارى اخر عن

عن تعيين الشهيد مسارعة الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود و
النصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم
بقوله تع يعرفونه اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون
ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون فى ذلك اصلا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قدم المدينة قال عمر رض
لعبد الله بن سلام انزل الله تع على نبيه هذه الاية وكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابنى
ولانا اشد معرفة بمحمد منى بابنى لانى لا ادرى ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تع الذين خسروا انفسهم من اهل الكتابين
والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية فهم لا يؤمنون لما انهم
مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لشبه الموصول بالشرط وقيل على انه خبر
مبتدا محذوف اى هم الذين خسروا الخ وقيل على انه نعت للموصول الاول وقيل النصب على الذم فقوله تع فهم لا يؤمنون
على الوجوه الاخيرة عطف على جملة الذين اتيناهم الكتاب الخ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبى الموعود فى
الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملئكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض
لانكار المساواة ونفيها تشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان
فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يرى الى قوله عز وجل لا جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون بعد
قوله تع ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر فى ذلك ان النسبة بين الشيئين انما يتصور غالبا لا سيما فى باب المغالبة
بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ان يتحقق النقصان لا محالة او كذب باياته كان كذبوا بالقران الذى من
جملته الاية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيرها واتقو
عليه السلام فان ذلك تكذيب باياته تع وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم
فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تع ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون انه الضمير للشان ومدار وضعه
موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير فى الذهن
فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن
فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين
هذا فما ظنك بمن فى الغاية القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق
العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة
كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول كان من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقديم صيغة الماضى
على التحقق ويحسن موقع عطف قوله تع ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اى واذكر لهم للتخويف و
التحذير يوم نحشرهم الخ وقيل وليتقوا او ليحذروا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول
بالياء فيهما للذين اشركوا اى نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد اين شركاؤكم اى الهتكم التى جعلتموها شركاء
لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله تع الذين كنتم تزعمون اى
تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تع احشروا الذين ظلموا
وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين
وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه قوله تع فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الايات الكريمة اما بعدم
حضورها حينئذ فى الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها
فى الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم فى وقت التوبيخ
ليفقدوهم فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال
وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية على
انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب فى البرزخ وانما الذى يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلى واليقين القوى
المترتب على المحاضرة والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم بتانيث الفعل ورفع فتنتهم على انها اسم له والخبر الا ان قالوا وقرئ بنصب
فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتانيث للخبر كما فى قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها وثم لتراخى رتبتها
انسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا فى يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء
وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبة كفرهم الذى لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرؤ منه بان
يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تع بذلك لما هم لبالغة فى التبرى من الاشراك
وقرئ ربنا على النداء وهو لاء ظهار الضراعة والاجتهاد فى استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع

راسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا فى الدنيا انا على خطاء فى معتقدنا مما لا ينبغى
ان يتوهم اصلا فانه مما يوهم ان لهم عذرا ما وان لهم قدحا على الاعتذار فى الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على انه
قد قضى ببطلانه قوله تع انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم فى الدنيا
اى انظر كيف كذبوا على انفسهم فى قولهم ذلك فانه امر عجيب فى الغاية واما حمله على كذبهم فى الدنيا فتمحل يجب تنزيه ساحة
التنزيل عنه وقوله تع وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا داخل معه فى حكم التعجيب وما مصدرية او موصولة قد حذف
عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اى زال
وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤا منه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء
وايقاع الافتراء عليها مع انه فى الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة فى امرها كانها نفس المفترى
وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل فى حيز التعجيب ومنهم من يستمع اليك كلام مبتدا مسوق لحكاية ما صدر فى الدنيا من
بعض المشركين من احكام الكفر ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا فى
محل الظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما فى قوله تع ومنا دون ذلك اى وجمع منا الخ ومن
موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذى يستمع اليك او فريق يستمع اليك على ان مناط
الافادة اتصافهم بما فى حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين وقد مر فى تفسير قوله تع ومن الناس من
يقول الخ روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله
فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول
اساطير الاولين مثل ما حدثتكم من القرون الماضية فقال ابو سفيان انى لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم
اكنة من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر
الى لفظها وقد روعى جانب المعنى فى قوله تع ومنهم من يستمعون اليك الاية والاكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشئ وتنوينها للتفخيم
والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنه من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدرها قبل الماضى الواقع حالا اى يستمعون
اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس ان يفقهوه اى كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه
من القران المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اى منعناهم ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا
صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما فى قوله تع على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبى
... من بنى ومفرط نبو قلوبهم عن فهم القران الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه فى اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا
قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر الاية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه فى حق القران والنبى
جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان لكون القران سحرا او شعرا او اساطير الاولين وقس عليه ما تخيلوه فى
حق النبى صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم
الكريم على ذلك وان يروا كل اية من الايات القرانية اى يشاهدوها بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفى لا على نفى العموم اى
كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هى لما مر من حالهم حتى اذا جاؤك يجادلونك هى حتى التى يقع بعدها الجمل والجملة
هى قوله تع اذا جاؤك يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاؤا وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما فى حيز الصلة
واشعارا بعلة الحكم اى بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك يجادلونك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا
من الايات الكريمة بل يقولون ان هذا اى ما هذا الا اساطير الاولين فان عد احسن الحديث واصدقه الذى لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى
وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تع يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة
او جمع اسطار وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقران
اى لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيته فيؤمنوا به وينأون
عنه اى يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهى عن المنهى عنه من متممات
النهى ولعل ذلك هو السر فى تاخير النائى عن النهى وقيل الضمير المجرور للنبى عليه السلام وقيل المرفوع لابى طالب ولعل جمعيته
باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله عليه السلام وينأى عنه فلا يؤمن به روى انهم اجتمعوا
اليه وارادوا برسول الله عليه السلام سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد فى التراب دفينا فاصدع بامرك
ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتنى وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذارى سبة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا فنزلت
وان يهلكون اى ما يهلكون بما فعلوا من النهى والنأى الا انفسهم بتعريضها لاشد العذاب او قطعه عاجلا واجلا وهو عذاب
الضلال والاضلال وقوله تع وما يشعرون حال من ضمير يهلكون اى يقتصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون

اى لا باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير ان يضروا بذلك شيئا من القرآن والرسول عليه السلام والمؤمنين
وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفى عنهم مطلق الضرر اذ غاية ما يؤدى اليه ما فعلوا من القدح فى القرآن الكريم او الا
فى تشتيت احكامه وظهور امر الدين [illegible] هو الهلاك المطلق على ان مقصودهم لم يكن مطلق المضارة
فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين
يضلونهم [illegible] على انفسهم مع شموله للفريقين مبنى على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال منزلة العدم
ولو ترى اذ وقفوا على النار شروع فى حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيمة من القول المناقض لما صدر عنهم فى الدنيا من القبائح
المحكية مع كونه ذكر ما فى نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان قصدا
الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة
الامور العجيبة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة
عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما فى حيز الظرف عليه اى ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا
يساعده التعبير وصيغة الماضى للدلالة على التحقق [illegible] يطلعون عليها [illegible] مقدار
عذابها [illegible] وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوله تعالى فقالوا يا ليتنا نرد
الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص [illegible] ولات حين مناص ولا نكذب بآيات ربنا اى باياته الناطقة باحوال النار واهوالها
الآمرة باتقائها اذ هى التى تخطر ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا فى حقها او بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما اوليا
ونكون من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين
بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التمنى باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرئ بالرفع [illegible] قراءة ابن مسعود [illegible]
فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين [illegible]
كقوله دعنى ولا اعود [illegible]
الاخير النصب [illegible] التكذيب الآتى به [illegible]
على صنيعك فانه [illegible]
وقدم وجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه التمنى من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها اى ليس ذلك
عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة فى الايمان وشوق الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم فى موقفهم ذلك ما كانوا
يخفون فى الدنيا من الداهية الدهياء وظنوا انهم مواقعوها فحق تقاها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التى وقفوا
عليها اذ هى التى سيق الكلام لتهويل امرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشئ
كفر به واخفاء له لا محالة وايثاره على صريح التكذيب الوارد فى قوله عز وجل هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه
النار التى كنتم بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما فى مقابلته من البدو وهذا هو
الذى يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم او قبائحهم وفضائحهم التى كانوا يكتمونها من
الناس فتظهر فى صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذى يجحدون به فى بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه
علماء اهل الكتابين من صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع
للخواص او كفرهم الذى اخفوه من المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبعد الاغضاء عما فى كل من الاعتساف
والاختلال لا سبيل الى شئ من ذلك اصلا لما عرفت من ان سوق النظم الكريم لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد
ذكر وقوفهم عليها واشير الى ان اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب
عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهى فى نفسها
ادهى الدواهى وازجر الزواجر واسنادها الى شئ من الامور المذكورة التى دونها فى الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها
ثمة امر يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها
وابوابها مفتوحة فتأمل ولو ردوا اى من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال
لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التى من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد
دون الغائب وانهم لكاذبون اى لقوم ديدنهم الكذب فى كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا وداخل فى حيز
الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افاده الشرطية من كذبهم المخصوص ولو اخر
لاوهم ان المراد تكذيبهم فى انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هى اى ما الحيوة الا حياتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقنا هذه الحيوة كأن لم يروا ما رأوا من الاحوال التى اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم

وهو قولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين

الكلام فيه كالذى مر فى نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى
سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى قال استيناف مبنى على سؤال نشأ
من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال اليس هذا اشارة الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه
من الامور العظام بالحق تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا استيناف
كما سبق بلى وربنا اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا لكمال يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا
فى نفعه قال استيناف كما مر فذوقوا العذاب الذى عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به فى
الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله عز وجل
بما كنتم تكفرون اى بسبب كفركم فى دار الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ
والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما فى حيز الصلة من التكذيب
بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى فى قوله تعالى
حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدى لا حد له بغتة البغت والبغتة مفاجأة الشئ بسرعة من غير
شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اى فجأة وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اى مباغتة قالوا
جواب اذا يا حسرتنا تعالى فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك
من مبادى الساعة سمى باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجئ الساعة بعد الموت
كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها اى على تفريطنا فى شان الساعة وتقصيرنا فى مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان
بها واكتساب الاعمال الصالحة كما فى قوله تعالى على ما فرطت فى جنب الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة
والتفريط التقصير فى الشئ مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اى السابق ومعنى فرط خلى
السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما فى جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فائدته
الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء
الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر فى ذلك ان العذاب الروحانى
اشد من الجسمانى نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر فى الاصل الحمل الثقيل سمى به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر
الظهور كذكر الايدى فى قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المالوف هو الكسب بالايدى و
المعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر
لما قبله وتكملة له اى بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حيوة اخرى
يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين فى انفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفرها عما ينتفع به واللهو
صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما فى قول الخنساء فانما
هى اقبال وادبار اى وما اعمال الدنيا اى الاعمال المتعلقة بها من حيث هى هى او وما هى من حيث انها محل لكسب تلك الاعمال
الا لعب شئ يشغل الناس ويلهيهم عما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة
باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح وللدار الآخرة التى هى محل الحيوة الاخرى خير للذين يتقون الكفر و
المعاصى لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام مستمرة على الدوام افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه
من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اى اتغفلون فلا تعقلون او الا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة
قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذى يعتريه مما حكى من الكفرة
من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون فى حقه راجع اليه تعالى فى الحقيقة
وانه ينتقم منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتأكيد العلم بما ذكر المفيد لتأكيد الوعيد كما فى قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه و
قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما فى مثل قوله • وان تمس مهجور الفناء فربما
اقام به بعد الوفود وفود • جريا على سنن العرب عند قصد الافراط فى التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان
فيقول رب فارس عندى وعندى مقانب جمة يريد بذلك التمادى فى تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابراز
انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك
عند كون الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما فى الآيات الكريمة المذكورة او ادعاء كما فى البيت وقد
قد اترك القرن مصفرا انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده
ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف اى الذى يقولونه وهو ما حكى
عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين وقرئ يحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك

تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعدم هينا والاقبال التام
على ما هو اهم منه من استعظام جحودهم بايات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل من التسلية بالكلية مما يوهم
كون حزنه عليه السلام لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر ورفعة المحل و
الزلفى من الله عز وجل الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لاياته سبحانه على طريقة
قوله تع من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عليه السلام واثبت لاياته تع على طريقة قوله تع ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه عليه السلام في شان الله عز وجل وفيه استعظام
لجناياتهم منبئ عن عظم عقوبتهم كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تع فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اي ولكنهم باياته تع يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم
الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود اياته تعالى
وايراد الجحود في موقع التكذيب للايذان بان اياته تع من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها انما ينكرها
بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تع وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من
قال انه نفي ما في القلب ثباته او اثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحده حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه
وقيل هي لتضمين الجحود معنى التكذيب واياما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم
يجحدون بالسنتهم ويؤيده ما روي من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب
فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة
والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين
فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم
يجحدون بايات الله كما يروى ان ابا جهل كان يقول لرسول الله عليه السلام ما نكذبك وانك عندنا لصادق ولكنا نكذب
ما جئتنا به فنزلت وكان صدق المخبر عند الخبيث مطابقة خبره لاعتقاده والاول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية و
قرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد ككثر وكثر وانزل ونزل وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا
ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اي نسبت الكذب اليه واكذبته اي نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وفي
ولقد كذبت رسل من قبلك افتنان في تسليته عليه السلام فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عليه السلام
الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة ضمنية له عليه السلام
بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن اما متعلقة بكذبت او بمحذوف
وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبلك رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كائنون من زمان
قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا ما مصدرية وقوله تع واوذوا عطف على كذبوا داخل في حكمه وانسبك منهما مصدر لكن من
المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم
واما ما يقارنه من فنون الايذاء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب اياه غالبا واياما كان ففيه تاكيد للتسلية وقيل
عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استيناف وقوله تع حتى اتاهم نصرنا غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تع اياهم
امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تعالى
ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تع ما ينبئ عنه قوله تع ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تع كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام
الدالة على نصرة رسول الله ايضا لا نفس الايات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل
المواعيد الواردة في رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد بكلماته
تع جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه السلام دخولا اوليا والالتفات
الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تع خلف
في قول من الاقوال وقوله تع ولقد جاءك من نبأ المرسلين جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد ما في ضمنه من الوعد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ولقد تقرر جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل
الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض نبأ المرسلين وبتقدير الموصوف اي بعض من نبأ المرسلين كما مر في تفسير قوله
ومن الناس من يقول آمنا بالله الاية واياما كان فالمراد بنبأهم عليهم السلام على الاول نصره تع اياهم بعد اللتيا والتي
على الثاني جميع ما جرى بينهم عليهم السلام وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تع ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا الاية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في جاءك العائد الى نبأهم
من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبأ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستانف مسوق لتاكيد

هو كون الجملة مسوقة لتقرير ما الامر من النصر

وهو كون الجملة مسوقة لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما

ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما
جئت به من القرآن الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي عنهم من تسميتهم اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس
عنه وقيل ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد
ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى الله ان ياتيهم بما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سالوه اية يود ان ينزلها
الله تع طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تع اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد وقيل
قيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور
وعلى التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت الخ شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق
عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الايات واحببت ان تجيبهم الى ما سالوه اقتراحا
فان استطعت ان تبتغي نفقا اي سربا ومنفذا في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما اي مصعدا في السماء تعرج به فيها
فتاتيهم منها باية مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالاية فالفاء في فتاتيهم حينئذ تفسيرية
وتنوين آية للتفخيم ... والظرفان متعلقان بمحذوف هما نعتان لنفقا وسلما والاول لمجرد اى فان استطعت
التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض او بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي تبتغي نفقا كائنا انت
في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وترامية الى حيث لو قدر
على ان ياتي باية من تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان
بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء تع ان يجمعهم
على ما انتم عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى
مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للايات الداعية اليه لا انه تع لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء الله
لجمعهم عليه بان ياتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تع فلا تكونن من الجاهلين نهي لرسول الله عليه
السلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الايات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان
عدم تعلق مشيئته تع بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه تع لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد
على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تع التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تع بايمانهم
اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين
على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه عليه السلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه
لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه السلام وبينهم انما يستجيب الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة
مانعة من الفقه وفي اذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة
الاجابة المقارنة للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين
هؤلاء منهم كقوله تع انك لا تسمع الموتى وقوله تع والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه تع بالقدرة على توفيقهم للايمان
باختصاصه تع بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى
مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تع من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فحينئذ
يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهور اوفق بجزالة المقام لانبائه
عن كون مرجعهم اليه تع بطريق الاضطرار وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه حكاية لبعض اخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في
حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة
والطغيان الى حيث لم يقنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤوا على ادعاء انها ليست من قبيل الايات
وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء الاية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سياتي وما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تع له عليه السلام
من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم واطلاق الاية في قوله تع قل ان الله قادر على ان ينزل آية مع
ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا اية ما من الايات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها اية
موجبة لهلاكهم كانزال الملائكة العذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع
ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تع على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار
للايذان بان عدم تنزيله تع اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك
بقوله تع ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول

عليه بقرينة المقام والمعنى انه تع قادر على ان ينزل آية من ذلك او آية واية آية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون
ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبنى على قاعدة الاختيار او استيصالا لهم
بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفوا
على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تع وما من دابة في الارض الخ كلام مستانف مسوق لبيان كمال
قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تع قادر على تنزيل الاية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة
وزيادة من لتاكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف الدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد
الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تع ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير
اى ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل
الجار والمجرور كانه قيل وما دابة ولا طائر الا امم اى طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير
الا امم امثالكم اى كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد
منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية ما فرطنا في الكتاب من شئ يقال فرط الشئ اى ضيعه وتركه
قال ساعدة بن جوية معه سقاء لا يفرط حمله اى لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط الشئ اى اهمل ما ينبغي ان يكون فيه و
اغفله فقوله تع في الكتاب اى في القرآن على الاول ظرف لغو وقوله تع من شئ مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اى
ما تركنا في القرآن شيئا من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تع مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول
للفعل ومن شئ في موضع المصدر اى ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وايا ما
كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة
في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تع ثم الى ربهم يحشرون بيان لاحوال الامم المذكورة
في الآخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اى الى مالك
امورهم يحشرون يوم القيمة كدابكم لا الى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان ياخذ للجماء
من القرناء وقيل حشرها موتها ويأباه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تع والذين كذبوا باياتنا متعلق بقوله تع ما فرطنا
في الكتاب من شئ والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تع ومنهم من يستمع اليك الايات ومحله الرفع على الابتداء
خبره ما بعده اى اوردنا في القرآن جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا باياتنا التي هي منه صم
لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الايات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون
على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تع في الظلمات اى في ظلمات الكفر وظلمات الجهل والعناد والتقليد
اما خبر ثان للمبتدا على انه عبارة عن العمى كما في قوله تع صم بكم عمى واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كانه قيل
ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم اى بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال
فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة
وان كان معزولا عن العيان واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله
من يشا الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا يتاتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدا وخبره ما
بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء واستفراد الغرابة في تعلقها
اى من يشا الله اضلاله اى ان يخلق فيه الضلال يضلله اى يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في
ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تع ومن يشا يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه ولا يزل
من ثبت قدمه عليه قل ارأيتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف
حرف جئ به لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية
لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اى اخبروني ان اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوي
او اتتكم الساعة التي لا محيص عنها البتة اغير الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تع ان كنتم صادقين متعلق
بارأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اى ان كنتم صادقين في ان
اصنامكم آلهة كما انها دعواكم المعروفة او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله الخ فان صدقهم
باى معنى كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تع اغير الله تدعون اعني فادعوه
على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تع عند اتيان ما ياتي لا انفس
دعائهم اياه وقوله تع بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كانه قيل لا غيره تع
تدعون بل اياه تدعون وقوله تع فيكشف ما تدعون اليه اى الى كشفه عطف على تدعون اى فيكشفه اثر دعائكم وقوله تعالى
ان شاء اى ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استاثر الله تع بعلمها

فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق
بكشف العذاب الاخروي الذي من جملته الساعة وقوله تع وتنسون ما تشركون اى تتركون ما تشركون به تع من الاصنام
تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقاربهما وتاخر الكشف الاخروي الذي من جملته عنهما
لاظهار كمال العناية بشان الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تع ولقد ارسلنا كلام مستانف مسوق لبيان
ان منهم من لا يدعو الله تع عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتاثرون بالزواجر التكوينية كما
لا يتاثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف
لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اى وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم كثيرة الى امم اى كائنة من زمان
قبل زمانك من قبلك اى فكذبوا رسلهم فاخذناهم بالبأساء اى بالشدة والفقر والضراء اى الضر والآفات وهما صيغتا
تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اى لكى يدعوا الله تع في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم
فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا اى فلم يتضرعوا مع تحقق ما يستدعيه ولكن قست قلوبهم اى استدراك عما قبله اى فلم يتضرعوا
اليه تع برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اى استمرت على
ما هي عليه من القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه
لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تع فلما نسوا ما ذكروا به
عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اى فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم
ابواب كل شئ من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روى انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا
بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكر في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تع حتى
اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تع حتى اذا جاء امرنا الاية ونظائرها وهي مع ذلك
غاية لقوله تع فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمانوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اى
نزل بهم عذابنا فجاءة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون
وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من
دبر دبرا ودبورا اى تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر
موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة
من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من
اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام قل ارأيتم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثنية
الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان
بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا
يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب
منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار
فلانه مورد الايات القرآنية وافراده لما ان اصله مصدر وقوله تع من آله مبتدا وخبر ومن استفهامية وقوله تع غير الله
صفة للخبر وقوله تع ياتيكم به اى بذاك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق
الرؤية ومناط الاستخبار اى اخبروني ان سلب الله تع مشاعركم من آله غيره تع ياتيكم بها وقوله تع انظر كيف نصرف الايات
تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تاثرهم بما عاينوا من الايات الباهرة اى انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة
عن اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم
يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجب وثم لاستبعاد صدوفهم اى اعراضهم عن تلك الايات
بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتكم تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم
ان اتاكم عذاب الله اى عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اى فجاءة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان و
تضمين هذا معنى الخفية تحقق بل بقوله تع او جهرة اى بعد ظهور اماراته وعلاماته وقيل ليلا او نهارا كما في قوله تع بياتا او نهارا
لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر اى اتيان بغتة او اتيان جهرة و
تقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تع هل يهلك متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اى قل لهم تقريرا لهم
الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تع حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اى هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع
موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل
المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا وقال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم ويأباه تخصيص الاتيان

بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفى فمتعلق الاستخبار محذوف كانه قيل اخبرونى ان اتاكم عذابه تع بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اى ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين لما انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما عبد به واشتغل بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثى وما نرسل المرسلين كلام مستانف سوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما فى عهدة الرسل عليهم السلام واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهيه وقوله تع الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اى ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم ففيهما معنى العلة الغائية قطعا اى ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية اى ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دينويا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل ما فى وقوع الخبر به اصلا وعليه يدور القصر والالزام ان لا يكون بيان الشرايع والاحكام من وظائف الرسالة والفاء فى قوله تع فمن آمن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصوله والفاء فى قوله تع فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون لشبه الموصول بالشرط اى لاخوف عليهم من العذاب الذى انذروه دينويا كان او اخرويا ولاهم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل او الآجل وتقديم نفى الخوف على نفى الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضماير الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما تقرر فى موضعه من ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الا يرى ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفى دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالى عن حرف النفى يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفى يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد فى ذلك فان قولك ما انا ضربت مفيد لاختصاص النفى لا نفى الاختصاص كما بين فى محله وقوله عز وجل والذين كذبوا عطف على من آمن داخل فى حكمه وقوله تع باياتنا اشارة الى ان ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار وبلغوه الى الامم آيات تع وان من آمن به فقد آمن باياتنا تع ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب فى الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا مخبرين بالخبر والمهم من جهتنا بما سيقع منا من الامور السارة والضارة لا يوقعوها استقلالا من تلقاء انفسهم او استنادا من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا او انذارا فى ضمن اياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل فى الصلاح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا باياتنا التى بلغوها عند التبشير والانذار يمسهم العذاب اى العذاب الذى انذروه عاجلا او آجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اى بسبب فسقهم المستمر الذى هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندى خزائن الله استيناف مبنى على ما اسس من السنة الالهيه فى شان ارسال الرسل عليهم السلام وانزال الكتب مسوق لاظهار تبريه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم اى قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الايات واخرى غير ذلك لا ادعى ان خزائن مقدوراته تع مفوضة الى التصرف فيها كيف ما اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا على تنزيل الايات او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشانى وجعل هذا تبرأ عن دعوى الالهيه مما لا وجه له قطعا وقوله تع ولا اعلم الغيب عطف على محل عندى خزائن الله تع اى ولا ادعى ايضا انى اعلم الغيب من افعاله تع حتى تسالونى عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما ولا اقول لكم انى ملك حتى تكلفونى من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقى فى السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافى بصفاتهم قادحا فى امرى كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق والمعنى انى لا ادعى شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا على ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتى الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التى لا تعلق لها بشئ مما ذكر قطعا بل انما هى عبارة عن تلقى الوحى من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشايع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفى والاصل والاثبات فى القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفى والاثبات معا فى خصوصيه فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفى فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كلا من الافعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه فان معنا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر فى الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الى من غير ان يكون لى مدخل ما فى الوحى او فى الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا قل هل يستوى الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدى على الاطلاق والاستفهام انكارى والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير يسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون

عن الضلال والترغيب فى الاهتداء ما لا يخفى وقوله تع افلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الا

وبه يتحقق القصر الصحيح بها والسر بها فى تعين الصلة فتدبر

فيه او اتسمعونه فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ فى الاول عدم الامرين معا وفى الثانى عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الايات الباهرة ولا يتاثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة وقد ايفت مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر اى الفم فابوا الا الاباء والنكير وما نجع فيهم عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم فى الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الاتى سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين فى شفاعة ابائهم الانبيا كالاولين او فى شفاعة الاصنام كالاخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة ابائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون عمن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون فى الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضى باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل هو عليه من القران والمفعول الثانى للانذار اما العذاب الاخروى المدلول عليه بما فى حيز الصلة واما مطلق العذاب الذى ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلى لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تع ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فى حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقه محذوف وقع حالا من اسم ليس لانه فى الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا ان الحال الاولى لاخراج الحشر الذى لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تع بمنزلة المنكرين له فى عدم الخوف الذى عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الولى الذى لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولاية تع لهم كما فى قوله تع وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتع كما فى قوله تع ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم وعن هذا اتضح ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولى سواه تع ليخافوا الحشر بدون نصرته واما الذى يخافون الحشر بدون نصرته تع وقوله تع لعلهم يتقون تعليل للامر اى انذرهم لكى يتقوا الكفر والمعاصى او حال من ضمير الامر اى انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اى انذرهم مرجوا منهم التقوى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى لما امر عليه السلام بانذار المذكورين لينتظموا فى سلك المتقين نهى عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدى الى طردهم روى ان رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال عليه السلام نعم طمعا فى ايمانهم وروى ان عمر رضى الله عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدى والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بنى عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم فى صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبى عليه السلام فحدثه بالذى كلموه فقال عمر رض لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الاية جاء الاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله عليه السلام حقروهم فاتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست فى صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم لجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب ياتيك فنستحيى ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة ودعا عليا رض ليكتب ونحن قعود فى ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالاية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى امرنى ان اصبر نفسى مع قوم من امتى معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تع يريدون وجهه حال من ضمير يدعون اى يدعون ربهم تع مخلصين له فيه وتقييده به لتاكيد عليته للنهى فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للطرد وقوله تع ما عليك من حسابهم من شئ اعتراض وسط بين النهى وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل الطاعنين فى دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى اى ما عليك شئ ما من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبنى على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تع ان حسابهم الا على ربى وذكر قوله تع

وما من حسابك عليهم من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة فى بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه فى سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تع لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتادية معنى واحد على نهج قوله تع ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شان التنزيل وتقديم عليك فى الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفى على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعى الى تصديه عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم و يدعوك الى الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تع فتطردهم جواب النفى وقوله تع فتكون من الظالمين جواب النهى وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهى وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذى هو عبارة عن تقديمه تع لفقراء المؤمنين فى امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه فى الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الكمال والكاف مقحم لتاكيد ما افاده الاسم الاشارة من الفخامة ومحلها فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اى ابتلينا بعض الكفار ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الاخرين فى امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم فى امر الدنيا تقدما كليا واللام فى قوله تع ليقولوا للعاقبة اى ليقول البعض الاولون مشيرين الى الاخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوى وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تع من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه وقوله تع اليس الله باعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وابطال له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم و الاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك اى اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون بحق نعمة الله تع فى تنزيل القران والتوفيق للايمان شاكرون له تع على ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا هم الذين نهى عن طردهم وصفوا بالايمان بايات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تع بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتى العلم والعمل وتاخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهى عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تع فقل سلام عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تع اليهم وقيل بان يبدأهم بالسلام وقوله تع كتب ربكم على نفسه الرحمة اى قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط شىء ما اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تع وبنيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبوله التوبة منهم وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاؤا الى النبى عليه السلام فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بكسر انه على انه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله تع بجهالة حال من فاعل عمل اى عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انه يؤدى الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اى من بعد عمله او من بعد سفهه واصلح اى ما افسد تداركا وعزما على انه لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اى فامره انه غفور رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استئناف وقع فى صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل الايات قد مر آنفا ما فيه من الكلام اى مثل هذا التفصيل البديع نفصل الايات فى صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتانيث الفعل بناء على تانيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستأنفا اى ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد وتاؤه للخطاب اى ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم قل انى نهيت امر عليه السلام بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اى قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا انى صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الايات فى امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اى عن عبادة ما تعبدونه من دون الله كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشان المأمور به وايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تع من النهى والثانى حكاية لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه

تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شىء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهى والانتهاء وقوله تع قد ضللت اذا استئناف مؤكد لانتهائه عما نهى عنه مقرر لكونهم فى غاية الضلال والغواية اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تع وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اى دوام النفى واستمراره لا نفى الدوام والاستمرار كما مر مرارا اى ما انا فى شىء من الهدى حتى اكون فى عدادهم وقوله تع قل انى على بينة من ربى تحقيق للحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذى عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التى تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القران وقيل هى الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تع وكذبتم به متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تع وكذبتم به اما جملة مستأنفة او حالية بتقدير قد او بدونه جىء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضى عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى انى على بينة عظيمة كائنة من ربى وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التى من جملتها الوعيد بمجىء العذاب وقوله تع ما عندى ما تستعجلون به استئناف مبين لخطائهم فى شان ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجىء ما وعد فيها من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اى ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود فى القران وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه فى حكمى وقدرتى حتى اجىء به واظهر لكم صدقه اى ليس امره بمفوض الى ان الحكم اى ما الحكم فى ذلك تعجيلا وتاخيرا او ما الحكم فى جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تع يقص الحق اى يتبعه بيان لشؤونه تع فى الحكم المعهود او فى جميع احكامه المنتظم له انتظاما اوليا اى لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقية التاخير وقرئ يقضى فانتصاب الحق على المصدرية اى يقضى القضاء الحق او على المفعولية اى يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدى على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذى يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل المعنى انى من معرفة ربى وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تع غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب ايات الله تع بسبب عدم مجىء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه فى امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا قل لو ان عندى اى فى قدرتى ومكنتى ما تستعجلون به من العذاب الذى ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الى من جهته تع لقضى الامر بينى وبينكم اى بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفى بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذى هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل فى تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله تع اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الى فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تع من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يغلق عليها وتفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اى عنده تع خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله تع لا يعلمها الا هو تاكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لى حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدى حتى اخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تع قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تع ويعلم ما فى البر والبحر بيان لتعلق علمه تع بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء فى الجلاء اى يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تع وما تسقط من ورقة بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تع ولا حبة عطف على ورقة وقوله تع فى ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيد لكمال نفوذ علمه تع اى ولا حبة كائنة فى بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان فى حكمها وقوله تع الا فى كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تع او بدل اشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا فى كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه السقوط وقد نقل قراءة

الا يعلمها

الرفع في ولاحبة ايضا وهو الذي يتوفيكم بالليل اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الامانة للانامة لما بين الموت والنوم من المشاركة
في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق
في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما تحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما الا على بعضهما والمراد بعلمه تع
ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص
التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم في النهار عطف
على يتوفاكم وتوسيط قوله تع ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات
مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة ثم التراخي كانه قيل هو
الذي يتوفيكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهر مع علمه بما ستجرحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد فرد بحيث لا
يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم
التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام
بالنهار وانه تع مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال لا افضائه الى كون البعث
معللا بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اي هو المتصرف في امورهم لا غير يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما
واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون
وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى
المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تاخر لكان صفة اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف
على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم
ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف
سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى في قوله تع حتى اذا جاء احدكم الموت
هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون
اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاء اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الاخرون المفوض
اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التائين
وهم اي الرسل لا يفرطون اي بالتواني والتاخير وقرئ مخففا من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان
والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تع ثم ردوا عطف على توفته والضمير
للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد
والرد على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث والحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب مولاهم اي مالكهم الذي
يلي امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما في قوله تع وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على
المدح الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان
واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شان عن شان وفي الحديث انه تع يحاسب الكل في مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من
ظلمات البر والبحر اي قل لهم تقريرا بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش
العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف
في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تع تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير اي
من ينجيكم منها حال كونكم داعين له او من فاعله وقوله تع تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعونه او مصدر مؤكد له اي تدعونه متضرعين
جهارا او مسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تع لئن انجيتنا حال من الفاعل ايضا على تقدير القول
اي قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات لنكونن من الشاكرين اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل
هذه النعمة وجميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تع تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب امر عليه السلام
بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم اي الله تع وحده ينجيكم مما تدعونه
الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تع
غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تع قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استيناف مسوق لبيان انه تع هو القادر على القائهم
في المهالك اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل أفامنتم ان يخسف
بكم جانب البر الآية وقوله تع ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء
به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم وللتشويق الى المؤخر وقوله تع من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة
لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم او من تحت ارجلكم اي من جهة السفل

كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم ورؤسائكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو
دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح او يلبسكم شيعا اي يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة
مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها
يدي ويذيق بعضكم باس بعض عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض
الكفار والآخر المؤمنون ففيه وعد ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند قوله تع عذابا من فوقكم اعوذ
بوجهك وعند قوله تع او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تع او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض هذا
اهون او هذا ايسر وعنه عليه السلام انه قال سالت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني
ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا
ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به اي بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه
قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم
من قومه عليه السلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تع وهو الحق حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة وانه الكتاب الصادق
فيما نطق به وقيل هو استيناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم متبها على ما يؤل اليه امرهم
بما ستي ونه لكل نبإ اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه مستقر
اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اي حال نبإكم في الدنيا او في الآخرة او
فيهما معا وسوف للتاكيد كما في قوله تع ولتعلمن نباه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها
والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تع حتى يخوضوا في حديث غيره
غاية للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث
بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونه قرآنا واما ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم
ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع
المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم
راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين حين تهاونوا عن مجالستهم عند خوضهم في
الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت اي ما على الذين
يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اي مما يحاسبون عليه من الجرائر من شيء اي شيء ما على انه في محل الرفع على انه
مبتدا او ما تميمية او اسم لها وهي حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه
خبر للمبتدا او لما الحجازية على راي من يجيز اعمالها في الخبر المقدم مطلقا او في محل النصب على راي من يجوز اعمالها في الخبر المقدم
عند كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من
القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف
اي عليهم ان يذكروهم تذكيرا او الرفع على انه مبتدا محذوف الخبر اي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض
حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اي يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا
دينهم الذي كلفوه وامروا باقامته مواجبه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه
العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك و
المعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تع ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحيوة الدنيا
واطمانوا بها حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر به اي بالقرآن من يصلح للتذكير ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل كقوله
تع ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تع علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل الابسال
والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه متمنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي
حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشان ويكون الجملة بدلا
منه مفسرا له لما في الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم على انه
بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تع ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع استيناف مسوق
للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه
في قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما في قوله تع علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين في تفسير
قوله تع والله بما الآية وقيل هو خبر لليس فيكون لها متعلقا بمحذوف على البيان وان تعدل اي ان تفد تلك النفس كل عدل اي كل
فداء على انه مصدر مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تع ولا يؤخذ منها عدل لانه

الفدى لا المصدر كما نحن فيه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصله وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد درجتهم فى سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تع الذين ابسلوا بما كسبوا والجملة مستانفه سيقت اثر تعداد
من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اى اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين
اسلموا الى ما كسبوا من القبائح وقوله تع لهم شراب من حميم استيناف آخر مبين لكيفيه الابسال المذكور وعاقبته مبنى على
سؤال نشا من الكلام كانه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من حميم مغلى يتجرجر فى بطونهم وتتقطع به
امعاؤهم وعذاب اليم بنار تشتعل بابدانهم بما كانوا يكفرون اى بسبب كفرهم المستمر فى الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب
الخ حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله
بما كسبوا لانه العمدة فى ايجاب العذاب والاهم فى باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصى
والسيات هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس محله الرفع بالابتداء والموصول الثانى صفته
او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقه لبيان تبعه الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت فى ابى بكر
رضى الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان
بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها لشان الصديق رض اى انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الالوهيه
التى من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبود به
القدرة على ذلك وقوله تع ونرد على اعقابنا عطف على ندعو داخل فى حكم الانكار والنفى اى ونرد الى الشرك والتعبير عنه
بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم فى القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت
ونبذت وراء الظهر واشارة على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم
الفارغة وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس فى حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تع بعد اذ هدانا الله اى الى
الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال
بعد اذ هدينا كانه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذى لا هادى سواه وقوله تع كالذى
استهوته الشياطين فى محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اى نرد على اعقابنا مشبهين بالذى استهوته مردة الجن و
استغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اى نرد ردا مثل رد الذى استهوته الخ والاستهواء
استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كانها طلبت هويه وحرصت عليه وقرى استهواه بالف ممالة وقوله تعالى
فى الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اى كائنا فى الارض وكذا قوله تع حيران حال منه على انها
بدل من الاولى او حال ثانيه عند من يجيزها او من الذى او من المستكن فى الظرف اى تائها ضالا عن الجادة لا يدرى ما
يصنع وقوله تع له اصحاب جملة فى محل النصب على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفه سيقت لبيان حاله وقوله
يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اى الى ذلك المستوى يهدونه الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كانه
نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اى يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون
ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعى ومورد
النعيق فقط قل ان هدى الله الذى هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغى بحت كقوله تع فماذا
بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتناء بشان المامور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو
توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه تع مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله
هو الهدى داخل تحت القول واللام فى لنسلم لرب العالمين لتعليل الامر المحكى وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلاثة كما فى قوله تعالى
قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلاة وينفقوا الآية كانه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم وقيل هى بمعنى الباء اى امرنا
بان نسلم وقيل زائدة اى امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تع وان اقيموا الصلاة واتقوه اى الله تع فى مخالفة امره عطف على نسلم على
الوجوه الثلاثة على ان المصدر به اذا وصلت بالامر نحو تجرد هو عن المعنى الامر نحو تجرد الصله الفعليه عن معنى المضى والاستقبال
فالمعنى على الاول امرنا اى قيل لنا اسلموا واقيموا الصلاة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه تع وعلى الاخيرين امرنا بان
نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه تع والتعرض لوصف ربوبيته تع للعالمين لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تع وهو
الذى اليه تحشرون جملة مستانفه موجبه للامتثال بما امر به من الامور الثلاثة وهو الذى خلق السموات والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما
ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تع بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق
او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد له اى قائما بالحق او ملتبسه بالحق او خلقا ملتبسا به وقوله تع ويوم يقول كن فيكون قوله الحق
استيناف لبيان ان خلقه تع لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكوينى من غير توقف
على شئ آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد فرد من افراد المخلوقات فى حين معين من افراد الاحيان حق فى نفسه متضمن للحكمة
ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية وترك ذكر المتعلق

له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى وامره المتعلق بكل شئ يريد خلقه من الاشيا
فى حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اى المشهود له بالحقيه المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدا والحق صفته
ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كائن حين يقول لشئ
من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق
وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى حين نقول لقوله الحق اى لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحييها
او حين يقوم القيمه فيكون التكوين حشر الاجساد واحيائها فتامل حق التامل وله الملك يوم ينفخ فى الصور تقييد اختصاص الملك به
تع بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة فى الدنيا المصححة
للمالكيه المجازية فى الجملة كقوله تع لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالمهما وهو الحكيم فى كل ما يفعله
الخبير بجميع الامور الجليه والخفيه واذ قال ابراهيم منصوب على المفعوليه بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم معطوف
على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اى واذكر لهم بعدما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت
ان الهدى هو هدى الله تع وما يتبعه من شئونه تع وقت قول ابراهيم الذى تدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على
عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادى بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث
مع انها المقصودة لما مر مرارا من المبالغه فى ايجاب ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر وعازر وفالع وكذلك تارخ فذكر محمد
بن اسحق والضحاك والكلبى وكان من قرية من سواد الكوفه ومنع صرفه للعجمه والعلميه وقيل اسمه بالسريانيه تارخ وآزر لقبه
المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادته فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال
الزجاج المخطى وقال الفراء وسليمن التيمى المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر بمعنى الاثم بدا بان على
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرى آزر على النداء وهو دليل العلميه اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام
اتتخذ ستعد الى مفعولين هما اصناما آلهة اى اتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعيه
وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرى آزر ابفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنه وراء منونه منصوبه
وهو اسم صنم ومعناه انعبد آزرا ثم قيل تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر
القوة والمعنى الاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكارا لتعززه بها على طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة انى
اراك وقومك الذين يتبعونك فى عبادتها فى ضلال عن الحق مبين اى بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علميه
فالظرف مفعولها الثانى واما بصريه فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نرى ابراهيم هذه الاراءة
من الرؤية البصريه المستعارة للمعرفه ونظر البصيرة اى عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضيه لاستحضار
صورتها وذلك اشارة الى مصدر نرى لا الى اراءة اخرى مفهومه من قوله تع انى اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه فى سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد
ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نرى ابراهيم اراءة كا
ئنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد
لا نعتا له اى ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات والارض اى ربوبيته تع ومالكيته لهما وسلطانه القاهر
عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تع لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغه كالرهبوت والجبروت
ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز سلطانه او لا فقد قيل وقيل والاول هو الاظهر وبه قال
الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روى انه كشف له عليه السلام عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين
وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضى
ان تكون الاراءة بصريه اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها فى
انفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شئونه عز وجل ولا ريب فى ان ذلك ليس مما يدرك
حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصريه المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرى
ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اى تبصره عليه السلام دلائل الربوبيه واللام فى قوله تع وليكون من الموقنين متعلقه
بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اى وليكون من زمرة الراسخين فى الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله
تع فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصيه كمال مترتب على ذلك التبصير لا
عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته فى ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سيأتى من فوائده بلا مرية بل لبيان
انه الاصل الاصيل والباقى من مستتبعاته وقيل هى متعلقه بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفه ينسحب عليها
الكلام اى ليستدل بها وليكون الخ فينبغى ان يراد بملكوتهما بدائعهما وآياتهما لان الاستدلال لا من غايات اراءتها لا من
غايات اراءة نفس الربوبيه وقوله تع فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابراهيم داخل تحت ما امر بذكره

بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وما لحق فان تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض
وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة
شئونه تع الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضي بان يحكم عليه السلام باستحالة آلهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب
وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة
الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تع رأى كوكبا جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس
وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من
الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تع قال هذا ربي استيناف مبني على سؤال
نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان اراءته من ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما
ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل
الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه
على رأي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية
الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا
في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان
مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتهما وعطف قوله تع ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة و
جعل قوله تع فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما لا يليق بجزالة النظم
الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين اي الارباب المنتقلين من مكان الى مكان
المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما رأى القمر بازغا اي مبتدئا في
الطلوع اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جناب الحق
الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في اظهار النصفة
ولعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار
او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافقه الشرقي مكشوف اولا والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع
الشمس كما ينبئ عنه قوله تع فلما رأى الشمس بازغة اي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اي على النهج السابق هذا ربي
وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي
فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التانيث وقوله تع هذا اكبر تاكيد لما رامه عليه السلام
من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت هي ايضا
كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثة
المتغيرة من حالة الى اخرى المسخرة لمحدثها او من اشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيريه على الافول دون البزوغ والظهور من
ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية
قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول
على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة
بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها
فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هذه الاجرام التي تعبدونها من اجزائها والارض التي تغيب هي فيها حنيفا اي مائلا
عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا من المشركين في شيء من الافعال والاقوال وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته
في امر التوحيد قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه
فقيل قال منكرا لما اجترؤا عليه من محاجته عليه السلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجوني في الله
بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تع وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه
مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام اي اتجادلونني في شأنه تع ووحدانيته
والحال انه تع هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى
ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام
قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين نعى عليه السلام بآلهتهم ما فعل وما موصولة اسمية
حذف عائدها وقوله تع الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي لا اخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم
في وقت من الاوقات الا في وقت مشيئته تع شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما هو من جهته تع من غير دخل لآلهتكم
فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتع واستسلام لامره

واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته تع وقوله تع وسع ربي كل شيء علما كانه تعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد
ان يكون في علمه تع ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار في موضع الاضمار تاكيد للمعنى المذكور
واستلذاذ بذكره تع افلا تتذكرون اي اتعرضون عن التامل في ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا
تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر دون التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول
لا يتوقف الا على التذكر وقوله تع وكيف اخاف ما اشركتم استيناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم
الكفرة بالطريق الالزامي كما سيأتي بعد نفيه بحسب الواقع ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله
كيف يكون للمشركين عهد عند الله الآية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تع كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه
الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال ااخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال
من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني
وقوله عز وجل ولا تخافون انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد
الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم لم يخافوا في محل الخوف فلأن
لا يخاف عليه السلام في محل الامن اولى واحرى اي وكيف اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم
المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله
ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجج المنزلة
من عند الله تع وفي تعليق الخوف الثاني باشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله
ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار والتعجيب فمما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا
كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى الى نفي الخوف عنه عليه السلام ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد
وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا مساغ له على ان قوله تع فاي الفريقين احق بالامن
ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكار خوفه عليه السلام في محل الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لالجائهم
الى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل المشعرة
باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق
الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل الخوف فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتاكيد الالجاء
الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون المفعول
اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصدا الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واما
متروك بالمرة اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني الذين آمنوا استيناف من جهته تع مبين
للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم ذلك اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله الفريق
المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقرب
والشفاعة كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في
حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله تع لهم الامن جملة من خبر
مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الاول الذي هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا
من الموصول او عطف بيان له ولهم خبرا للموصول والامن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما
والامن مبتدأ والجملة خبرا للموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ ثانيا والظرف خبره والامن فاعلا له والجملة خبرا للموصول اي
الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي
انه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو
ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق
الاشراك به وليس من قضية الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الاول
لوروده موارد الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عليه السلام من قوله تع فلما جن وقيل من قوله تع
اتحاجوني الى قوله تع مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وبعد منزلته
في الفضل وهو مبتدأ وقوله تع حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تع آتيناها ابرهيم اي ارشدناه اليها
او علمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تع فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع
على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ وابراهيم مفعول اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه على طريقة الالتفات و
كذا الفعل الآتي درجات اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية او الظرفية على نزع الخافض اي الى

من التفخيم

درجات او على التمييز والمفعول قوله تع من نشاء وتاخيره على الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف اى من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة واشار صيغة الاستقبال
للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه السلام وقرى بالاضافة الى من
والجملة مستانفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هى فى محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اى حال كوننا رافعين
الخ ان ربك حكيم فى كل ما فعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها
وفى وضع الرب مضافا الى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة بطريق الالتفات فى تضاعيف بيان احوال ابراهيم عم
اظهار لمزيد لطف وعناية به صلى الله عليه وسلم ووهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله تع وتلك حجتنا الخ فان عطف كل
من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع فى جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا
حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان فى حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط ولا سبيل اليه ههنا كلا مفعول
لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اى كل واحد منهما هدينا لا احدهما
دون الآخر وترك ذكر المهدى اليه لظهور انه الذى اوتى ابراهيم وانهما مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره
هدينا من قبل اى من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم عليهما السلام لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم
لان مساق النظم الكريم لبيان شئونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة فى
نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمى الى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس و
لوطا ليسا من ذرية ابراهيم عليه السلام فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين فى هذه الآية والتى بعدها واما المذكورون
فى الآية الثالثة فعطف على نوحا وروى عن ابن عباس رض ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابرهيم وان كان منهم
من لم يلحقه بولاد من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخى ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تع عن ابناء يعقوب انهم قالوا
نعبد الهك واله اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب داود وسليمان منصوبان بمضمر مفهوم
مما سبق وكذا ما عطف عليهما او بيتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشانه مع ما فى المفاعيل من نوع
طول ربما يخل تاخيره بتجاوب النظم الكريم اى وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط عيص
ابن اسحق ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع حالا من المذكورين اى وهديناهم حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة
الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير
نجزى المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس وبمماثلة جزائهم لجزائه
عليه السلام مطلق المشابهة فى مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية من غير بخس لا المماثلة من كل
وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص به ابراهيم عليه السلام والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وهو عبارة عما اوتى المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل
التقدير ونجزى المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة
فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اى وذلك الجزاء البديع نجزى المحسنين المذكورين لا جزاء آخر ادنى منه و
الاظهار فى موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذى هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذى هو
حسنها الوصفى المقارن لحسنها الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها وزكريا هو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية
تتناول اولاد البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى وقيل هو من اسباط
هرون اخى موسى عليه السلام كل اى كل واحد من اولئك المذكورين من الصالحين اى من الكاملين فى الصلاح الذى هو
عبارة من الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى والجملة اعتراض جى به للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن
العجوز وقرى والليسع وهو على القراءتين علم اعجمى ادخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من
مضارع وسع واللام كما فى يزيد فى قول من قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو ابن متى
ولوطا هو ابن هاران ابن اخى ابراهيم عليهما السلام وكلا اى كل واحد من اولئك المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون
بعض على العالمين على عالمى عصرهم والجملة اعتراض كاختيها وقوله تع ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم اما متعلق بما تعلق به من ذريته
ومن ابتدائية والمفعول محذوف اى وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن
تبعيضية اى وفضلنا بعض آبائهم الخ واجتبيناهم عطف على فضلنا اى اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتاكيد
وتمهيد لبيان ما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما
فى ذلك من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله الاضافة للتشريف يهدى به من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية و

وفيه اشارة الى انه تع متفضل بالهداية ولو اشركوا اى هؤلاء المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون
من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم وهم واعمالهم اعمالهم اولئك اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر
والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى
البعد لما مر غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والشرف وهو مبتدا خبره قوله تع الذين آتيناهم الكتاب
اى جنس الكتاب المتحقق فى ضمن اى فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين
من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد
منهم كتاب معين والحكم اى الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب والنبوة اى الرسالة فان يكفر بها اى بهذه الثلاث
او بالنبوة الجامعة للباقين هؤلاء اى كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه من القرآن
كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا
بها اى امرنا بمراعاتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين فى وقت من الاوقات بل مستمرون على
الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفى بمعونة المقام لا نفى الدوام
كما حقق فى مقامه قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقيل
كل مؤمن من بنى آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان بالانبياء والكتب المنزلة اليهم عاملون بما
فيها من اصول الشرائع وفروعها الباقية فى شريعتنا وبه يتحقق الخروج من عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخ منها فانها
بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد مر تحقيقه فى سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر
بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شانهم فى حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شانهم فى حق سائر الكتب التى من جملتها
القرآن الكريم وقيل هم الملئكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها واياما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء
الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتاكيد النفى واما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر
آنفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدى تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم
او الى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اى فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به
اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما ما خلوا ما ليسوا بكافرين بها قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففى ايمانهم بها
مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن
والعمل باحكامه تحقق الغنية عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملئكة عليهم السلام فايمانهم به ليس من
قبيل ايمان آحاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدا
خبره قوله تع الذين هدى الله اى الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية فبهداهم اقتده اى
فاختص بهداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله تع وتوحيده واصول الدين دون
الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء فى اقتده للوقف حقها ان تسقط فى الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا
اجراء له مجرى الوقف واقتداء بالامام وقرى باشباعها على انها كناية المصدر قل لا اسئلكم عليه اى على القرآن او على التبليغ فان
مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يسأله من قبلى من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما
امر عليه السلام بالاقتداء بهم فيه ان هو اى ما القرآن الا ذكرى للعالمين اى عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص
بقوم دون آخرين وما قدروا الله لما بين شان القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه تع على كافة الامم حسبما نطق به قوله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان غمطهم اياها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب
الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشئ يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل فى معرفة الشئ
فى مقداره واحواله واوصافه وقوله تع حق قدره نصب على المصدرية وهو فى الاصل صفة للمصدر اى قدره الحق فلما اضيف الى
موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه اى ما عرفوه تع حق معرفته فى اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه
تع فى ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما ما انزل الله على بشر من
شئ فنفى معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تع بنقيض نعته الجميل كما ان نفى المحبة فى مثل ان الله لا
يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط والا فنفى معرفة قدره تع يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعى فى تحصيل المعرفة كما
فى قول من يناجى مستقصر المعرفته وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او ما عرفوه حق
معرفته فى السخط على الكفار وشدة بطشه تع بهم حسبما نطق به القرآن حين اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء والنفى
بمعناه الحقيقى والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة فى انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا
ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى اى قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر
وروى ان مالك بن الضيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذى

انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود
فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف
وقيل هم المشركون والزامهم انزال التورية لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالوصول اليهم لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تع نورا
وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام اي تاكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او
من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تع للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا للناس وليس
المراد بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التورية فقط بل بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف
بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس
اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس
القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية
عن الكتاب والجملة حال كما سبق وقوله تع تبدونها صفة لقراطيس وقوله تع وتخفون كثيرا معطوف عليه والعائد الى
الموصوف محذوف اي كثيرا منها وقيل كلام مبتدأ لا محل له من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر ما كتموه من احكام التورية وقرئ الافعال الثلاثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تع وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا
اباؤكم قيل هو حال من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين قلت فينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه
من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديدا للتشنيع فان ما فعلوه بالكتاب
من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذ علومهم ومعارفهم
اشنع واعظم لا عما تلقوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليهم وعلى ابائهم من
مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تع ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان تلقيهم لذلك
من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتورية اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فانه لا تعلق له بها نفيا ولا اثباتا
واما ما ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس الامر واشتباه الحال
حتى يقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه فيكون الجملة ح خالية عن تاكيد التوبيخ فلا تستحق ان تقع موقع الحال بل لو جرح ان يكون
استينافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل الى جعل
ما عبارة عما كتموه من احكام التورية كما يفصح عنه قوله تع قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره
وان كان مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتما وقد قيل الخطاب
لمن آمن من قريش كما في قوله تع لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وقوله تع قل الله امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا
بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون
فيه ولا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف
هو حال من مفعول الاول او من فاعل الثاني او من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول وهذا كتاب
انزلناه تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب مبارك
اي كثير الفوائد وجم المنافع مصدق الذي بين يديه من التورية لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل
في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل
عليه مبارك اي للبركات ولانذارك اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها قاطبة
ايذانا بان انذار اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر
والوبر في المشارق والمغارب والذين يؤمنون وبما فيها من افانين العذاب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا
يزال الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلاة بالذكر من بين سائر
العبادات التي لا يليق مؤمن من ادائها للايذان بانافتها من بين سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تع بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة
كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي
وانكاره فان الاستعمال الفاشي في قولك من افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد
مر تمام الكلام فيه او قال اوحي الي من جهته تع ولم يوح اليه اي والحال انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح
كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله
تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا
فقد اوحي الي مثل ما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى

اذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدائده من غمره اذا غشيه
والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس
او باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوها الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب اليوم اي وقت
الاماتة او الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو
الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد لله ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته
تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما
آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ
فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال
ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين بابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا
اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم
تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم اي في شان كما لله تع في الربوبية واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم اي وقع
التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم
وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم اي ضاع او غاب ما كنتم تزعمون انها
شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير بعض افاعيله تع الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه
وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحب
والنوى اي خالقهما كذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب
فاطر يخرج الحي من الميت اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستانفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان
لان وقوله تع ومخرج الميت من الحي كالنطفة والحب من الحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج
الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو الله المستحق للعبادة وحده فانى تؤفكون فكيف تصرفون
عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر آخر لان او لمبتدأ محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح
الهمزة على انه جمع صبح اي فالق عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي يلي الصبح وقرئ فالق
بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا به او يسكن
فيه الخلق من قوله تع لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل المستمر
في الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان كان
بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة
الاخيرة قيل هما معطوفان على محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان
حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم
مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة
المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها
تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق
ومعادهم وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في بيان نعمته تع في الكواكب اثر بيان نعمته تع في النيرين والجعل متعد الى واحد واللام
متعلقة به وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشاها وابدعها
لاجلكم فقوله تع لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل اشتمال كما في قوله تع لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا و
التقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر
حسبما تقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم
المفاوز والبحار كما ينبئ عنه قوله تع في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى
الاهتداء بها انما تتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة قد فصلنا الآيات اي بينا الآيات
المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الآيات التكوينية الدالة على شؤونه تع مفصلة لقوم يعلمون اي معاني الآيات المذكورة
ويعملون بموجبها او يتفكرون في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به
وهو الذي انشاكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه تع دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اي انشاكم مع كثرتكم من نفس
آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار
واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانها مقرهم الطبيعي كما ان التعبير عن كونهم في الارحام
او تحت الارض بالاستيداع لان كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقرئ بكسر القاف اي فمنكم

مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الايات البينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطائف صنع الله عز وجل في اطوار تخليق بني آدم مما يحار في فهمه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون على يعلمون كما ورد في شان النجوم وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تع منبئة عن كمال قدرته تع وسعة رحمته اى انزل من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفت الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشان ما انزل الماء لاجله اى فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شئ من الاشياء التي من شانها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعها المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تع تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تع فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اى فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شئ اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تع نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة او نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها في بعض على هيئة مخصوصة وقرى يخرج منه حب متراكب وقوله تع ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تع من النخل خبر مقدم وقوله تع من طلعها بدل منه باعادة العامل كما في قوله تع لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله والطلع شئ يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تع قنوان مبتدا اى وحاصلة من طلع النخل عذاق من طلعها قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اى ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شئ من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرى بضم القاف كذئب وذئبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تاتى بالتمر لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تع سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شئ واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرى جنات بالرفع على الابتداء اى ولكم او وثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصله او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تاخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتاتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تع مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفى به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تع والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها انظروا الى ثمره اذا اثمر اى انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرى الى ثمره وينعه اى والى حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرى بالضم وهي لغة فيه وقرى يانعه ان في ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون اى لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار في فهمه الالباب لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه او ند يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء اى جعلوا في اعتقادهم لله الذي شانه ما فصل في تضاعيف هذه الايات الجليلة شركاء الجن اى الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تع او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو شان الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تع شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشا من قوله تع وجعلوا لله شركاء كانه قيل من جعلوه شركاء لله تع فقيل الجن اى جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تع وقد قرى بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على اختلاف الرأيين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اى وقد علموا انه تع خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اى والحال انه تع خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تع وقرى وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تع وخرقوا له اى افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه

بمعنى وقرى خرّقوا بالتشديد للتكثير وقرى وحرّفوا له اى زوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله بغير علم اى بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له اى خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه اى انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى ذاته المقدسة اى تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله تع سبحانه وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة ولما في السبحان والتعالى من معنى التباعد قيل عما يشركون اى تباعد عن عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض اى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذى به ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه ائمة اللغة كالصريخ بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله * امن ريحانة الداعي السميع * وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق او الى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تع مبدع لقطرى العالم العلوى والسفلى بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرى بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور في سبحانه على رأى من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر مبتدا محذوف او فاعل تع واظهاره في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدا خبره قوله تع انى يكون له ولد وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تع وتقرير تنزهه عنه وقوله تع ولم تكن له صاحبة حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تع صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثاني اى من اين او كيف يكون له ولد والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرى لم يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضمير تع والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدا مؤخر والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشان لا على الوجه الاول لما بين في موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله تع وخلق كل شئ اما جملة مستانفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اى انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شئ انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له تع فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شئ من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تع وما لا يجوز من المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترؤا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدا وقوله تع الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة اى ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شئ مما كان وما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدا والبواقي اخبار وقيل يقدم لكل من الاخبار الثلاثة مبتدا وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تع فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تع وهو على كل شئ وكيل عطف على الجملة المتقدمة اى هو مع ما فصل من الصفات الجليلة متولى امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى نجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشئ عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اى لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الاطلاق وقد روى عن ابن عباس رض ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وهو يدرك الابصار اى

يحيط بها علمه اذ لا يخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة
اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا
يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تع قد جاءكم بصائر من ربكم استيناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة
وهي النور الذي به تستبصر النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الايات الواردة ههنا او جميع الايات المنتظمة لها
انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اى قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب
ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن ابصر اى الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه اى فلنفسه ابصر او
فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمي اى ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما
عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اى فعليها عمي او فعماه عليها اى وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله
هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الايات اى مثل ذلك التصريف البديع نصرف الايات الدالة على المعاني
الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه وقوله تع وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة
السياق عليه اى وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة
على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اى مثل ذلك التصريف نصرف الايات لنلزمهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام
الامر وينصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف الايات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد
بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت و
تعلمت وقرئ دارست اى دارست العلماء ودرست اى قدمت هذه الايات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست
بضم الراء مبالغة في درست اى اشتد دروسها ودُرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسرها
بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الايات
وهو في الحقيقة لاهلها اى دارس اهل الايات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اى درس محمد و
دارسات على هي دارسات اى قديمات او ذات درس كعيشة راضية وقوله ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل
لان التبيين غاية التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اى ولنفعل التبيين واللام في قوله تع
لقوم يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس هم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد
ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف
الايات عقب ذلك بامره عليه السلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اى دم على ما انت عليه من
اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تع لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في
امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة
التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اى عدم اشراكهم
حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا
دليل على انه تع لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تع يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تع لا يريده منه لعدم صرف اختياره
الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تع وما جعلناك عليهم حفيظا اى رقيبا مهيمنا من
قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تع وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم بامرهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق
بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن
تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اى بجهالة
بالله تع وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انهم قالوا لرسول الله عم
عند نزول قوله تع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون
يسبونها فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتع وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها
فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اى مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه و
يحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به
تزيين سب الله تع لهم ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم اى رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا
يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعقاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت
وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة
لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة

كما نطقت به هذه الاية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك
قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة
يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون
ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر في قوله تع
واقسموا بالله روي ان قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني
فقالوا نعم واقسموا لئن فعلته لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله عليه السلام ان ينزلها طمعا في ايمانهم فهم عليه السلام
بالدعاء فنزلت وقوله تع جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اى اقسموا به تع جاهدين في ايمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
او من جنس الايات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه
من المعجزات القاهرة من جنس الايات ليؤمنن بها وما كان مرمى غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوه منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض وتسير بها الجبال قل انما الايات
اى كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله اى امرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية
على الحكم البالغة لا تعلق بها ولا بشأن من شئونها قدرة احد ولا مشيئته استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني
ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو شأن الايات و
صعوبة منالها وتعاليها من ان تكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الايات عند الله تع لا عندي
فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها او هو القادر عليها لا انا حتى آتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير
قدرة الله تع وارادته حتى يجابوا بذلك وقوله تع وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف غير داخل تحت الامر مسوق من
جهته تع لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الايات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين
لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه السلام من الهم بالدعاء
وقد بين فيه ان ايمانهم فاجرة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سألوه وما استفهامية انكارية لكن لا
على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اى واي شيء يعلمكم ان الاية التي يقترحونها
اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اى لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم فكأنه
بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الايات وقيل لا مزيدة فيتوجه الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اى اي شيء
يعلمكم ايمانهم عند مجيء الايات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في ايمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل
السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى ويؤيده انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم
قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تع وما يدريك لعله يزكى والجملة استيناف لتعليل الانكار وتقريره اى
اى شيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الايات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق
اذا كان ايمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استيناف حسبما سبق مع زيادة
تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا
يؤمنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الايات وبكونها حينئذ كما هي الآن
ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اى وما يشعركم انا نقلب افئدتهم
عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال
نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم
ناشئ من تقليبه تع مشاعرهم بطريق الاجبار كما لم يؤمنوا به اى بما جاء من الايات اول مرة اى عند ورود الايات
السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اى لا يؤمنون بل يكفرون
كفرا كائنا ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون
داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار معرب عن حقيقته بانه
ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجههم اليه واستعدادهم له بطريق الاجبار بل بان يخليهم و
شأنهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم حسبما تقتضيه
استعدادهم كما اشرنا اليه وقوله تع في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تع يعمهون حال من الضمير المنصوب في نذرهم اى نذرهم
في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اى نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذر بالياء على اسناد
الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة تصريح بما اشعر به قوله عز وجل
وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الايات اثر بيان انها في حكمه تع وقضائه
المبني على الحكم البالغة لا يدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه وآكده اى ولو اننا

بقوله تع ولو اننا نزلنا الايات ... عنه السلام

... تعلق بعدم ايمانهم
بمجيء ما اقترحوه فقط ...

لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه ههنا من اية واحدة من الايات بل نزلنا اليهم الملئكة كما سالوه بقولهم لولا انزل علينا الملئكة
وقولهم لوما تاتينا بالملئكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فاتوا باباءنا
وحشرنا اى جمعنا عليهم كل شئ قبلا بضمتين وقرى بسكون الباء اى كفلاء بصحة الامر وصدق النبى صلى الله عليه وسلم
على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغف ورغيف وقضب وقضيب وهو الانسب بقوله تع او تاتى بالله والملئكة قبيلا اى لو
لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شئ يتاتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل
بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شئ وشموله للانواع والاصناف اى حشرنا كل شئ
نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحاليه وجمعيته باعتبار الكل المجموعى اللازم للكل الافرادى او مقابلة و
عيانا على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر فى موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة
من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما فى قولك لى قبل فلان حق وان انتصابه على الظرفيه ما كانوا ليؤمنوا اى ما صح وما استقام
لهم الايمان لتماديهم فى العصيان وغلوهم فى التمرد والطغيان وما سبق القضاء عليهم بالكفر من الاحكام المترتبة على ذلك
حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم فى طغيانهم يعمهون وقوله تع الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات
الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اى ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان فى حال من
الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا فى حال مشيئته تع ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة
وقوعها كانه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب افئدتهم الاية
كيف لا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلونا استدراك من مضمون الشرطيه بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب فى ان
الذى يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشية الله تع كما هو اللازم من حمل
النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الاخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيته
ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجئ
الايات لجهلهم عدم مشيته تع لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تع وما يشعركم الخ على
القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجئ الايات لجهلهم عدم مشيته تع لايمانهم حينئذ فيقسمون بالله
جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان مبدا الخطاء المقسمين ومناط اقسامهم وتقرير لها على
قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانيه وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا كلام مبتدا سيق
لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له عليه السلام وما بنوا عليها من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلى به كل من سبقك من الانبياء عليهم السلام ومحل الكاف النصب على انه
نعت لمصدر موكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله اى جعلنا لكل نبى عدوا جعلا كما جعلنا لك عدوا والتقديم
على الفعل للقصر المفيد للمبالغه والمعنى اى مثل ذلك الجعل الذى جعلنا فى حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك ويضارونك
ولا يؤمنون ويبغون لك الغوائل ويدبرون فى ابطال امرك مكائد جعلنا لكل نبى تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك
لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم السلام بخلقه تع للابتلاء شياطين الانس والجن اى مردة الفريقين
على ان الاضافة بمعنى من البيانيه وقيل هى اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هى بمعنى اللام اى
الشياطين التى للانس والتى للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثانى مسارعة
الى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تع يوحى بعضهم الى بعض كلام مستانف
مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع
الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما فى قوله اذا انا لم انفع صديقى بوده • فان عدوى لم يضرهم بغضى
والوحى عبارة عن الايماء والقول السريع اى يلقى ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض
آخر زخرف القول اى المموه منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له ليوحى اى ليغروهم او
مصدر فى موقع الحال اى غارين او مصدر موكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحى اى يغرون غرورا ولو شاء ربك رجوع
الى بيان الشئون الجارية بينه عليه السلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ
عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبيه مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف فى التسلية اى ولو شاء
ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون
مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تع ما فعلوه اى ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض منهم من مزخرفات الاقاويل
الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعم ما للانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله تع فذرهم وما يفترون صريح فى ان
المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم اى اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيته
تع فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم فى ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيته

تع على الحكم البالغة البتة ولتصغى اليه اى الى زخرف القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما
بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحى وصغوا الافئدة فعل الموحى اليه اى يوحى بعضهم الى بعض
زخرف القول ليغروهم به ولتميل اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالاخرة دون ما عداها من
الامور التى يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار فى صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الاخرة
محفوفة فى هذه النشاة بالمكاره والآمها منيته بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوال ما فيها لا يدرون ان وراء تلك
المكاره لذات ودون هذه الشهوات الآما وانما ينظرون الى ما بدا لهم فى الدنيا بادى الراى فهم مضطرون الى حب الشهوات
التى من جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب
الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف
يدل عليه المقام اى وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزله جعلوا اللام لام العاقبه او لام القسم او لام الامر وضعفه فى غاية
الظهور وليرضوه لانفسهم بعد ما مالت اليه افئدتهم وليقترفوا اى يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون له من القبائح
التى لا يليق ذكرها افغير الله ابتغى حكما كلام مستانف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اى قل لهم اميل الى زخارف الشياطين فابتغى حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركى قريش قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما فى كتابهم
من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه السلام لا الى المشركين كما فى قوله تع افغير دين الله تبغون مع انهم
الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغى وحكما حال منه واما بالعكس
وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذى هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تع
حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تمييز لما فى غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ
لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تع وهو الذى انزل عليكم الكتاب جملة حاليه مؤكدة للانكار
ابتغاء غيره تع حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوى نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل
واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اى اغيره تع ابتغى حكما والحال انه هو الذى انزل اليكم وانتم امة امية لا تدرون
ما تاتون وما تذرون القران الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص به اسم الكتاب مفصلا اى مبينا فيه الحق والباطل
والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق فى امر الدين شئ من التخليط والابهام فاى حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما
ترى صريح فى ان القران الكريم كاف فى امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل فى ذلك كما قيل فلا
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق كلام مستانف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق
حقية الكتاب الذى نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكمهم حسبما
نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تع وفى التعبير عن التورية والانجيل باسم الكتاب ايماء الى
ما بينهما وبين القران من المجانسة المقتضية للاشتراك فى الحقية والنزول من عنده تع مع ما فيه من الاعجاز وايراد الطائفتين
بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له فى الاصول وما لا
يختلف من الفروع ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحى والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء هو
التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب فى ان الكل متمكنون
من ذلك وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرى منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبيه مع الاضافة الى ضميره عليه السلم
لتشريفه عليه السلام والباء فى قوله تع بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن فى منزل اى ملتبسا بالحق فلا تكونن من
الممترين اى فى انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم اثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهى على الاخبار بعلم اهل الكتاب
بشان القران او فى انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تع ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب فى الحقيقة
للامة وان كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغى لاحد ان يمترى
فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهى على نفس علمهم بحال القران وتمت كلمة ربك شروع فى بيان كمال الكتاب المذكور من حيث
ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تع بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل فى
الاتصاف بالصدق والعدل وبها يظهر الاثار من الحكم وقرى كلمات ربك صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز
وقيل على العلة وقوله تع لا مبدل لكلماته اما استيناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها فى نفسها واما حال اخرى من فاعل
تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصيه صدقا فى الاخبار والمواعيد وعدلا فى الاقضية والاحكام
لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تع وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع
العليم بكل ما يكون ان يعلم فيدخل فى ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى لا احد يقدر
على ان يحرفها كما فعل بالتورية فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تع انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبى ولا كتاب

بعدها ينبغي وان تطع اكثر من في الارض لما حقق اختصاصه تع بالحكمية لاستقلالها بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل الفاصل
بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منهما واستبداده تع بالاحاطة
التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي هي
الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه
وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الارض الناس وباكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان
تطعهم بان جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن
وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون وجهالاتهم وآراؤهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم
والجملة استيناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كانه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن
لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون
مضلون وقوله تع وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه تع كاتخاذ
الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تع وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون انهم على شيء واني لهم ذلك
ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم تقرير لمضمون الشرطية وما بالمهتدين
بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا
بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصور بل بفعل دل هو عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من فاعل ليضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل
المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون تاكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تع ومن منصوب بما ذكر اي يعلم
من يضله او مجرور باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تع من يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يليق على
السياق والسباق والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا
يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تع خاصة على ذبحه لا مما
ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تع او مات حتف انفه ان كنتم باياته التي من جملتها الايات الواردة في هذا الشان مؤمنين
فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم الا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما ذكر عليه اسم الله تع من البحائر والسوائب ونحوها وقوله
وقد فصل لكم الخ جملة حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تع وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب
حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه اي واي غرض يحملكم على ان لا تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم ما حرم
عليكم بقوله تع قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الخ فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تع حرمت عليكم الميتة الخ لانها مدنية واما التاخر
في التلاوة فلا يوجب التاخر في النزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما اضطررتم
اليه مما حرم فانه ايضا حلال لكم وان كثيرا اي من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه وقرئ يضلون
باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة مستند الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود
الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب
وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم اي يكتسبونه من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما
كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه
ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه
وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره تع لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير
لما ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس
وجنوده فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه
يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم اي بالوساوس الشيطانية او بما
نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة
ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به تع بل آثره عليه سبحانه او من كان ميتا وقرئ ميتا على الاصل
فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي
والمشركين خائضون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف تعقل طاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية
على مثلها الذي يدل عليه الكلام اي اانتم مثلهم ومن كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا
له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه والجملة استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فما ذا يصنع بذلك

النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما بينهم آمنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدا وقوله تع في الظلمات
خبره على ان المراد بهما اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها
خبر لمن الاولى وقوله تع ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل
اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تع على فطرة الاسلام وهداه بالآيات
البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين
بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة
في كل واحد من جانبي الممثلين هيئة على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانب المثلين هيئة على حدة فشبهت
بهما الاوليان ونزلتا منزلتيهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تع ختم الله على قلوبهم
الآية الى ان التمثيل قسم برأسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتاخرين نعم
قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كهذين التمثيلين ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله جل
وما الناس الا كالديار واهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله عز وجل
بطريق الخلق عند ايحاء الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية الآخذين
بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح
فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر او عمار رضي الله عنهما
وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية من سائر القرى اكابر مجرميها ليمكروا
فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو او هما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف
اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني
ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لا ابد ان يكون مشهور التحقق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان
يصرف الاشارة عن سياق النظم الكريم ويوجه اليه ويجعل مقياسا لنظائره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر انه ليس الامر
كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله تع كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان
مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فاذن الاقرب ان ذلك اشارة
الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول
الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تع كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر مجرميها والظرف لغو اي ومثل
اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين
مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله تع وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم
الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون
بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تع واذا جاءتهم آية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق
التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين
اي اذا جاءتهم آية بواسطة الرسول عليه السلام قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما
حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله
وهذا كما ترى صريح في ان ما علقوا به ايمانهم ايتاء ما اوتي الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه
ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل عليه السلام
في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله تع الله اعلم حيث يجعل رسالته عن ظاهرها وتحمل على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور
ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول ليتاتى كونه جوابا عن اقتراحهم ورد اله بان يكون
معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك الآية نازلة من عند الله تع الى الرسول حتى ياتينا جبريل بالذات عيانا كما ياتي الرسل فيخبرنا
بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبريل عليه السلام اليه لامر من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك
التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه وقال الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة
والوحي كما اخبر الله تع عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا
للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم في الجملة من غير
شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى ياتينا وحي كما ياتيه الخ غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع فانه مقرر على
تقديري اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء

مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها
منك لانى اكبر منك سنا واكثر مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان
بكون الآية النازلة وحيا صادقا لا الايمان بانها نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا
لن نؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا
الخ لو كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذ لم يكن الامر كذلك فليست بحق ومآله تعليق الايمان بحقية النبوة
بكون نفسه نبيا او مثل ما اوتى نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اى حتى نؤتى ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة
الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عليه السلام وحيث نصب على المفعولية توسعا لا بنفس اعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر
بل بفعل دل هو عليه اى هو اعلم يعلم الموضع الذى يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد
الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية يخصها الله تع من يشاء من خلص عباده وقرئ رسالاته سيصيب الذين اجرموا
استيناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم حرمانهم مما املوه والسين للتاكيد ووضع الموصول
موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اى يصيبهم البتة مكان ما تمنوه
وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة صغار اى ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل
من عند الله وعذاب شديد في الآخرة او في الدنيا بما كانوا يمكرون اى بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من
معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته فمن يرد الله ان يهديه اى يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له
وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل
فقال نور يقذفه الله تع في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود
والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل
صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اى شديد الضيق
والاول مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد ماهذه مهيئة لدخول كان على الجمل الفعلية في السماء شبه للمبالغة في ضيق صدره
بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه
كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ
به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد كذلك اى مثل ذلك الجعل الذى هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور يجعل الله الرجس
اى العذاب او الخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا
يؤمنون اى عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله تع معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم
على الكفر وهذا اى البيان الذى جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اى طريقه الذى ارتضاه
او عادته وطريقته التى اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية وافاضة
الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تع وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا
الآيات بيناها مفصلة لقوم يذكرون يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث
بقضاء الله تع وخلقه وانه تع عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون
بتفصيل الآيات لهم دار السلام اى للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة عند ربهم اى في ضمانه او ذخيرة لهم عنده
لا يعلم كنهها غيره تع وهو وليهم اى مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله
اليهم ويوم يحشرهم جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير
المنصوب لمن يحشر من الثقلين اى واذكر يوم يحشر الثقلين قائلا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم نقول يا معشر الجن او ويوم يحشرهم
ويقول يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين
قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود
وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اولياؤهم اى الذين اطاعوهم في قوله تع من الانس اما لبيان الجنس اى اولياؤهم الذين هم
من الانس ومتعلقة بمحذوف هو حال من اولياؤهم اى كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اى انتفع الانس بالجن بان
دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم
وحصلوا مرادهم بقبول ما القوه اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم
بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين
واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام
الضالين للايذان بان المضلين قد الجموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا قال استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلامهم
كانه قيل فماذا قال الله تع حينئذ فقيل قال النار مثواكم اى منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها

حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضى الله عنهما استثنى الله تعالى
قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من
وقيل المعنى الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روى انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض
اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا
اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا
ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم في افاعيله عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء وكذلك اى مثل ما سبق
من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولي بعض الظالمين من الانس بعضا اخر منهم اى نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء و
الاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف ما يؤدى اليه من القبائح بما كانوا
يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصى يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين
وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم الم يأتكم
اى في الدنيا رسل اى من عند الله عز وجل لكن لا على ان ياتى كل رسول كل واحد من الامم بل على ان ياتى كل امة رسول خاص بها
اى الم يات كل فريق منكم رسول معين وقوله تع منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اى كائنة من جملتكم لكن لا على انهم
من جنس الفريقين معا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتاكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما
تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الاخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد
ثبت ان الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تع واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى
ولوا الى قومهم منذرين وقوله تع يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار
وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين وينذرونكم بما في تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذى قد عاينوا فيه ما
اعد لهم من افانين العقوبات الهائلة قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ
الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اى باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب
ذلك العذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال الخزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله
من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
وقوله تع وغرتهم الحيوة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما ادآهم في الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التى ارتكبوها والجائهم في
الآخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم بذلك اى واغتروا في الدنيا بالحيوة الدنية واللذات الخسيسة الفانية
واعرضوا عن النعيم المقيم الذى بشرت به الرسل واجترؤا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذى انذروهم اياه وشهدوا
في الآخرة على انفسهم انهم كانوا في الدنيا كافرين اى بالآيات والنذر التى اتى بها الرسل على التفصيل المذكور انفا واضطروا الى
الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكى عنهم بقوله تع وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم
وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تع ان لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام على ان ان
مصدرية او مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف وقوله تع بظلم متعلق اما بمهلك اى بسبب ظلم او بمحذوف
وقع حالا من القرى اى ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرية له بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضميره
في مهلك كما قيل فياباه ان غفلة اهلها ماخوذة في معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تع واهلها غافلون
والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اى ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان
ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبة جناياتهم اى لولا انتفاء كونه تع معذبا
لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولاعتذروا
بعدم اتيان الرسل كما في قوله تع ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان
نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوى الذى هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التقريب في تعليله بانتفاء
مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما نطق به قوله تع وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى
عن كلا التعذيبين الدنيوى والاخروى معا من غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوى عنه تعالى
ليثبت نفي التعذيب الاخروى عنه تع على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تع حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون
انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام
من نفي التعذيب الاخروى ونفي التعذيب الدنيوى غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى
ولان ترتب التعذيب الدنيوى على الانذار عند عدم تاثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على
ان التعذيب الاخروى ايضا كذلك فينزجرون عن الاخلال بمواجب الانذار اشد انزجار وهذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم

الكبر وما احتمل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وخبر المبتدا محذوف كما اطبق عليه الجمهور لما
من مقتضى المقام والله سبحانه اعلم ولكل اى من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من اعمالهم
صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم
وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب
على الغيبة وربك الغني مبتدا وخبر اى هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا ما كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد
وعن عبادتهم وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني لكونه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من اظهار اللطف له عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد له ايضا ما لا يخفى وقوله تع ذو الرحمة خبر آخر
او هو الخبر وما قبله صفة اى يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال
ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تع ان يشأ يذهبكم اى ما به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين
الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اى من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار
كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اى من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم
اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على
غير الصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كأنه قيل وينشئ انشاء كائنا كانشائكم او نعت لمصدر الفعل المذكور اى يستخلف استخلافا
كائنا كانشائكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة ان ما توعدون اى الذى توعدونه من البعث
وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي لآت لواقع لا محالة كقوله تع ان ما توعدون لواقع
وايثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله تع وما انتم بمعجزين
اى بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان
والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام
اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم
حالهم ومآلهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد
ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اى اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم
يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم
والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة
وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه وتسجيل
بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالذى امر به بحيث لا يجد الى التقصي عنه سبيلا فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار تسويف لتأكيد
مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها خبرها
وهي مع خبرها في محل نصب لسدها مسد مفعول تعلمون اى فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تع
هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون اى فسوف تعلمون الذى له عاقبة الدار وفيه مع الانذار
انصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه اى ان الشان لا يفلح الظالمون
وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب على اى فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذى هو اعظم
افراده وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركوا العرب كانوا يعينون اشياء
من حرث ونتاج لله تع واشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله تع زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم
واذا زكا ما جعلوه لآلهتهم تركوه معتلين بان الله تع غني وما ذلك الا لحب آلهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد
فالجاران في قوله تع لله مما ذرأ متعلقان به ومن في قوله تع من الحرث والانعام بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا
الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له اى عينوا له تع مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه
الى الضيفان والمساكين وتأخيره عن المجرورين لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما
مما ذرأ على ان من تبعيضية اى جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول نصيبا والثاني لله لا يساعده سداد المعنى
وحكاية جعلهم له تع نصيبا يدل على انهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تع فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا وقرئ بضم الزاء وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل لله تع غير مستتبع لشيء من الثواب
كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تع لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تع به فان ذلك مستفاد
من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما بعده على ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون
بمقتضاه الذى هو اختصاصه به تع فقوله تع فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل
له اى فما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تع من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما

عينوه لله تع اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها و
الاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تع وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذى
والتقدير ساء الذى يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدا وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك ومثل
ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تع وبين آلهتهم او مثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن
احدهم كما حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم اى اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف
والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا
بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كأنه لما قيل
زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم اى يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا
عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين
وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله اى عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اى ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او
الشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة
اى اذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تع فذرهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله تع حكما بالغة انما يمهلهم
ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من انواع كفرهم هذه اشارة
الى ما جعلوه لآلهتهم والتانيث للخبر انعام وحرث حجر اى حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير
والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اى ضيق واصله
حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام
وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا اى قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدا محذوف
والجملة معطوفة على قوله تع هذه انعام الخ اى قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها
يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي وانعام اى وهذه انعام كما مر وقوله تع لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه
غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تع تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تع وقولهم انا قتلنا
المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير كأنه قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما
يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعرى عن ذكر الله تع وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا
يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه
نصب على المصدر اما على ان ما قالوه تقول على الله تع واما على تقدير عامل من لفظه اى افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او
بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اى مفترين او على العلة
اى للافتراء فالجار على التقدير متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون اى بسببه او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى
وقالوا حكاية لفن آخر من فنون كفرهم ما في بطون هذه الانعام يعنون به اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال
لهم خاصة والتاء للنقل الى الاسمية او للمبالغة ولان الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف
اى ذو خالصة او التانيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله تع ومحرم على ازواجنا اى جنس ازواجنا وهن الاناث
باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذى هو الحمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تع
ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الخ ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد
ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اى ان ولدت ميتة فهم اى الذكور والاناث فيه اى فيما في بطون الانعام وقيل
المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الاول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد
والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى في الظرف لا من الذى في لذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على
صاحبه المجرور وقرئ خالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب
على الله تع في امر التحليل والتحريم من قوله تع وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر
عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذى هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد هم
ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اى خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم
متعلق بقتلوا على انه علة له اى لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرزاق لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه قرئ
سفهاء او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها افتراء على الله نصب على احد الوجوه المذكورة واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان هدوا
بفنون الهدايات او وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة اعتراض وعلى الاول عطف على ضلوا وهو الذى انشأ جنات معروشات

تمهيد لما سيأتي من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشاهن من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات
من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير
المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اي انشاهما مختلفا اكله وقرئ اكله بسكون الكاف
اي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير
اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء والزيتون والرمان اي انشاهما وقوله تع متشابها
وغير متشابه نصب على الحالية اي يتشابه بعض افرادهما في اللون او الهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر
كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى
وآتوا حقه يوم حصاده اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكوة المقدرة فانها فرضت
بالمدينة والسورة مكية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك
لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة
نخلة ففرق ثمرها كلها ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله تع ولا تبسطها كل البسط الآية انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي
اسرافهم ومن الانعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تع في شانها بالتحريم والتحليل وهو
عطف على مفعول انشا ومن متعلقة به اي وانشا من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المصنوع من
شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كانها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله اي بعض
مما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله تع اي حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم
ولا تتبعوا في امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان
فان ذلك منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه آخر من
جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام
من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله مفعولا
لكلوا على ان قوله تع ولا تتبعوا الآية معترض بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه
مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاول الى الابل
والبقر وتفصيل الثاني الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها
عليه سبحانه وتع بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار اليها
مفصلة واثنين في قوله سبحانه وتع من الضان اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل في من اي انشا من
الضان زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر
وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله شريك له في حكمه اي وانشا من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو
جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل
مع تاخر اصلها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر
في قوله تع كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة واخواتها قل تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل انواع الانعام التي انشاها اي قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن
الجواب آلذكرين من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم اي الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة والعنز
ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تع اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
اي ام ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تع نبئوني بعلم الخ تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اي اخبروني
بامر معلوم من جهة الله تع من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تع حرم شيئا مما ذكر او نبئوني تنبئة ملتبسة بعلم صادر عنه
ان كنتم صادقين اي في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تع ومن الابل اثنين عطف على قوله تع من الضان اثنين اي وانشا من الابل اثنين
هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل افحاما لهم في امر هذين النوعين ايضا آلذكرين منهما حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه
ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك
وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا
يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه وانما عقب تفصيل
كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع
الاربعة بان يقال قل آلذكور حرم ام الاناث اما اشتملت عليه ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت و
الالزام وقوله تع ام كنتم شهداء تكرير للافحام كقوله تع نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن
التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اي بل أكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا اي حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون

نبي فلا طريق لكم حسبما يقود اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم
ما لا يخفى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة وهو المؤسس
لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتع اي فاي فريق اظلم من فريق افتروا الخ ولا يقدح في اظلمية الكل كون بعضهم
مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل
ظالم وان كان المنفي صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من
فاعل افترى اي افترى عليه تع جاهلا بصدور التحريم عنه تع وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه
ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تع بغير علم بصدوره عنه تع مع احتمال الصدور عنه اذا
كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تع وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اي ملتبسا بغير علم
بما يؤدي بهم اليه ان الله لا يهدي القوم الظالمين كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين
بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم ببيان ان
ما يتقولونه في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرمه عليهم وفي قوله لا اجد فيما اوحي الي ايذان بان
مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه السلام قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات ولم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة
في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي لا اجد ريثما تصفحت ما اوحي الي طعاما محرما من المطاعم التي حرموها
على طاعم اي اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على ازواجنا وقوله تع يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون اي
ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء الفوقانية لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تع او دما مسفوحا
الخ عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد
او لحم خنزير فانه اي الخنزير رجس او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر
لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا
مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر اي اصابه الضرورة الداعية
الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ في ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم
مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها
بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم
الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي
يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تع يغفر له ويرحمه و
الآية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا
يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا
خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ما له اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب
وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها
وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا
اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم
مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء
وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو شحم الالية لاختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب
وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد لما
بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم الربوا
وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تع فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا كلما اتوا
بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد عليهم ذلك واكد بقوله تع
وانا لصادقون اي في جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد القمهم الحجر قوله تع كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا
ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون اوضح بيان فان كذبوك قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا
ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما
كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تاتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا
يرد باسه بالكلية عن القوم المجرمين فلا تنكروا ما وقع منه تع من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبوك

المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة ولا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك
فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو باس شديد على المجرمين فاقيم مقامه قوله تع ولا يرد باسه الخ لتضمنه التنبيه على
انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن اخر من كفرهم
واخبار قبل وقوعه ثم وقع حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تع عند وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
صريح في انه من عند الله تع لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء خلاف ذلك مشية ارتضاء لما فعلنا الاشراك نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء
ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تع لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تع اياها منهم حتى ينتهض ذمهم
به دليلا للمعتزلة الا يرى الى قوله تع كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل ما كذبك هؤلاء في انه تع منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه
كذب متقدموهم الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف اباؤنا على الضمير للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم
قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك
الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن
على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف اي واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة
اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من
الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء هدايتكم جميعا لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشا
هداية الكل بل هداية البعض الصارفين هممهم الى سلوك طريق الحق وضلال اخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير

وذلك عقب به النهي عن الاشراك الذي هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع وقيل ان ناصبه ومحلها النصب
بعليكم على انه للاغراء وقيل النصب على البدلية من ماحرم وقيل من عائده المحذوف على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل
الرفع بتقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا بزيادة لا وقيل وقيل والذي عليه التعويل هو الاول لان الامور من جملتها ان في
اخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تع شيئا نصب على المصدرية او المفعولية اي لا تشركوا به شيئا من
الاشراك او شيئا من الاشياء وبالوالدين اي واحسنوا بهما احسانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا اولادكم تكليف متعلق بحقوق
الاولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين اي لا تقتلوهم بالواد من املاق اي من اجل فقر كما في قوله تع خشية املاق
وقيل هذا في الفقر الناجز وذا في المتوقع وقوله تع نحن نرزقكم واياهم استيناف مسوق لتعليل النهي وابطال سببية ما اتخذوه
سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تع لارزاقهم اي نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق
وقوله تع ولا تقربوا الفواحش كقوله تع ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الا انه جيء ههنا بصيغة الجمع قصدا الى النهي عن انواعها
ولذلك ابدل عنها قوله تع ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو داب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان
كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط
النهي عنها بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة
في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم الاموات وقد قال عليه السلام في حق العزل ذلك واد خفي ومن ههنا تبين ان حمل الفواحش
على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر بظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تع الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان
وقتل النفس المعصومة او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر اي
لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من
معنى البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تع وصاكم به اي امركم به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة
استيناف جيء به تجديدا للعهد وتاكيدا لايجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الامور المنهي عنها مما تقضي بديهة العقول بقبحها
فصلت الاية الكريمة بقوله تع لعلكم تعقلون اي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة
ولا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء
اي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للاولياء
والاوصياء لقوله تع حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه
كما في قوله تع فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب او شد كصر واصر
وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض
جيء به عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كانه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا
قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان اي المقول له او عليه ذا قربى اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم
اصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله اوفوا اي ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي عهد كان
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشانه ذلكم اشارة الى ما فصل
من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به امركم به امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه
وقرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه ايات محكمات
لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب
الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شيء في التورية بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الايات وان هذا صراطي
اشارة الى ما ذكر في الايتين من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان
الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى اضافته الى ضميره عليه السلام انتسابه اليه عليه السلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع
كما في صراط الله والمراد بيان ان ما فصل من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به عليه السلام ايضا وانه عليه السلام
مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تع مستقيما حال مؤكدة ومحل ان مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة اي ولان هذا صراطي
اي مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله تع وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط
الله تع مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه عليه السلام فيه داع للخلق الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل
وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف وقرئ ان هذا مخففة من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ سراطي وقرئ وهذا
صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم
بحذف احدى التائين والباء للتعدية اي فتفرقكم حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه

من الدلالة على الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله اى سبيل الله الذى لاعوج فيه ولاحرج وهو دين الاسلام الذى ذكر بعض
احكامه وقيل هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عليه السلام عين سبيل الله تع ذلكم اشارة الى ما مر من
اتباع سبيله تع وترك اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق
من جهته تع تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات
الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل بعد قوله تع ذلكم وصاكم به بطريق الاستيناف
تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما ان قوله تع ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى اولم يهد للذين (فى سورة الاعراف)
الخ كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ واما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه فى سلك الكلام الملقن كما اجمع عليه الجمهور
فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فقد بروثم للتراخى فى الاخبار كما فى قولك بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت
فى الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى التورية فان ايتاءها مشتملة على الوصية
المذكورة وغيرها اعظم من التوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اى اتماما لهما على انه مصدر من اتم بحذف الزوائد على
الذى احسن اى على من احسن القيام به كائنا من كان ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا او تماما على المحسنين او على الذى احسن تبليغه
وهو موسى عليه السلام او تماما على ما احسنه موسى عليه السلام اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه على وجه
التتميم وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى على الذى هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اى تاما كاملا على
احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شئ وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما اما
على العلية او على المصدرية كما اشير اليه او على الحالية وكذا قوله تع وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبنى اسرائيل المدلول عليهم بذكر
موسى وايتاء الكتاب والباء فى قوله تع بلقاء ربهم متعلقة بقوله تع يؤمنون قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس
رضى الله عنه كى يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب وهذا الذى تليت عليكم اوامره ونواهيه اى القرآن كتاب
عظيم الشان لا يقادر قدره وقوله تع انزلناه مبارك اى كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه
غير صريح لان الكلام مع منكريه او خبران آخران لاسم الاشارة اى انزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنياوية التى
فصلت عليكم طائفة منها والفاء فى قوله تع فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شان الكتاب فى نفسه وكونه منزلا
من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه اى ايجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطتهما
والعمل بموجبه ان تقولوا علة لانزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل ح بين العامل والمعمول باجنبى هو مبارك
وصفا كان او خبرا اى انزلناه كذلك كراهة ان تقولوا يوم القيمة لو لم ننزله انما انزل الكتاب الناطق بتلك الاحكام العامة
لكل الامم على طائفتين كائنتين من قبلنا وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما الذى اشتهر فيما بين
الكتب السماوية بالاشتمال على الاحكام لا سيما الاحكام المذكورة وان كنا ان هى المخففة من ان واللام فارقة بينها وبين
النافية وضمير الشان محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما لا ينافى عموم احكامه فلم لم تعملوا
باحكامها العامة اى وانه كنا عن دراستهم لغافلين لا ندرى ما فى كتابهم اذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الاحكام العامة
ونحافظ عليها وان لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين ان معذرتهم هذه مع انهم غير مامورين بما فى الكتابين لاشتمالهما على الاحكام
المذكورة المتناولة لكافة الامم كما ان قطع تلك المعذرة بانزال القرآن لاشتماله ايضا عليها لا على سائر الشرائع والاحكام فقط
او تقولوا عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو انا انزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لكنا
اهدى منهم الى الحق الذى هو المقصد الاقصى او الى ما فى تضاعيفه من جلائل الاحكام والشرائع ودقائقها لحدة اذهاننا وثقافة
افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاخبار والخطب والاشعار ونحو ذلك طرفا صالحا ونحن اميون وقوله تعالى
فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة اما معلل به اى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ واما شرط له اى ان صدقتم
فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة واى
بينة اى حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تع من ربكم متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة اى بينة كائنة منه تع وايا ما كان ففيه
دلالة على فضلها الاضافى كما ان فى تنوينها التفخيمى دلالة على فضلها الذاتى وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
مزيد تاكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف على بينة وتنوينهما ايضا تفخيمى عبر عن القرآن بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته
ثم بالهدى والرحمة تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التورية من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة فمن اظلم
الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجئ القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية اظلمية من يكذب به اى واذا كان الامر
كذلك فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما فى حيز الصلة و
اشعارا بعلة الحكم واسقاطا لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تع تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اى آية كانت
من آياته تع كاف فى الاظلمية فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوى على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا
له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما حكم الكر

الفاشى والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وقد مر مرارا وصدف عنها اى صرف الناس عنها فجمع بين
الضلال والاضلال سنجزى الذين يصدفون الناس عن آياتنا وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا
ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب اى العذاب السيئ الشديد النكاية بما كانوا يصدفون اى بسبب
ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به اجراء الحكم على الموصول من علية ما فى
حيز الصلة له هل ينظرون استيناف مسوق لبيان انه لا يتاتى منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات والهدى وانهم
لا يرعوون عن التمادى فى المكابرة واقتراح ما ينافى الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له
اصلا مبالغة فى التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار اى ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى ربك حسبما اقترحوا بقولهم
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وبقولهم او تاتى بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك او الا ان
تاتيهم ملائكة العذاب او ياتى امر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجئ وقرئ ياتيهم بالياء لان تانيث
الملائكة غير حقيقى او ياتى بعض آيات ربك اى غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك
من عظائم الآيات التى علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان اضافة الآيات فى الموضعين الى اسم الرب
المنبئ عن المالكية الكلية لذلك واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه
سبحانه وتع اتيان كل آياته بمعنى آيات القيمة والهلاك الكلى بقرينة ما بعده من اتيان بعض آياته تع على ان المراد به اشراط
الساعة التى هى الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس
من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم
يكن اتيان هذه الامور مما ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الآيات فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهرا حمل
الانتظار على التمثيل المبنى على تشبيه حالهم فى الاصرار على الكفر والتمادى فى العناد الى ان تاتيهم تلك الامور الهائلة التى لا بد
لهم من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظم الكريم بسباقه المنبئ عن تماديهم فى تكذيب
آيات الله تع وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه يستدعى ان يحمل ذلك على امور
هائلة مخصوصة بهم اما بان يكون عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كاتيان ملائكة العذاب واتيان
امره تع بالعذاب وهو الانسب لما سياتى من قوله تع قل انتظروا انا منتظرون واما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت و
اتيان كل آيات القيمة وظهور اشراط الساعة مع شمول اتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا
يساعده المقام على ان بعض اشراط الساعة ليس مما يسد به باب الايمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات فى قوله عز وعلا
يوم ياتى بعض آيات ربك على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهى العظام السالبة للاختيار الذى عليه يدور فلك
التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الاول فيتم التقريب بدخول ما ينتظرونه فى ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله
لا ينفع فان امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد
محذوف اى لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها ح لانكشاف الحال وكون الامر عيانا ومدار قبول الايمان ان يكون
بالغيب كقوله تع فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الايمان من ملابسة
المضاف اليه تانيثا وقوله تع لم تكن آمنت من قبل اى من قبل اتيان بعض الآيات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتماله على
ضمير الموصوف ولا ضير فيه لانه غير اجنبى منه لاشتراكهما فى العامل وقوله تع او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على آمنت بايراد الترديد
على النفى المفيد لكفاية احد النفيين فى عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان ح نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا
ومن ضرورته اشتراط النفع بتحقق الامرين اى الايمان المقدم والخير المكسوب فيه معا بمعنى ان النافع هو تحققهما والايمان
المؤخر لغو وتحصيل الحاصل لا انه هو النافع وتحققهما شرط فى نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع
الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه انهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الايمان وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم
اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفى الترديد المستلزم لعموم المفيد بمنطوقه لاشتراط
عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقى فالمعنى انه لا
ينفع الايمان ح نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد او الخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما
نطق به النصوص الكريمة من الآيات والاحاديث واما قيل من ان عدم الايمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة
فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على ان الموجب للخلود فى النار هو العدم الاول من غير ان يكون للثانى دخل ما فى ذلك قطعا فيكون
ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام مبنى على توهم ان المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان
ايجابهما الخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث فى انجائها عنه وليس كذلك والا لكفى فى البيان ان يقال لا ينفع نفسا ايمانها
الحادث بل المقصد الاصلى من وصفها بتينك العدمين فى اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع احدى
ملكتيهما اعنى الايمان السابق والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب فى تحصيلهما فى ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل

الى ان يقال كما ان عدم الاول مستقل في ايجاب الخلود في النار فيلغو ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا لما انه قياس مع الفارق وكيف لا والخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد العلل واما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وانما لم يقتصر على بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه هو المقابل لما لا يوجبه اصلا اعني الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد ايضا ارشادا الى تحري الاعلى وتنبيها على كفاية الادنى واقناطا للكفرة عما علقوا به اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو بحت لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تع والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الاية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة ولك ان تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من الامرين التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالاخر كما في قوله عز وعلا فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى تسجيلا بكمال طغيانهم وايذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع في حق المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله تع فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اذا تحققت هذا وقفت على ان الاية الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم هذا وقد قيل انها من باب اللف التقديري اي لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان مبنى اللف التقديري ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه اياه كما مر في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فانه قد طوي في المجمل ذكر حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه اعني قوله تع فاما الذين آمنوا الاية ولا ريب في ان ما قدر ههنا ليس مما يستدعيه قوله تع او كسبت في ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه ليس مما وعدوه وعلقوه باتيان ما ذكر من الايات كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه اذ ذاك على ان ذلك مشعر بان لهم بعد ما اصابهم من الدواهي ما اصابهم بقاء على السلامة وزمانا يتاتى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال بوجوه اخر قصارى امرها اسقاط الاية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية الدلالة على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من ان الظني بمعزل من معارضة القطعي قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا اي شيء تنتظرون انا منتظرون لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تاييد لكون المراد بما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب او اتيان امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بمعاينتهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه اعلم ان الذين فرقوا دينهم استيناف لبيان احوال اهل الكتابين اثر بيان حال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اي باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض اخر منه ترك الكل ومفارقة له وكانوا شيعا اي فرقا تتشيع كل فرقة اماما قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسباب دخولهم فمعنى قوله تع لست منهم في شيء لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شعائر الاسلام الذي امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا باية السيف انما امرهم الى الله تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امر اوليهم واخريهم ويدبره كيف يشاء حسبما يقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء او يامر بقتالهم اذا اراد وقيل المفرقون اهل البدع والاهواء الزائغة من هذه الامة ويرده انه عليه السلام مامور بمؤاخذتهم والاعتداد بان معنى لست منهم في شيء حينئذ انت بريء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك ياباه التعليل المذكور ثم ينبئهم اي يوم القيمة بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوا غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤس الاشهاد او يعلمهم اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تع من جاء بالحسنة فله عشر امثالها استيناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات اي من جاء يوم القيمة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها فضلا من الله عز وجل وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص ومن جاء بالسيئة اي الاعمال السيئة

ظ مع الفارق

كما اذا قلت بعد ما زالت الشمس لا تغنيه نية الصيام من لم يكن اضمرها في قلبه من قبل او اظهرها بلسانه فانك تريد بذلك الحث على اظهارها مع الاشعار بكفاية اخطارها ايضا خلا ان ترتيبه المعظم ههنا فيما نحن فيه ما انا فيه المعظم من تحقق الصيام لا يوافق النافع الزائد كما في الاية الكريمة منه

كما هو صاحب الكشف

كائنا من كان من العاملين فلا يجزى الا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون انهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي قل لاولئك المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الافاق والانفس من الايات التكوينية الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله تع دينا بدل من الى صراط فان محله النصب كما في قوله تع ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تع وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المفرقون لدينهم من عقد وعمل اي ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله قل ان صلوتي ونسكي اعيد الامر لما ان المامور به متعلق بفروع الشرايع وما سبق باصولها اي عبادتي كلها وقيل ذبحي جمع بينه وبين الصلاة كما في قوله تع فصل لربك وانحر وقيل صلوتي وحجي ومحياي ومماتي اي وما انا عليه في حياتي واموت عليه عند موتي من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص امرت لا بشيء غيره وقوله تع وانا اول المسلمين لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مامورون به يقتدي به عليه السلام من اسلم منهم قل اغير الله ابغي ربا آخر فاشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتاتى ما ذكرتم وقوله تع ولا تزر وازرة وزر اخرى رد له بالمعنى الثاني اي لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل لتاكيد الوعد وتشديد الوعيد اي الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض حيث خلفتم الامم السالفة او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تع في ارضه يتصرفون فيها على ان الخطاب عام ورفع بعضكم في الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما آتاكم من المال والجاه اي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده ان ربك تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام سريع العقاب اي عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تع ولم يشكره لان كل آت قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادي والالات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل خبرها من الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على انه تع غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مائتان وست آيات ● بسم الله الرحمن الرحيم

المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير هذا المص اي مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر مبتدا محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مراد به السورة كتاب الخ او اسم الاشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضوره نفسه اي هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر على ما اشير بيان لكونه مترجما باسم بديع منبئ عن غرابته في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فردا من افراد الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدا اي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار

سورة الاعراف

انزل اليك اى من جهته تع بنى الفعل للمفعول جريا على سنن الكبريا وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر فى ترك ذكر مبدا الانزال كما فى قوله جل ذكره بلغ ما انزل اليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشان انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن فى صدرك اى شك كما فى قوله تع فان كنت فى شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة فى تنزيه ساحته عليه السلام عن نسبة الشك اليه ولو فى ضمن النهى فانه من الاحوال القلبية التى يستحيل اعتراؤها اياه عليه السلام وما قد يقع من نسبته اليه فى ضمن النهى فعلى طريقة التهييج والالهاب والمبالغة فى التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير الجارى فى قوله تع منه متعلق بحرج يقال حرج منه اى ضاق به صدره او بمحذوف وقع صفة له اى حرج كائن منه اى لا يكن فيه شك ما فى حقيته او فى كونه كتابا منزلا اليك من عنده تع فالفاء على الاول لترتيب النهى او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا واما على الثانى فهى لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهى الى الحرج مع ان المراد نهيه عليه السلام عنه اما لما مر من المبالغة فى تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فان النهى عن الشئ مما يوهم امكان صدور المنهى عنه عن المنهى واما للمبالغة فى النهى فان وقوع الشك فى صدره عليه السلم سبب لاتصافه عليه السلام به والنهى عن السبب نهى عن المسبب بالطريق البرهانى ونفى له من اصله بالمرة كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا فان النهى هناك وارد على المسبب مرادا به النهى عن السبب فيكون المآل نهيه عليه السلام عن تعاطى ما يورث الحرج فتامل وقيل الحرج على حقيقته اى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر فى القيام بحقه فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فآمنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبار به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثانى بواسطة الاول وقوله تع لتنذر به اى بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وحسما لتوهم ان مورد الشك هو الانزال للانذار به وقيل متعلق بالنهى فان انتفاء الشك فى كونه منزلا من عنده تع موجب للانذار به قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتاتى على التفسير الاول لان تعليل النهى عن الشك بما ذكر من الانذار والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه السلام مشعر بان المنهى عنه ليس بمحذور لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير لا اقل من الايذان بان ذلك معظم غائلته ولا ريب فى فساده واما على التفسير الثانى فانما يتاتى التعليل بالانذار لا بتذكير المؤمنين اذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تع وذكرى للمؤمنين فى حيز النصب باضمار فعله معطوفا على تنذر اى وتذكر المؤمنين تذكيرا او الجر عطفا على محل ان تنذر اى للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفا على كتاب او خبر لمبتدا محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اى لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستانف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبى صلى الله عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عليه السلام اثر ما ذكر يصح من الانذار والتذكير لتاكيد وجوب اتباعه وقوله تع من ربكم متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره فى الصلة وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم فى الامتثال بما امروا به وتاكيد لوجوبه وجعل ما انزل ههنا عاما للسنة القولية والفعلية بعيد نعم يعمها حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزله الله تع اتباعا له تع عقب الامر بذلك بالنهى عن اتباع غيره تع فقيل ولا تتبعوا من دونه اى من دون ربكم الذى انزل اليكم ما يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهى اى لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى اولياء من الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اى اولياء كائنة غيره تع وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف فى اولياء اى ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اولياء كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء وقرى ولا تبتغوا كما فى قوله تع ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تع قليلا ما تذكرون بحذف احدى التائين وتخفيف الذال وقرى بتشديدها على ادغام التاء المهموسة فى الذال المجهورة وقرى يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب اما بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتاثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تع وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل فى قوله تع فقليلا ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلى مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم فى عدم الامتثال بالامر والنهى صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اى لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهى الى المقيد فقط كما فى قوله تع لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى

بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية اهلكناها شروع فى انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تع واصرارهم على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير فى موضع رفع على الابتداء كما فى قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير فى اهلكناها راجع الى معنى كم اى كثير من القرى اهلكناها او فى موضع الرفع نصب باهلكناها كما فى قوله تع انا كل شئ خلقناه بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما فى قوله تع اذا قمتم الى الصلاة اى اردنا اهلاكها فجاءها اى فجاء اهلها باسنا اى عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اى بائتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اى او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما فى جاءنى زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر وارد عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصفى البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم اى دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم باسنا عذابنا وعاينوا امارته الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اى الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا فى الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسئلن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروى اثر بيان عذابهم الدنيوى خلا انه قد تعرض لبيان مبادى احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل فى التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اى لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا قال تع يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذى نفى بقوله تع ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول فى موقف الحساب والثانى فى موقف العقاب فلنقصن عليهم اى على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى المرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اى عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فى حال من الاحوال فيخفى علينا شئ من اعمالهم واحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها والوزن اى وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه على الابتداء وقوله تع يومئذ خبره وقوله تع الحق صفته اى والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اى العدل السوى وقرى القسط واختلف فى كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال هى التى توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الملائكة والانبياء والاشهاد وكما يثبت فى صحائفهم فيقرؤنها فى موقف الحساب ويؤيده ما روى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روى عنه عليه السلام انه ليأتى العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن فى هذا المعنى شائع فى اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشئ ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشاة بصور عرضية تبرز فى النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصى تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تع وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تع الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام فى حق من يشرب من انار الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك الا يرى ان العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رض انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان ان قيل ان المكلف يوم القيمة اما مؤمن بانه تع حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تع بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا يسلم ح ان رجحان بعض الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى اظهار الله تع اياه على ذلك الوجه فما الفائدة فى الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ ويظهر جميع الاشياء بحقائقها على ما هى عليه وباوصافها واحوالها فى انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وينخلع عن الصور المستعارة التى بها ظهرت فى الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة فى انها هى التى كانت فى الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر فى هذه النشاة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تع اعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الاخر اى فمن رجحت موازينه التى توزن بها حسناته او اعماله التى لها قدر وزن وعن الحسن البصرى وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه

من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم
اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة
خبر لاولئك وتعريف المفلحين للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون فى الاخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة
المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه اى موازين اعماله او اعماله التى لا وزن لها ولا اعتداد بها وهى اعماله السيئة فاولئك
اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر انفا فى نظيره وهو مبتدا خبره الذين خسروا
انفسهم اى ضيعوا الفطرة السليمة التى فطروا عليها وقد ايدت بالآيات البينة وقوله تع بما كانوا باياتنا يظلمون متعلق بخسروا
وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل
للدلالة على استمرار الظلم فى الدنيا اى فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا
ظالمين ولقد مكناكم فى الارض لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل عليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته
بالاهلاك فى الدنيا والعذاب المخلد فى الاخرة ذكرهم ما افاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا فى الامتثال بالامر
والنهى اثر ترهيب اى جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش المعايش جمع
معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه فى قراءتها اخلاص الياء وعن ابن عامر
انه همزه تشبيها له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الانشاء والابداع اى انشانا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون
بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو تاخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع
ان حقهما التاخر عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما
عند كون المقدم منبئا عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن واما تقديم اللام على
فى فلما ان المنبئ عما ذكر من المنفعة والاعتناء بشانه اتم والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما
احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف الاخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الاول
كما مر وانت خبير بان لا فائدة يعتد بها فى الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة فى الارض وقوله تع قليلا ما تشكرون اى
تلك النعم تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر فى تفسير قوله تع قليلا ما تذكرون
ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتاخيره عن
تذكير ما وقع بعده من نعمة التمكن فى الارض اما لانها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما
نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعى ربما تؤدى الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر فى قصة
البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونهما وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد
بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتاكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من
خلقه عليه السلام وتصويره لما انهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام بل من الامور
السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق فى ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته فكانهم الذين تعلق به خلقه وتصويره
اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم سار اليكم جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
صريح فى انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امرا منجزا غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تع فاذا سويته
ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكى بقوله تع واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الاية فى سورة البقرة
وسورة بنى اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضى تراخيه عن التصوير من غير تعرض
لبيان ما جرى بينهما من الامور وقد بينا فى سورة البقرة ان ذلك لظهور فضل آدم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة
بالاخبار باستخلافه عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة الى قوله وما
كنتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضى عدم ذكره
عند وقوع المحكى كما ان عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب
مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة فى الكلام العزيز فلعله قد القى الى الملائكة عليهم السلام اولا جميع ما يتوقف عليه الامر
المنجز اجمالا بان قيل مثلا انى خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة فى الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وتبين لكم
فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا او القى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط
المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح انى جاعل هذا خليفة فى الارض فقالوا ذلك ذكروا فى حقه عليه السلام ما ذكروا فايد الله تع تعليم
الاسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشان المامور به وايذانا بوقته وقد حكى
بعض الامور المذكورة فى بعض المواطن وبعضها فى بعضها اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عما ترك فى موطن آخر والذى يرفع غشاوة
الاشتباه عن البصائر السليمة ان ما فى سورة ص من قوله تع اذ قال ربك للملائكة الايات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله
تع ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اى بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب فى ان الملأ الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلم

وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم فى شان الخلافة من التقاول الذى من جملته ما صدر
عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور فى تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر
المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين
الملائكة وما جرى بعده من الاقوال والافعال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت
من انه احد المختصمين تعين انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد الطريقين المذكورين والله تع اعلم
فسجدوا اى الملائكة عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من
الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه فى فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم او لان الملائكة جنسا يتوالدون وقيل لهم الجن
كما مر فى سورة البقرة فقوله تع لم يكن من الساجدين اى ممن سجد لآدم كلام مستانف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء
فان عدم السجود قد يكون للتامل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده اى لكن ابليس لم يكن
من الساجدين قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشا من حكاية عدم سجوده كانه قيل فماذا قال الله تع حينئذ وبه يظهر
وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هى الاشعار بعدم تعلق المحكى بالمخاطبين
كما فى حكاية الخلق والتصوير ما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد كما وقع فى سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذى دخلت عليه
كما فى قوله تع لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فالمعنى ما اضطرك
الى ان لا تسجد اذ امرتك قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفى سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين
وفى سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج فى معصيته
ثلث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام فى سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلم
وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية فى كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر فى موطن آخر واشعارا بان
كل واحدة منها كافية فى التوبيخ كانه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال انا خير منه متجانفا عن تطبيق جوابه على السؤال
بان يقول منعنى كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا بين الاستلزام لمنعه من السجود على زعمه ومشعرا بانه من شانه
هذا الامر ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما فى سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال
من حمإ مسنون فهو اول من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تع خلقتنى من نار وخلقته
من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطا اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وذهل عما من جهة
الفاعل كما انبا عنه قوله تع ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه
عليه بقوله تع ونفخت فيه من روحى وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر
لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة فى الارض وان له خواص ليست لغيره وفى الاية دليل على الكون والفساد وان
الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال استئناف كما سلف
الفاء فى قوله تع فاخرج منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اى فاهبط
من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رضى كانوا فى عدن لا فى جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة
المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واى هبوط وفى سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء فيرده ان
وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول
بطريق النداء من باب الجنة كما روى عن الحسن البصرى وقوله تع فما يكون لك اى فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشانك ان تتكبر فيها
اى فى الجنة او فى زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين
ولا دلالة فيه على جواز التكبر فى غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تع انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تع
فاخرج تاكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تع انك من الصاغرين تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اى من الاذلاء واهل
الهوان على الله تع وعلى اوليائه لتكبرك وعن عمر رضى الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا
طوره وهصه الله الى الارض قال استئناف كما مر مبنى على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين بعدما سمع هذا الطرد المؤكد
فقيل قال انظرنى اى امهلنى ولا تمتنى الى يوم يبعثون اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك
ان يجد فسحة من اغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث قال استئناف كما سلف انك من المنظرين
ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله الاخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم فى ذلك صريح فى انه اخبار
بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم
لا لتاخير العقوبة كما قيل اى انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية الى الوقت فناء غير من استاثر
الله تع من الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسؤول وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع فى سورة الحجر
وسورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء فى الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرنى الى يوم يبعثون

قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفى انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب فى ان الكلام المحكى
له عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة يقتضى وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشئ من ذلك سقط
الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكى على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه اولا
عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكى على وجوه شتى ان اقتضى
الحال دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى اظهار
الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد على نهج استدعاء الجبر فى مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب
فانظرنى حسبما حكى عنه فى السورتين فما حكى ههنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز
قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام
الانظار مقتض لترتيب الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه فى تينك السورتين وفى كل واحد من مقامى
الحكاية والمحكى جميعا خطه واما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج
الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والحوار ان قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما
هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذى يجب اعتباره فى نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذى يفيده واما
كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح فى اصل الكلام
تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا يرى
ان جميع المقالات المنقولة فى القرآن الكريم انما يحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما والا
لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكى كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال فمنشاؤه الغفلة عما يجب توفير
مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكى فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية
يوفى كل واحد من المقامين حقه كما فى سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله
على الكيفيات التى وقع عليها روعى حق المقامين معا واما فى هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز تعين تجريده
الا ترى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التاكيد وسائر الخواص والمزايا
التى يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر بليغ هو تجريده
عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب فى الفهم وبذلك يترقى كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق فى مقامه فاذا
وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام
بمزايا اخر يرتقى بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا لوحظ حق مقام وقوع المحكى فى السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا
عليه وثقة به قال استئناف كما مر فبما اغويتنى الباء للقسم كما فى قوله تع فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تع اياه اثر من
آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تع فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما
واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اى فاقسم باغوائك اياى لاقعدن لهم او للسببية
على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما فى الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اى فبسبب اغوائك
اياى لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم الموصل
الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما فى قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع
الجار تقديره على صراطك كقوله ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من
الجهات الاربع التى يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اى وجه تيسر باتيان العدو من الجهات
الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم
وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم
واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين
بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف المتجافى عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين اى مطيعين
وانما قاله ظنا لقوله تع ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة
قال استئناف كما مر مرارا اخرج منها اى من الجنة او من السماء او من بين الملائكة مذؤوما اى مذموما من ذامه اذا ذمه
وقرئ مذوما كمسول فى مسؤول او كمكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة
للقسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن
تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم اى
وقلنا كما وقع فى سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقى المامور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان

باصالته

باصالته فى تلقى الوحى وتعاطى المامور به اسكن انت وزوجك الجنة هو من السكنى الذى هو عبارة عن اللبث والاستقرار
الاقامة من السكون الذى هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن فى اسكن ليصح العطف عليه والفاء فى قوله تع فكلا من
حيث شئتما لبيان المراد مما فى سورة البقرة من قوله تع وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جمعا مع الترتيب و
قوله تع من حيث شئتما فى معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هنالك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف
والايذان بتساويهما فى مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عليه السلام فى حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه ولتعليق
النهى بهما صريحا فى قوله تع ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما
جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا
وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق بيان كيفية وسوسته فى سورة البقرة ليبدى
لهما اى ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة
وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطى وستر
عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم يقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت
فى اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو
الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اى عن اكلها الا ان تكونا ملكين اى الا كراهة
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون فى الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة لما ان من المعلوم
ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما فى ان يحصل لهما اوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة
والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما وصيغة المغالبة
للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل قالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل
من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من الاعلى الى الاسفل بغرور بما
غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا طعمها
آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت
السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشا
وعلق وهب وانبرى اى اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان
من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من التخصيف ويخصفان اصله يختصفان وناداهما ربهما مالك امرهما بطريق
العقاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اى وقال الم انهكما
عن تلكما الشجرة ما فى اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التى نهى عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اى الم
اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب على مخالفة النهى قيل فيه
دليل على ان مطلق النهى للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول
ههنا وقد حكى فى سورة طه بقوله تع ان هذا عدو لك ولزوجك الآية روى انه تع قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة
مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى
الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز
قالا ربنا ظلمنا انفسنا اى ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا ذلك وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك
حملوا قولهما ذلك على عادات المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال استئنافا
كما مر مرارا اهبطوا خطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا لهما ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما
قال لهم مفرقا كما فى قوله تع يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر فى سائر المواضع بعضكم
لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اى متعادين ولكم فى الارض مستقر اى استقرار او موضع استقرار ومتاع اى تمتع
واستمتاع الى حين هو حين انقضاء آجالكم قال اعيد الاستئناف اما للايذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما فى قوله تع قال
فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تع قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تع قال ارأيتك هذا الذى كرمت على
بعد قوله تع قال أأسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
اى للجزاء كقوله تع منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية يا بنى آدم خطاب للناس كافة وايراده بهذا العنوان مما لا يخفى سره قد
انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام الخ وقوله تع وانزلنا
الحديد يوارى سوآتكم التى قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك وروى
ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم عليه السلام

ح للايذان بان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم
وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اى تمول وقرى رياشا وهو جمع ريش كشعب
شعاب ولباس التقوى اى خشية الله تع وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتدا خبره جملة
ذلك خير اوخبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرى ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا
ذلك اى انزال اللباس من ايات الله دالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون
عن القبايح يابنى آدم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سببه
لا يفتننكم الشيطان اى لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف
اى لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم ويجوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي
وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قوله لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع
عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبيب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
وقوله تع انه يراكم هو وقبيله اى جنوده وذريته استيناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية
الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا تقتضي
امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم انا جعلنا الشياطين جعل قبيله من جملته فجمع اولياء للذين لا يؤمنون اى جعلناهم بما
اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على ما سولوا لهم اولياء اى قرناء مسلطين
عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتاكيد للتحذير اثر تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة مبتدأة لا محل لها من الاعراب ويجوز عطفها
على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث او للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد
بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين
تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان اباءهم انما كانوا يفعلونها بامر الله تع بها على ان
ضمير امرنا لهم ولابائهم فح يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تع قل ان الله لا يامر بالفحشاء فان عادته تع جارية
على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا
عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل
لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل لم فعلها اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام
الدليل بخلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ
الى قولهم عليه تع ما لا تعلمون صدوره عنه تع مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تع مبالغة في انكار تلك الصورة فان
اسناد ما لم يعلم صدوره عنه اليه تع اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه اليه عز وجل اشد قبحا واحق بالانكار
قل امر ربي بالقسط بيان للمامور به اثر نفي ما اسند امره اليه تع من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء
المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو
القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلاة او في اى مسجد حضرتكم الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى
تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة فان مصيركم اليه بالآخرة كما بدأكم اى انشأكم ابتداء
تعودون اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من
التراب تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم
للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره
ما بعده اى وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانه او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون
فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم
اى ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد اى طواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على
وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا مما طاب لكم روى ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا
قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او
بالافراط في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رض كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة
فقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف الآية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضي
فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف
والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق اى المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس
وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من انكاري قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها
فبالتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرى بالرفع على انه خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون

توجيه

اى مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل انما حرم ربي الفواحش اى
ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش اى جهرها وسرها والاثم
اى ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر والبغي اى الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة في الزجر عنه
بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه
برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه تع ما لا
يعلمون وقوعه لا ما يعلمون عدم وقوعه قد مر سره ولكل امة من الامم المهلكة اجل حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم
فاذا جاء اجلهم ان جعل الضمير للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ
كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم آجالهم
بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير
والاضافة الى الضمير لافادة اكمل التمييز اى اذا جاءها اجلها الخاص بها لا يستاخرون عنه عن ذلك الاجل ساعة اى شيئا قليلا من
الزمان فانها في غاية القلة منه اى لا يتاخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له
ولا يستقدمون اى ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتاخر بل
للمبالغة في انتفاء التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم القبول
في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث يمكن
التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة منه وليس بذاك وتقديم بيان انتفاء الاستيخار لما ان المقصود بالذات
بيان عدم خلاصهم من العذاب واما ما في قوله تع ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان
المراد هناك بيان سر تاخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تع ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون فالاهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما بشان ما في حيزه اما
ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه على
ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل اى كائنون من جنسكم وقوله تع
يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل اى يبينون لكم احكامي وشرايعي وقوله تع فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اى فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تع والذين كذبوا باياتنا
واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى والذين كذبوا منكم باياتنا وايراد الاتقاء في الاول للايذان بان مدار
الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وادخال الفاء في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اى تقول عليه تع ما لم يقله او كذب ما قاله اى هو اظلم من كل
ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من
معنى البعد للايذان بتماديهم في سوء الحال اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب
اى مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اى ما اثبت لهم فيه وايا ما كان فمن لابتدائية متعلقة بمحذوف
وقع حالا من نصيبهم اى ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن
ابن عباس رض كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال الله تع ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله
حتى اذا جاءتهم رسلنا اى ملك الموت واعوانه يتوفونهم اى حال كونهم متوفين لارواحهم يؤيد الاول فان حتى وان كانت
هي التي يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون بها الى حين وفاتهم اى ينالهم نصيبهم
من الكتاب الى ان ياتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اينما كنتم تدعون من دون الله اى اين الآلهة التي كنتم تعبدونها
في الدنيا وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من حكاية سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اى غابوا عنا اى لا ندري مكانهم وشهدوا على
انفسهم عطف على قالوا اى اعترفوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اى في الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث
شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجيء الرسل وحال التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي الى انتهائه يوم الجزاء
بناء على تحقق المجيء والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث
والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال و
الجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة
قال اى الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة الملك ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اى كائنين في جملة امم مصاحبين
لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم السابقة واللاحقة

فيها لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله تع لا معهم ربنا هولاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فلما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم وما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت اولاهم لاخراهم اي مخاطبين لاخراهم حين سمعوا جواب الله تع لهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا باياتنا مع وضوحها واستكبروا عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السما اي لا تقبل ادعيتهم ولا اعمالهم او لا تعرج اليها ارواحهم كما هو شان ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للايات وبالياء على انه لله تع ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس من شانه الولوج في سم الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا لهم من جهنم مهاد اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللتصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما في قوله تع وله الجوار المنشات وكذلك ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الجرائم والجرائر والذين امنوا اي باياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الايات دخولا اوليا وقوله تع وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة التي شرعت بالايات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدا الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة للترغيب في اكتساب ما يؤدي الى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسير تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدأ واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول واسم الاشارة بدل من المبتدا الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدر او خبر لاولئك على راي من جوزه وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل ونطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة الماضي للايذان بتحققه وتقرره وعن علي رض اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل اما معنى الاضافة واما العامل في المضاف او حال من فاعل نزعنا وقيل هي مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي اي لهذا المطلب الاعلى والمطلب من المطالب التي هذا من جملتها لولا ان هدانا الله ووفقنا له واللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد او لارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي الخ بغير واو على انها مبينة ومقررة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا بانهم بما جاء به الرسل عليهم السلام والباء في قوله تع بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل اي والله لقد جاؤا بالحق ونودوا اي نادتهم الملائكة ان تلكم الجنة ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشان محذوف ومعنى البعد في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد مرتبتها واما للاشعار بانها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدا وخبر او الجنة صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اي وجدنا حقا وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بان المخففة او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو

ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالاخرة كافرون غير معترفين وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله تع فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يظهر اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تع فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تع بها كبياض الوجه وسواده فعلا من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة حين راوهم ان سلام عليكم بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل نادوا او من مفعوله وقوله تع وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها اي نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا متعوذين بالله تع من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه ح من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفار حين راوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي من الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تع اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين اي ادخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون او قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تع بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل لان هذه المقالات وما تتفرع هي عليه من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تع او الملائكة ردا عليهم اهؤلاء الاية وقرئ ادخلوا على الاستيناف وقرئ دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمانت به الدار ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلايم الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما اي منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل لكم الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة وقوله تع كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تع وما كانوا باياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اي وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تع انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اي بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القران على علم حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المغتنمون باثاره المقتبسون من انواره هل ينظرون الا تاويله اي ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تاويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اي هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي هي راس مالهم الى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله تع وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم الله

الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام شروع فى بيان مبداء الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اى ان خالقكم ومالككم الذى خلق
الاجرام العلوية والسفلية فى ستة اوقات كقوله تع ومن يولهم يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم
زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن هى حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار
واعتبار للنظار وحث على التانى فى الامور ثم استوى على العرش اى استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش
صفة لله تع بلا كيف والمعنى انه تع استوى على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم
المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل
النهار اى يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرى بنصب الليل ورفع النهار وقرى بالتشديد
للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اى يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة
مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او من المفعول اى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اى خلقهن حال كونهن
مسخرات بقضائه وتصريفه وقرى كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق
تبارك الله رب العالمين اى تع بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله اعلم ان الكفرة
كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تع لانه الذى له الخلق والامر فانه تع خلق العالم على ترتيب
قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تع فقضاهن سبع سموات فى يومين
وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار والافعال
واشار بقوله تع وخلق الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل فى يومين ثم انشاء انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها
اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تع خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين لما فصل فى سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره
فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير
ونتيجته فقال تع الا له الخلق والامر ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذى قد عرفتم شئونه الجليلة تضرعا
وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اى لا يحب دعاء المجاوزين لما امروا به فى كل
شئ فيدخل فيه الاعتداء فى الدعاء دخولا اوليا وقد نبه على ان الداعى يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود
الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء و
المرء ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا
انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا
اى ذوى خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه ان رحمة الله
قريب من المحسنين فى كل شئ ومن الاحسان فى الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم
او لانه صفة لمحذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض والصهيل
او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسى التانيث
من المضاف اليه وهو الذى يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرى الريح نشرا مخفف نشر جمع بشيرا اى مبشرات وقرى بفتح
الباء على انه مصدر بشر بمعنى باشرات او للبشارة وقرى نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اى ناشرات او مفعول مطلق فان
الارسال والنشر متقاربان بين يدى رحمته قدام رحمته التى هى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره
والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اى حملت واشتقاقه من [illegible] فان المقل للشئ يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لانه بمعنى السحائب
سقناه اى السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ لبلد ميت اى لاجله ولمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرى ميت فانزلنا به
الماء اى بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح والتذكير بتاويل المذكور وكذلك قوله تع فاخرجنا به ويحتمل ان يعود الضمير
الى الماء وهو الظاهر واذا كان البلد فالباء للالصاق فى الاول والظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية من كل الثمرات
اى من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية
فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها
بالقوى والحواس لعلكم تذكرون بطرح احدى التائين اى تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة
والبلد الطيب اى الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه
لانه اوقعه فى مقابلة قوله والذى خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير
والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرى لا يخرج الا
نكدا اى لا يخرجه البلد الا نكدا وقرى نكدا على المصدر اى ذا نكد او نكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اى مثل ذلك التصريف
البديع نصرف الايات اى نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تع فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال

الرسل بالشرائع التى هى ماء حيوة القلب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد
عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو جواب قسم
محذوف اى والله لقد ارسلنا الخ واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذى هو معنى قد فان
الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبى عليهما السلام
قال ابن عباس رض بعث عليه السلام على راس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنه وعاش بعد الطوفان
مائتين وخمسين سنه فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنه وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنه وقيل وهو ابن خمسين سنه
وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنه ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنه وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنه
فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنه فقال يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة
واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة فى شئ وقوله تع ما لكم من اله غيره اى من مستحق للعبادة استيناف مسوق لتعليل العبادة
المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرى بالجر باعتبار لفظه وقرى
بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما فى الدار من احد الا زيدا وغير زيد
فمن اله ان جعل مبتدا فلكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى ما لكم فى الوجود او فى العالم اله غير الله انى اخاف
عليكم اى ان لم تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف
عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعى اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملا من قومه استيناف
مبنى على سؤال نشا من حكاية قوله عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا له عليه السلام فى مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه
والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك فى
ضلال اى ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا قال استيناف
كما سبق يا قوم ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بى ضلالة اى شئ ما من الضلال قصد عليه السلام
تحقيق الحق فى نفى الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا فى اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا فى الضلال الواضح
كونه ضلالا وقوله تع ولكنى رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه فى اقصى مراتب الهداية فان
رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بى شئ من الضلالة ولكنى فى الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء
الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول
واى رسول كائن من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى استيناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل
صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذى سمتنى امى حيدرة وقرى ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او
لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحى اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تع به عليه السلام بعد
بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذى هو تبليغ رسالته تع اليهم فان ربوبيته تع له عليه السلام من موجبات
امتثاله بامره تع بتبليغ رسالته وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدى النصح بنفسه
للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه
قوله تع رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا وقوله تع واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه السلام اى
اعلم من جهة الله تع بالوحى ما لا تعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شئونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه
وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون
ما علمه نوح عليه السلام بالوحى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم جواب ورد لما اكتفى عن ذكره بقولهم انا لنراك فى ضلال مبين من نفى
ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه
قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اى وحى وموعظة من مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم اى على لسان رجل من جنسكم
كقوله تع ما وعدتنا على رسلك وقلتم لاجل ذلك ما قلتم من ان الله تع لو شاء لانزل ملائكة لينذركم علة للمجئ اى ليحذركم عاقبة
الكفر والمعاصى ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة عليها ولعلكم ترحمون عطف على العلة الثانية مترتبة عليها اى ولتتعلق بكم
الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجى التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب للرحمة بل هى منوطة بفضل الله تع
وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله عز وجل فكذبوه فتموا على تكذيبه فى دعوى النبوة وما نزل عليه
من الوحى الذى بلغه اليهم وانذرهم بما فى تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعد ما كرر عليهم عليه السلام
الدعوة مرارا فلم يزدهم الا فرارا حسبما نطق به قوله تع رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الايات اذ هو الذى يعقبه الانجاء
والاغراق لا مجرد التكذيب فانجيناه ومن معه من المؤمنين قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة ابناؤه الثلاثة و
ستة ممن آمن به وقوله تع فى الفلك متعلق بالاستقرار فى الظرف اى استقروا معه فى الفلك او صحبوه فيه او بفعل الانجاء
اى انجيناهم فى السفينة ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره فى الظرف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى استمروا على

نكذبنا بها وليس المراد بهم الملاء المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجا على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر اثره بمقتضى جرائمهم انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رض عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد و النبوة والمعاد وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والقرار والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تع ارسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تع اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاولى واياما كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر يرشدك الى ذلك ما سياتي من قوله تع ولوطا الخ فان قومه لما لم يعهد باسم معروف يقتضي الحال ذكره عليه السلام مضافا اليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص الثلاث وقوله تع هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية ارساله عليه السلام اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما يعرب عنه قوله تع ما لكم من اله غيره فانه استيناف جار مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل لها او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تع بعد ما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تتفكرون او اتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا او اتعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود افلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تع ان انتم الا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال نظائرها في سائر القصص لا سيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعدده والله اعلم قال الملاء الذين كفروا من قومه استيناف كما مر وانما وصف الملاء بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملاء قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه السلام ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم انا لنراك في سفاهة اي متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وانا لنظنك من الكاذبين اي فيما ادعيت من الرساله قالوه لعراقتهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح قال مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة اي شيء منها ولا شائبة من شوائبها ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والاناة والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بي شيء مما تنسبوني اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تع ابلغكم رسالات ربي استيناف سيق لتقرير رسالته وتفصيل احوالها وقيل صفة اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه عليه السلام بعد اضافته الى العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح امين معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة او الكذب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه السلام على رجل منكم اي من جملتكم لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي حتى تنسبوني الى السفاهة والكذب وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من ينسبهم بما لا خير فيه من امثال تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرافة من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا اذ جعلكم خلفاء شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تع اياكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان وزادكم في الخلق اي في الابداع والتصوير او في الناس بسطة قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص لعلكم تفلحون كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب قالوا مجيبين عن تلك النصائح العظيمة قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده اي لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى

بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجيء اما مجيئه عليه السلام من متعبده ومعتزله واما من السماء على التهكم واما القصد والتصدي مجازا كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني من غير ان يراد معنى الذهاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تع افلا تتقون ان كنت من الصادقين اي في الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اي فات به قال قد وقع عليكم اي وجب وحق او نزل باصراركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تع اتى امر الله من ربكم اي من جهته تع وتقديم الظرف الاول على الثاني مع ان مبدا الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تع رجس مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تع وغضب فربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل اتجادلونني في اسماء عارية عن المسمى سميتموها اي سميتم بها انتم وآباؤكم انكار واستقباح لانكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله تع وحده وترك عبادة الاصنام اي اتجادلونني في اشياء سميتموها آلهة ليس فيها الا محض الاسماء من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تع اما بانزال آية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تع ما نزل الله بها من سلطان واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله تع قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فاتنا بما تعدنا الخ اني معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله فانجيناه فصيحة كما في قوله فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه اي في الدين برحمة اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المفهومة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تع وتصديق آياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تع اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تع عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله تع الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتا معاوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية * الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما * فيسقي ارض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما * فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تع سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله تع ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تع والى عاد اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عامر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف بتاويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوة صالح عليه السلام من حيث النسب كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عم اليهم مظنة لان يسال ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام في نظائره قد جاءتكم بينة اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغنا عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة ولذلك اوليت العوامل وقوله تع من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعدما نصحهم وذكرهم بنعم الله تع فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى الى ما في سورة هود من قوله تع هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها الى آخر الايات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم

فيهدم في حيوته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تع وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان
فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون
فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنه فتدعو الهك وندعو الهتنا
فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم
ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة
جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت
ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء
كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه
ومنع اعقابهم ناسا من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان
يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعها حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون و
يدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن
الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار
لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قا
فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم
العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تع الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تع هذه ناقة الله لكم آية
استيناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولجيئها من جهته تع بلا اسباب معهودة ووسائط
معتادة ولذلك كانت اية واي آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان
يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتداء ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها آية من آيات الله
تع فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها تاكل في ارض الله جواب الامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تاكل
ما تاكل بالرفع على انه في موقع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما
في قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله تع لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس
الذي هو مقدمة الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية وتنكير السوء مبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوءها
اصلا ولا تطردوها ولا تريبوها اكراما لآية الله تع فيأخذكم عذاب اليم جواب النهي ويروى ان رسول الله عليه السلام
حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين
الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين قال
الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد اي خلفاء في الارض او خلفاءهم كما مر وبوأكم في الارض اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من
سهولها قصورا استيناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون
منها من الرهص واللبن والآجر وتنحتون الجبال اي الصخر وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من
ذفرى اسيل حرة والنحت نجر الشيء الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تع بيوتا على انها حال مقدرة منها كما
تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز
ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء
الله التي انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآية التي هذه من جملتها ولا تعثوا في الارض مفسدين فان حق الآية تع ان تشكر ولا تهمل ولا
يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالافساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا استيناف كما سلف و
قرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تع قال يا قوم الخ واللام في قوله تع للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تع لمن آمن منهم بدل
من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين
من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان المجاوبة مع المؤمنين منهم على
ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واستذلوهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه
بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تع
مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من
الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع

كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذي آمنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون
اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة اي نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان
ذلك لما كان برضاهم فكأنه فعله كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر
ربهم اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهي وقالوا مخاطبين له عليه السلام بطريق
التعجيز والالزام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا ان كنت من المرسلين فان كونك من جملتهم
يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما
جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله فاصبحوا في دارهم اي صاروا في ارضهم وبلدهم او في مساكنهم
جاثمين هامدين موتى لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اي قعود لا حراك بهم ولا يلبسون نسمة
قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب
وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا نعوذ بك من نزول سخطك و
حلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار بكونهم
في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار
وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به فتولى
عنهم اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تع ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية حال ماضية اي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك خطاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم
قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عليه السلام لعلاماته تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروي
ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت
فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب
بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد تقدم بيانه في قصة
هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم عليهما السلام كان من ارض بابل من العراق مع عمه ابراهيم فهاجر
الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله تع الى اهل سدوم وهو بلد بحمص وقوله تع اذ قال لقومه
ظرف للمضمر المذكور اي ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد ارساله عليه السلام بذلك لما ان ارساله عم
اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله عليه السلام
لقومه أتأتون الفاحشة بطريق الانكار التوبيخي التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشرية والسوء
ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها
قبله ومن في قوله تع من احد مزيدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وفي قوله تع من العالمين للتبعيض والجملة مستانفة
مسوقة لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تع عليهم اولا اتيان الفاحشة
ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن
المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تع ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوق جوابا
عن سؤال مقدر كانه قيل من جهتهم لم لا نأتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف
تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها
فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم
فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي اول من فعل به ذلك
الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل انكم لتأتون الرجال خبر مستانف لبيان
تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه تاكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة
ان واللام مزيد تقبيح وتقريع كان ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تاكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان
والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تع شهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة
وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار
عليهم وتقريعهم على اشتمالهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تع من دون النساء اي متجاوزين النساء اللاتي هن
محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تع هن اطهر لكم بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى ارتكاب
امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم

الاسراف وما كان جواب قومه اى المستكبرين منهم المتولين للامر والنهى المتصدين للعقد والحل وقوله تع الا ان قالوا استثنا مفرغ من اعم الاشياء اى ماكان جوابا من جهة قومه شيئا من الاشياء الا قولهم اى لبعضهم الاخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته عليه السلام اخرجوهم اى لوطا ومن معه من اهله المؤمنين من قريتكم اى الا هذا القول الذى يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام وقرى برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا الخ خبرها وهو اظهر وان كان الاول اقوى فى الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم فى المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكى عنهم فى سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه فى نظائره الوارده بطريق القصر وقوله تع انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذائر كما هو ديدن الشطار والدعار فانجيناه واهله اى من المؤمنين منهم الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفرة كانت من الغابرين اى الباقين فى ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشاء عن استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل فما ذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تع وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيد مطر فى الرحمة وامطر فى العذاب وقال الراغب مطر فى الخير وامطر فى العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان فى الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروى ان امرأته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعى ههنا ما فى المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن ثيرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استيناف مبنى على سؤال نشاء من حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة اى معجزة وقوله تع من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعل مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اى بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام فى القران العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبى صلى الله عليه وسلم فمنها ما روى من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعدان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عليهما السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما فى قوله تع يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى اى حجة واضحة وبرهان نيرعبر بهما عما آتاه الله تع من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اى المكيال كما وقع فى سورة هود ويؤيده قوله تع والميزان فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجئ البينة ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تع موجبة للاجتناب عن المناهى التى معظمها بعد الكفر البخس الذى كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم التى تشترونها بها معتمدين على تمامها اى شئ كان واى مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لايدعون شيئا الا مكسوه قال زهير افى كل اسواق العراق اتاوة • وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا فى الارض اى بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع او اصلحوا فيها واضافته اليها كاضافة مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا فى معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مؤمنين اى مصدقين بى فى قولى هذا ولا تقعدوا بكل صراط اى بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يشرع فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لايفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله اى السبيل الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدونه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طرق الدين وقوله تع من آمن به مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير فى تقعدوا وتبغونها عوجا اى وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها معوجة وهى ابعد شئ من شائبة الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة فى النسل

توعدون

والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به من الشرائع والاحكام وطائفة لم يؤمنوا اى به او لم يفعلوا الايمان فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فما ذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام فقيل قال اشراف قومه المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من الطاعة له بل بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عليه السلام فيما هم فيه واتباعه المؤمنين واجترؤا على اكراههم عليه بوعيد النفى وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمى لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا بنسبة الاخراج اليه عليه السلام اولا والى المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على اصالته عليه السلام فى الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تع معك فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمى بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان اى والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تع او لتعودن فى ملتنا عطف على جواب القسم اى والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلى هو العود مع استحالة كونه عليه السلام فى ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية حذارا الاخراج باعتبار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب قال استيناف كما سبق اى قال عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم فى ايمانهم الفاجرة اولو كنا كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتى فى قوله تعالى اولو جئتك بشئ مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو فى مثل هذا المقام لبيان استقرار الشئ فى الزمن الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصد الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر فى الخبر الموجب والمنفى والامر والنهى كما فى قولك فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطى ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله سالما عما يغيره واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل فى الكل واحد الا ان كلمة لو فى الصورة المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وانما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما تعلق به وان ما فى حيزها مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سيأتى وان المقصود الاصلى انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما فى حيزها لا يقصد استبعاده فى نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة فى الانكار من جهة ان العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة الموت للعود فى ملة الكفر ابتداء حتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هى كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذى جعل قرينا للقتل فى قوله تع ولو انا كتبنا الآية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون فى انهم حينئذ يختارون العود خشية الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة فى محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ مآله انعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما يفيده كلمتهم الشنيعة باطلاقها من العود على اى حالة كانت غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية التى هى اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على انها هى الواقعة فى نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذى تعلق به الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت النفى المستفاد من الاستفهام الانكارى فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفى فيه ولا ريب فى ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى النفى لا الى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفى عند الحالة المسكوت عنها اعنى عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغى ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اذ هو الذى يدل عليه قولنا انعود لانه فى معنى لا نعود فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذى اريد بيان تحققه على كل حال وذلك فى مثال النفى عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفى المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذى يقتضيه الكلام السابق اعنى قولهم لتعودن

واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه ان
بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي
الاخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا تستقيم اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية الا يرى انك لو قلت مكان
انعود فيها الخ لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة
ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من
حيث هو منفي واما همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة
وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي
دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما
ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على
ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداه لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها
قيدا لنفس العود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم لتحققه في حال
عدمها البتة وعند كونها قيدا لنفيه بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا
يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول
لافادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على
الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين
ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان
كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى احدهما عين معنى الاخر او انهما متلازمان متفقان في جميع الاحكام كيف لا
ومدلول الاول ان العود منتف في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح
لنفي العود في الحالتين مع ذكرهما معا غير ان الثاني مصحح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس
المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة قد افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره
ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا
على الله كذبا عظيما حيث نزعم ان لله تع ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه
من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا الخ وما يكون
لنا اي وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئة
الله تع او وقت مشيئته تع لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تع ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته
تع لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تع لارتدادهم قطعا وكذا قوله تع بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تع لهم منها من دلائل
عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تع وايا ما كان فليس المراد
بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تع كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل
وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تع له وسع ربنا كل شيء
علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل
واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تع على الله توكلنا
اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشراك بالكلية واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تع ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مفاوضتهم اثر ما ظهر له عليه السلام انهم من
العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تع بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين
اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه
وانت خير الفاتحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ ولعل هؤلاء
غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شانهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام باموره حسبما يراه المستكبرون
ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اي قال
اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا
ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه
وتركتم دين ابائكم انكم اذا لخاسرون اي في الدين لاشتراكم الضلالة بهداه او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف
واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطاته اللام فاخذتهم
الرجفة اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من

من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم وفي سورة
هود في ديارهم جاثمين اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم
فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تع كان لم يغنوا فيها
اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا
لا دخول بعده ابدا وقوله تع الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة
الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه
عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون له عليه السلام وبهذا القصر اكتفى
عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع في سورة هود من قوله تع فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه الخ فتولى عنهم و
قال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك
فقال فكيف آسى اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم
او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم
تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان
احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتاكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذب به اهلها الا اخذنا اهلها
استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما
تقدير قد كما في هذه الآية او مقارنة قد كما في قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا
من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها بالباساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى ان
ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالاخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتكبرهم
عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله تعالى
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان
السيئة التي اصابتهم للغاية المذكورة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تع
وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة
وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه قد مس اباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما هو الا من
عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل
تاخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها فاخذناهم اثر ذلك بغتة فجاءة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون
بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تع حتى اذا فرحوا بما اوتوا الاية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين
كاهلاك عاد وقوم لوط بل ثمود وما يمضي بين الاخذ وتمام الاهلاك ايام كداب ثمود ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة
المدلول عليها بقوله تع في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظم لما ذكر منها انتظاما اوليا امنوا بما
اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي او اتقوا ما انذروه على السنة
الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تع على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله
واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات
التي بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم
يتقوا وقد اكتفى بذكر الاول لاستلزامه الثاني فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس اباءنا
الخ وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تع فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل لما انهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة
افامن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة ما اتاهم من الباس لا امن
مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم باس خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم كما سياتي والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار
الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله تع فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض
توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا
اي بيتوتة او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون
حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا اوامن اهل القرى انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل افامن اهل
القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون الواو على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى اي ضحوة
النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كانهم
يلعبون افامنوا مكر الله تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تع استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب
والمراد به اتيان باسه تع في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب

على الاخذ المذكور واما الثانى فمن تتمه الاول فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اى الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة
الله التى فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر فى الايات اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها
اى يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكه ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما
لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم الخ واما لانها بمعنى التبيين ومفعول محذوف والفاعل على المقدر
هو الجملة الشرطيه اى ولم يبين لهم مآل امرهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اى ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب
ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرى نهد بنون العظمه فالجملة مفعوله ونطبع على قلوبهم عطف على ما يفهم من قوله تعالى
اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتامل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه
على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لافضائه الى نفى الطبع عنهم لانه فى سياق جواب لو فهم لا يسمعون اى اخبار الامم المهلكه
فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما فى تضاعيفها من الهدايات تلك القرى جملة مستانفه جارية مجرى الفذلكة لما
قبلها من القصص منبئة عن غاية غواية الامم المذكوره وتماديهم فيها بعد ما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهره وتلك
اشارة الى قرى الامم المحكيه على ان اللام للعهد وهو مبتدا وقوله تع نقص عليك من انبائها خبره وصيغة المضارع للايذان
بعدم انقضاء القصه بعد ومن للتبعيض اى بعض اخبارها التى فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدا والقرى خبره وما بعده
حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الجملة الثانى جملة كما فى قوله تع فاذا هى حية تسعى وتصديرا لكلام بذكر القرى واضافة
الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تع ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستيصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفه وبقائها خاوية معطلة
اهول وافظع والباء فى قوله تع بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعديه واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اى
ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتى كل رسول ببينه واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة
انقسام الاحاد انما هى فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة مستانفه مبنيه لكمال عتوهم وعنادهم اى وبالله لقد جاء كل امة
من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينه المتكثره المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته
الموجبة للايمان حتما وقوله تع فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم فى الزمان الماضى لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب
حالهم هذه على مجئ الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان
استمرارا عليه فى الحقيقه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم ينزجر ودعوته فلم يجب واللام لتاكيد
النفى اى فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام فى وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا
ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم فى الكفر والطغيان ثم ان كان المحكى عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم
المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتى وبما اشير اليه بقوله تع بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجئ الرسل الى وقت
الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان
عدم ايمانهم بعد تواتر البينات التى جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكى جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر
اولا كفرهم المستمر من حين مجئ الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة
عن اصول الشرايع التى اجمعت عليها الرسل قاطبه ودعوا اممهم اليها اثر ذى اثر لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد
ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجئ رسلهم كانهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان
بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقى بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به
بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع
بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تع وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم فى الكفر والتكذيب
وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثه متوافقة فى المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به
الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد ما كانوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببيه وما مصدريه اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا
يرد عليه ههنا ما ورد فى سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدريه من قبيل الاسماء كما هو رأى الاخفش وابن السراج ليرجع
اليه الضمير فى به كذلك اى مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله على قلوب الكافرين اى من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر
فيها الآيات والنذر وفيه تحذير السامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم
اى اكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما فى قولك ما وجدت له مالا اى ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف
وقع حالا من قوله من عهد لانه فى الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن
مزيدة للاستغراق اى وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس الباساء والضراء قائلين لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا

لانهم ما كانوا فى زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد بل كانت كل نسمة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجئ رسلهم

يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تع اليهم من الايمان والتقوى بنصب الايات وانزال الحجج وقيل ما عهدوا
عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم والضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يفون بالعهود باى معنى كان
وان وجدنا اكثرهم اى اكثر الامم اى علمناهم كما فى قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففه من ان وضمير
الشان محذوف اى ان الشان وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافيه واللام بمعنى
الا اى وما وجدناهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اى ارسلناه من بعد انقضاء وقايع الرسل المذكورين عليهم السلام
او من بعد هلاك الامم المحكيه والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخى للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة
الالهيه من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على الفعل الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
باياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اى بعثناه عليه السلام ملتبسا باياتنا او بعثناه بعثا
ملتبسا بها وهى الايات التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم حسبما سياتى على التفصيل الى فرعون هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقه كما ان كسرى لقب لكل من
ملك فارس وقيصر لقب لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وملائه اى اشراف قومه و
تخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه
وترك العظيمة الشنعاء التى كان يدعيها الطاغيه وتقبلها منه فيئته الباغيه لاصالتهم فى تدبير الامور واتباع غيرهم
لهم فى الورود والصدور فظلموا بها اى كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد وضمن معنى الكفر او التكذيب
اى ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا
وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر
الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا يرى الى قوله تع فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة
كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة فى حيز النصب
باسقاط الخافض اى فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم
للافساد وقال موسى كلام مبتدا مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الايات وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون
انى رسول اى اليك من رب العالمين على الوجه الذى مر بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب عما ينساق اليه الذهن من
حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبه اياه عليه السلام فى دعوى الرساله وكان اصله حقيق على ان لا اقول الخ كما هو قراءة نافع
فقلب للامن من الالباس كما فى قول من قال وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق فى الوصف
بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع
الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنه ويؤيده قراءة ابى بالباء وقرى حقيق ان لا اقول وقوله تع
قد جئتكم ببينة استيناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول
منه عليه السلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكيه بقوله تع قال فمن
ربكما يا موسى الايات وقوله تع وما رب العالمين الايات وقد طوى ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقه اما بجئتكم على انها
لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينه مفيد لفخامتها الاضافيه المؤكدة لفخامتها الذاتيه المستفاده من التنوين
التفخيمى واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى رب العالمين لتاكيد وجوب الايمان بها فارسل معى بنى اسرائيل
اى فخلهم حتى يذهبوا معى الى الارض المقدسه التى هى وطن ابائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم
ويكلفهم الافاعيل الشاقه فانقذهم الله تع بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخله
موسى عليه السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته عليه السلام ومجيئه بالبينه قال
استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال ما قال فقيل قال
ان كنت جئت باية اى من عند من ارسلك كما تدعيه فات بها اى فاحضرها حتى يثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين
فى دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضى اظهار الاية لا محالة فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين اى ظاهر امره لا
يشك فى كونه ثعبانا وهو الحية العظيمه واشارة الجملة الاسميه للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانيه
فيها كانها فى الاصل كذلك روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على
الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون
الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اى
من جيبه او من تحت ابطه فاذا هى بيضاء للناظرين اى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظار تعجبا من امرها وذلك
ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا
غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الادمه وقيل بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء فى جبلتها قال الملاء

من قوم فرعون اى الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا الساحر عليم اى مبالغ فى علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزى فى سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اى من ارض مصر فماذا تامرون بفتح النون وما فى ماذا فى محل النصب على انه مفعول ثان لتامرون بحذف الجار الاول محذوف والتقدير باى شئ تامروننى وهذا من كلام فرعون كما فى قوله تع ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب اى فاذا كان الامر كذلك فماذا تشيرون على فى امره وقيل قاله الملاء عن قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تع قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملاء الذين شاوروهم فرعون وعلى الثانى لكلام العامة الذين خاطبهم الملاء ويأباه ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظايفهم اى اخره واخاه وعدم التعرض لظهور كونه معه حسبما نادى به الايات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرى ارجئه وارجه من ارجأه وارجاه وارسل فى المدائن حاشرين قيل هى مدائن صعيد مصر وكان رؤسا السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضى الله عنه انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عليه السلام يأتوك بكل ساحر عليم اى ماهر فى السحر وقرى بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما فى قوله تع فارسل فى المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استينافا مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجئ السحرة كانه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم ح او بطريق الاستفهام التقريرى بحذف الهمزة وقرى باثباتها وقولهم ان كنا لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم فى الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اى ان كنا نحن الغالبين قال نعم وقوله تع وانكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة فى الترغيب وروى انه قال لهم تكونون اول من يدخل على واخر من يخرج عنه قالوا استيناف كما مر كانه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا مستعدين لشانهم مخاطبين لموسى عليه السلام ياموسى اما ان تلقى ما تلقى اولا واما ان نكون نحن الملقين اى لما نلقى اولا او الفاعلين للالقاء لاخيروا عليه السلام بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهار الجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير ولكن كانت رغبتهم فى التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتاكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اى القوا ما تلقون فلما القوا ما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اى بالغوا فى ارهابهم وجاؤا بسحر عظيم فى بابه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون الفاء فصيحة اى فالقاها فصارت حية فاذا هى الاية وانما حذف للاشعار بمسارعة موسى عليه السلام الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كان لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اى ما يافكونه ويزورونه او مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت ملأ الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تع بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اى ثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اى ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اى فرعون وقومه هنالك اى فى مجلسهم وانقلبوا صاغرين اى صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تع والقى السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اى خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون وعن ابن عباس رض انه قال لما امنت السحرة اتبع موسى من بنى اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه امنتم به بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخى بحذف الهمزة كما مر فى ان لنا لاجرا وقد قرى بتحقيق الهمزتين معا وتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اى امنتم بالله تع قبل ان اذن لكم اى بغير اذن لكم كما فى قوله تع لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى لا ان الاذن منه ممكن فى ذلك ان هذا لمكر مكرتموه يعنى ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطاة موسى فى المدينة يعنى مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روى ان موسى عليه السلام وامير السحرة التقيا فقال له موسى عليه السلام ارأيتك ان غلبتك اتؤمن بى وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتنى لاؤمنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذى نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها اهلها اى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما الى سماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها ليمنعهم بهما عن الايمان بنبوة موسى عليه السلام بارادة ان ايمان السحرة مبنى على المواضعة

بينهم وبين موسى عليه السلام وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المالوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال فسوف تعلمون اى عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تع لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه تع محاربة لله ورسوله قالوا استيناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالت السحرة عند ما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به او تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اى بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك او لا فلا نبالى بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله تع او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اى وما تنكر وتعيب منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما فى قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اى افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تع انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملاء من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا من امر موسى عليه السلام اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض اى فى ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما فى قول الحطيئة • الم اك جاركم ويكون بينى • وبينكم المودة والاخاء • اى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرى بالرفع عطفا على تذر او استينافا او حالا وقرى بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تع فاصدق واكن من الصالحين والهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرى والهتك اى عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرى سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا من فرعون وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله اى ارض مصر او جنس الارض وهى داخلة فيها دخولا اوليا يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تع والصبر من باب التقوى وقرى والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا اى من جهة فرعون من قبل ان تاتينا اى بالرسالة يعنون بذلك قتل اولادهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا اى رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام قال اى موسى عليه السلام لما راى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به فى قوله ان الارض لله الخ عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذى فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته ويستخلفكم فى الارض اى يجعلكم خلفاء فى ارض مصر فينظر كيف تعملون احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تاكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روى ان مصر انما فتح فى زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف نفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما جئ بفعل الطمع الجرى على سنن الكرماء ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين شروع فى تفصيل مبادى الهلاك الموعود وايذان بانه تع لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا فى خفض ودعة بل رتبت اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء ويحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون لكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هى فى اللغة مصروفة عند بنى عامر وغير مصروفة عند بنى تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وح لا يحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر • دعانى من نجد فان سنينه • لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا • وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وسنينا كسنين يوسف باللغتين ونقص من الثمرات باصابة العاهات عن كعب يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رض اما السنون فكانت لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان فى امصارهم لعلهم يذكرون كى يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد قال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفى الرجوع اليه تع الا ترى الى قوله تع واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول فى لعل وفى محلها فى تفسير قوله تع لعلكم تتقون فى اوائل سورة البقرة وقوله تع

فاذا جاءتهم الحسنة الخ بيان لعدم تذكرهم وتمادبهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وهم كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تع الا انما طائرهم عند الله استيناف مسوق من قبله تع لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم وشرهم الا عنده تع وهو حكمه ومشيته المتضمنة للحكم والمصالح او ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تع اي مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تع او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعلمون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض آخر مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في نفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعدما رأوا ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد كما ضمت الى اين وان في اينما تكونوا واما تذهبن بك خلا ان الف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الناس ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء تظهر لدينا وقوله تع من آية بيان لهما وتسميتهم اياها آية لجاراتهم على رأي موسى عليه السلام واستهزائهم بها وللاشعار بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تع لتسحرنا بها اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسمية للارشاد الى الحق بالسحر وتسكيل الابصار والضميران المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تع ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلاء ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تع عليهم القمل فاكل ما ابقته الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله تع عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله تع عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تع ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحد منها اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحد من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تع لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفناه عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم اي فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تع فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية كما في قوله تع فنادى

نوح ربه فقال يا رب الخ في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تع واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله تع والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنوا اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تع بهم وعظم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنوا اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها الشرقية والغربية كيف شاؤا وقوله تع التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف والمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى وهي وعده تع اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تع ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون الخ وقيل كان زائدة وما مصدرية والتقدير ما يصنع فرعون الخ وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذي يصنعه فرعون الخ اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر واراهم من الآيات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله عليه السلام وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز معدى بالباء اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعدما اهلك الله تع فرعون فصاموا شكرا لله عز وجل فأتوا اي مروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شأن العجل قالوا عند ما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة لهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر هو لهم قال انكم قوم تجهلون تعجب عليه السلام من قولهم هذا اثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اي مدمر مكسر ما هم فيه اي من الدين الباطل اي يتبر الله تع ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جيء بالجملة الاسمية للدلالة على التحقق وباطل ومضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تع فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تع وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في نفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها شروع في بيان شؤن الله تع الموجبة لتخصيص العبادة به تع بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبتغى غيره تع لما انه لاختصاص الانكار بغيره تع دون انكار الاختصاص بغيره تع وانتصاب غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله تع والها اما تمييز او حال او على الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا وهو فضلكم على العالمين اي والحال انه تع خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تع اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا الى اخس شيء من مخلوقاته تع فجعلوه شريكا له تع تبا لهم ولما يعبدون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ انجيناكم من التنجية وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه السلام اي واذكروا وقت انجائنا اياكم من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تع يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اي اولاه اياه او كلفه اياه وهو اما استيناف لبيان ما انجاهم منه او حال من

وقومه

اي سن بغيره دون انكار التخصيص
مع التعجب الاشارات
النفي بغيره
عن خبر الانكار

المخاطبين او من ال فرعون او منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تع يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم
مبين او مفسر له وفى ذلكم الانجاء او سوء العذاب بلاء اى نعمة او محنة من ربكم من مالك اموركم فان النعمة والنقمة كلتاهما
منه سبحانه وتع عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلثين ليلة روى ان موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل وهم بمصر ان
اهلك الله تع عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره
بصوم ثلثين يوما وهو شهر ذى القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة
المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تع اليه اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندى من ريح المسك فامره الله تع بان
يزيد عليها عشرة ايام من ذى الحجة لذلك وذلك قوله تع واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالى لانها غرر الشهور وقيل امره
الله تع بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله تع ثم انزلت عليه التورية فى العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين
فى سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عم
منزلة الوعد وثلثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اى اتمام ثلثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اى بالغا اربعين ليلة
وقال موسى لاخيه هرون حين توجه الى المناجاة حسبما امر به اخلفنى فى قومى اى كن خليفتى فيهم وراقبهم فيما يأتون وما يذرون
واصلح ما يحتاج الى الاصلاح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اى لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه
ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملئكة
وفيما روى انه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين
قال رب ارنى انظر اليك اى ارنى ذاتك بان تمكننى من رؤيتك او تتجلى لى فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته
تع جائزة فى الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لاسيما ما يقتضى الجهل بشئون الله عز وجل ولذلك رده بقوله تع
لن ترانى دون ان ارى ولن اريك ولن تنظر الى تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائى ولم يوجد فيه بعد
هو وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطاء اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم
كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على
استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على انه لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها
ودعوى الضرورة مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية قال استيناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قال رب العزة
حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى استدراك لبيان انه
لا يطيقها وفى تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل زبير فلما
تجلى ربه للجبل اى ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حياة ورؤية حتى راه جعله دكا مدكوكا
مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتى لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء
اى قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما
بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهده سبحانك اى تنزيها لك من ان اسألك شيئا بغير اذن منك تبت اليك
اى من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المسلمين اى بعظمتك وجلالك وقيل اول من امن بانك لا ترى فى الدنيا
وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذن منك قال يا موسى استيناف مسوق لتسليته عليه السلام من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية
كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها انى اصطفيتك
اى اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك على الناس اى المعاصرين لك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه وما كان كليما
ولا صاحب شرع برسالاتى اى باسفار التورية وقرئ برسالتى وبكلامى وبتكليمى اياك بغير واسطة فخذ ما اتيتك اى اعطيتك
من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما اعطيت من جلائل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر
وكتبنا له فى الالواح من كل شئ اى مما يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار والمجرور اى كتبنا له
كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى عدد الالواح وفى جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة
وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله تع موسى بقطعها من صخرة
صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع
وقيل انزلت التورية وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام
وعن مقاتل كتب فى الالواح انى انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها
على اضمار قول معطوف على كتبنا اى فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تع فخذ ما اتيتك والضمير للالواح او لكل
شئ لانه بمعنى الاشياء او للرسالة او للتورية وامر قومك يأخذوا باحسنها اى باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الاقتصاص و
الانتصار وكالاقتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل كما فى قوله تع واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها
احسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها واحسن صلة قال قطرب اى بحسنها وكلها حسن كقوله تع ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل

الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب ساوريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى
قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد فى الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار
الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهى خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار
والانزجار عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين اما
ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما اوتى لبنى اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل ياقوم
ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ ساورثكم بالثاء
المثلثة كما فى قوله تع واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ سأوريكم ولعله من اوريت
الزند اى سأبينها لكم وقوله تع ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض استيناف سوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر
فى الايات التى هى ما كتب فى الواح التورية من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها من الايات التكوينية التى من جملتها
ما وعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تع فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان فى المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الجليل اى ساطبع
على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا فلا ينتفعون باياتى التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون
مغانم اثارها فلا يسلكوا مسالكهم ليكونوا امثالهم وقيل المعنى ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون فى ابطال
ما رآه من الايات فابى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة
المشهورين بالفسق والتكبر فى الارض وباراءتها المخاطبين ادخالهم الشام واسكانهم فى مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله
ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ويكون قوله تع ساصرف عن اياتى الخ جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد
بادخال الشام على ان المراد بالايات ما تلى آنفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها
وظهور احكامها واثارها باهلاكهم على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقى من بنى اسرائيل وبذرياتهم على
اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون فى مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كانه
قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل ساهلكهم وانما عدل الى الصرف ليزداد ثقة بالايات واطمينانا بها وقوله تع بغير الحق اما
صلة للتكبر اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اى يتكبرون ملتبسين
بغير الحق وقوله تع وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها عطف على يتكبرون داخل معه فى حكم الصلة والمراد بالاية اما المنزلة فالمراد
برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظم للسماع والابصار اى
وان يشاهدوا كل اية من الايات لا يؤمنوا بها على عموم النفى لا على نفى العموم اى كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها
كما هى وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تع وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل فى
حكمه اى لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ الرشد بفتحتين
وقرئ الرشاد وثلثها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا اى يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا
يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم
بشئ من الايات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغى وهو مبتدأ خبره قوله تع بانهم اى حاصل بسبب انهم
كذبوا باياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا
من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الاشعار بعليته ما فى حيز الصلة كيف لا وقد مر ان ذلك فى
قوله تع ذلك بما عصوا الاية يجوز ان يكون اشارة الى الصرف الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر
بايات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر اى سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم باياتنا وغفلتهم عنها
والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اى بلقائهم الدار الاخرة او لقائهم ما وعده الله تع فى الاخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء
وقوله تع حبطت اعمالهم خبره اى ظهر بطلان اعمالهم التى كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت
بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون اى لا يجزون الا ما كانوا يعملون اى الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر
والمعاصى واتخذ قوم موسى من بعده اى من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما فان
الاول للابتداء والثانى للتبعيض او للبيان والثانى متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلى
اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبل الغرق فبقيت فى ايديهم واما انهم ملكوها
بعد الغرق فقد للشرط المبسوط تملك بنى اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا ينافى حيث عد لهم حملها اوزارا من زينة
القوم والحلى بضم الحاء وكسر اللام جمع حلى كثدى وثدى وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلى وقرئ حليهم على الافراد وقوله تع عجلا
مفعول اتخذ اخر عن الجار والمجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف

النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثانى محذوف اى الها وقوله تع جسدا بدل من عجلا اى جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تع له خوار اى صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روى ان السامرى لما صاغ العجل القى فى فمه ترابا من اثر فرس جبرئيل وقد كان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح فى جوفه فيصوت والانسب بما فى سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكانهم فعلوه واما لان المراد بالاتخاذ اتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه الم يروا انه لا يكلمهم استيناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذى هو اتخاذه الها اى الم يروا انه ليس فيه شئ من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تع اتخذوه اى فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اى واضعين للاشياء فى غير موضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلى وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط فى ايديهم اى ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فالبد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم فى انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل ولما سقط فى ايديهم باتخاذ العجل اى تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كانهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متاخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلى واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام فى لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وفى قوله تع لنكونن من الخاسرين لجواب القسم وما حكى عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تع غضبان اسفا حالان من موسى عليه السلام او الثانى من المستكن فى غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتمونى من بعدى اى بئسما فعلتم من بعد غيبتى حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلى من توحيد الله تع ونفى الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت اليه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامرى واشياعه او بئسما قمتم فى مقامى ولم تراعوا عهدى حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تع قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعنى افعصيت امرى ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخليفة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم اعجلتم امر ربكم اى تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روى ان التورية كانت سبعة اسباع فى سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التى كان فيها تفصيل لكل شئ وبقى سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه عليهما السلام ويجره اليه حال من ضمير اخذ فعله عليه السلام توهما انه قصر فى كفهم وهرون كان اكبر منه عليهما السلام بثلاث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل قال اى هرون مخاطبا لموسى عليهما السلام ابن ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه بخمسة عشر ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت جهدى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى فلا تشمت بى الاعداء اى فلا تفعل بى ما يكون سببا لشماتتهم بى ولا تجعلنى مع القوم الظالمين اى معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة او النسبة الى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل ولا تعتقد انى واحد من الظالمين مع براءتى منهم ومن ظلمهم قال استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون كانه قيل فماذا قال موسى عند ذلك فقيل قال رب اغفر لى اى ما فعلت باخى من غير ذنب مقرر من قبله ولاخى ان فرط منه تقصير ما فى كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام ليرضى اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه يحتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا فى رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو فى انتظامنا فى سلك رحمتك الواسعة فى الدنيا والاخرة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اى ستمروا على اتخاذه وعلى عبادته كالسامرى واشياعه من الذين اشربوه فى قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثانى عبارة عن التائبين فان ذلك صريح فى ان الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم اى فى الاخرة غضب اى عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرائم واقبح الجرائر وقوله تع من ربهم اى مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده

التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائن من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا هى ذلة الاغتراب التى تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التى اختص بها السامرى من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس يروى ان بقايا هم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا فى الوقت وايرادهما لهم فى حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر عن السين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تع به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سياق النظم الكريم وسياقه نابيان عن ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تع وكذلك نجزى المفترين ينادى على خلافه فانهم شهدا ونايبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس يجزى الله تع كل المفترين بهذا الجزاء الذى ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابناء بافاعيل الاباء مشهور معروف منه قوله تع واذ قتلتم نفسا الآية وقوله تع واذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الاخروى وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير فى ينالهم اخلافهم ولا ريب فى ان توسيط حال هؤلاء فى تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات اى سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات من بعدها اى من بعد عملها وآمنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا بما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها اى من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ فى افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع فى بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة الى مآل كل منهما اجمالا اى لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح فى ان ما حكى عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجئ موسى عليه السلام وفى هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عليه السلام على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الامر بذلك المغرى عليه بالحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله تع او اخوه او التائبون اخذ الالواح التى القاها وفى نسختها اى فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اى من الالواح المنكسرة هدى اى بيان للحق ورحمة للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة اى كائنة لهم او هى لام الاجل اى هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما فى قوله تع ان كنتم للرؤيا تعبرون او هى ايضا لام العلة والمفعول محذوف اى يرهبون المعاصى لاجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع فى بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اى اختار من قومه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور كما فى قوله تع • اخترتك الناس اذ رثت خلائقهم • واعتل من كان يرجى عنده السول • اى اخترتك من الناس سبعين رجلا مفعول اول لاختار اخر عن الثانى لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا الذى وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع لا لميقات الكلام الذى ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدى امر الله تع بان يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه تع من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار عليه السلام من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا اليه تع مما صنعوه ويسألوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه السلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عليه السلام ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سينا فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تع يكلم موسى يامره وينهاه حسبما يشاء وهو يأمر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترؤا عليه من طلب الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اى ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك فى ان الآمر بما سمعنا من الامر بقتل انفسهم هو الله تع حتى نراه حيث قاسوا رؤيته تع على سماع كلامه قياسا فاسدا حين شاهد موسى عليه السلام تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اى حين فرطوا فى النهى عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها واياى ايضا حين طلبت منك الرؤية اى لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا اراد به عليه السلام تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعنى انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيئتك اياه فحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا غرو فى ان تعفو عنا هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام على التمنى يأباه قوله تع اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اى الذين لا يعلمون تفاصيل شؤنك ولا يتثبتون فى المداحض والهمزة اما لانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانبارى او للاستعطاف كما قاله المبرد اى لا تهلكنا ان هى الا فتنتك استيناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم اى ما الفتنة التى وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اى محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تع

تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء استيناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها الخ اي تضل بسببها
من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق فلا تتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا
اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غير فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء
على ما قبله من الولاية كانه قيل فمن شان الولي المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عليه السلام على ان يقول ان هي الا فتنتك الخ
جراءة عظيمة فطلب من الله تع غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت خير الغافرين
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام واكتب لنا اي عين لنا وقيل اوجب و
حقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اي نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة
والرحمة وفي الآخرة اي واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك اي تبنا وانبنا اليك من هاد
يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا او
املنا اليك ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق
بشان التنزيل الجليل والجملة استيناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها
بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار
عنها وعما وقع ههنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ
موسى عليه السلام يتضرع الى الله تع حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عم
فبكى فكشف الله تع عنهم قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تع عند دعائه عم
فقيل قال عذابي اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عليه السلام دعاءه التخفيف
والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في قتل انفسهم من العذاب
والتشديد ما لا يخفى فاجاب تع بان عذابي شانه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهم ممن تناولته مشيئتي
ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء اي شانها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما
يدخل تحت الشيئية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب
بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فبمقتضى معاصي
العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا يرى الى قوله تع فساكتبها اي اثبتها
واعينها فانه متفرع على اعتبار المشيئة كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء
فساكتبها كتبة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الدنيا الخ اي ساكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي للذين يتقون
اي الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستهما وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم
من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكاة وفيه ايضا تعريض حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل
الصلاة انما لم تذكر مع انافتها على سائر العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات
عن آخرها وايراد الزكوة لما مر من التعريض والذين هم باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم
وبكفرهم بالايات العظام التي جاء بها موسى عليه السلام وبما سيجيء بعد ذلك من الايات البينات كتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون باياتنا
عطفا على يؤتون الزكاة كما عطف هو على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اي هم بجميع اياتنا يؤمنون لا
ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه
تع وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها من امه او الى امة العرب
كما قال عليه السلام انا امة امية لا نكتب ولا نحسب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع
ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين
واما جعله مبتدا على ان خبره يامرهم او اولئك هم المفلحون فغير سديد الذي يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه
هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا عندهم زيد هذا لزيادة التقرير وان شانه عليه السلام حاضر
عندهم لا يغيب عنهم اصلا في التورية والانجيل اللذين تعبد بهما بنوا اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا
وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عليه السلام والقرآن الكريم قبل مجيئهما يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
كلام مستانف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين
فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة
وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب ويحل لهم
الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم

اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد
والخطا من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت
وعن عطاء انه كانت بنوا اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته و
جعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه
من الحراك فالذين امنوا به تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في
الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات
وتحريم الخبائث اي فالذين امنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه وعزروه اي عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه
عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه على اعدائه في الدين واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته وهو
القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون
معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين
له في اتباعه اولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم
المفلحون اي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن المكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى دخولا اوليا حيث لم
ينجوا عما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتاتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين الجواب لا بمجرد
ما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى
كفرهم باياته العظام التي اجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك في قوله تع والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان
يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا برسول الله عليه السلام وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من لسعادة الدارين
من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكي ما في الكتابين من
نعوت رسول الله عليه السلام وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة
غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل باقوامهم
وارسال موسى عليه السلام الى فرعون وملائه بالايات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك
العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام
التورية فمختص ببني اسرائيل جميعا حال من الضمير في اليكم الذي له ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور
على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه لانه في حكم المتقدم عليه وقوله تع لا اله الا هو بيان لما قبله
فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تع يحيي ويميت لزيادة تقرير الوهيته والفاء في قوله تع فامنوا بالله ورسوله
لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه السلام وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات
الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله تع النبي الامي لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة تقرير
امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تع الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من
كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح بايمانه بالله تع للتنبيه على ان الايمان به تع لا ينفك عن الايمان
بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن تنبيها على ان المامور به هو الايمان به عليه السلام من حيث انزل
عليه القرآن لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها عيسى عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه
واتبعوه اي في كل ما ياتي وما يذر من امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء لاهتدائكم الى المطلوب
او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي
والضلال ومن قوم موسى كلام مبتدا مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتبة الرحمة والتقوى والايمان بالايات بمتبعي
رسول الله عليه السلام من حرمان اسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم
امة يهدون اي الناس بالحق ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون اي في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة
المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين امنوا بالنبي عليه السلام ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل
لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تع ان يفرق بينهم و
بين اولئك الطاغين ففتح الله تع لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء
مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبرئيل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال جبرئيل هل
تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ
مني عليه السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقراهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ
فريضة غير الصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير

بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد وقطعناهم اى قوم موسى
لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى اثنتى عشرة ثانى مفعولى قطع لتضمنه معنى التصيير والتانيث للحمل على
الامة او القطعة اى صيرناهم اثنتى عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اى فرقناهم معدودين
هذا العدد وقوله تعالى اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحد من اثنتى عشرة قطعة اسباط لا سبط وقرئ
عشرة بكسر الشين وقوله تعالى امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش فى التيه الذى وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقائهم اياه عليه السلام
بل باستسقائه عليه السلام لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر مفسر لفعل الايحاء وقد
مر بيان شان الحجر فى تفسير سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام وقد حذف تعويلا على كمال الظهور
وايذانا بغاية مسارعته عليه السلام الى الامتثال واشعارا بعدم تاثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو
الانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما فى قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة
عينا بعدد الاسباط واما ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلى وقرئ عشرة بكسر
الشين وفتحها قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم اى عينهم الخاصة بهم و
ظللنا عليهم الغمام اى جعلناها بحيث تلقى عليهم ظلها تسير فى التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار
يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى اى الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان
صاع وتبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اى مستلذاته
وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو
معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غنى عن التصريح به اى فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا
بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذى يقتضيه النفى السابق وفيه ضرب
من التهكم بهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر
خوطب به النبى عليه السلام وايراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع فى سورة البقرة من قوله تعالى
واذ قلنا للجرى على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد فى التوبيخ اى
اذكر لهم وقت قوله تعالى لاسلافهم اسكنوا هذه القرية منصوب على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهى
بيت المقدس وقيل اريحا وهى قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق وفى قوله تعالى
اسكنوا ايذان بان المامور به فى سورة البقرة السكنى والاقامة ولذلك اكتفى به عن ذكر رغدا فى قوله تعالى وكلوا منها اى من
مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية حيث شئتم اى من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان
الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف ادخلوا فانه مقدم
على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا وقولوا حطة اى مسئلتنا او امرك حطة لذنوبنا وهى فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب
اى باب القرية سجدا اى متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور
فى سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية
اريحا فقد روى انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام بمن بقى من بنى اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين
ففتحها كما مر فى سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روى انهم لم يدخلوه فى حياة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب
باب القبة التى كانوا يصلون اليها نغفر لكم خطاياكم وقرئ خطاياكم كما فى سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم
على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على
تقدير سؤال نشأ من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم زيادة بيان
فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا اخر مما لا خير فيه روى انهم
دخلوه زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا
بامر الله عز وجل واستهزاء بموسى عليه السلام وقوله تعالى غير الذى قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها
قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تاخير وفى سورة البقرة على
الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روى انه
مات منهم فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع
بين صيغتى الماضى والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان
الحكم ههنا مرتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما فى سورة البقرة واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر
وجهه هناك والله اعلم واسألهم عطف على المقدر فى اذ قيل اى واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بقديم

كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التى لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد
احاط به النبى عليه السلام خبرا واذ ليس ذلك بالتلقى من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين انه من جهة الوحى
الصريح عن القرية اى عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهى ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هى
مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية التى كانت حاضرة البحر اى قريبة منه مشرفة على شاطئه اذ يعدون فى السبت
اى يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة
وليس بذاك اذ لا فائدة فى تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من
الاعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تاتيهم حيتانهم
ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل فى التقريع والحيتان جمع حوت قلبت
الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد
فى سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة فى تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان
وعدمه لاعتيادها احوالهم فى عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتاتيهم اى تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت
وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد
الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنى واشرف وهو حال من حيتانهم اى
تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون اى لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم
المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اى لا سبت ولا مراعاة كما فى قوله ولا ترى الضب بها
ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به
يوم السبت لا تاتيهم كما كانت تاتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تاتيهم يوم لا يسبتون
لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك
نبلوهم اى مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجب منها بما كانوا يفسقون اى بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين
صيغتى الماضى والمستقبل لكن لا فى تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر فى كل ما
ياتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تاتيهم مثل ما تاتيهم يوم سبتهم فالجملة بعده حينئذ استيناف مبنى على
السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم فى
العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات امة منهم اى جماعة من صلحائهم الذين ركبوا فى عظتهم متن
كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لاخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتاثير مبالغة فى الاعذار و
طمعا فى فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اى مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال
بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم فى الدنيا او معذبهم فى الاخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد
لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون فى الدنيا ومعذبون فى الاخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك
والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة فى ان الوعظ لا ينجع فيهم او
ترجيا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت القول بهلاكهم
وعذابهم مما يلقى فى قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم
وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا اى الوعاظ معذرة الى ربكم اى نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر
قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى موعظتنا معذرة اليه
حتى لا ننسب الى نوع تفريط فى النهى عن المنكر وفى اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف
على معذرة اى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح فى ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب
فلما نسوا ما ذكروا به اى تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسى للشئ واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شئ من
تلك المواعظ اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران واخراج انجائهم مخرج الجواب الذى حقه الترتب على الشرط
وهو نسيان المعتدين المستتبع لاهلاكهم لما ان ما فى حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير كانه قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون
انجينا الاولين واخذنا الاخرين وانما صدر به الجواب بانجائهم فلما مر مرارا من المسارعة الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما فى المؤخر من
نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة الامر بعذاب بئيس اى شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ
بئس على وزن فعل بفتح العين وكسرها وبيس كحذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد وبيس بقلب الهمزة
ياء كذيب فى ذئب وبيّس كريس بقلب همزة بئيس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيّس كهين فى هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل
بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اى اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم فى الفسق الذى

هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان والا لما اخروا عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تع قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستيصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تع فلما عتوا عما نهوا عنه اى تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصية للحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تع وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى روى ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعنى بقوله تع انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت كانها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تاتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وياخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد براسه بلى ثم ماتوا عن ثلث وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تع جعل موعدا والساعة ادهى وامر واذ تاذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تع واسألهم وتاذن بمعنى آذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيمة اى ما ذكر لهم وقت لحكم تع على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تع عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم اى فرقنا بني اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من اقطارها بحيث لا تخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تع امما اما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم ومنهم دون ذلك اى ناس دون ذلك الوصف اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا عليه من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف اى بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اى التورية من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى استيناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اى ياخذون حطام هذا الشيء الادنى اى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا ياخذونه من الرشى في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تع بذلك ويتجاوز عنه والجملة يحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في لنا اى يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى الميثاق الوارد في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله تع وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهذا اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ والذين يمسكون بالكتاب اى يتمسكون به في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عم فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم امة محمد عليه السلام وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تع

واقاموا الصلاة ولعل التغيير في المشهور للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلاة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تع انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط اما الضمير المحذوف كما هو راى جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو راى الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي المأوى اى ماواهم وقوله تع مفتحة لهم الابواب اى ابوابها واما العموم في المصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ماجورون او مثابون وقوله تع انا لا نضيع اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة اى سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا اى تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تع عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها فبها والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اى وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اى واذكر لهم اخذ ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشان الماخوذ لما فيه من الانباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف وقوله تع من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله تع للذين استضعفوا لمن آمن ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل غب الاجمال وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات وقوله تع ذرياتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشئيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذريتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله عليه السلام اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصها باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله تع شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم اى اشهد كل واحد من اولئك الذريات الماخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تع الست بربكم على ارادة القول اى قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شان من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تع قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا ح فقيل قالوا بلى شهدنا اى على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تع اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تع اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الآفاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تع اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تع فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تع ان تقولوا بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تع الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية واياما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اى فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او تقولوا اهم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جعلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تع او تقولوا انما اشرك آباؤنا عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اى اخترعوا الاشراك وهم سنوه من قبل من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم لا نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالراى واتؤاخذنا فتهلكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه لما خلق الله تع آدم عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ

حب العلم بما هو كائن الى يوم القيمه وقد روى عن عمر رض انه سئل عن الآية الكريمه فقال سمعت رسول الله عليه السلام
سئل عنها فقال ان الله تع خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولاء للجنه وبعمل اهل الجنه يعملون
ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تع اخرج الكل من ظهره عم
بالذات بل اخرج من ظهره عليه السلام ابناءه الصلبيه ومن ظهورهم ابناءهم الصلبيه وهكذا الى اخر السلسله لكن لما كان
المظهر الاصلي ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض
على نسب اخراج الكل اليه واما الآية الكريمه فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير
تعرض لاخراج الابناء الصلبيه لآدم عليه السلام من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رض ليس بيانا لعدمه ولا
مستلزما له واما ما قيل من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفله حسبما ينطق به قوله تع ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين ومعلوم انه غير دافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك فمردود لكن لا بما قيل من ان الله
عز وجل قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم
وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل بان قوله تع ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تع واشهدهم
وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهاده محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه
الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمه انا كنا غافلين
عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول
له لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق الماخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمه بالغفلة
عنه او تقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله تع شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فاما على تقدير كونه من كلامه تع فهو
العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا الى يوم القيمه الخ لانا نردكم ونكذبكم كذلك
اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحم مؤكد
لما افاده اسم الاشارة من الفخامه والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدر اي ذلك التفصيل البليغ
المستتبع للمنافع الجليله نفصل الآيات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل
وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتدائيتان ويجوز ان يكون الثانيه عاطفه على مقدر مترتب على التفصيل اي
وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ اخذ
وارد على نمط في الانباء عن الجور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا اي خبر الذي له
شان وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل بلعم بن باعورا او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تع وقيل هو
امية بن ابي الصلت وكان قد قرا الكتب وعلم ان الله تع مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث
الله تع النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود بهنات تهم فانسلخ منها اي من تلك الآيات
انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطر بباله اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء ظهره وايا ما كان فالتعبير عنه
بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للآيات بعد ان
كان بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتّبعه من الافعال
وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد
ان كان من المهتدين وروي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم
يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده ان التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان
ذلك بدعائه عليه السلام كما مر في سورة المائدة ولو شئنا كلام مستانف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات
ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشية محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو
شئنا رفعه لرفعناه اي الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيتنا من غير ان يكون له
دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدي
الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تع بها اي بسبب تلك الآيات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا
في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تع لكن خلقه تع منوط بذلك البته حسب جريان العادة الالهيه وقد اشير الى
ذلك في الاستدراك بان اسند ما يؤدي الى نقيض التالي اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق
عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تع كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات التي هي اقوى اسباب
الرفع عليه بل كلاهما ولكن لم نشاءه لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الآخر تعويلا على اشعار المذكور بالمطوي
كما في قوله تع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان

بان الرفع مراد له تع بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقه كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعمه تع وتفضلاته
وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتيه له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير
والمس مع الضر في الآية المذكوره وهو السر في جريان السنه القرانية على اسناد الخير اليه تع واضافة الشر الى الغير كما في قوله
واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمينان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفاله والمعنى
لكنه آثر الدنيا الدنيه على المنازل السنيه او الضعة والسفاله على الرفعة والجلاله واتبع هواه معرضا عن تلك الآيات الجليله
فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تع فمثله كمثل الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل
حاله باخس احواله واذلها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي فحاله التي هي مثل في السوء كصفته في ارذل احواله و
هي حال دوام اللهث في حالتي التعب والراحه فكانه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على
الفعليه بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسه وكمال استقراره واستمراره عليها
والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانما دخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد
اي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا تقدر
على نفض الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى
التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقه الا عند التعب والاعياء والشرطيه مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما
اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الاعراب على منهاج قوله تع خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحاليه من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى
التسويه حسب تحول الاستفهامين المتناقضين اليه في مثل قوله تع ءانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين وايا ما كان
فالاظهر انه تشبيه الهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم
الاستراحه بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على
صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسه منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة اي ذلك المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وهم اليهود حيث اوتوا
في التورية ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القران المعجز وما فيه وصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه و
كانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التورية فاقصص القصص القصص مصدر سمي به المفعول كا
واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هولاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي
اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي
فيزدادون ايقانا بك والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اي فاقصص القصص رجاء التفكر
او رجاء تفكرهم ساء مثلا القوم استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب او المنسلخ وساء بمعنى بئس
وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم محذوف لوقوع القوم الذين كذبوا بآياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين
الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اي ساء مثلا مثل القوم الخ او الى التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم
الخ وقرئ ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء
في جزء الصلة ولربط قوله تع وانفسهم كانوا يظلمون به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب آيات
الله تع بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصه او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان
وباله لا يتخطاها وايا ما كان ففي يظلمون الخ الى ان تكذيبهم بالآيات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد
من تقديم المفعول من يهد الله فهو المهتدي لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هولاء الضالين الذين مثلهم كمثله
ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله
عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تاثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف
العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تع اياه كسائر افعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن
لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية بل اهتداء من هداه الله تع حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هداية
الله تع للاهتداء وحمل النظم الكريم على تعظيم شان الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل
هو قصر الاهتداء على من هداه الله تع حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يهده الله اي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو
المهتدي لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك الموصوفون
بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع الخاسرين نظرا الى معناها
للايذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلال ولقد ذرأنا كلام مستانف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم
اي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تع كثيرا اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسطها بينهما

وتاخيرعنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تع من الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرق من الانس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ولكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تع بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الايات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تع وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تع لهم قلوب في محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تع لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر افراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الاغراق في القساوة فانها حيث لم يتات منها الفقه بحال فكانما خلقت غير قابلة له راسا وكذا الحال في اعينهم واذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا مما من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار والسماع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم اذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات فيتناول الايات التنزيلية تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها واذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا اذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام اي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شانها ان تدركه من المنافع والمضار فتجهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهم ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن آدم اولئك المتوغلون بما مر من مثلية الانعام والشرية منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع العليم اصنامهم التي هي اخس مخلوقاته تع ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تع وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما لا يليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شانها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تع بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المامور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تع وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تع حقيقة فالمعنى سموه تع بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره تع كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تع حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليامروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تع سيجزون ما كانوا يعملون فانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته ويتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيان اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تع ومن الناس الخ اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قراها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الآية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعنه لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان

ياتي امر الله وروى لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا باياتنا شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة تردٍّ في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تع فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تع من حيث لا يعلمون متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقرب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم واملي لهم عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج اثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد والعزيمة واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج بتوسط المدبرات فمبناه دلالة نون العظمة على الشركة وانى ذلك والا لاحتيج عن ايرادها في قوله تع لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الآية بل انما ايرادها في مثل هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء ان كيدي متين تقرير للوعيد وتاكيد له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتما اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدا مسوق لانكار عدم تفكرهم في شانه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الايات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سباق النظم الكريم وسياقه وما اما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي اكذبوا بها ولم يتفكروا في اي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الامة الهادية بالحق وعليه انزلت تلك الايات او في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الايات وقيل قد تم الكلام عند قوله تع اولم يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم من جنة ما على طريقة الانكار والتعجيب والتبكيت او قيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة ما ذكر ففيه تاكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته له عليه السلام لما ان التكلم بما هو خارق لقضية العقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون كيف ما اتفق من غير ان يكون له اصل ومعنى او عمن له تاييد الهي يخبر به عن الامور الغيبية واذ ليس به عليه السلام شائبة الاول تعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله تع وقيل انه عليه السلام علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم باس الله تع فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون حينئذ للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تع ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله ان هذا الا ملك كريم بعد قوله ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرافة ومبالغة في الاعذار وقوله تع اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض استئناف اخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتامل في الآيات التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعي عليهم اخلالهم بالتفكر في شانه عليه السلام والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اي اكذبوا ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تامل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله اي وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم

الملك فيهما او في ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك
في الحقيقة وعليه قوله تع فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تع من شيء بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة
بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق
عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تع وبسائر شيونه التي تنطق بها تلك الايات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول
فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تع وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان
عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم ويجوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو
ضمير اجلهم لتقدمه حكما وايا ما كان فمناط الانكار والتوبيخ تاخيرهم للنظر والتامل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا
يسارعون الى التدبر في الايات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الايات القرانية ويجوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة
والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل فباي حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال
ايمانهم راسا ونفي له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالايات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون
وضمير بعده للايات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرانا او بتاويلها بالمذكور واجراء الضمير
مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فباي
حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقران والمعنى فباي حديث بعد
القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التامل فيما
ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي
حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فباي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول
عليه السلام على حذف مضاف اي فباي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تع من يضلل الله فلا هادي له
استيناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تع ويذرهم في طغيانهم بالياء والرفع على الاستيناف اي وهو يذرهم
وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله
لا يهده احد ويذرهم وقد روي الجزم عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تع يعمهون اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول
يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل
يسألونك عن الساعة استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيمة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها
عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تع مع طولها في نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا
يا محمد اخبرنا عن الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تع قد استاثر بعلمها وقيل السائلون
قريش وقوله تع ايان مرساها بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدا او الفعل المضارع
دون الماضي بخلاف متى حيث يليهما كلاهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اويت الى الشيء لان
البعض آو الى الكل متساند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدا مؤخر اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها
لانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في قوله تع والجبال ارساها ومنه مرساة
السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور
فقط كانه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعليق السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد
الاصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن ايضا
حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه عز وجل حيث قيل قل انما علمها اي علمها بالاعتبار المذكور عند ربي
ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تع
خاصة انه تع قد استاثر به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تع لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك
الحالة الى حين قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تع او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه
ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي
تسألونني عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو
المسؤول بل بان يقيمها فيشاهدوها عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تع لوقتها اي
في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كانه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول
الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تع ثقلت في السموات والارض
استيناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على اهلهما من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن

دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيهما اذ لا يطيقها منهما
ومما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تع لا تاتيكم الا بغتة فانه ايضا استيناف مقرر لمضمون
ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تاتيكم الا فجاءة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس
والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك
حفي عنها استيناف مسوق لبيان خطائهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عليه السلام
عالم بالمسؤول عنه او ان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطائهم في اصل السؤال باعلام شان المسؤول عنه والجملة
التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطائهم في ذلك اي
يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كانك مبالغ في السؤال
عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة
والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل اي استيصاله والاحفاء في المسئلة اي الالحاف فيها وقيل عن متعلقة
بيسألونك وقوله تع كانك حفي معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة
فان قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم بتعليم
وقتها لاجل القرابة وتزوي امرها عن غيرهم ففيه تخطئة لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كانك فرح به
والمعنى كانك فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك كاره له لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استاثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها
عند الله امر عليه السلام باعادة الجواب الاول تاكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات
المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تع ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون
ما ذكر من اختصاص علمها به تع فبعضهم ينكرونها راسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون
انك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال
عنه ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون عنها من اليهود
بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعلموا بعلمهم وقوله تع قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا شروع في الجواب
عن السؤال الاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلقة باملك او بمحذوف
وقع حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله ان املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني
منه ويقدرني عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب الذي
من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة
والمدافعة لاستكثرت من الخير اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ورفع
موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فان منه ما لا مدفع له
ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شاني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا
الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة
واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي
وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام الانذار وقوله تع لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار
كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون
اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان هو الذي خلقكم استيناف
سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراءتهم على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية له وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شان
المبتدا اي هو ذلك العظيم الشان الذي خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس
واحدة هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم
في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما ان
الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود منها اي من جنسها كما في قوله تع جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما يروى انه تع
خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هي المؤدية الى الغاية الاتية لا الجزئية والجعل
اما بمعنى التصيير فقوله تع زوجها مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على
المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تع
ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني اي ليستانس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به
تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تع فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا في مبادي الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة
اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تع عليهم في انشائه تع اياهم متدرجين

في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة **فمرت به** اى فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رض فمرت بالتخفيف وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما يستثقلنه فمرت به اى فمضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تع **فلما اثقلت** اذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد فى بطنها ولا ريب فى ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما مقابلها الكرب الذى يعترى بعضهن من اول الحمل الى اخره دون بعض اصلا وقرى اثقلت على البناء للمفعول اى اثقلها حملها **دعوا الله** اى آدم وحوا عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا ماله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تع **ربهما** اى مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما فى قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الاية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اى دعواه تع ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمى وقالا او قائلين **لئن آتيتنا صالحا** اى ولدا من جنسنا سويا **لنكونن** نحن ومن يتناسل من ذريتنا **من الشاكرين** الراسخين فى الشكر على نعمائك التى من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما انموذج لسائر افراد الجنس ومعيار لها ذاتا وصفة ووجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء فى حقه متضمن للدعاء فى حق الكل مستتبع له كأنهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا ايضا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما وانت خبير بان نظم الكل فى سلك الدعاء اصالة يأباه مقام المبالغة فى الاعتناء بشان ما هما بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل مؤكد له وايا ما كان فمعنى قوله تعالى **فلما آتاهما صالحا** لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تع **جعلا** اى جعل اولادهما **له** تع **شركاء** على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال فى قوله تع **فيما آتاهما** اى فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر فى مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر فى مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم فى حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرى شركا اى شركة او ذوى شرك اى شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسراية اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما فى مثل قوله تع واذ انجيناكم من آل فرعون الاية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود قد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا فى قوله تع فلم تقتلون انبياء الله الاية فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب فى انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجهه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما فى سلك انفسهما والتزما شكرهم فى ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذى وعداه وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما بالذات فى استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعيف جنايتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما فى ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تع والجناية عليهما عليهما السلام **فتعالى الله عما يشركون** تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تع وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحوا عليهما السلام عن ذلك وما فى عما اما مصدرية اى عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اى عما يشركونه به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرى تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصى من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصى فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تع ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال انى من الله تع فان دعوته ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا فى الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما فى علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه اياه فى مثل هذا الشان الخطير امر قريب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال **ايشركون** استيناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شان ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه فى حقه تع اى ايشركون به تع **ما لا يخلق شيئا** اى لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله **وهم يخلقون** عطف على لا يخلق وايراد الضمير بجمع العقلاء مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم

فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفى الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه فى حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شىء ما بخالقه وخالق جميع الاشياء مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل فى الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء عن ذكره **ولا يستطيعون لهم** اى لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب ملم **نصرا** اى نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة **ولا انفسهم ينصرون** اذا اعتراهم حادثة من الحوادث اى لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم عن ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم اهلا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تع **وان تدعوهم الى الهدى** بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفى عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت اى ان تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره **لا يتبعوكم** الى مرادكم وطلبتكم وقرى بالتخفيف وقوله تعالى **سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون** استيناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اى مستو عليكم فى عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم فى الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تع ام انتم صامتون جملة اسمية فى معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها فى قوة ام صمتم عدل عنها للمبالغة فى عدم افادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين وان تدعوا المشركين الى الهدى اى الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما فى قوله تع سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة **ان الذين تدعون من دون الله** تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اى ان الذين تعبدونهم من دونه تع من الاصنام وتسمونهم آلهة **عباد امثالكم** اى مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها بهم فى ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذى يدعوهم الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تع **الهم ارجل يمشون بها** الخ تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزى من عدم الاستجابة ببيان فقدان الآلات بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شىء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات التى بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحد من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف فى الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشى بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الارجل فهى ليست بارجل فى الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة ام فى قوله تع **ام لهم ايد يبطشون بها** منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرى يبطشون بضم الطاء وهى لغة فيه والمعنى الهم ايد يأخذون بها ما يريدون اخذه وتاخير هذا عما قبله لما ان المشى حالهم فى انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تع **ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها** مع ان الكل سواء فى انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدى والارجل ولان انتفاء المشى والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرى ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اى ما الذين تدعون من دونه تع عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تع الهم الخ تقريرا لنفى المماثلة باثبات القصور والنقصان **قل ادعوا شركاءكم** بعد ما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شىء ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكون عليهم التبكيت والقام الحجر اى ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم على **ثم كيدون** جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا فى ترتيب ما تقدرون عليه من مبادى الكيد والمكر **فلا تنظرون** اى فلا تمهلونى ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فانى لا ابالى بكم اصلا **ان وليى الله الذى نزل الكتاب** تعليل لعدم المبالاة المفهوم من السوق انفهاما جليا ووصفه تع بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالى بكم وبشركائكم لان وليى هو الله الذى نزل الكتاب الناطق بانه وليى وناصرى وبان شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تع **وهو يتولى الصالحين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله اى ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم **والذين تدعون من دونه** تع او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به **لا يستطيعون نصركم** اى فى امر من الامور او فى خصوص الامر المذكور **ولا انفسهم ينصرون** اذا نابتهم نائبة **وان تدعوهم الى الهدى** اى الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق او فى خصوص الكيد المعهود **لا يسمعوا** اى دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفى الاتباع وقوله تع **وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون** بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل لعدم المبالاة والرؤية بصرية وقوله تع ينظرون اليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اى وترى الاصنام رأى العين يشبهون الناظرين

دون الله

[illegible] مركبه بالجواهر المضيئة المتلالة وصورها بصورة من تقلب حدقته
[illegible] مع رجوعه الى المشركين لتوجيه الخطاب الى
[illegible] على ان رؤية الاصنام على الحياة المذكورة لا تنفي
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين
[illegible] ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن
[illegible] يبصروا اى وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين
[illegible] تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك
[illegible] لا يكاد يخفى على الناظرين
[illegible] صلى الله عليه وسلم بجامع مكارم الاخلاق التى من جملتها
[illegible] ما شق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد وخذ
[illegible] وامر بالعرف بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة
[illegible] واعرض عن الجاهلين [illegible] ولا مكافاة وقيل لما نزل سأل رسول الله جبريل عليهما السلام
[illegible] ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
[illegible] الآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب
[illegible]

على انه فى استماع المؤتم وقد روى انهم كانوا يتكلمون فى الصلاة فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رض ان النبى عليه السلام قرأ فى المكتوبة وقرأ اصحابه خلفه

وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون اى تفوزون بالرحمة التى هى اقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضى وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن فى الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضى الله تع عنهم على خلافه فنزلت واما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما والآية اما من تمام القول المامور به او استيناف من جهته تع فقوله تع واذكر ربك فى نفسك على الاول عطف على قل وعلى الثانى فيه تجريد الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام فى الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل فى الاخلاص واقرب من الاجابة تضرعا وخيفة اى متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول اى ومتكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال متعلق باذكر اى اذكره فى وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اى دخل فى الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تع ان الذين عند ربك وهم الملائكة عليهم السلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتع قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تع لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها حسبما امروا به ويسبحونه اى ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون اى يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له

سورة الانفال

سورة الانفال مدنية خمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تع زائدة على ما هو اصل الاجر فى الجهاد من الثواب الاخروى ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فى اللام روى ان المسلمين اختلفوا فى غنائم بدر وفى قسمها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها المهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فقال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة فى الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان نعرى مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فسألوه عليه السلام ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لما ان المسؤول استعلام حكم الانفال نفسه كما نطق به الوجه الاخير وادعام زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابى وقاص وعلى بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الانفال غير منتهض فان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل قل الانفال لله والرسول اى حكمها مختص به تع يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به من غير ان يدخل فيه رأى احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول لا ينافى اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه باذن الله تع لا بحكم سبق ايديهم اليها او نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاختصاص بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متأخر التزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدى من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شئ بهذه الآية فنسخت بقوله تع فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا هو المعنى الاول حتما كما نطق به قوله تع واعلموا انما غنمتم من شئ الآية على ان التحقيق انه لا نسخ ايضا حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بل بين فى صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله تع ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعنى الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل فى سائر الانفال المشروطة يأباه مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال فى موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه عليه السلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم اصلا وقد روى عن سعد بن ابى وقاص انه قال لما قتل اخى عمير يوم بدر قتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبنى فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تع قد شفى صدرى من المشركين فهب لى هذا السيف فقال عليه السلام ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتنى السيف وليس لى وقد صار لى فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضى عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتداة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لى

لا يستحيل له ان يعد عليه السلام بما لا يقدر على انجازه واعطاؤه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لكم
ان مناط صيرورته له عليه السلام قوله تع الانفال لله والرسول والغرض انه المانع من اعطاء المسؤول ومما هو نص في الباب
قوله عز وجل فاتقوا الله اى اذا كان امر الغنائم لله تع ورسوله فاتقوه تع واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف
الموجب لسخطه تع او فاتقوه في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما
كان فيه محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم واصلحوا ذات بينكم بجعل ما بينهم من الحال الملا
ئمة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة في الصدور ذات الصدور اى اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة
والمساعدة فيما رزقكم الله تع وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت
فيه اخلاقنا فنزعه الله تع من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله
واصلاح ذات البين وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا لقد اكلنا وانفقنا فقال
ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله بتسليم امره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر
بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين متعلق بالاوامر
الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على
تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اى ان كنتم كاملى الايمان فان
كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الاوامر واتقاء المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون
جملة مستانفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب
لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اى انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى فزعت لمجرد
ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشانه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية
فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرى وجلت بفتح الجيم وهى لغة وقرى فرقت اى خافت واذا تليت عليهم آياته اى آية
كانت زادتهم ايمانا اى يقينا وطمانينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمينان وقوة اليقين
وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت آية صدق المؤمن بها
فزاد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس
التصديق يقبل القوة وهى التى عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات ويقين آحاد الامة وعليه
مبنى ما قال على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة
وعلى ربهم مالكهم ومدبر امورهم خاصة يتوكلون يفوضون امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى
الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع على انه نعت للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبئ عن
المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلاة والصدقة
اولئك اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم
اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون
حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اى اولئك
هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اى حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات من الكرامة والزلفى وقيل
درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال
فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تع عند ربهم اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افادها التنوين
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائنة عنده تع او بما يتعلق به الخبر اعنى لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف
الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعدلهم متيقن الثبوت والحصول مامون الفوات ومغفرة لما فرط
منهم ورزق كريم لا ينقضى امده ولا ينتهى عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الكاف في محل
الرفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعنى ان حالهم في كراهتهم لما رايت مع كونه حقا كحالهم في
كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر في قوله تع الانفال لله اى الانفال ثبتت لله
والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق وان فريقا
من المؤمنين لكارهون اى والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك
ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفين وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر
جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم
فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت
اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها انى رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق فلم يبق
بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما ترضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج

فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون
ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير
وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله
وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا
من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله عليه السلام
ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام
عند ما غضب النبى صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض
فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى
فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا
فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون
الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل
قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض
يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تع وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى
الآن انظر الى مصارع القوم ويروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شئ فناداه
العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم لا يصلح قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك
ما وعدك يجادلونك في الحق الذى هو تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير والجملة استئناف او حال ثانية اى اخرجك في حال
مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تع بعد ما تبين منصوب بيجادلونك وما مصدرية اى
بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم ينصرون انما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب
وكان ذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون اى مشبهين
بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير يساقون اى والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها
عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تاهبهم وكونهم رجالة روى انه لم يكن فيهم الا فارسان
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين كلام مستانف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة
وقصور الراى والخوف والجزع واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى
الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اى اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه
من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانى
ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا
وقرى يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تع انها لكم بدل
اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اى يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون
عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيه كيف شئتم وتودون عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اى تحبون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم من الطائفتين لان ذات الشوكة هى النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هى العير
اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورأسهم ابو سفين والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وعلى
كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوك القنا شباها ويريد الله عطف
على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم اى اذكروا وقت
وعده تع اياكم احدى الطائفتين وودادتكم لادناهما وارادته تع لاعلاهما وذلك قوله تع ان يحق الحق اى يثبته ويعليه بكلماته
اى باياته المنزلة في هذا الشان او باوامره للملائكة بالامداد وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرى بكلمته
ويقطع دابر الكافرين اى آخرهم ويستاصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف الامور والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع
الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تع ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستانفة سيقت لبيان الحكمة
الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اى لهذه الغاية
الجليلة فعل ما فعل لا لشئ آخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر

ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا احال ابطال الباطل ولو كره المجرمون اى المشركون
ذلك اى احقاق الحق وابطال الباطل اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه
سبحانه والتجائهم اليه تع حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تع ح وقيل متعلق بقوله تع ليحق الحق
على الظرفيه وما قيل من ان قوله تع ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله فى اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشئ لان
كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه
بل هما فى وقت واحد وانما عبر عن زمانها باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال فى تستغيثون لحكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها البديعه وقيل متعلق بمضمر مستانف اى اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من
القتال جعلوا يدعون الله تع قائلين اى رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رض ان رسول الله عم
نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعوا اللهم انجز لى ما
وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على
منكبه والتزمه من وراءه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم عطف على
تستغيثون داخل معه فى حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة انى ممدكم اى بانى
فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة
من مقولة القول بالف من الملئكة مردفين اى جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساهم المستتبعون
لغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان الاجمالى وبين فى سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة
آخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من ردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين
من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اى متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين
بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلهما مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء فى الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء
بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالآلف ليوافق ما فى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد
بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف فى مقاتلتهم وقد رويت
اخبار تدل على وقوعها وما جعله الله كلام مستانف سيق لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وانما التاثير مختص
به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر
فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم الا بشرى لكم
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشئ من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون
ولتطمئن به اى بالامداد قلوبكم وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبنى اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد
نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقى الثانى على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته فى العلية واهميته فى نفسه كما قيل فى قوله
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفى قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية
قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو راى بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء
من اعم المفاعيل اى وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام فى ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن
به قلوبكم فعل ذلك لا لشئ آخر وما النصر اى حقيقة النصر على الاطلاق الا من عند الله اى الا كائنا من عنده عز وجل من غير ان
يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هى مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب فى حكمه
ولا ينازع فى قضيته حكيم يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع
على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة اذ يغشيكم النعاس اى يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما فى تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل
هو متعلق بالنصر او بما فى من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل
فى الوجهين هو البارى تع وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تع امنة منه على القرائتين الاوليين منصوب على العلية
بفعل مترتب على الفعل المذكور اى يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من الله تع لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل آخر كذلك
اى فتامنون امنا كما فى قوله تع والله انبتها نباتا حسنا على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان على
القراءة الاخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه فى حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة
كرحمة وينزل عليكم من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه
التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم
من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال ليطهركم به اى من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام فى
تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه

الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب
محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما
ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا
واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذى كان
بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تع
وليربط على قلوبكم اى يقويها بالثقة بلطف الله تع فيما بعد بمشاهدة طلائعه ويثبت به الاقدام ولا تسوخ فى الرمل فالضمير للماء
كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوى تمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم فى معارك الحرب وقوله تعالى
اذ يوحى ربك الى الملئكة منصوب بمضمر مستانف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان
المامور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحى المذكور قبل ظهوره بالوحى المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم
التى يقف عليها عامة الامة كسائر النعم السابقة التى امروا بذكرها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تع ويثبت به الاقدام
فلا بد ح من عود الضمير المجرور فى به الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملئكة
وامره بتثبيته اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه
على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من ان المامور به ليس من الوظائف
العامة للكل كسائر اخواته وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التنويه والتشريف ما لا يخفى والمعنى
اذكر وقت ايحائه تع الى الملائكة انى معكم اى بالامداد والتوفيق فى امر التثبيت فهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول
او اجراء الوحى مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة انما هى من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فليس لهم من
من تلك الحيثية كما فى امثال قوله تع ان الله مع الصابرين والفاء فى قوله تع فثبتوا الذين امنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان
امداده تع اياهم من اقوى موجبات التثبت واختلفوا فى كيفية التثبيت وحقيقته التى هى عبارة عن الحمل على الثبات فى مواطن
الحرب والجد فى مقاساة شدائد القتال وقد روى انه كان الملك يتشبه بالرجل الذى يعرفونه بوجهه فياتى ويقول انى سمعت
سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشى بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم وقال الاخرون امروا
بمكاثرة اعدائهم وجعلوا قوله تع سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله تع انى معكم وقوله تع فاضربوا الخ تفسيرا لقوله
تع فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روى عن ابى داود المازنى رض وكان ممن شهد بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين
يوم بدر لاضربه فوقعت راسه بين يدى قبل ان يصل اليه سيفى وعن سهل بن حنيف رض انه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان
احدنا يشير بسيفه الى المشرك فتقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وانت خبير بان قتلهم للكفرة مع عدم ملائمته
تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف على الامداد بالقاء الرعب فلا يتجه ترتيب الامر به عليه بالفاء وقد اعتذر الاولون بان قوله
تع سالقى الخ ليس بنص فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك اثر قوله تع فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قيل
قولوا لهم قولى سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الخ فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تع
للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فمبناه توهم وروده قبل القتال وانى ذلك والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله
فوق الاعناق اى اعاليها التى هى المذابح او الهامات فاضربوا منهم كل بنان قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقيل
هى الاصابع من اليدين والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة قال ابن عباس رض وابن جريج والضحاك يعنى
الاطراف اى اضربوهم فى جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الادانى وبفوق الاعناق الاعالى والمعنى فاضربوا
الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك
اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته فى الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله عم
او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله تع بانهم شاقوا الله ورسوله اى ذلك العقاب الفظيع واقع
عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل الى مغالبته اصلا واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المشاقين فى شق
خلاف شق الآخر كما ان اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم اى الجانب لان كلا المتعاديين والمتخاصمين فى عدوة
وخصم غير عدوة الآخر وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الاظهار فى موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار كمال شناعة
ما اجترؤا عليه والاشعار بعلة الحكم وقوله تع فان الله شديد العقاب اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه
اى شديد العقاب له وتعليل للجزاء المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها
وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهانى كانه قيل ذلك العذاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تع ورسوله وكل من
يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم بسبب مشاقتهم عقاب شديد واما انه
وعيد لهم بما اعد لهم فى الآخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا كما قيل فيرده ما بعده من قوله تع ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار
فانه مع كونه هو المسوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما اصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم اشارة الى نفس العقاب

اوالى ما يفيده الشرطيه من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تع فذوقوه
والواو فى قوله تع وان للكافرين الخ بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذى اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم عذاب النار
آجلا فوقع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثانى فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدا محذ
وقوله تع وان للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم اى ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا
وقوله تع فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الاول لنفس المشار اليه وعلى الثانى لما فى ضمنه وقد ذكر فى اعراب
الاية الكريمه وجوه اخر مدار الكل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله تع اعلم وقرى بكسر ان على الاستيناف يا ايها الذين
امنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلى جار فيما سيقع من الوقايع والحروب جى به فى تضاعيف القصه اظهارا للاعتناء بشانه ومبالغة
فى حثهم على المحافظة عليه اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبى زحفا اذا دب على استه قليلا قليلا سمى
به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقيا
اليه فى غاية البطء وان كانت فى نفس الامر على غاية السرعة قال قايلهم • وارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب
تهملج • ونصبه اما على انه حال من مفعول لقيتم اى زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه اى يزحفون
زحفا واما كونه حالا من فاعله اومنه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تع فلا تولوهم الادبار اذ لا معنى لتقييد النهى عن الادبار
بتوجههم السابق الى العدو وبكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم هو الداعى الى الادبار عادة والمحوج الى النهى عنه
وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا بعيد والمعنى اذا
لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم الادبار فضلا عن الفرار بل قاتلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدا
نوهم فى العدد وتساووهم ومن يولهم يومئذ اى يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرى بسكون الباء الا متحرفا لقتال اما بالتوجه الى
قتال طائفة اخرى اهم من هولاء واما بالفر للكر بان يخيل عدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او
مع من فى الكمين من اصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا الى فئة اى منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم
ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان سرية فروا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينه استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسيه فاتى عمر رض فقال يا امير المؤمنين
هلكت ففررت من الزحف فقال رض انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما
على الحاليه والا لغو لاعمل لها واما على الاستثناء من المولين اى ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا فقد باء اى رجع
بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن فى قوله تع من الله متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامه
والهول بالفخامة الاضافيه اى بغضب كائن منه تع ومأواه جهنم اى بدل ما اراده بفراره ان ياوى اليه من مأوى ينجيه من
القتل وبئس المصير فى ايقاع البوء فى موقع جواب الشرط الذى هو التوليه مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تع الآن
خفف الله عنكم الايه مخصوصه باهل بدر والحاضرين معه فى الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان بقيه احكام الوقعة واحوالها
وتقرير ما سبق الفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تع وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر
كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم ويجوز ان يكون
التقدير اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم اى فاعلموا او فاخبركم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد
التاويلين لما روى انهم لما انصرفوا من المعركه غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم انى اسالك ما وعدتنى فاتاه جبريل عليهما السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلى
رض اعطنى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا و
ذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمى الظاهر على يده عليه السلام حينئذ
من افعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلى بيان حال الرمى نفيا واثباتا اذ هو الذى ظهر منه ما ظهر
وهو المنشا لتغير المرمى به فى نفسه وتكثره الى حيث اصاب عينى كل واحد من اولئك الامة الجمة شئ من ذلك اى وما فعلت
انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشر
ولكن الله فعلها اى خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تع فى خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا
التاثير الخارج عن طوق البشر ودايرة القوى والقدر فمدار اثباتها لله تع ونفيها عنه عليه السلام كون اثرها من افعاله سبحانه
لا من افعاله عليه السلام وقرى ولكن الله بالتخفيف والرفع فى الحلين واللام فى قوله تع وليبلى المؤمنين منه اى ليعطيهم من عنده
بلاء حسنا اى عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متاخر فالواو اعتراضيه اى وللاحسان
اليهم بالنصر والغنيمه فعل ما فعل لا لشئ غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما بمحذوف فالواو للعطف على علة محذوفة اى ولكن الله رمى ليمحق

المدينه الخ

ههنا وفى قوله تع ولكن امر تعلم

الكافرين وليبلى الخ وقوله تع ان الله سميع اى لدعائهم واستغاثتهم عليم اى بنياتهم واحوالهم الداعيه الى الاجابه تعليل
تعليل الحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تع وان الله موهن كيد الكافرين
بالاضافه معطوف عليه اى المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل والرمى
والمبتدا الامر اى الامر ذلكم اى القتل فيكون قوله تع وان الله الآيه من قبيل عطف البيان وقرى موهن بالتنوين مخففا و
مشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفيئتين واكرم الحزبين اى ان تستنصروا لاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح
حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم فى المجى او فقد جاءكم الهزيمه والقهر فالتهكم فى نفس الفتح حيث وضع موضع ما
يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول عليه السلام فهو اى الانتهاء خير لكم اى من الحراب الذى ذقتم
غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيريه فى المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا اى الى حرابه عليه السلام
نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغنى بالتاء الفوقانيه وقرى بالياء التحتانيه لان تانيث الفئة غير حقيقة وللفصل اى لن تدفع
ابدا عنكم فئتكم جماعتكم التى تجمعونهم وتستعينون بهم شيا اى من الاغناء او من المضار وقوله تع ولو كثرت جملة حاليه
وقد مر التحقيق وان الله مع المؤمنين اى ولان الله معين المؤمنين كان ذلك او والامر ان الله مع المؤمنين ويقرب منه بحسب
المعنى قراءة الكسر على الاستيناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل
والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شئ لما انه مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه
نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين فى الايمان يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح احدى التائين وقرى بادغامها عنه اى لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر
بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعته تع للتمهيد والتنبيه على ان طاعته تع فى طاعة رسوله عليه السلام من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذى دل عليه الطاعه وقوله تع وانتم تسمعون جملة حاليه وارده لتاكيد وجوب
الانتهاء عن التولى مطلقا كما فى قوله تع فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهى عنه بحال السماع كما فى قوله تعالى
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اى لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن
مخالفته سماع فهم واذعان ولا تكونوا تقرير للنهى السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم فى سلك
الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اى لا تكونوا بمخالفة الامر والنهى كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة
والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون
ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه راسا ان شر الدواب استيناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه
بهم مبالغة فى التحذير وتقريرا للنهى اثر تقرير اى ان شر من يدب على الارض او شر البهائم عند الله اى فى حكمه وقضائه
الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق
والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شئ من ذلك صاروا كانهم فاقدون الجارحتين راسا وتقديم الصمم على البكم لما ان صممهم
على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل
فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة
ويهتدى بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية فى الشريه وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا
من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم
خيرا شيا من جنس الخير الذى من جملته صرف قواهم الى تحرى الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على
حقية الرسول عليه السلام واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه
عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تع ولو اسمعهم لتولوا اى لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العاريه
عن الخير بالكليه لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط وارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى
وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اى لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلى اى وهم
قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم احى قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن
بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصى الخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصى لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا
يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه قاتلهم الله تع فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم
المنافقون وعن الحسن رحمه الله انهم اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال
على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اى
الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تع لما يحييكم من العلوم الدينيه التى هى مناط الحيوة الابديه كما ان الجهل مدار الموت الحقيقى
او هى ماء حيوة القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما فى قوله تع ولكم فى القصاص

حيوة روى انه عليه السلام مر على ابى بن كعب وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك من
قال كنت فى الصلاة قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل هذا من خصائص دعائه
عليه السلام وقيل لان اجابته عليه السلام لا تقطع الصلاة وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التاخير وللمصلى ان يقطع الصلاة
لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تع من العبد كقوله تع ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تع
مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية
فانها حائلة بين المرء وقلبه وتصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين
الكفران اراد سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ
بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اى الله عز وجل او الشان اليه
تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعته تع وطاعة رسوله وبالغوا فى الاستجابة لهما واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اى لا تختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل تعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة فى
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لا تصيبن الخ اما جواب الامر
على معنى ان اصابتكم لا تصيبن الخ وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه
كقوله تع ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفى فى غير القسم او للنهى على
ارادة القول كقول من قال حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ
لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم
خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه
من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا اذ انتم قليل اى وقت كونكم قليلا
فى العدد واثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تع مستضعفون
خبر ثان او صفة لقليل وقوله تع فى الارض اى ارض مكة تحت ايدى قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدى فارس والروم
والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدى الطائفتين وقوله تع تخافون ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة ثانية
لقليل وصف بالجملة بعدما وصف بالمفرد او حال من المستكن فى مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار
قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثانى فارس والروم اى واذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم
على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة
الانصار او بامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله
والرسول اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه اى لا تخونوهما بتعطيل الفرائض
والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او فى الغلول فى الغنائم روى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة
فسألوا الصلح كما صالح بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
رضى فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لما ان ماله وعياله كان فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل
على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على
سارية من سوارى المسجد فقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا
عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
الذى يحلنى فجاءه عليه السلام فحله فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام
يجزيك الثلث ان تتصدق به وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم
تعلمون انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع فى الاثم والعقاب
او محنة من الله عز وجل ليبلوكم فى ذلك فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابى لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضاه تع عليهما وراعى
حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين امنوا تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده و
الايذان بانه مما يقتضى الايمان مراعاته والمحافظة عليه كما فى الخطابين السابقين ان تتقوا الله اى فى كل ما تأتون وما تذرون يجعل
لكم بسبب ذلك فرقانا هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال
الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا
حتى سطع الفرقان اى الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم اى يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر و
الذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها فى اهل بدر وقد غفرها الله تع لهم وقيل له تع والله ذو الفضل العظيم تعليل
لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تع لهم على التقوى تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما
على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تع واذكروا اذ انتم الخ

سوق لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اى واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق
ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد
وليبيتوك من البيات او يقتلوك اى بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم له عليه السلام
فرقوا واجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون فى امره عليه السلام فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت
اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال ابو البخترى رأيى ان تحبسوه فى بيت وتسدوا منافذه غير
كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال
هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم
بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى
بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل عليه السلام النبى عليه السلام
واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضى على مضجعه وخرج هو مع ابى بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله اى يرد مكرهم عليهم
او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين فى اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم
ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا مساغ له ابتداء لما فيه
من ايهام ما لا يليق به سبحانه واذا تتلى عليهم آياتنا التى حقها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله اللعين النضر
بن الحارث واسناده الى الكل لما انه كان رئيسهم وقاضيهم الذى يقولون بقوله ويأخذون برأيه وقيل قاله الذين
ائتمروا فى امره عليه السلام فى دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك
فما الذى كان يمنعهم من المشيئة وقد تحدوا عشر سنين وقرعوا على العجز وذاقوا من ذلك الامرين ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا
بما سواه مع انفسهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما فى باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اى ما سطره الاولون من القصص
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين
يعنى انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبى صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تع فقال ذلك والمعنى ان القرآن
ان كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين
والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق
به كونه حقا على الوجه الذى يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف فى اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفى
والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبى صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تع غير مستقيم فى حكمه
وقضائه والمراد باستغفارهم فى قوله تع وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقى منهم من المؤمنين او قولهم
اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تع وما كان ربك ليهلك القرى واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم
الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اى وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون
وهم يصدون عن المسجد الحرام اى وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام
الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم
لولاية امره فى غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون
من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تع ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه
يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اى دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها
الا مكاء اى صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية اى تصفيقا تفعلة من الصدد او من الصد على ابدال
احد حرفى التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم
للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها و
يصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يصلى يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا
العذاب اى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون
اعتقادا او عملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش
يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او فى ابى سفيان استأجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين
اوقية او فى اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد
بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثانى
اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق
ومساق الثانى لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهى

عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى ثبتوا على الكفر واصروا
عليه الى جهنم يحشرون اى يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اى الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام
متعلقة بيحشرون او بيغلبون او ما انفقه المشركون فى عداوته عليه السلام مما انفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بتكون
ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اى يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا
لفرط ازدحامهم فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله فى جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث
اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى الخبث هم الخاسرون الكاملون
فى الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اى قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه
من معاداة النبى صلى الله عليه وسلم بالدخول فى الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ نغفر لكم على البناء للفاعل
وهو الله تع وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر
فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وقد عمم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين فى القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تع
فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اى لا يوجد منهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة
اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم
عنه واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اى بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم
يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا
بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبى انها نزلت ببدر وقال
الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة
وعائدها محذوف اى الذى اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة ما اصابه الغانم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب
منهم كائنا ما كان وقوله تع من شئ بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول قصد به الاعتناء بشأن الغنيمة
وان لا يشذ عنها شئ اى ما غنمتموه كائنا مما كان يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله
الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضى المغنومة وقوله تع فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اى فحق او واجب
ان لله تع خمسه وهذه الجملة خبر لان ما الخ وقرئ بالكسر والاولى آكد واقوى فى الايجاب لما فيه من تكرر الاسناد كأنه
قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تع
للتعظيم كما فى قوله تع والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تع وللرسول ولذى القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام فى ذى القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم فى سهم
النبى صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل لما روى
عن عثمان وجبير بن مطعم رض انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك
الذى جعلك الله منهم ارايت اخواننا بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم
لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت
فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه السلام وسهم للمذكورين من ذوى قرباه وثلاثة اسهم
للاصناف الثلاثة الباقية واما بعده عليه السلام فسهمه ساقط وسهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة
سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلاثة ويؤيده ما روى عن ابى بكر رض انه منع بنى هاشم الخمس وقال انما
لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغنى لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد
بن على مثله قال ليس لنا ان نبنى منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولى الامر بعده
واما عند الشافعى رض فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه عليه السلام من
مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوى القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل
حظ الانثيين والباقى للفرق الثلاث وعند مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى
اعطاه بعضا منهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الاية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم
ويصرف سهم الله تع الى رتاج الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقى على
خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام هذا شان الخمس واما الاخماس الاربعة
فيقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابى حنيفة رض وثلاثة اسهم عندهما قال القرطبى لما بين الله حكم الخمس وسكت
عن الباقى دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تع ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اى ان كنتم آمنتم به تع فاعلموا
ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تع فاقطعوا اطماعكم منه واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم بذلك
بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تع وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اى ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلناه على عبدنا وقرئ عبدنا

منعوتا بهم جمع او يد به الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان
يوم بدر سمى به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بآمنتم يوم التقى الجمعان اى الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو
بدل من يوم الفرقان او منصوب بالفرقان وليس المراد ما انزل عليه عليه السلام يومئذ من الوحى والملائكة والفتح على ان المراد
بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس
لله تع على الوجه المذكور من حيث ان الوحى ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما كانا من جهته تع وجب ان يكون ما حصل بسببهما
من الغنيمة مصروفة الى الجهات التى عينها الله تع والله على كل شئ قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك
اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادى وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما ايضا وهم
بالعدوة القصوى اى البعدى من المدينة وهى تانيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو
لكنها جاءت على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اى العير او قوادها اسفل منكم اى فى مكان اسفل
من مكانكم يعنى الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الحال والجملة حال من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو
واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن
المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز العدوين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى
فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تع ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد اى لو تواعدتم انتم وهم القتال
ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله
عز وعلا خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد
ليقضى الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا فى الازل وقوله تع ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حى عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على
استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحيوة او من حاله فى علم الله تع الهلاك
والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح وحيى بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اى بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن
وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر
من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا
على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اى لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم فى الامر اى امر القتال وتفرقت آراؤكم فى الثبات والفرار
ولكن الله سلم اى انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع
ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر
السابق والضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رض لمن الى جنبه أتراهم
سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم فى اعينهم حتى قال ابو جهل انما
اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم فى اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم لتفاجئهم
الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والكثير قليلا لا على هذا الوجه ولا الى
هذا الحد وانما ذلك بصد الله تع الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى فى الشرائط ليقضى الله امرا كان مفعولا
كرر لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر و
حزبه والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيفما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا صدر الخطاب
بحرف النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اى حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر
لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب فى القتال فاثبتوا اى للقائهم فى مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اى فى
تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اى تفوزون بمرامكم وتظفرون
بما ذكر من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لا يشغله شئ عن ذكر الله تع وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه
بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه فى حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله فى كل ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه
ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب للنهى وقيل عطف عليه وتذهب
ريحكم بالنصب عطف على جواب النهى وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهى اى تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعار
للدولة من حيث انها فى تمشى امرها ونفاذه مشبهة فى هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها
الله تع وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب ان الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة وما يفهم
من كلمة مع من اصالتهم انما هى من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تع انما هى من حيث الامداد والاعانة
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعدما امروا بما امروا به من محاسن الاعمال نهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا

بحاية العير **بطرا** اى فخرا واشرا **ورئاء الناس** ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابى سفيان
وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر فى اوايل السورة الكريمة فنهى المؤمنون
ان يكونوا امثالهم بطرين ومرائين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهى عن الشئ مستلزم للامر بضده **ويصدون**
عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا فى موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر **والله بما يعملون**
محيط فيجازيهم عليه **واذ زين لهم الشيطان اعمالهم** منصوب بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اى واذكر
وقت تزيين الشيطان اعمالهم فى معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم **وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم** اى القى
فى روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها
قربات مجيرهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب اوصفه وليس صله والا لانتصب كقولك
لا ضاربا زيدا عندنا **فلما تراءت الفئتان** اى تلاقى الفريقان **نكص على عقبيه** رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه
مجيرهم سببا لهلاكهم **وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله** اى تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما
راى امداد الله تع المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكان ذلك
يثنيهم فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى مجيركم من كنانة فلما راى
الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يدى الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى ما لا ترون و
دفع فى صدر الحارث وانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى
بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله انى اخاف ان يصيبنى بمكروه من الملائكة
او يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن رض واختاره ابن بحر **والله شديد**
العقاب يجوز ان يكون من كلامه او مستانفا من جهة الله عز وجل **اذ يقول المنافقون** منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب
والذين فى قلوبهم مرض اى الذين لم يطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقى فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون
والعطف لتغاير الوصفين كما فى قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب **غر هؤلاء** يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف **ومن يتوكل على الله** جواب لهم من جهته تع وردّ لمقالهم
فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل **حكيم** يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويحار فى فهمه
الباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه **ولو ترى** اى ولو رايت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا
كما ان ان ترد الماضى مضارعا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه
فى قوله تع ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ فى قوله تع **اذ يتوفى الذين كفروا** ظرف لترى والمفعول محذوف اى ولو ترى
الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملائكة مبتدا و
قوله تع **يضربون وجوههم** خبر والجملة حال من الموصول قد استغنى فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملائكة
او منهما لاشتماله على ضميرهما **وادبارهم** اى واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء **وذوقوا عذاب الحريق** على ارادة
القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اى ويقولون او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من
حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان اى لرايت امرا فظيعا لا يكاد يوصف
ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونهما فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو
مبتدا خبره **بما قدمت ايديكم** اى ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى ومحل ان فى قوله تع **وان الله ليس**
بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى والامر انه تع ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم
مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه فى سورة آل عمران
والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ
لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تع لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافى كون تعذيب هؤلاء
الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته بسبب ذنوب المعذبين
لاحتيج الى ذلك **كداب آل فرعون** فى محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والجملة استيناف مسوق لبيان ان ما حل بهم من العذاب
بسبب كفرهم لا بشئ آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه
على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اى شانهم الذى استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كداب آل فرعون
المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال **والذين من قبلهم** اى من قبل آل فرعون من الامم التى فعلوا من المعاصى ما
فعلوا ولقوا من العذاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من اهل الكفر والعناد وقوله تع **كفروا بايات الله** تفسير لدابهم الذى
فعلوه لا لداب آل فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تع **فاخذهم الله** تفسير لدابهم الذى
فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تع **بذنوبهم** لتاكيد ما افاده الفاء من السببية مع الاشارة

الملائكة

الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل فى استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فيكون
الباء للملابسة اى فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدابهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال
ابن عباس رضى الله عنهما ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبى الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام بالصدق
فكذبوه فانزل الله تع بهم عقوبة كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دابهم مع انه ليس مما يتصورمداومتهم عليه و
اعتيادهم اياه كما هو المعتبر فى مدلول الداب اما لتغليب ما فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مداومتهم على ما يوجبه من الكفر و
المعاصى منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تع **ان الله قوى شديد العقاب** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من
الاخذ وقوله تع **ذلك** الخ استيناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم
السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه لا نفس ما حل بهم من العذاب او الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما
ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تع على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم ان السبب ليس
ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تع على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على
تخيل ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هايل وابعاد عن الحق بمراحل وتهوين لامر الكفرة بايات الله
واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب فى مقام تهويله والتحذير عنه فالمعنى ذلك اى ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع
ابتداء مع قدرته تع على ذلك **بان الله** اى بسبب انه تع **لم يك** فى حد ذاته **مغيرا نعمة انعمها** اى لم ينبغ له سبحانه ولم يصح فى حكمته
ان يكون بحيث يغير نعمة انعم بها **على قوم** من الاقوام اى نعمة كانت جلت او هانت **حتى يغيروا ما بانفسهم** من الاعمال والاحوال التى
كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة
الى الحادثة كداب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال وساير النعم
الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبى صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروها الى اسوء حال منها واسخط حيث كذبوه عليه السلام
وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوايل فغير الله تع ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب
والنكال واصل يك يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة **وان الله سميع عليم** عطف على ان الله الخ داخل معه فى حيز
التعليل اى وبسبب انه تع سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما ياتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على
كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة ح استيناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تع **كداب**
آل فرعون والذين من قبلهم فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كداب آل فرعون اى
كتغييرهم على ان دابهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الداب وقوله تع **كذبوا بايات ربهم** تفسير له بتمامه وقوله تع
فاهلكناهم اخبار بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير فى توسط قوله تع وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره فى سورة
آل عمران حيث جوزوا انتصاب محل الكاف بلن تغنى مع ما بينهما من قوله تع واولئك هم وقود النار هذا على تقدير عطف الجملة
على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا غبار فى توسطها قطعا وقيل فى محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف كما قبله فالجملة حينئذ
آخر مسوق لتقرير ما سيق له الاستيناف الاول بتشبيه دابهم بداب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان
وجعل الداب فى الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تع ذلك بان الله لم يك مغيرا
نعمة الآية اى داب هؤلاء وشانهم الذى هو عبارة عن التغيير بن المذكورين كداب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تع نعمته عليهم
فقوله تع كذبوا بايات ربهم تفسير لدابهم الذى فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله تع فاهلكناهم تفسير لدابهم الذى فعلوه من تغيير
لحالهم وقوله تع فاهلكناهم تفسير لدابهم الذى فعل بهم من تغييره تع ما بهم من نعمته واما داب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه
فلله در شان التنزيل حيث اكتفى فى كل من التشبيهين بتفسير احد الطرفين واضافة الايات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح
ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة فى اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام فى الفاء وفى قوله تعالى
بذنوبهم كالذى مر وعطف قوله تع **واغرقنا آل فرعون** على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف
جبريل على الملائكة عليهم السلام **وكل** اى كل من الفرق المذكورين او كل من هؤلاء واولئك او كل من غرقى القبط وقتلى قريش **كانوا ظالمين**
اى انفسهم بالكفر والمعاصى حيث عرضوها للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما
اصابهم **ان شر الدواب** بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع فى بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله
تع **عند الله** اى فى حكمه وقضائه **الذين كفروا** اى اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا اشر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم
وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تع **فهم لا**
يؤمنون حكم مترتب على تماديهم فى الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم
عاطف اصلا جئ به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه فى حيز الصلة التى لا حكم فيها بالفعل وقوله تع **الذين عاهدت**
منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اى عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة التى هى عبارة عن
اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لقباحة ما نعى عليهم من النقض لا

اعطاؤه عليه السلام اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل من للتبعيض لان المباشر معتبرة ههنا من حيث
بالذات للعهد بعضهم لا كلهم المناط لقباحة ما نعى عليهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه في حكم
الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذ
منهم في كل مرة اي من مرات المعاهدة اذ هي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل
اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض
بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعد
بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد هي المرات الواقعة اثر المعاهدة يبقى النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا من
البيان ولئن عد ذلك من المحاربة فلا محيص من لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيؤول
الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من المرات النقض وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون المعنى ينقضون عهدهم
في كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم خروج بدء نقضهم بالنقض من البيان وهم لا يتقون
حال من فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله
فاما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فاذا كان حالهم كما ذكر
فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب اي في تضاعيفها فشرد بهم اي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للا
والاضطراب ونكل عنها بان تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب ان ينكل من خلفهم اي من وراءهم من الكفرة وفيه
ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ شرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم
اي افعل التشريد من وراءهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد في الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون
يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعوا عن النقض او عن الكفر وقوله تع واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين
الى نقض العهد اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اي واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد
فيما سيأتي بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو
بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم
بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء
على استواء في العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم او تستوي فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم
وعلى الثاني من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه للقتال بالاخرة فيكون حثا له عليه السلام على النبذ اولا وعلى قتالهم
ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا تحسبن
الذين كفروا اي انفسهم فحذف للتكرار وقوله تع سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم
من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المؤمنين بل الغلبة
عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذي يمكن ان يدور
في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل هو
الفاعل وان محذوف من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا فيعضد
قراءة من قرأ انهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله تع ومن اياته يريكم البرق خوفا وقوله تع افغير الله تأمروني اعبد الاية قاله الزجاج
وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف
النون الخفيفة وقوله تع انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستيناف
وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وهذا
على قراءة الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه
نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على ابلغ وجه واكده كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر
النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المامور به من وظائف الكل كما ان توجيهه
فيما سبق وما لحق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عليه السلام اي اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم
العهد وهيؤوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به
في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعل تخصيصه عليه السلام
اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تع فعال بمعنى مفعول او مصدر
سميت هي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب
وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها

كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اي تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير
لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اي اعدوا مرهبين به او من الموصول او
عائده المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك
لغاية عتوهم وتجاوزهم الحد في العداوة واخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا
تعلمونهم اي لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تع الله يعلمهم اي لا غير فان اعمالهم
معلومة لغيره تع ايضا وما تنفقوا من شيء لاعداد العتاد قل او جل في سبيل الله الذي اوضحه الجهاد يوف اليكم اي جزاؤه كاملا
وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه
عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تع من القبائح وابراز الاثابة في معرض
الامور الواجبة عليه تع كما مر في تفسير قوله تع فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح
ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا للسلم اي الصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح
لها اي للسلم والتانيث لحمله على نقيضه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح
بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه تع هو السميع فيسمع ما يقولون
في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والاية خاصة باليهود وان
يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم وابطال الحراب فان حسبك الله اي فاعلم بان محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم
هو الذي ايدك بنصره تعليل لكفايته تع اياه عليه السلام بطريق الاستيناف فان تاييده تع اياه عليه السلام فيما سلف على ما ذكر
من الوجه البعيد من الوقوع من دلائل تاييده تع فيما سيأتي اي هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تع وما
النصر الا من عند الله او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل
ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تع كنفس واحدة
وهذا من ابهر معجزاته عليه السلام لو انفقت ما في الارض جميعا اي لتاليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استيناف مقرر لما قبله
ومبين لعزة المطلوب وصعوبة الماخذ اي تناهى التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات البين جميع ما في
الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التاليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بان التاليف بينها لا يتسنى وان
امكن التاليف ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء
مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم
واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون
عن قوس واحدة وصاروا انصارا يا ايها النبي شروع في بيان كفايته تع اياه عليه السلام في جميع اموره وامور المؤمنين
او في الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تع اياه عليه السلام في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي
النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عليه السلام بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك
الله اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين في محل النصب على انه مفعول معه
اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك عضب مهند وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير
كما هو رأي الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تع اي كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت في
البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رض فنزلت
ولذلك قال ابن عباس رض نزلت في اسلام عمر رض يا ايها النبي بعدما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امره عليه السلام بترتيب
مبادي نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشأن المامور به حرض المؤمنين على القتال
اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكيره وعده تع بالنصر وحكمه بكفايته تع
او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا
خير فيه ولا يعتد به قلت فالاوجه ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض وقيل معنى تحريضهم
تسميتهم حرضا بان يقال اني اراك في هذا الامر حرضا اي ممرضا فيه لتهييجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو
واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تع بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستيناف
بعد الامر بتحريضهم وقوله تع وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بتأييد الواحد على العشرة
لزيادة التقرير المفيد لزيادة الاطمينان على انه قد يجري بين الجمعين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل
من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تع من الذين كفروا بيان للالف
وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا مع كونه معتبرا احتياطا ثقة بذكره هناك بانهم قوم لا
يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله تع وباليوم الاخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا بامر الله تع واعلاء

لكلمته وابتغاء لرضوانه كالمؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة نائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ماقيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الاخر لا يؤمن لمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيا فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى مافيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية وانما السعادة هي الحيوة الباقية فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد منه مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا انزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاهتداء الى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تع بضعفهم علمه تع به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تع به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تع فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف الالفين وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تع والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ماقبله والمراد بالمعية معية نصره وتاييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكافرين اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الاخر ومايشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان للنبي وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ماصح وما استقام لنبي من الانبياء عليهم السلام ان تكون له اسرى وقرئ بتانيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استئناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الاخرة اي يريد لكم ثواب الاخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا ومافيها او يريد سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كما في قوله اكل امرء تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تع فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم منه تع سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي واما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا يرفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء لمسكم اي لاصابكم فيما اخذتم اي لاجل ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته الترغيب في اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتاكيد الترغيب واتقوا الله اي في مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من

استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال عليه السلام فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين كا بدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يتاول به ما في قوله تع ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا الكلام مسوق من جهته تع لتسليته عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي فاقدرك عليهم حسبما رايت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله تع ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين اووا ونصروا هم الانصار اووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم واثروهم على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة ومافيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدأ وقوله تع بعضهم اما بدل منه وقوله تع اولياء بعض خبره واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تع واولوا الارحام الاية او في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تع فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين امنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث وان كانوا اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم [النصر] فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اخر منهم اي في الميراث او في الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدارين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح المعلى من الايمان مع الموعد الكريم بقوله تع لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تع بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اخر منهم في التوريث من الاجانب في كتاب الله اي في حكمه او في اللوح او في القران واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية اخرا من الحكم البالغة عن النبي ع م من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد بانه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش

سورة التوبة مدنية مائة وتسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا

سورة التوبة

من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسميه عند
النزول نزولها في رفع الامان الذي يأبى مقام التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تع مشفوعا بوصف الرحمة كما روى
عن بن عيينة رحمه الله الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن بن عباس رضي الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة
رضوان الله عليهم من الاختلاف في ذلك على ان ذلك ينزع الى القول بان التسميه ليست من القران وانما كتب للفصل
بين السور كما نقل عن قدماء الحنفيه وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو رأي من تصدى لجمع القران دون
التوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع في الاستقلال اشتباه او اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين
او لما ذكرنا لا سبيل الى الاول والا لبينه صلى الله عليه وسلم لتحقيق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال
من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزوليهما فحيث لم يبينه عليه السلام تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في
موضع البيان بيان للعدم **براءة** خبر مبتدا محذوف وتنوين للتفخيم وقرئ بالنصب اي اسمعوا براءة ومن في قوله عز وجل
من الله ورسوله ابتدائيه متعلقه بمحذوف وقع صفة لها ليفيدها زيادة تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتدئة من جهة الله
ورسوله واصلة **الى الذين عاهدتم من المشركين** وانما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تع ان الله بريء من المشركين
اكتفاء بما في حيز الصله فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظه من وقيل هي مبتدا لتخصصها بالصفة وخبره
الى الذين الخ والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها
ولا عنوان ابتدائها من الله تع ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة في
الاخبار شيئا آخر هو وصولها الى المعاهدين وانما الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث تلك البراءة من جهته تع ووصولها
اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها للموصوف انها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له ان
تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على ان الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح
في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا
مشركي العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تع واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر
المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا وانما نسبت البراءة الى الله تع ورسوله مع
شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصه مع كونها باذن الله تع واتفاق
الرسول عليه السلام للانباء عن تنجزها وتحتمها وتحتمل من غير توقف على رأي المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع
الحظر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لانه امر كسائر الاوامر الجارية على حسب
حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها آثارها من غير توقف على شيء اصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب
العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل في اتمامها او في ترتب احكامها عليها واما المعاهدة
فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعيه لا تحصل في نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجوه مخصوصة
اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه في شأنها هو الاذن فيها وانما الذي باشرها ويتولى امرها
المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحدة منهما الى من هو اصل فيها على ان في ذلك
تفخيما لشأن البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها لساحة السبحان
والكبرياء عما يوهم شائبة النقص والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عليه السلام في النسبة الاولى واخراجه عن الثانية
لتنويه شأنه الرفيع واجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم واثار الجملة الاسميه على الفعلية كان يقال قد برئ
الله ورسوله من الذين الخ ونحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها وللتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه
فسيحوا السياحة والسيح الذهاب **في الارض** والسير فيها بسهولة على مقتضى المشية كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه
من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره وزيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم لاقطارها
من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشأنهم من الاستعداد للحرب وتحصين الاهل والمال او تحصيل
المهرب وغير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة
امر الغائب ايضا للمبالغة في الاعلام بالامهال لحسم مادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد و
اثار صيغة الامر مع تسني افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار ايضا كان يقال مثلا فلكم ان تسيحوا ونحو ذلك لاظهار كمال
القوة والغلبه وعدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم فكان ذلك امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما
يعقبه على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحراب على ان الاول مترتب على نفسه والثاني بكلا متعلقيه على عنوان كونه
من الله العزيز لا لترتيب الاول عليه والثاني على الاول كما في قوله تع قل سيروا في الارض فانظروا الخ كانه قيل هذه براءة موجبة
لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والاسباب وبالغوا في اعتاد العتاد من كل باب **اربعة اشهر واعلموا انكم** بسياحتكم في اقطار
الارض في العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول **غير معجزي الله** اي لا تفوتونه بالهرب والتحصن **وان الله** وضع الاسم الجليل

موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار **مخزي الكافرين** اي مخزيكم ومذلكم في الدنيا
بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب واثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان علة
الاخزاء هي كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر
الحرم التي علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر
وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او للتغليب في الحجة والمحرم على البقيه وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول
لان الحج في تلك السنه كان في ذلك الوقت للنسئ الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عليه السلام
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روي انه صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر رض على موسم سنة تسع
ثم اتبعه عليا رضي الله عنه على العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عليه السلام
لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابو بكر
رضي الله عنهما الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور ثم مضيا
فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رض وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبه فقال يا ايها الناس اني رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقال بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال أمرت باربع ان لا يقرب البيت بعد العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده **واذان من الله ورسوله** اي اعلام
منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها وانما قيل **الى الناس** اي كافة لان
الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا **يوم الحج الاكبر** هو يوم العيد
لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال
هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج
ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز
المسلمين وذل المشركين **ان الله** اي بان الله وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول **بريء من المشركين** اي المعاهدين الناكثين
ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى
مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم **فان تبتم** من الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة
تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطيه على الاذان بالبراءة المذكورة او الوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار
شدة شكيمتهم **فهو** اي فالتوب **خير لكم** في الدارين **وان توليتم** عن التوبة او ثبتم على التولي من الاسلام والوفاء **فاعلموا انكم غير
معجزي الله** غير سابقين ولا فائتين **وبشر الذين كفروا** تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
البشارة **بعذاب اليم** وان كانت بطريق التهكم انما يليق بمن يقف على الاسرار الالهية **الا الذين عاهدتم من المشركين** استثناء من النبذ
السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم
فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تع واذان من الله
ورسوله الخ لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل واعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول
ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استثناء
من المقدر في فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم **ثم لم ينقصوكم شيئا** من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم
احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة
ولم يظاهروا اي لم يعاونوا **عليكم احدا** من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم
قريش بالسلاح **فاتموا اليهم عهدهم** اي ادوه اليهم كاملا **الى مدتهم** ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب للناكثين
ولا تعاملوهم معاملتهم قال بن عباس رض بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم **ان الله يحب المتقين** تعليل
لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك
وان كان المعاهد مشركا **فاذا انسلخ** اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد
والمعنى اذا انقضى **الاشهر الحرم** وانفصلت عما كانت مشتملة عليه سائغ له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف
الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضي
نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخي
الشهور واهلالي وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه
الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر كانت
حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر
موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء

[illegible]

بثانيها او هي مع ما فهم من قوله تع فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين على الاول يكون المراد بالمشركين في قوله تع فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثاني مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعي بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعدها ما ينسخها فلا اعتداد به لا لانها نسخت بقوله تع وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه يحتمل ان يراد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا في قوله تع قل للذين كفروا الخ ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع وان اريد ما في سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله من قوله اخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي ايسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اي قيدوهم او امنعوهم من التقلب في البلاد قال ابن عباس رض حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وفائدته على التفسير الثاني دفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة المعهودة فان تابوا عن الشرك بالايمان بعدما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلاة واتوا الزكاة تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفي بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشأنهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعاتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل وان احد شروع في بيان حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام الله تع والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي سألك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اي آمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعوا اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء اخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تع استجارك لانه يؤدي الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله • فلا والله لا يلقى اناس • فتى حتاك يا ابن ابي يزيد كذا قيل الا ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تع باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما في معناه من امور الدين وما روي عن علي رض انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله تع او لحاجة قتل قال لا لان الله تع يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الخ فالمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان يأتي محمدا فان من يأتيه عليه السلام انما يأتيه للامور المتعلقة بالدين ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن مأمنه اي مسكنه الذي يأمن فيه وهو دار قومه ذلك يعني الامر بالاجارة وابلاغ المأمن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع في تحقيق حقية ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة انما هي في شأنهم والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تع كيف تكفرون بالله الخ بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون عند من يجوز عمل الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يبالي بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف او الحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في انكار ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطي فرع ثبوته العيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع راسا وفي توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني اي على اي حال او في اي حال يوجد لهم عهد معتد به عند الله وعند رسوله يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يأمنوا به من عذاب الاخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا دخل لعهدهم في ذلك الامن قطعا وان كان مرعيا عند الله تع وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم

المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمنه معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء متصل محله النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود واياما كان فحكم الامر بالاستقامة منتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقت بوقتها الاستقامة المأمور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح ههنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المأمور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء ان الله يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل انه لاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد عن عدم ثباتهم على العهد لا انه شيء يستدعيه وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تأكيدا لهما وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل ما في البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما في قوله • وخبرتماني انما الموت بالقرى • فكيف وهاتا هضبة وقليب • فانه علة مصححة لا مرجحة اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تع وعند رسوله وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اي لم يراعوا في شأنكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيها الا ولا ذمة اي حلفا وقيل قرابة ولا عهدا او حقا يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الاخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال علام تقبل منهم فدية وهم • لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا وقيل الال من اسماء الله عز وعلا اي لا يراعوا حق الله تع وقيل الجوار وماله الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شؤونهم الجلية والخفية بطريق الاستيناف وبين انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء في شيء وان ما يظهرونه مداهنة لا مهادنة فقيل يرضونكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم وتأبى قلوبهم ما يفيده كلامهم واكثرهم فاسقون خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة لا يتحرجون كما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله اي بايات القرآن الامرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر او بجميع اياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اي تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب فصدوا اي عدلوا ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله اي الدين الحق الذي لا محيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة ساء على اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اي ساءهم الذي يعملونه او عملهم السوء وقوله عز وعلا لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة نعي عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا في اليهود او في الاعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تع يعملون او دليل على ما هو مخصوص بالذم فيشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم الفاسقون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة فان تابوا اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعي عليهم من مساوي اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلاة واتوا الزكاة اي التزموهما وعزموا على اقامتهما فاخوانكم اي فهم اخوانكم وقوله تع في الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظائره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد من كون جوابها حكما بخلافه البتة ونفصل الايات اي نبينها والمراد بها اما ما مر من الايات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الايات فيندرج فيها تلك الايات اندراجا اوليا لقوم يعلمون اي ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التامل في الاحكام

المعد رجز في تضاعيفها والمحافظة عليها وان نكثوا عطف على قوله تع فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم من بعد
عهدهم الموثق بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تع وان يظهروا عليكم الآية
او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل وطعنوا في دينكم قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام
فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم وانما اوثر ما عليه النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر
احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بالائمة رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم والمنع من قتالهم
لكونهم مظنة لها او للدلالة على استيصالهم فان قتالهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ايمة بتحقيق الهمزتين على
الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء انهم لا ايمان لهم اي على الحقيقة حيث لا يراعونها
ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النفي بها لا بالعهد لانها العمدة في المواثيق
وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن لان حالهم في ان لا ايمان لهم حقيقة
حتى لا ينكثوها والاستمرار القتال المامور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يومنوا لا ايمان
لهم حتى يتعدى معهم آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك
ابدا واما العكس كما قيل فقاتلوهم الى ان يومنوا انهم لا امان لهم فلا وجه له لاشعاره بان معاهدتهم معنا على طريقة ان
يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام فقيل يكون تعليلا للامر بالقتال اشكال بل استحالة لانه
ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل من العلية للقتال وللامر كما قبل النكث والطعن وان حمل على انتفائه فيما سياتي
فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجيء فلو جعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كما نهم قيل وان نكثوا وطعنوا وهو
الظاهر من حالهم لانهم لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس ما نهم وعن الطعن في دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله
تع فقاتلوا اي قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي يرتكبونها
لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن المؤذين الا تقاتلون الهمزة الداخلة على النفي للانكار والتوبيخ تدل على
تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها كانه امر لا يمكن ان يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجاون الى
ذلك ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوا بها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم
فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تع واذ يمكر بك الذين
كفروا فيكون نعيا عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهدهم للرسول عليه السلام وهموا باخراجه من المدينة
وهم بدؤكم بالمعاداة والمقاتلة اول مرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا
عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدؤا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم
اتخشونهم اي اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وتوبيخهم اولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما
يوجب الرغبة فيها ويحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق
ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مومنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تع وعدم المبالاة بمن سواه
وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وتعذيب اعدائهم واخزائهم
وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم اي يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب
والاخزاء ويشف صدور قوم مومنين ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رض هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب
ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه السلام
بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستانف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة
بحسب مشيئته تع المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان
ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لفل شوكتهم والانتقام منهم فهو سبب للتدبر
في امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي وللاختلاف في وجه السببية غير الاسلوب والله تع اعلم والله اشار الى اظهار الجلالة على الاضمار
لتربية المهابة وادخال الروعة عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يامر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جيء
بها للدلالة على الانتقال عن التوبيخ السابق الى آخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور اي بل احسبتم
ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب اما لمن شق عليهم القتال من المومنين او للمنافقين ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شملته تعلق العلم الوجود لعلم
قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا اي ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من التوقع
على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تع ان المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا
للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل

اي ما هم عليه من الكفر والمعاصي منه

اللام لتقوية عمل المصدر منه

في حيز الصلة او حال من فاعله اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة اي بطانة وصاحب
سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفيه من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقي على
حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما يعملون اي بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر
قوله تع ولما يعلم الخ او حال من فاعله او من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى
عليه شيء منها ما كان للمشركين اي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تع اولئك ما كان لهم
ان يدخلوها الا خائفين اي ما وقع وما تحقق لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد
وامامها فعامره كعامرها او لان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد اذ ليس في نواحيها
اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس
وياباه انهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك على انه مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللائق دون نفي
الوجود شاهدين على انفسهم بالكفر اي باظهار آثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة
على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال ان يكون ما سموه
عمارة عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تع فانها ليست من العمارة في شيء واما ما قيل من
ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين فبمعزل روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك
وطفق علي رض يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسننا فقالوا او لكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك
الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر
فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق
بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستانفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية
من جهة نفي استدفاع العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا ان ارادة جمع المساجد و
ادراج المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد ههنا ايضا
قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها من آمن بالله
وحده واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي واقام الصلاة وآتى الزكاة على ما علم من الدين فيندرج
فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي كلمة الشهادة علم للكل
اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها
بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة فيها والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تع
ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره
وعنه عليه السلام من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رض
من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه ولم يخش في امور الدين الا الله
فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما
الخوف الجبلي من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام و
يرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم
من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع
الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم
مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم
اعمالهم وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله تع اجعلتم سقاية الحاج و
عمارة المسجد الحرام اي في الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران
لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ
سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كايمان من آمن الخ وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو
المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما
وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وببيان اعظمية درجتهم عند الله تع على
وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم
الحرمان فليس يشعر بالحرمان ايضا اما على الاول فهو توبيخ للمشركين ومدار انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم

السقاية والعمارة

على تقدير المضاف في المشبه منه

اي من ان يكون الخ ... منه

المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين فى حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فاباه المقام كيف لا وقد بين انفا حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعد النظم التنزيلى ولو اعتبر ذلك لما تقرر انكار التشبيه وتاكيده بشئ آخر اذ لا شئ اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة فى الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيله او اجعلتموها فى ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا فى انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل لا يستوون عند الله اى لا يساوى الفريق الاول الثانى من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوى بين الوصفين الاولين وبين الآخرين لانه المدار فى التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفى ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هى الافضلية دون التساوى والتشابه للمبالغة فى الرد عليهم فان نفى التساوى والتشابه نفى للافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف لتقرير الانكار المذكور وتاكيده او حال من مفعولى الجعل والرابط هو الضمير كانه قيل اسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تع وقوله تع والله لا يهدى القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون فى هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوى بينهم وقوله تع الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم استئناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعى الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لا انه اعتبر بطريق التدارك امر لم يعتبر فيما سلف اى هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجليلة اعظم درجة عند الله اى اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التى من جملتها السقاية والعمارة واولئك اى المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم فى الرفعة روى ان عليا قال للعباس رضى الله عنهما بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست فى افضل من الهجرة اسقى حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما ارانى الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروى النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد ان اسقى الحاج وقال آخر ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضى الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت واستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المؤمنين فى الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيله او اجعلتموها كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان فى جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره فى جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادى الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تع على هذا التقدير ظاهر وكذا اعظمية درجة الفريق الثانى واما قوله تع والله لا يهدى القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تع لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما والقصر فى قوله تع واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثانى او الى الفوز المطلق ادعاء كما مر والله اعلم يبشرهم وقرى بالتخفيف ربهم برحمة منه ورضوان كبير وجنات عالية لهم فيها فى تلك الجنات نعيم مقيم نعيم لا نفاد لها وفى التعرض لعنوان الربوبية تاكيد للمبشر وتربية له خالدين فيها اى فى الجنات ابدا تاكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التى فى مقابلته والجملة استئناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهى لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما فى قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم فى ذلك وقيل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله حتى يحب فى الله ابعد الناس ويبغض فى الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اى اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهى عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما يؤدى بهم الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين

ومن يتولهم اى واحدا منهم كما اشير اليه وافراد الضمير فى الفعل لمراعاة لفظ الموصول وللايذان باستقلال كل واحد منهم فى الاتصاف بالظلم لا ان المراد تولى فرد واحد وكلمة من فى قوله تع منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اى اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة فى غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين ويقوى عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والاخوان ويزهدهم فيه وفيمن يجرى مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم اى اقرباؤكم ماخوذ من العشرة اى الصحبة وقيل من العشرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم واموال اقترفتموها اى اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اى امتعة اشتريتموها للتجارة والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة فى ايام الموسم ومساكن ترضونها اى منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحيوة الدنيا ليس لتناسى ما فيهما من مبادى المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان يؤثر حبها على حبه تع وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما فى قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم احب اليكم من الله ورسوله بالحب الاختيارى المستتبع لاثره الذى هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلى الذى لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد فى سبيله نظم حبه فى سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عليه السلام تنويها لشانه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته راجعة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا اى انتظروا حتى يأتى الله بامره عن ابن عباس رضى الله عنه فتح مكة وقيل هى عقوبة عاجلة او آجلة والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة فى موالاة المشركين او القوم الفاسقين كافة فيدخل فى زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اى لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفى الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله اعلم لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة فى مواطن كثيرة من الحروب وهى مواقعها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل فى مواطن بحذف المضاف فى احدهما اى وموطن يوم حنين او فى ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضى وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اى ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن فى المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة الاف منهم ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصارى لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذرارى ثم نادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وكروا فانكشف المسلمون ولم تغن عنكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاغناء وضاقت عليكم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اى لا تجدون فيها مفرا يطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روى انه بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحرث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب روى انه عليه الصلاة والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه عليه الصلاة والسلام كان فى الشجاعة ورباطة الجأش سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتنى ما وعدتنى وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تع ثم انزل الله سكينته على رسوله اى رحمته التى تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اى المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبى صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير فى تحقق اصل السكينة فى الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال وانزل جنودا لم تروها اى بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا فى عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر الفا وفى قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء

الخواطر الحسنه وتأييدهم بذلك والقاء الرعب فی قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثنی رجل كان فی المشركين يوم حنين
قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الی صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه
ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبی وذلك ای ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم
فی الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك علی من يشاء ان يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه ای يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز
عما سلف منهم من الكفر والمعاصی رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روی ان ناسا منهم جاؤا رسول الله صلی الله عليه وسلم و
بايعوه علی الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبی اهلونا واموالنا واخذت اموالنا قيل سبی يومئذ
ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصی فقال عليه السلام ان عندی ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما
ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبی صلی الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين
وانا خيرناهم بين الذراری والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبی وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا
فليعطنا وليكن قرضا علينا حتی نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام انا لا ندری لعل فيكم من
لا يرضی فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر
مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذی هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا
يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهی ملابسة لهم عن ابن عباس رض ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح
مشركا توضأ واهل المذاهب علی خلاف هذين القولين وقری نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد فی كبد كانه
قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع علی نجاستهم وانما نهی عن القرب
للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهی عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب
ابی حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهی بذلك يدل علی اختصاص المنهی عنه بوقت من اوقات
العام ای لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رض علی الموسم ويدل عليه قول علی رضی الله عنه
حين نادی ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعی رض
يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهی المشركين ان يقربوه راجع الی نهی المسلمين عن تمكينهم من ذلك
وقيل المراد ان يمنعوا من تولی المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة ای فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع
ما كانوا يجلبونه اليكم من الارزاق والمكاسب وقری عائلة علی انها مصدر كالعافية او حال عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
او من تفضله بوجه آخر فارسل الله تع السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الی مكة
الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار
الارض ان شاء ان يغنيكم مشيته تابعة للحكمة الداعية اليها وانما قيد ذلك بها لينقطع الامال الی الله تع ولان الاغناء ليس مطردا
بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطی ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امرهم بقتال اهل
الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين ويمنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة فيرخا نفهم من الفاقة المتوهمة
من انقطاعهم ونبههم فی تضاعيف ذلك علی بعض طرق الاغناء الموعود علی الوجه الكلی وارشدهم الی سلوكه ابتغاء لفضله
واستنجاز الوعد والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما فی حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك فی سلك
المشركين فان اليهود مثنية والنصاری مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم باحوال الآخرة
كلا علم فايمانهم المبنی عليه ليس بايمان به ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ای ما ثبت تحريمه بالوحی متلوا او غير متلو وقيل المراد
برسوله الرسول الذين يزعمون اتباعه ای يخالفون اصل دينهم ای المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذی
هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب من التوراة والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتی
يكون بعضهم علی خلاف ما نعت حتی يعطوا ای يقبلوا ان يعطوا الجزية ای ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزی دينه ای
قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد حال من الضمير فی يعطوا ای عن يد مؤاتية مطيعة بمعنی
منقادين او من يدهم بمعنی مسلمين بايديهم غير باعثين بايدی غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنی ولذلك لم يجب
الجزية علی الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم ای بسبب يد بمعنی عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا
من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية ای نقدا مسلمة عن يد الی يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه
وهم صاغرون ای اذلاء وذلك بان يأتی بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال
له اد الجزية وان كان يؤديها وهی تؤخذ عند ابی حنيفه رحمه الله من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركی العجم لا من مشركی العرب
وعند ابی يوسف رحمه الله لا تؤخذ من العربی كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمی كتابيا كان او مشركا وعند الشافعی
رحمه الله تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعی الی انها تؤخذ من
جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة علی اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروی عن علی

رضی الله عنه انه لو كان لهم كتاب بيد رسوله فاصبحوا وقد اسری علی كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا علی تحريم ذبائحهم
ومناكحتهم لقوله عليه السلام فی آخر ما نقل من الحديث غير ناكحی نسائهم ولا آكلی ذبائحهم ووقت الاخذ عند ابی حنيفة
اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها علی الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلی المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما
ولا جزية علی فقير عاجز عن الكسب ولا علی شيخ فان او زمن او صبی او امراة وعند الشافعی تؤخذ فی آخر السنة من كل واحد
دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتداة سيقت لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتا
بالله سبحانه وانتظامهم بذلك فی سلك المشركين عزير ابن الله مبتدا وخبر وقری بغير تنوين علی انه اسم اعجمی كعازر وعيزار
غير منصرف للعجمة والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا علی ان الخبر محذوف فتعسف مستغنی عنه
قيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكی الله عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة عن ابن عباس
رض انه جاء رسول الله صلی الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفی وشاس بن قيس ومالك بن الصيف
فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذی قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا
الانبياء بعد موسی عليه السلام فرفع الله تع عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح فی الارض فاتاه
جبريل عليه السلام فقال له اين تذهب قال لطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا
ما جمع الله التوراة فی صدره وهو غلام الا انه ابنه قال الامام الكلبی لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك
صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنوا اسرائيل الی بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تع عزيرا ليجدد
لهم التوراة ويكون آية بعد ما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت فی صدره فلما اتاهم قال
لهم انی عزير فكذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة ففعل فقالوا ان الله تع لم يقذف التوراة فی قلب رجل
الا لانه ابنه تعالی الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رض ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله تع
التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الی الله تع وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الی قلبه فانذر قومه
ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير علی ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت النصاری المسيح ابن الله هو ايضا قول
بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتی من لم يكن
الها ذلك اشارة الی ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنی البعد للدلالة علی بعد درجة المشار اليه فی الشناعة
والفظاعة قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفی التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان و
تحقيق مماثل للمهمل الموجود فی الافواه من غير ان يكون له مصداق فی الخارج يضاهئون ای فی الكفر والشناعة وقری بغير همز
قول الذين كفروا ای يضاهی قولهم علی حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا
من قبل ای من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزی بنات الله لا قدماؤهم كما قيل
اذ لا تعدد فی القول حتی يتاتی التشبيه وجعله بين قولی الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصاری
ای يضاهی قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير الخ لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما تری فانه يستدعی اختصاص الرد و
الابطال بقوله تع ذلك قولهم بافواههم بقول النصاری قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله
هلك او تعجب من شناعة قولهم انی يؤفكون كيف يصرفون من الحق الی الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا
زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تع احبارهم وهم علماء اليهود واختلف فی واحده قال الاصمعی لا ادری اهو حبر او حبر
وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتا
ورهبانهم وهم علماء النصاری من اصحاب الصوامع ای اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل اربابا من دون الله
بان اطاعوهم فی تحريم ما احله الله تع وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له فی قوله تعالی
يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تع بل كانوا يعبدون الجن قال عدی بن حاتم اتيت رسول الله صلی الله عليه وسلم وفی عنقی
صليب من ذهب وكان اذ ذاك علی دين يسمی الركوسية فريق من النصاری وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدی اطرح هذا
الوثن فطرحته فلما انتهی الی قوله تع اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم
فقال عليه السلام اليس يحرمون ما احل الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه فقلت بلی قال ذلك عبادتهم قال الربيع
قلت لابی العالية كيف كانت تلك الربوبية فی بنی اسرائيل قال انهم ربما وجدوا فی كتاب الله تع ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا
يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله والمسيح ابن مريم عطف علی رهبانهم ای اتخذه النصاری ربا معبودا بعد ما قالوا انه
ابنه تعالی الله عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الی ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتاخيره فی الذكر مع ان اتخاذهم
له عليه السلام ربا معبودا اقوی من مجرد الاطاعة فی امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لانه
مختص بالنصاری ونسبته عليه السلام الی الام من حيث دلالتها علی مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة رأيهم
والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا ای والحال ان اولئك الكفرة ما امروا فی كتابهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشان

مما الاسلاف والاخلاف ...

هو الله سبحانه وتع ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تع فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تع بطاعته فهي في الحقيقة لطاعة الله عز وجل وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تع فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به تع لا تتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تع وحيث لم يخصوها به تع لم يخصوا العبادة به سبحانه لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفئوا نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجب لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء النار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر في ذلك انحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حججه النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القران العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القران ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد ومن الشرايع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي عليه السلام هذا او قد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخه ويأبى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تع يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشانه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القران الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله تع ولو كره المشركون كما فيما سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله يا ايها الذين امنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما ياتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرايع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر في التورية والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين الغير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزلت كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تع لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وما ادى زكوته فليس بكنز اي وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا عليه الوعيد مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد به ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم خبر الموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون يوم يحمى عليها في نار جهنم اي توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رض اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تع ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر

[illegible]

لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله و قوله عز وعلا يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تع الاجرام والحركات والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه من محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رض قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه الدين القيم المستقيم دين ابراهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخ وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخ ويؤيد الاول انه عليه السلام حصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع مضمرهم مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصر بسبب تقواهم انما النسيء هو مصدر نسأه اذا اخره نسأ ونساء ونسيئا نحو مس مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء الاولى فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تاخير حرمة شهر الى شهر آخر زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون حينئذ رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضلل ونضل بنون العظمة يحلونه اي الشهر المؤخر عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كان والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى آلهتهم كما سيجيء عاما آخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدر من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رض اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها الذين امنوا رجوع الى حث المؤمنين وترغيبهم

عزائمهم اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وتقاعستم اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اى اى شئ حصل وحاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم عليه السلام انفروا اى اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اى ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكارى التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ انما هو الاول الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اى اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عليه السلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة اى بدل الاخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اى فما التمتع بها وبلذائذها في الاخرة اى في جنب الاخرة الا قليل اى مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحيوة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعى الرغبة فيها وتجريد الاخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شان الاخرة وعلوها الا تنفروا اى ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اى الله عز وجل عذابا اليما اى يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد اهلاككم قوما غيركم وصفهم بالمغايرة لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستيصال اى قوما مطيعين مؤثرين للاخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اى لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغنى عن كل شئ في كل شئ وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله على كل شئ قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين الا تنصروه فقد نصره الله اى ان لم تنصروه فسينصره الله الذى قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره اذ اخرجه الذين كفروا اى تسببوا لخروجه حيث اذن له عليه السلام في ذلك حين هموا باخراجه ثانى اثنين حال من ضميره عليه السلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجرى الناقص مجرى المقصور في الاعراب اى احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وقد مر في قوله تع لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة وجعله عليه السلام ثانيهما لمزية الصديق امامه وتقدمه في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الاخبار محل مستغنى عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثانى لصاحبه اى الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شائبة من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تع حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تع بابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضى الله عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا من انكر صحبة ابى بكر رضى الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه وتع فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج واما النبي عليه السلام فكان على طمانينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار وفائدة وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وفي تعرضه عز وعلا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعنى الشرك او دعوة الكفر الجعل لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله اى التوحيد او دعوة الاسلام هي العليا لا يتبدل شانها للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير حالها وتوسيط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله تع خفافا وثقالا حالان من ضمير المخاطبين اى على كل حال من يسر او عسر حاصلين باى سبب كان من الصحة والمرض والغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم وغير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقى وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اى الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك لا قوله اثاقلتم لان الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله سيالكوتي

اعلى ان انفر قال عليه السلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رض نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه واعواز الآخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزى مكانه من حاله على عكس حاله الى هذا ذهب ابو حنيفة من العلماء وقيل هو ايجاب القسم الاول فقط ذلكم اى ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف خير لكم اى خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى تركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون اى تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تع فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم اى لو كان ما دعوا اليه عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اى لو كان ذلك غنما سهل الماخذ قريب المنال وسفرا قاصدا ذا قصد بين القريب والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اى المسافة الشاطة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون اى المتخلفون عن الغزو وقوله تع بالله اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اى سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ اى لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تع لخرجنا معكم ساد مسد جوابى القسم والشرط جميعا اما على الثانى فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تع سيحلفون بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه السلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اى مهلكين انفسهم او من فاعل لخرجنا جئ به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل حلف ليفعلن مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اى في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا عفا الله عنك صريح في انه سبحانه وتع قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه عند استئذان المستخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة وان ذلك لاعتماده على ايمانهم ومواثيقهم لخلوها عن المزاحم من ترك الاولى والافضل الذى هو الثانى والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم اى لاى سبب اذنت لهم بالتخلف حين اعتلوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغى ان يكون امره عليه السلام منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار مشفوعا بالايمان كان بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستاذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله تع حتى يتبين لك الذين صدقوا اى فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك وتعلم الكاذبين في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى الافضل وتخصيص له عليه السلام فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تع لم اذنت لاستلزامه ان يكون اذنه عليه السلام لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تانيت حتى ينجلى الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشئ اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله تع كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذى صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثانى باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين وان ما صدر من الآخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلى فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستانفا واسناده الى ضميره عليه السلام لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علمه عليه السلام بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين وتعليق العلم بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصفا الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العتاب

من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولى الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر العفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت هب انه كناية اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله تع لو خرجوا الخ وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تع ولكن كره الله انبعاثهم الاية نعم كان الاولى تاخير الاذن حتى يظهر كذبهم اثر ذي اثير ويفتضحوا على رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه السلام وارضوه بالاكاذيب على انها لم يهنأ لهم عيش وما قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر تنبيه على انه كان ينبغي ان يستدل باستئذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن ان يستأذنوك في التخلف وحيث استأذنك هؤلاء المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فتوجه النفي الى القيد يمتاز المؤمن من المنافق وهو وان كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه بادي الامر لكن عامة احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل هو الجهاد اي لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد كراهة ان يجاهدوا بناء على ان الاستئذان في الجهاد ربما يكون لكراهته ولا يخفى ان الاستئذان في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستئذان لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستئذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي نفي من المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم لم يستأذنوا في الجهاد لكراهتهم له بل انما استأذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزال الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كأنه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستأذنك اي في التخلف مطلقا على الاول ولكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحيوة الابدية والنعيم المقيم الخالد بالحيوة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر والتعبير عنه به مما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدته وقرئ عده بكسر العين وعده بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله تع انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما انه تع كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تع كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن الرسول عليه السلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين اما المعذورون او غيرهم وايا ما كان فغير خال عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء الا خبالا اي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذاك ولاوضعوا خلالكم اي ولاسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولارقصوا من رقصت الناقة اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استئناف وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما او مستأنفة ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد وكيفية العناد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كلي كره الله انبعاثهم فلم يتيسر اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن

خروجهم لهذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه السلام اظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتيسر لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الايات النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما ياتي منهم فيما سياتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك من قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعد ما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه السلام فردهم الله تع خاسئين وقلبوا لك الامور تقليب الامر تصريفه من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق اي النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك او على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول عليه السلام والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تع لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات بها ليس مما يمكن تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني اي لا توقعني في الفتنة وهي العصيان والاثم بان لا تاذن لي فاني متخلف لا محالة اذنت او لم تاذن او لا تفتني في المعصية بالمخالفة او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمالي فاتركني ولا تفتني من افتنه بمعنى فتنه الا في الفتنة اي في عينها ونفسها واكمل افرادها الغني عن الوصف بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس به سقطوا لا في شيء مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراءة على الاستئذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انها منجى من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين وقوله تع وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اي جامعة لهم يوم القيمة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار او محيطة بهم الان تنزيلا للشيء الذي سيقع عن قريب منزلة الواقع او وصفا لاسباب الشيء موضعه فان مبادي احاطتها الناس بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الان من جميع الجوانب و جملتها ما فروا منه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق وهي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشاة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشاة الاخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم وان تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لارائهم قد اخذنا امرنا اي تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل اي من قبل اصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه الصلاة والسلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم دون المصيبة بان يقال وان تصبك مصيبة تسرهم للايذان باختلاف حالهم حالتي عروض المساءة والمسرة بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا من فيعل لا من فعل لانه واوي يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب الا ما كتب الله لنا اي اثبته لمصلحتنا الدنيوية او الاخروية من النصرة عليكم او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادي العادية والفاء للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استيجابه تع للتوكل عليه كما في قوله تع واياي فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المامور به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله تع امر المؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان امر الغائب واما على الوجه

الاول فهو لابراز كمال العناية بشان المامور به والاشعار بما بينه وبين ما امر به اولا من الفرق فى السياق والتربص التمكث
مع انتظار مجئ شئ اخير اى ان او شرا والباء للتعدية واحدى التائين محذوف اى ما تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اى العاقبتين
اللتين كل واحدة منهما هى حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم فى الجواب الاول وكشف لحقيقة
الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوئين
من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله
وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقى كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم قل
انفقوا اموالكم فى سبيل الله طوعا او كرها مصدران وضعا موقع الحال اى طائعين او كارهين وهو امر فى معنى الخبر كقوله
استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام فى سلك الامر للمبالغة فى بيان
تساوى الامرين فى عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل نتقبل منهم فيشاهدوا
عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان
يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اى عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل
منهم وقرى بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشياء اى ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شئ
من الاشياء الا كفرهم وقرى يقبل على البناء للفاعل وهو الله تع ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى اى لا ياتونها فى حال من الاحوال
الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى
طوعا اى من غير الزام من جهته عليه السلام لا رغبة او هو فرض لتوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك
استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا بما يكابدون لجمعها
وحفظها من المتاعب ويقاسون فيها من الشدائد والمصايب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن
النظر فى العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم فى الدين والاسلام
وما هم منكم فى ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان
الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو
للتقية اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اى مكانا حصينا يلجأون اليه من راس جبل او قلعة او جزيرة واشار بصيغة
الاستقبال فى الشرط وان كان المعنى على المضى لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفى الواقع موقع الماضى
ليس نصا فى افادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما تقتضيه من المقام فان معنى
قولك لو تحسن الى لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر
يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق فى موضعه او مغارات اى غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرى
بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار اذا دخل الغور اى امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهاليهم
ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغار او مدخلا اى نفقا يندسون فيه وينجحرون فيه وهو مفتعل
من الدخول وقرى مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال اى مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرى متدخلا ومندخلا
من التدخل والاندخال لولوا اليه اى لصرفوا وجوههم واقبلوا وقرى لوالوا اى لالتجأوا اليه اى الى احد ما ذكر وهم
يجمحون اى يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شئ من الفرس الجموح وهو الذى لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم
وقرى يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرى بضمها اى يعيبك سرا وقرى يلمزك
ويلامزك مبالغة فى الصدقات اى فى شانها فان اعطوا منها بيان لفساد لمزهم وانه لا منشا له سوى حرصهم على حطام
الدنيا اى ان اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع فى القسمة واستحسنوها وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم
يسخطون اى يفاجئون السخط واذا نائب مناب فاء الجزاء قيل نزلت الاية فى ابى الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم
يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمى راس الخوارج كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول
الله فقال عليه السلام ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله
اى ما اعطاهم الرسول عليه السلام من الصدقات طيبى النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما
فعله الرسول عليه السلام كان بامره سبحانه وقالوا حسبنا الله اى كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله
ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل انا الى الله راغبون فى ان يخولنا فضله والاية باسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف
بناء على ظهوره اى لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع فى تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان
المصارف ورد لمقالة القالة فى ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق

اى جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اى مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا تتجاوزهم
الى غيرهم كانه قيل انما هى لهم لا لغيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم ان يتكلموا فيها
وفى قاسمها والفقير من له ادنى شئ والمسكين من لا شئ له هو المروى عن ابى حنيفة رض وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه
يدل عليه والعاملين عليها الساعين فى جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم اصناف فمنهم اشراف العرب كان رسول الله عم
يستالفهم ليسلموا فرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصين والاقرع
بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول عم
من خمس الخمس الذى هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعى الزكوة وقد سقط سهم
هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله عز وعلا واعلا كلمته استغنى عن ذلك وفى الرقاب اى
وللصرف فى فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشئ منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها
الرقاب فتعتق وايا ما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان
بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما فى الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما فى الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم فى استحقاق
الصدقة لما ان فى للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها والغارمين اى الذين تدينوا لانفسهم فى غير معصية
اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعى من غرم لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة بين القبيلتين وان
كانوا اغنياء وفى سبيل الله اى فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل اى المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف فى
الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما فى الاستحقاق او لما ذكر من ايرادهما بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص فهذه مصارف
الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل احد منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا تخرج عنهم الا لاثبات الاستحقاق
وقد روى ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضى الله عنهم وعند الشافعى لا يجوز الا ان يصرف الى ثلاثة من كل الاصناف
فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الاية اى فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله
مقدرا اى فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن فى قوله للفقراء اى انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اى
مفروضة والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التى من جملتها
سوق الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين يؤذون النبى نزلت فى جماعة من المنافقين قالوا فى حقه عليه السلام ما لا ينبغى فقال بعضهم
لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما
نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو اذن اى يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق
بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا او
يصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق فى الدلالة على المبالغة فى
الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن فى الخير والحق وفيما ينبغى سماعه وقبوله لا
فى غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اى هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرى اذن بسكون الذال
فيهما وقرى اذن خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اى يصدق بالله تع لما قام عنده
من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اى يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص
واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما فى قوله تع انؤمن لك وقوله تع فما آمن لموسى الخ
ورحمة عطف على اذن خير اى وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اى للذين اظهروا الايمان
منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم فى ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد
الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث
ما له من قرار وقرى بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اى ياذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بما نقل عنهم من قولهم
هو اذن ونحوه وفى صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله
تع فيما سياتى فان يتوبوا يك خيرا لهم لهم بما يجترئون عليه من اذيته عليه السلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول عذاب
اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفى تكرير الاسناد باثبات العذاب الاليم
لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم و
التنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة وكان
المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اى يحلفون
لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث اذاة النبى صلى الله عليه وسلم واما التخلف عن الجهاد فليس بداخل فى هذا الاعتذار ليرضوكم
بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول عليه السلام وقد قبل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم
للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى ارضائه عليه السلام وانه عليه السلام انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم

لا عن رضى بما فعلوا كما اشير اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اي احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه
عليه السلام في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما يرضى بها من انحصر طريق علمه
في الاخبار الى ان يجئ الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون اي يحلفون لكم لارضائكم والحال انه تع ورسوله
احق بالارضاء منكم اي يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يغنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان
رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاؤه عليه السلام ارضاء له تع لقوله تع من يطع الرسول فقد اطاع الله
واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتاويل المذكور كما في قول رؤبة فيها خطوط من سواد
وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك لا يقال اي حاجة الى الاستعارة بعد التاويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة
لم يتسن التاويل لما ان الضمير لا يتعرض الا للذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التي من جملتها المذكورية وانما
المتعرض لها اسم الاشارة واما لانه عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه
سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف او الى الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى
لدلالته وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد ان كانوا مؤمنين جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه اي ان كانوا مؤمنين
فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضاء الم يعلموا اي اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه
من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والانذارات انه اي الشان من يحادد الله ورسوله المحادة من الحد كالمشاقة من الشق
المعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية
جوابها قوله تع فان له نار جهنم على ان خبره محذوف اي فحق ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع
على انها خبر لان وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله وان تكرير للاولى تاكيدا لطول العهد لا من باب
التاكيد اللفظي المانع للاولى من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانون انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها
وقد جوز ان يكون فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوفا تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له
الخ ورد بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور
ان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فالامر ظاهر ذلك اشير الى ما ذكر من العذاب
الخالد بذلك ايذانا ببعد درجته في الهول والفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي
ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤس الاشهاد بظهورها ولحوق العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم في شانهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه
فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين
على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال
مذاعة فكانها تخبرهم بها او المراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه
فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالي بالتفكيك
عند ظهور الامر بعود المعنى اليه اي يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك
عليهم استارهم قال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزؤن به ولذلك قيل قل استهزؤا اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد
ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل او من الكمون الى البروز ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة ومن مخازيكم
ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملاء الناس والتاكيد لرد انكارهم بذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور اذ
لم يحذروه بطريق الحقيقة ولئن سالتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي انه عليه السلام كان يسير في غزوة تبوك
وبين يديه ركب من المنافقين يستهزؤن بالقران وبالرسول عليه السلام ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح
حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فاطلع الله تع نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا
فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر
قل غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء منهم موبخا لهم على ظلمهم
ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته
لا تعتذروا اي لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها معلومة الكذب بينة البطلان قد كفرتم اي اظهرتم
الكفر بايذاء الرسول عليه السلام والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او
لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف على البناء للمفعول مسندا الى الظرف وتذكير
الفعل وبتانيثه بمضادة الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة نعذب بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء

للمفعول مسندا الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على الاجرام وهم غير التائبين او مباشرين له وهم غير المحسن قال محمد
بن اسحق الذي عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الاية تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية
تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت
فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال
عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم من بعض اي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص
وقيل اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تع وما هم منكم وقوله تعالى
يامرون بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة استيناف مقرر لمضمون ما سبق مفصح
عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان ويقبضون ايديهم اي عن المبرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية
عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله لهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة ان المنافقين هم
الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاظهار في موقع الاضمار لزيادة
التقرير كما في قوله تع وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي حسبهم
عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها ولعنهم الله اي ابعدهم من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم الجليل من
الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا ولهم عذاب مقيم
معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يامنون ساعة من خوف
الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على سرهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى الخطاب بالتشديد والكاف في محل الرفع
على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد
منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا وفي صيغة الاستفعال
ما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير
وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين
من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب
الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي
خاضوا اي كالذين باسقاط النون او كالفوج الذي او كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف
المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم
مفهوما ضمنا لا صريحا ويؤدي الى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر حينئذ اولئكم او الخطاب لرسول الله عليه السلام
او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم المعدودة
كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فان غائلتها غنية عن البيان بل اعمالهم التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو كانت
مع الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر في الدنيا والاخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الاخرة فظاهر واما
في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس ترتبه عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج
واولئك اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه و
اسبابه طرا فانه قد ذهبت رؤس اموالهم التي هي اعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا
ينفعهم لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران الم يأتهم
اي المنافقين نبأ الذين من قبلهم اي خبرهم الذي له شان وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها
سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات
استيناف لبيان نبأهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم
فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك واشار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اي ما صح وما استقام
له ان يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على
استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من
غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تع وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم
من غير قصر للظلم على الفاعل او المفعول وسيجيء لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم
يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح حال اضدادهم
عاجلا وآجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء لبعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بمن الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء

بطريق القرابة الدينيه المبنيه على المعاقد المستتبعه للاثار من المعونة والنصره وغير ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعه والعاده يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اى جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ويؤتون الزكاة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو فى مقابلة ما سبق من قوله تع نسوا الله ويطيعون الله ورسوله بمقابلة قوله تع ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله اى فى كل امر ونهى وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعه اولئك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم فى الفضل اى اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليله سيرحمهم الله اى يفيض عليهم اثار رحمته من التائيد والنصر البته فان السين مؤكدة للوقوع كما فى قولك سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد اى قوى قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبنى احكامه على اساس الحكم الداعيه الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصيه وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق فى شان المنافقين من قوله تع فنسيهم وعيد بهم متضمن لوعد المؤمنين فان سعه لطفه تع عنهم لطف فى حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لاثار رحمته الاخرويه اثر ذكر رحمته الدنيويه والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعليه وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الامر بالمعروف وغير ذلك للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اى وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم فى مراتب الفضل كيفا وكما جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد منهم فائز بها لا محاله ومساكن طيبة اى وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش فى الخبر انها قصور من اللولؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنات عدن هى ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبى عليه السلام عدن دار الله لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رض ان فى الجنه قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حرة لا يدخله الا نبى او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رض هى بطنان الجنه وسرتها فعدن على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوى اعنى الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو اشرف الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجاريه ليميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اى وشىء يسير من رضوانه تع اكبر اذ عليه يدور فوز كل خير وسعاده وبه يناط كل شرف وسياده ولعل عدم نظمه فى سلك الوعد مع عزته فى نفسه لانه متحقق فى ضمن كل موعود ولانه مستمر فى الدارين روى انه تع يقول لاهل الجنه هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا اى شىء افضل من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته فى العظم والفخامه هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شىء من نعيم الاخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضه ما سقى الكافر منها شربة ماء ولله در من قال تالله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا وما من رزقها رغدا ما كان من حق حر ان يذل بها فكيف وهى متاع يضمحل غدا يا ايها النبى جاهد الكفار اى المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم فى ذلك ولا تحابهم قال عطاء نسخت هذه الاية كل شىء من العفو والصفح وماواهم جهنم جملة مستانفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حاليه وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بجهادهم والغلظة عليهم ودخول جهنم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصارى للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يديه فقال انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل واثار صيغه الاستقبال فى يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغه الجمع فى قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة الكفر هى ما حكى انفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اى واظهروا ما فى قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عليه السلام عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم

متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل اراد وا ان يتوجوا عبد الله ابن ابى سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا اى وما انكروا وما عابوا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتع وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله عليه السلام بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اى وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تع اياهم او وما انكروا ما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيرا لهم فى الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اى استمروا على ما كانوا عليه من التولى والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقاب والاخرة بالنار وغيرها من افانين العقاب وما لهم فى الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصحح لوجدان ما نفى بقوله عز وجل من ولى ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعه ومنهم بيان لقبائح بعض اخر منهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن لنؤتين الزكاة وغيرها من الصدقات ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رض يريد الحج وقرى بالنون الخفيفه فيهما قيل نزلت فى ثعلبة بن حاطب اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدى حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينه فنزل واديا وانقطع من الجماعة والجمعه فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبه فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبه فسالاه الصدقه واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزيه ما هذه الا اخت الجزيه وقال ارجعا حتى ارى رأيى وذلك قوله عز وجل فلما اتاهم من فضله بخلوا به اى منعوا حق الله منه وتولوا اى اعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبه مرتين فنزلت فجاء ثعلبه بالصدقه فقال عليه السلام ان الله منعنى ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال عليه السلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فقبض عليه السلام فجاء بها الى ابى بكر رض فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رض فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى خلافة عثمان رض وقيل نزلت فيه وفى سهل بن الحرث وجد بن القيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضه اى وهم قوم عادتهم الاعراض او حاليه اى تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اى جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا راسخا فى قلوبهم الى يوم يلقونه الى يوم موتهم الذى يلقون الله تع عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمه وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم ولا يلائمه قوله عز وجل بما اخلفوا الله ما وعدوه اى بسبب اخلافهم ما وعدوه تع من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون اى وبكونهم مستمرين على الكذب فى جميع المقالات التى من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب بريؤدى الى تخلية الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل عن المزيه فان تسبيب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقضى باسناده الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل النفاق والتحقيق انه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع منبئة عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولى والاعراض وفيها ما لا دخل له فى الترتب المذكور كالمعاهدة ازيح ما فى ذلك من الابهام بتعيين ما هو المدار فى ذلك والله تع اعلم وقرى بتشديد الذال الم يعلموا اى المنافقون او من عاهد الله تع وقرى بالتاء الفوقانيه خطابا بالمؤمنين فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم اى ما اسروه فى انفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقه جزيه وغير ذلك مما لا خير فيه وسر تقديم السر على النجوى سيظهر فى قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهاده وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شىء من الاشياء حتى اجترءوا على ما اجترءوا عليه من العظائم واظهار اسم الجلاله فى الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابه وفى ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم الحادثين شيئا فشيئا بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمه بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغه من الفخامه والجزاله ما لا يخفى وعلى الثانى لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تع مؤاخذهم ومجازيهم بما علم من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدليه من الضمير فى سرهم ونجواهم وقرى بضم الميم وهى لغة اى يعيبون المطوعين اى المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين وقوله تع فى الصدقات متعلق بيلمزون روى ان رسول الله عليه السلام حث الناس على الصدقه فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقيه من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لى ثمانية الاف فاقرضت ربى اربعه وامسكت لعيالى اربعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع من تمر فقال بت ليلى اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان نشح على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابى عقيل
ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم عطف على المطوعين اى ويلمزون الذين
لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون
منهم عطف على يلمزون اى يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية و
التعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم عذاب اليم اى ثابت لهم التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم
او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه فى استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة فى بيان
استوائهما كانه عليه السلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى ليظهر له جلية الامر كما مر فى قوله عز وجل انفقوا
طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة فى الاستغفار اثر بيان
الاستواء بينه وبين عدمه روى ان عبد الله بن عبد الله بن ابى وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض
ابيه ان يستغفر له ففعل عليه السلام فنزلت فقال عليه السلام محافظة على ما هو الاصل من مراتب الاعداد حدود معينة
يخالف حكم كل واحد منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لى فساز يدعلى السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة فى مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد
باسره وقيل هى اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلاثة وثلثها اثنان
وسدسها واحد وجملتها ستة وهى مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال
اذ الآحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة فى الاستغفار اى
ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل بانهم اى بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح
به وصفهم بالفسق فى قوله عز وعلا والله لا يهدى القوم الفاسقين فان الفسق فى كل شئ عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده
اى لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التى عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية
بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهى متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل لحكم ما
قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هى بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه
تنبيه على عذر النبى عليه السلام فى استغفاره لهم وهو عدم ياسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغى والضلال
اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل فرح المخلفون اى الذين خلفهم النبى صلى الله عليه وسلم
بالاذن فى القعود عند استيذانهم او خلفهم الله بتثبيطه اياهم لما علم فى ذلك من الحكم الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم
بمقعدهم متعلق بفرح اى بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اى خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام
خلاف الحى اى بعدهم ظعنوا او لم يظعنوا ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح
اى فرحوا لاجل مخالفته عليه السلام بالقعود واما مقعدهم اى فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عليه السلام او على انه حال
والعامل احد المذكورين اى فرحوا مخالفين له عليه السلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام وكرهوا ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله لا ايثارا للدعة والخوض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما فى قلوبهم من الكفر والنفاق فان
ايثار احد الامرين قد تحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الآخر رتبة الكراهية وانما اوثر ما عليه النظم الكريم على
ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد فى سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التى يجب
ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بافحش القبائح الذى هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
اى لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن
المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خلال من خصال الكفر والضلال
الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهى الغير عن ذلك لا تنفروا فى الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم
نار جهنم التى ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون
انفسكم لها بايثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلى من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المامور به مؤكد
لمضمونه وجواب لو اما مقدر اى لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هى او ان مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او للتاثر وامهنا
الالزام واما غير منوى على ان لو لمجرد التمنى المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اى لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما فى قوله عز وجل
قل انظروا ماذا فى السموات والارض الآية فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن عاجل امرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء
الطويل المؤدى اليه اعمالهم السيئة التى من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء
لا لنفسهما اذ لا يتصور السببية فى الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اى ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او
زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه فى صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المامور به
خلا ان المقصود افادته فى الاول هو وصف القلة فقط وفى الثانى وصف الكثرة مع الموصوف يروى ان اهل النفاق يبكون

فى النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة
عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصى والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة
على الاستمرار التجددى ما داموا فى الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثانى اى ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اى يجزون
بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كانوا يكسبون من المعاصى المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الآتى على ما بين من امرهم
والفعل من الرجع المتعدى دون الرجوع اللازم اى ان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اى الى المنافقين من المتخلفين فى المدينة
فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقى من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة
عن البلد او بان لم يستاذن البعض عن قتادة انهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ما قيل فاستاذنوك للخروج معك الى
غزوة اخرى بعد غزوتك هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم من محفل صحبتك لن تخرجوا معى ابدا ولن
تقاتلوا معى عدوا من الاعداء وهو اخبار فى معنى النهى للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف اى لانكم رضيتم
بالقعود اى عن الغزو وفرحتم بذلك اول مرة هى غزوة تبوك فاقعدوا الفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما
صدر عنهم من الرضى بالقعود اى اذ رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اى المتخلفين الذين ديدنهم
القعود والتخلف دائما وقرئ المتخلفين على القصر وكان محو اساميهم عن دفتر المجاهدين ولزمهم فى قرن الخالفين عقوبة لهم اى
عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هى كبرى امراة
او اولى من ولا تصل على احد منهم مات صفة لاحد وانما جئ بصيغة الماضى تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهى اى لا
تدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اى لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء روى انه عليه السلام كان يقوم على
قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض راس المنافقين عبد الله بن ابى بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لياتيه
فلما دخل عليه قال عليه السلام اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لى لا لتؤنبنى وساله ان
يكفنه فى شعاره الذى يلى جلده ويصلى عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه عليه السلام تسلية له ومراعاة
لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلاة او صلى نزلت وعن عمر رضى الله عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابى ووضع للصلاة
عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلى على عدو الله القائل يوم كذا او كذا والقائل يوم كذا وكذا وعددت ايامه
الخبيثة فتبسم عليه السلام وصلى عليه ثم تمشى معه وقام على قبره حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل الخ فما صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه السلام لان الضنة بالقميص كانت
مظنة الاخلال بالكرم على انه كان مكافاة لقميصه الذى كان البسه العباس رضى الله عنه حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله
ورسوله تعليل للنهى على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل فى حقهم لانهم
استمروا على الكفر بالله وبرسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اى متمردون فى الكفر خارجون عن حدوده كما بين من معنى
الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذا فى حق فريق غير الفريق
الاول وتقديم الاموال فى امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات
وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الآباء والامهات والاولاد فى كل وقت وحين حتى ان من له اولاد
ولا مال له فهو واولاده فى ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان الاموال المتوية انما
تحصل من الاغنياء كما سياتى فى سورة الكهف انما يريد الله بما متعهم به من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها فى الدنيا
بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد فى شانها وتزهق انفسهم وهم كافرون اى فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع
بها والالتهاء عن النظر والتدبر فى العواقب واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله ان مفسرة
لما فى الانزال من معنى القول والوحى او مصدرية حذف عنها الجار اى بان آمنوا وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته
استاذنك اولوا الطول منهم اى ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيرى لاستاذنك مغن
عن ذكر ما استاذنوا فيه يعنى القعود ذرنا نكن مع القاعدين اى مع الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استئناف
لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم بكلا الامرين وان لم يردوا الاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتى شانهن
القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه وطبع على قلوبهم بسبب ذلك فهم لا يفقهون ما فى الايمان
بالله وطاعته فى اوامره ونواهيه واتباع رسوله عليه السلام والجهاد من السعادة وما فى اضداد ذلك من الشقاوة لكن
الرسول والذين آمنوا معه بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله فى شئ وان لم يعرضوا عنه صريحا
اعراضهم عن الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المذكورة الخيرات اى منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى العقبى وقيل
الحور لقوله عز وعلا فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اى الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا
من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويها لشانهم وربا لمكانهم اعد الله لهم استئناف لبيان كونهم مفلحين اى هيا

باستيذانهم فى القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم
اى ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض
من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد

لهم فى الاخرة جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى مافهم
من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه وجاء المعذرون من
الاعراب ليؤذن لهم شروع فى بيان احوال منافقى الاعراب اثر بيان منافقى اهل المدينه والمعذرون من عذر فى الامر اذا
قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء فى الذال ونقل
حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد فى العذر والاحتشاد فيه قيل هم
اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا الجهد فاذن لنا فى التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغار
اعراب طى على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنينى الله تع عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم
الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء
لا تدغم فى العين ادغامها فى الطاء والزاء والصاد فى المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه
فسر المعذرون والمعذرون اى الذين لم يفرطوا فى العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا
ولم يعتذروا واظهروا انهم كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اى من الاعراب ومن المعتذرين
فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر فى الدنيا والنار فى الاخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى
كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبنى عذرة حرج اثم فى التخلف اذا نصحوا لله ورسوله
وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما فى السر والعلن وتوليهما فى السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الولى
الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل استيناف مقرر لمضمون ما سبق اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن
مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله فى سلك المحسنين او تعليل لنفى الحرج
عنهم اى ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير الى ان بهم حاجة الى
المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله تع فيما سياتى انما السبيل
الاية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم
بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نذرنا الخروج فاحملنا
على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل
وسويد ونعمان وقيل ابو موسى الاشعرى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف فى اتوك باضمار قد وما عامة
لما سالوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه عادة وفى ايثار لا اجد على ليس عندى من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين
ما لا يخفى كانه عليه السلام يطلب ما يسالونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اى تسيل بشدة من
الدمع اى دمعا فان من البيانية مع مجرورها فى حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لافادته ان العين بعينها
صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله
اى يفيض للحزن فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا له وحزنين او يحزنون حزنا فيكون هذه الجملة حالا من
الضمير فى تفيض الا يجدوا على حذف لام متعلقة بحزنا او تفيض اى لئلا يجدوا ما ينفقون فى شراء ما يحتاجون اليه اذا لم
يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك فى التخلف وهم اغنياء واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم رضوا
استيناف تعليلى لما سبق كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين شانهم الضعة
والدناءة وطبع الله على قلوبهم اى خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به
وما يستتبعه اجلا كما لم يعلموا بخساسة شانه عاجلا يعتذرون اليكم استيناف لبيان ما يتصدون له عند القفول اليهم
روى انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه السلام اليهم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل والخطاب لرسول الله
عليه السلام واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله عليه السلام فقط اى يعتذرون اليكم فى التخلف
اذا رجعتم من الغزو منتهين اليهم وانما لم يقل الى المدينه ايذانا بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينه
فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها قل تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما
سبق لاصحابه ايضا لما ان الجواب وظيفته عليه السلام واما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين لشمول الرجوع لهم لا تعتذروا اى
لا تفعلوا الاعتذار كقوله تع احفوا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير لما التعرض لعنوان كذبها فلا يساعد
قوله تع لن نؤمن لكم اى لن نصدقكم فى ذلك ابدا فانه استيناف تعليلى للنهى مبنى على سؤال من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق
فى الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل
قد نبانا الله من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق اى علمنا بالوحى بعض اخباركم المنافيه للتصديق مما اشرتموه من الشر والفساد
واضمرتموه فى ضمائركم وهيأتموه للابراز فى معرض الاعتذار من الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم فى الموضعين للمبالغة فى حسم اطماعهم
راسا ببيان عدم رواج اعتذارهم عن احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم فى تصديق الرسول ايضا

عليه السلام بواسطة المصدقين للايذان باقتضاء حجرهم من المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سياتى اتتوبون الله تع مما انتم
فيه من النفاق ام تثبتون وكانه استتابه وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على فاعله من قوله تع ورسوله للايذان
باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون يوم القيمة الى عالم
الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتع بجميع اعمالهم
الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند رد كم اليه ووقوفكم بين يديه
بما كنتم تعملون اى بما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعائد
اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به واشارها عليها للمراعاة ما سبق من قوله
قد نبانا الله الخ فان المنبا به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم ما كانوا عالمين فى الدنيا حقيقة اعمالهم وانما يعلمونها
يومئذ سيحلفون بالله لكم تاكيدا لمعاذيرهم الكاذبة وتقريرا لها والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام
وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة بدل من يعتذرون او بيان له اذا انقلبتم اى انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى
الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الايذان بانه ليس لدفع
ما خاطبهم النبى صلى الله عليه وسلم به من قوله تع لا تعتذروا الخ بل هو امر مبتدأ لتعرضوا عنهم وتصفحوا عنهم صفح رضا فلا
توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تع لترضوا عنهم فاعرضوا عنهم لكن لا اعراض رضا كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب
ومقت كما يعرب عنه قوله تع انهم رجس فانه صريح فى ان المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحانى
واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض
لهم بها وقوله عز وعلا وماواهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعى الاجتناب عنهم وموجبات ترك
استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم فى ذلك جزاء نصب
على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اى يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا
كانه قيل يجزون جزاء بما كانوا يكسبون فى الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر
المحلوف به لظهوره اى يحلفون به تع لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم حسبما
راموا وساعدتموهم فى ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله ساخط عليهم
ولا اثر لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجبة لما حل بهم
من السخط وللايذان بشمول الحكم لمن شاركهم فى ذلك والمراد به نهى المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة
على ابلغ وجه واكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله تع مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى
المؤمنين من دواعى رضى الله تع قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبى عليه السلام
للمنافقين حين قدم المدينه لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابى يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب هى صيغة جمع
وليست بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادى
ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادى ولهذا نسب الى الاعراب على لفظه فقيل اعرابى قال اهل اللغة رجل
عربى وجمعه العرب كما يقال مجوسى ويهودى ثم يحذف ياء النسب فى الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابى ويجمع على
الاعراب والاعاريب اى اصحاب البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشائهم فى معزل
من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده كما فى قوله تع وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم
كما ذكر على ما ستحيط به خبرا واجدر الا يعلموا اى احق واخلق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه عليه السلم
وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرايع فى تضاعيف الكتاب والسنه والله عليم باحوال الكل من اهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الاعراب شروع فى بيان تشعب جنس الاعراب الى فريقين
وعدم انحصارهم فى الفريق المذكور كما يترآى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان
تماديهم فيهما وحمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون من يحكى حاله بعضا منهم وهم الذين بصدد الانفاق
من اهل النفاق دون فقرائهم او اعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سياتى من قوله تع ومن الاعراب من يؤمن
الخ فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس الذى نعت بنعت بعض افراده من يتخذ ما ينفق من المال اى يعد ما
يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به صورة مغرما اى غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تع ليكون له مغنما
وانما ينفقه رياء وتقية فهى غرامة محضة وما فى صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من
الرياء والتقيه لا باعتبار ذات النفقه اعنى كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل الدائرة ما يحيط بالشئ والمراد بها ما لا محيص عنه
من مصائب الدهر اى ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلى به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم
بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر

بشر واضيفت اليه الداير ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت
في الاصل المصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرء سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء
فانما هي اضافة بيان وتاكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا راسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والله سميع بما يقولون
عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد
ما لا يخفى ومن الاعراب اي من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ اي ياخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار
ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله تع قربات اي ذرايع اليها وللايذان بما فيهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات
والجمع باعتبار انواع القربات او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول
اي وسائل اليها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عند اخذ صدقته
لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على آل ابي بن اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به
على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الآخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شأن
اتخاذ ما ينفقانه حالا وما لا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم
وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء لتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق
معلوم من سياق النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله تع بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم و
الضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه
كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية
القصوى وصلوات الرسول من ذرايعها وقوله تع سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة
كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد للاولين عقب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تع
ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستيناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن
من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من جهينة
ومزينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين
اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الى الذين شهدوا بدرا او الى الذين اسلموا قبل الهجرة و
الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم
عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اي متلبسين به والمراد به كل
خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة
فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدا اي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء
اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا واعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها
كما في سائر المواقع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد
لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب وممن حولكم من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي
اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي ممن حول بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة
واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تع مردوا على النفاق
اما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدا المذكور فصل
بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتدا خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع
الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد
عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو غير ان مرد لا يكاد
يستعمل الا في الشر فالترديد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو
الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله اعلم وقوله
عز شانه لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة
في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو
الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من
صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما
بهم وحمل عدم علمه عليه السلام باعيانهم على عدم علمه عليه السلام بعد مجيء هذا البيان على انه عليه السلام يعلم ان فيهم
منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم
في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا تخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار

الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز شانه سنعذبهم وعيد لهم
وتحقيق لحالهم حسبما علمه الله فيهم من موجباته والسين للتاكيد مرتين عن ابن عباس رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا
يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني في
اما القتل واما عذاب القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني
نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق
المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تع فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى ثم يردون
يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله
من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه
سبحانه وتع والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال طائفة من
المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي ومنهم يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون
اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا
بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما ليس فيه من المنافقين الذين
اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب ديدنهم المالوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد عند ما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب
عادته الكريمة فراهم كذلك فسال عن شانهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال عليه السلام وانا اقسم
ان لا احلهم حتى او مر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغيرها
وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط
لا سيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تع وآخر سيئا
فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما
من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفا
بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من الاعمال
السيئة اولا وآخرا وعن الكلبي التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم
عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب و
يتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب
خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام
ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها ما مورا بها ولما روي انه عليه السلام اخذ
منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل
تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير
المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره
بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه وانت تزكيهم بها اي
تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة
الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية
عطف على الاولى حالا وصفة من غير حاجة الى تقدير المبتدا لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف
عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن نفوسهم اليها و
تطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلاة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من
الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او
سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما يقتضيه الحكمة والجملة تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الآيتين محقق
لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير
لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسند الاخذ والتطهير والتزكية
اليه عليه السلام اي الم يعلم اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم
كما ينبئ عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد
وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات
المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية

وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شان النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تع ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم النصب سعلموا ايد كل واحد منهما مسد مفعوليه واما الغير التائبين من المؤمنين فقد روى انهم قالوا لما تيب على الاولين هولاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اى الم يعلموا اما للتائبين من الخصال الداعية الى الكرامة والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين وبحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تع وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذى من جملته التوبة وللاولين في الثبات على ما هم عليه اى قل لهم بعد ما بان لهم شان التوبة اعملوا ما تشاؤن من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا فسيرى الله عملكم اى خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتاكيد للترغيب والترهيب والسين للتاكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتاخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرويتين من التفاوت وان اريد بها ما لها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوى من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وستردون اى بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غنى عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلومات فوجب سبق العلم بالغيب على الشهادة وعن ابن عباس رض الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تع يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه واكد لا بهام ان علمه تع بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تع وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة واما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق علمه تع به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية فينبئكم عقب الرد الذى هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على آخرون قبله اى ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرى مرجئون من ارجيته وارجاته اى اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شانهم قال ابن عباس رض هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السوارى واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فتجنبهم والناس في شانهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامر الله تع اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذاك فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اى منهم هولاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدا ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرى والله غفور رحيم والذين اتخذوا مسجدا عطف على ما سبق اى يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اى مضارين للمؤمنين روى ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيصلى بهم في مسجدهم فلما فعله عليه السلام حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه ويصلى فيه ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا لرسول الله عليه السلام بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تع صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه عليه السلام اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين وكفرا تقوية للكفر الذى يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في مسجد قبا مجتمعين فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا ويختلف كلمتهم وارصادا اعدادا وانتظارا وترقبا لمن حارب الله ورسوله وهو الراهب الفاسق اى لاجله حتى يجيء فيصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل متعلق باتخذوا اى اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او بحارب اى حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اى ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الحسنى الا الخصلة الحسنى

وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين والارادة الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم للصلاة فيه في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه لمسجد اسس اى بنى اصله على التقوى يعنى مسجد قبا اسسه رسول الله عليه السلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهى يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس وخروج يوم الجمعه وقيل هو مسجد رسول الله عم بالمدينه وعن ابى سعيد رض سالت النبى صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينه واللام اما للابتدا او للقسم المحذوف اى والله لمسجد وعلى التقديرين فمسجد مبتدا وما بعده صفته وقوله تع من اول يوم اى من ايام تاسيسه متعلق باسس وقوله تع احق ان تقوم فيه اى للصلاة وذكر الله تع خبره وقوله تع فيه رجال جملة مستانفه مبينه لاحقية لقيامه عليه السلام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او صفة اخرى للمبتدا او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار راسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه او للافضليه في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم البانى ومن يشايعه في الاعتقاد وهو الانسب بما سياتى يحبون ان يتطهروا من المعاصى والخصال الذميمه لمرضاة الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين اى يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال اوَمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه السلام اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبه فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرى ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رض هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم افمن اسس بنيانه على بناء الفعل للفاعل والنصب وقرى على البناء للمفعول والرفع وقرى اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس واساس بالفتح والكسر جمع اس وقرى اساس بنيانه جمع اس ايضا واس بنيانه وهى جملة مستانفه مبينه لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اى بعد ما علم حالهم من اسس بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان اى على قاعدة محكمه هى التقوى من الله تع وابتغاء مرضاته بالطاعه والمراد بالتقوى درجتها الثانيه التى هى التوقى عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقرى تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون التانيث خير ام من اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا اختلافهما وصفا واضافة على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل اى استاصله واحتفر ما تحته فبقى واهيا يريد الانهدام والهار الهائر المتصدع المشرف الى السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا اى بغير موجب فجرى وجوه الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التى ادناها الجنه وتاسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرى جرف بسكون الراء والله لا يهدى القوم الظالمين اى لانفسهم او الواضعين للاشياء في غير مواضعها اى لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذى بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذى صلته فعله للايذان بكيفية بنائهم له وتاسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اى لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم اى سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقى بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم وهى اعتقادهم تخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا من امرهم بعد البناء اكثر مما كانوا اظهروه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين ونشات ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يامر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبى معنى ريبة حسرة وندامه وقال السدى وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى التاءين اى الا ان تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفيه اى لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقته

تقطعها عند قتلهم او فى القبور او فى النار وقرى تقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم اى الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرى على البناء للمجهول من الثلاثى مذكرا ومؤنثا وقرى الى ان تقطع والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرى ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التى من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم فى جميع افعاله التى من زمرتها امره الوارد فى حقهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين فى الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ فى ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التى بذلوها فى سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذى هو العمدة والمقصد فى العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذى هو الوسيلة فى الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد فى العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون فى مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بكمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة فى تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشئ لان مناط دلالة ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التى يستحيل وجودها فى الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون فى سبيل الله استيناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم فى سبيل الله تعالى ليس باشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لهما فى ذلك بل لبيان البيع الذى يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون فى سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله سبحانه وتعريض لهما للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال فى سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل فى سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد فى الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما فى كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرى بتقديم المبنى للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة فى الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت فى سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل فى حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقطع الطعن الا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل فى يقاتلون الخ معنى الامر كما فى قوله تعالى تجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تاخر لكان صفة له وقوله تعالى فى التورية والانجيل والقران متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اى وعدا مثبتا فى التورية والانجيل كما هو مثبت فى القران ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقيقة الوعد على نهج المبالغة فى كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره منهم فكيف بجناب الخلاق الغنى عن العالمين لتضمن ما قبله من حقيقة الوعد على نهج المبالغة فى كونه سبحانه اوفى بالعهد جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اى فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم فى الجهاد الذى عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذى بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا للبياعات فانه بيع للفانى بالباقى ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رض انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روى ان الانصار لما بايعوه عليه السلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة رض اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال عليه السلام اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقرأها فقال كلام من قال كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اى الجنة التى جعلت ثمنا

بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذى لا فوز اعظم منه وما فى ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته فى الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذى امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا فى نفسه فالجملة على الاول تذييل للاية الكريمة وعلى الثانى لقوله تعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح اى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اى التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اى المخلصون فى عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتى الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون فى الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون فى الصلاة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصى والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه باحد الوجهين وبشر المؤمنين اى الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وفى تخصيص الخطاب بالاولين اظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية ما كان للنبى والذين امنوا بالله وحده اى ما صح لهم فى حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اى المشركون اولى قربى اى ذوى قرابتهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما بين فى قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روى انه عليه السلام قال لعمه ابى طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا ثم قال انى استاذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى واستاذنته فى الاستغفار لها فلم ياذن لى وانزل على الايتين من بعد ما تبين لهم اى للنبى عليه السلام والمؤمنين انهم اى المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحى بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابراهيم لابيه بقوله واغفر لابى اى بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرى وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اى لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه آزر ناشئا عن شئ من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابراهيم عليه السلام اياه اى اباه وقد قرى كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله ساستغفر لك ربى بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اى لابراهيم بان اوحى اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اى تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس فى تركه ونظائره ان ابراهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استيناف لبيان ما كان يدعوه عليه السلام الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابراهيم عليه السلام كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان يأتسى به فى ذلك وتاكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو فى كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما استثنى عن الايتساء به فى قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق فى سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اى ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجرى عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحى صريحا او دلالة ما يتقون اى ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما ما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به فكانه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شئ عليم تعليل لما سبق اى انه تعالى عليم بجميع الاشياء التى من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل فى معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل ههنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وضمن ذلك التبرؤ منهم راسا بين لهم ان الله له ملك كل موجود ومتولى اموره والغالب عليه ولا يتاتى لهم نصرة ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بتبرئتهم عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبى قال ابن عباس رض هو العفو عن اذنه للمنافقين فى التخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو فى حق ثلاث سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل

التوبة وانه مامن مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى
الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه
وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير
المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي
عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجذب والقحط والضيقة
الشديدة ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل هاتيك المراتب من الشدة
للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم الى ان يميلوا الى التخلف
عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم الراجع اليه الضمير في منهم وقرئ بتانيث الفعل وقرئ
من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه
على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم استئناف
تعليلي فان صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني عن ايصال
المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا اي وتاب الله على الثلاثة الذين اخر امرهم
عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل منهم معذرة مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم بشيء الى ان نزل فيهم
الوحي وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة
وخلوف الفم وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب لان قوله تع حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخلف ولا يناسبه الا
المعنى الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم و
انقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم اي اذا رجعوا
الى انفسهم لا يطمئنون بشيء لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اي علموا
ان لا ملجأ من سخطه تع الا الى استغفاره ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من
جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ في قبول
التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الالاء مع استحقاقهم لافانين العقاب
روي ان ناسا من المسلمين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام
عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك و
انتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك فلا
جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتابط زاده ولحق به عليه السلام قال الحسن رض
كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع
اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال عليه السلام لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عم
رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت
له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة
حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح
فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال عليه السلام كن ابا خيثمة فكانه
ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه السلام منهم الثلاثة قال كعب لما
قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل
له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال عليه السلام ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة
فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون
ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما
رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير
كاستنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح
فقال ان يضيق على التائب الارض بما رحبت ويضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام
يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تاتون وتذرون و
فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين
الله نية وقولا وعملا او في كل شان من الشؤن فيدخل ما ذكر في توبتهم وانابتهم فيكون المراد بهم هؤلاء الثلاثة واضرابهم

وعن ابن عباس رض انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر
المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم
ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه عليه السلام الى الغزو ولا يرغبوا نصب ويجوز الجزم بانفسهم عن نفسه اي لا يصرفوها
عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان
كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير
ولا نصب ولا تعب ما ولا مخمصة اي مجاعة ما الا ما يستباح عنده المحرمات من مراتبها فان الظماء والنصب اليسيرين اذا لم يخلوا
من الثواب فلان لا يخلو ذلك منه اولى فلا حاجة الى تاكيد النفي بتكرير كلمة لا ويجوز ان يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء
على كثرة الوقوع وقلته فان الظماء اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا حينئذ ليس لتاكيد
النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطؤن موطئا يغيظ اي لا يدوسون
بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يداس ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول
اي شيئا ينال من قتلهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم
للثواب الجميل ونيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كاف
في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر مقام
المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية الماخذ للحكم واما
جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رض
والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتاكيد النفي
كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اي لا يجاوزون في سيرهم واديا وهو في الاصل كل منعرج من الجبال والاكام يكون منفذا
للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق
والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح
وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر
هلا نفر من كل فرقة منهم اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي يتكلفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم
اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فرض الكفاية وان يكون غرض المتعلم
الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون
ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا
بقرية طائفة الى التفقه لينذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارهم ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للاية وجه اخر
هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة
طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع الفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود
من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذروا البواقي
من قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة
بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها
واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان
والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تع واذا ما انزلت سورة من سور القران فمنهم اي من
المنافقين من يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة
ايمانا وقرئ بنصب ايكم على تقدير فعل يفسره المذكور اي ايكم زادت زادته هذه الخ وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم
اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تع انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الخ فاما الذين آمنوا
جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا واجلا اي فاما الذين آمنوا بالله تع وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا
بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بما فيها بايمانهم السابق وهم
يستبشرون بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى
رجسهم اي كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى

قوله عطف على يتخلفوا ولا لتاكيد
معنى النفي اي لا ينبغي لهم

قوله انه عطف على ما فهم من النفي
الا انه فانه في معنى النهي كانه
قيل لا يتخلفوا معه

الكفار

ان يموتوا عليه **اولا يرون** الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اى الا ينظرون ولا يرون **انهم** اى المنافقين
يفتنون فى كل عام من الاعوام **مرة او مرتين** والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اى يبتلون بافانين البلايا
من المرض والشدة مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدى رب العزة فيؤدى الى الايمان به تع او بالجهاد مع رسول الله عم
فيعاينون ما ينزل عليه من الايات لاسيما القوارع الزائدة للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم **ثم لا يتوبون**
عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تع **ولا هم يذكرون** والمعنى اولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا
يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرى بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة
للتعجيب اى الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التى هى افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تع لا يتوبون
وما عطف عليه معطوف على يفتنون **واذا ما انزلت سورة** بيان لاحوالهم عند نزولها وهم فى محفل تبليغ الوحى كما ان الاولى بيان
لمقالاتهم وهم غائبون عنه **نظر بعضهم الى بعض** تغامزا بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم **هل
يراكم من احد** اى قائلين هل يراكم احد من المسلمين لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك
فيفتضحوا او ترامقوا يتشاورون فى تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير
الخطاب لبعث المخاطبين على الجد فى انتهاز الفرصة فان المرء بشانه اكثر اهتماما منه بشان اصحابه كما فى قوله تع وليتلطف ولا
يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة فى عيوب المنافقين **ثم انصرفوا** عطف على نظر بعضهم والتراخى باعتبار
وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين اى انصرفوا جميعا عن محفل الوحى خوفا من الافتضاح او غير ذلك
صرف الله قلوبهم اى عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية **بانهم** اى بسبب انهم **قوم لا يفقهون**
لسوء الفهم او لعدم التدبر **لقد جاءكم** الخطاب للعرب **رسول** اى رسول عظيم الشان **من انفسكم** من جنسكم عربى
قرشى مثلكم وقرى بفتح الفاء اى اشرفكم وافضلكم **عزيز عليه ما عنتم** اى شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف
عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة **حريص عليكم** فى ايمانكم وصلاح حالكم **بالمؤمنين** منكم
ومن غيركم **رؤف رحيم** قدم الابلغ منهما وهو الرافة التى هى عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل **فان تولوا** تلوين للخطاب
وتوجيه له الى النبى صلى الله عليه وسلم تسلية له اى ان اعرضوا عن الايمان بك **فقل حسبى الله** فانه يكفيك ويعينك عليهم
لا اله الا هو استيناف مقرر لمضمون ما قبله **عليه توكلت** فلا ارجو ولا اخاف الا منه **وهو رب العرش العظيم** اى الملك العظيم
او الجسم الاعظم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير وقرى العظيم بالرفع وعن ابى ان آخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبى
ما نزل على القران الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة الاخلاص فانهما انزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهم

سورة يونس مائة وتسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرى بالامالة اجراء للاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرى بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد
بطريق التحدى على احد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله
الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها
الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها
على جناح الذكر وبصدده صارت فى حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او
اقرا وكلمة **تلك** اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التى هى الحروف المذكورة
منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونه اسما للسورة
فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه
على بعد منزلتها فى الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره قوله عز وجل **ايات الكتاب** وعلى تقدير كون الر مبتدا فهو مبتدا
ثان او بدل من الاول والمعنى هى ايات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اختص
اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القران العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار
تعينه وتحققه فى علم الله عز وعلا او فى اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب
جميع القران العظيم وان لم ينزل الكل كانت مسماة بهذا الاسم وبام القران فى عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصى اذ ذاك
فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقران باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القران النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس
اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصى يطلق على مجموع ما نزل فى كل عصر الا يرى الى ما روى عن جابر رض انه قال كان النبى عليه السلم
يجمع بين الرجلين من قتلى احد فى ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقران فاذا اشير له الى احدهما قدمه فى اللحد فان ما يفهمه
الناس من القران فى ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت فى اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصى
فى علم الله سبحانه او فى اللوح ولا لنزوله جملة الى السماء الدنيا **الحكيم** ذى الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها

او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق
بالحكمة هذا او قد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما فى ضمنها من الآى فانها فى حكم الحاضر لاسيما
بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وينبغى ان يكون المشار اليه حينئذ كل واحدة
منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه حكمة فلا
يتاتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولان فى بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة
ما ليس فى بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة
اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيها والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال
الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القران
الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف **اكان
للناس عجبا** الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه فى غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم
الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له فى قوله عز وجل قال الكافرون الخ لتحقيق ما فيه من الشركة بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب فى زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد
الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور فى الظروف وقيل المصدر اذا
كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبنى على دلالة كان الناقصة على
الحدث **ان اوحينا** اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشانه لكونه مدار الانكار والتعجيب وتشويقا الى المؤخر ولان
فى الاسم ضرب تفصيل ففى مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام وقرى برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر
ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل فى تاويل المصدر المضاف الى المعرفة والمختار حينئذ ان يجعل كان تامة وان اوحينا
متعلقا بعجب على حذف حرف التعليل اى احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه
الانكار والتعجيب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال فى حكم تنحية المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة وانما قيل
للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى **الى رجل منهم** اى الى بشر
من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من افناء رجالهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا انزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث
اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهى
بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهى منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التى عليها يدور
فلك التكوين والتشريع وانما الذى تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين
بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحانى والجسمانى ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثانى فلما ان مناط الارسال
للنبوة والرسالة هو التقدم فى الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق فى احراز الفضائل وحيازة الملكات
السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم فى انه صلى الله عليه وسلم فى ذلك الشان فى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات
النائية واما التقدم فى الرياسة الدنيوية والسبق فى نيل الحظوظ الدنية فلا دخل له فى ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا قال
عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **ان انذر الناس** ان مصدرية لجواز كون
صلتها امرا كما فى قوله تع وان اقم وجهك وذلك لان الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهى صلة
حسب وقوع الفعل فيجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهى نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال ووجوب كون
الصلة فى الموصول الاسمى خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل لا لقصور فى دلالة الانشاء على المصدر
او مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشان والقول من الخبر والمعنى قولنا ان الشان انذر
الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول وهو النكتة فى ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثانى عين الاول عند
اعادة المعرفة ليس على الاطلاق **وبشر الذين امنوا** بما اوحيناه وصدقوه **ان لهم** اى بان لهم **قدم صدق** اى سابقة ومنزلة
رفيعة **عند ربهم** وانما عبر عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها
وقيل مقام صدق والوجه ان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه
على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق **قال الكافرون** هم المتعجبون واريد
ههنا بعنوان الكفر بما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التى دخل عليها همزة الانكار او لكونه استينافا
مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشىء فقيل قال الكافرون على طريقة
التوكيد ان هذا يعنون به ما اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران الحكيم المنطوى على الانذار والتبشير **لسحر مبين**
اى ظاهر وقرى لساحر على ان الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرى ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون

ولو تعرض لوصف الكفر لاختل المرام

سورة يونس

عطف على قوله اما جميع القرآن العظيم

بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا فى العناد
كما هو ديدن المكابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج ان ربكم كلام مستأنف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا
عليه من المقالة الباطلة غب الاشارة اليه بالانكار والتعجب وحقق فيه حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالى
على بعض ما يدل عليها من شؤن الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها بادنى تذكر لاعترافهم
من غير نكير لقوله تع قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل فانى تؤفكون وقوله تع قل من يرزقكم
من السماء والارض الى قوله تع ومن يدبر الامر فسيقولون الله اى ان ربكم ومالك امركم الذى تتعجبون من ان يرسل اليكم
رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحى اليه من الكتاب سحرا هو الله الذى خلق السموات والارض وما فيهما من اصول
الكائنات فى ستة ايام اى فى ستة اوقات او فى مقدار ستة ايام معهوده فان نفس اليوم الذى هو عبارة عن زمان
كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفى خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها دفعة
دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأنى فى الاحوال والاطوار وليس تخصيص فوق الارض مما لا يتصور تحققه
حين لا ارض ولا سماء ذلك بالعدد المعين فامر قد استاثر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته و
ايثار صيغة الجمع فى السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام ثم استوى
على العرش العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الاوامر والتدابير منه
تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة
له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان
لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام يدبر الامر التدبير النظر فى ادبار
الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات
والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى وانحاء لا تكاد تحصى من المناسبات والمباينات
فى الذوات والصفات والازمنة والاوقات اى يقدر ما ذكر من امر الكائنات الذى تعجبوا منه من امر البعث والوحى
فرد من جملته وشعبة من دوحته ويهيئ اسباب كل منها حدوثا وبقاء فى اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق
والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة فى محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونه خبرا
ثانيا لان او مستانفه لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك
او على كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله عز وجل ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه
فى التقدير والتدبير ونفى للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفى جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفى الشفاعة على
اتم الوجوه كما فى قوله تع لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله تع يدبر الامر جار مجرى قوله تع وهو يجير ولا يجار عليه عقيب
قوله تع قل من بيده ملكوت كل شئ وقوله تع الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى ما من شفيع يشفع لاحد
فى وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبنى على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن
يليق بالشفاعة كقوله تع يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على
عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اى ذلك العظيم الشأن المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال
التى عليها يدور استحقاق الالوهية الله وقوله تع ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان انه تعالى
الله الذى خلق السموات والارض الخ لزيادة التقرير والمبالغة فى التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تع فاعبدوه
اى وحدوه من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبى فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما انزل اليكم افلا
تذكرون اى اتعلمون ان الامر كما فصل فلا تتذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه لا الى احد سواه
استقلالا او اشتراكا مرجعكم اى بالبعث كما ينبئ عنه قوله تع جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا فى المعنى اى اليه
رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه
سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اى وعد الله وعدا وايا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل
من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر آخر مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدؤا الخلق ثم يعيده
وهو استئناف معلل لوجوب المرجع اليه سبحانه وتع فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة
وقرئ بالفتح اى لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته ومرفوعا بما نصب حقا اى
حق حقا بدء الخلق الخ ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى بالعدل وهو حال من فاعل يجزى اى ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزى
اى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفى به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم
للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ويجزى الذين كفروا
بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على مواظبتهم

على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام فى سلك العلة الغائية
للخلق بدءا او اعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم واما المقصود الاصلى من ذلك فهو الاثابة هو الذى
جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده تع ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته باثار صنعه فى النيرين بعد التنبيه على
الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذى اشير اليه
اشارة اجمالية وارشاد الى انه حيث دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة
بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوى الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى
الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اى خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة وان
جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثانى اى جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة
بل ابدعها كذلك كما فى قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء منقلبة
من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين والقمر نورا الكلام فيه كالكلام فى الشمس
والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس وقدره اى قدر
له وهيأ منازل او قدر مسيره فى منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير
لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة فى تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهى
ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر فى كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها
من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان فى اخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون
مقام الشمس فى كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هى مواقع النجوم التى نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة
وهى الشرطان والبطين والثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا
السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت لتعلموا اما بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس
وغروبها او باعتبار نزول كل منهما فى تلك المنازل عدد السنين التى يتعلق بها غرض علمى لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية
والحساب اى حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالى وغير ذلك مما نيط به شئ من المصالح المذكورة وتخصيص العدد
بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر فى السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر فى الاوقات المحسوبة
وتحقيقه ان الحساب احصاء ماله كمية انفصالية بتكرير امثاله بحيث تتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم
مستقل كالسنة المتحصلة من اثنى عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير
امثاله من غير اعتبار ان تتحصل بذلك شئ كذلك ولما لم يعتبر السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامى مراتب
الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتبارى لا يجدى فى
تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر فى الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التى لها اسام خاصة واحكام مستقلة
علق بها الحساب المنبئ عن ذلك والسنة من حيث تحققها فى نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذى يتعلق به العدد طائفة منها
وتعلقه فى ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعنى حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد
منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة
المعدودة من غير ان يعتبر معها شئ غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على
العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم تتحد الجهة او لان العدد من حيث انه
لم يعتبر فيه تحصل امر آخر حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذى اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب ما خلق الله
ذلك اى ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكى من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا
خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح فى ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما
هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه بالفعل الا بالحق استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول
اى ما خلق ذلك ملتبسا بشئ من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه
اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم نفصل الآيات اى الآيات التكوينية
المذكورة او جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا اوليا او نفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بالنون
العظمة لقوم يعلمون الحكمة فى ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤن مبدعها جل وعلا او يعلمون ما فى تضاعيف
الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به ان فى اختلاف الليل والنهار تنبيه آخر اجمالى على ما ذكر
اى فى تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او فى تفاوتهما
فى انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة

او فى اختلافهما تفاوتهما بحسب الامكنه اما فى الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالى ايامها الصيفيه اطول ولياليها الصيفيه اقصر من ايام البلاد البعيده منه ولياليها واما فى انفسهما فان كرية الارض تقتضى ان يكون بعض الاوقات فى بعض الاماكن ليلا وفى مقابله نهارا وما خلق الله فى السموات والارض من اصناف المصنوعات لايات عظيمه او كثيره داله على وجود الصانع تع ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التى من جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتاب والبعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعى الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تع والحذر من العاقبه فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات ايات دون غيرهم وكاى من اية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمال امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات الداله عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تع وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الايات الشاهده بذلك والمراد بلقائه تع اما الرجوع اليه تع بالبعث او لقاء الحساب كما فى قوله عز وعلا انى ظننت انى ملاق حسابيه وايا ما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلاله من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعى عدم اعتقاد وقوع المامول والمخوف اى لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدى اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه اشير بقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا فانه منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تع ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة ولا يخافون الثانى واليه اشير بقوله تع واطمأنوا بها اى سكنوا فيها سكون من لا براح له آمنين من اعتراء المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقى وباللقاء حسن اللقاء اى لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابديه ورضوا بدلا منها ومما فيها من فنون الكرامات السنيه بالحيوة الدنيا الدنيه الفانيه واطمأنوا بها اى سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام الملابسه ودوام المصاحبه والموانسه وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحيوة الدنيا فانها منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضى فى الخصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغه المستقبل فى الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم عن اياتنا المفصله فى صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها او اياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها المتفقه معها فى الدلالة على حقيقه ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه من الحيوة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدوده وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسميه منبئة عما هم عليه من استمرار الغفله ودوامها وتنزيل التغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب هذا واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات راسا والانهماك فى الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الاخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل فى الآجل فكلام ناء عن السداد فتامل اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء مأواهم اى مسكنهم ومقرهم الذى لا براح لهم منه النار لا ما اطمأنوا بها من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال القلبيه المعدوده وما تستتبعه من اصناف المعاصى والسيات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددى والباء متعلقه بمضمون الجملة الاخيره الواقعة خبرا عن اسم الاشاره وهو مع خبره خبر لان فى قوله تع ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ ان الذين امنوا اى فعلوا الايمان او امنوا بما يجب به من الايات التى غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات اى الاعمال الصالحة فى انفسها اللائقة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا بعلة الحكم بايمانهم اى يهديهم بسبب ايمانهم الى ماواهم ومقصدهم وهى الجنه وانما لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس اليها لاسيما بملاحظة ما سبق من بيان ماوى الكفره وما اواهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح والتصريح وفى النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفى فى الوصول الى الجنه بل لابد بعد ذلك من الهداية الربانيه وان الكفر والمعاصى كافيه فى دخول النار ثم انه لا نزاع فى ان المراد بالايمان الذى جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنه والجماعة من ان الايمان الخالى عن العمل الصالح يفضى الى الجنه فى الجملة ولا يخلد صاحبه فى النار فان منطوق الاية الكريمه ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهدايه الى الجنه واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون مناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره ايضا يدخل فى الاهتداء من امن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب تجرى من تحتهم الانهار اى بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجرى

من تحتى اى تجرى وهم على سرر مرفوعه وارائك مصفوفه والجملة مستانفه او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدى اليه ما يريدونه فى الجنه كما قيل وقيل يهديهم ويرشدهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب والجنه وقوله تجرى من تحتهم الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل السعادة فى حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعه بحسب القوة العمليه كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم فى جنات النعيم خبر اخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى فالمراد بالمهدى اليه اما منازلهم فى الجنه او ما يريدونه فيها دعواهم اى دعاؤهم وهو مبتدا وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله تع سبحانك اللهم خبره اى دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول لمقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عندما عاينوا فيها من تعاجيب اثار قدرته تع ونتايج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تع عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمه بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حيوة طيبه اى ما يحيى به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم على الاضافة الى المفعول كما فى قوله تع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما فى قوله تع سلام قولا من رب رحيم سلام اى سلامة من كل مكروه واخر دعواهم اى خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اى ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تع بصفات الجلال اى دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه فى سلك الدعاء وان هى المخففه من المثقله اصله انه الحمد لله فخفف ضمير الشان كما فى قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبيه على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنه وعاينوا عظمة الله تع وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة عن السلامة عن الافات والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تع واثنوا عليه باضافة الاخرى الى دعواهم وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العباده كما فى قوله تع واعتزلكم وما تدعون من دون الله الخ ايذانا بان لا تكليف فى الجنه اى ما عبادتهم الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمه ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون لقاء الله تع لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اى لو يعجل الله لهم الشر الذى كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تع استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهى وضع موضع مصدر ناصبه مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقى عليه لقضى اليهم اجلهم لادى اليهم الاجل الذى عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفى ايثار صيغة المبنى للمفعول جرى على سنن الكبرياء مع الايذان بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال فى الشرط وان كان المعنى على المضى لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس بنص فى افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق فى موضعه واعلم ان مدار الافادة فى الشرطيه ان يكون التالى امرا مغايرا للمقدم فى نفسه مترتبا عليه فى الوجود كما فى قوله عز وجل لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فان العنت اى الوقوع فى المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها فى الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا عن البقية بامر كما فى الاجوبة المحذوفة فى مثل قوله تع ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله تع ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تع ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اى لرايت امرا هائلا فظيعا او نحو ذلك وكما فى قوله تع ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذ فسر الجواب بالاستيصال فانه فرد كامل من افراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه فى الدلالة على الشدة والفظاعة فحسن موقعه فى معرض التالى للمؤاخذة المطلقه واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر فى نفسه وهو ظاهر بل هو اما نفسه او جزئى منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقيه اذ لم يعتبر فى مفهومه ما ليس فى مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون فى ترتيبه عليه وجودا او عدما مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما كما فى قوله تع لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اى لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة او جزئى من جزئياتها غير ممتاز عن البقيه فليس فى بيان ترتيبه عليها وجودا او عدما مزيد فائدة وانما الفائدة فى بيان ترتيبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا فى ترتيب التالى على ارادة المقدم ما ليس فى ترتيبه على نفسه من الدلالة على المبالغه وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته تع المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد فى الوعيد وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطيه كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا واستدراجا فى طغيانهم الذى هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما

حتى انهم ... من عدم الارادة ... لا يفعل ... باستمرار ... التعجيل ... فيما سبق

يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون اي يترددون ويتحيرون ففي وضع الموصول موضع
الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اي اصابه جنس الضر
من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعانا بشهادة ما عطف عليه
من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تع يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما اي في جميع
الاحوال مما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع احوال المرض على ان
المراد بالمضطجع [illegible] عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه
ضره الذي مسه غب ما دعانا كما ينبئ عنه الفاء مر اي مضى واستمر على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي
حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كان لم يدعنا اي كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان
كما في قوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا [illegible] الى ضر اي الى كشف ضر
مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك
[illegible] المصدر وذلك اشارة الى مصدر الفعل وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة
فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل اي مثل
ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اي للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تع انما اعطاهم
القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة وهم قد صرفوها الى ما لا ينبغي
وهي رأس مالهم فقد اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهة الله سبحانه على طريقة التخلية والخذلان او من
الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات [illegible]
[illegible]
في الاخرى ولقد اهلكنا القرون [illegible] من قبلكم متعلقة باهلكنا
اي اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تاكيده بالتوكيد
القسمي لما ظلموا ظرف للاهلاك اي اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير تاخير وقوله
وجاءتهم رسلهم حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تع بالبينات متعلق بجاءتهم [illegible]
من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالايات البينة
على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب [illegible]
سيبويه وعند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه [illegible]
الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب ان يكون على وفق الترتيب الوقوعي [illegible]
محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تع وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه وآكده فان اللام لتاكيد النفي اي ما
صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تع اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول
عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين
الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزاء
الفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستيصال بالمرة نجزي القوم المجرمين اي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد
اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما
سبق من قوله تع ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد
بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام في الاجرام ويأباه كل الاباء قوله
عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادي
احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى امرهم
وخطابهم ببت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون
اخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهو استعارة تمثيلية و
كيف منصوب على المصدر بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على
الحالية اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا وفيه
اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما
الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها فضلا عن ان
ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به اي اي عمل تعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه
فلا يكون في كلمة كيف ح دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل بل يكون ح مستعارا

على انه لا يجب ان يقع بعده كلام متعلق بما قبله منه

لمعنى اي شيء واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالايات البينات وغير ذلك كدأب
من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الاتي حسب تجدد التلاوة اياتنا الدالة على حقية
التوحيد وبطلان الشرك والاضافة لتشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحة
الدلالة على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الايات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه للفاعل
للاشعار بعدم الحاجة لتعين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول
موضع الضمير اشعارا بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترءوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تع يوم اللقاء
لانكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وذمالهم بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ائت بقران غير هذا اشاروا بهذا الى القران المشتمل على تلك الايات لا الى نفسها فقط قصدا الى
اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء او ما نكرهه من ذم آلهتنا
ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك آية اخرى خالية عنها وانما قالوه
كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني اصلا ان
ابدله من تلقاء نفسي اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم
الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضايعا ربما
يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة
الاول بالطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما آتي واذر الا ما يوحى الي من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عم
على اتباع ما يوحى اليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام
وهو تعليل لصدر الكلام فان من شانه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الايات
ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا السؤال من ان القران كلامه عليه السلام ولذلك قيد التبديل في الجواب من تلقاء
نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تع اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله
من امتناع التبديل واقتصاره عليه السلام على اتباع الوحي اي اخاف ان عصيته تع بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي
والاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة ويوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا
الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته عليه السلام
عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان
بقران آخر من جهة الوحي وتفسير قوله تع ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي بانه لا يتسهل لي ان ابدله بالاستدعاء من جهته او
ما اتبع الا ما يوحى الي من غير صنع ما من الاستدعاء وغيره من قبلي لانه يرده التعليل المذكور لكن لا لان المقترح ح ليس فيه معصية
اصلا كما توهم فان استدعاء تبديل الايات النازلة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة
مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية الافتراء مع انها المقصودة بما ذكر في التعليل الا يرى الى ما بعده من الايتين
الكريمتين فانه صريح في ان مقترحهم الاتيان بغير القران وتبديله بطريق الافتراء وان زعمهم في الاصل ايضا كذلك وقوله عز وجل
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القران وكونه من عند الله تع اثر بيان بطلان ما اقترحوا الاتيان به واستحالته عبارة
ودلالة وانما صدر بالامر المستقل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال الاعتناء بشانه وايذانا باستقلاله مفهوما
واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تع ومشيئته كما سياتي وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف
ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فان مفعول المشية انما يحذف اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن في
تعلقها به غرابة كما في قوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته حيث لم يحذف لفقدان الشرط الاخير ولا المستلزم للجزاء اعني عدم
تلاوته عليه السلام للقران عليهم انما هو مشيته تع له لا مشيته لغير القران والمعنى ان الامر كله منوط بمشيته تع وليس لي منه
شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم الا بان شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بل بان لم ينزله علي ولم يامرني بتلاوته كما ينبئ عنه
ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اي ولا اعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والادراء منتف فينتفي
المقدم اعني مشية عدم التلاوة ولا يخفى انها مستلزمة لعدم مشية التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتما وانتفاء عدم
مشية التلاوة انما يكون بتحقق مشية التلاوة فثبت ان تلاوته عليه السلام للقران بمشيته تع وامره وانما قيدنا الادراء بكونه
بواسطته عليه السلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذي هو مشية عدم تلاوته عليه السلام فلا يجوز نظمه
في سلك الجزاء وفي اسناد عدم الادراء اليه تع المنبئ عن استناد الادراء اليه تع ايذان بانه لا دخل له عليه السلام في ذلك
حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولا ادراكم به ولا ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول لعطات وارضات في اعطيت وارضيت او على
انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرءونني بالجدال وقرئ ولا انذرتكم به وقرئ لادراكم بلام الجواب

بجواز اعلامه بواسطة غيره عليه السلام منه

اى لو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولا اعلمكم به على لسان غيرى على معنى انه الحق الذى لا محيص عنه لو لم ارسل به انا لارسل به غيرى
البتة او على معنى انه تع يمن على من يشاء فخصصنى بهذه الكرامه **فقد لبثت فيكم عمرا** تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته
بمشية الله عز وجل وامره حسبما بيّن آنفا لكن لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عليه السلام فيما سبق بسبب مشيته
تع اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوه منه عليه السلام فى تلك المدة الطويله من الامور الداله على استحالة كون
التلاوة من جهته عليه السلام فى ذلك حسبما تقتضيه المقام وقرئ بالاوحى وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى
قد اقمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنه تحفظون تفاصيل احوالى طرا وتحيطون بما لدى خبرا **من قبله** اى من قبل
نزول القران لا اتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع
افلا تعقلون اى الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلى ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه
غير خاف على من له عقل سليم والحق الذى لا محيد عنه ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تامل فى امره عليه السلام وانه نشاء
فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء فى شان من الشئون ولا مراجعة اليهم فى فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء
فى المفاوضه والحوار ولا خوض معهم فى انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته
كل بليغ رائق علا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه بدايع اصناف العلوم كاشفا عن اسرار الغيب من وراء استار الكمون
ناطق باخبار ما قد كان وما سيكون مصدق لما بين يديه من الكتب المنزله مهيمن عليها فى احكامها المجمله والمفصله لا يبقى
عنده شائبة اشتباه فى انه وحى منزل من عند الله تع هذا هو الذى اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن الانسب ببناء الجواب فيما
سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام على ابتاع الوحى لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار
حاله عليه السلام على ابتاع الوحى وامتناع الاستبداد بالراى من غير تعرض هنالك ولا ههنا لكون القران فى نفسه امرا خارجا
عن طوق البشر ولا لكونه عليه السلام غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا على المطلب بما يلايم ذلك من احواله
المستمره فى تلك المدة المتطاوله من كمال نزاهته عليه السلام عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء عنه فى حق احد كائنا
من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفترى على الله تع والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحى لا اتعرض لاحد قط تحكما ولا
جدالا ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهه فضلا عما فيه كذب او افتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذا شانه المطرد
فى هذا العهد البعيد مستحيل ان يفترى على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهى الموجبه لسلب الاموال وسفك
الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحى مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** استفهام انكارى
معناه الجحد اى لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيد الانكار ان يكون احد اظلم منه من غير
تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم
وزيادة قوله تع كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه السلام عليه صريحا مع
كونه افتراء على الله تع كذب فى نفسه فرب افتراء يكون كذبه فى الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة
منه عليه السلام فى التفادى مما ذكر من الافتراء على الله سبحانه **او كذب باياته** فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقران
وحملهم على انه من جهته عليه السلام والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القران بمشيته تع وامره فلا مجال لحمل الافتراء
على الافتراء باتخاذ الولد والشريك اى واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تع بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل
بعض اياته ببعض كما تجوزون ذلك فى شانى وكذلك من كذب باياته تع كما تفعلونه اظلم من كل ظالم **انه** الضمير للشان وقع اسما
لان والخبر ما يعقبه من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنيه عن ذكره وفائدة تصديرها به الايذان بفخامة مضمونها
مع ما فيه من زيادة تقرير فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه
فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه قيل ان الشان هذا اى **لا يفلح المجرمون** اى لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب
والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفترى والمكذب اندراجا اوليا **ويعبدون من دون الله** حكاية لجناية اخرى لهم نشأت عنها
جناياتهم الاولى معطوفة على قوله تع واذا تتلى عليهم الاية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون ومحله النصب
على الحاليه من فاعله اى متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكليه بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام
كما يفصح عنه سياق النظم الكريم **ما لا يضرهم ولا ينفعهم** اى ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التى هى جمادات وما موصولة
او موصوفة وتقديم نفى الضرر لان ادنى احكام العباده دفع الضرر الذى هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم
الذى هو مظنة الضرر فحيث لم تقدر الاصنام على الضرر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا
ينفعهم ان عبدوها كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة وهبل واسافا ونائلة **ويقولون هؤلاء شركاؤنا**
عند الله عن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيمه يشفع لى اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولى لكل اقليم روح معين من ارواح
الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات
معينه على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا

بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند الله تع **قل** تبكيتا لهم **اتنبئون الله بما لا يعلم** اى اتخبرونه بما لا
وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاء وهم عند الله تع اذ لو لاه لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما
يدعونه من المحال الذى لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف وقوله تع **فى السموات ولا فى الارض**
حال من العائد المحذوف فى يعلم مؤكد للنفى لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة **سبحانه وتعالى عما يشركون** عن اشراكهم المستلزم
لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تع وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول
المامور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلى من جهته سبحانه وتع **وما كان الناس الا امة واحدة** بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة
اجمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة
وما حمل اتحادهم على الاتفاق فى الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما لا احتمال له اى
وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم عليه السلام الى ان قتل
قابيل هابيل وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عليه السلام وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا
الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابراهيم عليه السلام الى ان اظهر عمرو بن لحى عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب
خاصة وهو الانسب بايراد الاية الكريمه اثر حكاية ما حكى عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك **فاختلفوا** بان
كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر
مخالفة لملة الآخر فان الكلام ليس فى ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل فلا يتصور ان يقضى بينهما بابقاء المحق واهلاك
المبطل والفاء التعقيبيه لا تنافى امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب
حدوث الاتفاق **ولولا كلمة سبقت من ربك** بتاخير القضاء بينهم او بتاخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمه فانه يوم
الفصل **لقضى بينهم** عاجلا **فيما فيه يختلفون** بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية
الحال الماضيه والدلالة على الاستمرار **ويقولون** حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تع ويعبدون وصيغة المضارع
لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة **لولا انزل عليه آية من ربه** ارادوا آية من
الايات التى اقترحوها كانهم لفرط العتو والفساد ونهاية المكابرة والعناد لم يعدوا البينات النازلة عليه عليه السلام من
جنس الايات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الايات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول
لو كانوا من ارباب العقول **فقل** لهم فى الجواب **انما الغيب لله** اللام للاختصاص العلمى دون التكوينى فان الغيب والشهادة
فى ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله
سبحانه لا وقوف لى عليه **فانتظروا** نزوله **انى معكم من المنتظرين** اى لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الايات
واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الايات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تع
واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة **من بعد ضراء مستهم** اى خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء
بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب القرآنيه كما فى قوله تع واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تع على
اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون فى اياته تع ويعادون رسوله عليه السلام
ويكيدونه وذلك قوله تع **اذا لهم مكر فى آياتنا** اى بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال فى دفعها واذا الاولى شرطيه
والثانية جوابها كانه قيل فاجؤا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفى متعلقة بالاستقرار الذى تعلق به اللام **قل الله**
اسرع مكرا اى اعجل عقوبة اى عذابه اسرع وصولا اليكم مما ياتى منكم فى دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها فى مقابلة مكرهم
وجودا او ذكرا **ان رسلنا** الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف **يكتبون ما تمكرون** اى مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام
منهم وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال فى الفعلين للدلالة على الاستمرار
التجددى والجملة تعليل من جهته تع لاسرعية مكره سبحانه غير داخل فى الكلام الملقن كقوله تع ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل
لما يمكرون من مبادى بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكليه وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد فى التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبه فيكون تعليلا لما ذكر او للامر **هو الذى يسيركم** كلام مستانف
مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اى يمكنكم من السير
تمكينا مستمرا عند الملابسة به وقبلها **فى البر** مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وعلا بشر تنتشرون **والبحر**
حتى اذا كنتم فى الفلك اى السفن فانه جمع فلك على زنة اسد جمع اسد لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها
بل مضمون الشرطيه بتمامه كما ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث **وجرين** اى السفن **بهم**
بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوى احوالهم ليعجبهم
منها ويستدعى منه الانكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تع حتى اذا كنتم فى الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب
للكل ومنهم المسيرون فى البر فالضمير الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما فى قوله تع او كظلمات فى بحر لجى يغشاه اى وكذى

التمادى بطمع

فيكون من باب التشبيه صح

فيكون من باب الكناية صح

ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب
اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة اى تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيا لريح اخرى
عادة بل هو استداد للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه للثانى من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة
لا يعد مجيا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التهويل فى
بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اى ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا
حاجة الى الفارق وقيل الريح قد يذكر وجاءهم الموج فى الفلك من كل مكان اى من امكنة مجئ الموج عادة ولا بعد فى مجيئه
من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا
انهم احيط بهم اى هلكوا فان ذلك مثل فى الهلاك واصله احاطة العدو بالحى او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله
بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فما
ذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من آلهتهم لا مخصصين للدعاء به تع فقط بل للعبادة ايضا
فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تع لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اى قائلين والله
لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التى من جملتها هذه النعمة المسؤلة وقيل الجملة مفعول
دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثانى لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفى قوله لنكونن من
الشاكرين من المبالغة فى الدلالة على كونهم ثابتين فى الشكر مثابرين عليه منتظمين فى سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس
فى ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون فى الارض اى فاجؤا الفساد
فيها وسارعوا اليه مترامين فى ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود العبث من قولهم بغى الجرح اذا ترامى فى الفساد وزيادة
فى الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تع بغير الحق تاكيد لما
يفيده البغى او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما فى قوله تع ويقتلون النبيين
بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغى بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده
النظم الكريم لابتنائه على كون البغى بمعنى افساد صورة الشئ وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين
يا ايها الناس توجيه للخطاب الى اولئك الباغين للتشديد فى التهديد والمبالغة فى الوعيد انما بغيكم الذى تتعاطونه وهو مبتدا
وقوله تع على انفسكم خبره اى عليكم فى الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تع متاع الحيوة الدنيا بيان لكون
ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستيناف
اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اى متمتعين بالحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذى فى
الخبر لا نفس البغى لانه يؤدى الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس فى
تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اى زمن متاع
الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اى تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغى
بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستيناف لبيان سوء عاقبة ما حكى عنهم من البغى
للفسد بالافساد المفرط اللائق بحالهم فاى مناسبة بينه وبين البغى بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة
التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه ان المعلل بما ذكر ليس نفس
البغى لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اى تبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان الجملة مستانفة
وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير
انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ظاهر الفساد ونحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من
كون البغى بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة اى انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم
لكان له وجه فى الجملة لكن الحق الذى يقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر او
خبر ثان او خبر لمبتدا محذوف اى هو متاع الخ كما فى قوله عز وجل الا ساعة من نهار بلاغ اى هذا بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه
الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة
لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت عندهم حسبما تقتضيه ما حكى عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه
متاعا مقصود الافادة على انه عنوان كونه وبالا عليهم قادح فى كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادى ثبوته للمبتدا كما هو المتبادر من
الشوق واما كون البغى على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادى التمتع من اخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك
واما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدا اما نفس البغى او الضمير العائد اليه من حيث هو هو لا من حيث
كونه وبالا عليهم كما فى صورة كون الظرف صلة للمصدر وقد يرد وقرئ متاعا الحيوة الدنيا اما نصب متاعا فعلى ما مر واما نصب
الحيوة فعلى انه بدل من متاعا بدل اشتمال وقيل على انه مفعول به لمتاعا اذا لم يكن انتصابه على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل

عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد
بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال تع انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما
ينكث على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان
يعجلهما الله تع فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رض لو بغى جبل على جبل لدك الباغى ثم الينا مرجعكم عطف على
ما مر من الجملة المستانفة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم
الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم تعملون فى الدنيا على الاستمرار من البغى وهو وعيد بالجزاء والعذاب
كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهى ان كل ما يظهر فى هذه النشأة من الاعيان
والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التى بها يظهر فى النشأة الاخرة فان المعاصى سموم قاتلة قد برزت
فى الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك
قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغى فى هذه النشأة وان برز بصورة تستحسنها البغاة وتستحسنها
الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفى من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع فى الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا
يحتسبون وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملون من البغى بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على ذلك
من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم انما مثل الحيوة الدنيا كلام مستانف سيق لبيان شان الحيوة الدنيا
وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشان البديعة المثال المنتظمة لغرابتها فى سلك
الامثال فى سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع النبات فى زوال رونقها
ونضارتها فجاءة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كانت غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها
وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف فى قوله عز وجل كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما ياكل الناس والانعام من البقول والزروع
والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها جعلت الارض فى تزينها بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها المختلفة كانها
آخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التى قد اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم
وقرئ على الاصل وقرئ وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم
قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا جواب اذا اى ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات
ليلا او نهارا فجعلناها اى زرعها وسائر ما عليها حصيدا اى شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كانه لم يغن زرعها
والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالامس اى فيما قبل بزمان قريب فان الامس مثل فى ذلك كانه قيل لم تغن
آنفا كذلك اى مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات اى الآيات القرآنية التى من جملتها هذه الآيات المنبهة على احوال
الحيوة الدنيا اى نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون فى تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها
ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر فى اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكى ايجادا واعداما
فانها آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحيوة الدنيا حالا وما لا والله يدعو الى دار السلام ترغيب للناس فى
الحيوة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية اى يدعو الناس جميعا الى دار السلامة من كل مكروه وآفة
وهى الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للآفات او الى دار الله تع وتخصيص الاضافة للتشريف
بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله تع او الملائكة فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض ويهدى
من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية
بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا اى اعمالهم اى عملوها على الوجه
اللائق وهو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اى المثوبة الحسنى وزيادة اى وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه
ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله
ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم اى لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اى اثر هوان وكسوف
بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اى شئ منهما
والجملة مستانفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثانى وان اقتضى الاول الا انه ذكر اذ كان مما يتقدمهم
الله تع برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم وللتشويق الى المؤخر فان ما
حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فى الفاعل ضرب تفصيل
كما فى قوله تع يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اولئك اشارة
الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم

اى اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميله الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره **اصحاب الجنة هم فيها خالدون** بلا زوال دائمون بلا انتقال **والذين كسبوا السيئات** اى الشرك والمعاصى وهو مبتدا بتقدير المضاف خبره قوله تع **جزاء سيئة بمثلها** اى جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد فى الحسنة وتغيير السبك لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنافى والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جنايتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول الاول كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك فى الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد بالزيادة الفضل **وترهقهم ذلة** واى ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمى وفى اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية **ما لهم من الله من عاصم** اى لا يعصمهم احد من سخطه وعذابه او ما لهم من عنده تع من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفى نفى العاصم من المبالغة فى نفى العصمة ما لا يخفى والجملة مستانفه او حال من ضمير ترهقهم **كانما اغشيت وجوههم قطعا** لفرط سوادها وظلمتها **من الليل مظلما** حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال • افتحى الباب وانظرى فى النجوم • كم علينا من قطع ليل بهيم • فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها بيان او حال من ضمير ترهقهم **اولئك** اى الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة **اصحاب النار هم فيها خالدون** وحيث كانت الاية الكريمة فى حق الكفار بشهادة السياق والسباق لم يكن فيها تمسك للوعيدية **ويوم نحشرهم** كلام مستانف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم الفظيعة وتاخيره فى الذكر مع تقدمه فى الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعى الترتيب الخارجى لعد الكل شيئا واحدا كما مر فى قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اى انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات لان المتبادر من قوله تع **جميعا** ومن افراد الفريق الثانى بالذكر فى قوله تع **ثم نقول للذين اشركوا** اى نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على رؤس الاشهاد افظع والاخبار بحشر الكل فى تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر فى حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثانى خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفا **مكانكم** نصب على انه فى الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو راى الفارسى اى الزموه حتى تنظروا ما يفعل بكم **انتم** تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده **وشركاؤكم** عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع **فزيلنا** من زلت الشئ عن مكانه ازيله اى ازلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار صيغة الماضى للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اى ففرقنا **بينهم** وقطعنا اقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما سيجئ فخابت آمالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم الياس الكلى من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسى اى فباعدنا بينهم بعد الجمع فى الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كما فى قوله تع اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالواو ح فى قوله تع **وقال شركاؤهم** حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما فى التفسير الاول لاستدعاء المحاورة الفائتة بالمباعدة وليس فى ترتيب التزييل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان ما فى ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة ليصار لاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجى فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد بما فى تقديمه من التغيير لا سيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تاخر جميع مراتبه من المحاورة فرعاية تلك النكتة كافية فى استدعاء تقديمه عليها ويجوز ان تكون حالية على هذا التقدير ايضا والمراد بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولى العلم ففيه تاييد لرجوع الضمير الى الكل وقولهم **ما كنتم ايانا تعبدون** عبارة عن تبرئهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام ينطقها الله الذى انطق كل شئ فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى كانوا يتوقعونها **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم** فانه العليم الخبير **ان كنا عن عبادتكم لغافلين** اى عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهنا ينقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة **هنالك** اى فى ذلك المقام الدهش او فى ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان **تبلو**

اى تختبر وتذوق **كل نفس** مؤمنة كانت او كافرة سعيدة او شقية **ما اسلفت** من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا لآثاره من نفع او ضرر وخير او شر واما ما علمت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب فى البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اى نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وقرئ تتلو اى تتبع لان عملها هو الذى يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرا فى صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر **وردوا** الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلو الخ اعتراض فى اثناء الحكاية مقرر لمضمونها **الى الله** اى الى جزائه وعقابه **مولاهم** ربهم **الحق** اى المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد **وضل عنهم** وضاع اى ظهر ضلاله وضياعه لا انه كان قبل ذلك غير ضال او ضل فى اعتقادهم ايضا **ما كانوا يفترون** من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة هذا وجعل الضمير فى ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلو وان العدول الى الماضى للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تع يكون على طريقة الاجتماع لا يلايمه التعرض لوصف الحقية فى قوله تع مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير اليه ولئن اكتفى فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل فى الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى للكل ياباه مقام تهويل المقام والله تع اعلم **قل** اى لاولئك المشركين الذين حكيت احوالهم وبين ما يؤدى اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك **من يرزقكم من السماء والارض** اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض **ام من يملك السمع والابصار** ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اى من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شئ يصيبهما **ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى** اى ومن يحيى ويميت او ومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان **ومن يدبر الامر** اى ومن يلى تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر **فسيقولون** بلا تلعثم ولا تاخير **الله** اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اى الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره **فقل** عند ذلك تبكيتا لهم **افلا تتقون** الهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما فى اتضربون اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما فى اضرب ابى والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اى اتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذى ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشاركه فى شئ مما ذكر من خواص الالهية **فذلكم** فذلكة لما تقدم اى ذلكم الذى اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدا وقوله تع **الله** خبره وقوله تع **ربكم** اى مالككم ومتولى اموركم على الاطلاق بدل منه او بيان له وقوله تع **الحق** صفة له اى ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه **فماذا** يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذى اى ما الذى **بعد الحق** اى غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع ونفيه اى ليس غير الحق **الا الضلال** الذى لا يختار احد فحيث ثبت ان عبادة من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجميلة حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والراى هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اى الباطل الضائع المضمحل وانما سمى بالمصدر مبالغة كانه نفس الضلال والضياع وهذا انسب بقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثانى **فانى تصرفون** استفهام انكارى بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس فى توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا واذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهانى كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبله اى كيف تصرفون من الحق الذى لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذى سمعتم ضلاله وضياعه فى الآخرة وفى ايثار صيغة المبنى للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجى **كذلك** اى كما حقت الربوبية لله تع او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق **حقت كلمة ربك** وحكمه وقضاؤه **على الذين فسقوا** اى تمردوا فى الكفر وخرجوا من اقصى حدوده **انهم لا يؤمنون** بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب **قل هل من شركائكم** احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان

الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من الاستحقاق الالهيه ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه
وتعالى وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله فى اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت هليه
الاعادة وتحققها لوضوح مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بداء الخلق فنظمت فى سلكه حيث قيل من يبدؤ الخلق ثم يعيده
ايذانا ببلانهما مهما وجودا وعلما يستلزم الاعتراف به الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد
ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده اى هو يفعلهما لا غير كائنا
ما كان لا بان ينوب عليه السلام عنهم فى ذلك كما قيل لان المقول المامور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان
مستلزما له اذ ليس المسؤل عنه من يبدء الخلق ثم يعيده كما فى قوله تع قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون
القول المامور به عين الجواب الذى اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم فى ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء
والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا لا غير نعم امر صلى الله عليه وسلم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه و
تحتمه واشعارا بانهم لا يجترؤن على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا فقد بر واعادة الجملة فى الجواب
بتمامها غير محذوفة الخبر كما فى الجواب السابق لمزيد التاكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك الصرف والقلب عن الشىء وقد
يخص بالقلب عن الرأى وهو الانسب بالمقام اى كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر فى تصرفون قل هل
من شركائكم احتجاج آخر على ما ذكر جيء به الزاما لهم غب الزام والقاما اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله
من يهدى الى الحق اى بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم واما تعيين
طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فمخل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت
والالزام فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى
الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانما لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند
الى الله تع حيث قيل قل الله يهدى للحق اى هو يهدى له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل
وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام فى الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر
افمن يهدى الى الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدى بكسر الهاء اصله يهتدى فادغم وكسرت الهاء لالتقاء
الساكنين وقرى بكسر الياء اتباعا لها لحركة الهاء وقرى بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اى لا يهتدى بنفسه فضلا عن هداية
غيره وفيه من المبالغه ما لا يخفى وانما نفى عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفى الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا
فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره فى الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدرى والفاء
لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تع صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب
المنبئ عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع فى بعض المواقع
فان ذلك مختص بالانكارى كما فى قوله تع افمن اتبع رضوان الله ونحوه والهمزة متاخرة فى الاعتبار وانما تقديمها فى الذكر لاقتضائها
عراقتها فى اقتضاء الصدارة كما هو رأى الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اى لاخرت حتما الابرى الى قوله تع فاى الفريقين احق
بالامن اثر تقدير ما يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرى لا يهدى بمعنى لا يهتدى لمجيئه
لازما او لا يهدى غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكى والتقدير افمن يهدى الى الحق احق
ان يتبع ممن لا يهدى ام من لا يهدى احق الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع
فى حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اى بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا
يهتدى او لا يهدى فى حال من الاحوال الا حال هدايته تع له الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملئكة
والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله
تع من حالة الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرى الا ان يهدى من التفعيل للمبالغه فما لكم اى اى شئ لكم فى اتخاذكم هؤلاء
شركاء لله سبحانه وتع والاستفهام للانكار التوبيخى وفيه تعجيب من حالهم وقوله تع كيف تحكمون اى بما يقضى صريح العقل ببطلانه
انكار لحكمهم الباطل وتعجب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادى الى الحق
ان تلك التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر فى حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدى بالاتباع دون من يهدى
وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتع بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تع حيث يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله اى تلك حكمهم باستحقاقه تع للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تع لذلك بطريق الاستقلال
فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تع من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل فى حيز الامر مسوق
من قبله تع لبيان عدم فهمهم لمضمون ما الجمهم والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادى الى الحق الناعى عليهم
بطلان حكمهم وعدم تاثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اى ما يتبع اكثرهم فى معتقداتهم ومحاوراتهم الا ظنا
واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات

اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع
مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم فى اثنائه اتباع لفرد
من افراد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية
التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم التاثر من البرهان المزبور وان لم يظهروه وكونهم
اشد كفرا واكثر عذابا من اكثرهم مع عدم الاظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفى الداخل على المضارع يفيد استمرار النفى بحسب
المقام فالمراد بالاتباع ح هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة
المعاندين لهم فى ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتى هذا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم فى
اقرارهم بالله تع الاظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم فى قولهم للاصنام انها الهة الاظنا والمراد بالاكثر
الجميع فتامل وقيل الضمير فى اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغنى من الحق من العلم اليقينى والاعتقاد الصحيح المطابق
للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استيناف لبيان شان الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب
العلم فى الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكى عنهم من
الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرى تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد
وما كان هذا القرآن شروع فى بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية المندرجة فى تضاعيفه اى وما صح
وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التى من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة
بحقية التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اى افتراء من الخلق اى مفترى منهم سمى بالمصدر مبالغة ولكن تصديق
الذى بين يديه من الكتب الالهية المشهود على صدقها اى مصدقا كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه
بانه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرى بالرفع على تقدير المبتدا اى
ولكن هو تصديق الخ وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اى وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب فيه
خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك اى منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول فى المعنى او
استيناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين خبر اخر اى كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل وبالفعل
المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما فى قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير فى فيه ومساق الاية الكريمة
بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون افتراه اى بل ايقولون افتراه محمد عليه السلام والهمزة لانكار الواقع
واستبعاده قل تبكيتا لهم واظهارا للبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون فاتوا بسورة مثله اى فى البلاغة وحسن
الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا منى فى النظم والعبارة وقرى بسورة مثله
على الاضافة اى بسورة كتاب مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم التى تزعمون انها
ممدة لكم فى المهمات والملمات ومداره كم الذين تلجأون الى رأيهم فى كل ما تأتون وما تذرون من دون الله متعلق
بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله فى قوله تع وادعوا شهداءكم من دون الله اى ادعوا سواه تع
من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تع وكونهم فى عدوة
المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تع بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تع لاجابهم اليه ان كنتم
صادقين لى فى انى افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف
لدلالة المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا فى حق القرآن العظيم بالتحدى الى
اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشانه الجليل فما عبارة عن كلمة لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما
قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اى سارعوا الى تكذيبه اثر ذى اثير من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما فى
تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف انفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه
بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا
بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما فى حيز الصلة
له ولما يأتهم تأويله عطف على الصلة او حال من الموصول اى ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه الرائقة
المنبئة عن علو شانه والتعبير عن ذلك باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم يأتهم
بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة
الاخبار بالغيب وهم قد فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا فى معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة
ونفى اتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفى الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتاكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة فى
تكذيب الشئ قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها فى تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع
فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا بعد ذلك ايضا على ما هم عليه اولا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد

اى ان كنتم صادقين فى زعمكم انى افتريته فأتوا بسورة مثله

من كونه تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين

غير محتاج الى التأويل

للمولى التفتازانى

عليه بعدم انقطاع الذم اوادعاء ان قولهم افتراء تكذيب بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدى بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدى الوارد فى سورة البقرة يرده انها مدنيه وهذه مكيه وانما الذى يدل عليه ماسيتلى عليك من قوله تع ومنهم من يومن به ومنهم الخ وقوله تع كذلك الخ وصف حالهم المحكى وبيان لما يودى اليه من العقوبة اى مثل ذلك التكذيب المبنى على بادى الراى والمجازفة من غير تدبر وتامل كذب الذين من قبلهم اى فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من المعجزات التى ظهرت على ايدى انبيائهم او كذبوا انبيائهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هولاء الظالمين فى زمرتهم جرما ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل ومنهم الخ وصف لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المومن به وغير المومن ضرورة امتناع الايمان بشئ من غير علم به واشتراك الكل فى التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده قوله تع بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى ومن هولاء المكذبين من يومن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيته بعد ما سعوا فى المعارضة ضرورة زوا قواهم فيها فقضالك دونها او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اى يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهولاء هم الذين اشير بقصرا اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقى اى سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثانى الى انهم سيتبعون الحق كامر ومنهم من لا يؤمن به اى لا يصدق به فى نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغى وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التى الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان التاويل كاف فى مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهولاء هم الذين اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الثانى من غير ادعان للحق واذعانا له وربك اعلم بالمفسدين اى بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما فى اصل الافساد المستدعى لاشتراكهما فى الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثانى من المعاندين والشاكين وان كذبوك اى ان تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدى فقل لى عملى ولكم عملكم اى تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تع فان عصوك فقل انى برئ والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعى ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدى جزاء العمل الى غير عامله اى لا تؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما سياتى محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اى ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القران وتعليمك الشرائع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو راى سيبويه و الجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر فى موضعه بل لانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة واياما كان فالعطف عليه يستدعى دخول المعطوف فى حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب فى فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون اليك افانت تسمعهم لا انكار الاستماعهم فانه امر محقق بل انكار لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اى ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت و اما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت اى اعقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل تهدى العمى تربية لانكار هدايتهم وابرازا لوقوعها فى معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون اى ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك هى البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق بحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو فى الجملتين محذوف لدلالة قوله تع تسمع الصم تهدى العمى عليه وكل منهما معطوف على جملة مقدرة مقابلة لها فى الفحوى كلتاهما فى موضع الحال من مفعول الفعل السابق اى افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدى العمى لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى فى الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوى فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى لو وان الوصليتين من التاكيد وقد مر الكلام فى قوله تع ولو كره الكافرون ونظائره مرارا ان الله لا يظلم الناس شيئا الى ان ماحكى عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم

من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم مؤفى المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اى لا ينقصهم مما نيط به مصالحهم الدينيه والدنيويه وكمالاتهم الاولويه والاخرويه من مبادى ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنه والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشئ اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تعيين وتقرير اى لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اى ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادى كمالهم وذرائع اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تقويتا بالكليه وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل فى قوله تع وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فى قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع فى سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصله من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راى من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما فى قوله تع وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على راى من يراه موجبا له فلعل اشار قصرها دون قصر الظالميه عليهم للمبالغة فى بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان اقبح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند الفعل ونفرة لدى الطبع و اوجبهما حذرا منه عند كل احد هو المظلوميه لا الظالميه على ان قصر الاولى عليهم مستلزم لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احدا من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلم الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا نفسه فاكتفى بالقصر الاول عن الثانى مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع للدلالة نفيا واثباتا فان حرف النفى اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفى لا نفى الاستمرار الا يرى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفى لا على نفى الاختصاص وسياق الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفى للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق ويوم نحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اى اذكر لهم او انذرهم يوم يحشرهم كان لم يلبثوا اى كانهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اى شيئا قليلا منه فانها مثل فى غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة فى موقع الحال من ضمير المفعول اى يحشرهم مشبهين فى احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث فى الدنيا ولم يتقلب فى نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض اثار نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث فى البرزخ الا ذلك المقدار وفائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة اليه تع ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين النشاتين فى الاشكال والصور فان قلة اللبث فى البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وعلا يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اى يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتع على خسرانهم وتعجب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول او التعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمارهم لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تع ان كان مطلق الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا فى تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تع وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسار الهلاك والضلال اى قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اى نبصرنك بان نظهر لك بعض الذى نعدهم اى وعدناهم من العذاب وتعجله فى حيوتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار اى نعدهم وعدا متجددا حسبما يقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفى تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم اى كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او لا فالينا مرجعهم فى الدنيا والاخرة فننجز ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثانى كانه قيل فالينا مرجعهم فنريكه فى الاخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اى فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التى حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهى معاقبته تع اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقرئ ثمة اى هنالك ولكل امة من الامم الخاليه رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قضى بينهم اى بين كل امة

ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تع وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم
لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه
وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء قضي بينهم و
يقولون متى هذا الوعد استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا
لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في انه ياتينا والخطاب للرسول عليه السلام
والمؤمنين الذين يتلون عليهم الايات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدم حسبما حذف
في مثل قوله تع فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا عجلة كانه قيل
فلياتنا عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قيل قل لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم الكريم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع
فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه والمعنى اني لا املك
شيئا من شؤوني بدا او برا دا مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك شؤونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود الا ما
شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يا باه مقام التبرؤ عن ان
يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام
وجعل ما عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك
لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على افعالي الاختيارية كالضر والنفع
المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تع لكل امة اجل بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في
القضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضي به امرا منجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الامة اي لكل امة
امة ممن قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله
اذا جاء اجلهم ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد به من الزمان فمجيئه
عبارة عن انقضائه اذ هنالك تحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة
المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموم ما
يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم اجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو
الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اي اذا جاءها اجلها الخاص بها لا
يستاخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتاخرون عنه اصلا وصيغة
الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون لكن
لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتاخر بل للمبالغة في انتفاء التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه
وتع وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فان
من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي
وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة كما مر في سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم
الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستيخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستيخار
على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخر واما ما في قوله
تع ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم
حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما
ذكر هناك قل لهم غب ما بينت كيفية جريان سنة الله عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر مقرر
محتوم لا يتوقف الا على مجيء اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة ارايتم اي اخبروني ان اتاكم
عذابه الذي تستعجلون به بياتا اي وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا اي عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عين لكم
من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله عز وجل ماذا يستعجل منه المجرمون جواب للشرط بحذف
الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضوع موضع المضمر لتاكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم
ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بارايتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه اي شيء تستعجلون
منه سبحانه والشيء لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة
منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله عز وعلا اتى امر الله فلا
تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وهنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارايت ان اعطيتك حقك فماذا
تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل

أثم اذا ما وقع امنتم به انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد
اتيانه حكما تحت القول المامور به اي ابعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة امنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكار التاخيره الى
هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف
للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بارايتم وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه والشرطية اعتراض
مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تع أثم اذا ما وقع الى اخره والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم
عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جيء بكلمة التراخي دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على
استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجيء باذا مؤكدا بما ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يؤمنوا
الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تع الآن استيناف من جهته تع غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون
ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الآن امنتم به انكارا للتاخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن
ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتامل والتدبر في شانه ولا لشيء اخر مما عسى يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريق التكذيب
والاستعجال به على وجه الاستهزاء وقرئ الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تع وقد كنتم به تستعجلون اي تكذيبا
واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل امنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور
على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تع ثم قيل الخ تاكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب عطف على
ما قدر قبل الآن للذين ظلموا اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب
والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلته لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد
المولم على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال
ويستنبئونك اي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء والانكار احق هو احق خبر مقدم على المبتدا الذي هو الضمير
للاهتمام به ويؤيده قوله تع انه لحق او مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك وقرئ
الحق هو تعريضا بانه باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق قل لهم غير ملتفت الى استهزائهم مغضيا عما
قصدوا وبانيا للامر على اساس الحكمة اي وربي اي من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في
الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه انه اي العذاب الموعود لحق لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التاكيد حسب
شدة انكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه وما انتم بمعجزين اي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم
لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستانف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو ان لكل
نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير على ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما في الارض
اي ما في الدنيا من خزائنها واموالها ومنافعها قاطبة بما كثرت لافتدت به اي لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه
بمعنى فداه واسروا اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الافراد ايضا
لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع
ما في الارض لكل واحدة من النفوس واثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكورهم لوله على اناثهم
الندامة على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم
بهتوا لما راوا العذاب اي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا
بشيء فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسرها رؤساؤهم ممن اضلوهم حياء
منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان
اسرارها اخلاصها او لان سر الشيء خالصه حيث تخفى وتضن بها ففيه تهكم بهم وقيل اظهروا الندامة من قولهم اسر الشيء
واشره اذا اظهره وجين عل صبره وفني تجلده وقضي بينهم اي اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل
الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق به بالقسط
بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض لحال المشركين وهم
اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا وهم اي الظالمون
لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية الا ان لله ما في السموات والارض
اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال
قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا الا
ان وعد الله حق اظهار الاسم الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائنا ما
كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في اثناء بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه المصدري اي وعده بجميع ما ذكر
فمعنى قوله تع حق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على

عقق مضمونهما المقرر لمضمون السلف من الايات الكريمه والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظه عليه ولكن اكثرهم لقصور
عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون
ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك واليه ترجعون في الاخرة بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات
ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلى عليهم من القوارع الناعية
عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي والوعظ والعظة التذكير
بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تع من ربكم ابتدائيه متعلقة بجاءتكم او
تبعيضيه متعلقه بمحذوف وقع صفة لموعظة اى موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبيه من حسن الموقع
ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اى كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال
حسناتها وسيئاتها مرغب في الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية
كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغه وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال
بالدلائل المنصوبة في الافاق والانفس وفي تحليته رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان و
تخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليامر الناس بان يغتنموا ما في مجيء القران العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما اما
مجيء القران من الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلان فيه دخولا اوليا والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا
بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة
القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببيه فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير
ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء الاولى جزائيه والثانيه للدلالة على السببيه فصار بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا لا بشيء اخر ثم ادخل الفاء للدلالة على السببيه ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة
فضل الله تع ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم اى جاءتكم موعظة
بفضل الله وبرحمته فبذلك اى فبمجيئها فليفرحوا وقرى فلتفرحوا وقرا ابى فافرحوا وعن ابى بن كعب ان رسول الله عليه السلام
تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اى ما ذكر من فضل
الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرى تجمعون اى فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما تجمعون ايها المخاطبون
قل ارايتم اى اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما
حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر في السماء محصل هو وما يتوقف عليه وجودا وبقاء باسباب سماوية من المطر والكواكب
في الانضاج والتلوين فجعلتم منه حراما اى حكمتم بانه حرام وحلالا اى وجعلتم بعضه حلالا اى حكمتم
بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الايه وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا [illegible]
على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام [illegible] قل تكرير [illegible]
الله اذن لكم في ذلك الجعل [illegible] ام على الله تفترون ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت
لتحقق العلم بالشق الاخير [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يوم القيمة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان الله
لذو فضل [illegible] على الناس [illegible]
[illegible] ولكن

اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد
به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون
فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون في شان اى في امر من شانت شانه اى قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول
وما تتلو منه الضمير للشان والظرف صفة لمصدر محذوف اى تلاوة كائنة من الشان اذ هي معظم شؤونه عليه السلام او للتنزيل
والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائيه وتبعيضيه او لله عز وجل ومن ابتدائيه والتي في قوله تع من قران مزيدة
لتاكيد النفي او ابتدائية على الوجه الاول وبيانيه او تبعيضيه على الثاني والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر
تخصيصه بمقتدى الكل وقد روعي في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما
يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم الاحوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اى ما تلابسون بشيء
منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون فيه اى تخوضون وتندفعون فيه واصل
الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث قيد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا
اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي وما يعزب عن ربك اى لا يبعد ولا
يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرى بكسر الزاء من مثقال ذرة كلمة من
مزيدة لتاكيد النفي اى ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اى في دائرة الوجود والامكان
فان العامة لا تعرف سواهما مما ليس في احدهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة
البرهان على احاطة علمه تع بتفاصيلها وقوله تع ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية
للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرى بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر
لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين
فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تع الا وهو
في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المؤمنين
وغاية لما ذكر قبله من كونه تع شهيدا على نبيه عليه السلام وامته في كل ما ياتون وما يذرون ولاحاطة علمه سبحانه بجميع ما في
السماء والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعدما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تع يوم القيمة وما سيعتريهم
من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي
لغة القريب والمراد باولياء الله تع خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتع كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم
في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون
ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية
استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين
والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي
وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله
تع ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تع
واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا
وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل الذين امنوا اى بكل ما جاء من عند الله تعالى
وكانوا يتقون اى يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على
انه خبر لمبتدا محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين
الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر
والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن
كل ما يؤثم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهي التقوى الحقيقي المامور به في قوله
تع يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كانت
حال الكل من دخل معه عليه السلام تحت الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من عمل الخ خلا ان لهم في شان التبتل والتنزه درجات
متفاوتة حسب تفاوت درجات استعدادتهم الفائضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه
همم الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق
في عالم الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة
القدسية فلك امر الولاية برهوا التقوى المذكور فاولياء الله تع هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل انهم الذين تولى الله

هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تع والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم اى
تسميتهم لما روى عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله تع فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم
اى بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون فى الله كما روى عن عمر رض انه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم
يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء تغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله
خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فى الله ان وجوههم
لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة
المذكر لله تع والتحاب فى الله سبحانه من الاحكام الدينية اللازمة للايمان والتقوى والاثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص
بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس وقد اورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما تقتضيه مقام الارشاد
والتذكير ترغيبا للسائلين وغيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من احكامهما فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى
اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين
الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها
وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويحجروا من لا يوافقهم فى الدين من ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فمقصود
لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشى وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين امنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تع وقوله عز وعلا
لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة . تفسيرا لتوليه تع اياهم ولا ريب فى ان اعتبار القيد الاخير فى مفهوم الولاية
غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين فى تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم باثارها ونتايجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما
يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله
ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولى بالكرامة عين نتيجة الولاية
فاعتباره فى عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذى يقتضيه نظم الكريم ان
الاول تفسير للاولياء حسبما شرح والثانى بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما
والجملة مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم فى الدارين وتقديم الاول لما ان
التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة
بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال
العناية بتفسير الاولياء مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لاتقائهم عما يؤدى اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد
به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والاجلة الغنية عن البيان واشار الابهام والاجمال للايذان
بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان فى موقع الحال منه والعامل ما فى الخبر من معنى الاستقرار اى لهم البشرى حال كونها فى
الدنيا وحال كونها فى الاخرة اى عاجلة واجلة او من الضمير المجرور اى حال كونهم فى الحيوة الدنيا الخ ومن البشرى العاجلة
الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابى ذر رض قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام
تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى فى الدنيا فهى البشارات الواقعة للمؤمنين
المتقين فى غير موضع من الكتاب المبين وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه عليه السلام
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تع تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى فى الاخرة فتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون
من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات العاجلة والاجلة المطلوبة لغاياتها
لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شان التنزيل الكريم لا
تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التى من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة
ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل
كلماته تع ليس عدم الخلف بينها وبين نتايجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سيأتى
بطريق الوعد من قوله تع لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى فى الدارين هو الفوز العظيم الذى لا
فوز وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة التى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرط ان
يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل والسابقة اعتراض ولا يحزنك قولهم تسلية للرسول عليه السلام عما كان يلقاه
من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه السلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له
ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرى ولا يحزنك من احزن وهو فى الحقيقة نهى له عليه السلام عن الحزن كانه
قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به فى شانك مما لا

تكوين منه بشاره بما
سيقع من البشارات

فيه وانما وجه النهى الى قولهم للمبالغة فى نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهى عن التاثير نهى عن التاثر باصله ونفى له بالمرة
وقد توجه النهى الى اللازم والمراد هو النهى عن الملزوم كما فى قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهى عن الحزن بالايراد
مع شمول النفى السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام
فى بعض الاوقات نوع حزن فسلى عن ذلك وقوله تع ان العزة تعليل للنهى على طريقة الاستيناف اى ان الغلبة والقهر
لله جميعا اى فى ملكته وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم
وقد كان كذلك فهى من جملة البشريات العاجلة وقرى بفتح ان على صريح التعليل اى لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون
فى حقك ويعلم ما يضمرون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض اى العقلاء من الملائكة والثقلين
وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا لله سبحانه وتع
مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق من اختصاص العزة
بالله تع الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تع وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون
محذوف لظهوره اى ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فى الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور
دلالته على الاخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تع ان يتبعون
الا الظن اى ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون
من دون الله شركاء اى وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة فى بيان بطلان اتباعهم
وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اى واى شئ يتبعون الا
الظن والخيال الباطل كقوله تع ما تعبدون الا اسماء سميتموها الخ وقرى تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل
واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تع مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم
بهم فى ذلك كقوله تع اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع
هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه
ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده تع بالقدرة
الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة
تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فلكم مفعوله
الثانى او حال كما فى الوجه الاول والمفعول الثانى لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثانى من الجملة الثانية كما ان
العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما فى الاولى والتقدير هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا
فيه لمصالحكم كما سيجئ نظيره فى قوله تع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الاية فحذف
فى كل واحد من الجانبين ما ذكر فى الاخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازى كالذى فى نهاره صائم
ان فى ذلك اى فى جعل كل منهما كما وصف او فيهما وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو شانه
لايات اى عجيبة كثيرة او ايات اخر غير ما ذكر لقوم يسمعون اى هذه الايات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الايات التكوينية
الامرة بالتامل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الايات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون
بها قالوا شروع فى ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا اى تبناه سبحانه تنزيه وتقديس له عما نسبوه
اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغنى على الاطلاق عن كل شئ فى كل شئ وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد
من احكام الحاجة وقوله تع له ما فى السموات وما فى الارض اى من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تع لكل ما سواه
وقوله تع ان عندكم من سلطان اى حجة بهذا اى بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان
الساطع عن المعارض فمن فى من سلطان زائدة لتاكيد النفى وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف
لاعتماده على النفى وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما فى عندكم من معنى
الاستقرار كانه قيل ان عندكم فى هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة فى الالزام والافحام وتاكيد ما
فى قوله تع اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلافهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهى جهالة
وان العقائد لا بد لها من برهان قطعى وان التقليد بمعزل من الاعتداد قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليبين لهم سوء عاقبتهم وخاتمة عاقبتهم ان الذين يفترون على الله الكذب اى فى كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء
بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم
النجاة والفوز بما يندرج فى ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة فى الزجر عن الافتراء عليه
سبحانه متاع فى الدنيا كلام مستانف سيق لبيان ان ما يترأى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية

على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه ايضا بقوله عز وعلا ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعد ذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدي اليه من الرياسة عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع والآية المسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما يقتضيه ظاهر قوله تع ثم الينا وقوله تع ثم نذيقهم وما داخلة فيه على ان النبي عليه السلام مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل واتل عليهم اي على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبأ نوح اي خبره الذي له شان وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تع وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول لنبأ او بدل منه بدل اشتمال واياما كان فالمراد بعض نبائه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تع لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق عليكم مقامي اي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان اي لفلان ومنه قوله تع ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة او قيامي وتذكيري بآيات الله فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط اي دمت على تخصيص التوكل به تع ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل بتنزيل الفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاعزموا على امركم الذي تريدون بي من السعي في اهلاكي واحتشدوا فيه على اي وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اي مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب او نحوه حيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعد من عصمته وكلاءته وكلمة ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موقع الاضمار لزيادة تقرير تقتضيها مقام الامر بالاظهار الذي يستلزمه النهي عن الستر والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي ولا تمهلوني كقوله تع وقضينا اليه ذلك الامر وادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد اما الاستمرار عليه واما احداث التولي المخصوص اي ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل صحة ما اقول ودلائلها التي من جملتها دعوتي اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بي من السوء غير مبال بكم وبما يأتي منكم وعجزكم من الاجتراء علي منكم باني على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم بمقابلة وعظي وتذكيري من اجر تؤدونه الي حتى يؤدي ذلك الى توليكم اما لاتهامكم اياي بالطمع والسؤال واما لثقل دفع المسؤول عليكم او حتى يضرني توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الجزائية لسببية الشرط لاعلام مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس في مصحح له ولا تأثر منه وقوله عز وجل ان اجري الا على الله ينتظم المعنيين جميعا خلا انه على الاول تاكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام عنهم اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه تع يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل ما يصيبني

البلاء في طاعة الله تع فكذبوه فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحقق ان توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه في الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اي بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشان المقدم وتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول عليه السلام وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا اي ارسلنا من بعده اي من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد كثير الى قومهم اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل والى قوم ما اي قوم كانوا بل كل رسول الى قوم خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص فجاؤهم اي جاء كل رسول قومه المخصوصين به بالبينات اي بالمعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين ضميري جاؤهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان كان المحكي آخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في قوله عز وجل بما كذبوا به من قبل تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الخ وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها آثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليه السلام فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تع وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير وفي ارجاعه الى الحق ادعاء كونه مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف كذلك اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشانهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تع وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله تع ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهرون خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراج خبرهما فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام مع اقوامهم وترك في ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شان القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام الى فرعون وملئه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل اليهم في النوازل والملمات بآياتنا اي ملتبسين بها وهي الآيات المفصلات في الاعراف فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اي فاتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الخ وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم اي الجثة فلذلك اجترؤا على ما اجترؤا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا يساعده قوله عز وعلا فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين فانه صريح في ان المراد باستكبارهم

ماوقع منهم قبل مجئ الحق الذي سموه سحرا اعني العصا واليد البيضا كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عم
من الايات العظام والفاء فيه ايضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع اخر كانه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله
تع فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم
وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر قال موسى استيناف
مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى عم فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي
اتقولون للحق الذي هو ابعد شئ من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر
من غير تامل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا
ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي اتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم
او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر
في قوله تع سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فيستغني عن المفعول اي اتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل اسحر
هذا انكار مستانف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل
اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا افيه عيب حسبما تقتضيه ظاهر
الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على انه ليس فيه شائبة عيب تما
وما في هذا من معنى التقريب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات
الله المنادية على امتناع كونه سحرا اي اسحر هذا الامر الواضح مكشوف وشانه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له
عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه
من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول
من قال جاء الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي
لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب
الناجين عن كل محذور وقوله تع اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا
بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى
اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر
من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به
الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيلي عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق
من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم
لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من ياتون به من السحرة واما ثالثا فلان قوله عز وجل قالوا اجئتنا
الخ مسوق لبيان انه عليه السلام القمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح
واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو داب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على انه استيناف وقع جوابا
عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تع قال موسى الخ حسبما اشير اليه كانه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عند
ما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان عما وجدنا عليه اباءنا
اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذي شرح اذ
على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في
انه لا علاقة بين قولهم اجئتنا الخ وبين انكاره عليه السلام لما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا عنه وتكون لكما الكبرياء اي الملك
او التكبر على الناس باستتباعهم وقرئ يكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تع في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون او
بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين
اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما
عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للاخر واما اللفت والمجئ له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة
اسند الى موسى عليه السلام خاصة وقال فرعون توجيها للفعل لان الامر من وظائف فرعون اي قال لملائه يامرهم بترتيب
مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن الزامهما بالقول ائتوني بكل ساحر عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه
وقرئ سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم لامر فرعون كما هو شان الفاء
الفصيحة في كل مقام اي فاتوا به فلما جاءوا قال لهم موسى لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم
في السور الاخر من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك القوا ما انتم ملقون اي ملقون له كائنا ما كان من
اصناف السحر فلما القوا ما القوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا

ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدا والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه وهو من
جنس السحر يبهمان حاله بين لا يعبأ به كانه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به وقرئ السحر على الاستفهام فما استفهامية
اي اي شئ جئتم به اهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر وكلها
على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر
اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتاكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه
السحر دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس
المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه و
يهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد
وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله تع سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين الاخيرين
لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف
بالاجرام من السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر قد فصل في موقع آخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما
يافكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك واشعارا بالايجاز وايذانا بان قوله تع ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا و عطفه
على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به
فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان
فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن له عليه السلام بمشاهدة تلك الايات القاهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد
قوم بني اسرائيل حيث دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة
من شبانهم آمنوا به عليه السلام او مؤمن آل فرعون وامراته آسية وخازنه وامراته وماشطته وهو بعيد على خوف اي
كائنين على خوف عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء او لان المقام مقام بيان علوه في الفساد
وغلوه في الشر والتسلط على العباد او لان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن
اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل
اشتمال او مفعول لخوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد
حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن
المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض
تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا
وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق
الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تع فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط
ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا
لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا حتى
يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله تع ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وشوم مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم
وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله تع واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان مفسرة
لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم
تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلي اليها واقيموا الصلاة اي فيها
امروا بذلك في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة
لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان
جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع
ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة اي ما يتزين به من
اللباس والمراكب ونحوها واموالا وانواعا كثيرة من المال في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر
بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت او للعلة لان ايتاء
النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال او لانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون
ربنا تكريرا للاول تاكيدا او تنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تع ربنا اطمس على اموالهم الطمس
المحق وقرئ بضم الميم اي اهلكها واشدد على قلوبهم اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شانهم فلا
يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه

ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك **قال قد اجيبت دعوتكما** يعنى موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر
به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير فى المواقع الثلاثة **فاستقيما** فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا
فان ما طلبتماه كائن فى وقته لا محالة روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة **ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** اى عادات
الله سبحانه فى تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة فى الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تع وقرى بالنون
الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا **وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر** هو من جاوز المكان اذا تخطاه
وخلفه والباء للتعدية اى جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرى جوزنا وهو من التجويز
المرادف للمجاوزة لا مما هو بمعنى التنفيذ نحو ما وقع فى قول الاعشى كما جوز السكى فى الباب فيتق والا لقيل وجوزنا بنى اسرائيل
فى البحر وعلا النظم الكريم عن الايذان بانفصالهم عن البحر بمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المفهوم من الفرقين
اذ هبه وذهب به **فاتبعهم** يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اى ادركهم ولحقهم **فرعون وجنوده** حتى ترائت
الفئتان وكاد يجتمع الجمعان **بغيا وعدوا** ظلما واعتداء اى باغين وعادين او للبغى والعدوان وقرى وعدوا وذلك ان موسى عم
خرج ببنى اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر وسلكهم باقيا على
حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم **حتى اذا ادركه الغرق** اى لحقه
قال امنت انه اى بانه والضمير للشان وقرى انه على الاستيناف بدلا من امنت وتفسيرا له **لا اله الا الذى امنت به بنوا**
اسرائيل لم يقل كما قاله السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تع بالموصول وجعل صلته ايمان بنى اسرائيل
به تع للاشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا فى القبول والانتظام معهم فى سلك النجاة **وانا من**
المسلمين اى الذين اسلموا نفوسهم لله تع اى جعلوها سالمة خالصة له تع واراد بهم بنى اسرائيل خاصة واما الجنس وهو داخل
فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على امنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثانى يحتمل الحالية ايضا
من ضمير المتكلم اى امنت مخلصا لله منتظما فى سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد ثلث عبارات حرصا على القبول
المفضى الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات وقوله تع **آلآن** مقول لقول مقدر معطوف على قال
اى فقيل له آلآن [illegible] كما ينبئ عنه ما سيجىء منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه الانكار
التوبيخ على تاخيره الى ان [illegible] وفى حذف الفعل المذكور [illegible]
من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يقع عنه ما روى ان جبريل عليه السلام دس فى فيه عند ذلك حال
البحر [illegible] تاكيد للرد القولى بالرد الفعلى [illegible] الرحمة فيما نقلنا عن النبى عليهما السلام
[illegible] مخافة ان تدركه الرحمة [illegible] النجاة التى هى طلبه المخذول وليس
من ضرورة تداركها صحة الايمان كما فى ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور فى شان جبريل عليه السلام
من الرضا بالكفر اذ لا استحالة فى ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك فى حالة الباس واليأس فيحمل
دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل فى الظرف ان
يقدر مؤخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخير الايمان الى حد الآن ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل
يمتنع قبوله فيه اى الآن تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وقوله عز وعلا **وقد عصيت قبل** حال من فاعل الفعل المقدر
جئ به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر
فى دلائله ولا يتروى لشئ اخر مما عسى يعد عذرا فى التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله تعالى
وكنت من المفسدين عطف على عصيت داخل فى حيز الحال اى وكنت من الغالين فى الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تع الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والسارى
الى غيره من الظلم والتعدى وصد بنى اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به **فاليوم ننجيك** اى نخرجك مما وقع فيه
قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفى التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما مر وتهكم به او نلقيك على
نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرى ننجيك من الانجاء ونحيك بالحاء من التنحية اى نلقيك بناحية الساحل **ببدنك** فى موقع
الحال من ضمير المخاطب اى ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم لاطماعه بالمرة او عاريا
عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرى بابدانك اى باجزاء بدنك كلها كقولهم
هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها **لتكون لمن خلفك آية** لمن وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان فى نفوسهم
من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى روى انهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على
ممرهم من الساحل او تكون لمن ياتى بعدك من الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم
على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان
الربوبية وقرى لمن خلفك فعلا ماضيا اى لمن خلفك من الجبابرة وقرى لمن خلقك بالقاف اى لتكون لخالقك آية كسائر الآيات

فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وبرهان نير
على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا وفى تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها
ليست لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن تقتل
ثم يجر جسده فى الاسواق او يدار براسه فى البلاد واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية اى كائنة
لمن خلفك **وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون** لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلى جئ به عند الحكاية تقريرا
لمحتوى الكلام المحكى **ولقد بوانا بنى اسرائيل** كلام مستانف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال
واخلالهم بشكرها واداء حقوقها اى اسكناهم وانزلناهم بعد ما انجيناهم واهلكنا اعداءهم **مبوا صدق** اى منزلا صالحا مرضيا
وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها حسبما نطق به قوله تع واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها **ورزقناهم من الطيبات** اى اللذائذ **فما اختلفوا** فى امور دينهم **حتى جاءهم العلم** اى
الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التورية وعلمهم باحكامها او فى امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر
معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم **ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه**
يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب **فان كنت فى شك** اى فى شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون
الشرطية انما هو تعليق شئ بشئ من غير تعرض لامكان شئ منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تع لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما **مما انزلنا** اليك من القصص التى من جملتها
قصة فرعون وقومه واخبار بنى اسرائيل **فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك** فان ذلك محقق عندهم ثابت فى كتبهم حسبما القيناه
اليك والمراد اظهار نبوته عليه السلام بشهادة الاخبار حسبما هو المسطور فى كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف
اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة نبوته عليه السلام او تهييجه عليه السلام وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز
صدور الشك عنه عليه السلام ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسال وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وتميم الدارى وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبى عليه السلام والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت
ايها السامع فى شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها
بالرجوع الى اهل العلم وقرى فاسال الذين يقرءون الكتب **لقد جاءك الحق** الذى لا محيد عنه ولا ريب فى حقيته **من ربك**
وظهر ذلك بالآيات القاطعة التى لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من التشريف ما لا يخفى **فلا تكونن من الممترين** بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل **ولا تكونن من**
الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغى ان ينهى
عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة **فتكون** بذلك **من الخاسرين** انفسا
واعمالا **ان الذين حقت عليهم** شروع فى بيان اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اى ثبتت ووجبت بمقتضى المشية
المبنية على الحكمة البالغة **كلمة ربك** حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى النار كقوله تع ولكن حق القول منى
لاملان جهنم الخ **لا يؤمنون** ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اى لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا فى اوانه فيندرج
فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون باقيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون **ولو جاءتهم كل آية** واضحة المدلول
مقبولة لدى العقول لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تع به مفقود ولكن فقدانه ليس بمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له
بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك **حتى يروا العذاب الاليم** كداب آل فرعون واضرابهم **فلولا كانت**
كلام مستانف لتقرير ما سبق وقرى فهلا وقرى كذلك اى فهلا كانت **قرية** من القرى المهلكة **آمنت** قبل معاينة العذاب ولم يؤخر
ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه **فنفعها ايمانها** بان يقبله الله تع منها ويكشف بسببه العذاب عنها **الا قوم**
يونس استثناء منقطع اى لكن قوم يونس **لما آمنوا** اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله **كشفنا عنهم عذاب**
الخزى فى الحيوة الدنيا بعد ما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان يكون الجملة فى معنى النفى كما ينبئ عنه حرف التخصيص فيكون الاستثناء
متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله
تع لما آمنوا استينافا لبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية **ومتعناهم** بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم **الى حين**
مقدر لهم فى علم الله سبحانه روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما
فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام اجلكم اربعون ليلة فقالوا
ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى
يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم
وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة
وتضرعوا الى الله تع فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا

المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين وجودا وعدما على قطب مشيئته تع مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشية محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور اي لو شاء سبحانه ايمان من في الارض من الثقلين لآمن كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التي عليها بني اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تع ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشاء الله منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطيه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل اربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيته تع ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيته تعالى بناء على ان الهمزة متاخرة في الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو راى الجمهور واياما كان فالمشية على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشية الالجاء خاصة في انكار الترتب عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشاركه فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشية كما اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيته تع وجودا بعد بيان الدوران الكلي عليها وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تع انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله ومنحه الالطاف وانما خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تع وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تع فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس لا محيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال عن غيرها ويجعل الرجس اي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب او الخذلان المؤدي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي اي يجعل الكفر ويبقيه على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فياذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الخ قل مخاطبا لاهل مكة بعثا لهم على التدبر في ملكوت السموات والارض وما فيهما من تعاجيب الآيات الانفسيه والآفاقيه ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة انظروا اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى لام قل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا مغلبا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدا خبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدا وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدا وعلى التقديرين فالمبتدا والخبر في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع وقرئ بالتذكير الآيات وهي التي عبر عنها بقوله تع ماذا في السموات والارض والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه فما نافيه والجملة اما حاليه او اعتراضيه ويجوز كون ما استفهاميه انكاريه في موضع النصب على المصدريه اي اغناء تغني الخ فالجملة ح اعتراضيه فهل ينتظرون اي مشركو اهل مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اي لا يوما مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضيه اي مثل وقائعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضيه لتهويل امرها باستحضار صورها وتاخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تع فنجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظائره الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا كذلك اي مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة بقوله تع ننجي المؤمنين اي من كل شر وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع واما الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشان ما بلغ اليهم ان كنتم في شك من ديني الذي اتعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذا

اي فاعلموا انه تخصيص العبادة به تع ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تع لتقديم التخليه على التحليه كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر وان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا وامرت ان اكون من المسلمين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلته ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبريه والطلبيه ووجوب كون الصلة خبريه في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبريه وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء المامور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلاة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال حنيفا حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز وعلا ولا تدع عطف على قوله تع قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيتين متسقه لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما انه لا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تاكيد للنهي المذكور وتفصيل لما اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع من دون الله استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب دفعا او رفعا او بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب فان فعلت اي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني عنه تنويها لشانه عليه السلام وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطيه فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا من كان وما كان الا هو وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه والمستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكليه وان يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة اي ان يرد ان يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما اراد لك به من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تع بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه او بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر انما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجيه لا بالقصد الاولي واورد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الآخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيب به اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد لك به من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المظهر موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يا باه قوله عز وجل من يشاء من عباده فان ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز وعلا وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تع يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطيه الاخيره محقق لمضمونها قل مخاطبا لاولئك الكفرة بعدما بلغتهم ما اوحي اليك يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما مر آنفا من اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما في مطاويه فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والاعراض عنه فانما يضل عليها اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه عليه السلام من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتاكد يوما فيوما وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عم بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنائي واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصر عليهم او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا يونس اعطي له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق

سورة هود

سورة هود مائة وثلث وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الر محله الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف وقيل على انه مبتداء والاول هو الاظهر كما اشير اليه في سورة يونس عليه السلام او
النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرا على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب
مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني ولمبتداء محذوف على الوجوه الباقيه
احكمت اياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او
منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد
بالايات جميعها او على حقية ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعيه فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من
النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصه واما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لمنعها
من الجماح ففيه ايهام ما لا يكاد يليق بشان الايات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه
المذكورة الى ايات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى
غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في
المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها آية آية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب
عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تنزل الايات محكمة مفصلة
لا انها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك اذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا
من صفات الايات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة واثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد
ناسب ان يشار الى تراخي رتبتها عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل
الا انه ليس في مناسبة في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والاثار وافرقت في التنزيل بحسب المصالح فان اريد تنزيلها
المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان
ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت اياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك
ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعدما وصف باحكام اياته وتفصيلها
الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدأ المذكور او المحذوف او صلة
للفعلين اي بنيانهما للمفعول ثم ابرازيا ذا الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلايلها ودقائقها منسكبا الى التنكير التفخيمي
بيرا على النسق المعهود في اسناد الافاعيل الى فاعليها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على تخامهما وكونهما على اكمل
ما يكون ما يكتنه كنهه ان لا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل
جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدريه كانه قيل كتاب احكمت اياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله
اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان
والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبه وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله انني
لكم منه اي من جهته الله تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى وبشير ابشركم بثوابه
ان امنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شئون الكتاب من احكام اياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى واورد معظم
ما نظم في سلك الغاية او الامر من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينه اعني الاستغفار والتوبة ذكران من
نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحها من المؤيدات من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد
في اقصى مراتب الاهميه حتى افرد بالذكر وايد اجابه بالخطاب عقيب الكتاب مع تلويح بانه كما لا تحقق في نفسه الا مقارنا للحكم
برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الاخر فقد روعي في سوق الخطاب بتقديم الانذار على
التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخليه على التحليه ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله
تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه عليه السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه صلى الله عليه وسلم
قال ترك عبادة غير الله اي الزموه على معنى اتركوا عبادة الله تركا مستمرا انني لكم من جهة الله نذير وبشير او نذير انذركم من عقابه
على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير ترككم له وتوحيدكم ولما سيق اليهم حديث التوحيد وكذلك بخطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تتمته على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف البشير
والنذير فقيل وان استغفروا ربكم وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية لجواز كون صلتها
امرا ونهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب
كونها خبريه في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبريه واما الموصول

الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صله حسب مساغ وقوع الفعل
فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعليه عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا اليه عطف على استغفروا
والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من
الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او تستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي
وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل في اثناء تفصيل الايات لا تعبدوا الا الله واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية
تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع واثار الفصل بقوله يمتعكم متاعا
حسنا اي يمتعكم تمتيعا واستنابه على انه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم
لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه
شيء من المكدرات الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو اخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع
اليها مجرى التابيد عادة او لا يهلككم بهلاك الاستيصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا
او في الاخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت
الحال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا اكثر مما متع اخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول
اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الاخرة وذلك مما لا مرد له وهذا
تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل فان تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار
والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب ولان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار
والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم بموجب الشفقه والرافة او اتوقع عذاب يوم
كبير هو يوم القيمه وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك في
نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل كما في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا
بالقحط اكلوا فيه الجيف واياما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك
اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج في تلك الكليه قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم
باقانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم فحوى الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له
صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما بعدها
من هنا تهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا
عليه من التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا
نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله عز وجل ليستخفوا منه التجأ الى اضمار الاراده حيث
قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله في ورود المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله
تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء
ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض
عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة
وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايماء الى ان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المنكرة
فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله عليه السلام
المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى
صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو راه النبي عليه السلام لم
يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني
صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي لتثنوني وقرئ
تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلاء وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات
او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي
بوزن ترعوي الا حين يستغشون ثيابهم اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد وحين ياوون الى فراشهم ويتدثرون
بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول
هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم
فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما

يجهرون به وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تع قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع فى قوله تع وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تع بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تع بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تع وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تع واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن اقتضاء التاكيد والمبالغة فى الاخبار باحاطة علمه تع بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغيبة عنه بما قبله من قوله عز وجل انى اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار مرتبة السر متقدم على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر فى القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانيه انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفى صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبيتها من البراعة ما لا يتصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفيه المستكنة فى صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تع ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعى او ارادى لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جئ على طريقة الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تع والاعراض عن اتعاب النفس فى طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها فى الاصلاب ومستودعها موضعها فى الارحام وما يجرى مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب فى حيزها الطبيعى ومنشأها الخلقى واما بالنسبة الى الارحام وما يجرى مجراها فهى مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض حيث وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة فى الارض والمعنى ما من دابة فى الارض الا يرزقها الله تع حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المخالفة المندرجة فى مراتب الاستعدادات المتفاوتة المنطوية فى الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها فى كل مرتبة ما يليق بها من مبادى وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع بما كانها فى الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها كل من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها فى كتاب مبين اى مثبت فى اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما فى الارض من المخلوقات التى لا تكاد تحصى من مبدا فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدا خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام السموات فى يومين والارض فى يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك فى يومين حسبما فصل فى سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما فى الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر فى جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها فى قوله تع فى اربعة ايام اى فى تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما فى قوله تع ومن يولهم يومئذ دبره اى فى ستة اوقات او مقدار ستة ايام فان اليوم فى المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفى خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التانى فى الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استأثر بعلمه علام الغيوب جلت حكمته واثار صيغة الجمع فى السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبايع ومتفاوتة الاثار والاحكام وكان عرشه قبل خلقهما على الماء ليس تحته شئ غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد فى الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث فى العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اى خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التى من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادى وجودكم واسباب معايشكم واودع فى تضاعيفهما من تعاجيب الصنايع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينيه ليعاملكم معاملة من يبتليكم ايكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسئ وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثانى فكذا الحال فى عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذى اثير وانما طريقها النظرى التفكر فى بدايع صنايع الملك الخلاق والتدبر فى اياته البينات المنثورة فى الانفس والافاق ولا طاعة بدون فهم ما فى مطاوى الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهى وغير ذلك مما له مدخل فى الباب

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى امر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ولان احدا لا يقدر ان يعمل فى اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار ما فيه كالنظر ونظائره ولذلك اجرى مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلى مما ذكر من ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرايع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدى كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم فى مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع فى مهاوى الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينظم ظهوره فى سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب فى الترقى الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها والله تع اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه قضية الابتلاء لترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا ان وجه الخطاب فى قوله تع انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اى ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين اى مثله فى الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحى المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن لانبائه عنه فى كل موضع وكونه علما عندهم فى ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم فى العناد وتفاديا عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلائمه التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شئ موجود ظاهر الا اصل له فى الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الاية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يتلعثمون فى الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هو من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذى خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرا حمزة والكسائى الا ساحر على ان الاشارة الى القائل او الى القرآن على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان انك بمعنى علك فى علك اى ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اى توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه مجاراة معهم فى الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد ريثما قرع اسماعهم القول بخلاف ما الفوا والفوا عليه اباءهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر وما فعلوه قاتلهم الله انى يؤفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على بعثهم او العذاب الموعود فى قوله تع فان تولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضه انه قتل جبريل عليه السلام للمستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعضا منهم على انه لم يكن موعودا ايستعجل به المجرمون الى امة معدودة الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل ليقولن ما يحبسه اى اى شئ يمنعه من المجئ فكانه يريدون انه ليس شئ يمنعه مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تع ما كانوا به يستهزءون ومرادهم انكار المجئ والحبس راسا لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه الا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا محبوسا عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الاخرة او لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز فى غيره توسعا وبانه قد يتقدم المعمول حيث لا يجوز تقدم العامل كما فى قوله تع فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهيه مع امتناع تقدم الفعلين عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقدم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الاية الكريمه وقول الشاعر فيأبى فما يزداد الا لجاجة وكنت ابيا فى الخنا لست اقدم وحاق بهم اى احاط بهم ما كانوا به يستهزءون اى العذاب الذى كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء وفى التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد فى حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنه بالماضى وارد على عادة الله تعالى فى اخباره لانها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرر وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اى اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه اى سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها انه ليؤس شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا او آجلا بفضل الله تع لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتاخير هذا الوصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان

الياس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره في الاجل من باب الكفران للنعمة السالفة
ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء
بالذوق المؤذن بلذتها وكونها مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة
من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تع انما هو ايصال الخير الى
المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كانما
يلاصق البشرة من غير تاثير واما نزع الرحمة فانما صدر عنه بقضية الحكمة الداعية الى ذلك وهى كفرانهم بها كما سبق وتنكير
الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عنى اى المصائب التى تسوؤنى ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شان اولئك
الاشرار فان المترقب لورود امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش انه لفرح بطر واشر بالنعم مغتر بها فخور على الناس
بما اوتى من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الايات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب
الشرط الا الذين صبروا على ما اصابهم من الضراء سابقا او لاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لالائه
الاخرة السالفة والانفة واللام في الانسان اما للاستغراق الجنس فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع اولئك اشارة الى
الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اى اولئك
الموصوفون بتلك الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وان جمت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق
الايات الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال
الواقع في قوله تع ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونها ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا
يهتدى الى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه الى مهاوى الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين
اومن حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان
مجبولة على ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل
لما فيه وضائق به صدرك اى عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم في اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لولا
يقولوا اقتراحا على سبيل البراهين التى لا يكاد يخفى صحتها على احد منهم له ادنى تبصر وتماديا في العناد وجحدا في اقتراح لولا انزل
عليه كنز مال خطير يخزون بدل على صدقه او جاء معه ملك يصدقه قيل قاله عبد الله بن ابي امية المخزومي وروى عن ابن عباس
رضى ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال اخرون ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوتك فقال
لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظايم غير قانعين بالبينات الباهرة
التى كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة كل صعب وذلول ساع الى
المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا مثل حاله عليه السلام بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الايات
الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقيل انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحى
اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل
بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في اقصى غاية من اصابة المحز ام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر تركهم الاعتداد
بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته
عليه السلام وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجب والضمير المستكن
في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى اى بل يقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فاتوا
انتم ايضا بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اى امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحد منها او لان
المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تع انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة
في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها
بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا
يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدى وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان
المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فاتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عند نفسي
فانكم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء بلغاء وقد مارستم مبادى ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقايع والايام مع زيادة
اساليب النظم والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم التى تزعمون انها ممدة لكم
في كل ما تاتون وتذرون والكهنة ومدارهم الذين تلجاون الى ارائهم في الملمات البعيدة وكبرائهم فيها من دون الله متعلق بادعوا
اى متجاوزين الله تع ان كنتم صادقين في انى افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف
يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اى فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كقوله تع فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة
ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كان امره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم الى امر يريدون تحقيقه والضمير في لكم للرسول

عليه السلام والجمع للتعظيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عليه السلام في
الامر بالتحدى وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه عليه السلام ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا
يفعلونه في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمانينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا
اى اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تمادى تهالكهم علما يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه
كان ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للاشعار بانحطاط تلك المراتب بل بارتفاع هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك
مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا
واستمروا على ما كنتم عليه من العلم انما انزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقول والافهام مستبدا بخصائص
الاعجاز من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو اى واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا
يقدر على ما يقدر عليه احد فهل انتم مسلمون اى مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج
اليقين ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا تحت الامر بالتحدى والضمير في لم
يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجب لكم الهتكم وسائر من اليهم تجارون في مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة
فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر وايراد كلمة الشك مع الجزم بعدم الاستجابة
من جهة الهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق
بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعد ما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم
الحيل وعيت بكم العلل او من حيث ان من يستمدون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك
قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان الهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الالوهية واحكامها فهل انتم
داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القران
من عند الله تع دخولا اوليا او منقادون للحق الذي هو كون القران من عند الله تع وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي
هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم الهتهم
من باس الله عز سلطانه وهذا والاول انسب لما سلف من قوله تع وضائق به صدرك ولما سياتي من قوله تع فلا تك في مرية
منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اى ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة
في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله
تع نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الاخرة اصلا وليس المراد
باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال كل ما يهواه فان ذلك منوط بالمشية الجارية على قضية الحكمة
كما نطق به قوله تع من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة
بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة
وقرى يوف على الاسناد الى الله عز وجل وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرى توفى بالتخفيف والرفع لكون
الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها اى في الحيوة الدنيا لا يبخسون اى
ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء
الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في نفي
النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات
اعمالهم واجورها نقصا كليا واما في الاخرة فهم في الحرمان المطلق والياس المحقق كما نطق به قوله تع اولئك الخ فانه اشارة
الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اى اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير
بخس الذين ليس لهم في الاخرة الا النار لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها
ولم يكونوا يريدون بها شيئا اخر فلا جرم لم يكن لهم في الاخرة الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا فيها اى ظهر في الاخرة
حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدى الى الثواب لو كانت معمولة للاخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر
اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اى في نفسه ما كانوا يعملون في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من
شانه استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صلاح قط علق
بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا
بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال
البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنية وقرى
وبطل على الفعل اى ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره
الدنيوي فبطل مطلقا وقرى وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام

اى بطل بطلانا ما كانوا يعملون مصححه

اى وباطلا اى باطل ما كانوا يعملون مصححه

وعن انس رضی ان المراد بقوله تع من كان يريد الحيوة الدنيا الخ كاليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم
جزاء ذلك بتوسعة فی الرزق وصحة فی البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه اسهم لهم
فی الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال
فلان قارى فقد قيل ذلك وهكذا لغيره من يعمل اعمال البر لا لوجه الله تع فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تع ليس لهم الا النار بان ليس
لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذی يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون
فی القران العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا بان القران منزل
بعلم الله وبان لا قدرة لغيره على شیء اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من
دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شیء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شیء فی الجملة من
نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل من الدلالة عليه ولقد بين ذلك ای بيان
ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقران والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه ای برهان نير عظيم الشان يدل
على حقية ما رغب فی الثبات عليه من الاسلام وهو القران وباعتباره او بتاويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليها فی قوله تعالى
ويتلوه ای يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تع وهو الاعجاز فی نظمه المطرد فی كل مقدار سورة منه او ما وقع فی بعض آياته
من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير انه على التقدير الاول يكون فی الكلام اشارة الى
حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فی تمسكهم بالقران عند تبين كونه منزلا من بعلم الله بشهادة الاعجاز منه ای من
القران غير خارج عنه او من جهة الله تع فان كلا منهما وارد من جهته تع للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات
الظاهرة على يدی رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقران الواردة من جهته تع فالمراد بمن فی
قوله افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم دخولا اوليا وقيل هو النبی عليه السلام
وقيل مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القران فالضمير فی منه لله عز وجل
او البينة القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان النبی صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد
ملك يحفظه والاولى هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تع تابعا له بحيث
لا يفارقه فی مشهد من المشاهد فان القران بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذی يشهد بامرها الى يوم القيمة عند كل
مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى فی قوله عز قائلا ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه فی النزول فكانه قيل
افمن كان على بينة من ربه يشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم فی الذكر المؤخر فی النزول
لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه ولعراقته فی وصف التلو والتنكير فی بينة وشاهد للتفخيم اماما ای مؤتما به فی الدين
ومقتدى وفی التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شان المتلو ورحمة ای نعمة عظيمة على من انزل
اليهم ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة بالقران العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون
بتلك الصفة الحميدة وهی الكون على بينة من الله ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن
سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم يؤمنون به ای يصدقونه حق التصديق حسبما يشهد
به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به ای بالقران ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب من اهل مكة ومن
تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله تع ليس لهم فی الآخرة الا
النار وفی جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك فی مرية منه ای فی شك من امر القران
وكونه من عند الله عز وجل عقيب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه الحق من ربك الذی يربيك فی دينك
ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم فمن فی قوله تع
افمن كان على بينة من ربه مبتدا حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت
اعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعنی ان بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب
توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعد من هنا تهم كانه قيل ابعد ظهور حالهم فی الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم
المماثلة بينهم وبين من كان على احسن ما يكون فی العاجل والآجل كما فی قوله تع افاتخذتم من دونه اولياء ای ابعد ان علمتموه
رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تع افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعنی انهم مع كفرهم بآيات الله تع مفترون عليه كذبا وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار
ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وافادة
انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم انهم فی الآخرة هم الاخسرون فاذا قيل من اكرم من فلان او
لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذی هو الافتراء
على الله تع وبهذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم واكتفى باسناده اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم

من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على ابلغ وجه فان عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم
الحق وفيه ايماء الى بطلان رأيهم فی اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل ويقول الاشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين
او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح
غنی عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم
ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضار وهم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم ذما لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد الخ وتوطئة لما يعقبه من قوله الا لعنة الله
على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا على الوجه الاول من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من
عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزی على رؤس الاشهاد الذين يصدون ای كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد
عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجا انحرافا ای يصفونها بذلك وهو ابعد شیء منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا عنها ويقال
بغيتك خيرا او شرا ای طلبته لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقران وقولهم انه ليس من عند الله وهم بالآخرة هم كافرون ای يصفونها
بالعوج والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويزعمون ان لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتاكيد
كفرهم واختصاصهم به كان كفر غيرهم ليس بشیء عند كفرهم اولئك مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين
الله تع مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك فی الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون الله من اولياء
ينصرونهم من بأسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد منهم من ولی او باعتبار
تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تع فيكون ذلك بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب
استيناف يتضمن حكمة تاخير المؤاخذة وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن
الحق وبغضهم له كانهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم فی عدم اذعانهم للقران الذی طريق تلقيه السمع اشد منه
فی عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالابصار بالغ فی نفی الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى فی الثانی بنفی الابصار
فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة فی الانفس والآفاق وهو استيناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب و
قيل هو بيان لما نفى من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية وقوله تع يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط
بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة اولئك المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله
عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة و
الندامة لا جرم فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما فی حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك
الفعل حق انهم فی الآخرة هم الاخسرون وهذا مذهب سيبويه والثانی جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام
ای كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد ای لا بد انهم فی الآخرة
هم الاخسرون واياما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة
لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من
كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو فی اعلى
مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم وما لهم شرع فی بيان حال اضدادهم اعنی فريق المؤمنين وما يؤول
اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة فی قوله تع افمن كان على بينة من ربه الآية ليتبين ما بينهما
من التباين البين حالا ومآلا فقيل ان الذين آمنوا ای بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقران
الذی عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحی والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدی الى ذلك فی الانفس
والآفاق او فعلوا الايمان كما فی يعطی ويمنع وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم ای اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع
والتواضع من الخبت وهی الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل فی الخبت كاتهم وانجد دخل فی تهامة ونجد اولئك المنعوتون
بتلك النعوت الجميلة اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل
مثل الفريقين المذكورين ای حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعمى والاصم والبصير
والسميع ای كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه
الفريق الثانی بالبصير وبالسميع لكن الادخل فی المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة
بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثانی بمن جمع
بين البصر والسمع على ان يكون الواو فی قوله تع والاصم وفی قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما فی قول من قال الى الملك
القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فی المزدحم واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهی التی يدور عليها
امر التشبيه بما يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة فی جانب المشبه به من تعامی الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة فی العالم
والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات القران الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر فی قوله تع لا يستطيعون السمع وما

كانوا ابصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني
لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فسر به مجاهد
فلا يكون التشبيه تمثيلا لاجميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين بما ذكر ومايؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران
الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري السمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى
مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في ايات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة
فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملها في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه **هل يستويان** يعني الفريقين
المذكورين والاستفهام انكاري مذكر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة من ربه الاية **مثلا** اي حالا
وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان **افلا تذكرون** اي اتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او تغفلون عنه فلا تتذكرون
بالتامل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا او اتسمعون هذا فلا تذكرون فيكون راجعا الى عدم
التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الفاء هناك
لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تفعلون التذكر او
افلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله
افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى
هذا المقام انها كتاب محكم الايات مفصلها نازل في شان التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذي انزل عليه نذير
وبشير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ما له دخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقاد
من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بما عراه من ضيق الصدر العارض له من
اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقران تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عليه السلام والمؤمنين على التمسك
به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء عليهم السلام المشتملة على
ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتاكد ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء قاطبة
والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا وليتسلى بما يشاهده من
معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقيل **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه** الواو ابتدائية واللام جواب
قسم محذوف وحرف الجار لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع
وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس عليهما السلام وهو اول نبي بعث بعده
قال ابن عباس رضي الله عنه بعث عليه السلام على راس اربعين من عمره وهو ابن مائتين وخمسين سنه ومكث يدعو قومه تسعمائة
وخمسين سنه وعاش بعد الطوفان ستين سنه وكان عمره الفا وخمسين سنه وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنه وقيل وهو
ابن خمسين سنه وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنه ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنه وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين
سنه فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنه **اني لكم نذير** بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي
بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى
على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لا لان دعوته عليه السلام كانت بطريق الانذار
فقط الا يرى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الخ بل لانهم لم يغتنموا
مغانم ابشاره عليه السلام **مبين** ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخويف
والازعاج بل للحذر منه فيتعلق صفته بكلا وصفيه **ان لا تعبدوا الا الله** اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة
بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله عليه السلام وهو كونه
نذيرا مبينا ليكون ادخل ذلك في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس من اوصافه
واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذيرا او مفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور
فتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله **اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم** تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار
والمراد به يوم القيمة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نحو نهاره صائم وهذه المقالة وما في
معناها مما قاله عليه السلام في اثناء الدعوة على ما عزي اليه في سائر السور لما لم تصدر عنه عليه السلام مرة واحدة بل كان
يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات عطف على فعل الارسال
المقارن لها او القول المقدر بعده جوابهم المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه السلام بعد اللتيا والتي بالفاء التعقيبية
فقيل **فقال الملأ الذين كفروا من قومه** اي الاشراف منهم من قولهم فلان ملي بكذا اي مطيق له لانهم ملؤا بكفايات الامور او لانهم ملؤا
القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملأى بالاحلام والاراء الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر
لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة **ما نراك الا بشرا مثلنا** مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من

عطف على خبر ان وهو
قوله بلا يتم الاحوال البصرة
المذكورة تمثيلية

النبوة ولو كان كذلك لرايناه الا ان ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم **وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي**
فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه اما على حاله او بتقدير قد
عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعلق الراي في الاول بالمثلية لا بالبشرية
فقط وانما لم يبتوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه ارادة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التامل في الامر والتدبر
فيه ولذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما سياتي وتعريضا من اول الامر براي المتبعين فكان قولهم وما نراك جوابا عما يرد عليهم
من انه عليه السلام ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا
اي اخساؤنا وادانينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع ارذل جمع رذل كالكالب واكلب
وكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة راي وقد كان ذلك منهم في بادي الراي اي ظاهره
من غير تعمق من البدو او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قراه ابو عمرو بها وانتصابه على الظرف
على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب الراجحة
لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان
ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك
وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين **علينا من فضل** يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا تجد
فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم بذلتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق
واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا **بل نظنكم كاذبين** جميعا
لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم
الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف **قال يا قوم ارايتم** اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رايهم
المذكور **ان كنت على بينة** برهان ظاهر **من ربي** وشاهد يشهد بصحة دعواي **واتاني رحمة من عنده** هي النبوة ويجوز ان يكون هي
البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله **فعميت عليكم**
ح ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء
بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته
ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله
عز وجل **انلزمكموها** اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارايتم وساد مسد جواب الشرط وقرا ابو عمرو باخفاء حركة الميم وحيث
اجتمع ضميران منصوبان وقد تقدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم الله **وانتم لها كارهون**
لا تختارونها ولا تتاملون فيها ومحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم
غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضين عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه
عليه السلام بطريق اظهار الياس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الخ لكنه محمول على ان مراده عليه السلام
ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان
يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يتمايز افراد البشر بعضها عن بعض وبه مناط الكرامة عند الله عز وجل
والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام
عليها وبالرحمة النبوة التي انكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال الا من له فضيلة
على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي واتاني بحسبها نبوة
من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي
متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب
بمقام المحاجة وح يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبههم التي ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشرا
قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشافة ارائهم الركيكة **ويا قوم لا اسالكم عليه** اي على ما قلته في اثناء
دعوتكم **مالا** تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم **ان اجري الا على الله** الذي يثيبني في
الاخرة وفي التعبير عنه حين نسب اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية **وما انا بطارد الذين امنوا** جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم
انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام بذلك انفة من الانتظام
معهم في سلك واحد **انهم ملاقوا ربهم** تعليل لامتناعه عليه السلام عن طردهم اي انهم فائزون في الاخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل
لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع
عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه

فجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرائي
من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يا باه الجزم
بترتيب غضب الله تع على طردهم كما سياتي وايضا هم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الرائي بلا تامل و
تفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمواخذة في الاخرة غايته ان لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الا
على ظاهر الراي يودي الى الرجوع عنه عند التامل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تامل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه
تعسف لا يخفى ولكني اريكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وعلا وبمنزلتهم عنده باستيجاب
طردهم لغضب الله كما سياتي وبركاكة رايهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم في سلك
واحد وزعما منهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى واثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار اي وتتسافهون على
المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول سخطه عني ان طردتهم فان ذلك الامر لا مرد له لكون الطرد
ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان لا سيما غب ما قدم ما يلوح به من احوالهم فكانه قيل
من يدفع عني غضب الله تع ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تع افلا تذكرون اي اتستمرون
على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تاتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة
مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم ولا
اقول لكم حين ادعي النبوة عندي خزائن الله اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل
بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان ينال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اي لا ادعي
في قولي اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ولا اقول اني
ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور
الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي
بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم كما تقولون للذين تزدري اعينكم اي تقتحمهم وتحتقرهم من زراه اذا عابه و
اسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم
ولو تدبروا في شانهم ما فعلوا ذلك اي لا اقول في شان الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا
او في الاخرة فعسى الله ان يؤتيهم خيري الدارين ان قلت هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه
عليه السلام اصالة او استتباعا كادعاء الملائكة وعلم الغيب وحيازة الخزائن مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبرؤ
والتنزه عنه فمن اي وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم
زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تتسنى ممن ليس على تلك الصفات وان العثور على مكانها واغتنام مغانمها
ليس من داب الاراذل فاجاب عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا
عدم المال والجاه من موانع الخير الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه السلام جازم
بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء
بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني اموره على
الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة اني اذا اي اذا قلت ذلك من الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص
حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم
وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملائكة وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال مغنية عن التعليل
بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيته بانواعه فان اكثار الجدال
تحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولما
حججهم عليه السلام وابن لهم بينات واضحة المدلول وحججا تتلقاها العقول بالقبول والقمهم الحجر برد شبههم الباطلة وضاقت
عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم يوم القيمة ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما ياتيكم به الله ان شاء يعني ان
ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه ياتيكم به عاجلا او آجلا ان
تعلق به مشيته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكانه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية
وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة
لكل ما يدور عليه الخير من فعل او قول وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع
الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى ان اردت ان انصح لكم شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح
لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تع ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد

ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط واما على
ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين
فالجزاء متعلق بالشرط من عدم تقديم الجزاء على الشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه
عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال و
الخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يال جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين واخلاص
النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تع لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان
بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تع لاغوائهم و
انما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وجل
حيث دل ذلك على ان النصح المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك
وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته تع زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم
على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا من قوله تع انما ياتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم
بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تع يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده
غير واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك امركم واليه
ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه قال ابن عباس رض يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل يقول قوم نوح
ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح ان افتريته بالغرض البحت فعلي اجرامي اثمي ووبال اجرامي وهو
كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع وينصره ان فسره الاولون باثامي وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي
فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل يقولون اشركوا مكة افترى
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكانه انما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتاكيدا
لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من
المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك اي المصرين على الكفر وهو اقناط له عن
من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه الا من قد آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء
على طريقة قوله الا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من
التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا
باعيننا اي بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤنه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ
في الصنعة ووحينا اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رض لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تع اليه
ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما
للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تع اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه
بامره تع ووحيه من شانه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه السلام في سنتين وقيل في اربعمائة سنة
وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب
والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل
حمل في الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا
وسمكها ثلثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال
اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض
التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة
فمن ثمه شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات
طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني
فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بالاستتباع
اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالغرق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا
ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها البديعة وقيل تقديره واخذ يصنع
الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع واياما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله
تع وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها
فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا

منضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم
ولم يشاهدوا منه نطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر منكم اى نستجهلكم
فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم
كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ
فتكافا الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عليه السلام
اياهم بذلك والا فعدّه عليه السلام اياهم جاهلين فيما ياتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منه لكنه عليه السلام
لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة
ومتجددة حسب تجدد مرورهم منه ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ
اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستيناف فكان سائلا سال فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان
تسخروا منا اى ان تستجهلونا فيما نحن بصدده من التاهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا
لاجله فانا نستجهلكم فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي و
التعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل كما تسخرون
اما مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملاء بعد ملاء لا في الكيفيات والاحوال التي لا يليق بشان
النبي عليه السلام فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا
والحرق في الاخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك
لا سداد له لان حالهم اذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه وهو
عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم
وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول واحد
ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا
يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم
فسوف تعلمون من ياتيه العذاب يعني ان ما اباشره ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم
بعد استجهالهم محزه ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب
المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدا بها
الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب لكلما او
استيناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة لملا وقال استيناف على تقدير سؤال سائل
كما ذكرناه وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عليه السلام
الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها والتنور تنور
الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء
اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور ادم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق
العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او
في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رض وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في
الارض اى اعلاه وعن علي رض فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اى في السفينة وهو جواب اذا من كل اى من كل نوع لا بد منه
في الارض زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة
ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للاخر وقرى على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر
به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام
قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده
اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلها في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فخف فيه معنى الحمل او لانهم انما يحمل بمباشرة البشر
وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول
بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الاية والمراد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء
منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية
عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن امن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار
صيغة الافراد في امن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا وما امن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام

واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى
نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونساؤهم
ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الايمان والنجاة وقال اي نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين
كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر
بحمله في الفلك من الازواج كانه قيل فحمل الازواج او ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما سياتي مثله في قوله تعالى وهي
تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان المامور به كونهم في جوفها لا فوقها
كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو
ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية
كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز
من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه
الاية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا
حال من فاعله اى اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرسيها نصب على الظرفية اى وقت اجرائها وارسائها
على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصابهما
في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها مستقلة من مبتدا وخبر في موضع
الحال من ضمير الفلك اى اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة
على ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام
قيل كان عليه السلام اذا اراد ان يجريها يقول بسم الله فتجري واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فترسو ويجوز ان يكون
الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اى بقدرته وامره وقرى مجريها و
مرسيها على صيغة الفاعل مجروري المحل صفتين لله عز اسمه ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جرى
ورسا ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله
وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه راي اهل السنة
وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اى فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو
ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض
وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا ولئن صح ذلك فهذا
الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى نوح ابنه فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين
السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب
بالاعتصام بالجبل وقرى ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وما يقال من انه كان لغير رشدة لقوله
تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء عليهم السلام ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما
المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرى ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء
الى السفينة فانه صريح في انه لم يقع من حيوته ياس بعد وكان في معزل اى في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه
بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد
مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام
ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه
القول نصا في كون ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك يا بني بالفتح اقتصارا عليه من الالف
المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا وقرى بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة او سقطت الالف والياء لالتقاء الساكنين
لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا قرا ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب
عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اعتبار المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اى في
المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه عليه السلام كونه معه في الايمان
لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر قال ساوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما
منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى واني له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا
بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجا المؤمنين فلذلك عليه السلام اراد ان يبين له حقيقة
الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له
من الماء بان يقول لا يعصمك منه مفيدا النفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف اصلا لكنه
عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيه

داع ولا يجيب اى احد من الناس المبالغه فى نفى كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر
الايام التى تقع فيها الوقايع وتلم فيها الملمات المعتادة التى ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية عبّر
عن الماء فى محل اضمار بامر الله اى عذابه الذى اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها
لابنه على خطائه فى تسميته ماء وتوهم انه كسائر المياه التى يتقصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهوده وتعليلا
للنفى المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمه فى جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل
لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا
بعلية رحمته فى ذلك بموجب سبقتها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه
ببيان شان الداهيه وقطع اطماعه الفارغه وصرفه عن التعلل بما لا يغنى عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز جاره
وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تع وحال
بينهما الموج اى بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من الجاوبه لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تع فكان من المغرقين اذ هو انما
يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجى
اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفى ايراد كان
دون صار مبالغه فى كونه منهم وقيل يا ارض ابلعى اى انشفى استعير له من ازدراد الحيوان ما ياكله للدلالة على ان ذلك
ليس كالنشف المعتاد التدريجى ماءك اى ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهوده فيها من العيون والانهار
وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تع لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعى
اى امسكى عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اذا كفت وغيض الماء اى نقص ما بين السماء
والارض من الماء وقضى الامر اى انجز ما وعد الله تع نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر واستوت استقرت
الفلك على الجودى هو جبل بالموصل او بالشام او بآمل روى انه عليه السلام ركب فى الفلك فى عاشر رجب ونزل عنها فى
عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنه وقيل بعدا للقوم الظالمين اى هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته
للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الاية الكريمه من مراتب الاعجاز قاصيتها
وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمرى ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون
فحرى بنا ان نوجز الكلام فى هذا الباب ونفوض الامر الى تامل اولى الالباب والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه
اى اراد ذلك بدليل الفاء فى قوله تع فقال رب ان ابنى من اهلى وقد وعدتنى انجاءهم فى ضمن الامر بحملهم فى الفلك او النداء
على الحقيقه والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق اى وعدك ذلك او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف
فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوى الحكم على
ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء ايوب عليه السلام اذ نادى ربه
انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكير وعد جل ذكره مبنيا على كون كنعان
من اهله نفى اولا كونه منهم بقوله تع انه ليس من اهلك اى ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو القرابة الدينيه ولا علاقة
بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم فى الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو
من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستيناف التحقيقى بقوله انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير
صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما فى قول الخنساء فانما هى اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق
على ما فسد ومن شانه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما
هى لصلاحه وقرا الكسائى ويعقوب انه عمل غير صالح اى عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنيا على ما ذكر من اعتقاد
كون كنعان من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهى عن سؤال انجائه الا انه جئ بالنهى على وجه عام يندرج
ذلك انه اندراجا اوليا فلا تسالنى اى اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب منى ما ليس لك به علم اى مطلبا لا تعلم يقينا ان
حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول الذى هو مفعول للسؤال او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير
كونه عبارة عن المصدر الذى هو مفعول مطلق فيكون النهى واردا بصريحه فى كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان
يكون المعنى ما ليس لك علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهى واردا فى مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق
الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهنا كما ترى صريح فى ان نداءه عليه السلام ربه عز وعلا
ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهى عن استفسار ما لم يعلم غير
موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشئ داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم
يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه او بانجائه فى قلة الجبل واياه تذكير الوعد فى
الدعاء فانه مخصوص بالانجاء فى الفلك وفى قوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وبمجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب
هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تع اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى

لا يجوز عليه عليه السلام ان يدعوه الى الفلك او يدعو ربه لانجائه واعتزاله عنه عليه السلام وقصده الالتجاء
الى الجبل ليس بنص فى الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله باختصار النجاة فى الفلك وزعمه ان الجبل ايضا
يجرى مجراه او لكراهة الاحتباس فى الفلك بل قوله ساوى الى جبل يعصمنى من الماء بعد ما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع
الكافرين ربما يطمعه عليه السلام فى ايمانه حيث لم يقل اكون معهم او سناوى او يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعلين
المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امر به نوح عليه السلام الا انه عليه السلام
لو تامل فى شانه حق التامل وتفحص عن احواله فى كل ما ياتى ويذر لما اشتبه عليه انه ليس ممن وانه المستثنى من اهله
ولذلك قيل انى اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر عن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسالن بغير ياء الاضافه وبالنون الثقيله
بياء وبغير ياء قال رب انى اعوذ بك ان اسالك اى اطلب منك من بعد ما ليس لى به علم اى مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى
الحكمه او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر
توبته منه عليه السلام مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة فى التوبه واظهار الرغبة والنشاط
فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تع وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسالك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا
هائلا محذورا لا محيص منه الا بالعود بالله تع وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لى ما صدر
عنى من السؤال المذكور وترحمنى بقبول توبتى اكن من الخاسرين اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تع لا سيما
عند وصول مثل هذه النعمة الجليله التى هى النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال بما لا يعنى خصوصا بمبادى خلاص من قيل فى
شانه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تع فى امره معامله غير رابحة وخسران مبين وتاخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر
الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودى والدعاء بالهلاك على الظلمة
مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تع فكان من المغرقين حسبما وقع فى الخارج اذ لا يتصور الدعاء بالانجاء بعد العلم بالهلاك وليس
لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان لا يقدم فى الامور الدينيه الاصوليه الا بعد
اليقين قياسا على ما وقع فى قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذى هو اول القصه وكان حقها ان يقال
واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر فى موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على
كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعه وتثنية التقريع عليهم بكل نوع على حده فقوله تع واذ قال موسى لقومه
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الخ لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تع واذ قتلتم
نفسا الخ للتقريع على قتل النفس المحرمه وما تبعه من الامور العظيمه ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذى هو تثنية
التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة
الدينيه غامرة للقرابة النسبية الخ لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء كما ترى مستدع
لذكر ما مر من الجواب عليه السلام المؤدى ذكرها الى ذكر قبولها فى ضمن الامر الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام و
البركات الفايضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجئ مفصلا ولا ريب فى ان هذه المعانى اخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق
الايات الكريمه المنطوية عليها بعضها من بعض وان ذلك انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان
فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن
موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى هى التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء الثانى عقيب قوله فكان من المغرقين لربما
توهم من اول الامر الى ان يرد قوله تع انه ليس من اهلك الخ انه نجى بدعائه عليه السلام فنص على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر
الوارد على الارض والسماء الذى هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازليه بما ذكر من الغيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله
وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك على الجودى فقضيت القصه الى
هذه المرتبه وبين ذلك اى بيان ثم تعرض لما وقع فى تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد
توبته عليه السلام قبولها بقوله قيل يا نوح اهبط اى انزل من الفلك وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة
منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح فى العالمين وبركات عليك اى خيرات نامية فى نسلك وما يقوم به
معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تع بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان
انواع الخيرات عليه فى كل ما ياتى وما يذر وعلى امم ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائيه والمراد الامم المؤمنة المتناسلة
ممن معه الى يوم القيمه وامم سنمتعهم اى وممن معك امم ممتعون فى الدنيا على انه خبر لدلالة ما سبق عليه فان ايراد الامم المباركة عليهم المتشعبة منهم
نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعنى ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم ممتعون فى
الدنيا معذبون فى الاخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما عليهم ومباركا صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم
مع نوح عليه السلام ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانيه اى وعلى امم هم الذين معك وانما سموا
امما لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تشعبت منهم فح يكون المراد بالامم المشار اليهم فى قوله تع وامم

ستمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيمة وسبقى امر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبر المحذوف خفاء لان من المذكور بيانية والمحذوف تبعيضية او ابتدائية فتامل ثم يمسهم اما في الاخرة او في الدنيا ايضا منا عذاب اليم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى ما قص من قصة نوح عليه السلام اما لكونها بتقضيها في حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدا خبره من انباء الغيب اي من جنسها اي ليست من قبيل سائر الانباء بل هي نسيج وحدها منفردة عما عداها او بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او هو الخبر ومن انباء متعلق به والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب اي موحاة اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا اي من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عليه السلام لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف بواحد منهم فاصبر متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي واذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تع ولعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخ ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الاخرة للمتقين كما شاهدته في نوح عليه السلام وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه عليه السلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تع والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهي ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تع اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين والى عاد متعلق بمضمر ههنا للحذار عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقدم في سورة الاعراف وقوله تع هودا عطف بيان لاخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هو بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستيناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما ينبئ عنه قوله تع ما لكم من اله غيره فانه استئناف يجري مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه ان انتم ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التاثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تع المستوجبة للشكر الذي لا يتاتى الا بالجريان على موجب امره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر افلا تعقلون اي اتغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او اتجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تع والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم قوة مضافة الى قوتكم اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة المطر وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي الهتنا اي بتاركي عبادتها عن قولك اي صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين في شيء مما تاتي وتذر وقد درج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الالهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى

ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما يلوح عنه نسبة ذلك الى بعض الهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه السلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وان لم يكن واضح الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه السلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم من دون الله اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون الهتهم مما يضر او ينفع وانها بمعزل من ذلك ولما كان ما وقع اولا منه عليه السلام في حق الهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تع واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا انها تصيبه عليه السلام بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث اخبر ببراءته القديمة عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تع على ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا ببراءته منها ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع الهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض الهتنا والتعاون في ايصال الكيد اليه عليه السلام ثم نهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم به من كون الهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الامر على زعمهم في قدرة الهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه عليه السلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم والهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لاسباب المعاداة والمعازة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجا الى ركن رفيع منيع واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضاري مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تع وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل على الانشاء المناسب للمقام وواثق بكلاءته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم و الاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان فائدة كونه تع ربا للكل ايضا راجعة اليه عم فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى التائين اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله تع يهلكهم ويستخلف في ديارهم واموالهم قوما آخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رض بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتصاره عليه السلام على ذكر الاستخلاف رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم حسبها او حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضمير جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل او ورد امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة عظيمة كائنة منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من عذاب غليظ اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها بعدما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود عم

تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين
لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله فيجوز ان يراد بالايات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام
وفيه زيادة ملايمة لما تقدم من جمع الايات وما تاخر من قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى
الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الايات
وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد فرد منهم فان الاتباع للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤساء وعنيد فعيل من عند
عندا وعنودا اذا طغا والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن
الرحمة وعن كل خير اى جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل
تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا
ويوم القيمة اى اتبعوا يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان بان يكون كل من اللعنتين
نوعا براسه لم يجمعا في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة كما في قوله تع واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
وفي الاخرة ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية
الثواب والرحمة الا ان عادا كفروا ربهم اى بربهم او نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه الا بعدا لعاد دعاء
عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اى هلاكا تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه
واعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية
عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا
عطف على ما سبق من قوله تع والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام
وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح عليه السلام هو بن عبيد بن آسف بن ماشح بن عبيد بن
حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسأل ويقال ماذا قال لهم جاء عنه بطريق الاستيناف
قال يا قوم اعبدوا الله اى وحده وعلل ذلك بقوله مالكم من اله غيره ثم زيد فيما بعثهم على الايمان والتوحيد وبعثهم
على زيادة الاخلاص فيه بقوله هو انشاكم من الارض اى هو كونكم وخلقكم منها لا غيره فقصر قلب او قصر افراد فان خلق آدم
عليه السلام منها خلق لجميع افراد البشر منها لما مر مرارا من ان خلقته عليه السلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا
منطويا على خلق جميع ذريته التي ستوجد الى يوم القيمة انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم عليه السلام وانشاء مواد النطف
التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر واستعمركم فيها من العمارة اى عمركم واستبقاكم فيها او من العمارة
اى اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم
معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لمن بعدكم فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى
الاستغفار عما وقع عنهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبايح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل ان ربي
قريب اى قريب الرحمة كقوله تع ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث
قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغائية المتاخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا اى كنا نرجو منك لما نرى منك من دلايل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا ومستشارا
في الامور وعن بن عباس رض فاضلا خيرا نقدمه على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل
هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الالهة او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على يأس
من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالان قد انصرم عنك رجاؤنا وقرئ مرجوا بالمد والهمز اتنهانا ان نعبد ما يعبد
اباؤنا اى عبدوه والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك
عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة مريب اى موقع في الريبة من ارابه اى اوقعه في الريبة اى قلق النفس
وانتفاء الطمانينة او من اراب اذا كان ذا ريبة وايا ما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال يا قوم ارايتم
اى اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة اى حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي اموري واتاني منه
من جهته رحمة نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن
المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني من الله اى ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب
انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تع ان عصيته اى
بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان ممن ذلك شانه ابعد والمؤاخذة عليه الزم
وانكار نصرته ادخل فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى لا تفيدونني
اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى تزيدوه غير تخسير اى غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تع او فما
تزيدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناها والفاء لترتيب عدم

الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السلام على بينة من ربه و
ايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق
لكم اية معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من اية متقدمة
عليها لكونها نكرة ولو تاخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في اية
فذروها خلوها وشانها تاكل في ارض الله تع نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك
وتعليل الامر بتركها وشانها ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهي عن المس الذي هو من مبادي
الاصابة ونكر السوء اى لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فياخذكم عذاب قريب
اى قريب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاتبة ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت
ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة
ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكث الناقة مع ولدها ترعى الشجر
وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون
وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك
فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا
ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال
لهم صالح تمتعوا اى عيشوا في داركم اى في منازلكم او في الدنيا ثلاثة ايام قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد
محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب
عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيمه وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم
شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كان الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه
مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اى عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا
معه متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما راو
ملتبسين برحمة ورافة منا ومن خزي يومئذ اى ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تع ونجيناهم من عذاب
غليظ على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اى من ذله ومهانته او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر به
العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع
بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله تع من عذاب يومئذ وقرئ عند الانباء جلوب
العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا
بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء
في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة
لتموج الهواء فاصبحوا اى صاروا في ديارهم اى بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين ميتين لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند
ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ
وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما راوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها
عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تع الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا
بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كان لم يغنوا اى كانهم لم يقيموا فيها في بلادهم او في مساكنهم وهو
في موقع الحال اى اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمودا وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه
ابو بكر هنا وفي النجم وقرا ابو حفص هنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق
من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تع الا بعدا لثمود وقرا الكسائي بالتنوين
ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن بن عباس رض انهم جبريل وملكان وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام
وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدي احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم
وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين
اليه عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تع انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لداعية البشرى ولما كان المقصود في السورة الكريمة
ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه السلام
ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تع والى عاد اخاهم هودا او
ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى او ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة

للبشارة بالولد من سارة لقوله تع فبشرناها باسحق الاية وقوله وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعكس
لحوق الضرر بر لقوله تع فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سياتى وقيل هى البشارة
بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام فى شانهم والاظهر انها البشارة بالولد وستعرف سر تفرع المجادلة على ذلك
ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اى سلمنا او نسلم عليك سلاما
ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اى قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما قال سلام اى عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن
من تحيتهم وقرى سلم كحرم فى حرام وقرا ابن ابى عبلة قال سلاما وعنه انه قرأ بالرفع فيهما فما لبث اى ابراهيم ان جاء بعجل
اى فى المجىء به او ما لبث مجيئه بعجل حنيذ اى مشوى بالرضف فى الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله تع بعجل سمين من
حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال فلما راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اى انكرهم يقال نكره و
انكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روى انهم كانوا
ينكتون بقداح كانت فى ايديهم فى اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور واما
انكار المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤيته عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده
من الناس الا يرى الى قوله تع فى سورة الذاريات سلام قوم منكرون واوجس منهم اى احس واضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان
نزولهم لامر انكره الله تع عليه او لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام او
جس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه
فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه بمجرد ما راوا منه مخايل الخوف ازالة منه بل بعد ما اظهره عليه السلم
له كما قال تع فى سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استيناف فى معنى
التعليل للنهى المذكور كما ان قوله تع انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم اخرين يوجب امنهم من الخوف اى ارسلنا
بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تع قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح
فى انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليه السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامراته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او
على رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اى قالوه وهى قائمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال
الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فانها كانت تقول لابراهيم اضمم
اليك لوطا فانى ارى ان العذاب نازل بهولاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد
وقرى بفتح الحاء فبشرناها باسحق اى عقبنا سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول
لما دل عليه قوله بشرناها اى وهبنا له من وراء اسحق يعقوب وقرى بالرفع على الابتداء خبره الظرف اى من بعد اسحق يعقوب
مولود او موجود وكلا الاسمين داخل فى البشارة كيحيى وواقع فى الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة ههنا اليها
مع ان الاصل فى ذلك ابراهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان
ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استيناف ورد جوابا عن سؤال من سال وقال فما فعلت اذ
بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزى ثم شاع فى كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما فى يا لهفا و يا عجبا
وقرا الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم فى رواية ومعناه يا ويلتى احضرى فهذا اوان حضورك وقيل هى الف الندبة
ويوقف عليها بهاء السكت االد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا الذى تشاهدونه بعلى اى زوجى واصل
البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرى بالرفع على انه خبر
محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير فى االد
لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اى االد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام
لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها
صريحا ولان العكس فى البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من
المحذور واقتصارها على الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد
ان هذا اى ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشئ عجيب بالنسبة الى سنة الله تع المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة
لتعليل الاستبعاد بطريق الاستيناف التحقيقى ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها فى ضمن الاستعجاب العادى لا
استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتع قالوا اتعجبين من امر الله اى قدرته وحكمته او تكوينه او شانه انكروا عليها تعجبها
من ذلك لانها كانت ناشئة فى بيت النبوة ومهبط الوحى والايات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها
ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله تع الخفية ولطائف صنعه الفائضة على
كل احد ممن يتعلق بذلك مشيته الازلية لاسيما على اهل بيت النبوة التى ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس
وان تسبح الله تع وتحمده وتمجده والى ذلك اشاروا بقوله تع رحمة الله التى وسعت كل شئ واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر

المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اى خيراته النامية المتكاثرة فى كل باب التى من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات
الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليهم السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص
لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر لتعميم حكمها لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون
جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستانف علل به انكار تعجبها كانه قيل ايس المقام مقام
التعجب فان الله تع على كل شئ قدير واستمر باهل البيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل شئ
لكل خير الواسعة نخ
وبركاته اى خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد
مجيد كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى ما اوجس
منهم من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام ببعض غب
الروع
انفصالهما بما ليس باجنبى من كل وجه بل له مدخل تام فى السباق والسياق وتاخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان
بتاخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن وجاءته البشرى لمن فسرت
البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف ومجىء السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تع يجادلنا فى قوم لوط اى جادل
رسلنا فى شانهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهره واما ان فسرت ببشارة الولد
او بما يعمها فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمينان قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه
قال لهم حين قالوا له انا مهلكوا هذه القرية ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا
لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابراهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم
لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم فى شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع
ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تع قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط عليه السلام على شريعة
ابراهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما راى من الملائكة ما راى خاف على نفسه وعلى كافة امته التى من جملتهم قوم لوط ولا
ريب فى تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذى علمه عليه السلام بعد النهى عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك
لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه على الذنوب و
التاسف على الناس منيب راجع الى الله تع والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه
من المجادلة يا ابراهيم اى قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اى الشان قد جاء امر ربك اى قدره الجارى على وفق
قضائه الازلى الذى هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب
تعلقها بالاشياء فى اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم آتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت
رسلنا لوطا قال ابن عباس رض انطلقوا من عند ابراهيم عليه السلام الى لوط عليه السلام وبين القريتين اربعة فراسخ و
دخلوا عليه فى صور غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سىء بهم اى ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه
ويعجز عن مدافعتهم وقرا نافع وابن عامر والكسائى وابو عمرو سىء وسيئت باشمام السين الضم روى ان الله تع قال
للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه
القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك
احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا اى ضاق
بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل
ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا اى ان بدنه ضاق قدره من احتمال
ما وقع وقيل الذراع اسم الجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع فى قوله تع ضاق بهم ذرعا قصرها
كما ان معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر
عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذى قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده
وجاءه اى لوطا وهو فى بيته مع اضيافه قومه يهرعون اليه اى يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل اى من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اى جاؤا مسرعين والحال انهم كانوا
منهمكين فى عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين
مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم
مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابى لهب وابى العاص بن
الربيع قبل الوحى وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه
وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه يجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة فى التواضع لهم واظهارا لـ

لشدة استعاضته مما اوردوا عليه طمعا فى ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور
الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق
كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون فى ضيفى اى لا تفضحونى فى شانهم فان اخزاء
ضيف الرجل وجاره اخزاء له او لا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدى الى الحق الصريح ويرعوى
عن الباطل القبيح قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تع والنهى عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد علمت
ما لنا فى بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك
الا عرض سابرى ولا مطمع لنا فى ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم
عليه من الغى قال لو ان لى بكم قوة اى لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تع ولو ان قرانا سيرت به
الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى او آوى الى ركن شديد عطف على ان لى بكم الخ لما فيه من معنى الفعل اى او اوى
على دفعكم بنفسى او اويت الى ناصر عزيز قوى اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى الشدة والمنعة وروى عن النبى عليه السلم
رحم الله اخى لوطا كان ياوى الى ركن شديد روى انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب
فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اى الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط
انا رسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلم
ربه رب العزة جل جلاله فى عقوبتهم فاذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح
من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا
لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرا
ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء فى القران من السرى والفاء لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود
الامر والنهى من جنابه عز وجل اليه عليه السلام بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم اى لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه
احد منك ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا فى السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما
ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امراتك استثناء من قوله تع فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك بقطع
من الليل الا امراتك وقرئ بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم التناقض
بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضى كونه عليه السلام غير مامور بالاسراء بها والرفع كونه مامورا بذلك والاعتذار
بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعى الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان تسرى هى
بنفسها كما يروى انه عليه السلام لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها
حجر فقتلها وان يسرى بها عليه السلام من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهى عن الاسراء
بها حتى يكون عليه السلام بالاسراء بها مخالفا للنهى لا يجدى نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعى بقاء الاهل
على العموم فيكون الاسراء بها مامورا به قطعا وفى حمل الاهلية فى احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفى الاخرى على النسبية
مع ان فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه من المناقضة فالاولى جعل الاستثناء على القراءتين من قوله لا يلتفت
مثل الذى فى قوله تع ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قراه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد فى كون
اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة
الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو امطار الحجر وان لم يصبها الخسف والضمير فى انه للشان وقوله تع
ما اصابهم مبتدا والجملة خبر لان الذى اسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء
منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح اى موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهى عن الالتفات المشعر بالحث
على الاسراع اليس الصبح بقريب تاكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع فى الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروى
انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم
الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين فلما جاء امرنا اى وقت
عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها اى عالى قرى قوم لوط وهى التى عبر عنها بالمؤتفكات وهى خمس مدائن فيها اربعمائة
الف الف سافلها اى قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب
بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذى هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل
سافلها عاليها وان كان مستلزما له روى انه جعل جبريل عليه السلام جناحه فى اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء
نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل
الخطب وامطرنا عليها على اهل المدائن او شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب
وقيل هو من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل او من مثل العطية فى الادرار او من السجل اى مما كتب الله

ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد فى السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه
اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من ترمى به
عند ربك فى خزائنه التى لا يتصرف فيها غيره عز وجل وما هى اى الحجارة الموصوفة من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم
مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عم
فقال يعنى ظالمى امتك ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من
ظالمى مكة يمرون بها فى مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر
اى بشئ بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت فى السماء وهى فى غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهى اسرع
شئ لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوى فى الوصف بها
المذكر والمؤنث والى مدين اى اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو بلد
بناه فسمى باسمه اخاهم اى نسيبهم شعيبا وهو بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه والجملة معطوفة على قوله تع والى ثمود اخاهم صالحا اى وارسلنا الى مدين شعيبا قال استيناف وقع جوابا عن
سؤال نشا عن صدر الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله
وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعدما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول
ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادى ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال
والميزان كى تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس انى اريكم بخير اى ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله
تع حقها ان تقابل بغير ما تاتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر
وهو على كل حال علة للنهى عقبت بعلة اخرى اعنى قوله عز وجل وانى اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط
لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تع واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة
او عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهى حال العذاب على الاسناد المجازى وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان
اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط
بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهى جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اى بالعدل من غير زيادة ولا
نقصان فان الزيادة فى الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها فى الالة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال
عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهى عن نقصهما مبالغة
فى الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه
وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم ولا تبخسوا الناس بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما اشياءهم التى يشترونها
بهما وقد صرح بالنهى عن البخس بعدما علم ذلك فى ضمن النهى عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما بشانه وترغيبا فى ايفاء
الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بايفاء المكيال والميزان الامر بايفاء المكيلات والموزونات
ويكون النهى عن البخس عاما للنقص فى المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما فى قوله تع ولا تعثوا فى الارض مفسدين فان العثى
يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس كاخذ العشور فى المعاملات قال زهير بن ابى سلمى افى كل اسواق
العراق اتاوة وفى كل ما باع امرء مكس درهم والعثى فى الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما
يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر اخرتكم
ومصالح دينكم بقيت الله اى ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطى المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فان
ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تع يمحق الله الربوا ويربى الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا
فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين بى فى مقالتى لكم وقيل البقية الطاعة
كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهى تقواه عن المعاصى وما انا عليكم
بحفيظ احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم آل فى ذلك
جهدا او ما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تع ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة الله تع وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة
الاصنام ولقد بالغوا فى ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحى الامر بذلك حتى
ان لا آمر به من العقل واللب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء
اصلوتك تامرك التى هى من نتائج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التى توارثناها ابا عن جد وانما جعلوه
عليه السلام مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تع وغير ذلك من الشرايع لانه عليه السلام لم يكن يامرهم بذلك
من تلقاء نفسه بل من جهة الوحى وانه كان يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلوة من بين سائر احكام

النبوة لانه عليه السلام كان كثير الصلاة معروفا بذلك وكانوا اذا راوه يصلي تغامزون ويتضاحكون فكان هي من بين
سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ اصلواتك او ان نفعل في اموالنا ما نشاء جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق ونهيه عن
البخس والنقص معطوف على ما اي وان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ
بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تامرك اي اصلواتك تامرك ان تفعل في اموالنا ما تشاء وتجويز العطف على ما قبل تستدعي
ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والحظر في معاملاتهم لا نفس الايفاء فان
ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما لم يقل عطفا على ان نترك لان الترك ليس مامورا به على الحقيقة بل
المامور به تكليفه عليه السلام اياهم وامره بذلك والمعنى اصلواتك تامرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على
معنى اصلواتك تامرك بما ليس في وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رايه عليه السلام
واستهزاء به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلاة دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه عليه السلام في اثناء
الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه واني ذلك فتامل وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان نترك اي او ان
نفعل نحن في اموالنا عند المعاملة ما نشاء انت من التسوية والايفاء انك لانت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام بالوصفين
على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا
لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام
الاستهزاء اللهم الا ان يراد بالصلاة الدين كما قيل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما
آتاه الله تع من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره ونهيه غير مستند الى سند من ربي ومالك اموري
وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة
معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما
مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى
الكلام اي تقولون في شاني ما تقولون والمعنى انكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الاوامر
والنواهي من قبيل ما لا يصدر عن عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبافعالي حتى قلتم ان ما
امركم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يامر به العقل ويقضي به قاضي
الفطنة وانما يامر به صلواتك التي هي من احكام الوسوسة والجنون فاخبروني ان كنت من جهة ربي ومالك اموري ثابتا
على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا تقولون في شاني وشان افعالي
ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السياق ويساعده النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد
المحذوف ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي وهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فبمعزل من ذلك وانما يناسب تقدير ان حمل كلامهم على
الحقيقة واريد بالصلاة الدين على معنى ادينك يامرك ان تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في
اموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك انت المشهود بالحلم الفاضل والرشد الكامل
فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسرودا على هذا النمط فاجيبوا بما اجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد
بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تع والمعنى اخبروني ان كنت نبيا من عند الله تع ورزقني مالا حلالا استغني به عن
العالمين ايصح ان اخالف امره واوافقكم فيما تاتون وما تذرون وما اريد بنهيي اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي اقصده بعدما وليتم عنه فاستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه
وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس ان اريد اي ما اريد بما اباشره من الامر والنهي الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالنصيحة
والموعظة ما استطعت اي مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة
ما ليس في وسعه منه وما توفيقي اي كوني موفقا لتحقيق ما انحيه من اصلاحكم الا بالله اي بتاييده ومعونته بل الاصلاح من
الخلق مستندا اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة
اليه بارادته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض
في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل من رتبة الاستبداد به والاستظهار واليه انيب اي ارجع فيما
انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كوني موفقا لاصابة الحق والصواب في كل ما آتي واذر الا بهدايته ومعونته عليه
توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي واليه انيب اي عليه اقبل بشراشر نفسي في مجامع اموري واختار صيغة
الاستقبال على الماضي لانسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه
عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق
بطلب التوفيق من جانب الله عز وجل والاستعانة به في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم

واما تهديدهم بالرجوع الى الله تع للجزاء كما قيل فلا لان الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تع لا الرجوع
الاضطراري للجزاء او ما يعمه ويا قوم لا يجرمنكم اي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي واصلها
ان احد المتعاديين يكون في عدوة وشق والاخر في اخر نضم البارز من جرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو
منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه
لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في المعنى الا ان الاول اصح وادور على السنة الفصحاء وقرا ابو حيوة ما اصاب بالفتح

ان يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم اي لا يكسبنكم
معاداتكم لي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة
والصيحة وقرا ابن كثير

لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وهذا وان كان بحسب
الظاهر نهيا للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على الطف اسلوب
وابدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله تع ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا
بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكانه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى بذكر قربهم
ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرته كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد منكم في الكفر
والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان المراد وما اهلاكهم على نية المضاف او وما
هم بشيء بعيد الا ان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد
او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما انذرهم عليه السلام بسوء عاقبة
صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه مر تفسير مثله في اول السورة ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ
المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه
كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم مرادك وانما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين
على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج
العقل والسلوك الى سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه
المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في
ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب اقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب
الامم السالفة ولذلك قالوا وانا لنراك فينا فيما بيننا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع
والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لولا هم بانفسهم لخوفنا ويدافعوننا لرجمناك فان ممانعة الرهط وهو اسم للثلاثة
الى السبعة او الى العشرة لهم وهم الوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد ايد ذلك بقوله عز وجل وما انت علينا بعزيز مكرم
محترم حتى نمتنع من رجمك وانما نكف عنك للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك
دوننا وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل لا سيما
مع قرينة قوله ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه
عائدا الى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وتقتضيه
قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام
في جوابهم يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية
رهطه منه تع مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع
وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تع وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز عليكم من الله
فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تع حظا من العزة اصلا واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الا
بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة
الى الامس ان ربي بما تعملون من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه
منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل ان يكون الانكار للرد والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته
وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون
جانب رهطي الاذلة ويا قوم اعملوا لما راى عليه السلام اصرارهم على الكفر وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤوا
على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم اي على غاية
تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على
رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا
على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم واخراج
ما في امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بانواع التاييد والتوفيق سوف تعلمون

لماهددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم انى عامل كان مظنة ان يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك
فقيل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عليه السلام به من الرجم فانه
مع كونه عذابا فيه خزى ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا على انه قسيمه
بل حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم فى ادعائهم القوة
والقدرة على رجمه عليه السلام وفى نسبته الى الضعف والهوان وفى ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط و
الاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب ليس بمترقب كاتيان العذاب بل انما المترقب
ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب
يخزيه واينا كاذب واما موصولة اى سوف تعرفون الذى ياتيه عذاب والذى هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل
ما اقول انى معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع وفى زيادة معكم
اظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اى عذابنا كما ينبئ عنه قوله تع سوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه او وقته فان الارتقاب مؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهى الايمان الذى وفقناهم له
او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر بالواو كما فى قصة عاد لما انه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجرى مجرى السبب المقتضى
لدخول الفاء فى معلوله كما فى قصتى صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب
وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم
بسبب ظلمهم الذى فصل فيما سبق فنون الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا وفى سورة الاعراف فاخذتهم
الرجفة وفى سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضى
اليها كما مر فيما قبل فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم فى قوله تع سوف
تعلمون من ياتيه عذاب الخ نفس مجئ العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار
به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما قدم تنجيته اهتماما
بشانها وايذانا بسبق الرحمة التى هى مقتضى الربوبية على الغضب الذى يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم كان لم يغنوا
اى لم يقيموا فيها متصرفين فى اطرافها متقلبين فى اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار
ليكون ادل على طغيانهم الذى اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم اعنى ثمود وانما شبه
هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هولاء صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم وقرى
بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر
المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهى الايات التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لم
احكام التورية حين اباه بنوا اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اى
ارسلناه حال كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا
والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها والمراد بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شئ واحد اى ارسلناه
بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة
والاستيلاء كقوله تع ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عليه السلام فى تضاعيف دعوته حين قال له فرعون
من ربكما قال فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التورية او ادراجها فى جملة
الايات يرده قوله عز وجل الى فرعون وملائه فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنوا اسرائيل فيما
يأتون وما يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التى
كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم
رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم فى الراى وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم فى الورود والصدور وانما لم
يصرح بكفر فرعون بايات الله تع وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شان ملائه فقيل فاتبعوا
امر فرعون اى امره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامر ملائه بذلك
امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك شان ملائه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال
فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء فى اتباعهم المترتب على امر فرعون المبنى على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار
بمفاجاتهم فى الاتباع ومسارعتهم الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك
فى وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بفرعون شانه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا
فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما فى قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب

الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتامل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع
الى موسى عليه السلام من اول الامر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم فى الفساد والافساد والضلال والاضلال
فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال فى قوله تع وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغى وقد يراد به محمودية
العاقبة فهو على الاول بمعنى الرشد او ذى الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازى وعلى الثانى مجاز والاسناد حقيقى
يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيمة اى يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استيناف لبيان حاله
فى الاخرة اى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح مآل امره وسوء
عاقبته فاوردهم النار اى يوردهم واثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذى
يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذى يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود اى وبئس الورد الذى
يردونه النار لان الوارد انما يرد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اى الملأ الذين اتبعوا
امر فرعون فى هذه اى فى الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف
قاطبة فهى تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا فى الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة فى الدارين
جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من
اغواهم والقاهم فى هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على
طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اى بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام واصله ما يضاف
الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهى اللعنة فى الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة
وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه فى الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مبتدا خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدى اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اى ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص
عليك منها اى من تلك القرى قائم وحصيد اى ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقى منها بالزرع القائم
على ساقه وما عفا وما بطل بالحصيد والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم بان اهلكناهم ولكن ظلموا انفسهم
بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت باس الله تع عنهم آلهتهم التى يدعون
اى يعبدونها من دون الله اوثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها من شئ فى موضع
المصدر اى شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اى حين مجئ عذابه وهو منصوب باغنت وقرى آلهتهم اللاتى ويدعون على
البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اى اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اى ومثل
ذلك الاخذ الذى مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله اخذ ربك وقرى اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر
مؤكد اذا اخذ القرى اى اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرى اذ اخذ وهى ظالمة حال من
القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم فى الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا
بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد
والتحذير ان فى ذلك اى فى اخذه تع للامم المهلكة او فى قصتهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فانه المعتبر حيث استدل
بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة واحال فناء
العالم وزعم ان ليس هو ولا شئ من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه
من اوضاع فلكية تتفق فى بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصى التى يقترفها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم
ولما لهم من الافكار ذلك اشارة الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء
والتعبير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فانه سائر الايام ايضا فهو ابلغ من قوله تع
يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اى يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود اى مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل
السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما فى قوله فى محفل من نواصى الناس مشهود اى كثير شاهدوه ولو
جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك وما نؤخره
اى ذلك اليوم الملحوظ بعنوانى الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأتى
اى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تع ان تاتيهم الساعة وقيل يوم ياتى الجزاء الواقع فيه وقيل اى الله عز وجل فان
المقام مقام تفخيم شان اليوم وقرى باثبات الياء على الاصل لا تكلم نفس اى لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو العامل
فى الظرف او الانتهاء المحذوف فى قوله تع الا لاجل معدود اى ينتهى الاجل يوم يأتى او المضمر المعهود اعنى اذكر الا باذنه عز سلطانه
فى التكلم كقوله تع لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا
يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه يوم ياتى كل نفس تجادل عن نفسها فى آخر منها والماذون
فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما فى قول الكفرة والله ربنا ما كنا

مشركين ونظايرهم فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اى ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا اى سبقت لهم الشقاوة ففي النار اى مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطرب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كان سائلا قال ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير فى الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين فيها خلا انه ان اريد حدوث كونهم فى النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اى مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأبيد لا لتعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق فالمراد سموات الاخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تع يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تع واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل احد بان اهل الاخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفى فى تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل احوالهما وكيفياتهما الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تع لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعنى انهم مستقرون فى النار فى جميع الازمنة الا فى زمان مشيئة الله تع لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله تع بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال ان ربك فعال لما يريد يعنى انه فى تخليد الاشقياء فى النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول من الاضمار الى الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود فى عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تع عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وانت تدرى انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق فى ذلك للاستثناء ولك ان تقول انهم ليسوا بمخلدين فى العذاب الجسمانى الذى هو عذاب النار بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهى العقوبات والالام الروحانية التى لا يقف عليها فى هذه الحيوة الدنيا المنغمسون فى احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوه من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقى ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذا القى اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفى بهذه المرتبة الاجمالية المنبئة عن التهويل وهذه العقوبات وان كانت تعتريهم وهم فى النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها وهذه المرتبة كافية فى تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الا بمعنى سوى وهو اوفق بما ذكر وقيل ما بمعنى من على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا فى النار مقدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم يذكر ههنا ان لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر فى اهل النار من ان لهم فيها زفيرا وشهيقا لان المقام مقام التحذير والانذار الا ما شاء ربك ان حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله تع عطاء غير مجذوذ نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله ففى الجنة خالدين فيها يقتضى اعطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد كقوله تع انبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما اعد الله تع لعباده الصالحين من النعيم الروحانى الذى عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان نسبة مشيئة الخروج الى الله تع يحتمل ان يكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تع بالذى يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا النعيمين او بالاول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه فلا تك فى مرية اى فى شك والفاء لترتيب النهى على ما قص من القصص وبين فى تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلاء اى من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه من الاوثان فى عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع فى القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد قص عقيب ذلك من انباء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله عليه السلام عن كونه فى شك من مصير امر هؤلاء المشركين فى العاجل

والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستيناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم الذين قصت عليك قصصهم من قبل اى هم وآباؤهم سواء فى الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه وحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما لحق بآبائهم فسيلحقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضى تماثل المسببات وانا لموفوهم اى هؤلاء الكفرة نصيبهم اى حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله تع ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا فى حد نفسه مبنى على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية فاختلف فيه اى فى شأنه وكونه من عند الله تع فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهى كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضى بينهم اى لاوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذى يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس بذاك وانهم اى وان كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس لفى شك منه اى من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادى به نداء غير خفى مريب موقع فى الريبة وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اى اجزية اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف ولما مركبة من من الجارة وما الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما قلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين اى جميعا كقوله تع اكلا لما وقرأ ابى وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون اى بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب توفية كل ذى حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت لما بين فى تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة فى الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى للتورية وانه لو لم تسبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به فى العقايد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تع فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الآية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته فى غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتنى سورة هود ومن تاب معك اى تاب من الشرك والكفر وشاركك فى الايمان وهو المعنى بالمعية وهو معطوف على المستكن فى قوله فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفى الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قاله ابو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تنحرفوا عما حد لكم بافراط او تفريط فان كلا طرفى قصد الامور ذميم وانما سمى ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهى وفى الآية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأى فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا اى لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اى الى الذين وجد منهم الظلم فى الجملة ومدار النهى هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة فى النهى من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة فى مداهنتهم بمعزل من التمام اذ لو كان المراد النهى عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل فى الجملة الى من وجد منه ظلم ما فى الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين فى الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقى شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيى بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو فى الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية ابلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التى هى العدل

فان الميل الى احد طرفى الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرى تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البنا للمفعول
من اركنه وما لكم من دون الله من اوليا اى من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفى
الاوليا ليس بطريق نفى ان يكون لكل واحد منهم اوليا حتى يصدق مع ان يكون له ولى بل لمكان لكم بطريق انقسام
الاحاد على الاحاد لكن لا على معنى نفى استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نفى ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام
ثم لا تنصرون من جهة الله تع اذ قد سبق فى حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقى عليكم وثم لتراخى رتبة كونهم غير منصورين
من جهة الله تع بعدما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين
ان الله تع معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلاة طرفى النهار اى غدوة وعشية وانتصابه
على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اى ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفه
عطف على طرفى النهار والمراد بصلوتهما صلاة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشى و
بصلاة الزلف المغرب والعشا وقرى زلفا بضمتين وضمه وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفه كقربى وقربه ان
الحسنات التى من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن السيات التى قلما يخلو منها البشر اى يكفرنها وفى
الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت فى ابى اليسر الانصارى اذ قبل امراة
ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال عليه السلام انتظر امر ربى فلما صلى صلاة العصر قال
عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة لما عملت او يمنعن من اقترافها كقوله تع ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك
اشارة الى قوله تع فاستقم فما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين اى عظة للمتعظين واصبر على مشاق ما امرت به فى
تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهى عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس فى الانتهاء عنه مشقة فلا وجه
لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها
ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم فان فى الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين
اى يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفى الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف
لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تع عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره
عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع
افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا
كان من القرون الكائنة من قبلكم على راى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم اولوا بقية من العقل والراى
او اولوا فضل وخير وسميا بها لان الرجل انما يستبقى مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال
فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه ما قيل فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى
كالتقية من التقوى اى فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تع وعقابه ويؤيده انه قرى اولوا بقية
وهى المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اى اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم
ينهون عن الفساد فى الارض الواقع منهم حسبما حكى عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اى لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم
على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولى
البقيه على النهى المذكور الا القليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرا قومك القران الا الصلحاء منهم مريدا الاستثناء الصلحاء
من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفى اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا
منهم لكن الرفع هو الافصح على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهى عنه ما اترفوا فيه اى نعموا من الشهوات و
اهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما لهم فى ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهى
وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشرى الفساد فى الظلم والاجرام عبارة وكانوا مجرمين اى كافرين فلسبب استئصال الامم
المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع على مضمر دل عليه الكلام اى
لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم فى الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما
حاق بهم من العذاب او على استيناف يترتب على قوله الا قليلا اى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا
من مباشرى الفساد وتاركى النهى عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اى اتبعوا
الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اى اتبعوا شهواتهم
وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرى واتبع اى اتبعوا جزاء ما
اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اى ما صح وما استقام
بل استحال فى الحكمة ان يهلك القرى التى اهلكها حسبما بلغك انباؤها وعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام
لتاكيد النفى وقوله بظلم اى ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اى ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم

اى المراد تنزيه الله تع عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تع والا فلا ظلم فيما فعله الله تع بعباده كائنا
ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله فى سورة آل عمران عند قوله تع وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تع
واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله اعنى بظلم لدلالته على تقييد
نفى الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب فى فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية
اى لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر وذلك
لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه تع ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغنى
الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدرى ان مقام النهى عن المنكرات التى اقبحها الاشراك بالله
لا يلايمه فان الشرك داخل فى الفساد فى الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم امته
اولا عن الاشراك ثم عن سائر المعاصى التى كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف
المعاصى وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهى عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير
مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث
لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق ولا يزالون مختلفين فى الحق اى مخالفين له كقوله تع وما
اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم الله تع بفضله
الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اى لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الا
المذكور ولذلك اى لما ذكر من الاختلاف خلقهم اى الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للرحمة فالضمير
لمن واللام فى معناها او لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازى عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك اى وعده وقيل
او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اى وكل نبأ
فالتنوين عوض عن المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تع من انباء الرسل بيان لكلا وقوله تع ما نثبت به فؤادك بدل منه
والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف فى كلا المفعول المطلق لنقص اى كل اقتصاص اى كل سلوب من اساليبه نقص
عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة
يقينه عليه السلام وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل احوال الامم
السالفة فى تماديهم فى الضلال وما لقى الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك فى هذه السورة او الانباء المقصوصة
عليك الحق الذى لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اى الجامع بين كونه حقا فى نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين وكون
الوصف الاول حالا له فى نفسه حلى باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعنى فى هذه على الفاعل
لان المقصود بيان منافع السورة او الانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها
لا فى غيرها ولان عند تاخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان فى المؤخر نوع
طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم
على حالكم وجهتكم التى هى عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر انا
منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم
اليه وقرى على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون
مرجع الامور كلها الى الله عز وجل وفى تاخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل
عما تعملون فيجازيهم بموجبه وقرى تعملون على تغليب المخاطب اى انت وهم فيجازى كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق
عن رسول الله عم من قرا سورة هود اعطى عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبيا المعدودين فيها وبعدد من كذب بهم

سورة يوسف مائة واحد عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفى محله وفيما اريد بالاشارة والايات والكتاب فى قوله تع تلك ايات الكتاب عين ما سلف فى مطلع
سورة يونس المبين من ابان بمعنى بان اى الظاهر امره فى كونه من عند الله تع وفى اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب
او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اى
المبين لما فيه من الاحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشاتين فى الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف
والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فابانته انباؤه عن قصة يوسف فانه قد روى ان احبار اليهود قالوا
لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سياتى ولما وصف الكتاب بما
يدل على الشرف الذاتى عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافى فقيل انا انزلناه اى الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت

من السعادة

سورة يوسف

الجليله فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تع قرانا عربيا اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرانا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب اولانه مصدر بمعنى المفعول اى انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم لعلكم تعقلون اى لكى تفهموا معانيه طرا وتحيطوا بما فيه من البدايع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اى نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيا فشيا كما يقال تلا القران لانه يتبع ما حفظ منه اية بعد اية احسن القصص اى احسن الاقتصاص فنصبه على المصدر به وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المهم بما اوحينا اى بايحائنا اليك هذا القران اى هذه السورة فان كونها موحاة منبئ اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل عن كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرانيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحى غير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص على ابدع الطرائق الرائعة الرائقة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والاخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القران لما في قوله تع قرانا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتامل او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالبناء والخبر او مصدر سمى به المفعول كالخلق والصيد ونصب احسن على المفعوليه واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه وان كنت من قبله ان مخففه من الثقيله وضمير الشان الواقع اسما لها محذوف واللام فارقه والجملة خبر والمعنى وان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك هذه السورة لمن الغافلين عن هذه القصه لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفله لاجلال شان النبى صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبرى لا عربى لخلوه عن سبب اخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراات بناء على التلقب به لا على انه مضارع للمفعول او الفاعل من اسف لشهادة المشهورة بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وقد روى عنه عليه السلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزياده فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب وكسرتها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحه وانما لم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرى بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثه بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب انى رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك هذا تاويل رءياى ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعه في عالم الشهادة لا يختص برؤيته دون اب فيكون طامة كبرى لا يخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر رض ان يهوديا جاء الى الرسول عليه السلام فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى راهن يوسف عليه السلام فسكت النبى عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال عليه السلام اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه السلام جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام وقد يجوز ان تكون الواو بمعنى مع اى رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تاخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رايتهم لى ساجدين استيناف لبيان حالهم التى راهم عليها كان سائلا سال فقال كيف رايتهم فاجاب بذلك وانما اجرى مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعنى السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصله قال يا بنى صغره للشفقه او لها ولصغر السن وهو ايضا استيناف مبنى على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا ان يوسف سيبلغه الله تع مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل باباءه الكرام خاف عليه حسد الاخوة

وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تع سيحقق ذلك لا محاله وطمعا في حصوله بلا مشقه لا تقصص رؤياك هى ما في المنام كما ان الرؤية ما في اليقظه فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من افق المتخيله الى الحس المشترك والصادقة منها انما يكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيله تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكليه والجزئيه استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان اى فيفعلوا لك اى لاجلك ولاهلاكك كيدا متينا راسخا لا تقدر على التفصى عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب اكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل انما جئ باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدى باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتاكيد اى فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكائدهم من بنى علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر ودينه بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالى وجاد واشر بنوه من سريتين زلفه وبلهه وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذى هو شقيق يوسف عليه السلام وامهما راحيل التى تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهى اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يالو جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم على ما لا خير فيه وهو استيناف كان يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن اخوتى الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليه السلام على ان لرؤياه شانا عظيما يستتبع منافع وحذره اشاعته المؤدية الى ان يحول اخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها او يوغروا سبيل وصولها شرع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالى فقال وكذلك اى ومثل ذلك الاجتباء البديع الذى شاهدت اثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وبحسبه وعلى وفقه يجتبيك ربك يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك على اشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المتحققة بين الصور المرئيه في عالم المثال وبين ما وقعت هى صورا واشباحا له من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اى كما سخرت لك تلك الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه لم يصرح به حذرا من اذاعته ويعلمك كلام مبتدا غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما اخبر به على طريقة التعبير والتاويل كانه قال وهو يعلمك من تاويل الاحاديث اى ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى ما فيه من التاكيد ما سبق والبعث على تلقى ما سياتى بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرؤى اذ هى احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان لم يكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثه وقيل كانهم جمعوا احدثا على احدوثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وتسمية التعبير بالتاويل لانه جعل المرئى آيلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ومرجعه اليه كانه عليه السلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبى السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما بلغه الله تع اليه من الرياسة العظمى التى عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب ذلك منه عليهما السلام من جهة الوحى او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والمخائل بان من وفقه الله تع لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو آفاقى منها مما هو انفسى كيف لا وهى تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الاخر وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به ومدار الجريان احكامه فان لكل نبى من الانبياء عليهم السلام معجزة بها يظهر اثاره ويجرى احكامه ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجى ولما اشرنا اليه من كونه وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تع عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لما

تلك النعمة وعلى آل يعقوب وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بانوارها
من نعم الله تع عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك
تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون آثاره من العز
والجاه والمال كما اتمها على ابويك نصب على المصدر اى ويتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي
نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه
من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا
يجب فى تحقيق التشبيه كون ذلك فى جانب المشبه به مثل ما وقع فى جانب المشبه من كل وجه من قبل اى من قبل هذا
الوقت او من قبلك ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما ابا جده وابا ابيه للاشعار
بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به فى ضمن التعبير الاجمالى
لرؤياه والاقتصار فى المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضى سبق
النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ان ربك استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اى يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شئ
فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شئ
حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية فى الموضعين لتربية
تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل فى تفسير الاية الكريمة اى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز
وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة حيث
جعلهم فى الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى فى الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتامل والله اعلم
لقد كان فى يوسف واخوته اى فى قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنيامين ايضا حصة من القصة او بنو علاته
آيات علامات عظيمة الشان دالة على قدرة الله تع القاهرة وحكمته
المعدودون فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها فانهم الواقفون عليها والمستغنون بها
الباهرة للسائلين لكل من سال عن قصتهم وعرفها او الطالبين للايات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها دون
من عداهم ممن اندرج تحت قوله تع وكاى من اية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد
بالقصة نفس المقصوص وعلى نبوته صلى الله عليه وسلم لمن ساله من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هى
عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شئ من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الايات حينئذ للاشعار بان اقتصاص كل طائفة
من القصة اية بينة كافية فى الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر فى قوله تع مقام ابراهيم على تقدير كونه عطف
بيان لقوله تع ايات بينات لا لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرا ابن كثير اية وفى بعض المصاحف عبرة وقيل
انما قص الله تع على النبى صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغى اخوته عليه لما راى من بغى قومه عليه ليتاسى به اذ قالوا ليوسف
واخوه اى شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا يرى الى انهم كيف اكتفوا
باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف احب الى ابينا منا وحد الخبر مع تعدد المبتدا لان افعل
من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران واللام
لام الابتداء فى يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده ونحن عصبة اى والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة
والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا فى ترجيحهما علينا فى المحبة مع
فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفى ضلال اى ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا
منزلته مبين ظاهر الحال روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف
له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا من جملة ما حكى
بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين بقضية الصيغة فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان القائل شمعون
او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الخ فجعلوا كانهم القائلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله
كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو ادل على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اى ارضا
منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم جواب للامر اى يخلص لكم وجه ابيكم
فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يساهمكم فى محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا بالجزم
عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان او الواو بمعنى مع مثل قوله وتكتموا الحق واثار الخطاب فى لكم وما بعده للمبالغة فى حملهم
على القبول فان اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف اى من بعد الفراغ من امره
او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله تع عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين
فى امور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذى قال فلن ابرح الارض
الخ وقيل روبيل وهو استئناف مبنى على سؤال من سال وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتى الضياع ام خالفهم فى ذلك احد

فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره فى مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال
لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على ولوية ما عرضه عليهم بقوله والقوه فى غيابة الجب اى فى قعره وغوره
سمى به لغيبته عن عين الناظر والجب البئر التى لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شئ وقرا نافع فى غيابات
الجب فى الموضعين كان لتلك الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اى فى بعض غيابات الجب وقرى غيابات وغيبة يلتقطه
ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شئ مشرف على الضياع بعض السيارة اى بعض طائفة تسير
فى الارض واللام فى السيارة كما فى الجب وما فيهما وفى البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم
الذى هو تنائى يوسف عنهم بحيث لا يدرى اثره ولا يروى خبره وقرى تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتى لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم
ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رايه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات او ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته
من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا منه ذلك ام لا فاجيب بطريق
الاستئناف على وجه ادرج فى تضاعيفه قبولهم له بما سيجئ من قوله واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب فقيل قالوا يا ابانا
خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا للرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى
استنزاله عليه السلام عن رايه فى حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغى فكانهم قالوا ما لك اى اى شئ لك
لا تامنا اى لا تجعلنا امناء على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون عليه
ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة وقرا المشهور بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام
ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع اى يتسع فى اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع فى الملاذ ويلعب بالاستباق
والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التاهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من
استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرى نرتع ونلعب بالنون وقرا ابن كثير
نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرى يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
وانا له لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد
الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا فى تحصيل مقصدهم قال استئناف مبنى على سؤال من يقول فماذا قال
يعقوب عليه السلام فقيل انى ليحزننى اللام للابتداء كما فى قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته
على وقلة صبرى عنه ومع ذلك اخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذابة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف
انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف و
الثانى الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل راى فى المنام ان قد شد عليه عليه السلام ذئب وكان يحذره فقال ذلك
وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالنطق وقرا ابن كثير ونافع فى رواية اليزيدى بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر
وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تذابت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعى الامر بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى
وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اى والحال انا جماعة كثيرة
جديرون بان يعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب بارائنا وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله
انا اذا لخاسرون جواب مجزئ عن الجزاء اى لهالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى
فى حياتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار يقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور
وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شئ عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب
عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوى فى المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم ياتون به عن قريب فلما ذهبوا به
واجمعوا اى ازمعوا ان يجعلوه مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا فى الافعال التى
قويت الدواعى الى فعلها فى غيابة الجب قيل هى بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل
يعقوب عليه السلام بكنعان التى هى من نواحى الاردن كان مدين كذلك واما ما يقال من انها بئر بيت المقدس فيرده التعليل
بالتقاط السيارة ومجيئهم اياهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما
محذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا يروى انهم لما برزوا
الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فيقول يهوذا اما عاهدتمونى ان لا تقتلوه فاتوا
به الى البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه
بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى تتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها
فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكى فنادوه وظن انها رحمة ادركتهم
فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان ياتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار جرد

عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم عليه السلام الى اسحق واسحق الى يعقوب
فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فاخرجه من التميمة فالبسه اياه واوحينا اليه عند ذلك
تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ
ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتتخلص مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن
اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك
وبعد حالك عن اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا
عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ
من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه
بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا
يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله تع وهم لا يشعرون
متعلق باوحينا لا غير وجاءوا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعُشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء
يبكون متباكين روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي متسابقين في العدو والرمي وقد تشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظائرهما وتركنا يوسف
عند متاعنا اي ما يتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما فاكله الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد
والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة
وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه
في مامننا ومجمعنا بمرأى منا الا ان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يتراءى غايتاه وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه
مسافة قصيرة فكان ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك
وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو
في امثال هذه المواقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال
بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال
ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله
في سورة البقرة عند قوله تع اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تع اولو كنا كارهين
وجاءوا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم اي جاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية من الدم
في تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب
فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاءوا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة رض
بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر
في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليه السلام صاح
باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا
احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم
والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عليه السلام حين قد من دبر قال استيناف مبني على سؤال فكانه قيل
ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم اي زينت وسهلت قاله ابن عباس رض
والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في تمامه قال الازهري كان التسويل تفعيل من سؤال الانسان وهو امنيته التي
يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف
فصبر جميل اي فامري صبر جميل اجمل واشمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب عم
انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال لطول الزمان وكثرة الاحزان
فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرئ فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه
العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته
فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما يجيء من قوله تع فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم
جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه يأباه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك
ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير اليه وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد
الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء ليس بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب المصري من مدين بل الى

مكان يوسف وفي اشارة على المورد او الاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عليه السلام في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر
والظاهر ان الجب كان في الامم المناء فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت سيارة
اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تع فيما سلف يلتقطه بعض
السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه
ملحا فعذب حين القي فيه عليه السلام فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعي
وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا فادلى
دلوه اي ارسلها الى الجب والحذف لما عرفته فتدلى بها يوسف فخرج قال استيناف مبني على سؤال يقتضيه الحال يا بشرى
هذا غلام كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة باردة واي نعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء
وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي واما لفتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين
اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد الوقف واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة
وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك
ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام ابق منا فاشتروه
منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي
متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت عنه اي قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف
وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشرى وما دبروا في ذلك من الحيل وشروه اي باعوه والضمير للوارد واصحابه بثمن بخس زيف
ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير معدودة اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه
في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن وعن ابن عباس رض انها كانت عشرين درهما وعن السدي انها كانت
اثنين وعشرين درهما وكانوا اي البايعون فيه في يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما
ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه
منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في شراه
خشية ذهاب مالهم لما ظنوه من اذنهم من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة عن الاتخاذ لما مر من ان اخذهم انما
كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت
موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه
من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار
بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في حيوة يوسف
عليه السلام بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام
عاش اربعمائة سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عليهما السلام
والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل
وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله مع ما مر عليه في مدة لبثه في السجن
ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة واتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي
وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه
اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه
ولدا اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب
التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رض وكذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام
العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الارض اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه
فيه اي اثبته فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل وكم
اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم فيها او مكنا لهم في الارض الخ والمعنى كما جعلنا له
مثوى كريما في منزل العزيز او مكانا عليا في قلبه حتى امر امرأته دون سائر حواشيه باكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة
في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية
المذكورة في قوله تع ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي لنوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تع
ذلكما مما علمني ربي سوا جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين
مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب عليها ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض

تاويل الاحاديث وهو تاويل الرؤيا المذكور فيؤدى ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذى عليه يدور هذه الامور انما هو التمكين فى جانب العزيز واما التمكين فى جانب الناس كافة فانما دينه الى ذلك انما هى باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تع مكنا ليوسف على ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تع مكنا ليوسف على ان يكون هو عبارة عن التمكين فى قلب العزيز او فى منزله وكون ذلك تمكينا فى الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين آخر يشبه به كما مر فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شان المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك فى لغة العرب ولا فى غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغى ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف فى ارض مصر بالامر والنهى فهو من اثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مبادئ المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم يعهد منه عليه السلام فى تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عهدا مصححا لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك فى امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تاويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى مكناه فى ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معانى كتب الله تع واحكامها ودقائق سنن الانبياء فيقضى بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالى لتلك المعانى والاحكام وان كان غير متاخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصى يتفق فى ضمن الحوادث والارشاد الى الحق فى كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له والله غالب على امره لا يستعصى عليه امر ولا يمانعه شئ بل انما امره لشئ اذا اراد ان يقول له كن فيكون فيدخل فى ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او متولى على امر يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة بعد مرة فلم يكن الا ما اراد الله له من العاقبة الحميدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كذلك فيأتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله ولما بلغ اشده اى منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله اتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة وعلما اى تفقها فى الدين وتنكيرهما للتفخيم اى حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما اتاه الله تع عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل ايتاؤهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل وكذلك اى مثل ذلك الجزاء العجيب نجزى المحسنين اى كل من يحسن فى عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التى من جملتها معاناة الاحزان والشدائد وقد فسرا العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا يتسنى له الا ان يخص بعلم تاويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهى ايام البلاء صح ان يعد ايتاؤه من جملة الجزاء واما رؤيا صاحبى السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها فى السجن بضع سنين وفى تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه انما اتاه ما اتاه لكونه محسنا فى اعماله متقيا فى عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان وراودته التى هو فى بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه فى منزل العزيز بعد ما امر امرأته باكرام مثواه وقوله تع وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جئ به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام من الفتن التى ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن فى جميع اعماله لم يصدر عنه فى حالتى السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الاية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الا... السابق تحت الاشارة بذلك فى قوله تع وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء من التقريب فتامل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد لطالب الماء والكلاء وهى مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن الاخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الاخر جعلت كانها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبنى على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشئ يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما فى قولهم كما تدين تدان اى كما تجزى تجزى فان البادى وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلاة وارادة قراءة القران حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلاة فاذا قرأت القران وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الدائن للمماطلة التى هى من جانب الغريم وهى منه للمطالبة التى هى من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذى هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدورها عن مسبباتها التى هى تلك الافعال فبنى الصيغة على ذلك وروعى جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتامل ويجوز ان

يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز ان يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شئ لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهى عبارة عن التمحل فى مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه فى بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحد ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قال قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادى بكونه عليه السلام فى اعلى معارج العفة والنزاهة وغلقت الابواب قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة فى الايثاق والاحكام وقالت هيت لك قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبنائه كاين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للبيان اى لك اقول هذا كما فى هلم لك وقرئ هئت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء يهيئ كجاء يجئ اذا تهيأ وهيئت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اى اعوذ بالله معاذا مما تدعوننى اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تع للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهده بما اراه الله تع من البرهان النير على ما هو عليه فى حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل انه ربى احسن مثواى تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتبار بعد التنبيه على سببه الذاتى الذى لا يكاد تقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو ربى اى سيدى العزيز احسن مثواى خبر ثان او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين ففى الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية فى الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تع انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء فى الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كائنا من كان فيدخل فى ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تع دخولا اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزنى باهله ولقد همت به بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اى قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام من الهرب نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما فى مقالته عليه السلام من الزواجر وهم بها بمخالطتها اى مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الا يرى الى ما سبق من استعصامه المبنى عن كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه فى صحبة همها فى الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا فى قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالاخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التاكيد القسمى وعقب الثانى بما يعفو اثره من قوله عز وجل لولا ان راى برهان ربه اى حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذى تتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتخلع عن صورها المستعارة التى بها تظهر فى هذه النشاة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه فى حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اى لولا مشاهدته برهان ربه فى شان الزنا لجرى على موجب ميله الجبلى ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعى الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا فى امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما فى قوله تع ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا تحقق هنالك هم اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين على جواز التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقى فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر همه عليه السلام بانه عليه السلام حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها ورؤيته للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث فتم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته وقيل ضرب

على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عم وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فى ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل وقيل ان كل ذلك الخرافات واباطيل تمجها الاذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها كذلك الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الارادة المدلول عليها بقوله تع لولا ان راى برهان ربه اى مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه لنصرف عنه السوء على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا والفحشاء والزنى لانه مفرط القبح وفيه اية بينة وحجة قاطعة على انه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه تع عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتامل وقرى ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب انه من عبادنا المخلصين تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تع لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرى على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم فى سلكهم داخل فى زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية واستبقا الباب متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وقوله كذلك الخ اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تع وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وابى هو فاستبقا اى تسابقا الى الباب البرانى الذى هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر واوصل الى الفعل المجرور نحو واذا كالوهم او ضمن الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق فى ضمن الاستباق اليهما مع ان مرادها مجرد منع يوسف وذا لا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هى ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثر بذلك مبالغه وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط وقد قيل فى وصف على كرم الله وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصه مع ان لقوة يوسف ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامه واما للايذان بمبالغتها فى منعه عن الخروج وبذل مجهودها فى ذلك لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح والفيا سيدها اى صادفا زوجها وانما لم يقل سيدهما لان ملكه ليوسف عليه السلام لم يكن صحيحا لم يقل سيدهما قيل الفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم للمراة لدى الباب اى البرانى كما روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب قالت استيناف مبنى على سؤال سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا من الزنا ونحوه الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافيه اى ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهاميه اى اى شىء جزاؤه غير ذلك ولقد راعت فى تلك الحالة التى تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة نكتة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عن رأيه فى استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب فى قلبه من مكرها طمعا فى مواقعته لها كرها عند يأسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونن من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امرا محققا مفروغا عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ماهى عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها فهى تريد ايقاعه حسبما تقتضيه قانون الامانه وفى ابهام المريد تهويل لشان الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا فى حق كل احد كائنا من كان وفى ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما تتوخاه بحكم الغضب والحميه قال استيناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف فقيل قال هى راودتنى عن نفسى اى طالبتنى للمواتاة لا انى اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما اسند اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الامرين وفى التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها وشهد شاهد من اهلها قيل هو ابن عمها وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد يجوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تع ليوسف عم بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام وانفى للتهمه وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا فى المهد انطقه الله تع ببراءته وهو الاظهر فانه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابى هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال فى هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم ان كان قميصه قد من قبل اى ان علم انه قد من قبل من قبل ونظيره ان احسنت الى فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعتد باحسانى الى فاعتد باحسانى السابق اليك فصدقت بتقدير قد لانها تقرب الماضى الى الحال اى فقد صدقت وكذا الحال فى قوله فكذبت وهى وانما

تصرح بانه عليه السلام اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه اسند اليها الكذب والصدق بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان للانشاءات وهو من الكاذبين وهذه الشرطيه حيث لا ملازمة عقليه ولا عاديه بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة فى شىء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المراة باجراء ما عسى يحتمله الحال فى الجمله بان يقع القد من قبل بمدافعتها له عليه السلام عن نفسها عند ارادته المخالطه والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة اعنى مضمون الشرطيه الثانيه التى هى قوله عز وجل وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطيه بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اى شهد قائلا ان كان الخ وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتاديتها مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبى فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطيه للايذان بان ذلك ظاهر من العلامه ايضا واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ماهى عليه اما مشاهدة او اخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطيه الثانيه ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالى الاولى وبوقوع تالى الثانيه فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عم لكنه ساق شهادته مساقا مامونا من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطيه المترددة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقته فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرير كذبها والثانيه تعليق لصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البته وهذا كما قيل فيمن قال لامراة زوجينى نفسك فقالت لى زوج فكذبها فى ذلك فقالت ان لم يكن لى زوج فقد زوجتك نفسى فقبل الرجل فاذا لا زوج لها فهو نكاح اذ تعليق الشىء بامر مقرر تنجيز له وقرى من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتانيث والعلميه وقرى بسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر كانه لم يكن راى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اى الامر الذى وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التى اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الخ لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تع من كيدكن اى من جنس حيلتكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن عن الافادة وتدبيرا لعقوبته وان لم يكن بجرده عن الاضافة اليها الا انها لما صورته بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فتامل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق ولا تحسبا هند لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند ورجع الضمير الى قوله ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع من ارادة السوء بمن هى الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء وللامر المعبر به عن طمعها فى يوسف عليه السلام يأباه الحكم فان الكيد يستدعى ان يعتبر مع ذلك هنات اخر من قبلها كما اشرنا اليه ان كيدكن عظيم فانه الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا فى النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تع يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اى عن هذا الامر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفرى انت يا هذه لذنبك الذى صدر عنك وثبت عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مواخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة اى جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقى وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقى كتانيث اللمة ولذا اسم لجماعة النساء والثبه وهى اسم لجماعة الرجال ولذلك لم تلحق فعله تاء التانيث فى المدينة ظرف لقال اى اشعن الامر فى مصر او صفة لنسوة امراة العزيز اى الملك يردن قطفير واضافتهن لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه ليست لقصد المبالغة فى اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوى الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هى لقصد الاشباع فى لومها بقولهن تراود فتاها اى تطالبه بمواقعته لها وتتمحل فى ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وايثارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتيه وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد ههنا وفى الحديث لا يقل احدكم عبدى وامتى وليقل فتاى وفتاتى والتعبير عنه عن يوسف عليه السلام بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذى لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لابانة ما بينهما من التباين البين الناشئ عن المالكيه والمملوكيه وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشباع فى اللوم فان من لا زوج لها من النساء او لها زوج دنى قد تعذر فى مراودة الاخدان لاسيما اذا كان فيهم علو الجناب واما التى لها زوج واى زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لاسيما لعبدها الذى لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها فى ذلك غاية الغى ونهاية الضلال قد شغفها حبا

اى شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرى شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبى يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله واياما كان فهو تكرير للوم وتاكيد للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الابتداء مصير الى الاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث الثلمية ميل الى تمهيد العذر من قبلها ولسن بذلك المقام وانتصاب حبا على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنراها اى نعلمها علما متاخما للشاهد والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة فى ضلال عن طريق الرشد والصواب او عن سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها فى امرها على خطاء عظيم وانما لم يقلن انها لفى ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأى مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هى عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعانى وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منها كمكر الماكر وان كان ظاهرا لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت اى احضرت وهيأت لهن متكأ اى ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد وربت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى الرجل ان ياكل متكئا طعاما من قولهم اتكانا عند فلان اى طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا * وشربنا الحلال من قلله * وعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرى بغير همز وقرى بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح فى منتزح ومنباع فى ينبع وقرى متكا وهو الاترج وانشد واهدت متكة لبنى ابيها * تخب بها العثمثمة الوقاح اوما يقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكأ من تكئ اذا اتكئ واتت كل واحدة منهن سكينا لتستعمله فى قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشير الى ان اخرج عليهن اى ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن فلما رأينه عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اى فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجاة رؤيتهن كانها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة فى قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام بامرها فيما لا يشاهد مضرته من الافاعيل اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق وقطعن ايديهن اى جرحنها بما فى ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن وفى التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنيع البديع واصله حاشا كما قراه ابو عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاشا الله تنزيه الله وبراءة الله وهى قراءة ابن مسعود واللام لبيان المنزه والمبراء كما فى سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابى السمال حاشا بالتنوين وقراءة ابى عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما فى قولك جلست من عن يمينه وقوله عدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف فى الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار فى ناحية من ان يقارف ما رمته به لله اى لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله ما هذا بشرا على اعمال ما بمعنى ليس وهى لغة اهل الحجاز لمشاركتهما فى نفى الحال وقرى بشر على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقرى الذى لم يعهد مثاله فى البشر وقصرنه على الملكية بقولهن ان هذا الا ملك كريم بناء على ما ركز فى العقول من ان لا حى احسن من الملك كما ركب فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه فى الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذى وصفنه به الآن من الخروج فى الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائى عن المراتب البشرية هو الذى لمتننى فيه اى عيرتننى فى الافتتان به حيث رميتننى بمحبتى العزيز ووضعتن قدره بكونه من المماليك او بالعنوان الذى وصفنه به فيما سبق بقولهن امراة العزيز

عشقت عبدها الكنعانى فهو خبر لمبتدا محذوف اى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى انفسكن وقلتن فيه وفى ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فينا واما ما يقال يعنى انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتننى فى الافتتان به فلا يلائم المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهيد ما مهدته لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال لحق المعتذر قبل ظهور معذرته وقد قيل فى تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من الخواص الملكية وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذى لمتننى فيه فان عنوان العصمة مما ينافى تمشية مرامها ثم بعدما اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها وقد اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابها باحت لهن ببقية سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم اى امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها كما فى استمسك واستجمع الرأى وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عليه السلام شئ مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم وغيره اعترفت لهن اى لا بما كن يسمعنه من مراودتها له واكدته اظهارا للابتهاج بذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل اليها قط ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره اى آمر به فيما سيأتى كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما فى امرتك الخير والضمير للموصول او امرى اياه اى موجب امرى ومقتضاه فما مصدرية والضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بامرها ليسجنن بالنون الثقيلة اثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل بينهما فعل فاعل وليكونا بالمخففة من الصاغرين اى الاذلاء فى السجن وقد قرئ الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت فى المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوى على فنون التاكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف انها ليست فى امرها على خفيه ولا خيفه من احد فتضيق عليه الحيل وتعيى به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الابراق والارعاد مظنة لسؤال سائل يقول فماذا صنع يوسف حينئذ قيل قال مناجيا لربه عز سلطانه رب السجن الذى وعدتنى بالالقاء فيه وقرا يعقوب بالفتح على المصدر احب الى اى آثر عندى لانه مشقة قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعوننى اليه من مواتاتها التى تؤدى الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبنى على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس لها شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه فى مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذا رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عنى كيدهن فى تحبيب ذلك الى وتحسينه لدى بان تثبتنى على ما انا عليه من العصمة والعفة اصب اليهن اى امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين فى قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركنى والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفى نفسه داعية تدعوه الى هواهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفس تستطيبها وتصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهى رقة الشوق واكن من الجاهلين اى الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعوننى اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف عنى كيدهن الخ فان فيه استدعاء للصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفى اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اى ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما رأوا الآيات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهى الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا اما مصدره او الرأى المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء او رأى او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه فى الذروة والغارب وكان مطواعا لها وقعودا حيث شاءت قال السدى انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس يخبرهم بانى راودته عن نفسه فاما ان تأذن لى فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها واعوانها وقرى لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده

فاستعصم

من اصحاب الرائي المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادي الراي من العزيز وذويه واما
عندها فحتى بذلك السجن ويجزئها ويعيب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل ودخل معه اي في صحبته السجن فتيان
من فتيان الملك ومما لبكم احدهما شرابيه والآخر خبازه روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه
وشرابه فاجابا هم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما احضر الطعام قال الساقي لا تاكل ايها
الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب فلم يضره
وقال للخباز فكله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه وتاخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من
الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول
الصريح في قوله تع فاوجس في نفسه خيفة وتاخير السجن عن الظرف لايهام العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدا
ويكون الجملة حالا من فاعل دخل فتامل قال احدهما استيناف مبني على سؤال من يقول ماصنعا بعد ما دخلا معه السجن
فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي رايتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر خمرا
اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال
الآخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله تاكل الطير منه اي تنهش منه
صفة للخبز او استيناف مبني على السؤال نبئنا بتاويله بتاويل ما ذكر من الرؤيتين او ما رؤي باجراء الضمير مجرى ذلك
بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
اي كان ذلك والسر في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر او بما رؤي
ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يتسنى تاويله باحد الاعتبارين الا باجرائه
مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما
من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص ما راه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما لتعدد
المرجع بل عبارة كل منهما نبئني بتاويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله
عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به
انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عليه السلام من المحسنين من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما
رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تاويلا حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله
او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه عليه السلام كان اذا مرض
منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال
حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا وتوجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا
في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو
استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال
الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاث عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال
الخباز اني اراني وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما
هذا حسب عادتكما المطردة الا نباتكما بتاويله استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال
ما نباتكما به بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان ياتيكما واطلاق التاويل عليه اما بطريق الاستعارة فان
ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما روي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما
وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتاويله ولا يبعد ان يراد بالتاويل الامر الآيل لما المآل فانه في الاصل جعل شي آيلا الى شي
آخر فكما يجوز ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول فالمعنى لا ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فجاء انه كذلك ومراده
عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك
بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيتين المتعلقتين بالطعام والشراب وقد جعل الضمير
لما قصا من الرؤيتين على معنى لا ياتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتاويل ما قصصتما علي قبل ان ياتيكما ذلك
الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال في التنبئة وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار
بالتاويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك رؤياهما دخولا اوليا وانما لم
يكتف عليه السلام بمجرد تاويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عليه السلام بالانتظام في سمط المحسنين
وانهما اعتقدا ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي اثير
عما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شانه وثقة بامره وتوقفا على علو طبقته
في بدايع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليها من كلامهما فكانه قال تاويل ما قصصتما علي في طرف

نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام
والخبر المطابق للواقع وكان يوم
يقول لهما اليوم

المنام حيث رأيتما مثاله في المنام واني ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان
الطعام الموظف الذي ياتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو
فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة
الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول ادراكه العقول
ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل الكرامة بسبب اتباعه
ملة ابائه الانبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال
نشا من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليلا له للتعليم الواقع صلة للموصول لتاديته الى معنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون
غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التاويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه
بل لنفس تعليم ما علمه فكانه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني تركت ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا
عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها راسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا
تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله
تع بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تع مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تع كما هو زعمهم الباطل كما مر في
قوله تع انه عمل غير صالح وهم بالاخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر واتبعت ملة
اباي ابراهيم واسحق ويعقوب يعني انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة ابائه الكرام
ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدا والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا
عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة ابائه لان التخلية متقدمة على التحلية ما كان اي ما صح
وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني
او انسي فضلا عن الجماد البحت ذلك اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا
اي ناشئ من تاييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه
نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي
يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من اثار ما ذكر من التاييد شكر لله عز وجل
على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم
لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها
على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون
كافرين غير شاكرين ولك ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد
التي مهدها في الانفس والافاق وقد اعطى سائر الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى
والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الافاقية والانفسية والعقلية والنقلية يا صاحبي
السجن اي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفو
فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال ارباب
متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما اراد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله خير لكما
ام الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه احد وبعدما نبههما على فساد تعدد الارباب
بين لهما سقوط الهتهما عن درجة الاعتبار راسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون
من دونه اي من دون الله شيئا الا اسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود
له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما تقتضيه المقام
من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم
واباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما انزل الله بها اي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها
ان الحكم في امر العبادة المتفرع على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل
والمالك لامر امر استيناف مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكانه قيل فماذا حكم الله تع في هذا الشان فقيل امر على السنة
الانبياء عليهم السلام ان لا تعبدوا الا اياه حسبما تقضي به قضية العقل ايضا ذلك اي تخصيصه تع بالعبادة الدين
القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم
بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد
تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق
فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام

امر صاحبه حذار مشافهته بما يسوءه فيسقي ربه اي سيده خمرا روي انه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها
الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود على ما كنت عليه وقرأ عكرمة فيسقى
ربه على البناء للمفعول اي يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه روي انه عليه السلام قال له ما رأيت
من السلال الثلاث ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي اي اتم واحكم الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤييين قطعا
لا ماله الذي هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الآخر كما يوهم اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها
يقال استفتى الفقيه في الحادثة اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان
في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال افتى في حكمها او جوابها بكذا ومما هو علم في ذلك قوله تع يا ايها الملأ افتوني في رؤياي
ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتاويله بقولهما نبئنا بتاويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تاويله بالاستفتاء انما يكو
تهويلا لامره وتفخيما لشانه اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب واثار صيغة الاستقبال مع سبق
استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال
ماله لانه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة واما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما
وحداه في قولهما نبئنا بتاويله لا لان الامر ما اتهما به ونجيا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته
بل فيما هو صورة لماله وعاقبته فتامل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا لتعبيره وتاكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما
جحدا وقالا ما رأينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان
يكون ذلك لمراعاة جانبه وقال اي يوسف عليه السلام وقال ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق للذي صح
النجاة حسبما يفيده قوله تع قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو السر في اثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذي ظنه
ناجيا منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقريب المفهوم من
التعبير المذكور وان كان ادخل في ذلك وادعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه
وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لا صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي
بل على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تع ظننت اني ملاق حسابيه فالتعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تع قضي الامر او
قيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادي اذكرني بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك
وصفني له بصفتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا
فالانساء في الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة
لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه فلبث
اي يوسف بسبب ذلك الانساء او القول في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل
انه لبث فيه سبع سنين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن
سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم وقال
الملك اي الريان اني ارى اي رأيت واثار صيغة المضارع لحكاية حال الماضية سبع بقرات سمان جمع سمين وسمينة كرام في
جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام ياكلهن اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجبا والجملة حال
من البقرات او صفة لها سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال و
لكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة
ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب
مجرى الاسماء وروي انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت
العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى
غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكرها للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء
افتوني في رؤياي هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤيا
ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور
وامثلة لها من الامور الآفاقية او الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته
ونحوه اولتها اي ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار
كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كانه قيل ان كنتم
تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر
قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هي اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو
في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها

في المنام

في المنام والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من جنس
الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعنى بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب
الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة ولتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع
العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتامل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شان التنزيل وما نحن
بتاويل الاحلام اي المنامات الباطلة التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تاويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تاويل لها وانما التاويل
للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا نحارير في تاويل الاحلام مع ان لها
تاويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير
الاحلام او عبارتها الى التاويل المنبئ عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا
انبئكم بتاويله وقال الذي نجا منهما اي من صاحبي يوسف وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر
يوسف عليه السلام وشؤونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تاويلها على الملأ بعد امة اي مدة طويلة
وقرئ امه بالكسر وهي النعمة اي بعدما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل
معطوفة على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب
كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدري ان تذكره بعد امة
انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة انا انبئكم بتاويله اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا
من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون اي الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق
من قوله يوسف ايها الصديق اي ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله
وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع
عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق
من معاملتهما وكذا لا له مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة اي بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو
رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتاويله وفي قوله افتنا مع انه
المستفتي وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما اذن
بذلك حيث قال لعلي ارجع الى الناس اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلدان كان السجن في الخارج كما قيل فانبئهم بذلك
لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتخلص منه وانما لم يبت القول
في ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولعل المنايا دون
ما تعداني ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال يوسف عليه السلام في
التاويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دأبا قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب في العمل اذا جد فيه وتعب و
انتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين او تدأبون دأبا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عليه السلام البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على
الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم في تضاعيف ذلك
على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اي في كل سنة فذروه في سنبله ولا تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر
ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث
كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وتاويلا للرؤيا ومصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا
مما تاكلون في تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على استثناء المأكول دون البذر
لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعدما تمم ما امرهم به شرع في بيان بقية التاويل التي يظهر منها حكمة الامر
المذكور فقال ثم ياتي وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل الامر
بذلك ايضا من بعد ذلك اي من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان
الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اي سبع سنين صعاب على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة
في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن مجازي
كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل لاكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك فكان ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء
قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل وانما هو في الحقيقة مقدم للناس فيهن الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي
من بعد ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي
لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق فيه يغاث الناس من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد
اذا امطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تع اي امدنا برفع المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اي ما من شانه ان يعصر

من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر تضرعهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادی اخری غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا لان الغيث والغوث من فضل الله تع والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين لان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحاب اما بتضمين اعصرت معنى مطرت وتعديته تعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام **وقال الملك** بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من نقير وقطمير **ائتوني به** لما علم من علمه وفضله **فلما جاءه** اي يوسف **الرسول** واستدعاه الى الملك **قال ارجع الى ربك** اي سيدك **فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن** اي فتشه عن شانهن وانما لم يقل فاساله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش لتتبين براءته وتتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتقصي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع ما لقي منها من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله **ان ربي بكيدهن عليم** مجاملة معهن واحترازا عن سوء مقالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة منافحة عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد **قال** استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول والخبر واحضرهن **ما خطبكن** اي شانكن وهو الامر الذي يحق لعظمه ان يخاطب المرء فيه صاحبه **اذ راودتن يوسف** وخادعتنه **عن نفسه** ورغبتنه في طاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة **قلن حاش لله** تنزيها له وتعجيبا من نزاهته وعفته **ما علمنا عليه من سوء** بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من **قالت امراة العزيز** وكانت حاضرة المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاقرت قائلة **الآن حصحص الحق** اي ثبت واستقر او تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبينت حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الاراضي وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير بباركه اذا القاها في الارض للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته ... وباسلي نولاه ثم صمها والمعنى اقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم يرد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت **انا راودته عن نفسه** لا انه راودني عن نفسي **وانه لمن الصادقين** اي في قوله حين افترت عليه هي راودتني عن نفسي وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتامل ايها المصنف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما عند العزيز قبل ان يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن **ذلك** اي ذلك التثبت المؤدي الى ظهور حقيقة الحال **ليعلم** اي العزيز **اني لم اخنه** في حرمته كما زعم لا علمه مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقضها ابرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشر للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات على رايه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تحلة لامضاء ما مضاه فلا يليق بشانه عليه السلام في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله **بالغيب** اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او

المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وايا ما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها **وان الله** اي وليعلم انه تع **لا يهدي كيد الخائنين** اي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تع يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهئونهم في قولهم وفيه تعريض بامراته في خيانتها امانته وبه في خيانته امانة الله تع حين ساعدها على حبسه بعد ما راوا الآيات نزاهته عليه السلام ويجوز ان يكون ذلك لتاكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته **وما ابرئ نفسي** اي لا انزهها عن السوء قاله عليه السلام هضما لنفسه البريئة عن كل سوء وربا بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحدثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا لسره المكنون في شان افعال العباد اي لا انزهها عن السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا **ان النفس** البشرية من جملتها نفسي في حد ذاتها **لامارة بالسوء** مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تع وعصمته ورحمته كما يفيده قوله **الا ما رحم ربي** من النفوس التي يعصمها عن الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي او هي امارة بالسوء في كل وقت الا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تع ولا هم ينقذون الا رحمة **ان ربي غفور رحيم** عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك واثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل الى هنا من كلام امراة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا نفسا رحمها الله تع بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تانيه عليه السلام في الخروج عن السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وامره بين بين فيفعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وانه انما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشان ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع **وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي** اجعله خالصا وخاصا **فلما كلمه** اي فاتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد **قال انك اليوم لدينا مكين** ذو مكانة ومنزلة رفيعة **امين** مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين روي انه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرائيم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عين له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل **قال اجعلني على خزائن الارض** اي ارض مصر وولني امرها من الايراد والصرف **اني حفيظ** لها ممن لا يستحقها **عليم** بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه السلام ولعل ايثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما فصل في التاويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما ساله عليه السلام من جعله على خزائن الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في ذلك قيل **وكذلك** اي مثل ذلك التمكين البديع **مكنا ليوسف** اي جعلنا له مكانا **في الارض** اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا الى ضمير العظمة تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال مما لا يخفى **يتبوأ منها** منزلا من بلادها **حيث يشاء** ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك

فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر فى سنى القحط الطعام فى السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفى الثانية بالحلى والجواهر وفى الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من نصيبه من الرحمة المرقومة وانها اجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ولاجر الآخرة اى اجرهم فى الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذى لا نفاد له خير اى للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتى الماضى والمستقبل وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه اى على يوسف وهو فى مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحاله يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيآتهم وزيهم فى الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما فى زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وهم له منكرون اى والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام فى نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم له امرا مستمرا فى حالتى المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم ولما جهزهم بجهازهم اى اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤا اليه من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال ائتونى باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة فى اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قاله لما قيل من انهم سألوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به او لما قيل من انه لما رأوه وكلموه بالعبرية قال لهم من انتم فانى انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصاب القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان فى الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم فى رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال الا ترون انى اوفى الكيل اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة وانا خير المنزلين جملة حالية اى الا ترون انى اوفى الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال انى فى غاية الاحسان فى انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب فى اثنائه واما الاحسان فى الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار فى الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم فى ذلك كمعاملته مع غيرهم فى مراعاة مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم فى ذلك بما شاء فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى من بعد فضلا عن ايفائه ولا تقربون بدخول بلادى فضلا عن الاحسان فى الانزال والضيافة وهو اما نهى او نفى معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له عليه السلام قالوا سنراود عنه اباه اى سنخادعه عنه ونحتال فى انتزاعه من يده ونجتهد فى ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون عليه لا نتعايى به وقال يوسف لفتيانه غلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهى جمع قلة اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلا يعبئ فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيهم كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها اى يعرفون حق ردها والتكرم فى ذلك او لكى يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق التكرم فى ردها فهى وان كانت فى ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به لعلهم يرجعون حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعى الى الرجوع وما

وما قيل انما فعله عليه السلام لما لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق فى نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور واما ان علية الجعل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم انها بقيت فى رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد فضلا فان هيئة التعبية تنادى بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبرا فلما رجعوا الى ابيهم قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع قالوا يا ابانا منع منا الكيل اى فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم فى حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله فالله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين وهذا كما ترى منه عليه السلام ميل الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اى تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل قيل وكيل قالوا استيناف مبنى على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح يا ابانا ما نبغى اذا فسر البغى بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغى وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعى الى امتثال امره والمراجعة اليه فى الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا انا قدمنا على خير رجل وانزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث لا ندرى بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به فى استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه فى استجلاب المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة واشار صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل ونمير اهلنا اى نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اى فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اى بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والمزيد كيل بعير اى وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اى ما يحمله اباعرنا كيل يسير اى مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استيناف وقع تعليلا لما سبق كانه قيل اى حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اى مطلب نطلب من مهماتنا والجملة الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شئ من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاى شئ نبتغى وراء هذه المباغى وقرئ ما تبغى على خطاب يعقوب عليه السلام اى اى شئ تبغى وراء هذه المباغى المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك او اى شئ تبغى شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار واما نافية فالمعنى ما نبغى شيئا غير ما رأينا من احسان الملك فى وجوب المراجعة اليه او ما نبغى غير هذه المباغى وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستأنفة تعليل له واما اذا فسر البغى بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغى فى القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغى وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغى اى ما نبغى فيما ذكرنا من احسانه ونحصل امثاله من مير اهلنا وحفظ اخينا فان ذلك اهون شئ بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما مبتدأ اى جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغى ان نمير اهلنا ونشبه ذلك بقولك يا شعيب فى حاجة فلان ويجب ان اسعى وانت خبير بان شأن الجمل التذييلية ان تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما فى المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق فالحق ابلج وان قوله ونمير الخ وان ساعدنا فى حمله على معنى ينبغى ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك او ما نبغى فى الرأى وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الى آخرها

تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رأيهم اى بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وذيت فتامل قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتونى موثقا من الله اى ما اتوثق به من جهة الله عز وجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان توكيد العهود به ماذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وعلا لتاتننى به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتننى به الا ان يحاط بكم اى الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على تاويل الكلام بالنفى الذى ينساق اليه اى لا تاتننى به ولا تمتنعن منه فى حال من الاحوال او لعلة من العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت اى ما اريد منك الا فعلك وقد جوز الاول بلا تاويل ايضا اى لتاتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدرى انه حيث لم يمكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل المعية كما فى قولك لالزمنك الا ان تعطينى حقى ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما فى قولك لاحجن العام الا ان احصر فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل كما هو مرادك فى مثال الصلاة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فآل المعنى الى التاويل المذكور فلما اتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول اى على ما قلنا فى اثناء طلب الموثق وايتائه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية الى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تع وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما ان مع على ارسالهم جميعا يا بنى لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك حذارا من اصابة العين فانهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا فى هذه الكرامة كثرما فى المرة الاولى وقد اشتهروا فى مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا مئنة لان يكون كل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم وقد ورد عنه عليه السلام ان العين حق وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسنين رضى الله عنهما بقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهم السلام رواه البخارى فى صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب متفرقة وكان فى دخولهم من بابين او ثلاثة بعض ما فى الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال وادخلوا من ابواب متفرقة بيانا لما هو المراد بالنهى وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا لكمال العناية به وايذانا بانه المراد بالامر المذكور لا تحقيق شىء اخر وما اغنى عنكم اى لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيرى من الله من شىء اى شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير فى الجملة وانما التاثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تع وهرب منه اليه ان الحكم مطلقا الا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شىء عليه لا على احد سواه توكلت فى كل ما آتى واذر وفيه دلالة على ان ترتب الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون غيره فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مقيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المعتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به من التدبير ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفى بذكر عدم استلزامه الانتهاء عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغنى فيما سياتى عند وقوع ما وقع عنهم عن الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل انما تحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق ح ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سياتى فتامل من الله من جهته من شىء اى شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك فى بادى الراى حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واثقين بجدواه من فضل الله تع فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم الاغناء كما فى قوله تع فلما جاءهم

نذير ما زادهم الا نفورا فان مجىء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببيته للاغناء مع كونها متوقعة فى بادى الرأى كما فى قولك حلف ان يعطينى حقى عند حلول الاجل فلما حل لم يعطنى شيئا فان المراد بيان عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببيته لعدم الاعطاء فالمال بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بناء على ما ذكره عليه السلام فى تضاعيف وصيته من انه لا يغنى عنهم من الله شيئا فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتامل الا حاجة استثناء منقطع اى ولكن حاجة وحزازة كائنة فى نفس يعقوب قضاها اى اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد ان للتدبير تاثيرا فى تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل فى قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة فى نفس يعقوب وهى ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغنى عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة فى نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانما لم تقع لكونها لم تكن غير مقدرة عليهم لا لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم وانه لذو علم جليل لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحى ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التاثير حتى يتبين الخلل فى رأيه عند تخلف الاثر او حيث بت القول بانه لا يغنى عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفى تاكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شان يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغنى عنه الحذر واما ما يقال من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغنى شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادى ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه بنيامين اى ضمه اليه فى الطعام او فى المنزل او فيهما روى انهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندى فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف بقى اخوكم فريدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثانى معه فيكون معى فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لى هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وتعرف اليه وعند ذلك قال انى انا اخوك يوسف فلا تبتئس اى فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تع قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رضى الله عنه وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروى انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدى بى فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالى فافعل ما بدا لك قال فادس صاعى فى رحلك ثم انادى عليك بانك سرقته ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية اى المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر فى رحل اخيه بنيامين وقرى وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير وهى الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجىء وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وغيد والمراد اصحابها كما فى قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبى روى انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر بهم فادركوا ونودوا انكم لسارقون هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق وقرأ اليمانى سارقون بلا لام قالوا اى الاخوة واقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جىء بها للدلالة على انزعاجهم بما سمعوه لمباينته لحالهم ماذا تفقدون اى تعدمون تقول فقدت الشىء اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمآل ماضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرى تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم شىء فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شىء فيسألونهم

انه ما داو فيه ارشادهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البرآء الى ما لا خير فيه لاسيما
بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا فى جوابهم قالوا نفقد صواع الملك ولم يقولوا سرقتموه او سُرق
وقرى صاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها وباهمال العين واعجامها من الصياغة ثم قالوا تربية لما تلقوه من قبلهم
وارادة لاعتقاد انه انما بقى فى رحالهم اتفاقا ولمن جاء به من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام
جعلا له لاعلى نية تحقيق الوعد لجزمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد فى رحله وانا به
زعيم اى كفيل أُودّيه اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على
الجلالة المعظم او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن فى قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل
بنفسها وايا ما كان ففيه تعجب لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد فى الارض اى لنسرق فانه من اعظم
انواع الافساد او لنفسد فيها اى افساد كان مما عز او هان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفى المجيء للافساد
وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفى الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء الذى يترتب عليه ذلك ولو بطريق
الاتفاق مجيئا لغرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل
فى قوله تع ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفى المبالغة فى الظلم دون نفى الظلم فى الجملة
الذى هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا فى الظلم فكانهم قالوا ان صدر
عنا افساد كان مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح حاله واظهار كمال نزاهتهم عنه يعنون انه قد شاع بينكم فى كرتى مجيئنا
ما نحن عليه وقد كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما ياتون ويذرون حتى روى انهم دخلوا مصر وافواه
رحالهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا يصدر عنا
افساد وما كنا سارقين اى ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم الشاهدة يستلزم
العلم باحوالهم الغايبة وانما لم يكتفوا بنفى الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا
للتعجب المفهوم من تاء القسم قالوا اى اصحاب يوسف عليه السلام فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف اى
فما جزاء سرقته عندكم وفى شريعتكم ان كنتم كاذبين لا فى دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزم
ذلك من نفى كون الصواع فيهم كما يوذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد اى اخذ من وجد الصواع فى رحله حيث
ذكر بعنوان الوجدان فى الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها فى اعتقادهم المبنى على قواعد
العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد فى يده مال
غيره كيف ما كان فتامل واحمل كلام كل فريق على ما لا يزاحم رأيه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله
فهو جزاؤه تقرير لذلك الحكم اى فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدا
والجملة الشرطيه كما هى خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو على ان الاول لمن
والثانى للظاهر الذى وضع موضعه كذلك اى مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزى الظالمين بالسرقة تاكيد للحكم المذكور
غب تاكيد وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ يوسف
بعد ما رجعوا اليه للتفتيش باوعيتهم باوعية الاخوة العشرة اى بتفتيشها قبل تفتيش وعاء اخيه بنيامين
لنفى التهمة روى انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فانه
اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اى السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع
الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرى بضم الواو وبقلبها همزة
كما فى اشاح فى وشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما فى ذلك
من معنى البعد اى مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم
وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل كدنا ليوسف صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل
غرضه من المقدمات التى رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما فى قوله تع فيكيدوا لك كيدا فانها
داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشايع وقوله تع ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك استيناف وتعليل
لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن لياخذ اخاه بما فعله
فى دين الملك فى امر السارق اى فى سلطانه قاله ابن عباس او فى حكمه وقضائه قاله قتادة الا به لان جزاء السارق
فى دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عم
فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التى نسبها اليه فى حال من الاحوال الا ان يشاء الله اى الا حال
مشيته التى هى عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيته للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان يكون الكيد
عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال

حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى ذلك
الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه فى دين الملك فى شان السارق قطعا
اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك فى امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى ذلك الكيد البالغ الى هذا
الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن لياخذ اخاه فى دين الملك به الا حال مشيتنا له بايجاد ما يجرى مجرى
الجزء الصورى من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغى ان يحمل القصر فى تفسير من
فسر قوله تع كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اى مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه
دون بعض من ذلك فقط الخ وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب
اى لم يكن لياخذ اخاه لعلة من العلل وبسبب من الاسباب الا لعلة مشيته تع او الا بسبب مشيته تع وايا ما كان
فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لاسيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين
الملك وقد قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدرى ان المراد بدينه ما عليه
ح فتغييره مخل بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث يفضى الى كون الاستثناء من قبيل التعليق
بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه ح ولم تتعلق المشية بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة
عجزه مطلقا تؤدى الى خلاف المراد فان استثناء حال المشية المذكورة من احوال العجز عليه السلام مما يشعر بعدم
الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اى لكن اخذه بمشية الله تع واذنه فى دين غير دين الملك نرفع
درجات اى رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اى الى درجات والمفعول
فى قوله تع من نشاء اى نشاء رفعه حسبما يقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف واشار صيغة الاستقبال
للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذى
علم من اولئك المرفوعين عليم لا ينالون شأوه واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف
عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطيه او الشطر به من ارشاده عليه السلام الى دس الصواع فى رحل اخيه وما يتفرع عليه
من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه مما تم من قبله والمعنى رشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من
اخذ اخيه بدونه او رشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط
لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله تع عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يحوجه
تمام مرامه اذ ليس فى ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شئ بل انما نرفع كل من يرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم
لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما يليق به
من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفى بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عم
لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعدما و
التعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفى صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة
شانه عز وعلا وجلاله مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة
عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحى والتعليم
والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذى سيصدر عن اخوته اذ لم يكن
متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات
العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل ذى علم عليم تذييل له اى نرفع درجات عالية من العلم
من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس رض فوق كل عالم عالم الى ان ينتهى العلم الى الله تع والمعنى
ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرى درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث
نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم فى هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل
اى وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تع اعلم قالوا ان يسرق يعنون بنيامين
فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه
فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحق عم
فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة
اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عندها حتى
ماتت وقيل كان اخذ فى صباه صنما لابى امه فكسره والقاه فى الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب
كانوا يعبدونه فدفنه فاسرها يوسف اى اكنّ الحزازة الحاصلة مما قالوا فى نفسه لا انه اسرها لبعض اصحابه كما فى قوله تع
واسررت لهم اسرارا ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق قال اى فى نفسه وهو

استيناف مبني على سؤال نشاء من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر مكانا اى منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البرئ وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون الى عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة يتعلل بها عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فليس احد عندنا بمنزلته من المحبة والشفقة انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله اى نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على محمل غير السرقة انا اذا اى اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي اريد بالكلام في اثناء الحوار وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي ان آخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه اى يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اى ذوي نجوى على ان يكون بمعنى النجوى والتناجي او متناجين على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تع وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تع وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم ومن قبل اى من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اى الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شان يوسف عليه السلام ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شان يوسف عليه السلام او ان تفريطكم الكائن او كائنا في شان يوسف عليه السلام وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شان يوسف كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اى ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرع على ما ذكره وذكره اياهم من ميثاق ابيه وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اى فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق حتى ياذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام او يحكم الله لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا من ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب اى باطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه او ما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انا نلاقي هذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها اى مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اى اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من صنعاء

وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال اى يعقوب عليه السلام وهو استيناف مبني على سؤال نشاء مما سبق فكانه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عندما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه جواب ابيهم بل سولت اى زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم امرا من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته فصبر جميل اى فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة وتولى اى اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء فناداه اى يا اسفي تعال فهذا اوانك وانما تأسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء غضا عنده وان تقادم عهده آخذا بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تع وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد عليه السلام الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبا بنبا يقين ونظائرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تع ساعة قط وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تع وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ اى لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اى الميتين قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اى ينشره فكانهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وانما اشكو همي وحزني الى الله تع ملتجئا الى جنابه متضرعا لدى بابه في دفعه وقرئ بفتحتين وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام انه سيخر له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اى تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من التجسس وهو الطلب اى تطلبوا من يوسف واخيه اى من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اى من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تع وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اى على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اى الملك القادر المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة

وتحريك سلسلة المرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اى اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى مرامهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او ارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤا بما امروا به استجلابا للشفقة والرافة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين يحتمل الحمل على المحملين فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما فى وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اى هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون عاقبته وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض فى طلب بنيامين بل يجوز ان يقف عليه السلام بطريق الوحى او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما راهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدى فشدت يداه ورجلاه فرمى به فى النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابى فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قراه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قراه كتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكدوه بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ اينك او انت يوسف على معنى اينك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسألتهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخى اى من ابوى مبالغة فى تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حسبما يفيده قوله قد من الله علينا فكانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخى لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليلى بقوله انه من يتق اى يفعل التقوى فى جميع احواله او يتق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصى التى تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين اى اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اى لا عتب ولا تانيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشى للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذى يذهب بماء الوجه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر خبرا للا اى لا اثرب بكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذى هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه حينئذ صفح عن جريمتهم وعفا عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيى منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت فى العيون حيث علم الناس انكم اخوتى وانى من حفدة ابراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصى هذا قيل هو الذى كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث الذى كان فى التعويذ امر جبريل عليه السلام بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفى فالقوه على وجه ابى يات بصيرا يكن بصيرا او يات الى بصيرا وينصر قوله

واتونى باهلكم اجمعين اى بابى وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النساء والذرارى قيل انما حمل القميص يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس رضى الله عنه انفصل العير قال ابوهم يعقوب عليه السلام لمن عنده انى لاجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون اى تنسبونى الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الرأى من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن فى شبيبتها ذات رأى فتفند فى كبرها وجواب لولا محذوف اى لصدقتمونى قالوا اى الحاضرون عنده تالله انك لفى ضلالك القديم لفى ذهابك عن الصواب قدما فى افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهوذا القاه اى القى البشير القميص على وجهه اى وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تياسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله انى اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهى المذكور انما هو العلم الذى اوتى يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اى الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس ونهيتكم عن الياس من روح الله تعالى انى اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف روى انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار او ادرجوا ذلك فى الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم وهذا مشعر بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام او يعلم انه قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روى عنه انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم وانما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روى انه كان يستغفر كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف روى انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك فى اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشى متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت على حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتى الف اوى اليه ابويه اى اباه وخالته ونزلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب فى قوله عز وجل واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه وقال الحسين وابن اسحق كانت امه بالحيوة فلا حاجة الى التاويل ومعنى اوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكانه عليه السلام ضرب فى الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فاواهما اليه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من الشدائد والمكاره قاطبة والمشية متعلقة بالدخول على الامن ورفع ابويه عنده وهم بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له اى ابواه واخوته سجدا تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية فى التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه وياباه الخرور وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى التى رايتها وقصصتها عليك من قبل فى زمن الصبا قد جعلها ربى حقا صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما فى قوله اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتاخيره عن الرفع على العرش ليس بنص فى ذلك لان الترتيب الذكرى لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعى فلعل تاخيره عنه

يتصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله وقد احسن بى المشهور استعمال الاحسان بالى وقد يستعمل
بالباء ايضا كما فى قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هذا تضمين لطف وهو الاحسان الخفى كما يؤذن به
قوله تع ان ربى لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى اى لطف بى محسنا الى غير هذا الاحسان اذ اخرجنى من
السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذارا من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع
الكلام عقيب خرورهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو اى البادية من بعد ان نزغ
الشيطان بينى وبين اخوتى اى افسد بيننا بالاغواء واصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجرى يقال نزغه
ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام فى الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان ان ربى لطيف
لما يشاء اى لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجئ على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى
تدبيره سهل انه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذى يفعل كل شئ على قضية الحكمة روى ان يوسف اخذ
بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به فى خزائنه فادخله فى خزائن الورق والذهب وخزائن الحلى وخزائن
الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بنى ما اعقك عندك هذه القراطيس
وما كتبت الى على ثمانى مراحل قال امرنى جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه منى فسأله قال جبريل
الله تعالى امرنى بذلك لقولك اخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتنى وروى ان يعقوب عليه السلام
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه
ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له تاقت نفسه
الى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد آتيتنى من الملك اى بعضا منه عظيما وهو ملك مصر
وعلمتنى من تاويل الاحاديث اى بعضا من ذلك كذلك ان اريد بتعليم تاويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار
الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤيا
كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه فى الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه
والملك اعرق فى كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة فى نفسه ولا يمكن تمشيته
هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هناك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك
لزم تاخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التاخير فى الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعى ذلك
الترتيب فى الوجود فاطر السموات والارض مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادى او
منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة فى ترتيب مبادى ما يعقبه من قوله
انت وليى مالك اموري فى الدنيا والاخرة او الذى يتولانى بالنعمة فيهما واذ قد اتممت
على نعمة الدنيا توفنى اقبضنى مسلما والحقنى بالصالحين من آبائى او بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة
فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فى دفنه وتشاحوا فى
ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا ان يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه فى النيل ليمر عليه ثم يصل
الى مصر ليكونوا شرعا واحدا فى التبرك به وولد له افرائيم ومنشا ولافرائيم نون وليون يوشع فتى موسى
عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على
بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ
يوسف عليه السلام وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او كونه بالانقضاء فى
حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من انباء الغيب الذى لا يحوم حوله
احد وقوله نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير فى الخبر ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا
ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم يريد اخوة يوسف اذ اجمعوا امرهم وهو
جعلهم اياه فى غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها
وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفى حضوره عليه السلام فى مشهد
اجماعهم ومكرهم فقط بل فى سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها
كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين
والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك
ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند
وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار فكانهم يشكون فى ذلك فيدفع شكهم
وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو عليه

يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحى لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحى
ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربى
اذ قضينا الى موسى الامر وما اكثر الناس يريد به العموم او اهل مكة ولو حرصت اى على ايمانهم وبالغت فى
اظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد روى
ان اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التورية فلم
يسلموا حزن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك وما تسألهم عليه اى على الانباء او على القرآن من اجر
من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين كافة لا ان ذلك مختص بهم و
كاين من آية اى كاى عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه
وقدرته وحكمته غير هذه الآية التى جئت بها فى السموات والارض اى كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما
فيها من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما فى الارض من العجائب الفائتة للحصر يمرون عليها
اى يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى
ويطؤون الارض يمرون عليها وفى مصحف عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار
الامم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها وما
يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادتهم لغيره او باتخاذهم
الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور و
الظلمة وهى جملة حالية اى لا يؤمن اكثرهم الا فى حال شركهم قيل نزلت الآية فى اهل مكة وقيل فى المنافقين
وقيل فى اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اى عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة
بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلى وهى الدعوة
الى التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله ادعوا الى الله على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء وهى
حال من الضمير فى سبيلى والعامل فيها معنى الاشارة انا تاكيد للمستكن فى ادعو وعلى بصيرة لانه حال
منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعنى عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين مؤكد لما سبق من
الدعوة الى الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة نوحى اليهم كما
اوحينا اليك وقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادى فيهم الجهل والجفاء والقسوة
افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا
تكذيبك ولدار الاخرة اى الساعة او الحيوة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصى افلا تعقلون
فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الاخرة وقرئ بالياء على انه غير داخل تحت قل حتى اذا استيأس الرسل
غاية لمحذوف دل عليه السياق اى لا يغررنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد
امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم فى الكفر وتماديهم فى
الطغيان من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او
كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار
وانتظار النصر من الله تع قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم فى
الدنيا جاءهم نصرنا فجاءة وعن ابن عباس رضى الله عنهما وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر
فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه
بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذى هو ترجح احد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من آحاد الامة
فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم فى معرفة شئون الله سبحانه منزلتهم
وقيل الضميران للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثانى للرسل وقرئ بالتشديد اى ظن الرسل
ان القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على ان الضمير للرسل اى ظنوا انهم
كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا وعلى ان الاول لقومهم
فنجى من نشاء هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجى على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد
وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشية لقد كان فى
قصصهم اى قصص الانبياء عليهم السلام واممهم ويرجح قراءة من قرأ بكسر القاف
او قصص يوسف واخوته عبرة لاولى الالباب لذوى العقول المبرأة عن شوائب
احكام الحس ما كان اى القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة حديثا يفترى

ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى ولكن هو تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ مما يحتاج اليه فى الدين اذ ما من امر دينى الا وهو يستند اليه الى القران بالذات او بوسط وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يومنون اى يصدقونه لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد ثلث واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرعد

المر اسم للسورة ومحلها اما الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا او فوله تعالى تلك على الوجه الاول مبتدا مستقل وعلى الوجه الثانى مبتدا ثان او بدل من الاول والخبر به اليه ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرا واذكر فتلك مبتدا كما اذا جعل مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والخبر على التقدير قوله تعالى آيات الكتاب اى الكتاب العجيب الكامل الغنى عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القران او عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر فى مطلع سورة يونس عليه السلام اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغنى عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الايات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست تلك المثابة من الشهرة فى الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذى مر تفصيله فى سورة يونس والذى انزل اليك من ربك اى الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع فى كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقيقة العراقية فيها وليس فيه ما يدل على ان ماعداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفى التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبنى للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يومنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتامل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذى رفع السموات اى خلقهن مرتفعات على طريقة قوله سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم يكن كذلك والجملة مبتدا وخبر كقوله وهو الذى مد الارض بغير عمد اى بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب وهو ما يعمد به اى يسند يقال عمدت الحائط اى دعمته وقرئ عمد على جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول وايراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفى بكل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استيناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جئ بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هى قدرة الله سبحانه ثم استوى على العرش اى استولى بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف واياما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخى فى الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجرى حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجرى كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية او لمدة ينتهى فيها حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر يصنع من الرفع والاستواء والتسخير اى يقضى ويقدر حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق وامر ملكوته وربوبيته يفصل الايات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اى ياتى بها مفصلة وهى ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للاثار الغريبة فى السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان له او الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها او كلاهما من ضمائر الافعال المذكورة وقوله كل يجرى لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله الله خبرا بعد خبر فالموصول صفة للمبتدا جئ به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما فى قول الفرزدق ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول لعلكم عن معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم بملاقاته للجزاء توقنون فان من تدبرها حق التدبر ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شئ قدير وان لهذه التدبيرات المثبتة

عواقب

عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذى مد الارض اى بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه فقيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها وجعل فيها رواسى اى جبالا ثوابت فى احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك ولعلها مجئ فواعل جمعا لفاعل فى فوارس وهوالك ونواكس انما هو فى صفات العقلاء واما فى غيرهم فلا يراعى ذلك اصلا كما فى قوله تعالى اياما معدودات وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة اعنى اجبلا فيعتبر فى جمع الكثرة اعنى جبالا انتظامها لطائفة من جموع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعية كل من صيغتى الجمعين انما هى باعتبار الافراد التى تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة ولا الى ان يلتجأ الى جعل الوصف المذكور بالغلبة فى عداد الاسماء التى تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هى فى الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجارى واسعة والمراد ما يجرى فيها من المياه وفى نظمها مع الجبال فى مفعولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشا للانهار وبيان لفائدة اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهى تعيشه بالماء والكلاء ومن كل الثمرات متعلق بجعل فى قوله تعالى جعل فيها زوجين اثنين اى اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر واكد به الزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية اى جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة فى الدنيا ضربين وصنفين اما فى اللون كالابيض والاسود او فى الطعم كالحلو والحامض او فى القدر كالصغير والكبير او فى الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثانى استينافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشى الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اى يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقدير المفعول الثانى على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشى وعدهذا فى تضاعيف الايات السفلية وان كان تعلقه بالايات العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره فى الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ يغشى من التغشية ان فى ذلك اى فيما ذكر من مد الارض وايتادها بالرواسى واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفى الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه فى بابه لآيات باهرة آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها فنى على معناها فان تلك الآثار مستقرة فى تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل فقى تجريدية لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يودى الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفى الارض قطع جملة مستانفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اى بقاع كثيرة مختلفة فى الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اى متلاصقات وفى بعض المصاحف قطعا متجاورات اى جعل فى الارض قطعا وجنات من اعناب اى بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها فى اختلافها ومباينتها لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتاخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهى قوله تعالى صنوان وغير صنوان فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهى النخلة التى لها راسان واصلها واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بنى تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفى الارض قطع متجاورات فى هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها للايماء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات يسقى اى ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتانيث مراعاة اللفظ والاول اوفق بمقام بيان اتحاد الكل فى حالة السقى بماء واحد لا اختلاف فى طبعه سواء كان من السقى بماء الامطار او الانهار ونفضل مع تاخذ اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض اخر منها فى الاكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل ويغشى وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد الفعل الى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل للفاعل ان فى ذلك الذى فصل من احوال القطع والجنات لآيات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم فى الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة فى الاشكال والالوان والطعوم والروائح فى تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هى اهون فى القياس وهذه الاحوال

وان كانت هي الايات انفسها الا انها فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة في كونها آية ففي تجريدية مثلها في قوله تعالى
لهم فيها دار الخلد او المشار اليه الاحوال الكلية والايات افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة واحادها الواقعة في الاقطار و
الامكنة المشاهدة لاهلها فتبنى على معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض
التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفصيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات مما
يتوقف العثور عليه على نوع تامل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكر ايضا وفيه تعريض بان المشركين غير عاقلين وان
تعجب يا محمد من شيء فعجب لا عجب منه حقيق بان يقصر عليه التعجب قولهم بعد مشاهدة ما عدد لك من الايات الباهرة
بانه تعالى على كل شيء قدير أإذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام الانكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل
الرفع على البدلية من قولهم على انه بمعنى المقول او في محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر فالعجب على الاول كلامهم
وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في اذا ما دل عليه قوله أإنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار
بالبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أإنا لتاكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في الخلق
الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في النكير
ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب من قولهم والمآل وان تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل وان
تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له اي ان تعجب يا من ينظر في هذه
الايات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه والانسب
بقوله ويستعجلونك بالسيئة هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من اول الامر بكون قولهم ذلك
امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدأ لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب الذي لا عجب وراءه
قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول وان تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه اولئك مبتدأ والموصول خبره اي اولئك
المنكرون لقدرته تعالى على البعث ريثما عاينوا ما فصل من الايات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون الذين كفروا
بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واي كفر واولئك مبتدأ خبره قوله الاغلال في اعناقهم اي
مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيمة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم
فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل بالجمع المدلول عليه بقوله تعالى
اولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي انذروها وذلك حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات
اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة حالية لبيان ركاكة رايهم
في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد
مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين
المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بتخفيف باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون
الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو
مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحلها النصب على الحالية اي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى
ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم
حين يشاء فتاخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده
وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم
بآيات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الايات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل
آيات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا او مكابرة والافراد في آية انزلت عليه عليه السلام غنية وعبرة لاولي الالباب
انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما ياتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك
وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوه من الايات ولكل قوم هاد معين لا بالذات
بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يختص به بحكم لا يعلمها الا الله تعالى
او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للايات المنزلة
عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على ان
تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الايات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن
لا يجدي الا من تعلق بهدايته مشيئته التابعة للحكم الباعثة عليها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي تحمله فما موصولة والمراد
بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى واحد او اي شيء تحمل وعلى اي
حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية معلقة للعلم او حالها فهي مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد

اي نقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك
ولد في سنتين وهرم ابن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة
او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد كيل
بعير ولا زمان فقد اسندا الى الارحام مجازا وهما لما فيها وكل شيء من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يكاد يتجاوزه عنه كقوله
انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال
مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء في انفسها في اي مرتبة كانت
من مراتب الوجود والاستعداد لذلك الوجود وهو خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على
ما قبله من قوله الله يعلم الخ الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او المنزه عن نعوت
المخلوقات وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة بين انه تعالى عالم بجميع
ما ياتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال سواء منكم من اسر القول في نفسه
ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء كانه مختف بالليل وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد
بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله تعالى فان عاهدتني لا تخونني
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى من اسر
ومن جهر والى المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما اسره وما جهر به او الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الاخيرين
وتقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى مكانه في التعلق بالخفيات اقدم منه بالظواهر والا فنسبته الى الكل سواء
لما عرفته آنفا له اي لكل ممن اسر او جهر والمستخفي والسارب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة
عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف
والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين
يديه ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من باسه حين اذنب بالاستمهال والاستغفار
او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية
لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من
النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها
واذا اراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم
من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف
مراده تعالى محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الاية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة
واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر وجه تقديم الخوف
على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس والرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن للخائف
منه غير الطامع فيه كالخزاف والحراث ويأباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من ان المخوف عتيد والمطموع فيه مترقب
وانتصابهما اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوي او بجعل
المصدر بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتاويل الاخافة والاطماع
ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل المعلل معنى الرؤية التي تتضمنها الاراءة على طريقة قول النابغة وحلت بيوتي في يفاع
ممنع يخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على ان لا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا اي احلت بيوتي حذارا فلا سبيل
اليه لان ما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال
بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحد سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال
كما يقال امراة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين بحمده اي يضجون بسبحان
الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله لهم على ذلك او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته
تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول
اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله تعالى وجهه سبحان من سبحت له وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك والملائكة اي ويسبح الملائكة من خيفته
من هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اي الكفرة المخاطبون
في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا
لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب

(في الهامش) للتعليل له بالنسبة الى الاسم عز وجل على الاول اي الفاعل المعنيين
اي الظاهر فيهما حينئذ بما انا الفعلين بل الفعل ان الظاهر ذاتي

الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويجعلها من يعقلها من المومنين او الرعد نفسه او الملك الموكل به والملئكة
ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم اى الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم وهوانهم جعلوا
شانهم يجادلون في الله اى فى شانه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاءً واقتراح
الآيات قالوا والعطف للجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذى يريكم البرق الخ او على قوله الله يعلم ما تحمل الخ واما العطف
على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تعالى الله يعلم الخ استيناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره
من استعجال العذاب وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال اى فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال
وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغيان
الغوائل فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر من الاصحاب رضي الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجمل
الناس وقد كان اوصى الى اربد انه اذا رايتني اكلم محمدا عليه السلام فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه السلام
فدار اربد من خلفه عليه السلام فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فراى
النبي صلى الله عليه وسلم الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته
وولى عامر هاربا فنزل في بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول
ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذنهما برمحي فارسل
الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول
غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روي عن
الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم
اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومم هو من ذهب او فضة ام من نحاس ام حديد ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه
فما زاد الا مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه عليه السلام واخبروا بما صنع فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه
فبينما هم عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر فجاؤا يسعون ليخبروه
عليه السلام فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم قالوا اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو شديد
المحال اى والحال انه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف
استعمال الحيل وقيل هو محال من المحل بمعنى القوة وقيل محول من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح
الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله
اشد وموساه احد له دعوة الحق اى الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها
للحق واختصاصها به وكونه بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه
اى الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتوصيف
بالحقية لتربية معنى الاستجابة والاولى هو الاول لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما
من حيث ان اهلاك اربد وعامر محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت
الآية نزلت في شانهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتحذير
لهم باجابة دعوته عليهم والذين يدعون اى الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه من دون الله عز
وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء اى الا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه
من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني
للمفعول ويضاف الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجودا وعدما فكانه
قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما في قوله
وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحتا او مجلف اى لم يدع فلم يبق الا مسحت او مجلف ليبلغ اى
الماء بنفسه من غير ان يوخذ بشيء من الاناء ونحوه فاه وما هو اى الماء ببالغه ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه
ولا ببسط يديه اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم
على شيء اصلا وركاكة رايهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله
الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شيء نافع بخلاف آلهتهم والمراد نفي
الاستجابة راسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة كائنة
في هذه الصورة التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء
وكباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال اى ذهاب وضياع وخسار ولله وحده يسجد يخضع وينقاد لا لشيء غيره

استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض من الملائكة والثقلين طوعا وكرها اى طائعين
وكارهين او انقياد طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقياده لاحداث ما اراده فيهم من
احكام التكوين والاعدام شاؤا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل حكمه تعالى في تلك الشؤون مما لا يخفى على احد وظلالهم
اى تنقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف على مشيئته وتتاتى لارادته في الامتداد والتقلص والفيء
والزوال بالغدو والآصال ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع
الاوقات وجودها لظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقنى في جمع قناة والآصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع
اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويويده انه قد قرئ والايصال اى الدخول في الاصيل هذا وقد
قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعني بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى
واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله
سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد
فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص سجود الكفرة بحالة الضرورة والشدة بالله سبحانه لا يجدي
فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان
تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى
وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه يتبين ذلك
بقوله عز وجل قل من رب السموات والارض فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه
وقوله قل الله امر بالجواب من قبله عليه السلام اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او امر بحكاية
اعترافهم ايذانا بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر وامر
بتلقينهم ذلك ان تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك ولا يقدرون على انكاره قل الزاما لهم
وتبكيتا افاتخذتم لانفسكم والهمزة لانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء
للعطف على مقدر بعد الهمزة اى اعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم عقيبه من دونه اولياء
عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيرهم ودفع
الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون اذا قدر المعطوف عليه الا تسمعون
بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه والمعنى ابعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من
دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه فعكستم الامر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق
عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ووصف الاولياء هاهنا بعدم المالكية للنفع والضر في ترشيح الانكار و
تاكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ المذكور ويوكد انكاره
قل تصويرا لآرائهم الركيكة بصورة المحسوس هل يستوي الاعمى الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير
الذي هو الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني اشارة الى المعبود العالم بكل شيء ام هل تستوي الظلمات
التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم على ان
الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطا البحت بحيث لا يخفى بطلانه على
احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي الى شيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة تصلح ان تكون منشا لغلطهم وخطائهم
فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله اى بل اجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار
الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا
المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى
فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشا لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى
من التعريض بركاكة رايهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شيء كائنا ما كان لا خالق سواه فيشاركه في
استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعد
ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من
جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة
وفي ثباته فيها مع كونه ممدا لحياتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل
في اودية بالغة لم تجر عادتها بذلك سيلا نامعدودا بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه
منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى به النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر
الفلزات التي يتخذ منها انواع الآلات والادوات وتبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم

بما نطهر فيهما من غير مداخلة له فيهما واخلاء لبصفا بهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السما اي من جهتها
ماء اي كثيرا اونوعا منه وهوماء المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه لاجميع الاودية اذ الامطار لاتستوعب
الاقطار وهوجمع واد وهومفرج بين جبال اوتلال او اكام على الشذوذ كناد واندية وناج وانجية قالوا وجهه ان فاعلا
يجي بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة
فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر
وايثارا لتمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شانها وشان ما مثل بها كما اشير اليه بقدرها اي سالت
ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت
محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بحيث قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي
لكثرة الموارد فان موارد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية
ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدر تلك الاودية على نحو ما عرفته آنفا او يراد بضميرها
مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل معه زبدا
اي غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى رابيا اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون المحمول
غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى
شان الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شانه الظهور في بادي الراي من
غير مداخلة في الحق ومما توقدون عليه في النار اي يفعلون الايقاد عليه كائنا في النار والضمير للناس اضمر مع عدم سبق
الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية او متاع اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب
والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والالات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد
خبث مثله مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدا خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد
كونه مبتدا وناشئا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول
والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان
على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة في الاعمال للاذابة وحصول
الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من
السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف بل له اخلال بذلك كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكتة رائقة
يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل
المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجه واتقنها
حسبما اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب
والبقاء تتمة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب
جفاء اي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس منهما كالماء الصافي والفلز الخالص فيمكث في الارض
اما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنا والابار واما الفلز فيصاغ من بعضه
انواع الحلي ويتخذ من بعضه اصناف الالات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث
في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق
للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب
الذاهب لا قبله كذلك يضرب الله اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الامثال في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في
الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشان هذا التمثيل وتاكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل
الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين شان كل من الحق والباطل حالا ومالا اكمل بيان شرع في بيان حال اهل
كل منهما مالا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب
الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول
بصورة المحسوس وابراز لاوابد المعاني في هيئة المانوس فاي دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى اي المثوبة الحسنى
وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض من اصناف الاموال جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ
في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به اي بما في الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من
تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدا والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوءى فوقعت
في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا السوءى كما توهم
فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوءى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول فيما

وعليه

وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة
الواقع مبتدا في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدا في الجملة السابقة كان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول
في الحقيقة ومبينا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا
لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه
واكمله ثم بين مؤدى ذلك فقيل وماويهم اي مرجعهم جهنم وفيه نوع تاييد لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد اي المستقر
والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال اي الامثال السالفة
وقوله الحسنى صفة لمصدر اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله لو
ان لهم الخ كلام مستانف مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين
والكافرين المعاندين اي هما مثلا الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر
التمثيل وان الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه
ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير الموصول بالكلام
ليس مثل الفريقين بل مثل للحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب
الله الامثال للناس اذ لا وجه حينئذ لتنويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين فتامل افمن يعلم انما انزل اليك من ربك من
القرآن الذي مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى الحق الذي لا حق وراءه او الحق الذي اشير
اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو اعمى عمي القلب لا يشاهده وهو بار على علم ولا يقدر قدره وهو في اقصى مراتب
العلو والعظم فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال او لا يتذكر بما ضرب من الامثال اي لا يعلم ذلك الا انه اريد
زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما
مما ضرب من الامثال وبين المصير والمآل كانه قيل ابعد ما بين حال كل من الفريقين ومآلهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استونف فقيل
انما يتذكر بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنائي اولوا الالباب اي العقول الخالصة المبرأة من
مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله بما عقدوا على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما
عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله
وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تاكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما امر الله به ان
يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج فيه
مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة فلا
يعصونه فيما امر به ويخافون سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل
والذين صبروا على كل ما يكرهه النفس من الافعال والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الى جانب
الخلق رياء او سمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر من الصلات
السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضي اعتناء بشانه ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اما في نفس
الصلات كما فيما عدا الاولى والرابعة والخامسة او في اظهار احكامها كما في الصلات الثلث المذكورات فانها وان استغنت
عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجري على
موجبها غير خال عن الاحتياج اليه واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم اي بعضه الذي يجب عليهم انفاقه سرا
لمن لم يعرف بالمال او لمن لا يتهم بترك الزكوة او عند انفاقه واعطائه من يمنعه المروءة من اخذه ظاهرا وعلانية لمن لم يكن كما
ذكر او الاول في التطوع والثاني في الفرض ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة
فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا و
اذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على
المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدا خبره الجملة الظرفية
اعني قوله لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى
الدار فاعل الاستقرار واياما كان فليس فيه قصر حتى يرد ان بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم التي يخل اخلالها بالوصول
الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة او استيناف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات ان جعلت الموصولات
المتعاطفة صفات لاولي الالباب على طريقة المدح من غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر جنات عدن
بدل من عقبى الدار ومبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنان اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان
الجنة ومن صلح من آبائهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم وهو عطف على
المرفوع في يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر ومفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهليهم وان

والجملة لتقرير ما قبلها من اختصاص الحسنى بالمستجيبين بالجنة
واتكال غير المستجيبين بجهنم ونقيضه حسبما ورد
ما سيأتي في قوله تعالى في حق الفريقين اولئك
لهم عقبى الدار اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار
منه سلمه ربه

لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم
ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك
بمجرد حبل الانساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم
بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم اي بسبب صبركم او
بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بما ذكر من بين الصلات
السابقة لما فيه من ان له دخلا في كل منها ومزية زائدة من حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شيئا منها لا يعتد به
الا ان يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار اي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم
بسكون العين بنقل حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس
كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والذين
ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم في الاتصاف بنقائض صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من الايمان بجميع الانبياء المجتمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم
ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف
وانما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه
انما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقع معتدا به فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين
كما لا وجه لنفي الصلوة والزكوة عمن لا يحوم حول الاصل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق
التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى بوصله واما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ويحقق
فان من يجازي احسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الامر ويباشر الفساد بحسبما يحكيه قوله عز وعلا و
يفسدون في الارض اي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر بان له
دخلا في الافضاء الى العقوبة التي ينبئ عنها قوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب
ذلك اللعنة اي الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فانها دارهم
لان ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له في ذلك على اكثر التفاسير فان مجازاة السيئة
بمثلها ماذون فيها ودفع الكلام السيئ بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث
تركه تبعة واما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لان اعتباره من حيث
انه من مستتبعات الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد
والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اي يضيقه
على من يشاء حسبما يقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسطه للكافر املاء واستدراجا
وربما يضيقه على المؤمن زيادة لاجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا اي اهل مكة فرح اشر وبطر
لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحيوة الدنيا وما يتبعها من النعيم في
الآخرة في جنب نعيم الآخرة الا متاع الا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين
عن نعيم الآخرة والحال ان ما اشروا به في جنب ما اعرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة
وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما
حكي عنهم من قولهم لولا انزل عليه آية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة والعناد كأن ما انزل عليه عليه السلام
من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعد ذلك
طاقة بعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية
اليها اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه
الارشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته
كل آية ويهدي اليه اي الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص
بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف من اناب اقبل الى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة
الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشيئة كما في الصلة الاولى للتنبيه على الداعي الى الهداية
بل الى مشيئتها والاشعار بما دعا الى المشيئة الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد
وايثار صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية السابقة للانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة
على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر
لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى

للمتقين اي الصائرين الى التقوى والا فالايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين آمنوا او منصوب
على المدح وتطمئن قلوبهم اي تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه
وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون ان لا آية اعظم منه فيقترحوها والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام
الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الامور التي يميل اليها
النفوس من الدنيويات وهذا ظاهر واما سائر المعجزات فالقصر من حيث انها ليست في افادة الطمأنينة بالنسبة الى من لم يشاهدها
بمثابة القرآن المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست
لهم قلوب وافئدتهم هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر
رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلائله الدالة
على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل
من القلوب على حذف المضاف بل الكل حسبما رمز اليه اي قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب ومبتدأ
خبره الجملة الدعائية على التأويل بمعنى قوله طوبى لهم او خبر مبتدأ مضمر ونصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها
الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى
لتسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما لله او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام
عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك كذلك مثل ذلك
الارسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ارسلناك في امة قد خلت اي مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم
رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب
من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن
قبولها له عند وروده عليها وهم اي والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت به
نعمته والعدول الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية
والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم
معرفته ربي الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو
نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله لا اله الا هو اي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق
العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا
يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية عليه توكلت في جميع اموري لا سيما في النصرة
عليكم لا على احد سواه واليه خاصة متاب اي توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك امر عليه السلام بذلك ابانة لفضل التوبة
ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة الانبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه عليه السلام
حيثما امر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما
لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني على مصابرتكم
فتاتل ولو ان قرآنا اي قرآنا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب لو محذوف لانسياق الكلام
اليه بحيث يتلقفه السمع من التالي والمقصود اما بيان عظم شان القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدره
العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد
وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الاول لو ان قرآنا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن
مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام او قطعت به الارض اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين
ضربه عليه السلام بعصاه او جعلت قطعا متصدعة او كلم به الموتى اي بعد ان احيى بقراءته كما احييت لعيسى عليه السلام لكان ذلك
هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا
القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والانذار
والتخويف لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليها مخل بالمبالغة المقصودة و
تقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان بتقديم ما حقه التأخير
تبقى النفس مستشرفة ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع
الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن
لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وانه حقيق
بان يكون مصدرا لكل خارق وابانة لركاكة رأيهم في شأنه الرفيع كأنه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات

الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذى لم يعد وآية وفيه من تفخيم شانه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله
الامر جميعًا اى له الامر الذى عليه يدور فلك الاكوان وجودًا وعدمًا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعوا اليه من الحكم البالغة
وهو اضراب عما تضمنه الشرطية من معنى النفى لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه اى لو ان قرآنا فعل به
ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشان الآن لان الامر كله له وحده فالاضراب ليس متوجها
الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يودى اليه ذلك من كون الشان على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار
افلم ييأس الذين آمنوا اى افلم يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال اليأس فى معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة
على وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير والفاء
للعطف على مقدر اى اغفلوا عن كون الامر جميعًا لله تعالى فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف ضمير الشان وتخفيف ان
لهدى الناس جميعًا باظهار امثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين جميعًا او اعلموا كون الامر جميعًا لله
فلم يعلموا ما اوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف على المعطوف عليه اى تخلف العلم الثانى عن العلم
الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كما فى قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا لا انكار الواقع كما فى قولك
الم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق
مقدمها كانه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشأها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما
اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الايمان وعلى الثانى لو ان قرآنا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى
ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى الآية فالاضراب حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم فى العناد على ما
شرح اى فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعًا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يأت به حسبما يستدعيه داعية الحكمة
من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح واليأس بمعنى القنوط اى الم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من ايمانهم
حتى احبوا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع
بعد المعطوف عليه اى لم يتخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما فى قوله تعالى افلا تتقون
ونظايره لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله تعالى ان لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف اى افلم ييأسوا
من ايمانهم علمًا منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا وانه لم يشأ ذلك او بآمنوا اى افلم يقنط الذين آمنوا
بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا على معنى افلم ييأس من ايمانهم المومنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها النعم
من مكابرتهم حسبما يحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعى انكار يأسهم وقيل ان ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيًا سيّر بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطايع وقد سخرت
لداود وفليست باهون على الله منه ان كنت نبيًا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمن عليه السلم لنتجر عليها الى الشام
فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة او ابعث لنا به رجلين او ثلثة ممن مات من آبائنا فنزلت فمعنى تقطيع الارض ح
قطعها بالسير ولا حاجة ح الى الاعتذار فى اسناد الافاعيل المذكورة الى القرآن كما احتيج اليه فى الوجهين الاولين وعن الفراء
انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير فى كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على
غيره ولا يزال الذين كفروا من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اى بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادى فيه وعدم بيانه اما
للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما فى صيغة الصنع
من الايذان برسوخهم فى ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصايب
من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارًا من ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير
والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم اثر ذى اثير او تحل تلك القارعة قريبًا اى مكانًا قريبًا من
دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول
اخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح حتى يأتى وعد الله اى موتهم او القيامة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له
وفيه دلالة على ان ما يصيبهم عند ذلك من العذاب فى غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق
ذلك بقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد اى الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه
وقال ابن عباس رضى الله عنهما اراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف
وتخويف بالهجوم عليهم فى ديارهم فالاصابة والحلول ح من احوالهم ويجوز على هذا ان يكون قوله تعالى او تحل قريبًا من دارهم
خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم مرادًا به حلوله الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة
خلت من قبلك فامليت للذين كفروا اى تركتهم ملاوة من الزمان فى امن ودعة كما يملى للبهيمة فى المرعى وهذا تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عما لقى من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس

مخشيا

مخشيا بك بل هو امر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كاينة من قبلك فامهلت الذين فعلوه بهم والعدول فى الصلة الى وصف
الكفر ليس لان المملى لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اى فامليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط
ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابى اياهم وفيه من الدلالة على تناهى كيفيته فى الشدة والفظاعة ما لا يخفى افمن هو قائم
اى رقيب مهيمن على كل نفس كاينة من كانت بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شىء من ذلك بل يجازى كلا بعمله وهو الله سبحانه
والخبر محذوف اى كمن ليس كذلك انكار لذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة عقيب ما علم مما فعل تعالى
بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعًا منوطة بمشيته
تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان ياتى وعد الله كانه قيل الامر كذلك افمن هذا شانه كما ليس فى عداد الاشياء حتى
تشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعنى توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعنى كون الامر كما ذكر كما فى قولك
اتعلم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعًا كما اذا قلت الا تعلمه فلا تعمل به وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جئ
بها للدلالة على الخبر المحذوف اى افمن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدًا او معطوفة على الخبر ان
قدر ما يصلح لذلك اى افمن هذا شانه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا
واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام بايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله
تعالى قل سموهم تبكيت لهم اثر تبكيت اى سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا اهل لهم ما يستحقون به العبادة
ويستاهلون الشركة ام تنبئونه اى بل اتنبئون الله بما لا يعلم فى الارض اى بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى
ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات والارض وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول بل انسموهم بشركاء بظاهر من القول من
غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجى كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب البديعة التى
ورد عليها الآية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين
بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر ذمًا لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الاباطيل او كيدهم
للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل اى سبيل الحق من صده صدًا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها
اى صدوا الناس او من صد صدودًا ومن يضلل الله اى يخلق فيه الضلال لسوء اختياره او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى
لهم عذاب شاق فى الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وساير ما يصيبهم من المصايب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب
الآخرة اشق من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الاولى
صلة للوقاية والثانية مزيدة للتاكيد مثل الجنة اى وصفها العجيبة الشان التى فى الغرابة كالمثل التى وعد المتقون عن
الكفر والمعاصى وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى تجرى من تحتها الانهار
تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العايد الى الجنة اى وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شان زيد
يأتيه الناس ويعطيهم او على حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى الخ اكلها ثمرها دايم لا ينقطع وظلها ايضا كذلك
لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصى اى مآلهم ومنتهى امرهم
وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن
واثنان وثلثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود فى التورية والانجيل ومن الاحزاب اى من احزابهم
وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفى نجران
واتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرايع الحادثة انشاء او نسخا لا ما يوافق ما حرفوه والا لنعى عليهم من اول الامر ان مدار ذلك
انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل ويجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم
فانهم ايضا يفرحون به لكونه مصداقا لكتبهم فى الجملة فح يكون قوله تعالى ومن الاحزاب الخ تتمة بمنزلة ان يقال ومنهم
من ينكر بعضه قل الزاما لهم وردا لانكارهم انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اى شيئا من الاشياء او لا افعل الاشراك به
والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اى قل لهم انما امرت فيما انزل الى بعبادة الله وتوحيده
وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف
اى وانا لا اشرك به اليه الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد ادعو الناس لا الى
غيره او لا الى شىء آخر مما لا يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلم فما وجه انكاركم واليه الى الله تعالى وحده مآب مرجعى
للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه السلام بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا
لهم ثم شرع فى رد انكارهم لفروع الشرايع الواردة ابتداء او بدلا من الشرايع المنسوخة ببيان الحكمة فى ذلك فقيل وكذلك
انزلناه اى ما انزل اليك وذلك اشارة الى المصدر انزلناه او انزل اليك ومحله النصب على المصدرية اى مثل ذلك الانزال

البديع المنبسط لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه عربيا مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يتسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الخ باباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلوة الى بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك من العلم العظيم الشان الفائض من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه ما لك من الله من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة فان لا زهري لا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا من ولي يلي امرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على المعطوف حرف النفي للتاكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من باس الله من ناصر وواق لاتباعك اهواءهم وامثال هاتيك القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام الخ وما كان لرسول منهم اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه الا باذن الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام والالتفات لما قدمناه ولتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدا والمعاد ومن قضية ذلك ان يختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات يمحو الله ما يشاء اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل والسعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم والقائلون به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد وعنده ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسب ما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي ايراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم نرك فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشير الظفر فقال اولم يروا استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اانكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا انا نأتي الارض اي ارض الكفر ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء أليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلاء والحكم والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها للتاكيد لفحوى ما تقدمها وقوله تعالى لا معقب لحكمه اعتراض في اعتراض لبيان علو شان حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام

وقد مكر الكفار الذين خلوا من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم ولا تاثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعني قوله تعالى فلله المكر اي جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تاثير حسبما يبينه قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او لله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله وسيعلم الكفار حين يقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدار اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتاكيد وقوع ذلك وعلمهم به حينئذ وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر اي اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر ومن عنده علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه قد نحن كتابه بالدعوة الى عبادته وايدني بانواع التاييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل والله سبحانه اعلم

سورة ابرهيم اثنتان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ابراهيم

الر مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كونه مبتدأ ولمبتدأ مضمر على تقدير كونه خبرا لمبتدأ محذوف او مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة الى النور الى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيفما كان فانك لا تهدي من احببت بل باذن ربهم اي بتيسيره وتوفيقه وللانباء عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم واخلال البدل والبيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله اي العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الله الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض اي ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي ففيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وتجويز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا مبناه الغفول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة

واصله النصب كسائر المصادر ثم رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون و
يضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا اى يؤثرونها استفعال من
المحبة فان المؤثر للشئ على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اى الحيوة الآخرة
الابدية ويصدون الناس عن سبيل الله التى بين شأنها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوى على كل وصف جميل
لروم الاختصار وهو من صده صدا وقرئ يصدون من اصد المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كاوقف
فان فى صده ووقفه لمندوحة عن تكلف النقل ويبغونها اى يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اى
يطلبون لها عوجا اى زيغا واعوجاجا وهى ابعد شئ من ذلك اى يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة
وزائغة غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصلات الجر على انه بدل من الكافرين فيعتبر كل وصف من اوصافهم بازاء
ما يناسبه من المعانى المعتبرة فى الصراط فالكفر المنبئ عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا الفانية المفضية
عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تماديهم فى الغى
ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى اولئك فى ضلال بعيد وعلى الاول جملة مستأنفة وقعت
معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تأكيدا لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اى اولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب
الحيوة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهى منه منزه فى ضلال عن طريق الحق
بعيد بالغ فى ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد
جده وداهية دهيا ويجوز ان يكون المعنى فى ضلال ذى بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد
يضل بعيدا وفى جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اى فى الامم الخالية من قبلك
كما سيحكى اجماله من رسول الا ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم
اولا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه
منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة فى شأن
سيدنا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل
اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدى التحريف مع ان استقلال بعض من ذلك
بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الامتناع وحصول البيان بالترجمة والتفسير اقتضت
الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشأن المستتبع لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف
عند التعدد اذ لا بد لكل امة من معرفة توافق الكل وتخالفه حذرا والقدح بالقدح من غير مخالفة ولو فى خصلة فذة وانما تم
ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما يتاخم الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته
عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربى مبين وانتشرت احكامه
فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل
عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم
وظاهر ان جميع الكتب لم ينزل لتبيين العرب وفى رجعه الى قوم كل نبى كانه قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم
محمد صلى الله عليه وسلم ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اى يخلق
فيه الضلال لمباشرة اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدى بالتوفيق ومنح
الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوى
على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه
قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقهم لها والحذف للايذان
بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق غنى عن الذكر والبيان و
العدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او الدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة
عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة فى بيان ان
لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من
ترتب الاهتداء وهذا تحقيق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز فلا يغالب
فى مشيئته الحكيم الذى لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة
وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى
شروع فى تفصيل ما اجمل فى قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية بآياتنا اى ملتبسا بها وهى
معجزاته التى اظهرها لبنى اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى اى اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما فى قوله تعالى

وان

وان اقم وجهك فان صيغ الافعال فى الدلالة على المصدر سواء وهو المدار فى صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بنى اسرائيل بعد
مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التى ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الى النور الى الايمان
بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اى بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم
لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم فى الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين
من قبلكم الآيات او بايامه المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى
الاسم الجليل للايذان بفخامة شأنها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الاضافة
الى ضمير المتكلم اى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل بايام الله وقائعه التى وقعت على الامم قبلهم
وقائع العرب وحروبها وملاحمها اى انذرهم بوقائعه التى دهمت الامم الدارجة ويرده ما تصدى له عليه السلام
من التذكير بكل من السراء والضراء ان فى ذلك اى فى التذكير بها او فى مجموع تلك
النعماء والبلاء او فى ايامها لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهى على الاول
عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء وعلى الثانى عن تلك النعماء والبلاء
المجموع المشتمل عليها لكل صبار شكور اى لكل من يصبر على بلائه ويشكر
لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اى لكل من يليق بكمال الصبر والشكر
والايمان ويصير امره اليها لا لمن اتصف بهما بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المتقدم على التذكر المؤدى الى تلك المرتبة
فان من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر والايمان لا يكاد يفارقها و
تخصيص الآيات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على
الشكور لتقدم متعلق الصبر اعنى البلاء على متعلق الشكر اعنى النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى شروع فى
بيان تصديه عليه السلام لما امر به من الاخراج والتذكير واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه
وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا اى اذكر لهم وقت قوله عليه
السلام لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
بنفس النعمة ان جعلت مصدرا وبمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اى اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم
وكذا اذ فى قوله تعالى اذ انجاكم من آل فرعون اى اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة
عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا
اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ سوء العذاب السوء مصدر ساءه يسوءه والمراد به جنس العذاب السئ
واستعمالهم فى الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم
وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى فى المنام او قال له الكهنة انه سيولد
منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا فى ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اى يبقونهن فى الحيوة مع الذل
والصغار وذلك من جملة البلاء والجمل احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضميريهما
وفى ذلكم اى فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اى ابتلاء منه
بتجربته فنسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء
والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب بالتعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذى هو الانجاء
او باعتبار ان بلاء المؤمن تربية له واذ تأذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله اى اذكروا
نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم اى آذن ايذانا بليغا لا تبقى معه شائبة شبهة لما فى صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول
فى حقه سبحانه على غايته التى هى الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اى اذكروا نعمته تعالى فى هذين الوقتين فان هذا
التأذن ايضا نعمة من الله تعالى عليهم ينالون بها خيرى الدنيا والآخرة وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه واذ قال ربكم ولقد
ذكرهم عليه السلام اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكير ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بذكر ما جرى
من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع
فيها من الحوادث مفصلة اذ هى محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كانه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بنى اسرائيل ما
خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة لازيدنكم
نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابى لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الاكرام التصريح بالوعد
والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اى لاعذبنكم واللام فى الموضعين
موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابى الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب من القول او لقول

مقدر بعده كانه قيل واذ تاذن ربكم فقال الخ وقال موسى ان تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن في
الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه
وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها
من الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اى ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني
عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام انما قاله عند ما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن
انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله غب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا
لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال الم ياتكم نبا الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب
كل واحد من حزبي المؤمن والكافر فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه
خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيختص تذكير موسى عليه السلام بما اختص ببني اسرائيل من السراء والضراء و
الايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وايضا لا يظهر وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد
النبي صلى الله عليه وسلم بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلق قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول
او عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اى من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف
عليه وقوله تعالى لا يعلمهم الا الله اعتراض والموصول مبتدا ولا يعلمهم الخ خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة
بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود
رضي الله عنه اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم
رسلهم استيناف لبيان نباهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم
اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتناء بشانها
وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها واقناطا لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا
بما ارسلتم به اى على زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالتهم لقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا
ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم او عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم
الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه
او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من
عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افي الله شك الخ وقيل الايدي بمعنى الايادي عبر بها عن مواعظهم ونصائحهم و
شرايعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنيوية لانهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك
عظيم مما تدعوننا اليه من الايمان بالله والتوحيد فلا ينافي ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البينات فانهم
كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فاتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام
مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء قالت رسلهم استيناف
مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم
الحمقاء افي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه
الشك اصلا متقادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا اانتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة
السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اى افي شانه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان
به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى
الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم
به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر
فقالوا فاطر السموات والارض اى مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في شك
وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدا على ان الظرف خبره
يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدا والفاعل ليس باجنبي من رافعه وقد جوز ذلك ايضا
يدعوكم الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه
او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لياكل معي من ذنوبكم اى بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى
فان الاسلام يجبه قيل هكذا وقع في جميع القران في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك
لما ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شان المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن
المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى
وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف كما سبق ان انتم اى ما انتم الا بشر

مثلنا

مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا او
كلام مستانف اى تريدون بما انتصبتم له من الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد
آباؤنا اى عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه فاتونا اى ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من
جهة الله تعالى كما تدعونه فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة
حتى نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الايات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال
ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا وارادة لما ... وزعما منهم ان ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه
السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجاراة معهم في مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم
بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما
تقولون ولكن الله يمن على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده
بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس او ما نحن من الملائكة بل بشر مثلكم
في الصورة او في الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى من علينا بالفضائل والكمالات والاستعدادات على من يشاء الذين
وما اثبتنا ذلك الا لاجله ما استحققناه وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي ... فلا لاستحقاقنا
للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان ناتيكم بسلطان اى بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الاشياء
وسبب من الاسباب الا باذن الله فانه امر يتعلق بمشيئته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه
مطلقا فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه اثر ذي اثير الا ترى الى قوله عز
وجل وما لنا اى اى عذر لنا ان لا نتوكل على الله اى في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ
بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا اى والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اى
ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق
والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما آذيتمونا بالعناد واقتراح
الايات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اى فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد
هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم
به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من يتوكل دون غيره وقال الذين كفروا لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين العاتين الغالين
في الكفر من اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لعل هؤلاء لم يقنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعدما راوا
البينات الفائتة للحصر حتى اجترءوا على مثل هاتيك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون
احد الامرين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسياتي في الكهف
فاوحى اليهم اى الى الرسل ربهم مالك امرهم عند تناهي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا مطمع بعدها
في ايمانهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض اى ارضهم
وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها من بعدهم اى بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك حلف زيد ليخرجن غدا
ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اى ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامي
موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل لفظ المقام
مقحم وخاف وعيد وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين ٥
واستفتحوا اى استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسالوا القضاء بينهم
من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم
سالوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على فاوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اى
اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اى خسر وهلك كل جبار عنيد متصف بضدها لا تصف به المتقون
اى فنصروا عند استفتاحهم وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق
الحرمان دون الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا
ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم ليس كذلك وانه لم يصبهم
الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان غب الطلب وفي اسناد
الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اى بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث
اليها في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كانه قيل

فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة صديد وهو قيح اى دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره وهو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استئناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اى يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اى لا يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتى جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب فى الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفى ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله فى جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة فى الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اى اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اى والحال انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجئ اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله ففيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما فى عذاب الدنيا وقيل هو الخلود فى النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة فى سنيهم التى ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته صلى الله عليه وسلم وخيبتهم فى ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اى صفتهم وحالهم العجيبة الشان التى هى كالمثل فى الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب او هو استئناف مبنى على سؤال من قال ما بال اعمالهم التى عملوها فى وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به فى يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساهرة وانما شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة او استئناف مسوق لبيان ان اعمالهم للاصنام او مبتدأ خبره محذوف كما هو رأى سيبويه اى فيما يتلى عليك مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستانفة مبينة على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت وكيت سواء اريد بها ما صنعوه او اعمالهم للاصنام وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون اى يوم القيمة مما كسبوا من تلك الاعمال على شئ ما اى لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة والاكتفاء والتمثيل ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك اى ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شئ هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد برأيته وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله خلق السموات والارض ساد مسد مفعوليها اى الم تعلم انه تعالى خلقهما بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذى يحق ان تخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم بعد مكم بالمرة ويأت بخلق جديد اى يخلق بدلكم خلقا آخر مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اى اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اى يبرزون يوم القيمة وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه كما فى قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ولانه لا مضى ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا فى الدنيا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب فى جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اى ذوى تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شئ من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز كونها للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اى المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله

اى

اى للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا اجزعنا مما لقينا ام صبرنا على ذلك اى مستو علينا الجزع والصبر فى عدم الانجاء والهمزة وام لتأكيد التسوية كما فى قوله تعالى سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم وانما اسند وبما ونسبوا استواء نسبتها الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة فى النهى عن التوبيخ باعلام انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم انى لم اخنه ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى فى ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب ومن جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان الذى اضل كلا الفريقين واستتبعهما عندما عاتبه بما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضى الامر اى حكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اى وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم اى وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اى موعدى على حذف المفعول الثانى اى نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك وما كان لى عليكم من سلطان اى تسلط او حجة تدل على صدقى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم اليه وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه فى معرض على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة فى نفى السلطان عن نفسه كانه قال انما يكون لى عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى فاسرعتم اجابتى فلا تلومونى بوعدى اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما فى قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لى باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه الائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد فى افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفى فى ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التى عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب الثواب والعقاب وما قيل من انه يستدعى ان يقال فلا تلومونى ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبنى على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اى بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخى مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن فى حيز الاحتمال مبالغة فى بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك آثر الجملة الاسمية فكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به فى استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء انى كفرت اليوم بما اشركتمونى من قبل اى باشراككم اياى بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم يعنى ان اشراككم لى بالله سبحانه هو الذى يطمعكم فى نصرتى لكم بان كان لكم على حق حيث جعلتمونى معبودا وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بينى وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذى اشركتمونيه وهو الله عز وجل كما فى قوله سبحان ما سخركن لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفى حكايته امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اى بامره او بتوفيقه وهدايته وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اى تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اى كيف اعتمده ووضعه فى موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اى جعل كلمة طيبة هى كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اى حكم بانها مثلها لا انه تعالى صيرها مثلها فى الخارج وهو تفسير لقوله تعالى ضرب الله مثلا كقولك

شرف الامير زيدًا اكساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلًا من مثلًا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف
اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراءً له مجرى جعل وقد اخر عن ثانيهما اعني مثلًا لئلا يبعد عن صفته التي
هي كشجرة وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اى ضارب بعروقه فى الارض وقرا انس بن مالك رضى الله عنه
كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكًا وانسب بفرعها اعنى قوله تعالى وفرعها اى اعلاها فى السماء وجهة
العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتى اكلها تعطى ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها
باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روى مرفوعًا او شجرة فى الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هى كلمة الكفر
والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة اى كمثل شجرة خبيثة قيل هى كل شجرة لا يطيب ثمرها
كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود الضرب والبيان وانما ذلك امر ظاهر
يعرفه كل احد اجتثت استوصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار
استقرار عليها يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي
ذكرت صفتها العجيبة فى الحياة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين
فتنهم اصحاب الاخدود وفى الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا من معتقدهم فى الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة او
عند سؤال القبر روى انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه فى جسده فياتيه ملكان فيجلسانه
فى قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينادي
مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا مثال ايتاء الشجرة المذكورة
اكلها كل حين قال الثعلبي فى تفسيره اخبرنى ابو القاسم بن حبيب فى سنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا الطيب
محمد بن على الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رايت يزيد بن هارون فى منامى بعد موته فقلت ما فعل الله
بك قال اتانى فى قبرى ملكان فظان فقالا ما ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتى البيضاء فقلت لهما المثلي
يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين اى يخلق فيهما الضلال عن الحق الذي ثبت
المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم للشيء
فى غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التى فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت
او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يتثبت فى مواقف الفتن ولا يهتدى
الى الحق فالمراد بالذين آمنوا المخلصون فى الايمان الراسخون فى الايقان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد
اذا كانت لا عن ايقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلًا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال
آخرين حسبما يوجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفى اظهار الاسم الجليل فى الموضعين من الفخامة
وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت فى مبدأى التثبيت والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما
عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما هو مبدأ صدور الآخر ألم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او
لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التى لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك اى ألم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اى
شكر نعمته تعالى بان وضعوا موضعه كفرًا عظيمًا وغمطًا لها او بدلوا نفس النعمة كفرًا فانهم لما كفروها سلبوها
فصاروا مستبدلين بها كفرًا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الآمن الذى يجبى اليه ثمرات كل
شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر
فصاروا اذلة مسلوبى النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنو
المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين كانهما تلوا ما سيتلى من
قوله عز وجل قل تمتعوا الاية واحلوا اى انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض
لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار دار البوار
دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفى الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها
حال منها او من قومهم اى داخلين فيها مقاسين لحرها او استيناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل يقدر ناصبًا
لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار
انسب بالتفسير الاول وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم اى بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه
بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معهما فى حيز الصلة
وحكم التعجيب اى جعلوا فى اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذى ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار اندادًا اشباهًا
فى التسمية او فى العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذى هو التوحيد

وبوقوعهم فى ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم
بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره للايذان بان كل
واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر تقضي منه العجب ولو سيق النظم
على نسق الوجود لربما فهم التعجيب من مجموع الهنات الثلث كما فى قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك
غرضًا حقيقيًا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية
قل تهديدًا لاولئك الضالين ونعيًا عليهم وايذانًا بانهم لشدة اباءهم قبول الحق وفرط انهماكهم فى الباطل وعدم ارعوائهم
عن ذلك بحال احقاء بان يضرب عنهم صفحًا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشانهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا
بمباشرته مبالغة فى التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبة الوخيمة وبقالهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات
التى من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس فى عبادة الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما
يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هى فى الحقيقة صورة لدخولها ومثال له حسبما يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم
دار البوار الخ فهو تعليل للامر المأمور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قل لهم تصويرًا لحالهم
وتعبيرًا عنها بلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانًا بانهم لفرط انغماسهم فى التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف
يثنيهم مأمورون بذلك من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كما ب مأمور ساع فى طاعة آمر مطاع
فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلًا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذه حالكم فان
دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا فى الامر قل لعبادى الذين آمنوا خصهم بالاضافة اليه تنويهًا
لهم وتنبيهًا على انهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حاليهما
باعتبار المقول تهديدًا وتشريفًا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اى قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا
مما رزقناهم اى يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال
باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف فى قوله
محمد تفد نفسك كل نفس، اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما
وليس بذاك سرًا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اى انفقوا انفاق سر
وعلانية والاحب فى الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة
البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر
ما يتلافى به تقصيره او يفتدى به نفسه والمقصود نفى عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة
فى نفى العقد اذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع
ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه بما يفتدى به نفسه او من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بما الجئ ابتغاؤه
من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله تعالى سبحانه والظاهر ان من متعلقة
بانفقوا وتذكير اتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما فى سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به
التقصير معاوضة وتبرعًا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين فى الدنيا وعدم الانتفاع بهما اقوى الدواعي الى
الاتيان بما يبقى عوائده ويدوم فوائده من الانفاق فى سبيل الله عز وجل او من حيث ان ادخار المال وترك انفاقه انما
يقع غالبًا للتجارات والمهاداة بحيث لا يمكن ذلك فى الاخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التأكيد بذلك
لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة به ولا يبعد ان يكون تأكيدًا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضًا من
حيث ان تركها كثيرًا ما يكون بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما فى قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوًا انفضوا اليها وقرئ
بالفتح فيهما على ارادة النفى العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابى هو وقوعه فى جواب هل فيه بيع او خلال الله
مبتدأ خبره الذى خلق السموات وما فيها من الاجرام العلوية والارض وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين
لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرًا للنعم شرع فى تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر
والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثًا للمؤمنين عليها وتقريعًا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي
وفى جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار
واخراج الثمرات وما يتلوها من الاثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء اى السحاب
فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدى الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من
اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابًا ماطرًا واياما كان فمن ابتدائية ماء اى نوعًا منه
هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ لنزوله وتشريفه كما فى قولك اعطاه السلطان من خزانته مالا
او لما مر مرارًا من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات الفائتة للحصر اما لان صيغ الجموع يتعاور بعضها موقع

بعض واما الاندار بدر بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب او اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنايع وحكما يجد فيها اولى الابصار عبرا وسكونا الى العظيم قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريا تابعا لارادتكم بامره بمشيته التي يناط بها كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الالات كما يترأى من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يوحي اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفايضة عليهم وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة الماخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتاخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعي لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتفادي عن توهم كون الكل نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة وآتاكم من كل ما سألتموه اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما يقتضيه مشيته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وينيط به انتظام احوالكم على وجه المقدر فكانكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما بقي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما سألتموه النصب على الحالية اي آتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمة الله التي انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا بحصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظه بها فمعناه ايذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر والافلاس ممنوا باصناف العنايا مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تاملته تجده متقلبا في نعم لا تحد ومنن لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطي كل ساعة وآن من النعم ما حواه حيطة الامكان وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير ان يزاحمه ولا شريك يساهمه بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشتري وهو في تلك الحالة بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجيه عن رداه او شربة تروي من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل لذلك كل ما تحويه البنان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران فاذن تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بالف رتبة مع انهما في طرفي الثمام ينالهما متى شاء من الليالي والايام او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما دخل والجن قد حان واتاه الموت من كل مكان اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بلى يعطيه وهو لرايه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها وسطايلها برمتها مع انه قد اتيح له كل آن من آنات الليالي والايام حالتي اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللايقة والملكات الرايقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا في مطمورة العدم والبوار ومهاوي الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل

آن

آن يمر وينقضي من انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطاري لان الاستمرار والدوام من خصايص الوجود الواجبي وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرايطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى اعني بقاءها على العدم مع امكان وجودها في انفسها في كل آن من آنات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجودات علله وشرايطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه كل آن نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظك العيون بانظارها ولا تطالعك العقول بافكارها شانك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك حائرون وفي اقامة مراسم شكرك قاصرون نسالك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعه في غير موضعه او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخولا اوليا واذ قال ابراهيم اي واذكر وقت قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به تاكيد ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم بيان فن آخر من جنايتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعدما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وساله تعالى ان يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله تعالى اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله سبحانه آمنا اي ذا امن او آمنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سال اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما وتاخر الآخر الى وقته المقدر لما تقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسؤول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني للاستدامة والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لا لمجرد ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية وقد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية وانما فصل ما بينهما تثنية للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ اجنبني من الافعال وهما لغتا اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد بنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضي الله عنه على ان احدا من اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القران العظيم من قوارع نعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرا على ما فر منه رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء اظهارا لاعتنائه به ورغبته

في استجابته فمن تبعني منهم في ما ادعوا اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه مني اي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان
اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني اي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للايذان بانه عليه
السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على
ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد قضى بالفرق
بينه وبين غيره ربنا آثر عليه السلام ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه والا لراعاه في قوله رب انهن الخ بل
لان الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله اني اسكنت الاية متعلق بذريته فالتعرض
لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسؤول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول
وهو اسمعيل عليه السلام وما سيولد له فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمينان متضمن لاسكانهم روي ان
هاجر ام اسمعيل كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فلما ولدت له اسمعيل عليه السلام غارت عليهما فناشدته
ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلا
وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل
منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جوار
الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجا وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حرم
التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممتنعا يهابه الجبابرة في كل عصر او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك
سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا مثل الرابية تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين و
ذات الشمال ليست باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه ينزع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك
بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كيفية عدده وقد
ذكرناها في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلوة متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت و
تخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة
والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك
لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء مسؤوله الذي لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة
من الناس اي افئدة من افئدتهم فمن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم واما
ما زيد عليه من قوله ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ المسؤول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم
لا توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكي بعبارة اخرى كما مر او للابتداء للغاية
كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كآدر في ادؤر او على انه اسم فاعل من افدت
الرحلة اي عجلت اي جماعة من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت من افد تهوي اليهم تسرع اليهم
شوقا ووداد وقرئ على البناء للمفعول من اهواه غيره وتهوى من باب علم اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق
والنزوع واول آثار هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فراوا الطير تحوم على الجبل فقالوا
ان هذا الطائر لعائف على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فكان ذلك
لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم اي ذريتي
الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من
الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة من الثمرات من انواعها بان يجعل بقرب منه
قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم
عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من
قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر
مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها
ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين
الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرافة ما لا يخفى فانه عليه السلام بذكر كون الوادي غير ذي
زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤول وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشار الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة
النعيم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعواز مرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت مهد جميع
مبادي اجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها و
المراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء اولا اي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا

يخطر بباله مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما
على ابلغ وجه فكان تعلقه بما يخفى اقدم منه بما يعلن او لان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن
الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده عليه السلام ان اظهار هذه الحاجات
وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك
وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان
المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على
الله من شيء في الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان من الازمان
الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله الخ دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض
تحقيقا لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى
كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون
ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بيخفى وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار
القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات
لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه
ليس بشان يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل وقيل هو
من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق
على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة
او مائة وسبع عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية
المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة
الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه
ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة
وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب
اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن
ذريتي اي بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرتهما من ذريته للاشعار بانه المقتدى في ذلك وذريته اتباع له
وان ذكرهم بطريق الاستطراد كما في قوله ربنا اني اسكنت الخ فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما
هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة
الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك
ربنا وتقبل دعاء اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة
الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا
يسلم منه البشر ولوالدي وقرئ بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر
له عليه السلام وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابراهيم الاية وقد مر
في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله تعالى عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته
وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة
اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق
والمراد تهويله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم ان ما حكي عنه عليه
السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه
في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله
تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد
تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل نحو قوله ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه
واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه السلام عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم
على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن
اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين شديد او لكل احد ممن يستعجل عذابهم

او يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا
بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا او قطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم
من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التاخير المنبئ عنه
قوله تعالى قل تمتعوا الاية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم يمهلهم متمتعين بالحظوظ
الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استيناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم
حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتاخير ما تستوجبه من العذاب الاليم ان تاخيره للتشديد والتغليظ او لا
تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تاخيرها انما ذلك لاجل هذا او لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا
يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التاخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التاخير عليهم مع ان المؤخر انما هو
عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لا انهم باقون باختيارهم
وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستيصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان
المؤخر ليس من جملة العذاب وعنوانه لو قيل انما يؤخر عذابهم الخ لما فهم ذلك ليوم هائل تشخص فيه الابصار ترتفع
ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول
ما يرونه واعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين واما بجعل الصيغة من
شخص من بلده الى بلد وسار في ارتفاع مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او
مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي
قيل مقنعي رؤسهم اي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله العتبي وابن عرفة او ناكسيها ويقال اقنع راسه
اي طاطاها ونكسها فهو من الاضداد وهما حالان مما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال متداخلة من الضمير
في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما كان يرجع
اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف او لا يرجع اليهم اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى
الطرف مجازيا او هو نفس الجفن قال الفيروزابادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل واسم جامع للعين
او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي الخ
او استيناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار وتاخيره عما هو من تتمته من الاهطاع والاقناع مع ما بينه
وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش
كانها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اي لا قوة ولا راي فيه واعتبار خلوها عن كل
خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا
اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تاخيرهم لماذا وامر له بانذارهم
وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار
للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب
عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما
من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم يوم ياتيهم العذاب المعهود وهو اليوم
الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء
الملائكة بلا بشرى او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر السابق فيقول الذين ظلموا اي فيقولون والعدول
عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثار صيغة
الفاعل حسبما ذكر اولا بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه
كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم
الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم
كما يشعر به ذلك وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا ردنا الى الدنيا وامهلنا الى اجل قريب الى امد وحد من الزمان قريب
نجب دعوتك اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم
مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤنا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل
والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عليه السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام
واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها اولم تكونوا اقسمتم من قبل
على اضمار القول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك با
بطرا واشرا وجهلا وسفها ما لكم من زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسنة الحال حيث بنيتم

مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التاخير وبعد مداه او
ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة
الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال
ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى
في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا
فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير
ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم
هذا الاية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم الاية
ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤا
فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في
وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وسكنتم
من السكنى بمعنى التبوء والايطان وانما استعمل بكلمة في حيث قيل في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه
منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين
سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقوا بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على
انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة
على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل
وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال اواخرهم وتبين لكم بمشاهدة الاثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك
والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض
الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة اي فعلنا العجيب بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه وقرئ نبين
وضربنا لكم الامثال اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام
على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم
لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم وما لكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل
فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلث في موقع
الحال من ضمير اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم
على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او من الثاني او
منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال
انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل
حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او وقد مكروا مكرهم المذكور
في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند
قدرة الله سبحانه وتعالى وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله او اخذه تعالى
بهم على انه مضاف الى المفعول وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او لكونه في صورة المكر في الاتيان
من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستانف
والجملة حال من الضمير في مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رايهم
حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال اي وان كان مكرهم
في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعدا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة
المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن مكرهم
لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا
تحقق عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصلية من التاكيد
المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيدها
كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حال من
الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على
انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال

الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم وامر القران العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الايات والشرايع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا اي مكروا مكرهم المعهود وان الشان كان مكرهم لازالة الايات والشرايع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شان الايات والشرايع مانعا من مباشرة المكر لازالته وقد قرا الكسائي لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في غاية الشدة وقرى بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرى وان كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية وغيره من انواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه ح ان يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالا من القول المقدر اي فيقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما ينافيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين احوالهم ومن الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اي لم يكن الصادر عنهم بمجرد الاقسام الذي وبخوا به بل اجترؤا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكرنا من قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقق الجزاء بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد مكروا والحال ان مكرهم ما كان لتزول منه هاتيك الشرايع والايات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من الثقيلة واللام مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك لما ان شان الشرايع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فليتامل **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** لم يرد به سبحانه اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الاية وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروي بل ما سلف انفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الاية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القران العظيم فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيمة واخبرناك بما يلقونه من الشدايد وبما يسالونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تاملهم في احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا **ان الله عزيز** غالب لا يماكر وقادر لا يقادر **ذو انتقام** لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصفي العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر **يوم تبدل الارض غير الارض** ظرف لمضمر مستانف ينسحب عليه النهي المذكور اي ينجز يوم الخ او معطوف عليه نحو وارتقب يوم تبدل الارض غير الارض او للانتقام وهو يوم ياتيهم العذاب بعينه ولكن لما احوال جمة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم ياتيهم العذاب او نصب باذكروا وباضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ وفيه ايضا ما في الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالي بها فاصلة واعلم ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سياتهم حسنات على بعض الاقوال والاية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله تعالى وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا **والسموات** اي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا **وبرزوا** اي الخلائق او الظالمون المدلول

عليهم

عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا تظهر ويعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو **لله الواحد القهار** للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم ياتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب وقادر لا يضاد ولا يعاد كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة و**ترى المجرمين** عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه ينجز **يومئذ** يوم اذ برزوا له عز وجل او يوم اذ تبدل الارض او يوم اذ ينجز وعده **مقرنين** قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرايم والجرائر او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقايد الزايغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين **في الاصفاد** في القيود او الاغلال وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين او حال من ضميره اي مصفدين **سرابيلهم** اي قمصانهم **من قطران** جملة من مبتدا وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم في مقرنين رابطتها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او مستانفة والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد يصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره فكان ما نشاهده منهما اسماء مسمياتها في الاخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الموحشة فيجلب اليها الالام والغموم بل وان يكون القطران المذكور عين ما لابسوه في هذه النشاة وجعلوه شعارا لهم من العقايد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشاة الاخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرى من قطر ان اي نحاس مذاب متناه حره **وتغشى وجوههم النار** اي تعلوها وتحيط بها النار التي تمر جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب الخ ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤس الاشهاد وقرى تغشى اي تتغشى بحذف احدى التائين والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال قاله ابو البقاء **ليجزي الله** متعلق بمضمر اي يفعل بهم ذلك ليجزي **كل نفس** مجرمة **ما كسبت** من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق به اي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة **ان الله سريع الحساب** اذ لا يشغله شان عن شان فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه او سريع المجيء ياتي عن قريب او سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب **هذا** اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب **بلاغ** كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القران المجيد من فنون العظات والقوارع **للناس** للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرح مختصا بالظالمين **ولينذروا به** عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اي كفاية لهم في ان ينصحوا وينذروا به او هذا بلاغ لهم ليفهموه ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به انزل او تلي وقرى لينذروا به من نذر بالشيء اذا علمه وحذره واستعد له **وليعلموا** بالتامل فيما فيه من الدلايل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان اخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق وتحقق **انما هو اله واحد** لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الى التامل المؤدي الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى **وليذكر اولوا الالباب** اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من

قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سيق للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثبات على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم ختمنا الله بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز برضاته في الاولى والعقبى آمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد ٥ والحمد لله وحده

سورة الحجر

سورة الحجر تسع وتسعون آية ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها تلك اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشأن آيات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن وعن الجميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيف اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغني عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد وقرآن اي قرآن عظيم الشأن مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي وفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقتين احديهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكأنه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيجا وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتماله على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سنذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تضمنه فقيل ربما بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددا وفيه ثماني لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا او مخففا ورب حرف جر لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه ان يدخل على الماضي ودخوله على قوله تعالى يود الذين كفروا لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكأنه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيمة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى ابو موسى الاشعري انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما نفس الودادة فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه هضما للحق فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين للاسلام في كل آن من آنات اليوم الآخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولو جيء بكلام يدل على ضده وعلى ان

تلك

تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية وذهابا الى الاشعار بان من شأن العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يقارف ضده فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه كل آن وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متمايزان ذاتا ومقاما فمن ظنهما واحدا فقد نأى عن توفية المقام حقه ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بلا استماع ما ينغص عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشأنهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر فيما هم يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمآل الا خيرا فالافعال الثلثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز وعلى ان يكون المراد بالافعال المزبورة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير ما معين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامر عليه السلام بتركه ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه وعيدا اثر وعيد وتهديدا عقيب تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا شروع في بيان سر تأخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا من قرية من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها عقيب اهلاكهم كما فعل بآخرين الا ولها في ذلك الشأن كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تأكده بكلمة من في حكم الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب اي اجل مؤقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكور على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شأنها الجمع والربط فان ما اخذ فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى على السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل ما تسبق من امة من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب في كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان واقعا على زماني فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتو

الى ما سياتى من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما تقتضيه من السبق كما ان
ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من الاهلاك وما يستاخرون اى وما يتاخرون وصيغة الاستفعال
للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع فى الفعلين بعد ما ذكر نفى الاهلاك بصيغة الماضى
لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك
الى القرية لما ان السبق والاستيخار حال الامة بدون القرية مع ما فى الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم
ممن اخرت عقوباتهم الى الآخرة وتاخير ذكر عدم تاخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة فى
بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق فى الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم
لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار
والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تاخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه ببيان ودادتهم
للاسلام اذ ذاك وبالامر بتركهم وشانهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتاخير اجلهم المقدر لما يقتضيه
من الحكم ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا شروع فى بيان كفرهم
بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقايلون مشركوا مكة لغاية تماديهم فى
العتو والغى يا ايها الذى نزل عليه الذكر خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل
استهزاء به عليه السلام واشعارا بعلة حكمهم الباطل فى قولهم انك لمجنون كدأب فرعون اذ قال ان رسولكم
الذى ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعى مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى
او بشهادة ما يعتريك عند ما تدعى انه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القايم مقام الفاعل لان
انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه
تعالى كما فى قوله تعالى لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل
عليه رسول الله تعالى وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار
الى كون التنزيل عليه لا الى اسناده الى الفاعل لو ما تاتينا كلمة لو عند تركيبها مع ما تفيد ما تفيده عند تركيبها
مع لا من معنى امتناع الشىء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا انه عند ارادته لا يليها الا فعل ظاهر او مضمر وعند
ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر او مقدر عند البصريين والمراد هنا هو الثانى اى هلا تاتينا بالملائكة
يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك فى الانذار كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبوننا
على التكذيب كما تاتى الامم المكذبة لرسلهم ان كنت من الصادقين فى دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب
فيه وكذا احتياجك اليه فى تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك او ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين
الذين عذبت اممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال
مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل بحذف احدى التائين وماضيا منه ومن التنزيل ومن
الثلاثى وهو كلام مسوق الى النبى عليه السلام جوابا لهم عن مقالتهم المحكية ورد الاقتراحهم الباطل ولشدة
استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعنى قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية كما فعل فى قوله تعالى
قل انما ياتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فاتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحى الاية مع كونه جوابا
عن اول كلامهم الذى هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون احد الجوابين متصلا
بالسؤال وفى العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لنظام كلامهم بصدد الاقراع
وهو ان يقال ما ناتيهم بهم للايذان بانهم قد اخطاوا فى التعبير حسبما اخطاوا فى الاقتراح وان الملائكة لعلو
رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الشامل للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الآخر منها بل من
الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم اولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذى
يليق بشانهم النزول من مقامهم العالى وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل الا بالحق اى ملتبسا
بالوجه الذى يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجرى به السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذى اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم
فى الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحى الذى
لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذى يدخل فى
حقهم تحت الحكمة فى الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستيصال كما فعل باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل
ذلك لاستوصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جزاء الشرط مقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم
كما فى قوله تعالى واذن لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين ثم

ابنتك

ابنتك اذ جئتنى اى حين جئتنى ثم ضم اليه ان فصارا اذان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجئ لفظه ان دليل على اضمار
فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلنا ما كانوا مؤخرين كدأب ساير الامم المكذبة
المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتاخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اجمل فى قوله تعالى ذرهم
ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الخ وحال حايل الحكمة بينهم وبين استيصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا
وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم فى سمط الحكمة فيا باه مقام بيان تماديهم فى الكفر والعناد وتجاحهم
فى المكابرة والعناد هذا هو الذى يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل فى تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة
من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار وانه لا حكمة فى ان تاتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا
او ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفايدة بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انه لو
انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا ففيه اخلال كل من ذلك
بقطعية الباقى لا يلزم من فرض وقوع شىء من ذلك تعجيل العذاب الذى يفيده قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين
هذا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملائكة لاجل الشهادة اما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل
الملائكة للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذى تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه و
لو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتاخير عذابهم الى يوم القيمة لا رفقا
بهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان فى نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام
لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم كانه قيل لو نزلناهم ما كانوا
منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتاخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحى وقيل العذاب
فتدبر انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اى
نحن بعظم شاننا وعلو جنابنا نزلنا الذكر الذى انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا
منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون عن كل ما لا يليق به
فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين واما الحفظ من مجرد التحريف
والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه
والمجادلة فى حقيته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق
عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفى سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شان التنزيل
ما لا يخفى وفى ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول
صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتاخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل
ورده لما ذكر انفا ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا اى رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه
من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اى رسلا كائنة من قبلك فى شيع الاولين اى
فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين
من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اى شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم
فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه فى كل ما ياتى ويذر من امور الدين وما ياتيهم من رسول
المراد نفى اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفى اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل
البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل فى الاغلب على مضارع
الا وهو فى معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال اى ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا
به يستهزءون كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة فى محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول فى ياتيهم اذا كان
المراد بالاتيان حدوثه او فى محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية اى الا رسول كانوا به
يستهزءون واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضى الى زيادة من الاستغراقية فى الاثبات ويجوز ان يكون
منصوبا على الوصفية بان يعتبر الموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحيث كان الرسول
مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة
الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحى مقرونا بالاستهزاء اى مثل ذلك السلك الذى سلكناه فى قلوب
اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤا به من الكتب نسلكه اى الذكر فى قلوب المجرمين اى اهل مكة او جنس المجرمين
فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اى نسلكه سلكا مثل ذلك السلك
او نسلك السلك حال كونه مثله اى مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم

استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة او للدلالة
على استحضار الصورة والسلك ادخال الشيء في آخر يقال سلكت الخيط في الابرة والرمح في المطعون لا يؤمنون به اي
بالذكر حال من ضمير نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير في نسلكه للاستهزاء
فيتعين البيانية الا ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اي نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال
كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال اما مقدرة او مقارنة للايمان بان كفرهم للالقاء كما في قوله فلما جاءهم ما
عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اي مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من
التكذيب والاستهزاء وهو استئناف جيء به تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اي على
هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء اي بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود اليه
فظلوا فيه في ذلك الباب يعرجون بآلة او بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول او فظل
الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط
عنادهم وغلوهم في المكابرة وتغاديهم عن قبول الحق انما سكرت ابصارنا اي سدت من الاحساس من السكر كما يدل
عليه القراءة بالتخفيف او حيرت كما يعضده قراءة من قرأ سكرت اي حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى
الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول
بذلك وان ما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها
وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان عروج كل منهم الى السماء وان كان مرئيا لغيره فهو
معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار
ولقد جعلنا في السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص
حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع
وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اي جعلنا بروجا كائنة
في السماء وزيناها اي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت او ثوابت للناظرين اليها فمعنى
التزيين ظاهر او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها على نظام بديع
مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها من كل شيطان رجيم مرمي بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها
ويتصرف فيها ويقف على احوالها الا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين
عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها
عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات
ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة
من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر وبالاستدلال من الاوضاع فاتبعه اي تبعه ولحقه شهاب لهب
محرق وهي شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق مبين ظاهر امره للمبصرين قال
معمر قلت لابن شهاب الزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمى به الشيطان فيقتله
او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال افرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد الآية قال
غلظت وشدد امرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه صلى الله عليه
وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين يركب
بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا فمنهم من تقتله و
منهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي
قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس يجرح ويحرق ولا يقتل وقال الحسن وطائفة
يقتل قال والاول اصح والارض مددناها بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع
لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله تعالى ولقد جعلنا الخ وليوافق ما بعده اعني قوله تعالى
والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في اول الرعد وانبتنا فيها اي في الارض او فيها وفي رواسيها من كل
شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن
مناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما
مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش
او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب
وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤنتهم وتحقيق ان

الله تعالى هو الذي يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شيء ان للنفي ومن مزيدة
للتاكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا خزائنه
الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدأ والاول اولى والخزائن جمع الخزانة
وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت
مقدوراته تعالى الغائبة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة
عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية لايجاده وتكوينه بحيث متى
تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على
طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله اي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء الا
بقدر معلوم اي الا ملتبسا بمقدار معين يقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما يقتضيه القدرة
فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء
الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا
لبيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة وهو اما عطف على مقدر اي ننزله وما
ننزله الخ او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة
والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على
الاستمرار وارسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح لما يلحق
اي ارسلنا الرياح لواقح اي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم
ما لا يكون كذلك او ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح
اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعدما انشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا
ماء فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون
به متى شاؤا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن
القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعدما
انزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضي الغور
وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعمم الاحياء والاماتة لما يشمل
الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول او مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير
الفصل لا لان اللام مانعة عنه كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان
هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك
عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل اولا وآخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي
وفيه تنبيه على ان المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة
وموتا ولقد علمنا المستأخرين من تأخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم في
الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج
على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد
وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق
وما لحق من قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم اي للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي
له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو يحشرهم لا غير
وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام دلالة على اللطف
به عليه السلام انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاتيان
بالافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء ولقد
خلقنا الانسان اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطواء
اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت عند نقره قيل اذا
توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حمإ من
طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اي من صلصال كائن من حمإ مسنون اي مصور من سنة

الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه اي مفرغ على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب
وقيل منتن فهو صفة لحما وعلى الاولين حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حماء تنبيها على ان ابتداء مسنونيته
ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حماء كانه سبحانه افرغ الحما فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا
نقر صوت ثم غيره الى جوهر آخر فتبارك الله احسن الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو
الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها
وقرئ بالهمز وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق
الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستاخرين الآخر والخطاب بقوله منكم
للكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع
في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب
اجزائها الجزء الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية الكريمة كما هو
للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر
وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع
فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى
ضميره عليه السلام اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت قوله تعالى للملئكة اني خالق
فيما سياتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف
يلويه بشرا اي انسانا قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا
من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل بادي البشرة بلا صوف
ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اي بشرا كائنا من صلصال كائن من حما مسنون
تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف
الطين من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته انه
لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت
اجزاءه بتعديل طبايعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس
ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه
ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المامور به مجرد الانحناء كما
قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية وتعظيما واسجدوا لله تعالى على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه
تعاجيب آثار قدرته كقول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد الملئكة
اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منه احد اجمعون بحيث لم يتاخر في ذلك
احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد
الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل نبه الخطابي التنزيل على اكمل احوال الشيء ولا ريب في ان السجود معا
اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تاكيدا واقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت
الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم هذا
واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر
التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة الا ابليس
استثناء متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا
يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استيناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء
فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده اي لكن ابليس
ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رايه حيث ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر والاستكبار
مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام قال استيناف مبني
على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اي اي سبب لك اي غرض كما قيل لقوله تعالى ما منعك
الا تكون في ان لا تكون مع الساجدين لآدم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه
لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك وفي سورة
ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجتراء بما ذكر في موطن
آخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصي الثلث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ

داينا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال اي ابليس وهو ايضا استيناف مبني على السؤال الذي
ينساق اليه الكلام لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر واعلاها
ان اسجد لبشر اي لجسم كثيف خلقته من صلصال من حماء مسنون اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف
المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام
من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى في
سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه ههنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل
حيث قيل ءاسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على قوله تعالى ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن
السبب وفي عدم تطبيق جوابه على السؤال روم التفصي عن المناقشة واني له ذلك كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر
ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق بشأني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن
عقيم ولم يدر ان ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي
اقبحها التكبر والاستعصاء على امر رب العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء
فان وسوسته لآدم عليه السلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها في ذلك فان الخروج
من بين الملأ الاعلى هبوط واي هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن
الحسن البصري او بطريق المشافهة بعد ان احتال في دخولها وتوصل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ولا ينافي هذا طرده على رؤوس الاشهاد لما تقتضيه من الحكمة البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة
فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض
النص بالقياس فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهته الله سبحانه وان كان
جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتاخير
عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل
ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة
من افانين العذاب فتصير كالزائل وقيل انما حد به لانه ابعد غاية يضرب بها الناس كقوله تعالى خالدين
فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن كون تاخير العقوبة مع الموت كما بين من اخرت عقوباتهم الى الآخرة
من الكفرة طلب اللعين تاخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى قال رب فانظرني اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلقة
بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم
واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من
المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله الآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم
في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة
الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار
المذكور به كما في قوله فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية القديمة
للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وانه استنظاره كان طلبا لتاخير الموت
اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم
الله ممن سبق من الجن ويحي من الثقلين ولا يلائم مقام الاستنظار مع الحيوة ولان ذلك التاخير معلوم من
اضافة اليوم الى الدين مع اضافته الى السؤال الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون
قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة
ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم
الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه
لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة
الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى معالم الاعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى
في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التي علم انه يصعق عندها من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات
فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر ولانتسابه
تعالى بجملة فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في اوله ويبعث
في اواسطه ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين

ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى انه قال قدمنا المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات واهل الارضين السبع واني اليوم البستك اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتنز منه البحار ولا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه السلام وقد نصب له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب لازينن لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام واعتذروا عن امهال الله تعالى له وتسليطه له على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط علي اي حق علي ان اراعيه مستقيم لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه والاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي وهم المشار اليهم بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي موعد المتبعين والغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف في الفظاعة اجمعين تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الوعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من الاتباع او الغواة جزء مقسوم حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين و عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاي وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرهما مكفر في جنات وعيون اي

مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم ادخلوها على ارادة القول امر من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امر منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال بسلام ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اخوانا حال من الضمير في قوله تعالى في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين ابد الآباد لان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه السلام مع اهله التابعين له في ضمن الخوف وتنبيههم بحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم عن ضيف ابراهيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل عليه السلام وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه عليه السلام وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صورة الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه السلام بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او خبر مقدر مضاف الى الضيف اي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل فقالوا عند ذلك سلاما اي نسلم سلاما او سلمنا او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قال عليه السلام حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا حينئذ بما اجابوا به ولم عليه السلام لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا يرى الى انه لم يذكر ههنا رده عليه السلام لسلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف لتعليل النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود عليم اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم قال ابشرتموني بذلك على ان مسني الكبر واثر في تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة منافية للولادة وزاد في ذلك فقال فبم تبشرون اي باي اعجوبة تبشرونني او باي شيء تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء او باي طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون استفهام انكاري اي لا يقنط المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة

بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح ولم يكن هذه المفاوضة من الملائكة مع ابراهيم عليه السلام خاصة بل مع سارة ايضا حسبما
شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك اكتفاء بما ذكر ههنا قال اي ابراهيم عليه
السلام وتوسيطه بين قوليه السابق وبين قوله فما خطبكم اي امركم وشأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة
ايها المرسلون صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير الى مكانها كما في قوله تعالى أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا
الذي كرمت علي الاية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم
فان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم السلام
بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة
لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجله ارسلوا فكانه قيل ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا هو فلا حاجة الى
الى ان علمه عليه السلام بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفي بالواحد
في زكريا عليه السلام ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها فتأمل
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم
الا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال شاملان
للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي الآخرين ويدل عليه قوله تعالى انا
لمنجوهم اي آل لوط اجمعين اي مما يصيب القوم فانه استيناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم
من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين او لتعليله فان من تعلق بهم
التنجية ينجي من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله
تعالى الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا
لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما
علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول
واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء
آل لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل
نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد
به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله
عليه السلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيي به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساة الشدائد ومعاناة
المكايد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر وعند
تجشمه في تخليصهم انكارا لخذلانهم له وترك نصره في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين
معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة
هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله تعالى
قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد شقوا العصا
وبينوا له عليه السلام جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن
موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عليه
السلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي
كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة
للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام بهما وحيث
كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل
بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في موضع آخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه نازل بالقوم
بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كانهم جاؤه به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم
به وآتيناك بالحق اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي
الامتراء عنه او المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى وانا لصادقون تأكيد له اي اتيناك فيما قلنا
بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول
تأكيد اثر تأكيد وقوله تعالى فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما
من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري
في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم

ونطلع

ونطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم
على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم
اي منك ومنهم احد فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف
لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او
هو للاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء او الالتفات لا يستدعي
عدم وقوعه فان ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى
بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول واللحوق
به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا
ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وفي ايثار اسم الاشارة على الضمير
للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول
بدل صيغة المضارع لكونها ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه
بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ
بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو
حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة
شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير
الى ذلك اجمالا حسبما نبه عليه اي جاء اهل سدوم منزل لوط عليه السلام يستبشرون اي مستبشرين باضيافه
عليه السلام طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر
والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتأكيد ليس لانكارهم بذلك
بل لتحقيق اتصافهم به واظهار اعتنائه بشأنهم وتشمره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا
تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي
فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في
مباشرتكم لما يسوءني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث
كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله ولا تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه عليه السلام واجلب
للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب
عنه فذاك اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته
بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك
وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه
عليه السلام وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو
للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان
عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان يجير احدا فكانهم قالوا ما ذكر من
الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما نتصدى لك لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا
يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي فتزوجوهن
وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار
وقد فسر ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين اي قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم من الله بحياة النبي صلى الله عليه
وسلم او من الملائكة بحياة لوط عليهم السلام والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دوراه
في الالسنة انهم لفي سكرتهم غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب يعمهون
يتحيرون وينادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اي الصيحة العظيمة
الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها اي عالي المدينة او عالي
قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعوله الثاني وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما
مر وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب
وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك اي فيما ذكر من القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق
للمتوسمين اي المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها اي المدينة او
القرى لبسبيل مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك فيما ذكر من المدينة او القرى او

فى كونها يرائى من الناس يشاهد ونيافى ذهابهم وايابهم لاية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون
ان ما حاق بهم من العذاب الذى ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق
او الاوضاع الفلكية وافراد الاية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف
وان كان ان مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف واللام هى الفارقة اى وان الشان كان اصحاب
الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة والليكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا
يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين متجاوزين من الحد فانتقمنا منهم بالعذاب روى ان الله تعالى سلط عليهم
الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب
يوم الظلة وانهما يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه
على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمى به الطريق ومطمر البناء واللوح الذى يكتب فيه
لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعنى ثمود المرسلين صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع
لاتفاقهم على التوحيد والاصول التى لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما
قيل الخبيبون بخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه واتيناهم آياتنا وهى
الايات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين
اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب
اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه عن جابر رضى الله عنه انا مررنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم
مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وهكذا وقع
فى سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ فى
الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم وفى سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة
المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضى اليها كما مر فى سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا يكسبون
من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء الخاص الذى
نزول العذاب بحسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
اى الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك
امثال هؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقى الى الصلاح او الا بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ
عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك فاصفح اى اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا
جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هى منسوخة بآية السيف ان ربك
الذى يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا
يخفى عليه شئ مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذى خلقكم وعلم تفاصيل
احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقديرين وفى مصحف عثمان وابى
رضى الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهى الفاتحة وعليه
عمر وعلى وابن مسعود وابو هريرة رضى الله عنهم والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهى الطوال التى سابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل
بينهما بالتسمية وقيل يونس والحواميم السبع وقيل الصحايف السبع وهى الاسباع من المثانى بيان للسبع من التثنية وهى
التكرير فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثانى لتكرر قراءتها فى الصلوة واما تكرر قراءتها فى غير الصلوة كما
قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولانها تثنى بما يقرأ بعدها فى الصلوة واما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية
لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثانى اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثانى
ان كلا من ذلك يكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او من الثناء لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى واحدتها
مثناة او مثنية صفة للآية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك
ولما فيها من الثناء على الله تعالى كانها تثنى عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثانى القرآن لما ذكر او لانه
مثنى عليه بالاعجاز او كتب الله كلها فمن للتبعيض وعلى الاولين للبيان والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف
الكل على البعض والعام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما فى قوله
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم اى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثانى والقرآن العظيم لا تمدن
عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم

اصنافا

اصنافا من الكفرة فان ما فى الدنيا من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفى حديث ابى
بكر رضى الله عنه من اوتى القرآن فرأى ان احدا اوتى افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه وافت من بصرى
واذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه
الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها فى سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات وهى خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم
حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا فى سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل او انهم المتمتعون وبآية كلمة على فان
تمتعهم به لا يكون مدارا للحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اى تواضع لهم وارفق بهم والن جانبك لهم وطب نفسا
من ايمان الاغنياء وقل انى انا النذير المبين اى المنذر المظهر لنزول عذاب الله وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل
انه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الخ اى انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اى قسموه الى حق
وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه لانفسهم
استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لى وبعضهم سورة آل عمران لى وهكذا او قسموا ما قرأوا من كتبهم و
حرفوه فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على امداد ما هو المراد بالكلام من
التسلية وعقب ذلك بانه حل المقام عن التشبيه ولقد اوتى عليه السلام ما لم يؤت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه
متعلق بقوله وقل انى انا النذير المبين فانه فى قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين
يعنى اليهود وهو ما جرى على بنى قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانت خبير بان ما يشبه به
العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فائدة التشبيه وهى تاكيد الانذار
وتشديده وعذاب بنى قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه فى غفلة محضة وشك
مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الاعجاز لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما فى قوله تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى فى
الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة وفى الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم
مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا اولا لانذر اى انذر المعضين الذين
يجزون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
فقعد كل منهم فى مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه
ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق
فى عدم كون العذاب الذى شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعودا الوقوع انه لا داعى الى تخصيص
وصف التعضية بهم واخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم فى ذلك فان وصفهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بما وصفوا به من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو الا نفس التعضية ولا الى اخراجهم من حكم
الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما لكل الفريقين
وغيرهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل مهلك اكثر المقتسمين
يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثانى على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم
القاعدون فى مداخل مكة كما حرر وفيه مع ما مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح فى انه من قول الله تعالى لا من قول الرسول
عليه السلام والاعتذار بان ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الآمر هو الملك حسبما سلف
فى قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين تعسف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من
الهرب الى مسلك الكوفيين او المصير الى جعله مفعولا غير صريح اى انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل
المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالى وانت تدرى ان عذابهم
حيث كان محققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لان يقع مشبها به للعذاب المنذر لكن
الموصول المذكور عقيبه حيث لم يمكن كونه صفة للمقتسمين حينئذ فسواء جعلناه مفعولا اولا للنذير او لما دل هو عليه
من انذر لا يكون التعرض لعنوان التعضية فى حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المزبور فى حيز المفعول الثانى
فائدة لما ان ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه
تشبيه ورعاية تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم فى السبب فان المعضين بمنزل من التقاسم على
التبييت الذى هو السبب لهلاك اولئك كما ان اولئك بمنزل من التعضية التى هى السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة
بين السببين مفهوما ولا وجودا يصحح وقوع احدهما فى جانب والآخر فى جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق
على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذى هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اذ لا دلالة
لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على ان خبره الجملة القسمية لا يليق

بحر النزيل وجلالة شانه الجليل اذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين
اهل الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحيث جلالته
المقام عن التشبيه مع لوائح النظم الجليل والمعنى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين
على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة بين الايتائين لا بين متعلقيهما والعدول
عن تطبيق ما فى جانب المشبه به على ما فى جانب المشبه بان يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع فى قوله تعالى الذين آتيناهم
الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الايتاءين من التنافى فان الاول على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثانى ولا بعد
ذلك فى وقوعه مشبها به فان ذلك انما هو لمسلمية عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما فى الصلوات
الخليلية فان التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلام وآله اتم واكمل مما فاض على النبى صلى
الله عليه وسلم وانما ذلك للتقدم فى الوجود والتنصيص عليه فى القرآن العظيم فليس فى التشبيه شائبة اشعار بافضلية
المشبه به من المشبه فضلا عن ايهام افضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به الثانى وانما ذكروا بعنوان الاقتسام ايذانا
لا تصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الانزال المذكور وايذانا بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بكله حسب ايمانهم بما انزل عليهم
بحكم الاشتراك فى العلة والاتحاد فى الحقيقة التى هى مطلق الوحى وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما
هو المقصود من بيان حال ما اوتى النبى صلى الله عليه وسلم ولقد بين اولا علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب
اغتباطه عليه السلام بمكانه واستغناءه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات الى زهرة الدنيا وعبر عن ايتائها لاهلها بالتمتيع
المنبئ عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم
وباظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل فى تضاعيف ما اوتى من القرآن العظيم ثم رجع الى
كيفية ايتائه على وجه اودع فيه ما يزيح شبه المنكرين ويستنزلهم من العناد من بيان مشاركته لما لا ريب لهم فى
كونه وحيا صادقا فتامل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل انى انا النذير المبين كما قد انزلنا فى الكتب
انك ستأتى نذيرا على المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد ان ما فى كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من
الكاف المواقعة وهى مع ما فى حيزها فى محل النصب على الحالية من مفعول قل اى قل هذا القول حال كونه كما انزلنا
على اهل الكتابين اى موافقا لذلك فالانسب حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا
من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبى صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهى الفرقة اصلها عضوة فعلة من
عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزية القرآن
بالتعضية التى هى تفريق الاعضاء من ذى الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجزية والتفريق
اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هى فعلة
من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثانى هاء **فوربك لنسالنهم اجمعين**
اى لنسألن يوم القيمة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع **عما كانوا يعملون** فى الدنيا من قول
وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا ولنجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد
وتاكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التى ذكر بعضها وفى التعرض لوصف الربوبية مضافا
اليه عليه السلام اظهار اللطف به عليه السلام **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق
بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اى ما تؤمر به من الشرايع
المودعة فى تضاعيف ما اوتيته من المثانى السبع والقرآن العظيم ومن جملته ان يقول انى انا النذير المبين **واعرض
عن المشركين** اى لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تصد للانتقام منهم **انا كفيناك المستهزئين** بقمعهم وتدميرهم
قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث بن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد
يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبريل عليه السلام فقال
امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه
فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ثم مات
واشار الى عينى الاسود بن المطلب فعمى والى انف الحرث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل
شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات **الذين يجعلون مع الله الها آخر** وصفهم بذلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه السلام بل اجترؤا على
العظيمة التى هى الاشراك بالله سبحانه **فسوف يعلمون** عاقبة ما ياتون وما يذرون **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون**
من كلمات الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء به وبك وتحلية الجملة بالتاكيد لافادة تحقيق ما تضمنه من التسلية
وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة **فسبح بحمد ربك**

فانزع

فانزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفى التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعنى الامر بالتسبيح والحمد
وكن من الساجدين اى المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين وعنه
عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة **واعبد ربك** دم على ما انت عليه من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان
السالف آنفا لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر بالعبادة **حتى ياتيك اليقين** اى الموت
فانه متيقن اللحوق بكل حى مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحى طالب للوصول اليه والمعنى دم على
العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

سورة النحل

سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله اى الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان
بان تحققه فى نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم
المتوقع فى سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات وايا ما كان ففيه
تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع فى قوله عز وجل **فلا تستعجلوه** فان النهى عن استعجال
الشئ وان صح تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع
يستحيل الاستعجال رأسا لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة
على صيغة نهى الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم
لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال
الساعة او ما يعمها من العذاب حتى يعمهم النهى عنه واما الثانى فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة
بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمها صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازى يعمهما معا من غير ان يكون
هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشان التنزيل الجليل وما روى من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما
بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى
شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به
فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه
دلالة على عموم الخطاب كما قيل لا لما توهم من ان التصدير بالفاء يأباه فانه بمعزل من اباءته حسبما تحققته بل لان مناط
اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائى لا الحقيقى الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة
لامتناع النهى عنه لما ان النهى عن الشئ يقتضى امكانه فى الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهى عن الاستعجال
المستلزم لامكانه المقتضى لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة
واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم
يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذى يقتضى به
الاعجاز التنزيلى انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله
عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان الهتهم تحجزه عن انجاز وعده او امضاء وعيده
وقد قالوا فى تضاعيفه ان صح مجئ العذاب فالاصنام تخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستيناف
سبحانه وتعالى عما يشركون اى تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدى لصدور امثال هذه الاباطيل عنهم
او عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره
والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنايعهم
لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهى عنه بالمنزه عنه وقرئ
على صيغة الخطاب **ينزل الملئكة** بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه
عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شئ فى شئ وايذان بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة
الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحى والتنبيه على طريق علم الرسول صلى الله عليه
وسلم باتيان ما وعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك واظهارا لبطلان رأيهم
فى الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما

جبريل عليه السلام قال الواحدي يسمى الواحد بالجميع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى و
قرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التائين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل بالروح اى بالوحي الذي من
جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة
بالفعل او بما هو حال من مفعوله اى ملتبسين بالروح من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال
منه اى حال كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة له على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى بالروح الكائن
من امره الناشئ منه او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم اى ينزلهم بامره على من يشاء
من عباده ان ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم ملتبسين بان
انذروا اى بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام والآمر هو الله سبحانه والملائكة
نقلة للامر كما يشعر به الباء في المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اى ينزلهم
ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة
الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية بجواز ان يكون صلتها انشائية كما في قوله
تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر في اوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص
باعلام المحذور من نذر بالشئ اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اى اعلمه وحذره وخوفه في الابلاغ كذا في القاموس
اى اعلموا الناس انه لا اله الا انا فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة
تصدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم
منه ابتداء الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل
انذروا ان الشان الخطير هذا وايراد مضمونه عن الحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من
الاشراك وذلك كاف في كون اعلامه انذارا وقوله سبحانه فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء
فصيحة اى اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا
الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من
جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل خلق السموات
والارض بالحق اى اوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفائق والنمط اللائق تعالى وتقدس بذاته لا سيما بافعاله
التي من جملتها ابداع هذين المخلوقين عما يشركون عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا
يبدئ ولا يعيد وبعدما نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه
مبتدئا بفعله المتعلق بالانفس فقال خلق الانسان اى هذا النوع غير الفرد الاول منه من نطفة جماد لا حس له ولا حراك
سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين لحجته
لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه
منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت والانعام وهي الازواج
الثمانية من الابل والبقر والضأن والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها او بالعطف على الانسان وما
بعده بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله لكم اما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم وقوله دفء
مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدأ المذكور وفيها حال من دفء
اذ لو تأخر لكان صفة ومنافع هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب
بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ومنها تأكلون اى تأكلون ما يؤكل منها
من اللحوم والشحوم ونحو ذلك وتغيير النظم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدفء والمنافع
والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت مجالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو
المعتاد المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة
للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب باكراء الابل وباثمان
نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جمال اى زينة في اعين الناس ووجاهة
عندهم حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها
فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزين الافنية و
الاكناف بها وتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي
فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح

لتقدم

لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور
بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا
تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر
وقيل اثقالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر
اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة
امس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل الا بشق
الانفس فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من
شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما ينال
من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اى الا بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اى لم تكونوا بالغيه بشئ من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدارا
للنعم السابقة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشا وبحسب المتعلق
وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشا خاصة بالابل وبحسب
المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة
في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات ان ربكم لرؤف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه
النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة والخيل هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اى
خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه وزينة عطف
على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل المعلل دون الاول وتأخيره لان الركوب اهم منه او مصدر
لفعل محذوف اى وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اى خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع
الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اى متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اى يخلق في الدنيا غير ما عدد من
النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار
الصورة او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اى ما ليس من شأنكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه
بقوله عليه الصلوة والسلام حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة
للتوحيد كنعمته الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين
السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه
ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت
المعمور وسبعون الفا الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيمة وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل
قصد وقاصد اى مستقيم على طريقة الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل
عنه اى حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد
بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اى عليه
عز وجل تقويمها وتعديلها اى جعلها بحيث يصل سالكه الى الحق لكن لا بعدما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابداعا اولا
كذلك على نهج قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث
ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين و
انزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق الهادي الى سبيل الاستدلال
بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن تيه الضلال ومهاوي الردى الا ترى كيف بين اولا تنزه جناب الكبرياء
وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشراك ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية
امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم نوع البيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا
الى طريقة الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى عما
يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معاشهم
ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد عيانا
وتعديل له ايما تعديل فالمراد بالسبيل في الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى ومنها في محل الرفع على
الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول
آمنا بالله وباليوم الآخر اى بعض السبل او بعض من السبل فانها تؤنث وتذكر جائر اى مائل عن الحق منحرف عنه

لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف اى ومن جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه وايا ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يسقيني ويشفين ولكن غير الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناد انه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى تقتضي الحال دفع ذلك بان يقال لا جائرها ثم يغير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما يستحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى **ولو شاء لهديكم اجمعين** اى لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشاه لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها نيط الجزاء هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهديكم جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين الحق ولما بين الطريق السمعي للتوحيد على وجه اجمالي وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي اليه بعثا للمخاطبين على التأمل فيما سبق وحثا على حسن التلقي للحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل **هو الذي انزل** بقدرته القاهرة **من السماء** اى من السحاب او من جانب السماء **ماء** اى نوعا منه وهو المطر وتاخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزل من السماء والسر فيه ما سلف من ان عند تأخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن **لكم منه شراب** اى ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني في موضع الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا باس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثاني منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل **ومنه شجر** من ابتدائية اى ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما نبت من الارض سواء كان له ساق اولا او تبعيضية مجازا لانه لما كان سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه يعني به المطر الذي ينبت به الكلأ الذي تأكله الابل فتسمن اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ **فيه تسيمون** ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض **ينبت** اى الله عز وجل وقرئ بالنون **لكم به** بما انزل من السماء **الزرع والزيتون والنخيل والاعناب** بيان للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وانها سنة جارية على مر الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر آنفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى **ومن كل الثمرات** للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها

مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع منا للبشر او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم غذائه فان غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من الثلاثي مسندا الى الزرع وما عطف عليه **ان في ذلك** اى في انزال الماء وانبات ما فصل **لآية** عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة **لقوم يتفكرون** فان من تفكر في ان الحبة او النواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر **وسخر لكم الليل والنهار** يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها **والشمس والقمر** يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصريفها كيف شاؤا كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجددت آثاره **والنجوم مسخرات بامره** مبتدأ وخبر اى سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم بارادة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اى وجعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اى انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله الآية وانما تلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شانه لا يتوهم ان يشاركه شيء في شيء فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية **ان في ذلك** اى فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا **لآيات** باهرة متكاثرة **لقوم يعقلون** وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه هي تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر **وما ذرأ** عطف على قوله والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اى وما خلق **لكم في الارض** من حيوان ونبات حال كونه **مختلفا الوانه** اى اصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى او لما خلق من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان اى الاصناف لتتمتعوا من ذلك باى صنف شئتم ومن عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اى خلق وانت على ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله **ان في ذلك** الذي ذكر من التسخيرات ونحوها **لآية** بينة الدلالة على ان من هذا شانه واحد لا ند له ولا ضد **لقوم يذكرون** فان ذلك غير محتاج الا الى التذكر لما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما مر من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر

من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة جيئ به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شئ فى الالوهية وهو الذى سخر البحر شروع فى تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اى جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به فى الاكل و وصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع الى الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثورى الى ان من حلف لا يأكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب فى انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا يرى الى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر فى مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بجريها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جرى الفلك ولتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادى الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اى لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانبارى او متعلقة بفعل محذوف اى وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداءها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة فى مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها فى تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معا والقى فى الارض رواسى اى جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه فى اول سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا اى وجعل فيها انهارا لان فى القى معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويتعرفون به الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيرى التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم فى اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شئ كمن لا يخلق شيئا اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضى ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الآيتين والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اى ابعد ظهور اختصاصه تعالى بمبدئية هذه الشئون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة تتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم ومدارها وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمنتسبين اختير ما عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفاديا عن توسيط عدمها بينها وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب فى انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شأنه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد واياما كان فدخول الاصنام فى حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لا بانها هى المرادة بالموصول خاصة افلا تذكرون اى الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شئ سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله تذكير اجمالى لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها

تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التى هى ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى استغنى عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال اى ان تعدوا نعمته الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا لا تحصوها لا تطيقوا حصرها و ضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه فى سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وما تذرون من اصناف الكفر التى من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وايما نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والاعمال وما تعلنون اى تظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل اى يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه فى سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه كأن علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شئ يعلن فهو قبل ذلك مضمر فى القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية والذين يدعون شروع فى تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد اوصافها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اى والالهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبنى للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء اصلا اى ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفى الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما فى الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون اى شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة فى ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفى عنهم من وصفى المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثانى عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة فى كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول ايضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفى الحياة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه الحيوة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التى ينشئها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير احياء اى لا يعتريها الحيوة اصلا فهى اموات على الاطلاق واما قوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اى ما يشعر اولئك الالهة ايان يبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهى الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه فى الالوهية الهكم اله واحد اى لا يشاركه شئ فى شئ وهو تصريح بالمدعى وتخليص للنتيجة غب اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة واحوالها التى من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها او للآيات الدالة عليها وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الآيات الدالة عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار و الاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا بما فى حيز الصلة فان الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدى الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار عن اتباع الرسول عليه السلام وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعو لا محالة الى التأمل فى الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اى حقا وقد مر تحقيقه فى سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اى لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الآيات الدالة عليه او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر واذا قيل لهم اى لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم

القايل الوافدون عليهم او المسلمون او بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده او مرفوع اى اى شى انزل
او ما الذى انزله قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث الاولين واباطيلهم وليس
من الانزال فى شى قيل هؤلاء القايلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن سؤال وفود الحاج عما انزل عليه عليه السلام ليحملوا متعلق بقالوا اى قالوا ما قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة
بهم وهى اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شى بنكبة اصابتهم فى الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيمة ظرف
ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا
يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل فى نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار
الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل اى يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق
الضلال واما حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون العامل فى الحال
قالوا وتأييده بما سيأتى من قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال
والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور
انما هو العذاب الدنيوى كما ستقف عليه او حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدة التقييد بها
الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذى لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ
كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق المحقيق بالاتباع وبين المبطل الا ساء ما يزرون اى بئس شيئا يزرونه ما ذكر
قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غايلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم
من العذاب العاجل اى قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فاتى الله اى امره وحكمه بنيانهم وقرى
بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهى الاساطين التى تعمده او اساسه فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف
من فوقهم اى سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين فى
تسويتهم المكايد والمنصوبات التى ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفى ابطاله تعالى تلك الحيل والمكايد وجعله
اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط
عليهم السقف وهلكوا وقرى فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اى الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون
باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القايلين للقرآن العظيم
اساطير الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم
القيمة يخزيهم فانه عطف على مقدر ينبئ عليه الكلام اى هذا الذى فعل بهم من التنكيل من عذاب هؤلاء او ما هو اعم
منه ومما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم فى الدنيا ثم يوم القيمة يخزيهم اى يذلهم بعذاب الخزى على رؤوس الاشهاد و
اصل الخزى ذل يستحيى منه وثم للايماء الى ما بين الجزاءين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخى الزمانى وتغيير
السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزى على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم
فى الدنيا مؤذن بان لهم جزاء اخر وما ينبغى النفس مترقبة الى وروده سايلة عنه بانه ماذا ام يتبعها بانه فى الاخرة
فيسوق الكلام على وجه يؤذن بان المقصود بالذكر اخرا وهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين فى حق القرآن الكريم
او لهم ولمن حذا حذوهم من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصه بهم يأباه السباق والسياق كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا
وتوبيخا فهو تفصيل بيان للاخزاء اين شركاءى اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة ففيه توبيخ اثر توبيخ مع
استهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم اى تخاصمون الانبياء والمؤمنين فى شانهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها
والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا
يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوا فى ساعة علقوا بها الرجاء فيها
او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفى فى ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذى كانوا يزعمون انهم متصفون
به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنهم على ان قوله ليتفقدوا ليس بسديد فانه قد بين عندهم الامر
حينئذ ورجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرى بكسر النون اى تشاقوننى على ان مشاقة
الانبياء والمؤمنين لا سيما فى شان متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء
والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلايل التوحيد وكانوا يدعونهم فى الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم
اى يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به وايثار صيغة الماضى
للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد فى اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف
ان الخزى الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزى على رأى من يرى اعمال المصدر المعرف باللام اى بالاستقرار
فى الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر فى الظروف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك

فى عز وشقاق والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى وباياته ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتاء التأنيث للفعل وقرى بالياء
وبادغام التاء فى التاء والعدول الى الصيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول فى محل
الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه او فى محل النصب او الرفع على الذم وفايدته تخصيص الخزى والسوء بمن استمر كفره
الى حين الموت دون من آمن منهم ولو فى آخر عمره اى على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان تتوفاهم الملائكة ظالمى
انفسهم اى حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واى ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة
الله تبديلا فالقوا السلم اى فيلقون والعدول الى صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى و
يقول اين شركاءى وما بينهما جملة اعتراضية جىء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزى على رؤوس الاشهاد اى فيسالمون و
يتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه فى الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قايلين ما كنا نعمل فى الدنيا من سوء اى من شرك
قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه
كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقدير
فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركاءى كما فى سورة الانعام لا عن قول اولى العلم اذ حينئذ لعدم استحقاقهم لما دهمهم
من الخزى والسوء بلى رد عليهم من قبل اولى العلم واثبات لما نفوه اى بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون
فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اى كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة
عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهى مقارنة
فلبئس مثوى المتكبرين اى عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعلية
لثوابهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اى جهنم وتاويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك فى اعتقادنا
روما للمحافظة على ان لا كذب ثمة يرده الرد المذكور وما فى سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل
للذين اتقوا اى المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشى من التقوى ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا سلكوا فى الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير فى الصورة والمعنى اى انزل خيرا فانه جواب مطابق
للسؤال سبكا وللواقع فى نفس الامر مضمونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما عدلوا بالجواب عن نهج الحق الواقع
الذى ليس له من دافع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير ردا لما مر من انكار
النزول روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه
المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومى دون ان
استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا
خيرا للذين احسنوا اى عملوا الاعمال الصالحة او فعلوا الاحسان فى هذه الدار الدنيا حسنة اى مثوبة حسنة مكافاة فيها ولدار
الاخرة اى مثوبتهم فيها خير مما اوتوا فى الدنيا من المثوبة او خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الاخرة
ولنعم دار المتقين اى دار الاخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدا مدح الله تعالى به المتقين وعدتهم
المحكى من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابى الدنيا والاخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا او تفسير له
اى انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسايل جنات عدن خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف
اى لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك تجرى من
تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها فى تلك الجنات ما يشاؤون الظرف الاول خبر لما والثانى
حال منه والعامل ما فى الاول او متعلق به اى حاصل لهم فيها ما يشاؤون من انواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز عن
توهم تعلقه بالمشية او لما مر مرارا من ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده
فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الاوفى يجزى الله المتقين اللام للجنس اى كل من يتقى من الشرك والمعاصى
ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة
الذين تتوفاهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين اى طاهرين عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفايدته
الايذان بان ملاك الامر فى التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك
ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبى النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم
بالكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملائكة اى قايلين لهم سلام عليكم قال القرطبى رحمه الله اذا استنقعت
نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام فقال السلام عليك يا ولى الله ان الله تعالى يقرأ عليك السلام ويبشره
بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اى جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها فى وقته فان
ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به لا دخول القبر الذى هو روضة من رياضها اذ ليس فى البشارة به ما فى
البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذى كنتم تعملونه من ذلك

وقيل المراد بالتوفي التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اى ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لا لانهم يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم لاسبابه الموجبة له المودية اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل او ياتى امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بان اتيانه لطف به صلى الله عليه وسلم وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوى لا القيمة لكن لا لان انتظارها يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلائمه العطف باو لانها ليست نصا فى العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين فى عذابهم بل لان قوله تعالى فيما سياتى ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الاية صريح فى ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوى كذلك اى مثل فعل هولاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما سيحل بهم من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما فى سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزامه اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه فى سورة يونس فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا اى اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اى احاط بهم من الحيق الذى هو احاطة الشئ وهو ابلغ من الاصابة وافظع ما كانوا به يستهزءون من العذاب وقال الذين اشركوا اى اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما فى حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ اى لو شاء عدم عبادتنا للشئ غيره كما تقول لما عبدنا ذلك نحن ولا آباؤنا الذين نقتدى بهم فى ديننا ولا حرمنا من دونه من شئ من السوائب والبحائر وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول صلى الله عليه وسلم وطعنا فى الرسالة راسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشا يمتنع فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما يقول الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفى الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل كذلك اى مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اى اشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطاء وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه الا البلاغ المبين اى ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحى الذى من جملتها تحتم تعلق مشية الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجائهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاءوا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التى عليها يدور امر التكليف فى شئ حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشية الله تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد فى تعلق مشيته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئى الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين والفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شانهم الا تبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونها واجراء موجبهما على الناس قسرا والجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم فى ذلك مامورون او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم ابلاغه ومن هذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى اعلم بالصواب ولقد بعثنا فى كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيته تعالى بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشية المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية اى بعثنا فى كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله بان يجوز ان تكون ان مفسرة لما فى البعث من معنى القول وان تكون مصدرية اى بعثنا بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة فمنهم اى من تلك الامم والفاء فصيحة اى فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذى هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئى الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة اى وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشية الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمها على عدم تعلق مشيته تعالى بعبادته تعالى وحده فسيروا يا معشر قريش فى الارض فانظروا فى اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليهم الضلالة لعلكم تعتبرون حين

تشاهدون فى منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غنى عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير لما انه بعده وان ملاك الامر فى تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ ان تحرص خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهى لغية على هداهم اى ان تطلب هدايتهم بجهدك فان الله لا يهدى من يضل اى فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة لسوء اختياره والمراد بهم قريش وانما وضع الموصول فى موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اى ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدى من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدى على البناء للمفعول اى لا يقدر احد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدى بفتح الهاء وادغام تاء يهتدى فى الدال ويجوز ان يكون يهدى بمعنى يهتدى وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادى لمن يضل ولمن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم فى الهداية او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع فى الناصرين باعتبار الجمعية فى الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع يقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد لا لان المراد نفى طائفة من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع فى بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث جهد ايمانهم مصدر فى موقع الحال اى جاهدين فى ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله الحق بلى اى بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه او لمحذوف اى وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اى وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف فى وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اى حق حقا ولكن اكثر الناس لجهلهم بشؤون الله عز شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما تقتضيه الحكمة التى جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اى يبعثهم ليبين لهم بذلك وانما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هى ومعاينتها بصورها الحقيقية الشان الذى يختلفون فيه من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعد الحق انهم كانوا كاذبين فى كل ما يقولون لا سيما فى قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر فى حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلهما غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده فى معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعى للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقق البعث انما كان لتبيين انه حق وليعلموا انهم كاذبون فى انكاره كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك تصلى لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها والا فالغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذى هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره فى مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل جئ بصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذى هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذى نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل فما يتعلق به علم ضرورى حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه فى سورة نوح عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا انما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الآية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا انما قولنا استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء او اعادة بعد التنبيه على آنية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدا وقوله لشئ اى اى شئ كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهى فى قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اى لاجل شئ وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك اذا اردناه ظرف لقولنا اى وقت ارادتنا لوجوده ان نقول له كن خبر للمبتدا فيكون اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام اى فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف اى فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مامور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل ويقال ان ما يستدعيه انحصار قوله تعالى فى قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار اسباب التكوين فيه كما يفيده قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشان الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره فى كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تأتى المقدورات حسب تعلق مشيته تعالى بها وتصور

لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المامور المطيع لامر الآمر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتامل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول او تشبيها له بجواب الامر والذين هاجروا في الله اى في شان الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه لنبوئنهم في الدنيا حسنة اى مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما قاله قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلث آيات من آخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقلنا عنه من نزول الآية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شانه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة او لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق والغرب كافة ولاجر الآخرة اى اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد او لما تالموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اى جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل فاسألوا اهل الذكر اى اهل الكتاب او علماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ان كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امراة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اى ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اى ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز تاخر صلة ما قبل الا الى ما بعدها او بما وقع صفة للمستثنى اى الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعل نوحي وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسألوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وانزلنا اليك الذكر اى القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب بحسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون اشارة الى ذلك اى ارادة ان يتاملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب افامن الذين مكروا السيئات هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اى المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اى عملوا السيئات وقوله تعالى

ان

ان يخسف الله بهم الارض مفعول لامن او السيئات صفة لما هو المفعول اى افامن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اى انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك الم يتفكروا فامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين معا او تفكروا فامنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة اى امكروا فامن الذين مكروا الخ او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون باتيانه اى في حالة غفلتهم او من مامنهم او من حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي فيما سلف مما نزل بالماكرين او ياخذهم في تقلبهم اى في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء اما لتعليل الاخذ او لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته حسبما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا نفي الدوام او ياخذهم على تخوف اى مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اى ياخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلث بيان قدرة الله سبحانه على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها اولم يروا استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق الله من شيء اى من كل شيء يتفيؤ ظلاله اى يرجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بتاء تانيث الفعل عن اليمين والشمائل اى الجرم والاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله سجدا لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتاتيها لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون اى صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها فان لها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعد ما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها ودخورهما له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال اولا فقيل ولله يسجد اى له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات قاطبة وما في الارض كائنا ما كان من دابة بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وهم اى الملائكة مع علو شانهم لا يستكبرون عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من فاعل يسجد مسندا الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اى مالك امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم من فوقهم اى يخافونه جل وعلا خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون اى ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول لجري على سنن

الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره سبحانه وفيه ان الملايكة مكلفون مدارون
بين الخوف والرجاء وبعد ما بين ان جميع الموجودات يخصّون بالخضوع والانقياد الطبيعي وما يجرى مجراه من عبادة الملكة
حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلاً لله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك
فقيل وَقَالَ اللهُ عطفاً على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين الالوهية
وانما المنهى عنه هو الاشراك به لا ان المنهى عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض احدهما كان اى قال
تعالى لجميع المكلفين لَا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق
النهى هى الاثنينية وانها منافية الالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة فى قوله تعالى إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ للدلالة على
ان المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث
اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على راى من اكتفى فى تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه
حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء
الرهبة فى القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اى ان كنتم راهبين شيئاً فاياى فارهبون لا غير فانى ذلك الواحد ارهبوا
الذى يسجد له ما فى السموات والارض وله ما فى السموات والارض خلقاً وملكاً تقرير لعلة انقيادهما فيهما له سبحانه صح
وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما فى اللام من معنى الاختصاص وكذا فى قوله تعالى وَلَهُ الدِّينُ
اى الطاعة والانقياد وَاصِبًا اى واجباً ثابتاً لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من
الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء الدايم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر
أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق اى اعقيب تقرر الشؤون المذكورة
من تخصيص جميع الموجودات للسجود له تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصباً الموجب لتسع
ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذى شانه ما ذكر تتقون فتطيعون وَمَا بِكُمْ اى اى شئ يلابسكم ويصاحبكم
مِنْ نِعْمَةٍ اية نعمة كانت فَمِنَ اللهِ فهى من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول
فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ مساساً يسيراً فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ
تتضرعون فى كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك
طوراً سجوداً وطوراً جؤاراً وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفى ذكر المساس المنبئ عن ادنى
اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام
الجنس المفيدة لمساس ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها
للمخاطبين بباء المصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل الى
تحقق وقوع الجواب ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادى زمان مساس
الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخى رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك المدلول عليها
بقوله سبحانه إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ فان ترتبها على ذلك فى بعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس
جميعاً فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان
يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضاً والتعرض لوصف
الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا
غرضهم فى الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فَتَمَتَّعُوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان
بتناهى السخط وقرئ بالياء مبنياً للمفعول عطفاً على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضاً لهم من الاشراك
ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد
اكيد مبنى عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعاراً بانه مما لا يوصف وَيَجْعَلُونَ لعله عطف على ما سبق بحسب
المعنى تعداداً لجناياتهم اى يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه
ويجعلون لِمَا لَا يَعْلَمُونَ اى لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التى يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة
وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعايد اليها محذوف او لا علم له اصلاً وليس من
شانه ذلك فما موصولة ايضاً والعايد اليها ما فى الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة
عن الهتهم التى وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل اى لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه
نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ من الزرع والانعام وغيرهما تقرباً اليها تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ سؤال توبيخ وتقريع عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ فى الدنيا
بانها الهة حقيقة بان يتقرب اليها وفى تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب
من شدة الوعيد ما لا يخفى وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله سبحانه

وتقدليس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جرأتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ من البنين
ما مرفوع المحل على انه مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض فى حاق موقعه وجعلها منصوبة
بالعطف على البنات اى يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدى الى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار وَإِذَا
بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى اى اخبر بولادتها ظَلَّ وَجْهُهُ اى صار او دام النهار كله مُسْوَدًّا من الكآبة والحياء من الناس و
اسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وَهُوَ كَظِيمٌ ممتلئ حنقاً وغيظاً يَتَوَارَى يستخفى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ
بِهِ من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء أَيُمْسِكُهُ اى مترددا فى امره محدثاً نفسه فى شانه ايمسكه
عَلَىٰ هُونٍ ذل وقرئ هوان أَمْ يَدُسُّهُ يخفيه فِي التُّرَابِ بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتانيث أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ
حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالى عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه
ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع اباءهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم
جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مدار التعكيس لقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ممن ذكرت قبائحهم
مَثَلُ السَّوْءِ صفة السوء الذى هو كالمثل فى القبح وهى الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار
بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادى كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع
الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة وَلِلّٰهِ سبحانه وتعالى الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ اى الصفة العجيبة
الشان التى هى مثل فى العلو مطلقاً وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين
ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علواً كبيراً وَهُوَ الْعَزِيزُ المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الْحَكِيمُ
الذى يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضاً من جملة صفاته العجيبة تعالى وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ الكفار بِظُلْمِهِمْ
بكفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان بان
ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه مَا تَرَكَ عَلَيْهَا على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى مِنْ دَابَّةٍ اى
ما ترك عليها شيئاً من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى
لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة
وقيل لو اهلك الاباء لم يكن الابناء فيلزم ان يكون فى الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذى خلق
لكم ما فى الارض جميعاً وَلٰكِنْ لا يؤاخذهم بذلك بل يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا ويكثر عذابهم
فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمُ المسمى لَا يَسْتَأْخِرُونَ عن ذلك الاجل اى لا يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم
له سَاعَةً فذة وهى مثل فى قلة المدة وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ اى لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند
مجئ الاجل مبالغة فى بيان عدم الاستيخار بنظمه فى سلك ما يمتنع كما فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافراً مع انه لا توبة له راساً
قد نظم فى سمط من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان فى ذلك وقد مر فى تفسير سورة يونس وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ اى يثبتون
له سبحانه وينسبون اليه فى زعمهم مَا يَكْرَهُونَ لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ اى يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ العاقبة الحسنى
عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة
لَا جَرَمَ رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اى حقاً أَنَّ لَهُمُ مكان ما املوا من الحسنى النَّارَ التى ليست وراء عذابها غاية
وهى علم فى السوء وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ اى متقدمون اليها من افرطته اى قدمته فى طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلاناً
خلفى اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته فى طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط فى الطاعات
وبكسر المخففة من الافراط فى المعاصى فلا يكون اذاً من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اى ارسلنا اليهم رسلاً فدعوهم الى
الحق فلم يجيبوا الى ذلك فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمُ القبيحة فعكفوا عليها مصرين فَهُوَ وَلِيُّهُمُ اى قرينهم وبئس القرين
الْيَوْمَ اى يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية او فى الدنيا او يوم القيمة على طريق حكاية الحال
الآتية وهى حال كونهم معذبين فى النار والولى بمعنى الناصر اى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة فى نفى
الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائداً الى مشركى قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم
منهم وان يكون على حذف المضاف اى ولى امثالهم وَلَهُمْ فى الآخرة عَذَابٌ أَلِيمٌ هو عذاب النار وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
اى القرآن إِلَّا لِتُبَيِّنَ استثناء مفرغ من اعم العلل اى ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لَهُمُ اى الناس الَّذِي اخْتَلَفُوا
فِيهِ من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وَهُدًى وَرَحْمَةً معطوفان على محل لتبين اى وللهداية والرحمة

لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثرى فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره والله انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تأكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء وهو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاحيى به الارض بما انبت به فيها من انواع النباتات بعد موتها اي بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك اي في انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به لآية واية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة واي عبرة يحار في دركها العقول وتهيم في فهمها الباب الفحول نسقيكم استئناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما في بطونه اي بطون الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكباش واخلاق كما ان تأنيثه في سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس لجميعها اوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى في المعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لان عدم تكونهما في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثقله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية به القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك بعضه
الزائد او بعضه الى الضرع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض ويطيب طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته فمن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التأخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا بحيث لا يتراءى تلاقيهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى هو الذي اخرج لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين ومن ثمرات النخيل متعلق بما يدل والاعناب
عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استئناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتأكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل والآية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والامتنان ان في ذلك لآية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان يكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتأنيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اي اوكارا مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون اي يعرشه الناس اي يرفعونه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال والشجر وكل عريش ولا يخفى ما في ذلك من ... ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت منها سبل ربك اي مسالكه التي يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المرعاة من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة

الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة لما امرت به يخرج من بطونها استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعدما امرت بما امرت شراب اي عسل لانه مشروب واحتج به وبقوله تعالى كلي من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر واحمر حسب اختلاف سن النحل او الفصل او الذي اخذت منه العسل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن ان في ذلك الذي ذكر من عاجيب آثار قدرة الله تعالى لآية عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بآلات رقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان لها خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويهديها اليه جل جلاله والله خلقكم لما ذكر سبحانه من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره الى اخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة اطفالا وشبانا وشيوخا ومنكم من يرد قبل توفيه اي يعاد الى ارذل العمر اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضي الله عنه وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم كثير شيئا من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم الذي رزقهم اياه على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية فهم اي الملاك والمماليك فيه اي في الرزق سواء اي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا الخبيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعدما انعم الله بها عليهم والباء لتضمن الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اي يشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب او ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين او على فعلهم المؤذن بذلك او ما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا لتأنسوا بها ولتكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام وجعل لكم من ازواجكم

وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجته لا من زوج غيره بنين وبان نتيجة الازواج هو
التوالد وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خداما
يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن
البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات
وتاخير المنصوب في الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر
بعود منفعة المجعول اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة
مناسبتكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما
في الآخرة افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي
العطف على مقدر اي يكفرون بالله الذي شانه هذا فيؤمنون بالباطل او ابعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل
يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمة الله تعالى الفايضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان هم يكفرون حيث
يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات
الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه و
يعبدون من دون الله لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي ايكفرون بنعمة الله ويعبدون من
دونه ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه اي ما لا
يقدر على ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه
بمعنى قليلا ومن في السموات والارض صفة لرزقا اي كائنا منهما ويجوز كونه تاكيدا للا يملك رزقا شيئا من الملك
ولا يستطيعون ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم راسا لانها موات لا حراك بها فالضمير للآلهة ويجوز ان يكون للكفرة على
معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فلا تضربوا لله
الامثال التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشان النهي اي لا تشركون به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل
للقصد الى النهي عن الاشراك به تعالى في شان من الشؤون فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة
اي لا تشبهوا بشانه شانا من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وضرب الله
مثلا للذين آمنوا امراة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب
النهي على ما عدد من النعم الفايضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل من ان يملك لهم من اقطار
السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد ان الله
يعلم تعليل للنهي المذكور ووعيد عن المنهي عنه اي انه تعالى يعلم كنه ما تاتون وما تذرون وانه في غاية العظم
والقبح وانتم لا تعلمون ذلك والا لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم وقفوا في مواقف
الامتثال بما ورد عليكم من الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم
لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب
فقال ضرب الله مثلا اي ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما
بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة
حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما
في كونهما عبد الله سبحانه وقد ادمج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والماذون اللذين
لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصولة معطوفة
على عبدا اي رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق منا من جنابنا
الكبير المتعالي رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا فهو ينفق منه تفضلا واحسانا والفاء لترتيب
الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية
الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي سرا وجهرا اي حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر
والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى
الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحرا مالكا
للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه
وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان رزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة
في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثلا للعبد المالك فما ظنك
بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل يستوون جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة

من

من الجنسين المذكورين لا افراد معينان منهما اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين
سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى
اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام الحمد لله اي كله له
لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت على ايدي بعض الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد
الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع الى الله سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه بل اكثرهم لا يعلمون
ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا
يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله مثلا اي مثلا آخر يدل على
ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك لينتظر النفس الى وروده وتترقبه حتى يتمكن لديها
عند وروده بين فقيل رجلين احدهما ابكم وهو من ولد اخرس لا يقدر على شيء من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره
بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من يعوله ويلي امره وهذا بيان لعدم قدرته
على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله تعالى اينما يوجهه اي حيث يرسله مولاه في امر بيان
لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ يوجه على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه
لا يات بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يامر بالعدل اي من هو منطيق
فهم ذو راي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام
للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما في حاق ما يقابلها فان محصل
الصفات المذكورة عدم استحقاق المامورية وملخص هذين استحقاق كمال الآمرية المستتبع لحيازة الجانبين باجمعها
وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين
بين القرينتين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان
يقال ان الله تعالى ضرب مثلا بخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع
التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره
استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض اي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها
لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة
عن اهلهما والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبية لا من حيث المخلوقية
والمملوكية وان كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بان علمه سبحانه وتعالى حضوري فان تحقق الغيوب في
انفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه
المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور آثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها
بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وان كان اتيانها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اي ما شانها في سرعة المجيء الا
كلمح البصر اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اي امرها فيما ذكر اقرب من ذلك واسرع زمانا بان يقع
في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة ابنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام
الى ابعاض هي ازمنة ايضا بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او ما امرها الا كالشيء الذي
يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة
بالاتيان ان الله على كل شيء قدير ومن جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة الساعة
التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل
صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة
التاتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل
غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما ان علمه بخصوصه غائب عن اهلهما فوضع الساعة موضع
الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم
معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله
فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع للام زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من
اراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موقع الحال اي غير عالمين شيئا اصلا
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تاخر الجعل المذكور من الاخراج لما ان مدلول
الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها
العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات

تكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوبات لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي اولان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل الم يروا وقرئ بالتاء الى الطير جمع طائر اي الم ينظروا اليها مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب والانسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة ما يمسكهن في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مسخرات او من الطير واما مستأنف ان في ذلك الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن لها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير لآيات ظاهرة لقوم يؤمنون اي من شانهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به والله جعل لكم معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سيأتي من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى من بيوتكم اي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتأكيد لما سبق من التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان ينتقل من مكانه اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط تستخفونها تجدونها خفيفة سهلة المأخذ يوم ظعنكم وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين ويوم اقامتكم وقت نزولكم في الضرب والبناء ومن اصوافها واوبارها واشعارها عطف على قوله تعالى من جلود والضماير للانعام على وجه التنويع اي وجعل لكم من اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث ومتاعا اي شيئا يتمتع به بفنون التمتع الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى فانه في معرض البلى والفناء وقيل الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم ظلالا اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الآخر اولان وقايته هي الاهم عندهم لما مر آنفا وسرابيل من الدروع والجواشن تقيكم بأسكم اي البأس الذي يصل الى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام الخ ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا يؤويه الا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الخ ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الخ ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم بأسكم ثم قال كذلك اي مثل ذلك الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي ارادة ان تنظروا فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبرياء شيء قليل وقرئ تسلمون اي تسلمون من العذاب او من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له اي فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين اي فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب يعرفون نعمة الله استيناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها انها من الله تعالى ثم ينكرونها بافعالهم حيث يعبدون غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم لاستبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها

لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه واكثرهم الكافرون اي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقناط الكلي وهو عند ما يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام عليهم ولا هم يستعتبون يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم البعث الخ فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون اي يمهلون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اي نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه فالقوا اي شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن ان الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله سبحانه من الشريك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فكأنهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا اي الذين اشركوا الى الله يومئذ السلم الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اي ضاع وبطل ما كانوا يفترون من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا في انفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم اي زدناهم عذابا بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد في كل امة شهيدا عليهم اي نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا للمعذرة وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم وجئنا بك ايثار لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة ونزلنا عليك الكتاب الكامل في الكتابية الحقيق بان يخص به اسم الجنس وهو اما استيناف او حال بتقدير قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملته ما اخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه الصلاة والسلام شهيدا عليهم عليهم السلام والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ان الله يأمر اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والجمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء

واذا رأى الذين ظلموا العذاب [illegible]

الواجبات المتوسط بين البطالة والترهيب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اي الاتيان بما امر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه وينهى عن الفحشاء الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى يعظكم بما يأمر وينهى وهو اما استيناف واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله عليه السلام ولا تنقضوا الايمان التي تحلفون بها عند المعاهدة بعد توكيدها حسبما هو المعهود في اثناء العهود لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي مشابهين بامرأة شأنها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودغلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة بان تكون جماعة هي اربى اي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اي بان تكون امة اربى من امة اي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشية قسر والجاء لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل يضل من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي اليه ويهدي من يشاء هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها ولتسئلن جميعا يوم القيمة عما كنتم تعملون في الدنيا وهذا اشارة الى ما لوح به من الكسب الذي عليه يدور امر الهداية والضلال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء اي العذاب الدنيوي بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم عن سبيل الله الذي ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم في الآخرة عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله اي لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم او آياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان ثمنا قليلا اي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا انما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل النهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى ما عندكم الخ تعليل للخيرية بطريق الاستيناف اي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا ينفد وان جم عدده ويتقضى وان طال امده وما عند الله من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية باق لا نفاد له اما الاخروية فظاهر واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى ان ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما تقتضيه ظاهر الحال من ان يقال وليجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي والله لنجزين الذين صبروا على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود

والفقر وقرئ بالياء على عنها الالتفات اجرهم مفعول ثان لنجزين اي لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اي لنجزينهم بما كانوا يعملون من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم عن مدار الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها من عمل صالحا اي عملا صالحا اي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموعود بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى من ذكر او انثى مبالغة في بيان شموله للكل وهو مؤمن قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب او تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك الصلة لافادة وجوب دوامه او مقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه ولنجزينهم في الآخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضماير العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر الى ان مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد فقيل فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاسأله عز جاره ان يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عن القراءة فان له همة بذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره عليه السلام وفي ساير الاعمال الصالحة اهم فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه السلام فيما عدا القراءة من الاعمال والامر للندب وقد اخذ بظاهر النظر اكثر مثر فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه الصلوة والسلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه الضمير للشأن او للشيطان ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اي اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او بجوابه المنوي اي يعذك ونحوه انما سلطانه اي تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى على الذين يتولونه اي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المقسور بمعزل من ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون او بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذي حملهم على الاشراك بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولي الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم وان من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز

عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا آية مكان آية اي اذا انزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بان نسخناها بها والله اعلم بما ينزل اولا وآخرا وبان كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رايهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اي متقول على الله تعالى تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم بل اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكر عنادا قل نزله اي القرآن المدلول عليه بالآية روح القدس يعني جبريل عليه السلام اي الروح المطهر من الادناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال مما يقتضيه الحكمة البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه عليه السلام ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المبنية على التلقين المحض بالحق اي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اي القرآن بشر على طريق البت مع ظهور انه نزله روح القدس عليه السلام وتحلية الجملة بفنون التاكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب استمرار التجدد في متعلقه فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب ابن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطائهم ليس بنسبته عليه السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الاولين والآخرين لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة من الحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات الركيكة دليل على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي لا يصدقون انها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بآيات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته تعالى

مبين

والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله اي تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه او هو خبر لهما معا او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يعم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي مقارنته للكفر الواقع به اي الا من كفر باكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك بل شرح بالكفر صدرا اي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال فانت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد عليه السلام قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور بانهم بسبب انهم استحبوا الحياة الدنيا آثروها على الآخرة وان الله لا يهدي الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء القوم الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحياة الدنيا على الآخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان آثروا الآخرة على الدنيا او بان هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضي الا الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضي الله عنهم اي لهم بالولاية والنصرة لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرا لها ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة من بعد ما فتنوا اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا في سبيل الله تعالى وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه الصلاة والسلام واشعار بان افاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم اتباعا له يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس اي تعطى وافيا كاملا ما عملت اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد وهم

لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد فى عقابهم على ذنوبهم **وضرب الله مثلا قرية** قيل ضرب المثل صنعه واعماله وقد مر تحقيقه فى سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدى الى الاثنين لتضمينه معنى الجعل وتاخير قرية مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثانى بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التاخير عن الكل مخل بتجاذب اطراف النظم وتجاوبها ولان تاخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشوقا اليه لاسيما اذا كان فى المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتاخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة فى الغابرين واما مقدرة اى جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا كانت **امنة** ذات امن من كل مخوف **مطمئنة** لا يزعج اهلها مزعج **ياتيها رزقها** اقوات اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر **رغدا** واسعا **من كل مكان** من نواحيها **فكفرت** اى كفر اهلها **بانعم الله** اى بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة **فاذاقها الله** اى اذاق اهلها **لباس الجوع والخوف** شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشى للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكى اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها فى ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال فى المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشى للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر والبشع الملائم للجوع الناشى من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومى اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكى اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشى مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف **بما كانوا يصنعون** فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفى صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة **ولقد جاءهم** من تتمة التمثيل جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق ايضا اى ولقد جاء اهل تلك القرية **رسول منهم** اى من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما ياتون وما يذرون **فكذبوه** فى رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجاتهم بالتكذيب من غير تلعثم **فاخذهم العذاب** المستاصل لشافتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك **وهم ظالمون** اى حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذى هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم فى الكفر والعناد وتجاوزهم فى ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة محاذية لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو فى خصلة فذة كيف لا وقد كانوا فى حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شىء ولقد جاءهم رسول منهم واى رسول تحار فى ادراك سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم اعن عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب شديد وازمة حصت كل شىء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو الذى تقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير فى قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه **فكلوا مما رزقكم الله** مفرع على نتيجة التمثيل وصدهم عما يؤدى الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله

وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتى اولا وآخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم فى امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها **واشكروا نعمة الله** واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء فى المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهى عن زعم الحرمة ولا ريب فى ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستاصل متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه وبعد ما وقع ما وقع فمن ذى الذى يحذر ومن ذى الذى يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع ياباه التصدى لاستصلاحهم بالامر والنهى وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ما يتلوه من خطاب النهى متوجه الى الكفار كما فعله الواحدى حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشان التنزيل الجليل **ان كنتم اياه تعبدون** اى تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته تعالى **انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به** تعليل لحل ما امرهم باكله مما رزقهم اى انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها **فمن اضطر** بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك **غير باغ** اى على مضطر آخر **ولا عاد** اى متجاوز قدر الضرورة **فان ربك غفور رحيم** اى لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفى التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفى الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال **ولا تقولوا لما تصف السنتكم** اللام صلة مثلها فى قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى لا تقولوا فى شان ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده الى وحى او قياس مبنى عليه **الكذب** منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى **هذا حلال وهذا حرام** بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اى لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وان يكون القول المقدر حالا من السنتهم اى قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له فى المسامع كان السنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جنى **لتفتروا على الله الكذب** فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير ان يكون ذلك منه واللام لام العاقبة **ان الذين يفترون على الله الكذب** فى امر من الامور **لا يفلحون** لا يفوزون بمطالبهم التى ارتكبوا الافتراء للفوز بها **متاع قليل** خبر مبتدأ محذوف اى منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة **ولهم** فى الآخرة **عذاب اليم** لا يكتنه كنهه **وعلى الذين هادوا** خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين **حرمنا ما قصصنا عليك** اى بقوله تعالى حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية **من قبل** متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم فى ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا **وما ظلمناهم** بذلك التحريم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** حيث فعلوا ما عوقبوا عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روى انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم **ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة** اى بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره **ثم تابوا من بعد ذلك** اى من بعد ما عملوا ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتاكيد والمبالغة **واصلحوا** اى اصلحوا اعمالهم او دخلوا فى الصلاح **ان ربك من بعدها** من بعد التوبة **لغفور** لذلك السوء **رحيم** يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتاكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مع ظهور الاثر فى التائبين للايماء الى ان افاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة

عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابراهيم كان امة على حياله لحيازته من الفضائل البشرية
ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد
وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائغة
بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او لانه عليه السلام كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول
كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده واقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى
اني جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم
ما احل الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله مطيعا
له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين في امر من امور
دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره ردا على كفار قريش فقط في قولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم بل عليهم وعلى
اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم انه عليه السلام كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سابقا
ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لامة واما او ثم صيغة جمع القلة للايذان بانه عليه السلام كان لا يخل بشكر
النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما
بين ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة عن
الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة
من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل
قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه عليه السلام وانه في
الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق
في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة ابراهيم الملة اسم
لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار
الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤدي عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه يسمى
دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي عليه السلام ولا يكاد توجد مضافة الى الله سبحانه ولا الى
آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عليه السلام الاسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط
المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من
قبيل رأيت وجه هند قائمة والمامور به الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي
في الرتبة للايذان بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه عليه السلام وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة
تاكيد وتقرير لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه انما جعل السبت اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة
وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في قوله تعالى
وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابراهيم عليه السلام
كان محافظا عليه اي ليس السبت من شرائع ابراهيم وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه عليه السلام وبين
بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول لجري على
سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر
عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان
بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شانه قبل الوقوع ايثارا له على ما امر الله
تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال
منشأ الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى عليه السلام امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة
وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا
شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون
بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله سبحانه قردة دون اولئك المطيعون وان
ربك ليحكم بينهم اي بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اي يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف
فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء
الآخر بالنسبة الى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما
جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اي احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم

ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى
ووجه ايراده ههنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية
التي كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب في ان كلمة بينهم تحكم بان المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان
توسيط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية امر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عليه السلام وبين امره
صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتأمل ادع اي من بعثت اليهم من الامة قاطبة
فحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فحذف للقصد الى ايجاد نفس الفعل
اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام الذي
عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابراهيم عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء
الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم
وتكميلهم باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا
يخفى بالحكمة اي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اي الخطابيات المقنعة
والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق
والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم اي ناظر معانديهم
بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال
المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي
امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعدما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم بالمهتدين
اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى
هو اعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلي
فما شرعه لك في الدعوة هو الذي تقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين او ما عليك الا
ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية او الضلال والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم بمن
يبقى على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم وايراد
الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر
عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة
الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو اعلم للتاكيد والاشعار بتباين حال المعلومين وحالهما من العقاب والثواب
ولما امر عليه السلام فيما يختص به من شأن الدعوة بما امر به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن
شايعه فيما يعم الكل فقال وان عاقبتم اي ان اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي ان اكلت فكل قليلا
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما
تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين ما آل الجدال الى
القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المامور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن
القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما ياتون وما يذرون وبطلان دين
استمرت عليه آباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة و
ارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة رضي الله عنه يوم احد قد مثل به
قال لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عقبتم فعقبوا
اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير
تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم حث على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل ولئن صبرتم اي عن
المعاقبة بالمثل لهو اي لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر
او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه
صبرهم كدخول انفسهم في جنس الصابرين دخولا اوليا ثم امر صلى الله عليه وسلم صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر
لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر على ما اصابك من جهتهم من
فنون الآلام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما
صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستغراق في مراقبة شؤونه والتبتل اليه بمجامع الهمة
وفيه من تسليته عليه السلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة
لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره

فقط ولا تحزن عليهم اي على الكافرين بوقوع الباس منا بهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تاس على القوم الكافرين وقيل على المومنين وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل اي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اي في امر هين مما يمكرون اي من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهي عن التالم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التالم بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المامور به لا سيما على الوجه الاول لزيادة التاكيد واظهار كمال العناية بشان التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه بشراشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شيء من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور فيكف عن الخوف من وقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين انما هي من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظائره مما كثر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولاية الله تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما بر الصبر المامور به حسبما اشير اليه وفيه تحصيل التقريب وبتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على احد التفسيرين كما حقق في مقامه والا فمجرد التوقي عن المعاصي لا يكون مدارا لشيء من العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار اليه ورديفيه وانما مدار المعنى المذكور فكانه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على انه من خصائص اجل النعوت الجليلة وروادفه كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون للاشعار بانه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فعل ذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد نبه على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من غير ان يكون احدهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية مقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه السلام داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما هو عليه السلام ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز الى ان صنيعه عليه السلام مستتبع لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الراس عن هرم بن حيان انه قيل له حين الاحتضار اوص قال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة الاسرى مائة احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الاسراء

سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينا وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما في زيد المعارك او حاتم طي وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله الخ وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح اي واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لافادة قلة زمان الاسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء دلالة على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد

بتمحضه عليه السلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة المضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف في مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل هو دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه الصلوة والسلام كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عليه السلام لتمنعه خشية ان يكذبه قال عليه السلام وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر هذه والله قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله انى يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس رضي الله عنه والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معوية رضي الله عنه انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض التي من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولولاه لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة الى المسجد الاقصى اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية التنزيه والتعجب ما لا يخفى الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام لنريه غاية للاسراء من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقواله عليه السلام البصير بافعاله بلا اذن ولا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عليه السلام ورفع منزلته والا فالاحاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة وآتينا موسى الكتاب اي التوراة وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى قبول السامعين اي آتيناه التوراة بعدما اسرينا به الى الطور وجعلناه اي ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون به في مطاويه ان لا تتخذوا على ان لا تتخذوا نحو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا تتخذوا من دوني وكيلا اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي والمراد تاكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام او على انه احد مفعولي لا تتخذوا او بدل الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغاددة وقرئ ذرية بكسر الذال انه اي ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفر وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا اي اتممنا واحكمنا منزلين الى بني اسرائيل او موحين اليهم في الكتاب اي في التوراة فان الانزال والوحي الى موسى عليه السلام انزال ووحي اليهم لتفسدن في الارض جواب قسم

محذوف ويجوز جرآء القضاء المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن **مرتين** مصدر والعامل فيه من
غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التورية وقتل شعيا عليه السلام وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية
قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام **ولتعلن علوا كبيرا** لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه او لتغلبن الناس
بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحدود **فاذا جاء وعد اولاهما** اى اولى كرتي الافساد اى حان
وقت حلول العقاب الموعود **بعثنا عليكم** لمواخذتكم بجناياتكم **عبادا لنا** وقرئ عبيدا لنا **اولى باس شديد** ذوى قوة
وبطش في الحروب هم سنجاريب من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت **فجاسوا**
اى ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا **خلال الديار** في اوساطها للقتل والغارة
وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك
من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية **وكان** ذلك **وعدا مفعولا** لا محالة بحيث لا صارف
عنه ولا مبدل **ثم رددنا لكم الكرة** اى الدولة والغلبة عليهم على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم
ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اساراهم واموالهم ورجوع
الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسف القى الله تعالى في قلبه
الشفقة عليهم فرد اساراهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر
وقيل هي قتل داود عليه السلام بجالوت **وامددناكم باموال** كثيرة بعد ما نهبت اموالكم **وبنين** بعد ما سبيت اولادكم
وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون
للذهاب الى العدو كالعبيد والمعيز **ان احسنتم** اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اى عملتموها
على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في انفسها او ان فعلتم الاحسان **احسنتم لانفسكم**
لان ثوابها لها **وان اساتم** اعمالكم بان عملتموها على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتي او فعلتم الاساءة **فلها** اذ عليها
وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها **فاذا جاء وعد الاخرة** حان وقت ما وعد من
عقوبة المرة الآخرة **ليسوءوا وجوهكم** متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اى بعثناهم ليسوءوا ومعنى ليسوءوا
وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على
ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ
لنسوءن بالنون الخفيفة وليسوءن واللام في قوله تعالى **وليدخلوا المسجد** عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به
كما دخلوه اول مرة اى في اول مرة **وليتبروا** اى يهلكوا **ما علوا** ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم **تتبيرا** فظيعا
لا يوصف بان سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل
جردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا
فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه
دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك
من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ **عسى ربكم ان يرحمكم** بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم
عليه من المعاصي **وان عدتم** الى ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى **عدنا** الى العقوبة بكم ولقد عادوا فاعاد الله سبحانه
عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا
فبعث الله تعالى عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اى محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير
وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم لتسجيل على كفرهم بالعود وذمهم بذلك واشعارا بعلة الحكم **ان هذا
القرآن** الذي آتيناكه **يهدي** اى الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم ككتاب الذي آتيناه موسى **للتي**
للطريقة التي **هي اقوم** اى اقوم الطرائق واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد
التعميم لها وللحالة والخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية
ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي اليها من يتمسك به
لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين **ويبشر المؤمنين** بما في تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ
بالتخفيف **الذين يعملون الصالحات** التي شرحت فيه **ان لهم** اى بان لهم بمقابلة تلك الاعمال **اجرا كبيرا** بحسب الذات
وبحسب التضعيف عشر مرات فصاعدا **وان الذين لا يؤمنون بالآخرة** واحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب
والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة التناسب بين
اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله عز وجل **اعتدنا لهم عذابا اليما** وهو عذاب جهنم اى اعتدنا لهم فيما كفروا

به

به وانكروا وجوده من الآخرة **عذابا اليما** وهو ابلغ في الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع وافجع والجملة
معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجازا مطلق الاخبار
المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز كون
التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم وقوله تعالى **ويدع الانسان بالشر** بيان لحال
المهدي اثر بيان حال الهادي واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكي
عنه حاله في بعض احيانه فالمعنى على الاول ان القرآن يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير و
يحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الاليم وهو اى بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من
العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكي عنهم واما باعمالهم
السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم **دعاءه بالخير** اى مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا
فانه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز الى انه اللائق بحاله **وكان الانسان** اى من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده
عجولا يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة
ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على اعمالهم يحمل العجولية على اللجاج والتمادي في استيجاب العذاب بتلك
الاعمال وعلى الثاني ان القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو في بعض احيانه كما عند الغضب يدعو ويدعو
الله تعالى لنفسه واهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى الى ان يزول عنه ما
يعتريه روي انه عليه السلام دفع الى سودة اسيرا فارخت كتافه رحمة لانينه بالليل من الم القد فهرب فلما اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال عليه السلام اني سالت الله ان
يجعل دعائي على من لا يستحق من اهلي عذابا رحمة او يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير مستبصر
لا يتدبر في اموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه **وجعلنا الليل والنهار
آيتين** شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي
كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل
وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك
الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو ان الليلة اضيفت الى
ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتب غاية آية النهار عليها بلا واسطة اى جعلنا الملوين
بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول آيتين تدلان على ان لهما
صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدى اليه القرآن الكريم من ملة الاسلام والتوحيد **فمحونا آية الليل**
الاضافة اما بيانية كما في اضافة العدد الى المعدود اى محونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة
السابقة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل ابداعها على ذلك كما في قولهم سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل اى انشاهما كذلك والفاء تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل
عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته **وجعلنا آية النهار** اى الآية التي هي النهار على
نحو ما مر **مبصرة** مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره فبصر واما حقيقية
وآية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر اما خلقه مطموس النور في نفسه فالفاء كما ذكر واما نقص ما استفاده من
الشمس شيئا فشيئا الى المحاق على ما هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات
اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة **لتبتغوا** متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما اشير اليه اى وجعلناها
مضيئة لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار **فضلا من ربكم** اى رزقا اذ لا يتسنى ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق
بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على انه ليس
للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم
الربوبية **ولتعلموا** متعلق بكلا الفعلين اعني محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك
بانفراده مدارا للعلم المذكور اى لتعلموا بتفاوت الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما
او حركاتهما واوضاعهما وسائر احوالهما **عدد السنين** التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية
والحساب اى الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات اى الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما نيط به شيء من
المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وانما الذي تعلق به العد طائفة منها وتعلقه
في ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر قد يحصل كل

واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطايفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطايفة المعدودة بعدها اى يعينها من غير ان يعتبر فى ذلك تحصل شئ معين وتحقيقه ما مر فى سورة يونس من ان الحساب احصاء ماله كمية منفصلة بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطايفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرير امثاله من غير ان يتحصل منه شئ كذلك ولما ان السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليها العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمآت والالوف اعتبارى لا يجدى فى تحصل المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب ما فى تضاعيف السنين من الاوقات اولان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلا اولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شئ آخر منه حسبما ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب اولان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم فى مقام الامتنان والله سبحانه اعلم وكل شئ تفتقرون اليه فى المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا اى بيناه فى القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ فظهر كونه هاديا للتى هى اقوم ظهورا بينا وكل انسان مكلف الزمناه طايره اى عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كانه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له فى القسمة الازلية الواقعة حسب استحقاقه فى العلم الازلى من قولهم طار له سهم كذا فى عنقه تصويرا لشدة اللزوم وكمال الارتباط اى الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرى بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقد قرى بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطاير كما فى قراءة يخرج من الخروج يوم القيمة والبعث للحساب كتابا مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءة بين الاولين او حال من المفعول المحذوف الراجع الى الطاير وعلى الاخيرتين حال من المستتر فى الفعل من ضمير الطاير يلقاه اى يلقى الانسان او يلقاه الانسان منشورا وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثانى حال منها وقرى يلقاه من لقيته كذا اى يلقى الانسان اياه عن الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيمة اقرأ كتابك اى قايلين ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن فى الدنيا قاريا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث منه فى جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة فى الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوى فيزول الغطا وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شئ عمله فى مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اى كفى نفسك والباء زايدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى وضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال او لانه مبنى على تأويل النفس بالشخص على انها عبارة عن نفس الذكر كقول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور ۞ فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكير من اهتدى فانما يهتدى لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرايق ولزوم الاعمال لاصحابها اى من اهتدى بهدايته وعمل بما فى تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد ومن ضل عن الطريقة التى يهديه اليها فانما يضل عليها اى فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تأكيد للجملة الثانية اى لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى عز وجل وكل انسان الزمناه طايره فى عنقه واما ما يرى عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنة وتضرره بسيئة فهو فى الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئة فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملها العامل لازم له وانما يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال لا جزاء الضلال وانما خص التأكيد بالجملة

الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم وما كنا معذبين بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدى من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اى وما صح وما استقام منا بل استحال فى سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان فى حكمنا الماضى وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل حتى نبعث اليهم رسولا يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرايع حسبما فى تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفى اما عذاب الاستيصال كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدى رحمه الله وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوى والاخروى وهو من افراده واياما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه فى وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروى لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوى ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية بيان لكيفية وقوع العذاب بعد البعثة التى جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد فى وقته المقدر له اذ لا يقارنها الجزاء الآتى بل دنو وقتها كما فى قوله تعالى اتى امر الله اى واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكر من عذاب الاستيصال الذى بينا انه لا يصح ما قبل البعثة او بنوع مما ذكر ما شأنه من مطلق العذاب اعنى عذاب الاستيصال لما لهم من الظلم والمعاصى دنوا تقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين امرنا بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها وجباريها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول فى الخطاب والباقى اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمامور به لظهور ان المراد به الحق والخير لان الله لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدى اليه واما لان المراد وجد منا الامر كما يقال فلان يعطى ويمنع ففسقوا فيها اى خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليها القول اى كلمة العذاب السابق بحلوله وبظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها فدمرناها بتدمير اهلها تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشئ فامر اى كثرته فكثر وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا وامرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلنا من الامارة اى جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة ابطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقيا بان يعتز عنه بالامر به وكم اهلكنا اى وكثيرا ما اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم وهى عشرون او ثلثون او اربعون او ثمانون او مائة وقد ايد ذلك بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال تعش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرون من بعد نوح من بعد زمنه عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم فى القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قومه عليه السلام فى تلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكره عليه السلام رمز الى ذكرهم وكفى بربك اى كفى ربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التى هى مبادى الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه من كان يريد باعماله التى يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثانى اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير ان يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان مع ما فيه من الاقتصار على مطلق الارادة فى قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد الحياة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب بقوله تعالى عجلنا له فيها اى فى تلك العاجلة فان الحياة واستمرارها من جملة ما عجل فالانسب بذلك كلمة من كما فى قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء اى ما نشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير فى له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرى لمن يشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشية والارادة لما ان الحكمة التى عليها يدور فلك التكوين لا يقتضى وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما ترى من قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل موئل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق القول فيه فى سورة هود بفضل الله تعالى ثم جعلنا له

سكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من اصناف العذاب يصليها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم او استئناف مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما تقدم ان السورة مكية سوى آيات معينة ومن اراد بأعماله الآخرة الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امر به والانتهاء عما نهي عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فاولئك اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك الجامعون لما مر من الخصال الحميدة من ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بان العمدة فيها هي كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيق بالاسعاد فقط نمد اي نزيده مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا الآجلة المشار اليها بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما يقتضيه عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما لها من العنوان لا للذات فقط كالاضمار وفيه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الاخير وتاكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر لاظهار مزيد الاعتناء بشأنه واشعارا بعليته للحكم وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا من احد يريد به هو فائض على من قدر له بموجب المشية المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم المحظورية انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية و المراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الاخرى اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددنا من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وظالع وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى وللآخرة اكبر اي هي وما فيها اكبر من الدنيا وقوله اكبر درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط وبحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم بها وقصور هممهم عليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثاني ارادة وقصدا مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاء ربك الدنيوي محظورا من احد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول لتحقيق شمول الامداد له كما يفعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه فيقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن ابهام اختصاصه لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه اي تعجز عنه مذموما مخذولا خبران او حالان اي جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك اي امر امرا مقطوعا به وقرئ واوصى ربك ووصى ربك ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه على ان ان مصدرية ولا نافية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة وبالوالدين اي وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التأخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعله تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده

[illegible] وما كان عطاء ربك محظورا

مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهي كل احد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام فلا تقل لهما اف اي لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع اف وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون اي لا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص من ذلك بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشأنه فقيل ولا تنهرهما اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما ذا كرم او هو وصف له بوصف صاحبه اي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه كدأب ابراهيم عليه السلام اذ قال لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وديدن الدعار وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمتهما او ذويهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه واخفض لهما جناح الذل عبارة عن الاتيان بالجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعتزازهما لا يكون الا بذلك كما قيل واخفض لهما جناح الذل وجعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للقر زماما وللشمال يدا تشبيها له بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها واما جعل خفض الجناح عبارة ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك كونهما كافرين كما ربياني الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما لي او مثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية كانه قيل رب ارحمهما ورباهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز ان تكون الكاف للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معا وضيق الامر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيت حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وروي ان شيخا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها فانشدها الشيخ فقال غذوتك مولودا وعلتك يافعا تعل بما احني عليك وتنهل اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت لسقمك الا ساهرا اتململ كأني انا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني وعيني تهمل فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيك اؤمل جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك انت المنعم المتفضل فليتك اذ لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر والعقوق ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد فانه تعالى كان للاوابين اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر غفورا لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب اندراجا اوليا وآت ذا القربى حقه توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى والمسكين وابن السبيل فان المأمور به في حقهما المواساة المالية لا محالة اي وآت هؤلاء حقهم مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية ولا تبذر تبذيرا نهي عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق البذر كيفما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الاكثار في صرفه اليهم والا لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط وكلاهما مذموم ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير

اى كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اى كانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير
والصرف فى المعاصى فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم فى السمعة وسائر ما لا خير فيه من
المناهى والملاهى او المقارنة اى قرناءهم فى النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا من تتمة التعليل اى مبالغا فى
كفران نعمة تعالى لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هى له من انواع المعاصى
والافساد فى الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى
به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين الاوصاف القبيحة للايذان بان التبذير الذى هو عبارة عن صرف نعم الله
تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذى هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هى له والتعرض لوصف
الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعى الى شكرها غاية الكفران و
نهاية الضلال والطغيان واما تعرضن عنهم اى ان اعتراك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين ابتغاء رحمة
من ربك اى لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء ترجوها من الله تعالى
لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل
لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته عليه السلام فقيل فقل لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر
الامر نحو سعد او قل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم بيسر عليهم فقرهم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد وكلا
طرفى قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارنا له معلوما من اول الامر روعى ذلك فى التصوير باقبح الصور
ولما كان غائلة الاسراف فى اخره بين قبحه فى اثره فقيل فتقعد ملوما اى فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس
وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت محسورا نادما او منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ
منه وقيل ان انه روى عن جابر رحمه الله انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ اتاه صبى فقال ان
امى تستكسيك درعا فقال عليه السلام من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امى تستكسيك
الدرع الذى عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج
الى الصلوة فنزلت فيا باه ان السورة مكية خلا آيات فى آخرها وكذا ما قيل انه عليه السلام اعطى الاقرع بن حابس
مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزارى فجاء عباس بن مرداس فانشأ يقول اتجعل نهبى ونهب العبيد
بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم
لم يرفع فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عنى اعطه مائة من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب
فنزلت ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تعليل لما مر اى يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما تتعلق به
مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضافة التى تحوجك الى الاعراض عن السائلين او نفاد ما فى يدك
اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا تعليل لما سبق اى يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم
ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر الذى بيده خزائن السموات
والارض واما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا
كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه
وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اى مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة
الفقر فنهوا عن ذلك نحن نرزقهم واياكم لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان
لرزقهم وتعليل للنهى المذكور بابطال موجبه فى زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع فى
سورة الانعام للاشعار باصالتهم فى افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك
قيل من املاق وههنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينقص من
رزقكم شئ فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا تعليل آخر ببيان ان
المنهى عنه فى نفسه منكر عظيم والخطاء الاثم والاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين
بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها
كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما
سبق ومجئ من القتل للمبالغة فى النهى عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهى عنه بين النهى عن
قتل الاولاد والنهى عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من
لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا اى بئس طريقا طريقه
غصب الابضاع المؤدى الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم

اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على راسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه السلام لا يزنى الزانى حين يزنى وهو
مؤمن وعن حذيفة رضى الله عنه انه قال عليه السلام واياكم والزنى فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلث فى الآخرة
فاما التى فى الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التى فى الاخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود
فى النار ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا
بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اى لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وملتبسين
او ملتبسة بشئ من الاشياء ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اى لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل
مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته بغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من
له القصاص يقتص له ولا يفيده قول الولى انا امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلى امره من الوارث
او السلطان عند عدم الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل بواخذه بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه
جنايته او حجة غالبة فلا يسرف وقرئ لا تسرف فى القتل اى لا يسرف الولى فى امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان تزيد
عليه المثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل
القاتل فى مادة الدية وقرئ بصيغة النفى مبالغة فى افادة معنى النهى انه كان منصورا تعليل للنهى والضمير للولى
على معنى انه تعالى نصره بان اوجب له القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته فى استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا
يستزد عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما على معنى انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه فى شانه
او للذى يقتله الولى ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد ان الضمير فى لا يسرف للقاتل الاول ويعضده
قراءة فلا تسرفوا والضميران فى التعليل عايدان الى الولى والمقتول فالمراد بالاسراف اسراف القاتل على نفسه بتعريضها
للهلاك العاجل والآجل لا الاسراف او تجاوز الحد فى القتل اى لا يسرف على نفسه فى شان القتل كما فى قوله تعالى قل
يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم ولا تقربوا مال اليتيم نهى عن قربانه لما ذكر من المبالغة فى النهى عن التعرض له ومن افضاء
ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله تعالى الا بالتى هى احسن اى الا بالخصلة والطريقة التى هى احسن الخصال والطرائق
وهى حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور
فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام
بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسى كايفاء الكيل والوزن ان العهد
اظهر فى مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود كان مسئولا
اى مسئولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا فى اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود
فيه ونظيره ما فى قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا
فى الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفى بك تبكيتا للناكث كما يقال
للموؤدة باى ذنب قتلت واوفوا الكيل اى اتموه ولا تخسروه اذا كلتم اى وقت كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك
لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس
يستوفون الآية وزنوا بالقسطاس هو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا كان او كبيرا رومى معرب ولا يقدح ذلك فى
عربية القرآن لانتظام المعربات فى سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف المستقيم اى العدل السوى ولعل الاكتفاء
باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف
مع استقامة الآلة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر
بتعديله ايضا فى قوله اوفوا المكيال والميزان بالقسط ذلك اى ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوى خير فى الدنيا
اذ هو امانة توجب الرغبة فى معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تأويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما
يؤل اليه ولا تقف ولا تتبع من قفا اثره اى تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اى قفاه ومنه القافة فى جمع القائف
ما ليس لك به علم اى لا تكن فى اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدرى انه يوصله الى مقصده واحتج
به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا
المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا
مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى فى ردغة الخبال حتى ياتى بالمخرج ومنه قول الكميت ولا ارمى البرئ بغير ذنب
ولا اقفو الحواصن ان رمينا ان السمع والبصر والفؤاد وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك
اى كل واحد من تلك الاعضاء فاجرت مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولاء
وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذى يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا اى كان كل من تلك الاعضاء مسئولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى

كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسئولا وقيل الجار
والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسئولا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدا وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما
يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا وجوز ان يكون من
باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجواز ان
يكون مسئولا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وما قاله ابن
جني انا على عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغب بمعنى يفعل
الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي
كان صاحبه عنه مسئولا او مسئولا صاحبه ولا تمش في الارض التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا
يليق بالمرح مرحا تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر
انك لن تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اي لن تخرق
الارض بدوسك وشدة وطاتك وقرئ بضم الراء ولن تبلغ الجبال التي هي بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن لك ان تتكبر عليها
اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع راسه ومشيه
على صدور قدميه كل ذلك اشارة الى ما علم في تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين كان
سيئه الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة عند ربك مكروها مبغضا غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير
مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف
ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه
الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط
وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل
وآية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة
لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او يجري على موصوف مذكر اي امرا مكروها او يجري مجرى الاسماء زال
عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ شانه
ذلك اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة مما اوحى اليك ربك اي بعض منه او من جنسه من الحكمة التي هي علم
الشرائع او معرفة الحق لذاته والعمل به او من الاحكام المحكمة التي لا تتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي
الله عنه ان هذه الآيات الثماني عشرة آيات في التوراة ومن اما متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما
بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره المحذوف في الصلة اي كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار
ولا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر
للتنبيه على ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه وانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وان بذ فيها
اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذموما
مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى فقيل فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا
من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جري على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة
ياخذها آخذ بكفه فيطرحها في التنور افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا خطاب للقائلين بان الملائكة بنات الله
سبحانه والاصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور اي افضلكم على جنابه فخصكم
بافضل الاولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات
ولكم البنون وفي قصد ههنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد النكير وتاكيده واشير بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد
الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله
تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه
قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث تجعلونه تعالى
من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون
من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق بالانوثة التي هي
اخس اوصاف الحيوان فيا لها من ضلالة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا
القران على وجوه من التصريف في مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه
ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكى للسامعين هناتهم
وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القران ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة

الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيبها نصلي
وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من آثار القران ونتائجها وما يزيدهم
اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المودي الى معرفة بطلان
ما هم عليه من القبائح قل في اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان معه تعالى الهة كما يقولون اي المشركون قاطبة
وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اي كونا مشابها
لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للو اي لطلبوا الى ذي
العرش اي الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض
على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر الانسب لقوله سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه
محذور عظيم من حيث لا يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا مما يلزمهم
من حيث لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه راسا تنزه بذاته تنزها حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي
ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات علوا تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وانه
سبحانه في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه من ان له تعالى شركاء واولادا في ابعد مراتب العدم اعني
الامتناع لا لانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع
بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وان يكون معه آلهة ولا ريب في ان ذلك ليس بداخل
في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من من شانه ذلك تسبح
بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت له السموات السبع والارض ومن فيهن من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح
معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وان من شيء من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا
الا يسبح ملتبسا بحمده اي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق الحدوث
اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة
ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني
للمفعول من باب التفعيل انه كان حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض
عن التدبر في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرات
القران الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع جعلنا
بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم
بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا
بالايمان به في القران وتمهيدا لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك
على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تتبعون الا رجلا
مسحورا وحمل الحجاب على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل
امراة ابي لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول
الله لقد اقبلت هذه واخاف ان تراك فقال عليه السلام انها لن تراني وقرا قرانا فوقفت على ابي بكر رضي الله عنه ولم تر
رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل
مفعم او مستورا عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا في نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا حيث لا يدرون انهم
لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان ان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه او منعوا
لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يقفوا على كنهه ويعرفوا انه من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من
سماعه اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القران
الكريم ومج اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال اثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وايذانا
بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذا
ابلغ من حالهم السابق لا لحكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا
وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه في حق القران والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف
مانعة من التصديق والايمان ككون القران سحرا وشعرا واساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار
بان هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم
المقام واذا ذكرت ربك في القران وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحدا

ولوا على ادبارهم اى هربوا ونفروا نفورا او ولوا نافرين نحن اعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو والاستخفاف و
الهزء بك وبالقران يروى انه كان يقوم عن يمينه عليه السلام رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون
ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفايدته تاكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم
يتعلق به العلم لان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل
بما به التناجى المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذى يستمعون به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذى
يتناجون به فيما بينهم اوالاول ظرف ليستمعون والثانى ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم
من غير تاخير وبما به التناجى وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اى ذووا نجوى او هو جمع نجى
كقتلى جمع قتيل اى متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذهم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما
وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم فى ذلك ظالمون مجاوزون للحد اى يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم
ان تتبعون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون باللغو والهزء الا رجلا مسحورا اى سحر فجن او رجلا
ذا سحر اى رئة يتنفس اى بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال اى مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا فى جميع
ذلك عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب فى بطلانه
احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا
استفهام انكارى مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحى ويبوسة
الرميم من التنافى كان استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ فى دقه وتفتيته
وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى
ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده
بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار
للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له وتكرير الهمزة فى قولهم ائنا لتاكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار
لا لانكار التاكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله تعالى افلا تعقلون
ونظائره على راى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم
كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية
ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال
ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريبا
لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم اى يعظم عندكم من قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة
بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة
والمباينة قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذى اى يعيدكم القادر العظيم
الذى فطركم اخترعكم اول مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحياة اليس الذى
يقدر على ذلك بقادر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شئ قدير فسينغضون اليك رؤسهم
اى سيحركونها نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اى ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك
قريبا نصب على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اى ان يقع فى زمان قريب ومحل ان مع ما فى حيزها اما نصب
على انه خبر لعسى وهى ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اى عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث
يقع فى زمان قريب او رفع على انه فاعل لعسى وهى تامة اى عسى كونه قريبا او وقوعه فى زمان قريب يوم يدعوكم
منصوب بفعل مضمر اى اذكروا او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او يكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من
يجوز اعمال الناقصة فى الظروف او بضمير المصدر المستكن فى عسى او يكون اعنى البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر
كما فى قول زهير وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده
من الجار فتستجيبون اى يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة التأتى
وبان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجواب بحمده حال من ضمير تستجيبون اى منقادين له حامدين لما فعل
بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها وتظنون عطف على
تستجيبون اى تظنون عند ما ترون ما ترون من الامور الهائلة ان لبثتم اى ما لبثتم فى القبور الا قليلا كالذى
مر على قرية او ما لبثتم فى الدنيا وقل لعبادى اى المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التى اى الكلمة التى هى
احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اى يفسد ويهيج
الشر والمراء ويغرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والمشارة والمعادة والمضارة فلعل ذلك يؤدى الى تأكيد

العناد وتمادى الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرى بكسر الزاى ان الشيطان كان قدما للانسان عدوا مبينا
ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشأ
يعذبكم بالاماتة على الكفر وهذا تفسير للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا
تصرحوا بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان
وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه رجل
فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هى احسن
ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربك اعلم بمن فى السموات والارض وتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التى
بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد
ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من
فى السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من فى الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرى عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع وآتينا
داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عليه السلام فان ذلك بايتاء الزبور لا بايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبى صلى
الله عليه وسلم فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة فى الزبور وان المراد بعباد الله الصالحين فى قوله تعالى ان
الارض يرثها عبادى الصالحون هو النبى صلى الله عليه وسلم وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه فى الاصل فعول
بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول واما لان المراد آتينا داود زبورا من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره
صلى الله عليه وسلم وقرى بضم الزاى على انه جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه تعالى من الملائكة
والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا اى ولا
تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون اى اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لانفسهم
الى ربهم ومالك امرهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون واى موصولة اى يبتغى
من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه
تعالى بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كدأب سائر العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن
الالهية ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالى و
يخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية
بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم
السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة اى ما من قرية من قرى الكفار
الا نحن مهلكوها اى مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك
وفى صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك
يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اى معذبوا اهلها على
الاسناد المجازى عذابا شديدا لا بالقتل والسبى ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات
الاخروية ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من القرى العاتية
العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك الذى ذكر من الاهلاك والتعذيب فى الكتاب اى اللوح المحفوظ
مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شئ الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك
للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتاب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها اما مكة فيخربها
الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها
ضروب ثم ذكر بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمرو الدانى فى كتاب الفتن انه روى عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة
من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى
تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدى رجل من بنى هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج و
خراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع و
خراب الكوفة من قبل عدوهم ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل
العراق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الرى من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب
التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل
الجوع وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه

العمري من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده السباق ولا السياق **وما منعنا ان نرسل بالآيات** اي الآيات
التي اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك **الا ان كذب بها الاولون** استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي
وما منعنا ارسالها شيء من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وان كان مشيئته
المبنية على الحكم البالغة لا لمنع مانع عن ذلك من التكذيب او غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة
استتباعه لاستيصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائه
الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا للارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعي
للاستيصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تاخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوهم من
ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعمه من عدم
ارادته تعالى لتاييده عليه السلام بالمعجزات وهو السر في اسناد الارسال على الاسناء لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات
الى النزول لولا ان تمسكها يد التقدير واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين
كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج و
للايذان بان مدار عدم الاجابة الى ايتاء مقترحهم ليس الا صنيعهم **وآتينا ثمود الناقة** عطف على ما يفصح عنه النظم
الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوا
وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة **مبصرة** على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار او بصائر يبصرها الناس او اسند اليها حال
من شاهدها مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد
وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدا محذوف **فظلموا بها** فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر
بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر او ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان
ثمود عرب مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا ولانها من جهة
انها حيوان اخرج من الحجر اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا **وما نرسل بالآيات** المقترحة
الا تخويفا لمن ارسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل
للجملة من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا ما نرسل بالآيات التي هي
من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل **واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس** اي علما كما نقله الامام الثعلبي
عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه شيء من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى **وما جعلنا الرؤيا**
التي اريناك الا فتنة للناس الى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات لاشتراك
الكل في كونها امورا خارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم ببعضها مستلزم
لتكذيب الباقي كما ان تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها
وبين الرؤية او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناك عيانا مع كونها آية
عظيمة وآية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم **والشجرة**
الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لعن طاعميها على الاسناد المجازي او ابعادها عن الرحمة فانها تنبت
في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة اي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم
يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون
النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل تلقى في النار فلا
تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك **ونخوفهم**
بذلك وبنظائرها من الآيات فان الكل للتخويف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار **فما يزيدهم**
التخويف **الا طغيانا كبيرا** متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما
فعل باشياعهم وقد قضينا بتاخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم
الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من
عدم الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون
لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكانه قيل اذكر
وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد احاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو
يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به من تبليغ الرسالة الا ترى ان الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها
فتنة للناس مورثة للشبهة مع انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد فسر الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر

وانما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في اخباره واولنا الرؤيا بما عسى رآه عليه السلام في المنام
من مصارعهم لما روي انه عليه السلام لما ورد ماء بدر قال والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض هذا
مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منه وبما رآه عليه السلام انه سيدخل مكة واخبر
به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم و
كذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس
بذلك واقعا بعد الهجرة وان يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا ما رآه عليه السلام
في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في ان تلك الرؤيا مع
وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس **واذ قلنا للملائكة** تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال و
الطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب و
يرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ويعلم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام
في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر اي واذكر وقت
قولنا لهم **اسجدوا لآدم** تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك **فسجدوا** له من غير تلعثم امتثالا بالامر واداء لحقه
عليه السلام **الا ابليس** وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود **قال** اي عندما وبخ بقوله عز سلطانه
يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما
اشير اليه في سورة الحجر **أأسجد** وانا مخلوق من العنصر العالي **لمن خلقت طينا** نصب على نزع الخافض اي من طين او حال
من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او من نفس الموصول اي أأسجد له واصله طين والتعبير عنه عليه السلام بالموصول
لتعليل انكاره بما في حيز الصلة **قال** اي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع
على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال
بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد
قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون **أرأيتك هذا الذي كرمت علي** الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب
وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود
له وقيل هذا مبتدا حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اي اخبرني اهذا
من كرمته علي وقيل معنى أرأيتك أتأملت كان المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه **لئن اخرتن** حيا **الى يوم القيمة**
كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه قوله **لأحتنكن ذريته** اي لاستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها
اكلا او لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا
تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب له تلقيا من جهة الملائكة
عليهم السلام او استنباطا من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او توسما من خلقه **الا قليلا** منهم وهم
المخلصون الذين عصمهم الله تعالى **قال اذهب** اي امض لشانك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له
نفسه **فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم** اي جزاؤك وجزاؤهم تغليب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا
اي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي وفر وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى
تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا **واستفزز** اي استخف **من استطعت منهم** ان تستفزه **بصوتك** بدعائك
الى الفساد **واجلب عليهم** اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح **بخيلك ورجلك** اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من
اهل العيث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب
يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل ابليس والخيل
الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة
حفص على انه فعل بمعنى فاعل ككتب وتاعب وبضمه مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما اي جمعك الراجل ليطابق الخيل
وقرئ رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار
وقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة
حتى استأصلهم **وشاركهم في الاموال** بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي **والاولاد** بالحث على
التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة
والافعال القبيحة **وعدهم** المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتاخير التوبة بتطويل الامل **وما**
يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان شان مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف

الكلام عن خطابه وبيان شانه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان
عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم وان الاضافة لثبوت الحكم في قوله تعالى ليس لك
عليهم سلطان اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى
بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية
المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذي
يزجي لكم الفلك في البحر مبتدا وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم
الفلك ويجري بها في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن
مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة
لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية انه كان بكم ازلا وابدا رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر
من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء ولابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة
الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون اي
ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة او المسيح او غيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر ببالكم احد
منهم وتدعوه لكشفه استقلالا او اشتراكا او ضل كل من تدعونه من اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على
الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد او انسعتم في كفران النعمة وكان
الانسان كفورا تعليل لما سبق من الاعراض افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم
ان يخسف بكم جانب البر الذي هو مامنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي
الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون
حاصبا ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ام امنتم
ان يعيدكم فيه في البحر واوثرت كلمة في على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة اخرى اسناد الاعادة
اليه تعالى مع ان العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة
الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته
وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه
عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا
تجدوا لكم علينا به تبيعا اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها
ولقد كرمنا بني آدم قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض
والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله
عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القرد له في ذلك مبني
على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب
والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الارض ولم
نغرقهم الماء وانت خبير بان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات اي فنون النعم
وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة
التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم من عدا الملائكة عليهم السلام تفضيلا عظيما فحق
عليهم ان يشكروا هذه النعمة ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا
يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملاء الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثني جنس الملائكة من
هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطاء والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد بها
التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة
القربة عند الله سبحانه ان قيل اي حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان استثناء الملائكة
عليهم انما هو من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه
البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا بل هم ادنى من كل
دني حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعوا
نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعو
بقلب الالف واوا على لغة من يقول في افعى افعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميره
وكل بدلا منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديرها كما في يدعى كل اناس

من

من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب
احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي ومقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي
قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام جمع ام كخف
وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال لعيسى عليه السلام وتشريف للحسنين رضي الله تعالى عنهما والستر على
اولاد الزنا فمن اوتي يومئذ من اولئك المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه ابانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا
لصاحبه وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شان
جليل واشعارا بان قراءتهم لكتبهم على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من الدلالة على البعد
للاشعار برفعة درجاتهم اي اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المزبور يقرءون كتابهم الذي اوتوه على
الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة
في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة فتيلا اي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة
والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمى
فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا
يستعمل ما اودعنا فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف الحقة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو
اعمى كذلك اي لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب الثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى
التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما واضل سبيلا اي من الاعمى
لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق
المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة
الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فاما
ان كان من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور
في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى
تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع
عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك وقيل في
قريش حيث قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وان
مخففة من المشددة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اي ان الشان
قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا
غيره لتتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته ثقيف او قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا اي لو اتبعت اهواءهم
لكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك على ما انت عليه من الحق بعصمتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة
احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في انه
عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته اذا لو قاربت
ان تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين
بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا
ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف
الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب وان كادوا الكلام فيه
كما في الاول اي كاد اهل مكة ليستفزونك اي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض اي الارض التي انت فيها وهي
ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب باعمال اذن على ان الجملة معطوفة
على جملة وان كادوا ليستفزونك خلافك اي بعدك وقد خلت الديار خلافهم كانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي
لو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته
عليه السلام وقيل نزلت الآية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام
الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عليه السلام فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم
قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدرية اي سن الله تعالى
سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولها من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم

على ما نطق به قوله عز وجل ولن تجد لسنتنا تحويلا اى تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام
اتانى جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينه
وقيل لغروبها من دلكت الشمس اذا غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتاقيت مثلها فى قولك
لثلث خلون الى غسق الليل الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلوة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار
بل اقامة كل صلوة فى وقتها الذى عين لها ببيان جبريل عليه السلام كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه عليه
السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبداء والمنتهى فى اوقات الصلوة من غير فصل بينها لما ان الانسان فيما بين هذه الاوقات
على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن
الاخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدا لها
ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق وقوله تعالى وقران الفجر اى صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول
اقم او على الاغراء قاله الزجاج وانما سميت قرانا لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة
له على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلوة الفجر لدل الامر باقامتها على
الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على تطويل القراءة فى صلوة الفجر ان قران الفجر اظهر
فى مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من
تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذى هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير
فالاية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر ومن الليل قيل هو
نصب على الاغراء اى الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغرى به حرفا ولا يجدى نفعا كون معناها التبعيض فان واو مع
ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اى قم بعض الليل فتهجد به اى
ازل والق الهجود اى النوم فان صيغة التفعل تجئ للازالة كالتحرج والتحنث والتاثم ونظايرها والضمير المجرور للقران
من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل اى تهجد فى ذلك البعض على ان الباء
بمعنى فى وقيل منصوب بتهجد اى تهجد بالقران بعض الليل على طريقة واياى فارهبون نافلة لك فريضة زائدة
على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه فى تاخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها
على وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرايض بل لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم فى الدرجات على ما قال
مجاهد والسدى فانه عليه السلام مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فيكون تطوعه زيادة فى درجاته بخلاف من
عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع فى فرايضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير
تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة زائدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القران
اى حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اى فصل
فى ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك ربك الذى يبلغك الى كمالك اللايق بك من بعد الموت الاكبر كما ابعثك
من النوم الذى هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة مقاما نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة
اذ لا بد من ان يكون العامل فى مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اى
بعثك ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الخلق وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذى اشفع فيه لامتى وعن ابن عباس رضى الله عنهما مقاما
يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلايق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك
وعن حذيفة رضى الله تعالى عنه يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه
وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجى
منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب ادخلنى اى القبر مدخل صدق اى ادخالا مرضيا واخرجنى
اى منه عند البعث مخرج صدق اى اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما وعده من البعث المقرون بالاقامة
المعهودة التى لا كرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصد
وقيل ادخاله عليه السلام مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل ما يلابسه من مكان او امر
واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلنى فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا كقوله وعضة دهر
يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اى لم يدع فلم يبق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرنى على من
يخالفنى او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته عليه السلام بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس
الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض وقل جاء الحق اى الاسلام والوحى الثابت الراسخ

وزهق الباطل اى ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كائنا ما كان
كان زهوقا اى شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة الدعاء بالسلطان النصير الذى لقنه عن ابن مسعود
رضى الله عنه انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده فى
عين واحد واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من
صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القران وقرئ ننزل من الانزال ما هو شفاء لما فى الصدور من
ادواء الريب واسقام الاوهام ورحمة للمؤمنين به العاملين فى تضاعيفه اى ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح
نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان كل القران كذلك وعن النبى صلى الله عليه
وسلم من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه فى
كل نوبة ما تستدعيه الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك ممن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء
الشافى المصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه متصف بالشفاء
لكن لا فى كل حين بل عند تنزيله وتحقق التبعيض باعتبار الشفاء الجسمانى كما فى الفاتحة وايات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه
ولا يزيد الظالمين الا خسارا اى لا يزيد القران كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للاشياء فى غير مواضعها
مع كونه فى نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا اى هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء الكفر
والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادى الاسلام فيهم وزيادتهم فى مراتب
الهلاك من حيث انهم كلما جحدوا الكفر والتكذيب بالايات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين
من الشبه والشكوك المعترية لهم فى اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة
الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القران مع انهم هم المزدادون فى ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا
لذلك وفيه تعجيب من امره حيث يكون مدارا للشفاء والهلاك واذا انعمنا على الانسان بالصحة والنعمة اعرض عن ذكرنا فضلا
عن القيام بمواجب الشكر ونأى بجانبه النأى بالجانب ان يلوى عن الشئ عطفه ويوليه عرض وجهه فهو
تاكيد للاعراض وعبارة عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل
وفى اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك كان يؤسا
شديد اليأس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر
فذو دعاء عريض ونظايره فان ذلك شان بعض اخرين منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء على القلب كما يقال
راء فى رأى واما على انه بمعنى نهض قل كل اى كل احد منكم وممن هو على خلافكم يعمل عمله على شاكلته طريقته التى تشاكل
حاله فى الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذى برأكم على هذه الطبايع المختلفة اعلم
بمن هو اهدى سبيلا اى اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسالونك عن الروح
الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذى هو مدبر البدن الانسانى ومبدا حياته روى ان اليهود قالوا لقريش
سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض
وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التورية قل الروح اظهر فى مقام الاضمار اظهارا
لكمال الاعتناء بشانه من امر ربى كلمة من بيانية والامر بمعنى الشان والاضافة للاختصاص العلمى لا الايجادى لاشتراك
الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما فى الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اى هو من جنس ما استاثر
الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التى لا يكاد يحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال
ذلك روى انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب قال عليه السلام بل نحن وانتم فقالوا ما
اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة
اقلام الاية وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينيط به
المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير فى نفسه او بالنسبة الى الانسان
او هو من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكوينى من غير تحصل من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه
ببعض مباديه وماله انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه
دائرة ادراك البشر وانما الممكن هو القدر الاجمالى المندرج تحت ما استثنى بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا المستفيد
من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل
اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التى يدور عليها معرفة ذاته واما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل
الجواب اخبارا بحدوثه اى كائن بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكوينى فمع عدم ملايمته لحال السائلين لا يساعده النظم

لبيان قلة علمهم فان ما سالوا عنه مما يفي به علمهم حينئذ وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحانى اعظم
من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القران ومعنى من امر ربى من وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولئن شئنا لنذهبن
بالذى اوحينا اليك من القران الذى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التى اوتيتموها وثبتناك عليه حين كادوا
يفتنونك عنه ولولاه لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له بما فى حيز الصلة
ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب
مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الاذهاب به المحو عن المصاحف والصدور وهو ابلغ
من الاذهاب عن ابن مسعود رضى الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلوة و
ليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه فى قلوبنا
واثبتناه فى مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف
وينزع ما فى القلوب ثم لا تجد لك به اى بالقران علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا ومحفوظا الا رحمة من ربك
فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به
فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيبا فى المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا يقدره قدره الجليل و
يفرط فى القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه
فى حفظك وغير ذلك قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شانه الجليل بل يزعمون انه من كلام
البشر لئن اجتمعت الانس والجن اى اتفقوا على ان ياتوا بمثل هذا القران المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة فى
البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لان
غيرهما قادر على المعارضة لا ياتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم ان
له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفى الاتيان بمثل ما اى لا ياتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم
العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذى ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها
لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما فى قول زهير * وان اتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالى ولا حرم
وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القران مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدى للمعارضة من كل واحد
منهم على الانفراد او من المجموع بان يتألبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قيل ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا اى فى تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر اى لا ياتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض
ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند
التظاهر فلان ينتفى عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحله
النصب على الحالية حسبما عطف عليه اى لا ياتون بمثله على كل حال مفروض ولو فى هذه الحالة المنافية لعدم الاتيان
به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة فى روم تبديل بعض اياته ببعض ولا مساغ لكون الاية تقريرا لما
قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه ونفى
الشئ انما يقرر نفى ما دونه لا نفى ما فوقه فان اصعبية الاسترداد بغير امره تعالى من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه
بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبى صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله عليه السلام ولقد صرفنا كررنا ورددنا
على انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان للناس فى هذا القران المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة
من كل مثل من كل معنى بديع هو فى الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس اوثر الاظهار
على الاضمار تاكيدا وتوضيحا الا كفورا اى الا جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متاول
بالنفى كانه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس فى ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة
سوى الكفور من الايمان والتوقف فى الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا فى عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند
ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلى وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن فى العادة وجوده ولا
يقتضى الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ بالتشديد لنا من الارض ارض مكة
ينبوعا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او يكون لك جنة اى بستان يستر اشجاره ما
تحتها من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار اى تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند
سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى
وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهى حال من السماء والكاف فى كما فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى اسقاطا مماثلا
لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تاتى بالله والملائكة قبيلا اى مقابلا كالعشير والمعاشر
او كفيلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالة هذه عليها اى والملائكة قبيلا كما حذف الخبر

فى

فى قوله * فانى وقيار بها لغريب * او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة
او ترقى فى السماء اى فى معارجها فحذف المضاف يقال رقى فى السلم وفى الدرجة ولن نؤمن لرقيك اى لاجل رقيك فيها
وحده او لن نصدق رقيك فيها حتى تنزل منها علينا كتابا فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير ان تتلقى من قبلك عن ابن
عباس رضى الله عنهما قال عبد الله بن ابى امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وتاتى
معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة
الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الايات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما
شاهدوا من المعجزات التى تخر لها صم الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد يليق بها من
مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التى تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلبك ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه سبحان
ربى وقرئ قال سبحان ربى هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور منى الرقى فى السماء ونحوه رسولا مامورا من قبل ربى بتبليغ
الرسالة من غير ان يكون لى خيرة فى الامر كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله على ايديهم حسبما يلائم حال
قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله سبحانه بشئ منها وقوله بشرا خبر كنت ورسولا صفته
وما منع الناس اى الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله اذ جاءهم الهدى اى الوحى ظرف لمنع او يؤمنوا
اى وما منعهم وقت مجئ الوحى المقرون بالمعجزات المستدعيه للايمان ان يؤمنوا بالقران وبنبوتك او ما منعهم ان
يؤمنوا وقت مجئ ما ذكر الا ان قالوا فى محل الرفع على انه فاعل منع اى الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون
رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع من الايمان
بما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها او لانه هو المانع بحسب الحال اعنى عند سماع الجواب بقوله تعالى هل
كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذى يتشبثون به من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان
بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم ملجئا الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه
مانعا منه قل لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيح للريب لو كان اى لو وجد واستقر فى الارض بدل البشر
ملائكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا فى السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقى منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة
الملكية كيف لا وهى منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع و
انما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين
الروحانى والجسمانى ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا
به وكذلك بشرا فى قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا والاول اولى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا
ما قلت وبينت لهم ما يقتضيه الحكمة فى البعثة ولم يرفعوا اليه راسا كفى بالله وحده شهيدا على انى اديت ما على من
مواجب الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه عليه السلام رسولا
باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله تعالى بينى وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا
للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا
بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهديد للكفار ومن يهد الله كلام مبتدأ يفصل ما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية
اى من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتد اليه والى ما يؤدى اليه من الثواب او المهتدى الى كل
مطلوب ومن يضلل اى يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم اوثر الجمع اعتبارا لمعنى
من كما ان الافراد فى مقابلة الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال
اولياء من دونه من دون الله تعالى اى انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية او الاخروية
او الى طريق النجاة من العذاب الذى يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع
بالجمع من انقسام الاحاد الى الاحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر يوم القيمة على
وجوههم حال من الضمير المنصوب اى كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم او مشيا فقد روى انه
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على
وجوههم عميا حال من الضمير المجرور فى الحال السابقة وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم
ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا فى الدنيا لا يستبصرون بالايات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز
ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار موفى القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم
فان ادراكاتهم بهذه المشاعر فى بعض المواطن مما لا ريب فيه ماويهم جهنم اما حال او استيناف وكذا قوله تعالى كلما خبت

زدناهم سعيرًا اى كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرق زدناهم توقدا بان
بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى
لير وها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اى ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اى بسبب انهم كفروا باياتنا
العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم
خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار ائذا كنا عظاما
ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير لفظه اى لمبعوثون بعثا جديدا او ما حال اى مخلوقين مستانفين
اولم يروا اى الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذى خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم فى الصغر على
ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف على اولم يروا
فانه فى قوة قد راوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم
ولبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه هو القيمة فابى الظالمون وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا
كفورا اى جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى خزائن رزقه التى افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل
يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتنى وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم لبخلتم خشية
الانفاق مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس فى الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه
فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه وكان الانسان قتورا مبالغا فى البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج
اليه وملاحظة العوض بما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله
وهى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر
ونتق الطور على بنى اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلث الاخيرة وياباه ان هذه الثلث لم تكن منزلة اذ ذاك وان الاوليين
لا تعلق لهما بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سال النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال
ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا
ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبل
اليهودى يده ورجله عليه السلام ولا يساعده ايضا ما ذكر ولعل جوابه عليه السلام بذلك لما انه المهم للسائل وقبوله لما
انه كان فى التورية مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحى فاسئل بنى اسرائيل وقرئ فسل
اى فقلنا له سلهم من فرعون وقلنا له ارسل معى بنى اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك
ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضى وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى فاسالهم عن تلك
الايات لتزداد يقينا وطمانينة او ليظهر صدقك اذ جاءهم متعلق بقلنا وبسال على القراءة المذكورة وباتينا او بمضمر هو
يخبروك او اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فقال له فرعون الفاء فصيحة اى فاظهر عند فرعون
ما آتيناه من الايات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد
علمت ما انزل هؤلاء يعنى الايات التى اظهرها الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما
للايذان بانه لا يقدر على ايتاء مثل هاتيك الايات العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الايات اى بينات
مكشوفات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم من ضرورة ذلك العلم للعلم
بانه عليه السلام على كمال رصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم اى لقد علمت بيقين ان
هذه الايات الباهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف تتوهم ان يحوم حولى سحر وانى لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير
مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما صرفك او هالكا ولقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان بينهما
كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلام يناخم اليقين فاراد اى فرعون ان يستفزهم اى يستخفهم ويزعجهم من
الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا
عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد اغراقهم لبنى اسرائيل اسكنوا الارض التى اراد ان يستفزكم
منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة الاخرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة اى قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم
واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى وما انزلنا
القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا
وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد اعتراء البطلان له اولا الا مر آخرا وما ارسلناك الا
مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصى من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته عليه السلام اثر تحقيق حقية انزال
القرآن وقرآنا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقراه على الناس على
مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه

الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم به لا يزيده كمالا
وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اى العلماء الذين قرؤا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا
حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وراوا فيها نعتك ونعت ما انزل
اليك اذا يتلى اى القرآن عليهم يخرون للاذقان اى يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تعالى او شكرا
لانجاز ما وعد به فى تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ به يتحقق الخرور عليها
وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما فى قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى
آمنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمانا من هو خير منكم ويجوز ان يكون
تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم
واعراضهم ويقولون فى سجودهم سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا
ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اى ان الشان هذا ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول
لتعظيم امر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم
اى القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بامر الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود
انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى فى التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان عن
ذات واحدة وان اختلفا بالاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق
والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى
مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين فى ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما فى اى
من الابهام والضمير فى له للمسمى لان التسمية له للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعو فهو حسن فوضع موضعه فله
الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه يستدعى حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى
لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلوتك اى بقراءة صلوتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك
يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها اى بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك اى بين الجهر
والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا قصدا فان خير الامور اوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه
امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب وروى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول
اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت
بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصوتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة
بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا كما تزعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير
ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك فى الملك اى الالوهية كما يقوله الثنوية
القائلون بتعداد الالهة ولم يكن له ولى من الذل ناصر ومانع فيه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها
به وفى التعرض فى اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك يتم الكمال و
القدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف
عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى الطاعة والتحميد
ينبغى ان يعترف بالقصور فى ذلك روى انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار
الف اوقية ومائتا اوقية الحمد لله سبحانه وله الكبرياء والعظمة والجبروت

سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية ● بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اى الكتاب الكامل الغنى عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من
بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ كما مر مرارا وفى وصفه
تعالى بالموصول اشعار بعلية ما فى حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور
فلك سعادة الدارين وفى التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه
السلام الى اعلى معارج العبادة وتشريف له اى تشريف واشعار بان شان الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت

سورة الكهف

الصادق في حق عيسى عليه السلام وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع أن حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى
ولم يجعل له عوجا أي شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى أو انحراف عن الدعوة إلى الحق وهو في المعاني
كالعوج في الأعيان وأما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا مع كون الجبال من الأعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك
من العوج بحاسة البصر بل إنما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به
بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل الفتح في اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر في اعوجاج غيره عينا
كان أو معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الإنذار والتبشير فيكون وصفا له
بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها أو متناهيا في الاستقامة
فيكون تأكيدا لما دل عليه نفي العوج مع إفادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لا أنه نفي
عنه العوج مع كونه من شأنه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج
تقديره جعله قيما وأما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب إذ لا فصل بين أبعاض المعطوف عليه بالمعطوف
وقرئ قيما لينذر متعلق بأنزل والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والإطلاق عن ذكر المفعول الأول
للإيذان بأن ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وأن الأول ظاهر لا حاجة إلى ذكره أي أنزل الكتاب لينذر بما فيه الذين
كفروا به بأسا أي عذابا شديدا من لدنه أي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه
بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع ويبشر بالتشديد وقرئ بالتخفيف
المؤمنين أي المصدقين به الذين يعملون الصالحات الأعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وإيثار صيغة الاستقبال
في الصلة للإشعار بتجدد الأعمال الصالحة واستمرارها وإجراء الموصول على موصوفه المذكور لما أن مدار قبول الأعمال هو
الإيمان أن لهم أي بأن لهم بمقابلة إيمانهم وأعمالهم المذكورة أجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين
حال من الضمير المجرور في لهم فيه أي في ذلك الأجر أبدا من غير انتهاء أي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين
وتقديم الإنذار على التبشير لإظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير
الإنذار بقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الإنذار السابق من مستحقي البأس
الشديد للإيذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم أي وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل
هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى
القائلون المسيح ابن الله وترك إجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للإيذان بكفاية ما
في حيز الصلة في الكفر على أقبح الوجوه وإيثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم
فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي إلى خروج سائر أصناف الكفرة عن
الإنذار والوعيد وتعميم الإنذار هناك للمؤمنين أيضا بحمله على معنى مجرد الإخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول
المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا يفضي إلى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول
البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز أن يكون الفاعل في هذه الأفعال الثلاثة ضمير الكتاب أو ضمير الرسول عليه
السلام ما لهم به أي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع على الابتداء أو الفاعلية لاعتماده الظرف ومن مزيدة
لتأكيد النفي والجملة حالية أو مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم أي ما لهم بذلك شيء من علم أصلا لا لإخلالهم بطريقة
مع تحقق المعلوم أو إمكانه بل لاستحالته في نفسه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة
أو ما لهم علم بما قالوه أهو صواب أم خطأ بل إنما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى و
خرقوا له بنين وبنات بغير علم أو بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه الآيات وهو الأنسب بقوله تعالى كبرت كلمة أي عظمت مقالتهم هذه
في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه إلى ما لا يكاد يليق بكبرياء جنابه والفاعل في كبرت إما ضمير المقالة المدلول
عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز أو ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم
محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من أفواههم وقرئ كبرت بإسكان الباء مع إشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع
تخرج من أفواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها وإسناد الخروج إليها مع أن الخارج هو الهواء
المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها إن يقولون ما يقولون في ذلك الشأن إلا كذبا إلا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت
إمكان الصدق أصلا والضمير لهم ولآبائهم مثل حاله عليه السلام في شدة الوجد على إعراض القوم وتوليهم عن الإيمان
بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه إهلاك نفسه إثر فوت ما يحبه عند مفارقة أحبته تأسفا على مفارقتهم
وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له عليه السلام على الحذر والإشفاق من ذلك فلعلك باخع أي مهلك نفسك
على آثارهم غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالإضافة إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة

بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بأن المفتوحة أي لأن لم يؤمنوا فإعمال باخع بحمله على
حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه أسفا مفعول له لباخع أي لفرط الحزن و
الغضب أو حال مما فيه الضمير أي متأسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين أجزاء
الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم إنا
جعلنا ما على الأرض استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الإشفاق أي إنا جعلنا ما عليها من غير من وجه إليه التكليف
من الزخارف حيوانا كان أو نباتا أو معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا زينة مفعول ثان للجعل إن حمل
على معنى التصيير أو حال إن حمل على معنى الإبداع واللام في لها إما متعلقة بزينة أو بمحذوف هو صفة لها أي كائنة
لها أي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فإن الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما
لعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فإن الأزواج
والأولاد أيضا من زينة الحياة الدنيا بل أعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فإنهم من جهة انتسابهم إلى
أصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا أي جعلنا
ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم أيهم أحسن عملا فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من المسيء
وامتازت طبقات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على أنظارهم وتفاوت درجات أعمالهم
المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود وأي إما استفهامية مرفوعة بالابتداء وأحسن خبرها والجملة في محل
النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك أجري مجراه بطريق التمثيل
أو الاستعارة التبعية وإما موصولة بمعنى الذي وأحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا
من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو أحسن عملا فحينئذ يحتمل أن يكون الضمة في أيهم للبناء كما في قوله عز وجل
ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا على أحد الأقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الإضافة لفظا وحذف
صدر الصلة وأن يكون للإعراب لأن ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار
بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة إلى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما
أذن له الشرع وأداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة إلى الشهوات والأغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة وأصحاب
الأهواء وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضا لا إلى
الحسن والأحسن فقط للإشعار بأن الغاية الأصلية للجعل المذكور إنما هو ظهور كمال إحسان المحسنين على ما حقق في
تفسير قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا وإنا لجاعلون فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات قاطبة
بإفنائها بالكلية وإنما أظهر في مقام الإضمار لزيادة التقرير أو لإدراج المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل و
الصعيد التراب أو وجه الأرض قال أبو عبيدة هو المستوي من الأرض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه
جرزا ترابا لا نبات فيه بعدما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الأبصار يقال أرض جرز لا نبات فيها
وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الأرض فهي مجروزة أي ذهب نباتها بقحط أو جراد ويقال جرزها الجراد والشاة
والإبل إذا أكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما
أنزلنا عليك من الكتاب فإنا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء زينة لها لنختبر أعمالهم فنجازيهم بحسبها وإنا
لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب أعمالهم أم حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد إنكار
حسبان أمته وأم منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث إلى حديث لا للإبطال وبهمزة الاستفهام عند
الجمهور وببل وحدها عند غيرهم أي بل أحسبت أن أصحاب الكهف والرقيم في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر كانوا
من آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الأرض زينة لها للحكمة المشار إليها ثم جعل ذلك كله صعيدا
جرزا كأن لم تغن بالأمس عجبا أي آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف أو وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو
خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى أن قصتهم وإن كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة إلى سائر الآيات
التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم
كلبهم قال أمية بن أبي الصلت وليس بها إلا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي أو
حجري رقمت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي أي جانبه
وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين وقيل أصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة
انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم أحسن عمله على ما فصل في الصحيحين إذ أوى ظرف لعجبا لا لحسبت أو مفعول
لاذكر أي حين التجأ الفتية أي أصحاب الكهف وإيثار الإظهار على الإضمار لتحقيق ما كانوا عليه في أنفسهم من حال الفتوة
فإنهم كانوا فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولأن صاحبية الكهف من فروع

الجابهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف بجعلهم بجلوس واتخذوه ماوى فقالوا ربنا آتنا من لدنك
من خزاين رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا او بمحذوف وقع حالاً من مفعول آتنا
قدمت عليه لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت صفة له اى آتنا كاينة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق
والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذى نحن عليه فى مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث
هيئة الشئ اى اصلح ورتب واتم لنا من امرنا رشداً اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين
متعلق بهيئ لاختلافهما فى المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة فى الموخر
بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عماهو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال
رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام فى تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا
على من امرنا للايذان من والامر يكون المسئول مرغوباً فيه لديهم او اجعل امرنا رشداً كله على ان من تجريدية مثلها
فى قولك رايت منك اسداً فضربنا على اذانهم اى انمناهم على طريقة التمثيل المبنى على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة
عن وصول الاصوات الى الاذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الاذان بالذكر مع اشتراك ساير المشاعر لها فى الحجب عن
الشعور عند النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هى الطريقة للتيقظ غالباً لاسيما عند انفراد النايم واعتزاله
عن الخلق وقيل الضرب على الاذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما فى قولهم ضرب الامير على يد الرعية
اى منعهم من التصرف مع عدم ملائمته لما سيأتى من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعاً والفاء فى فضربنا كما فى
قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين و
ذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم
فى الكهف ظرف مكان لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه عدداً اى ذوات عدد او تعد عدداً على
انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل
وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجباً من بين ساير الايات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم
بعثناهم اى ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرى بالياء مبنياً للفاعل بطريق
الالتفات وايا ما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازاً من الاظهار والتمييز او بحمله على ما يعم وقوعه غاية
للبعث الحادث من العلم الحالى الذى يتعلق به الجزاء كما فى قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظايرهما التى يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعاً فان تحويل القبلة قد ترتب
عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب على تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل
فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالى والاظهار والتمييز واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم الى المحصى و
غيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتمييز وينتظم شئ من ذلك فى سلك الغاية وانما الذى ترتب عليه
تفرقهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الربانى وليس شئ منهما من الاحصاء فى شئ بل يحمل النظم
الكريم على التمثيل المبنى على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازاً بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة
الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعاً بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله
تعالى فات بها من المغرب وهو المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اى الحزبين اى الفريقين
المختلفين فى مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتى احصى اى ضبط لما لبثوا اى للبثهم امداً اى غاية فيظهر
لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم واديانهم فيزدادوا
يقيناً بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفاً لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر
ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتى على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدى
اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الخ حسبما وقع فى تفسير قوله تعالى وليعلم الله
الذين آمنوا على احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما
يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختيار فاختبر واختر
هذا وقد قرى ليعلم مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة باى فى موقع
المفعول الثانى فقط ان جعل العلم عرفانياً وفى موقع المفعولين ان جعل يقينياً اى ليعلم الله الناس اى الحزبين احصى الخ
وروى عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان احد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك
وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية فى قولهم ابتداء
الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة
ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمها

الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين و
يجوز ان يراد بالامد معناه الوضعى بتقدير المضاف اى لزمان لبثهم وبدونه ايضاً فان اللبث عبارة عن الكون المستمر
المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية
ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو آن
انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا يخفى على احد ولا تسمى احصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة
له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد
كما حقق فى الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء فى الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة
الى السنين فهو مجموع ثلثماية وتسع سنين وفى الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعنى التاسعة بعد
الثلثماية وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما ما تعلقه به بالمعنى الثانى فباعتبار انتظامه لما تحته
من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما فى قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز ان يكون موصولة
حذف عايدها من الصلة اى الذى لبثوا فيه من الزمان الذى عبر عنه فيما قبل بسنين عدداً فالامد بمعناه الوضعى
على ما تحققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه
الموافق لما وقع فى ساير الايات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا
ماضياً يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتاخر عنه وليس كذلك وادعاء ان
مجئ افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسى مدفوع بانه عند سيبويه قياس مطلقاً وعند ابن عصفور فيما ليست همزته
للنقل ولا ريب فى ان ما نحن فيه من ذلك القبيل وامتناع عمله انما هو فى غير التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب
كونه فاعلاً فى المعنى فلما نع ان يمنعه لصحة ان يقال ايهم احفظ لهذا الشعر وزناً او تقطيعاً او يقال ان العامل فى امداً
فعل محذوف يدل عليه المذكور اى يحصى لما لبثوا امداً كما فى قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع فى المحذور
بلا فائدة مدفوع لما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظاير فمع ما فيه من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لان مؤداه
ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين وتمييزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق
له اصلاً وان المقصود بالاختبار اظهار عجز الكل عنه راساً فهو فعل ماض قطعاً وتوهم ايذانه بان غاية البعث هو العلم
بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضى باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم نحن نقص عليك شروع فى تفصيل
ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الخ اى نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه فى مطلع
سورة يوسف عليه السلام نبأهم النبأ الخبر الذى له شان وخطر بالحق صفة اما لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص
او من نبأهم او صفة له على راى من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اى نقص قصصاً ملتبساً بالحق او نقصه ملتبسين
به او نقص نبأهم ملتبساً به او نبأهم الملتبس به ونبأهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل
وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ فى ذلك وعتا عتواً كبيراً دقيانوس
فانه غلا فيه غلواً شديداً فجاس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام
وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب فى الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها
الحيوة الابدية قتله وقطع آرابه وعلقها فى سور المدينة وابوابها فلما راى الفتية ذلك وكانوا عظماء اهد مدينتهم وقيل
كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان
الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الهاً ملأ السموات
والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه احداً ولن نقر لما تدعونا اليه ابداً فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما
عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شانه وامهلهم الى رجوعه ليتاملوا فى
امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بساير المسلمين فازمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ
كل منهم من بيت ابيه شيئاً فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقى فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف النهار
ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجؤار وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس
لباس المساكين ويدخل المدينة ويشترى ما يهمهم ويتحسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى
ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها فى الاسواق وفروا
الى الجبل فلما راى يمليخا ما راى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكى ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهد من الهول ففزعوا
الى الله عز وجل وخروا له سجداً ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون فى امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على
اذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس فى طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم
فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعاً قال قايل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب

الكهف ودعهم يموتوا جوعاً وعطشاً وليكن كهفهم قبراً لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وعلا منهم انهم
فتية استئناف تحقيقى مبنى على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبى آمنوا بربهم
اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم
وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما
عليه سبك النظم سباقاً وسياقاً من التكلم وربطنا على قلوبهم اى قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر
الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ
قاموا منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على
غير ميعاد فقال اكبرهم انى لاجد فى نفسى شيئاً ان ربى رب السموات والارض فقالوا نحن ايضاً كذلك فقاموا جميعاً
فقالوا ربنا رب السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضى بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضى
ربوبيته لما فيهما اى اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدى الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام
فح يكون ما سيأتى من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعاً عما قبله صادراً عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو لن نعبد
ابداً من دونه الها معبوداً آخر لا استقلالاً ولا اشتراكاً والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين
حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق
الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذاً شططاً اى قولاً ذا شطط اى تجاوز عن الحد او قولاً هو عين
الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول
لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اى لو دعونا من دونه
الها والله لقد قلنا قولاً خارجاً عن حد العقول مفرطاً فى الظلم هؤلاء هو مبتدأ وفى اسم الاشارة تحقير لهم قومنا
عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبر وفيه معنى الانكار لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اى هلا
يأتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم
والقام للحجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً والمعنى انه اظلم من كل ظالم
وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه فى سورة هود واذ اعتزلتموهم
اى فارقتموهم فى الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسمانى وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او
مصدرية اى اذا اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير
كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم فى عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله
تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فأووا الى الكهف اى التجئوا اليه قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ
فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اى اذا اعتزلتموهم اعتزالاً اعتقادياً فاعتزلوهم اعتزالاً جسمانياً او اذا اردتم
اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك امركم من رحمته فى الدارين
ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم الذى انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقاً ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح
الميم وكسر الفاء مصدراً كالمرجع وتقديم لكم فى الموضعين لما مر مراراً من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم
والتشويق الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعدما اووا الى الكهف ولم يصرح به ايذاناً بعدم الحاجة اليه لظهور
جريانهم على موجب الامر به لكونه صادراً عن رأى صائب وتعويلاً على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى
الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم فى فجوة منه والخطاب للرسول عليه السلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب
وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اى تتزاور
تتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء فى الزاى وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزوير وكلها من الزور وهو
الميل عن كهفهم الذى اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين اى جهة ذات يمين الكهف عند توجه
الداخل الى قعره اى جانبه الذى يلى المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت اى تراها عند غروبها تقرضهم
اى تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اى جهة ذات شمال الكهف اى جانبه الذى يلى المشرق
وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم فى فجوة منه جملة حالية مبينة لكون
ذلك امراً بديعاً اى تراها تميل عنهم يميناً وشمالاً ولا تحوم حولهم مع انهم فى متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان
صرفتها عنهم يد التقدير ذلك اى ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتى الطلوع والغروب مع كونهم
فى موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه و
تعالى وهذا قبل سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شمالياً مستقبل بنات النعش واقرب المشارق و
المغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه

الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا
تقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور على كهفهم
والقرض على انفسهم فذلك ح اشارة الى ايوائهم الى كهف هذا شأنه واما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم فى
ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه لرسول الله عليه السلم على اخبارهم فلا يساعده ايراده فى تضاعيف
القصة من يهد الله الى الحق بالتوفيق له فهو المهتد الذى اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم او الشهادة لهم باصابة
المطلوب والاخبار بتحقق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرافق او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع
بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن يضلل اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه فلن تجد له ابداً وان
بالغت فى التتبع والاستقصاء ولياً ناصراً مرشداً يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده فى نفسه لا انك
لا تجده مع وجوده او امكانه وتحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها ايضاً والخطاب فيه كما فيما سبق ايقاظاً جمع يقظ
بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى
ونقلبهم وهم رقود اى نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتماداً على ذكره السابق من الضرب على آذانهم ونقلبهم
فى رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية اى جهة تلى ايمانهم وذات الشمال اى جهة تلى شمائلهم كيلا تأكل الارض ما
يليها من ابدانهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة
يوم عاشوراء وقيل فى كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوباً بمضمر ينبئ
عنه وتحسبهم اى وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مراراً فلم يرجع فانطقه الله تعالى
فقال لا تخشوا جانبى فانى احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة
كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه واختلف فى لونه فقيل كان انمر وقيل اصفر
وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل نقود وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن
معدان ليس فى الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسداً
باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائى وهشام وابى جعفر من البصريين يجوز اعماله
مطلقاً والذراع من المرفق الى رأس الاصبع الوسطى بالوصيد اى بموضع الباب من الكهف لو اطلعت عليهم اى لو عاينتهم
وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشئ بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم فراراً هرباً مما شاهدت
منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى
الفاعل اى فاراً او بجعل الفاعل مصدراً مبالغة كانه نفس الفرار واما على انه مفعول له ولملئت منهم
رعباً وقرئ بضم العين اى خوفاً يملأ الصدر ويرعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز وجل
من الهيبة والهيئة كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذى يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده
قولهم لبثنا يوماً او بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم احداً فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم فى انفسهم وقيل
لعظم اجرامهم ولعل تأخير هذا من ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما فى الترتب على الاطلاع اذ لو روعى ترتيب
الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية
لما غزا الروم فمر بالكهف قال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع
الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية فقال معاوية رضى الله عنه لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث
ناساً وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحاً فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير
وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اى كما انمناهم وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل آية دالة
على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اى ليسأل بعضهم بعضاً فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة
وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لساير
آثاره قال استئناف لبيان تساؤلهم قائل منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم فى منامكم لعله قاله لما رأى
من مخالفة حالهم لما هو المعتاد فى الجملة قالوا اى بعضهم لبثنا يوماً او بعض يوم قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف
غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوماً فلما رأوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء
على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب قالوا اى بعض آخر منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه ربكم اعلم بما
لبثتم اى انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن
الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن فى حالتين ولا يساعده النظم
الكريم فان الاستيناف فى الحكاية والخطاب فى المحكى يقضى بان الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا لقيل ثم قالوا
ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوه اعراضاً عن التعمق فى البحث واقبالاً على ما يهمهم بحسب الحال

كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة وتبر ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القايل ناولها بعض اصحابه
ليشترى بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف فى الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام و
حملهم لها دليل على ان التزود لا ينافى التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اى اهلها ازكى احل واطيب او اكثر وارخص طعاما
فليأتكم برزق منه اى من ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف فى المعاملة كيلا يغبن او فى الاستخفاء
لئلا يعرف ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعى شيوع اخباركم اى لا يفعلن ما يؤدى الى ذلك فالنهى على
الاول تأسيس وعلى الثانى تاكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهى والمبالغ فى التلطف وعدم
الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اى يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها يرجموكم ان
ثبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم فى ملتهم اى يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى
او لتعودن فى ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذى هو اشد شئ عندهم
كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدى اليه وضمير الخطاب
فى المواضع الاربعة للمبالغة فى حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح
ادخل فى القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه اكثر واوفر ولن تفلحوا اذا اى ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء
لن تفوزوا بخير ابدا لا فى الدنيا ولا فى الاخرة وفيه من التشديد فى التحذير ما لا يخفى وكذلك اى وكما انمناهم و
بعثناهم لما مر من ازديادهم فى مراتب اليقين اعثرنا اى اطلعنا الناس عليهم ليعلموا اى الذين اعثرناهم
عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اى وعده بالبعث او موعوده الذى هو البعث او ان كل وعده
او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولا اوليا حق صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد
له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اى القيمة التى هى عبارة عن وقت بعث الخلايق
جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك فى قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلثماية
سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك فى ان وعده تعالى حق وانه يبعث
من فى القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية
اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اى اعثرناهم
عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين فى
البعث فمن مقر له وجاحد به وقايل يقول ببعث الارواح دون الاجساد وآخر يقول ببعثهما معا قيل كان ملك
المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته فى البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا
وجلس على رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل فى نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب
الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روى ان المبعوث لما دخل
المدينة اخرج الدرهم ليشترى به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص
عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل
المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم
رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم فى المنام كارهين للذهب
فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا
فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه قبل بعثهم اى اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم
وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين
فالفاء فى قوله عز وجل فقالوا فصيحة اى اعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا ثم توافقوا اى قال بعضهم ابنوا عليهم
اى على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى ربهم اعلم بهم من كلام
المتنازعين كانهم لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث فى الكهف
قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه ردا لقول الخايضين فى حديثهم من اولئك المتنازعين
وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم وشانهم فى الموت والنوم حيث اختلفوا فى انهم ماتوا او ناموا كما فى اول
مرة فاذ متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا
معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضى للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق
باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس فى زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع
ممتدا يقع فى بعضه الاعثار وفى بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو
مؤخر فى الوقوع سيقولون الضمير فى الافعال الثلثة للخايضين فى قصتهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم

من

من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلثة رابعهم كلبهم اى هم ثلثة اشخاص
رابعهم اى جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا و
قرئ ثلاث بادغام الثاء فى التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما
بالغيب رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من
الضمير فى الفعلين اى راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستانف او واقع موقع
الحال من ضمير الفعلين معا اى يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة
وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقى من هذا الوحى وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه
فى سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها الا بوحى آخر كما قيل قل
تحقيقا للحق وردا على الاولين ربى اعلم اى اقوى علما بعدتهم ما يعلمهم اى ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا
عن العلم بعدتهم الا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضى الله
عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضى الله تعالى عنه انا من ذلك القليل ولو كان فى ذلك
وحى آخر لما خفى عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان للمسلمين اسوة له فى العلم بذلك وعن على كرم الله وجهه
انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش
وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى امره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس و
اسمه كفشيططيوس فلا تمار الفاء لتفريع النهى على ما قبله اى اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين
فلا تجادلهم فيهم فى شان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحى من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم
على الوجه الاجمالى وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق
ولا تستفت فيهم فى شانهم منهم من الخايضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك
وقال عطاء الا قليل من اهل الكتاب فالضماير الثلثة فى الافعال الثلثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول
الثالث وفيه تمحيص عما فى الاول من التكلف فى جعل احد الاقوال المحكية المنظومة فى سمط واحد ناشئا عن الحكاية
مع كون الآخرين بخلافه ووضوح فى سبب حذف المفعول فى لا تمار والمعنى حينئذ واذ قد وقفت على ان كلهم ليسوا
على خطاء فى ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا نطق به الوحى المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل
والنهى عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا
تراجع اليهم فى شان الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقى من الوحى
ولا تقولن لشئ اى لاجل شئ تعزم عليه انى فاعل ذلك الشئ غدا اى فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد
دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه عليه السلام
فقال ائتونى غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحى حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول
بالعبارة هو الغد وما بعده ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه فى مناط النهى فان
وسعة المجال دليل القدرة قلنا مثل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهى اى لا تقولن ذلك فى حال من الاحوال
الا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله او فى وقت من الاوقات الا وقت
ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيئة اذن فان النسيان ايضا بمشيئته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم
سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها للنهى وقيل الاستثناء جار مجرى التأبيد كانه
قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا
له اذا نسيت اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولو بعد سنة ما لم تحنث ولذلك جوز
تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا
كذب قال القرطبى هذا فى تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز
ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه او اذكر ربك وعقابه
اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك او اذكر اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى وقد حمل على اداء
الصلوة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربى اى يوفقنى لاقرب من هذا اى لشئ اقرب واظهر من نبأ
اصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتى رشدا اى ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا
ذلك حيث آتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة فى
الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسى ولبثوا فى كهفهم احياء مضروبا
على آذانهم ثلثماية سنين وازدادوا تسعا وهى جملة مستانفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل

انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثماية وروى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثماية سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل ماية سنة ثلث سنين فيكون ثلثماية وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثماية وقيل بدل وقرى على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل الله اعلم بما لبثوا اى بالزمان الذى لبثوا فيه له غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع دل بصيغة التعجب على ان شان علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حايل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفى والجلى والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذى نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى من ولى يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفى الشريك من ان يقال من ولى ولا شريك وقرى على صيغة نهى الحاضر على ان الخطاب لكل احد ولما دل انتظام القران الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم من المغيبات على انه وحى معجز امره عليه السلام على دراسته فقال واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديله وتغييره غيره ولن تجد ابدا الدهور وان بالغت في الطلب من دونه ملتحدا ملجاء تعدل اليه عند المام ملمة واصبر نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى اى دائبين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفى النهار وقرى بالغدوة على ان ادخال اللام عليها وهى علم في الاغلب على تاويل التنكير والمراد بهم فقراء المومنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعماية رجل قيل انه قال قوم من روساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالى الذين كان ريحهم ريح الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن في يدعون اى مريدين لرضاه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اى لا تجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اى جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو او لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اى صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرى ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا الى زى الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا اى تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا وهى حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثانى منها وضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن زحلوفة زل بها العينان تنهل ومن المستكن في الفعل على القرائتين الاخريين ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اى جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اى لم نسمه بالذكر عن ذكرنا كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المومنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانهماكه في الحسيات حتى خفى عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرى اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اى حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمواخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اى متقدم للخيل وهو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تودى الى اتباع الهوى المودى الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهى عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اى ما اوحى الى الحق لا غير كاينا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتى حتى يتصور فيه التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اما تمام القول المامور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا لتفريعه عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اى عقيب تحقق ان ما اوحى الحق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم من شان ان يومن به فليومن كساير المومنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم

وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المامور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يومن به او ان يصدقك فيه فليومن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد وتاكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعى الاملاء والامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدى اى قل لهم ذلك للظالمين اى هيانا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشية الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشىء في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة احاط بهم اى يحيط بهم وايثار صيغة الماضى للدلالة على التحقق سرادقها اى فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حايط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردى الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوى الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته عن النبى صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا ان الذين امنوا في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كانه قيل وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافى مالى الفريقين اى ان الذين آمنوا بالحق الذى اوحى اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هى الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اى من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيدا او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذى آمن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار استيناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اى مما رق من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر على ما هو شان المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اى الارائك مرتفقا اى متكا واضرب لهم اى للفريقين الكافر والمومن مثلا رجلين مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اى اضرب للكافرين والمومنين لا من حيث احوالهما المتفاوتة مما ذكر آنفا من ان للاولين في الاخرة كذا وللاخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله وطاعة الاخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بنى اسرايل او شريكان كافر اسمه قطروس ومومن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المومن نصيبه الى وجوه المبار فال امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بنى مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاشد ومسلم هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد زوج ام سلمة رضى الله عنها اولا جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اى جعلنا النخل محيطة بهما موزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيد الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرى بسكون الكاف وقرى كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه لم تنقص من اكلها شيئا كما يعهد ذلك في ساير البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار ياتى بالثمر في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بين كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرى بالتخفيف ولعل تاخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجى على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على السقى عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقى كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال ابن عباس رضى الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المومن وهو اى القايل يحاوره اى صاحبه المومن وان جاز العكس اى يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا واولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التى شرحت احوالها وعددها وصفاتها وهياتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احديهما بالاخرى واما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استيناف مبنى على سؤال نشا من ذكر دخوله جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك

فقيل قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة اى تفنى ابدا لطول امله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيه عن الاغترار بهما وامره بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة قائمة كائنة فيما سياتى ولئن رددت بالبعث عند قيامها كما تقوله الى ربى لاجدن يومئذ خيرا منها اى من هذه الجنة وقرئ منهما اى من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه فى الدنيا لاستحقاقه الذاتى وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك استدراج قال له صاحبه استيناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فايدتها التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه كلام معتنى بشانه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن الساعة قائمة بالذى خلقك اى فى ضمن خلق اصلك من تراب فان خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقه منه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذى منه يحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة هى مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدا متعدد ثم سواك رجلا اى عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذى نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الخ لكنا هو الله ربى اصله لكن انا وقد قرئ كذلك بحذف الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدا خبره الله ربى وتلك الجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا فى الوصل والوقف جميعا وفى الوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء ولكن بطرح انا ولكن انا لا اله الا هو ربى ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكنى مؤمن موحد ولا اشرك بربى احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك قلت اى هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول فى آن الدخول من غير ريث لا للقصر ما شاء الله اى الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة مرفوعة المحل او اى شئ شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اى هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته تعالى واقداره عن النبى صلى الله عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولى الرؤية ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدا والخبر او ما اصله المبتدا والخبر وقرئ اقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال وفى قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى ان ترنى افقر منك فانا اتوقع من صنع الله سبحانه ان يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى لاجل ايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اى مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق و مساعدة النظم الكريم فيما سياتى للاول اكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدر اريد به المفعول مبالغة اى ارضا ملساء يزلق عليها لاستيصال ما عليها من البناء والشجر والنبات او يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثانى على يرسل ماؤها غورا اى غائرا فى الارض اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع له اى للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدان ورده واحيط بثمره اهلك امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور واهلك امواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما فى المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اى فى عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق فى عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا ينالها ايدى الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره فى مثل هذا الشئ السريع الزوال وهى اى الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اى دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقى لانها حيث هلكت وهى مسندة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق فى عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اى وهو يقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك

وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما فى قوله عز وعلا يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك فى ذلك المقام وفى تلك الحال الولاية لله الحق اى النصرة له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اى لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناه الملك والسلطان اى هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتنى لم اشرك الخ كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية ونصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اى واذكر لهم ما يشبهها فى زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التى هى فى الغرابة كالمثل كماء استيناف لبيان المثل اى هى كماء انزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به اشتبك بسببه نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء فى النبات حتى روى ورف فمقتضى الظاهر فاختلط بنبات الارض وايثار ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة فى الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح ذلك النبات الملتف اثر بهجته ورفيفه هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم تغن بالامس وكان الله على كل شئ من الاشياء التى من جملتها الانشاء والافناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا بيان لشان ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحيوة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما فى الاية المحكية آنفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك من الايات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة وممد لكل احد من الآباء والبنين فى كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم فى الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو فى ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انه مسندة الى الاثنين لما انها مصدر فى الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانهما نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شئ يتزين به فى الحيوة الدنيا وقد علم شانها فى سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها التى شانها ان تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هى اعمال الخير وقيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها بعد فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا خير اى مما نعت شانه من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذى يحتاج الى التعرض له خيريتها عند ربك اى فى الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحيوة الدنيا لا لافضليتها من المال والبنين مع مشاركة الكل فى الاصل اذ لا مشاركة لهما فى الخيرية فى الآخرة ثوابا عائدة تعود الى صاحبها وخير املا حيث ينال بها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا واما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه امل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتى الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اى اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها فى الجو على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهى وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير وترى الارض اى جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول بارزة اما بروز ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وحشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضى بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذى ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل

هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك **فلم نغادر** اى لم نترك **منهم احدا** يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذى هو ترك الوفا والغدير الذى هو ما يتركه السيل فى الارض الغائرة وقرى بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما فى قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت **وعرضوا على ربك** شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر فيهم بما يأمر وفى الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عليه السلام من تربية المهابة والجرى على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى **صفا** اى غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد فى الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين فى صعيد واحد صفوفا **لقد جئتمونا** على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اى مقولا لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا فى يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع انه خاص التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض **كما خلقناكم** نعت لمصدر مقدر اى مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم **اول مرة** او حال من ضمير جئتمونا اى كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شئ مما تفتخرون به من الاموال والانصار لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم **بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا** اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اى زعمتم فى الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا تنجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل بحرف النفى بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع **ووضع الكتاب** عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التى اريد تذكيرها بتذكير وقتها واورد فيه ما اورد فى امثاله من صيغة الماضى دلالة على التقرر اى وضع صحايف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها فى ايدى اصحابها يمينا وشمالا واما فى الميزان **فترى المجرمين** قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا **مشفقين** خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب **ويقولون** عند وقوفهم على ما فى تضاعيفه نقيرا وقطميرا **يا ويلتنا** منادين لهلكتهم التى هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه اى يا ويلتنا احضرى فهذا اوان حضورك **ما لهذا الكتاب** اى اى شئ له وقوله تعالى **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها** اى حواها وضبطها جملة حالية محققة لما فى الجملة الاستفهامية من التعجب او استينافية مبنية على سؤال نشا من التعجب كانه قيل ما شانه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها **ووجدوا ما عملوا** فى الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا **حاضرا** مسطورا عتيدا **ولا يظلم ربك احدا** فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد فى عقابه المستحق فيكون اظهارا لمعدلة القلم الازلى **واذ قلنا للملائكة** اى اذكر وقت قولنا لهم **اسجدوا لآدم** سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله **فسجدوا** جميعا امتثالا بالامر **الا ابليس** فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى **كان من الجن** كلام مستانف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا **ففسق عن امر ربه** اى خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية النافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام فى سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم فى ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى **افتتخذونه** الخ فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اى اعقيب علمكم بصدور تلك القبايح عنه تتخذونه **وذريته** اى اولاده او اتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين **اولياء من دونى** فتستبدلونهم فتطيعونهم بدل طاعتى **وهم** اى والحال ان ابليس وذريته **لكم عدو** اى اعداء كما فى قوله تعالى فانهم عدو لى الا رب العالمين تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتاكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا **بئس للظالمين** اى الواضعين للشئ فى غير موضعه **بدلا** من الله سبحانه وذريته وفى الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى **ما اشهدتهم** استيناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور فى انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والفسق والعداوة اى ما احضرت ابليس وذريته **خلق السموات والارض** حيث خلقتهما قبل خلقهم **ولا خلق انفسهم** اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور حذارا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثانى الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على قوة المعنى اليه فان نفى اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذى يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصحح التولى حضور الولى خلق المتولى وحيث لا حضور

لا

لا مصحح للتولى قطعا واما نفى اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدار الانكار المذكور فى شئ على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولى الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا فى خلق المشهود فى الجملة فهو مخل بتولى المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفى الاشهاد المذكور متمحضا فى نفى الكمال المصحح للتولى عن الكل وهو المناط للانكار المذكور **وما كنت متخذ المضلين** اى متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء **عضدا** اعوانا فى شان الخلق او فى شان من شئونى حتى يتوهم شركتهم فى التولى بناء على الشركة فى بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلى الذى لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفى الاشهاد على نفى شهودهم ونفى اتخاذهم اعوانا على نفى كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم فى شانهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضايل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفى الاتخاذ وقرى متخذا المضلين على الاصل وقرى عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كرصد وراصد **ويوم يقول** اى الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرى بنون العظمة **نادوا شركائى الذين زعمتم** انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل ابليس وذريته **فدعوهم** اى نادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باعانتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طاقة لهم بالمدافعة **فلم يستجيبوا لهم** فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفى ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم فى الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به **وجعلنا بينهم** بين الداعين والمدعوين **موبقا** اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اى مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى فى الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا فى الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اى جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى اعلى الجنان **ورأى المجرمون النار** وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك **فظنوا** اى فايقنوا **انهم مواقعوها** مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ راوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة **ولم يجدوا عنها مصرفا** انصرافا او مكانا ينصرفون اليه **ولقد صرفنا** اى كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم **فى هذا القرآن للناس** لمصلحتهم ومنفعتهم **من كل مثل** من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا او من كل نوع من انواع المعانى البديعة الداعية الى الايمان التى هى فى الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا **وكان الانسان** بحسب جبلته **اكثر شئ جدلا** اى اكثر الاشياء التى يتاتى منه الجدل وهو ههنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذى هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المتجادلين يلتوى على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل **وما منع الناس** اى اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم **ان يؤمنوا** من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك **اذ جاءهم الهدى** اى القرآن العظيم الهادى الى الايمان بما فيه من فنون المعانى الموجبة له **ويستغفروا ربهم** عما فرط منهم من انواع الذنوب التى من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل **الا ان تاتيهم سنة الاولين** اى الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقديره فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستيصال **او ياتيهم العذاب** اى عذاب الآخرة **قبلا** اى انواعا جمع قبيل او عيانا كما فى قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرى بفتحتين اى مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط **وما نرسل المرسلين** الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم **مبشرين** للمؤمنين بالثواب **ومنذرين** للكفرة والعصاة بالعقاب **ويجادل الذين كفروا بالباطل** باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا **ليدحضوا به** اى بالجدال **الحق** اى ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوهما **واتخذوا آياتى** التى تخر لها صم الجبال **وما انذروا** اى انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم **هزوا** استهزاء وقرى بسكون الزاى وهو ما يستهزأ به **ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه** وهو القرآن العظيم **فاعرض عنها** ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعى

نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز
الصلة من الاعراض عن القران للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه اي
عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكروا في عاقبتها انا جعلنا
على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه
مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوا على كنهه او مفعول له اي كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم اي جعلنا
فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف
واذن جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي عليه الصلوة والسلام المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال عليه السلم
ما لي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده
في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدا وقوله تعالى الغفور خبره وقوله تعالى ذو الرحمة اي الموصوف
بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو
سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم
الوصف الاول لان التخلية اولى او لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تاخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما
يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم اي لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من
مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم
لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد
من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان
انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء
الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر
كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه موئلا منجى او ملجا يقال وال اي نجا وال اليه اي لجا اليه
وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابها وهي مبتدا على تقدير المضاف اي واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم
او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما لتعميم
الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد
به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى اخره وجعلنا لمهلكهم اي عينا لهلاكهم
موعدا اي وقتا لا يحيدون عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا
بتاخر العذاب وقيل بضم الميم وفتح اللام اي اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب باضمار فعل اي اذكر وقت
قوله عليه السلام لفتاه وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليهم السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه و
قيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما في
القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير
فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله حتى ابلغ فان
ذلك غاية تستدعي ذا غاية يؤدي اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيري حاصلا حتى ابلغ فيحذف المضاف
ويقام المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور الحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم و
يجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس والروم
مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق او امضي حقبا
اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشا هذه العزيمة ان موسى عليه
السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام
فيهم خطيبا بخطبة بديعة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه
اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في ايام افريدون
قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عليه السلام سال عباده اي عبادك احب
اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال
الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني
فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في
مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان
فلما بلغا الفاء فصيحة كما اشير اليه مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل

قبل الجملة

نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي يوشع ان
يقدمه ونسي موسى عليهما السلام ان يامره فيه بشيء روي انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحيوة التي لا يصيب
ماؤها ميتا الا حيي وضعا رؤسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا اكلا منه وكان
ذلك بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضا عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع
في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق قيل امسك الله عز وعلا جرية الماء على الحوت فصار كالطاق
عليه معجزة لموسى وللخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل و
يجوز ان يتعلق باتخذ فلما جاوزا اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل ادلجا وسارا الليلة والغد
الى الظهر والقي على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه
الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل
ذلك والجملة في محل التعليل للامر بايتاء الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع
واما باعتبار ما في اثناء التغدي من استراحة ما قال اي فتاه عليه السلام ارايت اذ اوينا الى الصخرة اي التجانا اليها واقمنا
عندها وذكر الايواء اليها مع ان المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع
لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الايواء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان
عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه
هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا
اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارايت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه
منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل
فاني نسيت الحوت وفيه تاكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير
الغداء مع انه المامور بايتائه للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهده
ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كساير الحيتان مع زيادة اي
نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك
وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اي ما انساني ان اذكره لك وفي تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره
ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر
امره وقرئ ان اذكره واثار ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وان كانت
غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها
واتخذ سبيله في البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار
كانه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما
او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب
او مصدر فعل محذوف اي اتعجب منه عجبا وقد قيل انه من كلام موسى عليه السلام وليس بذاك قال اي موسى
عليه السلام ذلك الذي ذكرت من امر الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف اي
نبغيه اي نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اي رجعا على آثارهما طريقهما الذي جاءا منه قصصا يقصان
قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة
للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم السلام آتيناه رحمة من عندنا
هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه ولا
يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى استيناف مبني على سؤال نشا من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما
من الكلام فقيل قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن استيذان منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا
اي علما ذا رشد ارشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت محذوف
وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه
صاحب شريعة ان يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام
غاية التواضع معه عليهما السلام قال اي الخضر انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه
التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار
منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال
الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم

يحط به خبرك قال موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي
الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا و
غير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل
له من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على ان افعال العباد بمشيئة
الله سبحانه قال فان اتبعتني اذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عليه
السلام للصبر والطاعة فلا تسألني عن شيء تشاهده من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة
والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة
وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألنّي بالنون المثقلة فانطلقا اي موسى والخضر
عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام الى بني اسرائيل قيل انهما مرا
بسفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة استعمال الركوب في امثال هذه المواقع
بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما اشرنا اليه في قوله
تعالى وقال اركبوا فيها الا لما قيل من ان في ركوبها معنى الدخول خرقها قيل خرقها بعد ما لججوا اخذ فاسا
فقلع من الواحها لوحين مما يلي الماء فعند ذلك قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد من
التغريق وليغرق اهلها من الثلاثي لقد جئت اتيت وفعلت شيئا امرا اي عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم
قيل الاصل امرًا مخفف قال اي الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه
متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذني بما نسيت بنسياني او بالذي نسيته او بشيء نسيته وهو وصيته
بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على
الناسي كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى نسيانا او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة
بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوسل الى
الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني
من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا
الفاء فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان
فقتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عليه السلام اقتلت نفسا زكية طاهرة
عن الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من
الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل
ما صدر عن الخضر عليه السلام ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام في معرض الجزاء المقصود
افادته مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه السلام من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود
خبرها لقلة وقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى
لما ان صدور الخوارق منه عليه السلام خرج بوقوعه مرتين مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب
احوال موسى عليه السلام فيفعل ما فعل ولله در شان التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل
فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها فان كون القتل اقبح من مبادي
قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون
الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا
قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل
نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض
الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية
قال اي موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة فلا تصاحبني وقرئ من الافعال اي لا تجعلني
صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلى الله عليه
وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون و
وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ابلة وهي ابعد ارض الله من السماء
وقيل هي برقة وقيل بلدة باندلس عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها
الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن
استطعماهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون

بها

بها اقبح واشنع روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد
وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف مال
اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يداني ان يسقط فاستعيرت
الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته
فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض
من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل
اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل لينتعشا به او
تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر والتخذ
افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال
في التاء قال اي الخضر عليه السلام هذا فراق بيني وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل
والمشار اليه اما نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال الثالث اي
هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود سانبئك السين للتاكيد لعدم تراخي التنبئة بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
التاويل رجع الشيء الى مآله والمراد به ههنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به دون التاويل وهو خلاص السفينة من اليد
العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول
عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به
عليه السلام وعتاب اما السفينة التي خرقها فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب او لان عمل
الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اي امامهم وقد قرئ به
او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدي ياخذ كل سفينة اي
صالحة وقد قرئ كذلك غصبا من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب
السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة
الى التاويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق
خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذي
قتله فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا
ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما
طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر
عليه السلام منه ذلك لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف
سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك فاردنا ان يبدلهما
ربهما خيرا منه بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من
الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما زكاة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما اي رحمة وعطفا قيل ولدت
لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما
ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء ايضا وانتصابه على التمييز مثل زكاة واما الجدار
المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها
باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسماهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان تحته كنز لهما
من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي
زكوتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن
بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما صالحا تنبيه
على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء فاراد ربك اي مالكك ومدبر
امورك ففي اضافة الرب الى ضمير موسى عليه السلام دون ضميرهما تنبيه له عليه السلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام
لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اي حلمهما وكمال
رأيهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال
وتنميته وضاع بالكلية رحمة من ربك مصدر في موقع الحال اي مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد

لارادة فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اى فعلت ما فعلت من الامور التى شاهدتها رحمة من ربك وبعضهم اضاف الرب الى الضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا وما فعلته عن امرى اى عن رائى واجتهادى تاكيدا لذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة فى سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها فى الفخامة تاويل ما لم تسطع اى لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا من الامور التى رايته اى ماله وعاقبته فيكون انجازا للتنبئة الموعودة او الى البيان نفسه فيكون التاويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم وفى جعل الصلة عين ما مر تكرير للتنكير وتشديد للعتاب تنبيه اختلفوا فى حيوة الخضر فقيل انه حى وسببه انه كان على مقدمة ذى القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحيوة فنزل واغتسل من مائها واخطا ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا فى الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لما عاش بعد مائة عام روى ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ويسالونك عن ذى القرنين هم اليهود سالوه على وجه الامتحان او سالة قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليونانى وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرذبه من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلى قيل ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن النعمان الذى قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيرونى فى كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب سمى بن عبير بن افريقيس الحميرى وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذى افتخر به التبع اليمانى حيث قال قد كان ذو القرنين جدى مسلما ملكا علا فى الارض غير مفند • بلغ المشارق والمغارب يبتغى • اسباب امر من حكيم مرشد • وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذى المنار وذى نواس وذى النون وذى رعين وذى يزن وذى جدن قال الامام الرازى والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التى نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليونانى كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوايف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح فى مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدنا كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام وروى ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سما من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من حديد وسما من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة الاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغنى انه عاش ستا وثلثين سنة او اثنتين وثلثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذى القرنين الثانى كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بنى اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح فى مذبحه فانه مما لا يكاد يتاتى نسبته الى الاول واختلف فى نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له فى الارض وظاهره انه متناول للتمكين فى الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روى ان عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا فى الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذى هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقى وغيره انه اسلم على يدى ابراهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروى انه حج ماشيا فلما سمع ابراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتى بفرس ليركب فقال لا اركب فى بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم عليه السلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل عنه على كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف فى وجه تسميته بذى القرنين فقيل لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها

وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه كان فى راسه او فى تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذؤابتان وقيل لانه كانت صفحتا راسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه راى فى منامه انه صعد الفلك واخذ بقرنى الشمس وقيل لانه انقرض فى عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثانى فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومى ابن لنطى بن يونان بن يافث بن يونه بن شرخون بن رومية بن ثونط بن نوفيل بن رومى بن الاصفر بن العيص ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام كذا نسبه ابن عساكر المقدونى اليونانى المصرى بانى الاسكندرية الذى يورخ بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفى سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذى قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال وانما بينا هذا لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور فى القرآن العظيم هو هذا المتاخر فيقع بذلك خطا كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا وزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثانى فقد كان كافرا وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من الفى سنة فاين هذا من ذلك انتهى قلت المقدونى نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربى دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز واسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهى اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكى كمال عظمها فى عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول عن بعض المغازى السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الآثار ما فيه عبرة لاولى الابصار قل طبق الجواب سأتلو عليكم اى ساذكر لكم منه اى من ذى القرنين ذكرا اى نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحى المتلو حكاية عن جهة الله عز وجل قيل ساتلو اى سأتلو من جهته تعالى فى شانه ذكرا اى قرآنا والسين للتاكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تاييده عليه السلام وتصديقه بانجاز وعده اى لا اترك التلاوة البتة كما فى قول من قال ساشكر عمروا ان تراخت منيتى ايادى لم تمنن وان هى جلت لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الاية ما نزلت بانفرادها قبل الوحى بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سالوه عليه السلام عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ائتونى غدا اخبركم فابطا عليه الوحى خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له فى الارض شروع فى تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثانى جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما فى الوجود وتقاربهما فى المعنى يستعمل كل منهما فى محل الآخر كما فى قوله عز وعلا مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم اى جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم فيها اى ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكنا لهم فى الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين ماخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه فى سورة يوسف عليه السلام والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف فى الارض من حيث التدبير والراى والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له فى الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذللت له طرقها وآتيناه من كل شئ اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا اى طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع بالقطع اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثانى حتى اذا بلغ مغرب الشمس اى منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربى الذى يقال له اوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخالدات التى هى مبداء الاطوال على احد القولين وجدها اى الشمس تغرب فى عين حمئة اى ذات حماة وهى الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حماتها وقرئ حامية اى حارة روى ان معاوية رضى الله عنه قرا حامية وعنده ابن عباس رضى الله عنهما فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرا قال كما يقرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين وروى فى ثاط فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء فى الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية فى مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط راها كذلك اذ ليس فى مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله جل ذكره بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين

اما ان تعذب بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ فيهم حسنا اى امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق
المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلته اما الرفع على الابتداء او
الخبرية واما النصب على المفعولية اى اما تعذيبك واقع او اما امرك تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال
فى الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبى فى ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان
ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبى اولين عنده من خواصه بعد ما تلقى امره تعالى بخيار الثانى الاخير اما من ظلم
اى نفسه ولم يقبل دعوتى واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذى هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة انه
كان يطبخ من كفر فى القدور ومن آمن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه فى الآخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اى منكرا
فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحى اليه وان مقاولته كانت مع النبى او
مع من عنده من اهل مشورته واما من آمن بموجب دعوتى وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله فى الدارين
جزاء الحسنى اى فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدا
اعتناء به او منصوب بمضمر اى يجزى بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدا والخبر المتقدم عليه او حال
اى مجزيا بها او تمييز وقرى منصوبا غير منون على انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدا
والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل جزاء الحسنى القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما
وهم كفار فقالوا اما الكافر فيراعى فى حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يحب ويجوز ان يكون اما واما
للتوزيع دون التخيير اى ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقى على حاله والثانى لمن تاب وسنقول
له من امرنا اى مما نامر به يسرا اى سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة وقرى
بضمتين ثم اتبع سببا اى طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع
الذى يطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرى بفتح اللام على تقدير مضاف اى مكان طلوع الشمس فانه مصدر
قيل بلغه فى اثنتى عشرة سنة وقيل فى اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوى له الاسباب وجدها تطلع على
قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب انه ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب
فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين
فسالت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعى صاحب
يعرف لسانهم فقالوا جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على ثم
افقت وهم يمسحوننى بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع
النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان
عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه لك فى رفعة المحل وبسطة
الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل
او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس
والاكنان والجبال وغير ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا يعنى ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط
به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر
عنه ومالاقاه فتامل ثم اتبع سببا اى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين
السدين بين الجبلين الذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلى المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم
وقرى بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية
لانه مبلوغ وهو من الظروف التى تستعمل اسما ايضا كما ارتفع فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر فى قوله تعالى بينى وبينك
وجد من دونهما اى من ورائهما بمجاوزتهما قوما اى امة من الناس لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة
فطنتهم وقرى من باب الافعال اى لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا فى انهم من اى الاقوام فقال الضحاك هم
جيل من الترك وقال السدى الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة
فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت
واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب
والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج قالوا اى بترجمان
مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذى القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب
يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل
واختلف فى صفاتهم فقيل فى غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل فى نهاية عظم الجسم

وطول القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما
اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرا عاصم وقد قرى بغير همزة ومنع
صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام
الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا فهل نجعل لك خرجا اى جعلا من
اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم فى الارض وقرى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما على
الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به
والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرى بالضم قال ما مكنى بالادغام وقرى بالفك اى ما
مكنى فيه ربى وجعلنى فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب خير اى مما تريدون ان تبذلوه الى من
الخرج فلا حاجة بى اليه فاعينونى بقوة اى بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات لا بد منها فى البناء والفاء
لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من مالهم او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب للامر بينكم
وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم
كما راعوه فى قولهم بيننا وبينهم ردما اى حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم
اى فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه آتونى زبر الحديد جمع زبرة كغرف فى غرفة وهى القطعة
الكبيرة وهذا لا ينافى رد خراجهم لان الماموربه الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اى جيئونى بزبر
الحديد على حذف الباء كما فى امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص
الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها امس اذ هى الركن فى السد ووجودها
اعز قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب و
الفحم حتى سد بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز قائلا حتى اذا ساوى بين الصدفين اى آتوه اياها
فاخذ يبنى شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتى الجبلين من البنيان مساويا لهما فى السمك على النهج المحكى قيل كان
ارتفاعه مائتى ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرى سوى من التسوية وسووى على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا
اى بالكيران فى الحديد المبنى ففعلوا حتى اذا جعله اى المنفوخ فيه نارا اى كالنار فى الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور
الى ذى القرنين مع ان الجعل فى ذلك وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها آتونى افرغ
عليه قطرا اى آتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وقرى بالوصل اى جيئونى
كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذى وقفت عليه آنفا وكذا الكلام فى
قوله تعالى ساوى وقوله تعالى اجعل فما اسطاعوا بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقى المتقاربين وقرى
بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرى بقلب السين صادا والفاء فصيحة اى فعلوا ما امروا به من ايتاء
القطر او الاتيان فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج وماجوج فقصدوا
ان يعلوه وينقبوه فما استطاعوا ان يظهروه اى يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته
وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا
عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن
ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شئ قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب
من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا قال اى ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك
الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفضل للمتقدم اى هذا الذى ظهر على يدى وحصل
بمباشرتى من السد الذى شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اى اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة من
ربى على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو
احسان الهى محض وان ظهر بمباشرتى والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربى مصدر بمعنى
المفعول وهو يوم القيمة لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه
ومجئ مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان
بعض الامور التى ستحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اى السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة
ما ليس فى توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور دكا اى ارضا مستوية وقرى دكاء اى مدكوكا مسوى بالارض
وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك اى المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجئ الوعد بمجئ
بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربى اى وعده المعهود او كل ما
وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذى القرنين لما ذكره

من الجملة الشرطية ومقررة لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته وقوله عز وجل وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى
معطوف على قوله تعالى جعله دكا ومحقق لمضمونه اى جعلنا بعض الخلائق يومئذ اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض
مباديه يموج في بعض آخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة
الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد وروي انهم ياتون
البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا
مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة
فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا يغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة
ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بقضية
الفاء في قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار
ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها في النشأة الآخرة اى جمعنا
الخلائق بعدما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا اى جمعا عجيبا لا يكتنه
كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها وابرزناها يومئذ اى يوم اذ جمعنا الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث
يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا اى عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها
بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة الذين كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة
محاطة بذلك من جميع الجوانب عن ذكري عن الآيات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد
او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشأني او عن القرآن الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون
لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم سمعا استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات
المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلية
الاصابة بما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات
واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الآخرة افحسب الذين كفروا اى كفروا بي كما يعرب عنه قوله
تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه
كما في قولك اضربت اباك لا انكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على
توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اى الا تسمعون
فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اى تسمعون فلا تعقلون والمعنى اكفروا بي مع جلالة شأني فحسبوا
ان يتخذوا عبادي من دوني من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي اولياء معبودين
ينصرونهم من بأسي وما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على ان الحسبان ناشئ من
التعامي والتصام وادخال همزة الانكار عليها للذم على ذم وقطعها عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى للايذان باستقلاله
المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامي والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم
ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وايضا فانه دين قديم لهم لا
يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى
وما في حيز صلة ان ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اى افحسبوا انهم يتخذونهم
اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة
لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اى افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول
لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اى افكافيهم ان يتخذوهم
اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى انكار
الوقوع انا اعتدنا جهنم اي هيأناها للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتداد
بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اى شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اى الضيف مما
حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد
الزاد ليوم المعاد فكأنه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء
الى ان لهم وراء جهنم من العذاب ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضي الله عنهما
بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر وللايذان
بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار

ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة
آثارها غب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم في اقامة تلك
الاعمال اى ضاع وبطل بالكلية في الحياة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد
بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابي وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة
بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم
من الكفرة ومحل الموصول الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال كأنه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله
مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الآية
يأباه ان صدره ليس منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل
على حبوطها لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما
صنعوا على ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال راسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بقضية نون العظمة وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها
الذاتي اى يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها
والجملة حال من فاعل ضل اى بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم محسنون في ذلك وينتفعون بآثاره او من
المضاف اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اى بطل سعيهم والحال انهم الخ والفرق بينهما ان
المقارن لحال حسبانهم المذكور في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والاول ادخل في بيان خطئهم اولئك
كلام مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم
بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الامر اى اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان
المزبور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم
في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور الآخرة على ما هي عليه فحبطت لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا
فلا نقيم لهم اى لاولئك الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء يوم القيامة وزنا اى فنزدري بهم ولا نجعل
لهم مقدارا واعتبارا لان مدار الاعتبار الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال
عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما
يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير او عدمه لان
ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا
ذلك بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم المحبطة بذلك اى الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم
جهنم جملة مبينة له او ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدل منه وجهنم خبره او جزاؤهم خبره
وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي انبأ عنها قوله تعالى و
اتخذوا آياتي ورسلي هزوا اى هزؤا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة
ايضا ان الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا باضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد
اى آمنوا بآيات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان
اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء
اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال
الضحاك هو الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة و
قيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب
انه ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم
الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر انهار الجنة نزلا خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف
على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ
للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها
عندما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر خالدين فيها نصب
على الحالية لا يبغون عنها حولا مصدر كالعود والصغر اى لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون شيء اعز عندهم
وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتأكيد الخلود والجملة حال

من صاحب خالدين او من ضمير فيه فيكون حالا متداخلة قل لو كان البحر اى جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربى لتحرير كلمات علمه وحكمته التى من جملتها ما ذكر من الايات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شئ لتناهيه قبل ان تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد كلمات ربى لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفى اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم فى الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات فى موضع الاضمار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن جئ به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتاكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستانفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكور عليها دلالة واضحة اى لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهى الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا قل لهم بعد ما بينت لهم شان كلماته تعالى انما انا بشر مثلكم لا ادعى الاحاطة بكلماته التامة يوحى الى من تلك الكلمات انما الهكم اله واحد لا شريك له فى الخلق ولا فى سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير فى المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضى على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اى فمن استمر على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا فى نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة ربه احدا اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار وضع المظهر موضع المضمر فى الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهى ووجوب الامتثال فعلا وتركا روى ان جندب بن زهير رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرنى فقال عليه السلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروى انه عليه السلام قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الخ كان له من مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ • الحمد لله سبحانه على نعمه

سورة مريم ثمان وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم

كهيعص بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وبتفخيمهما وباخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنا لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما للسور او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا فى باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريا على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما فى المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اى مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على انه مبتدأ خبره ذكر رحمة ربك اى المسمى به ذكر رحمة الخ فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هى عليه جعلت كانها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما فى الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما اخبر اليه اهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الخ او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها اى هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضى من التذكير اى هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان تنزيل السورة عليه عليه السلام وقوله تعالى عبده مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرنى معروف

فلان

فلان اى بلغنى وقوله عز وعلا زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله اتساعا لا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما فى قوله واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن الادب فى اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل فى الاخلاص وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادى لا يليق به تعاطيها فى اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر فى تفسير سورة آل عمران قال جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب رب انى وهن العظم منى اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعام الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومنى متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتاكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها واشتعل الراس شيبا شبه عليه السلام الشيب فى البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره فى الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الراس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب راسى فاسند الاشتعال الى الراس كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار فى بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام السين فى الشين ولم اكن بدعائك رب شقيا اى لم اكن بدعائى اياك خائبا فى وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لى والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل راسى شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعى الرحمة ويستجلب الرافة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عود عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض فى الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة فى التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته وانى خفت الموالى عطف على قوله تعالى انى وهن مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادى خوفه عليه السلام من يلى امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا اشرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته فى امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من ورائى اى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اى فعل الموالى من بعدى او جور الموالى وقد قرئ كذلك او بما فى الموالى من معنى الولاية اى خفت الذين يلون الامر من ورائى لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراى بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالى من ورائى اى قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدى او خفت الموالى القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اذا ارتحلوا مسرعين اى درجوا قدامى ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد فالظرف ح متعلق بخفت وكانت امراتى عاقرا اى لا تلد من حين شبابها فهب لى من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثانى بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن فى الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله فى اوائل سورة آل عمران اى اعطنى من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية وليا اى ولدا من صلبى وتاخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتاخيرهما عن الكل او توسطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المراة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح فى ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة فى حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الاية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء بما ذكر فى موطن عما ترك فى موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى يرثنى صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اى يرثنى من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثنى الحبورة وكان عليه السلام حبرا ويرث من آل يعقوب يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه

امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ ويرث وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ اويرث آل يعقوب بالتصغير ففيه ايماء الى وراثته عليه السلام لما يرثه في حالة صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اي يرثني به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام انبياء ولا علماء ﴿واجعله رب رضيا﴾ مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشان ما يستدعيه ﴿يا زكريا﴾ على ارادة القول اي قال تعالى يا زكريا ﴿انا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ لكن لا بان خاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكي عليه السلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبما يقتضيه المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا يرى الى دعوة ابراهيم عليه السلام في حق ابيه والى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه السلام تأكيد للوعد وتشريف له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿لم نجعل له من قبل سميا﴾ اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فان التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا ولم يكن له عليه السلام مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حيي به رحم امه او حيي دين الله تعالى بدعوته ﴿قال﴾ استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال ﴿رب﴾ ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسيط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات ﴿انى يكون لي غلام﴾ كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا لي غلام او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما انى ولي متعلق بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى ﴿وكانت امرأتي عاقرا﴾ حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله ﴿وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تأكيد اي كانت امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احديهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداءة ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما ان المسارعة الى بيان قصور شأنه انسب وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك باظهار انه من محض لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه السلام استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد ﴿قال﴾ استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى ﴿كذلك قال ربك﴾ مقحمة كما في مثلك لا يبخل محلها اما النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله

تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى ﴿هو علي هين﴾ جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كانه قيل قال الله عز وجل مثل القول البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين فالجملة حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه او اعتراض وعلى كل حال فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك بكذا مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه عليه السلام من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عليه السلام الاطمئنان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد الى الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اي قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى او حال من المستكن في الجار والمجرور واياما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه السلام اي قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين والقراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فمخل بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه السلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك او آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه السلام لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه السلام على ذلك الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكانه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشيء على المعتد به اي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما يروى ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عليه السلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه السلام وهي بنت عشر سنين او بنت ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ ﴿قال آيتك ان لا تكلم الناس﴾ اي على ان لا تقدر ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ﴿ثلاث ليال﴾ مع ايامهن للتصريح بها في سورة آل عمران ﴿سويا﴾ حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اي تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب

ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذا خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اليهم اى اومى
اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض وان فى قوله تعالى ان سبحوا اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اى
صلوا او بان صلوا بكرة وعشيا ظرفا زمان للتسبيح عن ابى العالية ان المراد بهما صلوة الفجر وصلوة العصر او نزهوا
ربكم طرفى النهار ولعله كان مامورا بان يسبح شكرا ويامر قومه بذلك يا يحيى استئناف طوى قبله جمل كثيرة مسارعة
الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اى قلنا يا يحيى خذ الكتاب اى التورية بقوة اى بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه
الحكم صبيا قال ابن عباس رضى الله عنهما الحكم النبوة استنبأه وهو ابن ثلث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التورية
والفقه فى الدين روى انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنوينه
للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له موكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اى وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة فى قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما وزكوة
اى طهارة من الذنوب او صدقة تصدقنا به على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن
المعاصى وبرا بوالديه عطف على تقيا اى بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا متكبرا عاقا لهما او
عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم ويوم يموت من عذاب القبر
ويوم يبعث حيا من هول القيمة وعذاب النار واذكر فى الكتاب كلام مستانف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وامر
بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القران اذ هى التى صدرت
بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اى واذكر للناس فيها مريم اى نبأها فان الذكر لا
يتعلق بالاعيان وقوله تعالى اذ انتبذت ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المامور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط
بل كل ما عطف عليه وحكى بعده بطريق الاستئناف داخل فى حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد
بها نبأها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية
كما فى قولك اكرمتك اذ لم تكرمنى اى لان لم تكرمنى فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى من اهلها متعلق بانتبذت و
قوله مكانا شرقيا مفعول له باعتبار ما فى ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل
فى الجار والمجرور وهو السر فى تاخيره عنه اى اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من
دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت فى مشرقة لتغتسل من الحيض محتجبة بحائط او بشئ يسترها وذلك
قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد
فبينما هى فى مغتسلها اتاها الملك عليه السلام فى صورة آدمى شاب امرد وضئ الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى فارسلنا
اليها روحنا اى جبريل عليه السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد
الذى هو عدة المقربين فى قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوى الخلق كامل
البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس
وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع
مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة
الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى قالت انى اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه
فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال
الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة
فى العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التى هى العصمة مما دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقى الله تعالى و
تبالى بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السباق عليه اى فانى عائذة به او فتتعظ بتعوذى او فلا تتعرض
لى قال انما انا رسول ربك يريد عليه السلام انى لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذى استعذت
به لاهب لك غلاما اى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلية الحكم فان هبة الغلام لها من آثار
تربيتها وفى بعض المصاحف امرنى ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى
سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لى غلام كما وصفت ولم يمسسنى بشر اى والحال انه لم يباشرنى بالنكاح رجل
وانما قيل بشر مبالغة فى بيان تنزهها من مبادى الولادة ولم اك بغيا عطف على لم يمسسنى داخل معه فى حكم الحالية مفصح
عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اى ولم اكن فاجرة تبغى الرجال وهى فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوى ادغمت
الواو بعد قلبها ياء فى الياء وكسرت الغين للياء وقيل هى فعيل بمعنى الفاعل ولو كان كذلك لقيل بغية كما يقال فلانة نهوة عن
المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اى يبغيها الرجال للفجور بها قال اى الملك تقريرا

لمقالته

لمقالته وتحقيقا لها كذلك اى الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر له اى قال ربك الذى ارسلنى
اليك هو اى ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا على خاصة هين وان كان مستحيلا عادة لما انى
لا احتاج الى الاسباب والوسايط وقوله تعالى ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اى ولنجعل وهبنا الغلام آية
لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اى لنبين به عظم قدرتنا و
لنجعله آية الخ والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كائنة منا عليهم
يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلى او قدر وسطر فى
اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عليه
السلام فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها قيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد
فوصل الريح اليها فحملت فى الحال وقيل ان النفخة كانت فى فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش
مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلث ساعات وقيل ساعة كما حملته وضعته وسنها ثلث عشرة
سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به اى فاعتزلت وهو فى بطنها كما فى قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
فالجار والمجرور فى حيز النصب على الحالية اى فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى
الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اى فالجاها وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل فى غيره
كاتى فى اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج الى جذع النخلة
لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت
شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها
من آياتها ما تسكن روعتها وليطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتنى مت بكسر الميم
من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا اى هذا الوقت الذى لقيت فيه ما لقيت وانما قالته
مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم
او حذرا من وقوع الناس فى المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روى
عن عمر رضى الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتنى هذه التبنة ولم اكن شيئا وعن بلال رضى الله عنه انه
قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اى شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان
فى ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمى به المفعول مبالغة وقرئ
بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسأ كعصا منسيا لا يخطر ببال احد من
الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا له بالسين فناداها اى جبريل عليه السلام من تحتها قيل انه كان يقبل
الولد وقيل من تحتها اى من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرئ
فخاطبها من تحتها بفتح الميم ان لا تحزنى اى لا تحزنى على ان ان مفسرة او بان لا تحزنى على انها مصدرية قد حذف
عنها الجار قد جعل ربك تحتك اى بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجرى جرى وان امرته بالامساك
امسك سريا اى نهرا صغيرا حسبما روى مرفوعا قال ابن عباس رضى الله عنهما ان جبريل عليه السلام ضرب
برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس
اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ورق فضلا عن
الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله تعالى لها اذ ذاك رأسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق
لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا اى سيدا نبيلا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عليه
السلام والتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهى عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل وتكميل التسلية وهزى هز الشئ تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا
والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى اليك اى الى جهتك والباء فى قوله عز وعلا بجذع النخلة
صلة للتاكيد كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الخ قال الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام
او لالصاق الفعل بمدخولها اى افعلى الهز به او هزى الثمرة بهزه وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من
مفعول الهز اى هزى اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اى تتساقط النخلة عليك اسقاطا متواترا حسب تواتر
الهز وقرئ تسقط وتسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتتساقط باظهار التائين وتساقط بطرح الثانية وتساقط
بادغامها فى السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على ان التاء فى الكل للنخلة والياء للجذع وقوله
تعالى رطبا على القراآت الثلث الاول مفعول وعلى الست البواقى تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما قطع قبل
يبسه فعيل بمعنى مفعول اى رطبا مجنيا اى صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اى طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم

للاتباع فكلي واشربي اى ذلك الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره وقرى عينا وطيبي نفسا وارفضي عنها ما احزنك
واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من البسايط العنصرية
والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك وقرى وقري بكسر القاف وهي
لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور
باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا اى ادميا
كائنا من كان وقرى ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لما بين الهمزة والياء من التآخي فقولي له ان استنطقك انى نذرت
للرحمن صوما اى صمتا وقد قرى كذلك او صياما وكان صيامهم بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا اى بعد ان اخبرتكم بنذري
وانما اكلم الملايكة واناجي ربي وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب تسمى كل ما وصل الى
الانسان كلاما باى طريق وصل ما لم يوكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك لكراهة
مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه نص قاطع في قطع الطعن فاتت به قومها اى جاءتهم
مع ولدها راجعة اليهم عندما طهرت من نفاسها تحمله اى حاملة له قالوا موبخين لها يا مريم لقد جيت اى فعلت
شيئا فريا اى عظيما بديعا منكرا من فرى الجلد اى قطعه او جيت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب
يا اخت هرون استيناف لتجديد التعيير وتاكيد التوبيخ عنوا به هرون النبي صلى الله عليه وسلم وكانت من اعقاب من كان
معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها
به اى كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا
منكرا وتنبيه على ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه اى الى عيسى عليه السلام ان كلموه و
الظاهر انها حينيذ بينت نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المامور به بيان نذرها
بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد
فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو ههنا
لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هي زايدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه وقيل تامة او دايمة
كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال استيناف مبني على سؤال نشا من سياق النظم الكريم كانه قيل فماذا كان
بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام انى عبد الله انطقه الله عز وجل بذلك اثر ذي اثير تحقيقا للحق وردا
على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى عليه السلام زكريا عليه السلام وعن السدى رضي الله عنه لما اشارت اليه
غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت وروى انه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم
بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته فقال ما قال الخ وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه
الصبيان آتاني الكتاب اى الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال
الثلثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل اكمله الله عقلا واستنباه
طفلا اينما كنت اى حيثما كنت واوصاني بالصلوة اى امرني بها امرا موكدا والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس
عن الرذايل ما دمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي عطفا على مباركا اى جعلني بارا بها وقرى بالكسر على انه مصدر وصف به
مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه اوصاني اى وكلفني برا ويويده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة والزكوة و
التنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله تعالى لفرط تكبره والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا
كما هو على يحيى عليه السلام والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدايه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض
باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك
اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب
الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه
على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على انه مصدر موكد لقال
انى عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرى بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اى هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله
او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرى قال الحق وقول الحق فان القول والقول والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون
اى يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرى بتاء الخطاب ما كان لله اى ما
صح وما استقام له تعالى ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان يتعلق به ارادته فيكون حينيذ بلا تاخير
فمن هذا شانه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرى فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله ربى وربكم فاعبدوه من

تمام

تمام كلام عيسى عليه السلام قيل هو عطف على قوله انى عبد الله داخل تحت القول وقد قرى بغير واو وقرى بفتح الهمزة على
حذف اللام اى ولانه تعالى ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على
الصلوة هذا اى الذي ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم
لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشا للاختلاف فان ما حكى من مقالات
عيسى عليه السلام مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط
او فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا
بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اى من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيمة
او من وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملايكة والانبياء و
عليهم السلام والسنتهم واذانهم وايديهم وارجلهم وساير ارابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو
ما شهدوا به في حق عيسى عليه السلام وامه اسمع بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يوميذ ومعناه ان اسماعهم
وابصارهم يوم ياتوننا للحساب والجزاء اى يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ان كانوا في الدنيا صما عميا او تهديد بما
سيسمعون ويبصرون يوميذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور
على الاول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب لكن الظالمون اليوم اى في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث
اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة
اى يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسيء فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضى الامر اى فرغ من الحساب وتصادر
الفريقان الى الجنة والنار وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح
فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل
الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول
الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم في غفلة اى عما يفعل بهم في الاخرة وهم لا يومنون وهما جملتان حاليتان
من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اى مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين او بينهما اعتراض ومن مفعول
انذرهم اى انذرهم غافلين غير مومنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد
غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه والينا يرجعون
اى يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم في الكتاب اى في السورة او في القرآن ابراهيم اى
اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته
يقلعون عما هم فيه من القبايح انه كان صديقا ملازما للصدق في كل ما ياتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق
به من غيوب الله تعالى واياته وكتبه ورسله والجملة استيناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من
دواعي ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الاية اى كان جامعا
بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق
اذ قال بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع
ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا اى كان جامعا بين الاثرتين حين قال لابيه آزر متلطفا
في الدعوة مستميلا له يا ابت اى يا ابي فان التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا
من الياء لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك له وجوارك اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع
ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا ولا يغنى اى لا يقدر على ان يغنى عنك شيئا
في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب
وخلق جميل ليلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف
به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع
انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرزاق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على ان العاقل
يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيعا
بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلايق لما يراه مثله في الحاجة
والانقياد للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه
ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة
والاستعطاف حيث قال يا ابت انى قد جاءني من العلم ما لم ياتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم

الفائق وان كان كذلك بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال
فاتبعني اهدك صراطا سويا اى مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المودي الى مهاوي الردى والمعاطب
ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم
فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك الاصنام عبادة له اذ هو الذي
يسولها لك ويغريك عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتاكيد له ببيان انه مستعص على ربك
الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم
منه والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة
معاداته لآدم عليه السلام فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال
شناعة عصيانه وقوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان
وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب موكدة لما افاده التنكير
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل
ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا اى قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بامره قال
استيناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا قال ابوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة
القبول فقيل قال مصرا على عناده اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم اى معرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار
الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كان الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله
تعالى لئن لم تنته لارجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير اى والله لئن لم تنته عما كنت عليه من
النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني اى فاحذرني واتركني مليا اى زمانا طويلا او مليا
بالذهاب مطيقا به قال استيناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اى لا
اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يوذيك ولكن ساستغفر لك ربي اى استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة
ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى
للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ
له عقلا ولا نقلا واما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما يمنعه السمع الا يرى الى انه عليه الصلاة والسلام
قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
الآية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابراهيم عليه السلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى
واغفر لابي الآية انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما
مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في
جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهي او لموعدة وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما ورد في شان الاستغفار
بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين وان الوعد بالمحظور لا يرفع حظره بل لان المراد بما يؤتسى
به ما يجب الايتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان
يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان
للكافر المرجو ايمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عن ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه احد من العقلاء واما عدم
جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار
بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها
على نهج التاكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرء على تبين الامر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة
التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اى بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم اى اتباعد عنكم وعن
قومكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي وادعو ربي اعبده وحده وقد جوز ان يراد
به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما
يساعده السياق والسباق عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اى خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقائهم في عبادة
آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة
بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من اقربائه
الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه
بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى

اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شان خطير وذوو عدد كثير هذا
وقد روي انه عليه السلام لما قصد الشام واتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول
هو الاقرب الاظهر وكلا اى كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص
لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اى كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم
من رحمتنا هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم
من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد من العالمين وجعلنا
لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين
والمراد باللسان ما يوجد من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما
يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم
ذكره على ذكر اسمعيل عليه السلام لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليه السلام انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك
والرياء واسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله
الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن الطور جبل بين
مصر ومدين والايمن صفة للجانب اى ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام او من جانبه
الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام
بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اى مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه و
قيل مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم ووهبنا له من رحمتنا اى من اجل رحمتنا ورأفتنا
له او بعض رحمتنا اخاه اى معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي فانه
لانه كان اكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون عطف بيان له وقوله
تعالى نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا
وقوله تعالى انه كان صادق الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد
الصبر على الذبح بقوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون
صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم عليهم السلام كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو
ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا
انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء الامم
وكان عند ربه مرضيا لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس وهو
سبط شيث وجد ابي نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه
نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روي انه تعالى انزل عليه ثلثين
صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا ملازما للصدق في جميع احواله نبيا خبر
آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل
علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روي
عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني قد
مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من
ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي
ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى فرفعه الى السماء
اولئك اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل
وهو مبتدأ وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم صفته اى انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه
مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون كلمة
من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اى ومن ذرية من حملنا
معه خصوصا وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم وهم الباقون
واسرائيل عطف على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل
على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اى ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة
وقوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استيناف
مسوق لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى

من الله عز سلطانه **وسجدا وبكيا** حالان من ضمير خروا اى ساجدين باكين عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر لمجانسة الياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التأنيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك **فخلف من بعدهم خلف** يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اى فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء **اضاعوا الصلوة** وقرئ الصلوات اى تركوها او اخروها عن وقتها **واتبعوا الشهوات** من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور **فسوف يلقون غيا** اى شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اى جزاء آثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى **الا من تاب وآمن وعمل صالحا** يدل على ان الآية في حق الكفرة **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا اى فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح **يدخلون الجنة** بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول **ولا يظلمون شيئا** اى لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم **جنات عدن** بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هي او تلك جنات الخ او مبتدأ خبره التي وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى **التي وعد الرحمن عباده** وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى **بالغيب** متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده اى وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اى غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اى وعدها اياهم بسبب ايمانهم **انه كان وعده** اى موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي بمثابة يرجع اليها قيل **مأتيا** اى يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا اى مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اى فعله **لا يسمعون فيها لغوا** اى فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن **الا سلاما** استثناء منقطع اى لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اى لا يسمعون لغوا ما الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا** وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشي **تلك الجنة** مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها **التي نورث** اى نورثها **من عبادنا من كان تقيا** اى نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد **وما نتنزل الا بامر ربك** حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله عز وجل هذه الآية وسورة والضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع للتنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى وما نتنزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي **له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك** وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا نتنزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته **وما كان ربك نسيا** اى تاركا لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره عليه السلام من تشريفه عليه السلام والاشعار بعلة الحكم

ما لا يخفى وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى **وما كان ربك نسيا** تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اى وما كان نسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى **رب السموات والارض وما بينهما** بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحته سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى **فاعبده واصطبر لعبادته** لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اى اثبت له فيما يورد عليك من شداته **هل تعلم له سميا** السمي هو الشريك في الاسم والظاهر ان يراد ههنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه واكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة حينئذ باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر **ويقول الانسان** المراد به اما الجنس باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اى يقول بطريق الانكار والاستبعاد **ءاذا ما مت لسوف اخرج حيا** اى ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر **اولا يذكر الانسان** من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر في ما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع على القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اى يقول ذلك ولا يذكر **انا خلقناه من قبل** اى من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه **ولم يك شيئا** اى والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل **فوربك** اقسام باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر بالاشعار بعلته وتفخيم شانه عليه السلام ورفع منزلته **لنحشرنهم** لنجمعن القائلين بالسوق الى المحشر بعد ما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال **والشياطين** معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده **ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا** ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اى لنحضرنهم حول جهنم جاثين ثمة على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم من القيام لما اعتراهم من الشدة **ثم لننزعن من كل شيعة** اى من كل امة شاعت دينا من الاديان **ايهم اشد على الرحمن عتيا** اى من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم

فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طايفة منهم اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللايقة به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كان سايلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد وان منكم التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم اي ما منكم ايها الانسان الا واردها اي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها كان اي ورودهم اياها على ربك حتما مقضيا اي امرا محتوما اوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى انه لا بد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمة ننجي بفتح الثاء اي هناك ننجيهم ونذر الظالمين بالكفر والمعاصي فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيآتهم وقوله تعالى واذا تتلى عليهم الاية الى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الايات الناعية عليهم فظاعة حالهم وخامة مآلهم اي واذا تتلى على المشركين آياتنا التي من جملتها هاتيك الايات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات الاعجاز حال مؤكدة من آياتنا قال الذين كفروا اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحارث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى للذين آمنوا للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى اي الفريقين اي المؤمنين والكافرين كانهم قالوا اينا خير نحن او انتم مقاما اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا اي مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو العيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورة هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا الا القياس العقيم والراي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اي كثيرا من القرون التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كانه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما لبس منه ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن للمطحون وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة والترفه وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا امر على عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من الحظوظ العاجلة اي قل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المفتخرين بالحظوظ الدنيوية ببيان مآل امر الفريقين اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذات الفانية المبتهجين بها على ان من على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن في الضلالة لذمهم والاشعار بعلة الحكم اي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن اي يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما

ينبغي ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى فسيعلمون جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اي حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي والاخروي فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا من الفريقين بان يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما واضعف جندا اي فئة وانصارا لا احسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفا كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في الاندية والمحافل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستانف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير على تقدير الاستيناف والعطف كلام مستانف وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك اي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه صلى الله عليه وسلم ثوابا اي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما وما لها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير اليه بقوله تعالى وخير مردا اي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتاكيد لها وفي التفضيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم افرايت الذي كفر باياتنا اي باياتنا التي من جملتها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئني فيكون لي ثمة مال وولد فاعطيك وفي رواية قال لا اكفر به حتى يميتك ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت وابعث فسأوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجيب من حاله والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين ارأيت وارأيت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجيب بان الاول تعلق بنفس المتعجب منه فيقال ارأيت الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني تعلق بمثل المتعجب منه فيقال ارأيت مثل الذي صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وكانه ذهب عليه قوله عز وجل ارأيت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انظرت فرأيت الذي كفر باياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل من يشاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا كلامه باليمين الفاجرة والله لاوتين في الاخرة مالا وولدا اي انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجراته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان ارأيت بمعنى اخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا اي الفريقين خير مقاما الاية وانت خبير بان المشهور استعمال ارأيت في معنى اخبرني بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كاسد جمع اسد او على انه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى اطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجيب منها اي اقد بلغ من عظمة الشان الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استاثر به العليم الخبير حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا واقسم عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما ان كلامه كان كذلك وقوله تعالى كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطئه سنكتب ما يقول اي سنظهر انا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتاخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار الشيء الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤوس الاشهاد

باحداثها ومدا او الثاني تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب مدا مكان ما يدعيه
لنفسه من الامداد بالمال والولد اي نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه
باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب ونرثه بموته ما يقول اي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه في
الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه ما آتيناه ويأتينا يوم القيمة
فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم انه يناله في الاخرة ونعطيه من
يستحقه والياء معنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه
حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبني على ان صدور القول المذكور عنه بطريق
الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قاله بطريق الاستهزاء
وتعليق اداء دينه بالمحال واتخذوا من دون الله آلهة حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة
الكافر المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا
بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به
اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اي سيجحد الآلهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا او سينكر الكفرة
حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا على
الاول تكون الآلهة التي كانوا يرجون ان تكون لهم عزا ضدا للعز اي ذلا وهوانا او تكون عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل
وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه
وينافيه باعانته له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضدا واعداء للآلهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها
وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذي عليه يدور مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم
وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي ان اصبت
لقد اصابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون الخ الم تر انا
ارسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة
الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلال والافراط في العناد
والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية
وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لان له مسوغا ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما
تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه
تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه
اما حال مقدرة من الشياطين او استيناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم فقيل
تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الاز والهز والاستفزاز اخوات
معناها شدة الازعاج فلا تعجل عليهم اي بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض من فسادهم
والفاء للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من
الجنة وقوله تعالى انما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم اي لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا
يوم نحشر المتقين منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع
فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة
وفدا وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكراماتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا
عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق
المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم
نحشر الخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذي تقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان
ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استينافا مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضمير عائدا الى العباد
المدلول عليهم بذكر الفريقين لا لاختصاصهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة
على الاولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان
يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون
ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى
منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من تحقق العهد بالاسلام فيكون ترغيبا

في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع
لهم الا من كان منهم مسلما وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه
وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا رد
لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح
وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني
وعظم علي اي فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى
تكاد السموات الخ صفة لادا او استيناف ببيان عظم شانه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير يتفطرن منه ينشققن
مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولان اصل
التفعل للتكلف وتنشق الارض اي وتكاد تنشق الارض وتخر الجبال اي تسقط وتتهدم وقوله تعالى هدا مصدر
مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال اي تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لانه نوع بمعنى التهدم
والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد
وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تتحمل بها هاتيك
الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب
العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور
باضمارها اي تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل مجرور
بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدأ محذوف اي الموجب لذلك ان دعوا الخ
وقيل فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن والاول هو الاولى ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما
ليتناول كل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اي انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن
ان يتخذ ولدا حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن ولدا
او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن
موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو
مبدأ النعم ومولي اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز قائلا ان كل من في السموات والارض
اي ما منهم احد من الملائكة والثقلين الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن
على الاصل لقد احصاهم اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته
وعدهم عدا اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اي كل واحد
منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في
صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شانه تعالى وشانهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين سيجعل لهم الرحمن ودا
اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان
الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام احب فلانا
فاني احبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض و
السين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين ربا الاسلام او لان الموعود في
القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من
بين ما سيؤتون يوم القيمة من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن فانما
يسرناه اي القرآن بلسانك بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال اي يسرنا القرآن منزلين
له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر
فانما يسرناه بلسانك العربي المبين لتبشر به المتقين اي الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي وتنذر به قوما
لدا لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من
قرن وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام على الانذار اي قرنا كثيرا اهلكنا
قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى هل تحس منهم من احد استيناف مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى او تسمع
لهم ركزا اي صوتا خفيا واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون المخفي
والمعنى اهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها

وبعود من دعا الله تعالى فى الدنيا ومن لم يدع الله تعالى ٥

سورة طه

سورة طه مائة وخمس وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائها وامالهما الباقون وهو من الفواتح التى يصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناها يا رجل وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبى الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبى على لغة عك وقيل عكل وهى لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر ان السفاهة طه فى خلايقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ليس بنص فى ذلك لجواز كونه قسما كما فى حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طأها بصيغة الامر من الوطء فقلبت الهمزة فى يطأ الفا لانفتاح ما قبلها كما فى قول من قال لا هناك المرتع وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه لما كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه مبالغة فى المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما يأبى التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه على انه ان اصله طا فقلبت همزته هاء كما فى امثال هرقت او قلبت الهمزة فى يطأ الفا كما مر ثم بنى منه الامر والحق به هاء السكت واما على انه اكتفى فى التلفظ بشطرى الاسمين واقيما مقامهما فى الدلالة على المسميين فكانهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغى ان يحمل قول من قال اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما اسمان لاسميهما ليقعا معبرا عنهما بل من حيث انهما جزآن لهما قد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بضمير التثنية فى الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسميهما الشطران من حيث هما قايمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى فى التلفظ بشطرى الكلمتين اى الاسمين فعبر عنهما اى عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما من حيث هما قايمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفى فى الكتابة بشطرى الكلمتين يعنى طا على تقدير كونه امرا وكونه حرف نداء وها على تقدير كونها كناية الارض وكونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين فى التلفظ باسميهما فبين البطلان كيف وطا وها على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امر او حرف نداء والثانى ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما مر فالحق انه من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين فى مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فانه استيناف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقاء شايع فى ذلك المعنى ومنه اشقى من رايض مهر اى ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة فى مكابدة الشدايد فى مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التاسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لصرفه عليه السلام عما كان عليه من المبالغة فى المجاهدة فى العبادة كما يروى انه عليه السلام كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عليه السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اى ما انزلناه عليك لتنهك نفسك وتحملها على الرياضات الشاقة والشدايد الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت دين آبائك وان القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلناه عليك لما قالوا والاول هو الانسب كما يشهد به الاستثناء الآتى هذا واما اسم للقرآن محله الرفع على انه مبتدأ وما بعده خبره والقرآن ظاهر اوقع موقع العايد الى المبتدأ كانه قيل القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدأ يبقى حينئذ بلا عايد ولا قايم مقامه فان القرآن صادق على السورة لا محالة اما بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج ان اريد به الكل بل لان نفى كون انزاله للشقاء يستدعى سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا اما بحسب الحقيقة كما اذا اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب فى ان ذلك انما يتصور فى انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه منه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان ماله ان يقال هذه السورة ما انزلنا القرآن المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انه لا دخل لانزالها فى الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشان التنزيل الجليل وقوله تعالى الا تذكرة نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه الا تذكرة كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا لما انه يجب فى امثاله ان يكون بين العلتين

ملابسته بالسببية والسببية حتما كما فى المثال المذكور وفى قولك ما شانا فهلك بالسيح لتنادى الا لزجر الخبرك فان التاديب فى الاول مسبب عن الاشفاق والتاذى فى الثانى سبب لانزجار الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافى ولا يجوز ان يراد بالتعب فى الجملة الجامع للتذكرة للظهور ان لا ملابسة بينهما كما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك لو قيل لكان الا تذكرة الا تكثير الثواب لانه فان الاجر بقدر التعب لا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما فى قوله تعالى ما فعلوه الا قليل لوجوب التجانس بين البدلين وقد عرفت حاله لا من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب فى تبليغه ولكن تذكرة لمن يخشى وتجرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اى لمن شانه ان يخشى الله عز وعلا ويتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلا مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله اى نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول الانسب بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية اى تذكرة لمن يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية والخوف ونظايرهما بما عدا ذلك التنزيل من حيث هو منزل غير معهود فى بيان ذلك بعض اجزاء المشتملة على الوعيد ونظايرها كما فى قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا جعل مفعولا له لانزلنا او لا يعلل الشئ بنفسه ولا بنوعه وقيل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف فى عليك او من القرآن ولا مساغ له الا بان يكون ما انزلنا عليك مقيدا بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتدأ محذوف ومن فى قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات العلى متعلقة بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما فى تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض الآية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعى الى تربية المهابة وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم الى التذكر والخشية المفضية الى الايمان وقوله تعالى الرحمن رفع على المدح اى هو الرحمن وقد عرفت فى فاتحة سورة البقرة ان المرفوع مدحا فى حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له فى الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون فى صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول وما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف بها الا الذى وحده مذهب الكوفيين واياما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى على العرش استوى وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذى شانه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا سترة به غنى عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدأ محذوف كما فى قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكاينات وتدبير امرها وقوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما وما بينهما من الموجودات الكاينة فى الجو دائما كالهواء والسحاب او اكثريا كالطير اى له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما وما تحت الثرى اى ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما فى الارض لزيادة التقرير روى عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع وعن السدى ان الثرى هو الصخرة التى عليها الارض السابعة وان تجهر بالقول بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكاينات اى وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غنى عن جهرك فانه يعلم السر واخفى اى ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيما سياتى وتنكيره للمبالغة فى الخفاء وهذا اما نهى عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى الله خبر مبتدأ محذوف والجملة استيناف مسوق لبيان

ان ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق اى ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى
لا اله الا هو تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه سبحانه من خلق
جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى له الاسماء الحسنى بيان
لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد فى ذاته تعالى فانه روى ان
المشركين حين سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر والحسنى
تانيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كما رب اخرى وآياتنا الكبرى وهل اتاك حديث موسى
استيناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذى اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر
وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل له اننى انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقالة حيث قال انما الهكم الله الذى
لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبى صلى الله عليه وسلم فى الايتساء بموسى عليه السلام فى تحمل اعباء النبوة
والصبر على مقاساة الخطوب فى تبليغ احكام الرسالة فياباه ان مساق النظم الكريم لصرفه عليه السلام عن اقتحام المشاق
وقوله تعالى اذ رأى نارا ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اى حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر متقدم
اى اذكر وقت رؤيته نارا روى انه عليه السلام استاذن شعيبا عليهما السلام فى الخروج الى امه واخيه فخرج باهله
واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادى طوى وهو بالجانب الغربى من الطور ولد له ولد فى ليلة
مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو
فى ذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اى اقيموا مكانكم امرهم عليه السلام بذلك
لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع اخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة
والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما فى قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم
انى آنست نارا اى ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر
او للمامور به لعلى آتيكم منها اى اجيئكم من النار بقبس اى بشعلة مقتبسة من معظم النار وهى المراد بالجذوة
فى سورة القصص وبالشهاب القبس او اجد على النار هدى هاديا يدلنى على الطريق على انه مصدر سمى به الفاعل مبالغة
او حذف منه المضاف اى ذا هداية او على انه اذا وجد الهادى فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهدينى الى ابواب الدين فان
افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية فى عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية
اهله وقد نص عليه فى سورة القصص حيث قيل لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة الاية وكلمة او فى الموضعين لمنع الخلو دون
منع الجمع ومعنى الاستعلاء فى قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها ولانهم عند الاصطلاء
يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجى
هى اما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم
واما حال من فاعله اى فاذهب اليها لآتيكم او كى آتيكم او راجيا ان آتيكم منها بقبس الاية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا
فى تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فلما اتاها اى النار التى
آنسها قال ابن عباس رضى الله عنهما رأى شجرة خضراء اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون
فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها قالوا النار اربع
اصناف صنف يأكل ولا يشرب وهى نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهى نار الشجر الاخضر وصنف يأكل ويشرب وهى
نار جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهى نار موسى عليه السلام وقالوا ايضا هى اربعة انواع نوع له نور واحراق وهى
نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهى نار الاشجار ونوع له احراق بلا نور وهى نار جهنم ونوع له نور
بلا احراق وهى نار موسى عليه السلام روى ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودى يا موسى فقيل يا موسى انى
انا ربك او عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اى بانى وتكرير الضمير لتاكيد الدلالة وتحقيق
المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه
ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى بانى اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء وقيل
وذلك لانه سمع ما ليس من شأنه ذلك من الاعضاء ليس للامين آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل
تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش
به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل فى التواضع وحسن الادب
ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادى بقدميه تبركا به وقيل لان نعليه
كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته
تعالى له عليه السلام من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى انك بالواد المقدس تعليل لوجوب الخلع المامور

بالكسر

به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقد روى انه عليه السلام خلعهما والقاهما وراء الوادى طوى
بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى
من الطى مصدر لنودى او المقدس اى نودى نداءين او قدس مرة بعد اخرى وانا اخترتك اى اصطفيتك للنبوة
والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء فى قوله تعالى فاستمع لترتيب الامر او المامور به على ما قبلها فان اختياره
عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع والامر به واللام فى قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية
اى فاستمع للذى يوحى اليك او للوحى لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد
من اعادة الضمير مع الثانى بل لان قوله تعالى اننى انا الله لا اله الا انا بدل من ما يوحى ولا ريب فى ان اختياره
عليه السلام ليس لهذا الوحى فقط والفاء فى قوله تعالى فاعبدنى لترتيب المامور به على ما قبلها فان اختصاص الالوهية
به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل واقم الصلوة خصت الصلوة بالذكر وافردت بالامر مع
اندراجها فى الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان
بذكره وذلك قوله تعالى لذكرى اى لتذكرنى فان ذكرى كما ينبغى لا يتحقق الا فى ضمن العبادة والصلوة او لتذكرنى فيها
لاشتمالها على الاذكار او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاص ذكرى وابتغاء وجهى لا ترائى بها ولا تقصد
بها غرضا اخر او لتكون ذاكرا لى غير ناس وقيل لذكرى اياها وامرى بها فى الكتب او لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل
لاوقات ذكرى بالفوائت وللذكرى وهى مواقيت الصلوات او لذكر صلوتى لما روى انه عليه السلام قال
من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها لان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكرى وقرئ لذكرى بالف التانيث
وللذكرى معرفا وللذكر بالتعريف والتذكير وقوله تعالى ان الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلوة اى كائنة
لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها فى معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين اكاد اخفيها
اى لا اظهرها بان اقول انها آتية ولولا ان فى الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها
من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه من الاضداد يجىء
بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير
وما مصدرية اى لتجزى بسعيها فى تحصيل ما ذكر من الامور المامور بها وتخصيصه فى معرض الغاية لاتيانها مع انه لجزاء كل
نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا فى تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد
بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المامور به فى
معرض الوجوب والساعة فى شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى فى الامتثال بالامر وتجد
فى تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصى وعليه مدار الامر فى قوله تعالى وهو الذى
خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة
المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط قد تعلق بالاخيرين لما ذكر من
ان المقصود الاصلى من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه
على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدى
كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم فى مراتبهما بحسب القوة والضعف واما
الاعراض عن ذلك والوقوع فى مهاوى الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم فى سلك الغاية لذلك الصنع
البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعى مطلق العمل فلا يصدنك
عنها اى عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشأن موسى عليه السلام وان كان النهى
بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان فى المؤخر
نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام
عن الساعة لكنه فى الحقيقة نهى له عليه السلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه واكده فان النهى عن اسباب الشىء ومباديه
المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية عن اصلها كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم الخ فان صد الكافر حيث
كان سببا لانصداده عليه السلام كان النهى عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهى
عن المسبب وارادة النهى عن السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم
اياه عليه السلام كما فى قوله لا ارينك ههنا فان المراد به نهى المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته واتبع هواه اى ما
تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية فتردى اى فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجى عن اهوالها مستتبع
للهلاك لا محالة وهو فى محل النصب على جواب النهى او فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى فانت تردى وما تلك

بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما كلفه عليه السلام من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما امر به من الشؤن الخاصة بنفسه
فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق
بمضمر وقع حالا اى وما تلك قارة او ماخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلى شيخا وقيل تلك
موصول اى ما التى هى بيمينك واياما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير
النداء لزيادة التأنيس والتنبيه قال هى عصاى نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من
الافاعيل المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصى على لغة هذيل اتوكأ عليها اى اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف على
راس القطيع واهش بها اى اخبط بها الورق واسقطه على غنمى وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش
اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين المهملة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال اى ازجرها
منحيا ومقبلا عليها ولى فيها مارب اخرى اى حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روى انه عليه السلام كان اذا سار القاها
على عاتقه فعلق بها اداوته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها
والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملة المارب انها
كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام فهم ان
المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت
منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر
حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض
الذى فهمه من سؤال العليم الخبير قال استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال له عز وجل فقيل قال
القها يا موسى لترى من شانها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتاكيد التنبيه فالقاها على الارض فاذا
هى حية تسعى روى انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت
بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق
بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هى ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة و
قوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال استئناف كما سبق خذها ولا تخف عن ابن عباس
رضى الله عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شئ من الصخر والشجر فلما راه كذلك خاف ونفر ومن ملكه ما يملك البشر
عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وعطف النهى على الامر اشعار بان عدم المنهى عنه مقصود
لذاته لا لتحقيق المامور به فقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه استئنافا مسوقا لتعليل الامتثال بالامر
والنهى فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده
عليه السلام وايذان بكونها مسخرة له عليه السلام ليكون على طمأنينة من امره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند محاجة
فرعون اى سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التى هى الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم
الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها وياخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على
نزع الجار اى الى سيرتها او الى ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية اى سنعيدها في طريقتها او على
تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول اى سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها اى سائرة سيرتها الاولى
فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل واضمم يدك الى جناحك امر عليه السلام بذلك بعدما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت
اى ادخلها تحت عضدك فان جناحى الانسان جنباه كما ان جناحى العسكر ناحيتاه مستعار من جناحى العسكر الطائر
وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اى يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الامر وقوله تعالى بيضاء حال من
الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اى كائنة من غير عيب وقبح كنى به عن
البرص كما كنى بالسوأة عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه روى انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من
مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر آية اخرى اى معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية
اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور
وقيل هى منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم
الكريم كانه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لآياتنا او
نريك بذلك من آياتنا ما هى كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك
المفعول واياما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه آية اى دللنا بها لنريك الخ
وبقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدى الى عراء آية العصا
عن وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقامات السالفة فصل عما قبله من الاوا

ايذانا باصالته اى اذهب اليه بما رايته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقوله تعالى انه طغى تعليل
للامر او لوجوب المامور به اى جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التى هى دعوى الربوبية قال
استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير
فقيل قال مستعينا بربه عز وجل رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل
واظهر عجزه بقوله ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى وساله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤن
الحق واحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها
بصدر فسيح وجاش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذى هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها
بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لى مع انتظام الكلام بدونها تاكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح
والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشان كل من المطلوبين وفضل اهتمام
باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به واحلل عقدة من لسانى روى انه كان في لسانه عليه السلام رتة من جمرة
ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته ونتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت
آسية انه صبى لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه قيل واحترقت يده فاجتهد
فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اى رب تدعونى قال الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنه واختلف في زوال
العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح منى وقوله
تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسال حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها
ووصفها بقوله من لسانى اى عقدة كائنة من عقد لسانى وجعل قوله تعالى يفقهوا قولى جواب الامر وغرضا من الدعاء
فبحلها في الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها في الجملة اما قوله تعالى هو افصح منى فلانه عليه
السلام قال قبل استدعاء الحل كما ستعرفه على ان افصحيته عليهما السلام لا تستدعى بقاءها اصلا بل تستدعى عدم
البقاء لما ان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصاحة في المفضول ايضا وذلك مناف للعقدة راسا واما قوله تعالى ولا
يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها
لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثرة وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لسانى بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به
بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشئ ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشئ ايضا
باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصوله منه واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اى موازرا يعاوننى في تحمل اعباء ما كلفته
على ان اشتقاقه من الوزر الذى هو الثقل او ملجأ اعتصم برايه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من الازر
بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لا
جعل قدم على الاول الذى هو قوله تعالى هرون اعتناء بشان الوزارة ولى صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال
من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلى اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لى وزيرا وهرون عطف
بيان للوزير ومن اهلى كما مر من الوجهين واخى في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل مفعولاه وزيرا
من اهلى ولى تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة
الاسمية ولا مساغ لجعل وزير مبتدا والاخبار عنه بما بعده اشدد به ازرى واشركه في امرى كلاهما على صيغة الدعاء
اى احكم به قوتى واجعله شريكى في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغى وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال
الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشتراك في الامر فحيث كان من احكام الوزارة توسط
بينهما العاطف كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا غاية للادعية الثلاثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من التسبيح
والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتاييده
اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد
بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالتى
التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتاييد الآخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد
وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اى ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التى
من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق
بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة
معه واما ما قيل من ان المعنى كى نصلى لك كثيرا ونحمدك ونثنى عليك فلا يساعده المقام انك كنت بنا بصيرا اى
عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هرون نعم
الردء في اداء ما امرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل قال قد اوتيت سؤلك اى اعطيت

مسئولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول والإيتاء عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوقوع تلك المطالب
وحصولها له عليه السلام البتة وتقديره إياها حتما فكلها حاصلة له عليه السلام وإن كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كتيسير
الأمر وشد الأزر وباعتباره قيل سنشد عضدك بأخيك وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب إثر
تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى ولقد مننا عليك كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى
عليه السلام بالقبول ببيان أنه تعالى حيث أنعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلأن ينعم عليه
بمثلها وهو طالب له وداع أولى وأحرى وتصديرها بالقسم لكمال الاعتناء بذلك أي وبالله لقد أنعمنا مرة أخرى أي في وقت
غير هذا الوقت لا أن ذلك مؤخر من هذا فإن أخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الأصل اسم للمرور الواحد ثم أطلق على كل
فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت أو لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من أفراد ما له أفراد متجددة فصار علما في ذلك
حتى جعل معيارا لما في معناه من سائر الأشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها ههنا
الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ظرف لمننا
والمراد بالإيحاء إما الإيحاء على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى وإذ أوحيت إلى الحواريين الآية وإما الإيحاء بواسطة الملك
لا على وجه النبوة كما أوحي إلى مريم وإما الإلهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل وإما الإراءة في المنام والمراد بما يوحى
ما سيأتي من الأمر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر أبهم أولا تهويلا له وتفخيما لشأنه ثم فسر ليكون أقر عند النفس
وقيل معناه ما ينبغي أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم إلا بالوحي وفيه أنه لا يلائم المعنيين
الأخيرين للوحي إذ لا تفخيم لشأنه في أن يكون مما لا يعلم إلا بالإلهام أو بالإراءة في المنام وأن في قوله تعالى أن اقذفيه في التابوت
مفسرة لأن الوحي من باب القول أو مصدرية حذف عنها الباء أي بأن اقذفيه ومعنى القذف ههنا الوضع وأما في
قوله تعالى فاقذفيه في اليم فالإلقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فإذا خفت عليه فألقيه في اليم لا القذف بلا تابوت
فليلقه اليم بالساحل لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمرا واجب الوقوع لتعلق الإرادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز
مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وإن كان
هو التابوت أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك يأخذه عدو لي وعدو له جواب
الأمر بالإلقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالأمر والإشعار بأن عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي
إلى المحبة فإن الأمر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بأن هناك
لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ
بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه إلى نهر فرعون لما روي أنها جعلت في التابوت قطنا
ووضعته فيه ثم قيرته وألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فدفعه الماء إليه فأتى به إلى بركة في البستان
وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله
حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى وألقيت عليك محبة مني كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة
مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا
يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك أحبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله تعالى أحبته القلوب
لا محالة وقوله تعالى ولتصنع على عيني متعلق بألقيت معطوف على علة له مضمرة أي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو و
الشفقة بمراقبتي وحفظي أو بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من إلقاء المحبة والجملة مبتدأة أي ولتصنع على عيني
فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الأمر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك على عين
مني لئلا تخالف به عن أمري إذ تمشي أختك ظرف لتصنع على أن المراد به وقت وقع فيه مشيها إلى بيت فرعون وما ترتب
عليه من القول والرجع إلى أمها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني إذ لا شفقة أعظم
من شفقة الأم وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من إذ أوحينا على أن المراد به زمان متسع متباعد
الأطراف وهو الأنسب بما سيأتي من قوله تعالى فنجيناك من الغم الخ فإن جميع ذلك من المنن الإلهية ولا تعلق لشيء منها
بالصنع المذكور وأما كونه ظرفا لألقيت كما جوز فربما يوهم أن إلقاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في أن معظم آثار
إلقائها ظهر عند فتح التابوت فتقول أي لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة يقبل ثديها وكان
لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية هل أدلكم على من يكفله أي يضمه إلى نفسه ويربيه
وذلك إنما يكون بقبوله ثديها يروى أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا
إلى تتبع النساء فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بأمه فقبل
ثديها فالفاء في قوله تعالى فرجعناك إلى أمك فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها أي فقالوا دلينا
عليها فجاءت بأمك فرجعناك إليها كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن أي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك وإلا فزوال

الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فإن التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن أنت بفقد إشفاقها
هي نفس القبطي الذي استغاثه الإسرائيلي عليه فنجيناك من الغم أي غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص
فرعون بالإنجاء عنه بالمهاجرة إلى مدين وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء أو فتونا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد
بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في بدرة أي خلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف
والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي أن سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله عنهم فقال خلصناك من محنة بعد محنة
ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه
عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي
يقتضيه النظم الكريم أن لا تعد إجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة أن المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه
السلام إلى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى فلبثت سنين في أهل مدين إذ لا ريب في أن الإجارة المذكورة وما بعدها
مما وقع بعد الوصول إليهم وقد أشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله إليهم إلى جميع ما قاساه عليه السلام في تضاعيف
تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحد منها فتنة وأي فتنة ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثماني
مراحل من مصر ثم جئت أي إلى المكان الذي أونس فيه النار ووقع فيه النداء والجؤار وفي كلمة التراخي إيذان بأن مجيئه عليه
السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك على قدر أي تقدير قدرته
لأن أكلمك وأستنبئك في وقت قد عينته لذلك فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من
الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء عليهم السلام وهو رأس أربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام وتنبيه على
انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الأخرى التي وقعت قبل المرة المحكية أولا وقوله تعالى واصطنعتك لنفسي تذكير لقوله تعالى
وأنا اخترتك وتمهيد لإرساله عليه السلام إلى فرعون مؤيدا بأخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السابقة تأكيدا
لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وعلا من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه
لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظيريه السابقين تمهيد
لإفراد لفظ النفس اللائق بالمقام فإنه أدخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص أي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي
وقوله تعالى اذهب أنت وأخوك أي وليذهب أخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع بآياتي
أي بمعجزاتي التي أريتكها من اليد والعصا فإنهما وإن كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات
مقام إبراهيم فإن انقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية أخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه
آية أخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابها عصا آية أخرى
وكذلك اليد فإن بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها إلى حالتها الأولى آية أخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية
إذ المراد ذهابهما إلى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في إجراء أحكام الرسالة وإكمال أمر الدعوة لا مجرد إذهابها وإ
إيصالها إليه ولا تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للإتباع في ذكري أي بما يليق بي من الصفات الجليلة
والأفعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء إلي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فإن الذكر يقع على جميع العبادات وهو أجلها
وأعظمها وقيل لا تنسياني حيثما تقلبتما واستمدا به العون والتأييد واعلما أن أمرا من الأمور لا يتأتى ولا يتسنى إلا بذكري
اذهبا إلى فرعون جمعهما في صيغة أمر الحاضر مع غيبة هرون إذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي أنه أوحي
إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليهما السلام وقيل سمع بإقباله فتلقاه إنه طغى تعليل لموجب الأمر والفاء في قوله
تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة
الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فإنها
دعوة في صورة عرض ومشورة ويرده ما يجيء من قوله تعالى فقولا إنا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى
أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا لا يزول إلا بالموت
وقرئ لينا لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه أو يخشى عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من
ضمير التثنية أي فقولا له قولا لينا راجيين أن يتذكر أو يخشى وكلمة أو لمنع الخلو أي باشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع
أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بحاله إلزام
الحجة وقطع المعذرة قالا ربنا أسند القول إليهما مع أن القائل حقيقة هو موسى عليه السلام بطريق التغليب إيذانا بأصالته
في كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام له في كل ما يأتي ويذر ويجوز أن يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي
ذلك مع أن قول موسى عليه السلام عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فإن هذا الخطاب قد حكي
لنا بصيغة الجمع مع أن كلا من المخاطبين لم يخاطب إلا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف
باجتماعهم في الخطاب إننا نخاف أن يفرط علينا أي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط

اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اى نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب او ان يطغى اى يزداد طغيانا الى ان يقول فى شانك ما لا ينبغى لكمال جراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما قال استيناف مبنى على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق آخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما يأتى من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فان ما قبله ايضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال لا تخافا ما توهمتما من الامرين وقوله تعالى اننى معكما تعليل لموجب النهى ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى اسمع وارى اى ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فافعل فى كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز ان لا يقدر شئ على معنى انى حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها فأتياه امرا باتيانه الذى هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما امرا بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا رسولا ربك امرا بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شانهما ويبنى جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء فى قوله تعالى فارسل معنا بنى اسرائيل لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولى ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم اى بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم فى الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون ذكورهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجئ بآية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان فى بيان مجئ الآية نوع طول كما ترى فتأخير ذلك عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين عن الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا قد جئناك بآية من ربك تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب فى موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى اولو جئتك بشئ مبين واما قوله تعالى فأت بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها آية من الآيات والسلام المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين على من اتبع الهدى بتصديق آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه فى اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى انا قد اوحى الينا من جهة ربنا ان العذاب الدنيوى والاخروى على من كذب اى بآياته تعالى وتولى اى اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف فى الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه قال اى فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به فمن ربكما يا موسى لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما فى قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع فى سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولى ربهما اى اذا كنتما رسولى ربكما فاخبرا من ربكما الذى ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه السلام مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل فى الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عليه السلام رتة فاراد ان يفحمه فيرده ما شاهد منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه فى الخبث والدعارة كما مر قال اى موسى عليه السلام مجيبا له ربنا اما مبتدأ وقوله تعالى الذى اعطى كل شئ خلقه خبره او هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول صفته واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما فى حيز الصلة اى هو ربنا الذى اعطى كل شئ من الاشياء خلقه اى صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شئ تحتاج هى اليه وترتفق به وتقديم المفعول الثانى للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضى على ان الجملة صفة للمضاف او للمضاف اليه وحذف المفعول الثانى اما للاقتصار على الاول اى كل شئ خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار مع كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اى اعطى كل شئ خلقه تعالى ما يحتاج اليه ثم هدى اى الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرف كيف يتوصل

الى

الى بقائه وكماله اما اختيارا كما فى الحيوانات او طبعا كما فى الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذى هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التى هى عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة فى تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخى ولقد ساق عليه السلام جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة قال فما بال القرون الاولى لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام فى سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التى لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعى بين يدى قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى قال علمها عند ربى فان معناه انه من الغيوب التى لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسئول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الآيتين فى كتاب اى مثبت فى اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره فى علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى لا يضل ربى ولا ينسى اى لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته فى اللوح ليس لحاجته تعالى اليه فى العلم به ابتداء او بقاء واظهار ربى فى موقع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلية الحكم فان الربوبية مما يقتضى عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقرى بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتى من الالتفات الذى جعل لكم الارض مهدا على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدأ محذوف اى جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمى به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اى جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم وسلك لكم فيها سبلا اى حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها وانزل من السماء ماء هو المطر فاخرجنا به اى بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشان تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما فى قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكى مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا اى كائنة من نبات وكذا قوله تعالى شتى اى متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه فى الاصل مصدر يستوى فيه الواحد والجمع يعنى انها شتى مختلفة فى الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اى معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين فى ذلك ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الكمال والتنكير فى قوله تعالى لآيات للتفخيم كما وكيفا اى لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى فى ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما السلام لاولى النهى جمع نهية سمى بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمى بالعقل لعقله وحجر من ذلك اى لذوى العقول الناهية عن الاباطيل التى من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فئته الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها منها خلقناكم اى فى ضمن خلق ابيكم آدم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا

الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة فى الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر فى المرة ولقد اريناه حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه السلام بجلايل نعمايه الداعية له الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شانها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه فى المكابرة والعناد اى وبالله لقد بصرنا فرعون او عرفناه آياتنا حين قال لموسى عليه السلم ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هو ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنين باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدايع الامور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين فى تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك باياتى وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهيا فانه روى انه عليه السلام لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروى انها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون انشدك الخ ونزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففى تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة اكدت بقوله تعالى كلها فانه قيل اريناه آياتنا بجميع مستتبعاتهما وتفاصيلهما قصدا الى بيان انه لم يبق له فى ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الآيات التسع منها لما انها انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى تفسير سورة الاعراف ولا ريب فى ان امر السحرة مترقب بعد وابعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبنى اسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء اريد به الحجر الذى فر بثوبه او الذى انفجرت منه العيون وكذا ان يعد منها الآيات الظاهرة على الانبياء عليهم السلم بناء على ان حكايته عليه السلم اياها لفرعون فى حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها لاستحالة الكذب عليه عليه السلم فان حكايته عليه السلام اياها لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سيأتى من حمل ما اظهره عليه السلم على السحر والتصدى للمعارضة بالمثل يأباه اباء بينا وينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لما جاز ان يجعل ما فصله عليه السلم من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية واحكامها من جملة الآيات فكذب موسى عليه السلام من غير تردد وتأخير مع ما شاهد فى يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا وابى الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى استيناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجىء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدى له اى اجئتنا من مكانك الذى كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلم بابراز ان مراده عليه السلم ليس مجرد انجاء بنى اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا فى المدافعة والمخاصمة وسمى ما اظهره الله من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثل ما اتى به عليه السلام فقال فلنأتينك بسحر مثله الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا اى وعدا لما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى لا نخلفه فان المناسب للمكان والزمان اى لا نخلف ذلك الوعد نحن ولا انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط كلمة النفى بينهما للايذان بمسارعته الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عليه السلام ولذلك اكد النفى بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه فح يكون مطابقة الجواب فى قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه عليه السلم بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل فى يوم مشهود على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم فتولى فرعون اى انصرف عن المجلس فجمع كيده اى ما يكاد

به من السحرة وادواتهم ثم اتى اى الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفى كلمة التراخى ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لأى وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى الخ بطريق الاستيناف المبنى على السؤال يقضى بان المترقب من احواله عليه السلام والمحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عليه السلام من الكلام واما اتيانه اولا فامر محقق غنى عن التصريح به كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته التى ستظهر على يدى سحرا كما فعل فرعون فيسحتكم اى يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من الثلاثى على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بنى تميم ونجد وقد خاب من افترى اى على الله كائنا من كان باى وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهى عنه دخولا اوليا او وقد خاب فرعون المفترى فلا تكونوا مثله فى الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها فتنازعوا اى السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلم كان ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذى اريد منهم من مغالبته عليه السلام وتشاوروا وتناظروا بينهم فى كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول فى ذلك واسروا النجوى اى من موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اى بطريق التناجى والاسرار ان هذان لساحران الخ فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقر عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هى نافية واللام بمعنى الا اى ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران وهى قراءة واضحة يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اى ارض مصر بالاستيلاء عليها بسحرهما الذى اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى اى بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلم ارسل معنا بنى اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بنى اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بنى اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة فى المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد ان يكون الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب فى ان اخراج بنى اسرائيل من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم آمنون فى ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزية فيه وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اى اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اى فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغى ثم ائتوا صفا اى مصطفين امروا بذلك لانه اهيب فى صدور الرائين وادخل فى استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقى من بنى اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه السلم بما ذكر فى قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم فى قطر آخر منه ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه فى الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى من المصليات بعد تعيين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلى من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين اى قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود فى المغالبة هذا هو اللايق بتجاوب اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه السلم ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم من فرعون وملائه ويحمل قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت آراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامرا لهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استيناف مبنى على سؤال ناشئ من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهورهما وغناهما عن البيان اما ان تلقى اى ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم واما ان نكون اول من القى ما يلقيه

اولا من يفعل الالقاء خيروه عليه السلام بما ذكر مراعاة للادب لما راوا منه عليه السلام ما راوا من مخايل الخير ورزانة الرأي واظهارا للجلادة باراءة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدا محذوف اى اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر اما القاؤك او القاؤنا قال استيناف كما سلف ناشئ من حكاية تخييرهم اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل قال بل القوا انتم اولا مقابلة للادب باحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم ويستنفدوا قصارى وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم ان ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من مكايد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق اى فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعى متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه السلام وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزيبق فلما ضرب عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل باسناده اليه تعالى وقرئ تخيل بحذف احدى التائين من تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اي ما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه وآكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي هذا وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر من ان ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتانيث لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التائين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستئناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجبه ببيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عليه السلام لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه السلام والا لعلل بما يزيله من الوعد بما يوجب ايمانهم واتباعهم له عليه السلام وقوله تعالى ان ما صنعوا الخ تعليل لقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشان العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة معربة عن محذوف ينساق اليه النظم الكريم غنى عن التصريح به لغاية ظهوره وعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع التلقف الموعود اى فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من التلقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما هي آية من آيات الله عز وجل روى ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات فاستدل بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته فخروا لما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة ولا ينافيه قولهم انا لنطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور المغفرة قالوا استيناف كما مر غير مرة آمنا برب هرون وموسى تاخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وفي جواز ان يكون ترتيب كلامهم هكذا الاكبرين هرون عليه السلام وانما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى في صغره فلو قدموا موسى عليه السلام لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون قال اي فرعون للسحرة آمنتم له اي لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان آذن لكم اي من غير ان آذن لكم في الايمان له كما في قوله

لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان اذن لهم في ذلك واقع بعده او متوقع انه يعني موسى عليه السلام لكبيركم اي في فنكم واعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او فعلكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما اظهره كما لا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال فلاقطعن اي فوالله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو فان المبتدأ من المعروض مبتدأ من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اي لاقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لانها افظع من غيرها ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف ولتعلمن اينا يريد به نفسه وموسى عليه السلام لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا اما لقصد توضيع موسى عليه السلام والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لاراءة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عليه السلام حيث راوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هرون وموسى اشد عذابا وابقى اي ادوم قالوا غير مكترثين بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالايمان والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده عليه السلام من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها والذي فطرنا اي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتاخيره لان ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى فاقض ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تعالى انما تقضي هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى نتاثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل ارادوا الاكراه على تعلم السحر حيث روي ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والله خير اي في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا وابقى اي جزاء ثوابا كان او عذابا او خير ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى انه الى اخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونهما لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا اي قوله تعالى من يأت ربه مجرما بان مات على الكفر والمعاصي فان له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن يأته مؤمنا به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالبا مع الموصوف وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اي فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة الدرجات العلى اي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهو التشاجر الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات العلى او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة نقوله

تعالى تجرى من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة ذلك
اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى اى تطهر من دنس الكفر والمعاصى
بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه
ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله اينا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الايات الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا
ليس في القرآن ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت في الاخبار ولقد اوحينا الى موسى حكاية اجمالية لما انتهى
اليه امر فرعون وقومه وقد طوى في البين ذكر ما جرى عليهم من الايات المفصلات الظاهرة على يدى موسى عليه السلام بعد ما غلب
السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وان في قوله تعالى ان
اسر بعبادى اما مفسرة لان الوحى فيه معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباده تعالى
لاظهار المرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون
الظلم ما فعل اى والله لقد اوحينا اليه عليه السلام ان اسر بعبادى الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون اى سر بهم
من مصر ليلا فاضرب لهم اى فاجعل او فاتخذ لهم طريقا في البحر يبسا اى يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا
وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او للتعدد حسب تعدد الاسباط لا
تخاف دركا حال من المأمور اى آمنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف وقرئ لا تخف جوابا
للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل في حكمه اى ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف اى وانت لا تخشى او عطف
عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفى الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا فيه
من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده اى تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم اى
تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه
فحذف المفعول الثانى وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده اى ساقهم خلفهم وايا ما كان فالفاء فصيحة
معربة عن مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عليه السلام الى الامتثال بالامر اى
ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روى ان موسى عليه السلام
خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف
فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثنى عشر فرقا كل فرق
كالطود العظيم فعبر موسى ومن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اى علاهم
منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك
فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اى غطاهم
ما غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذى ورطهم للهلكة ويأباه الاظهار في قوله تعالى
واضل فرعون قومه اى سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب
الهائل الدنيوى المتصل بالعذاب الخالد الاخروى وقوله تعالى وما هدى اى ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من
المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم
به في قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفى الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك
انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما يختص بالدينى منهما يأباه مقام بيان سوقه بجنوده الى مساق
الهلاك الدنيوى وجعلهما عبارة عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بنى اسرائيل حكاية لما خاطبهم
الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية
ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبى صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل
بآبائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتى من قوله تعالى وما اعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو
الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اى وقلنا يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل
ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيناكم وانجيتكم وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب
على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اى واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام
اى اتيان موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التوراة عليه ونسبة المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام نظرا الى ملابسته
اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق و
التصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور بالذات هو آدم عليه السلام وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى
اى الترنجبين والسمانى حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب
عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه كما مر مرارا كلوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة

عليهم من طيبات ما رزقناكم اى من لذائذه او حلالاته وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة
الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اى فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدى لما حد
لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبى جواب للنهى اى فيلزمكم عقوبتى ويجب لكم من حل الدين اذا وجب
اداؤه ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى اى تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل
وانى لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصى التى من جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا اى عملا
صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم
اهتدى اى استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخى الرتبى وما اعجلك عن قومك يا موسى
حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اى و
قلنا له اى شئ اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في
ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس
العجلة الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولى العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفى الانفراد المنافى
للاستصحاب والمعية حيث قال هم اولاء على اثرى يعنى انهم معى وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا
تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه
لامر مرضى حيث قال وعجلت اليك رب لترضى عنى بمسارعتى الى الامتثال بامرك واعتنائى بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد
الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر قال استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر في وروده
على صيغة الغائب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كانه قيل من جهة
السامعين فماذا قال له ربه حينئذ فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم
وهم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب
الاخبار بما ذكر من الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روى انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه
فحسبوها مع ايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عليه السلام عين ولا اثر واضلهم السامرى حيث كان
هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عليه السلام ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل
ما كان فاخبره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما
بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان السامرى كان قد عزم على ايقاع
الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ
واضلهم السامرى على صيغة التفضيل اى اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال
لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم
يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه المعهود اى بعد ما استوفى الاربعين واخذ التوراة لا عقيب الاخبار
بالفتنة فسببية ما قبل الفاء لما بعدها انما هى باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا لا باعتبار نفسه
وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار
بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد
لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل
الحزين قال استئناف مبنى على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على
ابلغ وجه وآكده اى وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى افطال عليكم العهد اى الزمان للعطف على مقدر
والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اى اوعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه ام اردتم ان يحل اى يجب
عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم اى من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدى اى وعدكم
اياى بالثبات على ما امرتكم به الى ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم
الوعد الجارى فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب
ما بعدها على كل واحد من شقى الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد بطول العهد فاخلفتموه خطأ ام اردتم حلول
الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل الاخلاف على معنى وجدان الخلف فيه اى فوجدتم الخلف
في موعدكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السياق ولا السباق اصلا قالوا ما اخلفنا موعدك اى وعدنا اياك بالثبات
على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا بملكنا اى بان ملكنا امورنا يعنون انا لو
خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامرى ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها وكل لغات

فى مصدر مكنا الشئ وكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشا الخطاء وقرى حملنا بالتخفيف
اى حملنا احمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم
لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هى ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم
لها اوزارا لانها تبعات واثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ فقذفناها اى فى النار رجاء الخلاص عن ذنبها وكذلك اى ومثل
ذلك القذف القى السامرى اى ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقى ما كان معه من الحلى فقالوا ما قالوا على زعمهم
وانما كان الذى القاه التربة الذى اخذها من اثر الرسول كما سياتى روى انه قال لهم انما تاخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأى
ان نحفر حفيرة ونسجر فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اى السامرى لهم للقائلين عجلا من تلك الحلى المذابة وتاخيره مع كونه مفعولا
صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم
الكريم فان قوله تعالى جسدا اى جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اى صوت عجل نعت
له فقالوا اى السامرى ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسى اى غفل عنه وذهب يطلبه فى الطور وهذا
حكاية لنتيجة فتنة السامرى فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين
والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكور للكل لا للعبدة فقط خلاف الظاهر
مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامرى وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون
مخالفته للمعتذرين فافتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل
وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما
وجد الاخلاف فيما بيننا بامرنا بملكنا بل تمكنت الشبهة فى قلوب العبدة حيث فعل السامرى ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال
ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضى بفساده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله
تعالى افلا يرون الخ انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذى
لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو العجل والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الا يتفكرون فلا يعلمون ان لا
يرجع اليهم قولا اى انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية
فان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين اى الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما
ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعى لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف
على لا يرجع داخل معه فى حيز الرؤية اى افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم
ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه ولقد قال لهم هرون من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان
عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اى وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر من
قبل رجوع موسى عليه السلام اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامرى كانه عليه السلام اول ما
ابصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اى اوقعتم فى الفتنة
بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذى يدعيه القوم لا الى قيده
المذكور بالقياس الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وان
ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم
الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل اى ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء فى قوله تعالى
فاتبعونى لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اى اذا كان الامر كذلك فاتبعونى فى الثبات على الدين واطيعوا
امرى هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شانه قالوا فى جواب هرون عليه السلام لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين
حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه
عليه السلام بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه السلام لا يرجع بشئ مبين تعويلا على مقالة السامرى
روى انهم لما قالوا ذلك اعتزلهم هرون عليه السلام فى اثنى عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع
الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا
وقوله تعالى قال استيناف مبنى على سؤال نشا من حكاية جوابهم لهرون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى لهرون حين
سمع جوابهم له وهل رضى بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته وراسه يا هرون ما
منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء ان لا تتبعن اى ان تتبعنى
على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وعامل فى اذا اى اى شئ منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعنى فى الغضب لله تعالى
والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعنى فان المنع عن الشئ مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان
تلحقنى وتخبرنى بضلالهم فتكون مفارقتك مزجرة لهم وفيه ان نصائح هرون عليه السلام حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلان لا

بزعمهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبر عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه
السلام فينزجرون عن ذلك بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه السلام
افعصيت امرى اى بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه فان قوله له عليهما السلام اخلفنى متضمن للامر بهما حتما فان الخلافة
لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اى الم تتبعنى او اخالفتنى فعصيت امرى قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا لحقها وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان
اخاه لام فان الجمهور على انهما شقيقين لا تاخذ بلحيتى ولا براسى اى بشعر راسى روى انه عليه السلام اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته
بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام حديدا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين راهم يعبدون
العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى انى خشيت الخ استيناف سيق لتعليل موجب النهى ببيان ان الداعى الى ترك المقاتلة
وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به اى انى خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل
برأيك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه
القتال من التفريق الذى لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولى يريد به قوله عليه السلام اخلفنى فى قومى واصلح الى آخره
يعنى انى رايت ان الاصلاح فى حفظ الدماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استانيتك لتكون انت المتدارك
للامر حسبما رايت لا سيما وقد كانوا فى غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفونى
وكادوا يقتلوننى قال استيناف وقع جوابا عما نشا من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامرى
واعتذار هرون عليه السلام كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكى من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على
السامرى فقيل قال موبخا له هذا شانهم فما خطبك يا سامرى اى ما شانك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام بذلك
ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم
قال اى السامرى مجيبا له عليه السلام بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها فى الاول وفتحها فى الثانى
وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه اى علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له او رايت
ما لم يروه وهو الانسب بما سياتى من قوله وكذلك سولت لى نفسى لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى
عليه السلام جراءة عظيمة لا تليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عليه السلام فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد
كان راى ان جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته
النبات فى الحال فعرف ان له شانا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس
الرسول اى من تربة موطئ فرس الملك الذى ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه
على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية تاكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة
من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد
المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثانى باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها اى فى الحلى المذابة فكان ما كان
وكذلك سولت لى نفسى اى ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل
الكاف فى الاصل النصب على انه مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لى نفسى تسويلا كائنا مثل ذلك
التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار
نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اى ذلك التزيين البديع زينت لى نفسى ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل
جوابه ان ما فعلته انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا لشئ آخر من البرهان العقلى والالهام
الالهى فعند ذلك قال عليه السلام فاذهب اى من بين الناس وقوله تعالى فان لك فى الحيوة الخ تعليل لموجب الامر وفى متعلقة
بالاستقرار فى لك اى ثابت لك فى الحيوة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار فى الظرف المذكور لا بتمام
على ما هو مبتدأ معنى لا بقوله تعالى ان تقول لا مساس لمكان ان اى ثابت لك كائنا فى الحيوة اى مدة حياتك ان تفارقهم
مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام
لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حم من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى صوته
لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات
وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة
الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر فى مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة
التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى
التى هى من اسباب موت الاحياء وان لك موعدا اى فى الآخرة لن تخلفه اى لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة
بعد ما عاقبك فى الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الوعد اى وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله

عز وجل وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا اى ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرى بكسر الظاء بنقل
حركة اللام اليها لنحرقنه جواب قسم محذوف اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة فى حرق
اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه اى لنذرينه وقرى بضم السين فى اليم رمادا او مبرودا كانه هباء
نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها
على كمال ظهوره واستحالة الخلف فى وعده المؤكد باليمين انما الهكم الله استيناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل
بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اى انما معبودكم المستحق للعبادة الله الذى لا اله فى الوجود لشىء من الاشياء الا هو
وحده من غير ان يشاركه شىء من الاشياء بوجه من الوجوه التى من جملتها احكام الالوهية وقرى الله لا اله الا هو الرحمن
رب العرش وقوله تعالى وسع كل شىء علما اى وسع علمه كل ما من شانه ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم
الذى وسع كل شىء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرى وسّع بالتشديد فيكون انتصاب علما
على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه
قيل وسع علمه كل شىء وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى
كذلك نقص عليك كلام مستانف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم
السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته
فى الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اى نقص عليك من انباء ما سبق من الحوادث الماضية الجارية على
الامم الخالية قصصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن فى قوله تعالى من انباء فى حيز النصب
اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما فى قوله تعالى ومنا دون ذلك
اى جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه فى تفسير
قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتاخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى مثل ذلك
القص البديع الذى سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك و
تذكيرا للمستبصرين من امتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا اى كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار
وكلمة من متعلقة باتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتاخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة فى الجملة كون المؤتى من لدنه
تعالى ذكرا عظيما وقرانا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده
من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم من اعرض عنه عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين
وقيل عن الله عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة ومن اما شرطية او موصولة وايا ما كانت فالجملة صفة
لذكرا فانه اى المعرض عنه يحمل يوم القيمة وزرا اى عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وساير ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها
فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو
الانسب بما سياتى من تسميتها حملا وقوله تعالى خالدين فيه اى فى الوزر او فى احتماله المستمر حال من المستكن فى يحمل والجمع
بالنظر الى معنى من لما ان الخلود فى النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضماير الثلثة بالنظر الى اللفظ
وساء لهم يوم القيمة حملا اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام
للبيان كما فى هيت لك كانه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الامر يوم ينفخ
فى الصور بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما
مر فى تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرى ننفخ بالنون على اسناد النفخ
الى الامر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته ونحشر
المجرمين يومئذ اى يوم اذ ينفخ فى الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرى ويحشر المجرمون
زرقا اى حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا
اعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال وازرق العين او عميا لان حدقة الاعمى
تزرق وقوله تعالى يتخافتون بينهم اى يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استيناف ببيان
ما ياتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين اى يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة ان لبثتم اى ما لبثتم فى الدنيا الا عشرا اى
عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا
انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات او فى القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون
البعث الذى كانوا ينكرونه فى الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة
وقوعه كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم فى القبر الا مدة يسيرة والا لما طال فطال ما من ان تمكنهم من الاشتغال بتذكر ايام
النعمة والسرور واستقصارها والتاسف عليها نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اى اعدلهم رايا

او

او عملا ان لبثتم الا يوما ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة
الهول ويسئلونك عن الجبال اى عن مآل امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربى
نسفا اى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها الضمير اما للجبال باعتبار
اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهى مقارها ومراكزها اى فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح ساير اجزاء الارض
بعد نسف ما نتا منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل قاعا
صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح ساير اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع
قيل السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوى الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض
المستوية الملساء كان اجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر
على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثانى وقوله تعالى لا ترى فيها اى فى مقار الجبال
او فى الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اى اعوجاجا ما كانه لغاية خفائه من قبيل ما فى المعانى اى لا تدركه
ان تاملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اى نتوا يسيرا استيناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف وحال اخرى
او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم يومئذ اى يوم اذ نسفت
الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعى وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك
اى يتبع الناس داعى الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على
صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومى الى عرض الرحمن فيقبلون من
كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن اى خفضت لهيبته فلا تسمع الا همسا
اى صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اى يوم
اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن ان يشفع له ورضى له قولا اى
ورضى لاجله قول الشافع فى شانه او رضى قوله لاجله وفى شانه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها
عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم
المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره
فلا سبيل اليه لما ان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر هى عنه اصلا كما فى قوله تعالى لا
يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها
للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا
يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن فى الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم اى ما تقدمهم
من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الاخرة ولا يحيطون به علما اى لا يحيط
علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اى من حيث اتصافه بصفات الكمال التى من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير
لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحى القيوم اى ذلت و
خضعت خضوع العناة اى الاسارى فى يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين
كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استيناف
لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية
عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات الخ
قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه للحى الخ كما انه كذلك على الوجه الاول اى ومن
يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين فى تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق
وهو مؤمن فان الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اى منع ثواب مستحق بموجب الوعد
ولا هضما ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرى فلا
يخف على النهى وكذلك عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الايات المتضمنة للوعيد المنبئة عما
سيقع من احوال القيمة واهوالها اى مثل ذلك الانزال انزلناه اى القران كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة
شانه وكونه مركوزا فى العقول حاضرا فى الاذهان قرانا عربيا ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز
الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اى كررنا فيه بعض
الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا لعلهم يتقون اى كى يتقوا الكفر والمعاصى بالفعل او يحدث لهم ذكرا
اتعاظا واعتبارا مؤديا بالاخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى وللشؤون التى يصرف عليها عباده من الاوامر

والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ترفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله كما حق الله الملك
النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته
ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليه السلام الوحي
يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهى عن ذلك اثر ذكر الاستطراد لما ان
الاستقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة
العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل رب زدني علما اي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل
الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته
قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته ولقد عهدنا الى آدم كلام مستانف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف
الوعيد في القران وبيان ان اساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله
تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه
والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اي واقسم او بالله لقد امرناه ووصيناه
من قبل اي من قبل هذا الزمان فنسي اي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه او تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسي اي
نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم راي وثبات قدم في الامور لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان
يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها
عن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما
على الذنب فانه اخطا ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على
الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول وليس في الاخبار
بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع
في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه
وسلم اي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا
من المبالغة في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل
الامور وما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة
في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه
فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستانفة وقعت جوابا عن سوال نشا من الاخبار بعدم سجوده
كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى واستكبر ومفعول ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع
الساجدين او غير منوي راسا بتنزيله منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا آدم
ان هذا الذي رايت ما فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اي لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما
من ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك ههنا والفاء لترتيب
موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب النهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج
الموجب له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيها من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء
التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى
تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها
والجد في الانتهاء عما يؤدي الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له عليه السلام فيها تنعما بفنون النعم من
الماكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى
الى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحى لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع
الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع
ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث
شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا
تجوع فيها الى آخره ان لا يصيبه شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد يحصل بعد عروض
اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة وميل الى شيء
من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظما
عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحى المتجانسين لتوفية مقام الامتنان

حقه

الفتح

حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظما لربما توهم ان نفيهما نعمة و
احدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحى على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من
الامور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة الا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض
آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على العطف على ان لا تجوع وصحة وقوع
الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما ان المحذور
اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزها بخلاف ما لو وقعت
خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة
الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابي او السلبي وان مناط ذلك
الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة
بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها للجملة المأولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول
المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم حق
مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة
وان كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها
على مدخولها لكنه حيث لم يكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا والمعنى
ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظما خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عليه السلام عدم الظما والضحى
مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدر
المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها عدم ظمائك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسته او اسرها اليه
قال اما بدل من وسوس او استئناف وقع جوابا عن سوال نشا منه كانه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال يا آدم
هل ادلك على شجرة الخلد اي شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن
عباس رضي الله عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
قد مر تفسيره في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود او عن
المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام
بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل
على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعته او من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت
على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف
له عليه السلام فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب هو وزوجه قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى اي الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب
العصمة قال استئناف مبني على سوال نشا من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا امره تعالى بعد
ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اي انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير
المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشا الاولاد اي متعادين في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب
والتحارب فاما ياتينكم مني هدى من كتاب ورسول فمن اتبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى ضميره
تعالى لتشريفه والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري اي عن الهدى الذاكر
لي والداعي الي فان له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى
كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من
انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت
عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب
آمنوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره
وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيامة اعمى فاقد
البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استئناف كما مر رب
لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وقرئ اعمى بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير
لكونه راس الآية ومحل الوقف قال كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بقوله تعالى اتتك آياتنا واضحة نيرة بحيث لا
تخفى على احد فنسيتها اي عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر اصلا وكذلك ومثل ذلك النسيان الذي كنت

فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا ابدا كما قيل بل الى ما شاء الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب وكذلك البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا وكذلك اى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها واعرض عنها ولعذاب الآخرة على الاطلاق او عذاب النار اشد وابقى اى من ضنك العيش او منه ومن الحشر على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واياما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها وضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا القرون الاولى وقد مر في قوله عز وعلا اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العايد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا الخ اما متعلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف وهذا قيل والاوجه ان لا يلاحظ له مفعول كانه قيل أفلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الخ بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على انه وصف لمميز كم اى كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال من القرون او من مفعول اهلكنا اى اهلكناهم وهم في حال امن وتقلب في ديارهم او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اى يمكنون من المشي ان في ذلك تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شانه في بابه لآيات كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فاذن هو هاد واي هاد ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية فافهم لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من اقبحها ما يتعاطاه كفرة مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستانف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اى ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاما اى لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتاخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تلويح بان ذلك التاخير لتشريفه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزوم اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اى ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تاخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن في كان العايد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التاكيد اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون اى اذا كان الامر على ما ذكر من ان تاخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبسا بحمد ربك اى صل وانت حامد لربك الذي يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشانه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب بقوله تعالى قبل طلوع الشمس الخ فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر وقبل غروبها يعني صلاتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة لقوله تعالى قبل طلوع الشمس وقيل صلوة العصر ومن آناء الليل اى من ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد فسبح اى فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقول من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اى سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اى لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله تعالى ازواجا منهم اى اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه

الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من الضمير والمفعول منه اى الذى تمتعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه معنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اى اعطينا او بتضمين معناه او على انه بدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهى الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جئ به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار بهجته حالا اى لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك اى ما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى خير مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه وابقى فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا وامر اهلك بالصلوة امر عليه السلام بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعدما امر هو بها ليتعاونوا في الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها غير مشتغل بامر المعاش لا نسألك رزقا اى لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة الحميدة للتقوى اى لاهل التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روى انه عليه السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا ياتينا بآية من ربه حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر عليه السلام بالصبر عليها اى هلا ياتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة او بآية مما اقترحوها عليه من الكتاب بعينه والعناد لا يجتنب لهم بعد واما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اى التوراة والانجيل وساير الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار اتيان الآية باتيان القرآن اكبر الذي هو ام الآيات واس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اى امر كان ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين على يدي امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده واي آية ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التوراة والانجيل وساير الكتب السماوية اى شاهدا بحقية ما فيها من العقايد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت عليها كافة الرسل وبحقية ما نطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره ما لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه مأتيا به للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل الم تاتهم ساير الآيات ولم تاتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتاتى منهم انكاره اصلا وان اجترؤا على انكار ساير الآيات مكابرة وعنادا وقرئ او لم ياتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب الى آخر الآية جملة مستانفة سيقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستاصل من قبله متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اى بعذاب كاين من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا اى يوم القيمة ربنا لولا ارسلت الينا في الدنيا رسولا مع كتاب فنتبع آياتك التي جاءنا بها من قبل ان نذل بالعذاب في الدنيا ونخزى بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء قل لاولئك الكفرة المتمردين كل اى كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون عن قريب من اصحاب الصراط السوي اى المستقيم وقرئ السواء اى الوسط الجيد وقرئ السوء والسوى والسوي تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرهما ما بعدهما والجملة سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العايد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط وقيل العايد في الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس

سورة الانبياء مائة واثنا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله

عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كون الخلق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تاكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المبني على التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شيء آخر **وهم في غفلة** اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء **معرضون** اي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون **ما يأتيهم من ذكر** من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر ومن في قوله تعالى **من ربهم** لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع **محدث** بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله اي محدث تنزيله باقتضاء الحكمة وقوله تعالى **الا استمعوه** حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى **لاهية قلوبهم** اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر **واسروا النجوى** كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لا يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى **الذين ظلموا** بدل من واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى **هل هذا الا بشر مثلكم** الى آخره في حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى **افتأتون السحر** للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى **وانتم تبصرون** حال من فاعل تأتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر تعلمون ذلك افتأتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وزل عنهم ان ارسال البشر هو الذي تقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون **قال ربي يعلم القول في السماء والارض** حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعد ما اوحي اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض وقوله تعالى **وهو السميع العليم** اي المبالغ في العلم بالمسموعات

والمعلو

والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد **بل قالوا اضغاث احلام** اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول آخر مضطرب في مطارب البطلان اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر على يديه من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا **بل افتراه** من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا **بل هو شاعر** وما اتى به شعر يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها وهذا شان المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي ح ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والاعتذار بان بل قالوا مقول لقالوا النجوى قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كانه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الا قالوا بل اضغاث احلام وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله **فليأتنا بآية** جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية **كما ارسل الاولون** اي مثل الآية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة في محل الجر على انها صفة الآية ويجوز ان تكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف اي فليأتنا باية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان بالآية من فروع الارسال بها اي مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على ان يريد كل واحد من الاتيان والارسال بكل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الآخر حسبما مر تحقيقه في سورة يونس عليه السلام **ما آمنت قبلهم من قرية** كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوه مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية اي من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتاكيد العموم وقوله تعالى **اهلكناها** اي باهلاك اهلها لعدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى **افهم يؤمنون** لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم يؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات اهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ما آمنت على ان الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو راي الجمهور وقوله عز وجل **وما ارسلنا قبلك الا رجالا** جواب لقولهم هل هذا الا بشر الخ متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله تعالى عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا باية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم والحق ان ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى **نوحي اليهم** استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس مستاهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرهما من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم من البشرية فما لهم لا يفهمون انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله

تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الحقيق بالخطاب فى امثال تلك الحقايق الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظايف العوام والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اى ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسئلوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلوات والسلام لتزول شبهتكم امروا بذلك لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين فى عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم فى امره عليه السلام ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شان النبى صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى والجسد جسم الانسان والجن والملائكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر فى قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعى وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير ايضا وقيل بتقدير المضاف اى ذوى جسد وقوله تعالى لا ياكلون الطعام صفة له اى وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مآل التحلل هو الفنا لا محالة وفى ايثار وما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التى اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستانف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شان الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما فى ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددى كانه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم فى الوعد الذى وعدناهم فى تضاعيف الوحى باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعى الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه بالآخرة وهو السر فى حماية العرب من عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين اى المجاوزين للحدود فى المعاصى لقد انزلنا اليكم كلام مستانف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذى ذكر فى صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما ياتيهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلوة والسلام وقد صدر بالتوكيد القسمى اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين فى اقصى مراتب النكير اى والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشان نير البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمى من كونه جليل القدر بانه جليل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة اى فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه فى امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخى فيه بعث لهم على التدبر فى امر الكتاب والتامل فيما فى تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التى من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التى من جملتها ما ذكر وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفى لفظ القصم الذى هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تاليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة فى محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبى عنه الضمير الآتى اى وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدابكم وانشأنا بعدها اى بعد اهلاكها قوما آخرين اى ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استيصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر فى تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادى اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا باسنا اى ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كانه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم فى فرط الاسراع لا تركضوا اى قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من النعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التى كنتم تفتخرون بها لعلكم تسألون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير فى المهمات والنوازل او تستفيدون اذا رتيت مساكنكم خالية وتسألون عن اصحابها او يسالكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء او بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب يا ويلنا اى هلاكنا انا كنا ظالمين اى مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك

وما جعلناهم جسدا بان تكون الرسل عليهم السلام اسوة لسائر ... ذا احكام ... البشرية ... الكرم

دعواهم

دعواهم اى فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى اى دعوة لان المولول كانه يدعو الويل قايلا يا ويل تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اى مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع خامدين اى ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا فى حيز المفعول الثانى للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب فى جعلناهم او من المستكن فى حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه فى حكم جعلناهم امثال حصيد وما خلقنا السماء والارض اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بنى آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكى من العذاب الهايل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين ذنوبا مثل ذنوبهم اى ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التى لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها واحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالى عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد فى استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما ليكون مبدأ الوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التى هى الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اى لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا اى من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشاننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة فى رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته للحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى ان كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اى ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اى ما كنا فاعلين اى لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالى لانتفاء المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالى وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شاننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من قبيله اللهو وتخصيص شانه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سياتى من الوعيد فيدمغه اى يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذى هو الرمى الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذى هو كسر الشئ الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اى ذاهب بالكلية وفى اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة فى الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذى تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره فى الخبر وما اما مصدرية او موصولة او موصوفة اى واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشانه الجليل او بالذى تصفونه او بشئ تصفونه به من الولد ونحوه مما تصفونه تعالى به وله من فى السموات والارض استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اى له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد فى ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن فى السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدا خبره لا يستكبرون عن عبادته اى لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة فى الحسور للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفى المبالغة فى الحسور مع ثبوت اصله فى الجملة كما ان نفى الظلامية فى قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفى المبالغة فى الظلم مع ثبوت اصل الظلم فى الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم فى من فى السموات والارض للتعظيم كما فى قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حال من الثانية يسبحون الليل والنهار اى ينزهون فى جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كانه قيل ماذا يصنعون فى عباداتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى لا يفترون اى لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل آخر ام اتخذوا آلهة حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشانه

من الارض

من الامور التي من جلتها الانداد ومعنى الهمزة فى ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى هم ينشرون متعلق
باتخذوا او بمحذوف هو صفة لالهة واياما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون اى يبعثون الموتى
صفة لالهة وهو الذى يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اى بل اتخذوا آلهة من
الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا
بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص
فى تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما فى قوله تعالى افى الله شك
وقوله تعالى اً بالله وآياته كنتم تستهزؤن فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه
ويستهزأ به ويجوز ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة
فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا بذلك مدعين لاصل الانشار لو كان
فيهما آلهة الا الله ابطال لتعدد الاله باقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ
الالهة لا لان للجمعية مدخلا فى الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لالهة ولا مساغ للاستثناء
لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على
البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام غير موجب اى لو كان فى السموات والارض آلهة غير الله كما هو
اعتقادهم الباطل لفسدتا اى لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالى علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة
للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فاما ان يتوافقا فى ما هما
عليه اما بتاثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتاثير واحد منها فالبواقى بمعزل من الالهية
قطعا واعلم ان جعل التالى فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر فى المقدم تعدد الالهة فيهما والا فالبرهان يقتضى باستحالة
التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد
موجود اصلا وحيث انتفى التالى تعين انتفاء المقدم والفاء فى قوله تعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها على ما قبلها من
ثبوت الوحدانية بالبرهان اى فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التى من جملتها ان يكون له شريك
فى الالوهية وايراد الجلالة فى موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التى من جملتها تنزهه
تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى رب العرش صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل عما
يصفون متعلق بالتسبيح اى فسبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه آلهة لا يسأل عما يفعل استيناف ببيان انه تعالى
لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان انه ليس له
شريك فى الالهية وهم اى العباد يسألون عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد
للكفرة ام اتخذوا من دونه آلهة اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص
الالهية التى من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى
اظهار بطلان اتخاذهم تلك الالهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة
البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار
الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شؤنه
الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية قل لهم بطريق التبكيت والقام
الحجر هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه فى الامور الدينية لا سيما فى مثل
هذا الشأن الخطير وفى اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى هذا ذكر
من معى وذكر من قبلى انارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل
المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اى هذا الوحى الوارد فى شأن التوحيد المتضمن للبرهان
القاطع العقلى ذكر امتى اى عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب انزل
على امتى وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلثة والصحف فراجعوها وانظروا هل فى واحد منها غير
الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى
او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون الحق
اضراب من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة
باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فهم لاجل ذلك معرضون
اى مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغى والضلال وان كررت عليهم البينات
والحجج او معرضون عما القى عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب

المسبب

والمسبب تاكيدا للسببية وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون استيناف مقرر لما اجمل
فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا
للمفعول واياما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية
فريق من المشركين جىء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق
وهم حى من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله ونقل الواحدى ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة
وبنى مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه
لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه اى تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح اى
بعد او اسبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل عباد اضراب وابطال
لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد
وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم
لامره تعالى اى لا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى او يأمرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاسند السبق اليهم منسوبا
اليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان
السبق المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم انيب اللام عن الاضافة
للاختصار والتجافى عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار
بان من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى فى السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه
لهم عما نفى عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فانى يتوهم صدوره عنهم وهم بامره يعملون بيان
لتبعيتهم له تعالى فى الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى فى الاقوال فان نفى سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له
تعالى فيه كانه قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة
الى غير امره لا الى امر غيره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم استيناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته
تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى ولا
يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون واصل
الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف
فيه اظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الامر ومن يقل منهم اى من الملائكة اذ الكلام فيهم وفى كونهم بمعزل مما قالوا فى
حقهم انى اله من دونه متجاوزا اياه تعالى فذلك الذى فرض قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغنى عنهم
ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة
بحيث يتوهم فى حقهم ما توهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزى الظالمين مصدر تشبيهى مؤكد لمضمون ما قبله اى
مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى الذين يضعون الاشياء فى غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم
معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اى لا جزاء انقص منه اولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم فى التدبر فى الآيات
التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف
على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اى الم يتفكروا ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا اى جماعتا السموات
والارضين كما فى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى اما على حذف
المضاف او هو بمعنى المفعول اى كانتا ذواتى رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اى شيئا رتقا اى مرتوقا ففتقناهما قال
ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عكرمة والحسن البصرى وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقين ففصل
الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هى واقر الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين
ثم خلق ريحا فتوسطتها ففتقتها وعن الحسن خلق الله تعالى الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان
ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى
كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدى كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات و
كذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية
عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر
والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الافاق او السموات جميعا على ان لها مدخلا فى
الامطار وعلم الكفرة بالرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعانى الاول فهم وان لم يعلموهما لكنهم متمكنون
من علمهما اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب
وجعلنا من الماء كل شىء حى اى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم

مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شيء حي من الماء اي بسبب منه لابد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني
للاهتمام به لا لمجرد ان المفعولين في الاصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتدأ فان ذلك مصحح محض
لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق
الى المؤخر افلا يؤمنون انكار لعدم ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والانفسية
الدالة على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على
مقدر يستدعيه الانكار السابق اى ايعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي اى جبالا ثوابت جمع راسية
من رسا الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى اشهر معلومات
واياما معدودات ان تميد بهم اى كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالباس
وجعلنا فيها اى في الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه او في الرواسي لانها
المحتاجة الى الطريق فجاجا مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد انه
تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد
لعلهم يهتدون اى الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد
والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه
وحكمته وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون
فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر اللذين هما آيتاهما
بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتاكيد الاعتناء بفحوى الكلام اى هو الذي
خلقهن وحده كل اى كل واحد منهما على ان التنوين عوض عن المضاف اليه في فلك يسبحون اى يجرون في سطح الفلك
كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها
لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد اى في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية افان مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين قالوا
نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرير القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة
والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته عليه السلام فان الشماتة بما يعتريهم ايضا
مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل افان مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
اى ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او
للكفرة بطريق الالتفات اى نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون او لا فتنة
مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من
الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء
والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات واذا رآك الذين كفروا اى المشركون ان يتخذونك الا هزوا
اى ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم
على كونه هزوا كما هو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى
الي في سورة الانعام اهذا الذي يذكر آلهتكم على ارادة القول اى ويقولون او قائلين ذلك اى يذكرهم بسوء كما في قوله
تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر
والمعنى انهم يعيبون عليه عليه السلام ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق
به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم احقاء بالعيب والانكار فالضمير
الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر الرحمن متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تأكيد لفظي
للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله
وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم
انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب
بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالانسان آدم عليه السلام
وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل
جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى
خلق الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه
عليه السلام ساريا الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا وقوله تعالى سأريكم آياتي تلوين للخطاب

وصرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اى سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار
وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوا عنه ويزجروا ويقولون متى هذا الوعد اى وقت
مجيء الساعة التي كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين
وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اى في وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى
فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فان ذكر
في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا استئناف مسوق لبيان شدة هول
ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى
على المضي لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد
استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان
لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى حين لا
يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه وايثاره
على الجملة الجارية مجرى الصفة التي حققنا ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضاح انكار الكفرة بذلك
للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف
اى لو لم يستمر علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي يحيط بهم النار فيه من كل جانب
وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما للاحاطة بالكل بحيث
لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا من
الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اى لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الخ
استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كانه قيل حين يرون ما يرون ويعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم
عطف على لا يكفون اى لا يكفونها بل تأتيهم اى العدة او النار او الساعة بغتة فتبهتهم اى تغلبهم او تحيرهم وقرئ
الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الهاء في قوله تعالى فلا يستطيعون ردها بتأويل الوعد بالنار
او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار وقيل الى البغتة اى لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون
اى يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عن استهزائهم به عليه السلام في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل
السالفة عليهم الصلوة والسلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة
بمحذوف هو صفة له اى وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق اى احاط عقيب ذلك او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور
على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم
اى من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزءون للمسارعة الى بيان
لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية
الفواصل اى فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع الى جنس
الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم
عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط اى فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب
ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروي بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال
الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك
بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية الى آخرها قل خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر له عليه السلام بان يقول لاولئك المستهزئين
بطريق التقريع والتبكيت من يكلؤكم اى يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اى من باسه الذي تستحقون نزوله ليلا
او نهارا وتقديم الليل لما ان الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس
الا رحمته العامة وبعدما امر عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما تقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا ان
الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون الآفات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك فهو لجوا على ما هم عليه من
الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون بيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب
عنهم هي انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا باسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة

حتى يسألوا عن الكالي على طريقة قول من قال عوجوا على النعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى واحجار وفي تعليق الاعراض
بذكر ربهم تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبي عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم
في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها
من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشي عن اعراضهم عن ذكر
ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة لانكار ان يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى
بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او حفظنا او من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها
وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم الخ
من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم
منا يصحبون استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم اي هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم
ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر
اضراب عما توهموا ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهم
ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه
ولذلك عقب بما يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل افلا يرون اي الا ينظرون فلا يرون انا نأتي الارض اي ارض
الكفرة ننقصها من اطرافها فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يخربه الله عز وجل من ديارهم
على ايدي المسلمين واضافتها الى دار الاسلام افهم الغالبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لترتيب
الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل ابعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم
كما في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعريف تعريض بان
المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها قل انما انذركم بعد ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون
ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار
وغير ذلك من مساوي احوالهم امر عليه السلام بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق
الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اي انما شاني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة
التكوينية والتشريعية اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له
بطريق الاعتراض قد امر عليه السلام بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام
للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع
بقوله تعالى اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كان ايراد
الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مهيبات
دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر
ربهم معرضون ويؤيده القراءة على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه قيل قل
لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عليه السلام وقرئ على البناء للمفعول
اي لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب الله بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب
اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شيء من عذابه
تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند
اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحايف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد
الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف وافراد القسط لانه
مصدر وصف به مبالغة ليوم القيمة التي كانوا يستعجلونها اي لجزائه او لاجل اهله او فيه كما في قولك جئت
لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذي حق
حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين وان كان اي العمل المدلول عليه
بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اي مقدار حبة كائنة من خردل وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة
الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة اتينا بها اي احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال
حبة الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا بها اي جازينا بها من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافاة
لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا
وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك

الا رجالا نوحي اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي
لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التورية وكذا بالضياء والذكر اي وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا
وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص
المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون لمغانم آثاره او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرايع والاحكام
وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لساير
الكتب الالهية لا سيما التورية فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا باية
كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون ربهم اي عذابه مجرور المحل
على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح بالغيب حال من المفعول اي يخشون عذابه
تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من
الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم
منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف
به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه وهذا اي القرآن الكريم اشير اليه بهذا
ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الاخير للتورية لمناسبة المقام وموافقته لما في صدر
السورة الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع يتبرك به انزلناه اما صفة ثانية لذكر او خبر آخر افانتم له منكرون انكار لانكارهم
بعد ظهور كون انزاله كايتاء التورية كانه قيل ابعد ان علمتم ان شأنه كشأن التورية في الايتاء والايحاء
انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ له اصلا ولقد آتينا ابراهيم رشده
اي الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي
والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان كالحزن والحزن من قبل اي من قبل
ايتاء موسى وهرون التورية وتقديم ذكر ايتائها لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه
او قبل بلوغه ويأباه المقام وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار
في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله
وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتقف
على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء مصنوع مشبه بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث
سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة او شرح الاسم كانه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر
او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض
من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة
على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا لها
عابدين اجابوا بذلك لما ان مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام
اياهم بالعكوف لها كانه عليه السلام قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا
الى التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث قال لقد كنتم انتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه
السنة الباطلة في ضلال عجيب لا يقادر قدره مبين اي ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى
كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اي والله لقد
كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة قالوا لما سمعوا
مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي
وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا بالحق اي بالجد ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على
وجه المداعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال عليه
السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
كانه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان
على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق
وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اي انشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم وآباؤكم وما
تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر في الزام الحجة
عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات وانا على ذلكم الذي ذكرته من كون
ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين اي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين

علیه فان الشاهد على الشیء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة علیه واثباته بها كانه قال وانا ابین ذلك
وابرهن علیه وتالله وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التی هی بدل من الاصل وفیها تعجب لاكیدن اصنامكم ای
لاجتهدن فی كسرها وفیه ایذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحیل وانما قاله علیه السلام سرا وقیل سمعه
رجل واحد بعد ان تولوا مدبرین من عبادتها الی عیدكم وقرئ تولوا من التولی بحذف احدی التائین ویعضده قوله تعالى
فتولوا عنه مدبرین والفاء فی قوله تعالى فجعلهم فصیحة ای فولوا فجعلهم جذاذا ای قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ
الذی هو القطع كالحطام من الحطم الذی هو الكسر وقرئ بالكسر وهی لغة او جمع جذیذ كخفاف وخفیف وقرئ بالفتح و
جذ ذا جمع جذیذ وجذذا جمع جذة روی ان آزر خرج به فی یوم عید لهم فبدوا ببیت الاصنام فدخلوه فسجدوا
لها ووضعوا بینها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الی ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقی ابراهیم علیه السلام
فنظر الی الاصنام وكانت سبعین صنما مصطفا وثم صنم عظیم مستقبل الباب وكان من ذهب وفی عینه جوهرتان تضیان
باللیل فكسر الكل بفاس كان فی یده ولم یبق الا الكبیر وعلق الفاس فی عنقه وذلك قوله تعالى الا كبیرا لهم ای للاصنام لعلهم
الیه ای الی ابراهیم علیه السلام یرجعون فیحاجهم بما سیاتی فیحجهم ویبكتهم وقیل یرجعون الی الكبیر فیسألونه عن الكاسر
لان من شان المعبود ان یرجع الیه فی الملمات وقیل یرجعون الی الله تعالى وتوحیده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع
ما یصیبهم وعن الاضرار بمن كسرهم قالوا ای حین رجعوا من عیدهم وراوا ما راوا من فعل هذا بآلهتنا على طریقة الانكار
والتوبیخ والتشنیع والتعبیر عنها بما ذكر ولم یشیروا الیها بهؤلاء وهی بین ایدیهم مبالغة فی التشنیع وقوله تعالى انه لمن
الظالمین استئناف مقرر لما قبله وقیل من موصولة وهذه الجملة فی حیز الرفع على انها خبرها والمعنى الذی فعل هذا الكسر و
الحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجرأته على اهانتها وهی حقیقة بالاعظام او لافراطه فی الكسر والحطم وتمادیه
فی الاستهانة بها او بتعریض نفسه للهلكة قالوا ای بعض منهم مجیبین للسائلین سمعنا فتى یذكرهم ای یعیبهم فلعله
فعل ذلك بها فقوله تعالى یذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعین او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون
سمعوه علیه السلام بالذات یذكرهم وان كان قد سمعوا من الناس انه علیه السلام یذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح
یقال له ابراهیم صفة اخرى لفتى ای یطلق علیه هذا الاسم قالوا ای السائلون فاتوا به على اعین الناس ای مرئیا
منهم بحیث یكون نصب اعینهم فی مكان مرتفع لا یكاد یخفى على احد لعلهم یشهدون ای یحضرون عقوبتنا له وقیل
لعلهم یشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمیر حینئذ لیس للناس بل لبعض منهم مبهم او معهود قالوا استئناف مبنی على
سؤال نشا من حكایة قولهم كانه قیل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقیل قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا یا ابراهیم
اقتصارا على حكایة مخاطبتهم ایاه علیه السلام للتنبیه على ان اتیانهم به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غنی عن البیان
قال بل فعله كبیرهم هذا مشیرا الی الذی لم یكسره سلك علیه السلام مسلكا تعریضیا یؤدیه الى مقصده الذی هو
الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التامل فی شان آلهتهم مع ما فیه من التوقی من الكذب حیث ابرز
الكبیر قولا فی معرض المباشر للفعل باسناده الیه كما ابرزه فی ذلك المعرض فعلا بجعل الفاس فی عنقه وقد قصد اسناده
الیه بطریق التسبیب حیث كانت تلك الاصنام غاظته علیه السلام حین ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله
سبحانه وكان غیظ كبیرها اكبر واشد حسب زیادة تعظیمهم له فاسند الفعل الیه باعتبار انه الحامل علیه وقیل هو
حكایة لما یقود الى تجویز مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان یفعله كبیرهم فان من حق من یعبد ویدعى الها ان یقدر
على ماهیا شد من ذلك ویحكی انه علیه السلام قال فعله كبیرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها
فیكون تمثیلا اراد به علیه السلام تنبیههم على غضب الله تعالى علیهم لاشراكهم بعبادة الاصنام واما ما قیل من انه علیه السلام
لم یقصد بنسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقریره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعریضی یبلغ فیه غرضه
من الزامهم الحجة وتبكیتهم ومثل ذلك بما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشیق وانت شهیر بحسن الخط اانت كتبت
هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك بهذا الجواب تقریره لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفیه عنك واثباته للامی
منها لتحقیق لان خلاصة المعنى فی المثال المذكور مجرد تقریر الكتابة لنفسك وادعاء ظهوره مع الاستهزاء بالسائل
وتجهیله فی السؤال لانبتائه على ان صدورها عن غیرك یحتمل عنده مع استحالته عندك ولا ریب فی ان مراده علیه السلام
من اسناد الكسر الى الصنم لیس مجرد تقریره لنفسه ولا تجهیلهم فی سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغیر عندهم
بل ما مراده علیه السلام توجیههم نحو التامل فی احوال اصنامهم كما ینبئ عنه قوله تعالى فاسئلوهم ان كانوا ینطقون ای
ان كانوا ممن یمكن ان ینطقوا او فما انطق علیه السلام اذا كانوا یسمعون او یعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع
العقل ایضا الا ان نتیجة السؤال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكیتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك لاجما
نطق به قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم ای راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا یقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار
بمن كسره بوجه من الوجوه یستحیل ان یقدر على دفع مضرة عن غیره او جلب منفعة له فكیف یستحق ان یكون معبودا

فقالوا

فقالوا ای قال بعضهم لبعض فیما بینهم انكم انتم الظالمون ای بهذا السؤال لانه كان على طریقة التوبیخ المستتبع للمواخذة
او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمین او انتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها ثم نكسوا على رؤسهم ای
انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصیرورة اسفل الشیء اعلاه وقرئ نكسوا بالتشدید ونكسوا
على البناء للفاعل ای نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ینطقون على ارادة القول ای قائلین والله لقد علمت ان لیس من شانهم
النطق فكیف تامرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار نفی النطق لا نفی استمراره كما یوهمه صیغة المضارع قال مبكتا لهم افتعبدون
ای اتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله ای متجاوزین عبادته تعالى ما لا ینفعكم شیا من النفع ولا یضركم فان
العلم بحاله المنافیة للالوهیة مما یوجب الاجتناب عن عبادته قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه علیه السلام
من اصرارهم على الباطل واظهار الاسم الجلیل فی موضع الاضمار لمزید استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا
واللام لبیان المتافف له افلا تعقلون ای الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنیعكم قالوا ای قال بعضهم لبعض لما عجزوا
عن المحاجة وضاقت علیهم الحیل وعیت بهم العلل وهكذا دیدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح
لا یبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانها اشد العقوبات وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلین ای النصر او
لشیء یعتد به قیل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاریب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقیل رجل من اكراد فارس اسمه
هیزن وقیل هدیر خسفت به الارض روی انهم لما اجمعوا على احراقه علیه السلام بنوا له حظیرة بكوثى قریة من قرى
الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنیانا فالقوه فی الجحیم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعین یوما
فاوقدوا نارا عظیمة لا یكاد یحوم حولها احد حتى ان كانت الطیر لتمر بها وهی فی اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم یكد
احد یحوم حولها فلم یعلموا كیف یلقونه علیه السلام فیها فاتى ابلیس وعلمهم عمل المنجنیق فعملوه وقیل صنعه لهم رجل من الاكراد
فخسف الله تعالى به الارض فهو یتجلجل فیها الى یوم القیمة ثم عمدوا الى ابراهیم علیه السلام فوضعوه فیه مغلولا فرموا به فیها فقال له
جبریل علیهما السلام هل لك حاجة قال اما الیك فلا قال فاسال ربك قال حسبی من سؤالی علمه بحالی فجعل الله تعالى ببركة قوله
الحظیرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا یا نار كونی بردا وسلاما على ابراهیم ای كونی ذات برد وسلام ای ابردی بردا غیر
ضار وفیه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مامورة مطاوعة واقامة كونی ذات برد مقام ابردی ثم حذف المضاف
واقامة المضاف الیه مقامه وقیل نصب سلاما بفعله ای وسلمنا سلاما علیه روی ان الملائكة اخذوا بضبعی ابراهیم واقعدوه
على الارض فاذا عین ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروی انه علیه السلام مكث فیها اربعین
یوما او خمسین وقال ما كنت اطیب عیشا منی اذ كنت فیها قال ابن یسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه یونسه
فنظر نمرود من صرحه فاشرف علیه فراه جالسا فی روضة مونقة ومعه جلیس على احسن ما یكون من الهیاة والنار محیطة به
فناداه یا ابراهیم هل تستطیع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام یمشی فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال
من الرجل الذی رایته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربی لیونسنی فقال انی مقرب الى الهك قربانا لما رایت من قدرته
وعزته فیما صنع بك فقال علیه السلام لا یقبل الله منك ما دمت على دینك هذا قال لا استطیع ترك ملكی ولكن سوف اذبح
له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهیم علیه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات
فان انقلاب النار هواء طیبا وان لم یكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهیاة مما یخرق العادات
وقیل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه علیه السلام اذاها كما تراه فی السمندر كما یشعر به ظاهر قوله تعالى على ابراهیم
وارادوا به كیدا مكرا عظیما فی الاضرار به فجعلناهم الاخسرین ای اخسر من كل خاسر حیث عاد سعیهم فی اطفاء نور الحق برهانا
قاطعا على انه علیه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب ونجیناه ولوطا
الى الارض التی باركنا فیها للعالمین ای من العراق الى الشام وبركاتها العامة ان اكثر الانبیاء بعثوا فیه فانتشرت
فی العالمین شرائعهم التی هی مبادی الكمالات والخیرات الدینیة والدنیویة وقیل كثرة النعم والخصب الغالب روی انه
علیه السلام نزل بفلسطین ولوط علیه السلام بالمؤتفكة وبینهما مسیرة یوم ولیلة ووهبنا له اسحق ویعقوب نافلة ای عطیة
فهی حال منهما او ولد ولد او زیادة على ما سال وهو اسحق فتختص بیعقوب ولا لبس فیه للقرینة الظاهرة وكلا ای
كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحین بان وفقناهم للصلاح فی الدین والدنیا فصاروا
كاملین وجعلناهم ائمة یقتدى بهم فی امور الدین اجابة لدعائه علیه السلام بقوله ومن ذریتی یهدون ای الامة الى
الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا ایاهم حتى صاروا مكملین واوحینا الیهم فعل الخیرات لیحثوهم علیه فیتم كمالهم بانضمام العمل
الى العلم واصله ان تفعل الخیرات ثم فعلا الخیرات وكذا قوله تعالى واقام الصلوة وایتاء الزكوة وهو من عطف الخاص
على العام دلالة على فضله وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفین لقیام المضاف الیه مقامه وكانوا
لنا خاصة دون غیرنا عابدین لا یخطر ببالهم غیر عبادتنا ولوطا قیل هو منصوب بمضمر یفسره قوله تعالى آتیناه و
ای وآتینا لوطا وقیل باذكر حكما ای حكمة او نبوة او فصلا بین الخصوم بالحق وعلما بما ینبغی علمه للانبیاء علیهم

السلام ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اي اللواطة وصف بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كانوا يؤذن به قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اي اذكر نوحا اي خبره وقوله تعالى اذ نادى اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا بآياتنا وجعله فانتصر اياه ماذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا وداود وسليمان اما عطف على نوحا معمول لعامله واما منصوب معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى اذ يحكمان ظرف للمصدر المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما في الحرث اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل وبدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اي تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشأنه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان تدفع الخ صريح في انه ليس بطريق الوحي والا لبت القول بذلك ولما ناشد داود عليه السلام لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بدءا وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان رأي سليمان عليه السلام استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين ورأي داود عليه السلام قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وقد روي انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمان عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق ترادا وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه مع ان الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصايص شرعنا على انه ورد في الاخبار ان داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسألة في شرعنا فعند ابي حنيفة رحمه الله لا ضمان ان لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يوهم تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام شرعيا اي وكل واحد منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل بل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عليه السلام كان ح ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كراماته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه في السياحة وهو حال من الجبال او استئناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيد و الفصل وكنا فاعلين اي من شأننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة لبوس لتحصنكم اي اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة

من لام

من لام لكم من بأسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة او التقريع ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله عز وعلا عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والجر هو الظرف المقدم و عاصفة على نفسها حال من ضمير المبتدأ في الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما يقتضيه الحكمة ومن الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفائسه وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون عملا دون ذلك اي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعد ما روعي جانب لفظها بقوله تعالى من الشياطين روي ان المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين و قوله تعالى وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم ان يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار وايوب الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان اي واذكر خبر ايوب اذ نادى ربه اني اي باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصفه تعالى بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وروي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عليه السلام كانك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجيبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع الى شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته قالت في نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا ويأكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تأتيه وتسأل عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال اتعرفينه اذا رأيتيه قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي آتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا اياهم واسمعيل وادريس وذا الكفل اي واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجي بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اي كل واحد من هؤلاء من الصابرين اي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بذكرهم وادخلناهم في رحمتنا اي في النبوة او في نعمة الآخرة انهم من الصالحين اي الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم

حوله شائبة الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اى واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام
اذ ذهب مغاضبا اى مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر
وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة
للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اى ان لن نضيق عليه او لن
نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر
عليه اى نعامل معاملة من يظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده
اى نعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا
ومشددا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اى فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في
الظلمات اى في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل
في ظلمتى بطنى الحوت وظلمتى البحر والليل ان لا اله الا انت اى بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف
او اى لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شئ وان يكون ابتلائى بهذا بغير سبب من جهتى
انى كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اى دعاءه الذى دعاه في ضمن الاعتراف
على الظلم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم
بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة
وكذلك اى مثل ذلك الانجاء الكامل ننجى المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام ننجى
فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجى فحذفت الثانية كما حذفت
التاء في تظاهرون وهى وان كانت فاء لكن حذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التى لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتى النونين
فان الداعى الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في نجا لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند
الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضى لا يسكن آخره وزكريا اى واذكر
خبره اذ نادى ربه وقال رب لا تذرنى فردا اى وحيدا بلا ولد يرثنى وانت خير الوارثين فحسبى انت ان لم ترزقنى وارث
فاستجبنا له اى دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم واصلحنا له زوجه اى اصلحناها
للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى انهم كانوا في الخيرات تعليل لما فصل من فنون يسارعون
احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء المذكورين اى كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير
وهو السر في ايثار كلمة في على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا ذوى رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في
الطاعة وخائفين العقاب او المعصية او للرغب والرهب وكانوا لنا خاشعين اى مخبتين متضرعين او دائمى الوجل والمعنى
انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتى احصنت فرجها اى واذكر خبر التى احصنته على الاطلاق
من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شانها وتنزيهها عما زعموا في حقها اثر ذى اثير فنفخنا فيها اى احيينا
عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذى هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عليه السلام وجعلناها
وابنها اى قصتهما او حالهما آية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من
الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل اريد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى
وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ان هذه اى ملة التوحيد والاسلام اشير اليها بهذه تنبيها
على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد امتكم اى ملتكم التى يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشئ
منها والخطاب للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من امتكم اى غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام لا مشاركة
لغيرها في صحة الاتباع ولا اختلاف لتبدل ادوارها واختلافها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم
بالنصب على البدلية من هذه امة واحدة بالرفع على انها خبران وانا ربكم لا اله لكم غيرى فاعبدون
خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره
قطعا موزعة وتنعى على غيرهم قبايح احوالهم الى الآخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذى اجمعت
عليه كافة الانبياء كل اى كل واحد من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون
بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات
الخ تفصيل للجزاء اى فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه اى لا
حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذى هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفى نفى الجنس للمبالغة

في التنزيه وعبر عن العمل بالسعى لاظهار الاعتداد به وانا له اى لسعيه كاتبون اى مثبتون في صحايف اعمالهم لا نغادر من ذلك
شيئا وحرام على قرية اى ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهى لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا
به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون في حيز الرفع على انه مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير
مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في النفى المستفاد من حرام لا في المنفى اى ممتنع البتة
عدم رجوعهم الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع
الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة
على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استيناف تعليلى لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف اى حرام عليها ذلك وهو
ماذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعى المشكور ثم علل بقوله انهم لا يرجعون عما هم فيه من الكفر
فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها اى لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا
فتحت ياجوج وماجوج الخ هى التى يحكى بعدها الكلام وهى على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كانه قيل يستمرون على ماهم عليه
من الهلاك حتى اذا قامت القيمة يرجعون الينا ويقولون ياويلنا الخ وعلى الثانى غاية للحرمة اى يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت ياويلنا الخ
القيمة يرجعون اليها حين لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اى لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيمة
يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع وياجوج وماجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج
والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم اى ياجوج وماجوج
وقيل الناس من كل حدب اى نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون اى يسرعون واصله مقاربة الخطو مع
الاسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء
لا النفخة الاولى فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا المفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى
اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده ياويلنا على
تقدير قول وقع حالا من الموصول اى يقولون ياويلنا تعالى فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط قد كنا في غفلة
تامة من هذا الذى دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف
انفسهم بالغفلة اى لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او
ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار
مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة الاعذار وما تعبدون عبارة عن
اصنامهم لانها التى يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية وقال له ابن
الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله ما
اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روى انه عليه السلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين
التى امرتهم بذلك ولا ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل
لكل من عبد من دون الله تعالى لما اذ ليس شئ منهما نصا في عموم كلمة ما لما ان الاول نص في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضى
شموله بطريق العبارة بل يكفى في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عليه
السلام بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق
الدلالة ايضا تاكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض
المعبودين عن حكم مبنى عن الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل لتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا
من المعبودية في شئ حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم
الشياطين التى امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون
في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام هذا هو الوجه في التوفيق بين الادلة
المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سياتى من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بيانا للتجوز او التخصيص
فمما لا يساعده السباق والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به ويهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ
بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على
الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء اى اصنامهم كما يزعمون ما وردوها وحيث تبين و لكن
رودهم اياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هى الاصنام لان المراد اثبات
نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهية الاصنام لا الهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع
في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة باستجرار الكلام اليه عند بيان ما سبق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث
سال ابن الزبعرى عن حال شان المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم

المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون فى حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا
يلزم التدافع بين الخبرين وكل اى من العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير اى انين وتنفس شديد
وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس وكذا فى قوله تعالى وهم فيها
لا يسمعون اى لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى شروع فى بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد
الترغيب مع الترهيب اى سبقت لهم منا فى التقدير الخصلة الحسنى التى هى احسن الخصال وهى السعادة وقيل التوفيق للطاعة
او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر الادخل فى الحمل عليها لما ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات
المكلفين فالجملة وما بعدها تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون
كما ان ما قبلها من قوله انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى وحرام الخ اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الشرف والفضل اى اولئك المنعوتون بما ذكر
من النعت الجميل عنها اى عن جهنم مبعدون لانهم فى الجنة وشتان بينها وبين النار وما روى ان عليا رضى الله تعالى عنه
خطب يوما فقرأ هذه الآية فقال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة
ابن الجراح رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص فى كون الموصول
عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اى لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت
بعيدا وان كان صوته فى غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفى فى نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره
مسوقة للمبالغة فى انقاذهم عنها وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم
عن المهالك والمعاطب اى دائمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان
لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن
رحمه الله انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت فى صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة
لقوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض وليس بذاك فان الآمن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله
الا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك فى النفخة الاولى دون الاخيرة
كما سياتى فى سورة النمل وتتلقاهم الملائكة اى تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اى قائلين هذا اليوم يومكم
الذى كنتم توعدون فى الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح فى ان المراد بالذين سبقت
لهم منا الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة
كما قيل يوم نطوى السماء بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة
من الضمير المحذوف فى توعدون والطى ضد النشر وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول كطى السجل وهى
الصحيفة اى طيا كطى الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام فى قوله تعالى
للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صفة له على راى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى كطى السجل كائنا للكتب
او الكائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطى حقيقة وقرئ للكتاب
وهو اما مصدر واللام للتعليل اى كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوى كتب
اعمال بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدانا اول خلق نعيده اى نعيد ما خلقناه مبتدأ
اعادة مثل بدئنا اياه فى كونها ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدا
لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبداناه او لفعل يفسره
نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذى بداناه واول خلق ظرف لبداناه او حال من ضمير
الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اى علينا انجازه انا كنا
فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا فى الزبور هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام
من بعد الذكر اى التورية وقيل اللوح المحفوظ اى وبالله لقد كتبنا فى كتاب داود بعد ما كتبنا فى التورية او كتبنا فى جميع الكتب
المنزلة بعد ما كتبنا فى اللوح المحفوظ ان الارض يرثها عبادى الصالحون اى عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه
تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا
وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان فى هذا اى فيما
ذكر فى السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة
لبلاغا اى كفاية او سبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين اى لقوم همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من
الشرايع والاحكام وغير ذلك من الامور التى هى مناط لسعادة الدارين الا رحمة للعالمين هو فى حيز النصب على انه استثناء من اعم

العلل

العلل ومن اعم الاحوال اى ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لاجل رحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة وما ارسلناك فى حال من الاحوال الا حال
كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم فى النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فانما فرط فى
نفسه وحرم حقه لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما ينطق
به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد اى ما يوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه
المقصود الاصلى من البعثة واما ما عداه من الاحكام المتفرعة عليه فانما … الاولى لقصر الحكم على الشئ كقولك انما يقوم زيد
اى ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشئ على الحكم كقولك انما زيد قائم اى ما هو الا قائم فهل انتم مسلمون اى مخلصون
العبادة لله تعالى مختصون لها … والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها وفيه دلالة على ان صفة الوحدانية
يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه فقل آذنتكم اى اعلمتكم ما امرت
به او حربى لكم على سواء كائنين على سواء فى الاعلام به … فى العلم بما اعلمتكم او فى
المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء اى عدل واستقامة راى بالبرهان النير وان ادرى اى وما ادرى اقريب
ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به
من الطعن فى الاسلام وتكذيب الآيات التى من جملتها ما نطق بمجئ الموعود ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم
عليه نقيرا وقطميرا وان ادرى لعله فتنة لكم اى ما ادرى لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم او امتحان لكم
لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين اى وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم قال
رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الامر اى اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لتعجيل
العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه الصلاة والسلام حيث عذبوا ببدر اى تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وربى احكم على
صيغة التفضيل وربى احكم من الاحكام وربنا الرحمن مبتدأ وخبر اى كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان اى المطلوب
منه المعونة خبر آخر للمبتدأ … من الوظائف الخاصة به عليه
السلام … على ما تصفون
من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى
غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم
فاصابهم يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن النبى صلى
الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

سورة الحج

سورة الحج ثمان وسبعون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم فى سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة
التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كان خطاب مشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذى مر تقريره فى مطلع
سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للاناث
حقيقة الا عند الحنابلة والمراد به مطلق التقوى الذى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله
واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة
الى ضمير المخاطبين لتاييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اى احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله
تعالى ان زلزلة الساعة شئ عظيم تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة
ما هى من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التى لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته
وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها
عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمى كانها هى التى تزلزل الاشياء او اضافته الى
الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير فى كما فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله تعالى
اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن ابن عباس رضى الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة
والشعبى انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة حينئذ لكونها من اشراطها وفى التعبير عنها بالشئ ايذان بان
العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى يوم ترونها منتصب بما بعده
قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اى وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة اى مباشرة الارضاع
عما ارضعت اى تغفل وتذهب مع دهشة عما هى بصدد ارضاعه من طفلها الذى القمته ثديها والتعبير عنه بما دون من
لتاكيد الدخول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا تدرى من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية

اى تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكال الانزعاج وقرى تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل اى تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اى تلقى جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبى واما على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا فى النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب فى ان قيام الناس عن قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئى فى الاولى هى الزلزلة التى يشاهدها الجميع وفى الثانى حال من عدا المخاطب منهم فلابد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تاثير الزلزلة فى المرئى باختلال مشاعره لان مدارك حسيته رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس سكارى الخ وانما اوثر عليه ما ذكر فى التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اى يراهم كل احد سكارى اى كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فيرهقهم هوله ويطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذى جعلهم كما وصفوا وقرى ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قايما او رويتك قايما والناس منصوب اى تظنهم سكارى وقرى برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرى ترى بضم التاء وكسر الراء اى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرى سكرى وسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس كلام مبتدا جى به اثر بيان عظم شان الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحله الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اى وبعض الناس او وبعض كاين من الناس من يجادل فى الله اى فى شانه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما تشعر به المجادلة من الجهل اى ملابسا بغير علم روى انها نزلت فى النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهى عامة له ولاضرابه من العتاة المتمردين ويتبع اى فيما يتعاطاه من المجادلة او فى كل ما ياتى وما يذر من الامور الباطلة التى من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متمرد متجرد للفساد واصله العرى المنبئ عن التمحض كالتشمر ولعله ماخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اى على الشيطان صفة اخرى له وقوله تعالى انه فاعل كتب والضمير للشان اى رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشان من تولاه اى اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبرها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اى من تولاه فشانه انه يضله من طريق الجنة او طريق الحق او فحق ان يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتاويل وقرى فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرى بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل فى قولك كتبت ان الله يامر بالعدل والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه على اى من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يودى اليه من السيئات يا ايها الناس اثر ما حكى احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على ما جادلوا فيه من البعث ان كنتم فى ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرى من البعث بالتحريك كالجلب فى الجلب والتعبير عن اعتقادهم فى حقه بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم فى ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم فى البعث قد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اى فانظروا الى مبدا خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اى خلقنا كل فرد منكم من تراب فى ضمن خلق ادم منه خلقا اجماليا فان خلقنا كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة ساير افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اى منى من النطف الذى هو الصب ثم من علقة اى قطعة من الدم جامدة متكونة من المنى ثم من مضغة اى قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهى فى الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اى مستبينة الخلق مصورة وغير مخلقة اى لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شى من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبنى على التدرج من المبادى البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك وفى جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدا لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما فى قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الاية مزيد دلالة على عظيم قدرته تعالى وكمال سرعة استبعادهم لنبين لكم متعلق

بخلقنا

بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقايق والدقايق التى من جملتها سر البعث فان من تامل فيما ذكر من الخلق التدريجى تاملا حقيقا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رايحة الحيوة قط وانشايه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه فى اطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون فى القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرى ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر فى الارحام ما نشاء استيناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه فى سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متمماته ومن مبادى التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التى من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اى ونحن نقر فى الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما فى الارحام لا يشاء الله تعالى قراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطه والتعرض للازلاق لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا صريح فى ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وان ما فصل الى هنا هى الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرى يقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اى من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اى حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرى يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرى ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على نبين منتظم معه فى سلك التعليل والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية ان نقركم فى الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته فى الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المودى الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الاثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالاسد والعتود وكانها حيث كانت شدة فى غير شى بنيت على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اى بعد بلوغ الاشد او قبله وقرى يتوفى مبنيا للفاعل اى يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرى بسكون الميم وايراد الرد والتوفى على صيغة المبنى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اى علم كثير شيئا اى شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة فى انتقاص علمه وانتكاس حاله اى ليعود الى ما كان عليه فى اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهى بصرية وهامدة حال من الارض اى ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اى المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرى ربات اى ارتفعت وانبتت من كل زوج اى صنف بهيج حسن رايق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستانف جى به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانسانى والنباتى لبيان ان ذلك من آثار الوهيته تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرون وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من اسباب تلك الاثار العجيبة التى يشاهدونها فى الانفس والافاق ومبادى صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول فى التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضى ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه فى احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الكمال وهو مبتدا خبره الجار والمجرور اى ذلك الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده فى ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء وانه يحيى الموتى اى شانه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شى قدير اى مبالغ فى القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات الفايتة للحصر التى من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذى نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها فمنشاه الغفول عما سيق

له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر
مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به وان
الساعة آتية اى فيما سيأتي وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة
اياه لا محالة وتعليله بان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبنى على ما ذكر من الغفول وقوله تعالى لا ريب فيها
اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفى الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية
والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء
كما قبلها من الجملتين داخلة مثلهما في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث من في القبور لكن لا من حيث ان اتيان
الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له عز وعلا
بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد
به على مكانهما ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحى المبين وينالوا به
السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم راسا وهذا كما ترى من احكام حقيقته تعالى في
افعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من احكام حقيقته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان
الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر
على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير
بان مآله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل بما هو في سببيتهما لما مر من خلق
الانسان واحياء الارض فتامل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء
ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان الساعة آتية وان الثانية معطوفة
على الاولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بان الله هو الحق الآتيين ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام حسبما
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان الاولى من يقلدهم
على ان الشيطان عبارة عن المضل المغوى على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل اى كائنا
بغير علم والمراد بالعلم العلم الضرورى كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادى
الى المعرفة ولا كتاب منير وحى مظهر للحق اى يجادل في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا
برهان سمعى كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد
به المجادل الاول والتكرير للتأكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحى فلا يساعده النظم
الكريم كيف لا وان وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغنى عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلى والسمعى ثانى
عطفه حال اخرى من فاعل يجادل اى عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثنى العطف كناية عن التكبر وقرئ
بفتح العين اى مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال
والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم
واما التثبيت على الضلال والزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله
من حيث ان المراد به الضلال المبين الذى لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزى جملة مستأنفة
مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اى ثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزى وهو ما اصابه يوم بدر من القتل
والصغار ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق اى النار المحرقة ذلك اى ما ذكر من العذاب الدنيوى والاخروى وما فيه من معنى
البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت يداك اى بسبب ما اقترفته
من الكفر والمعاصى واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدى والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد
ومحل ان في قوله عز وعلا وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى والامر انه تعالى ليس بمعذب
لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل
السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها واما
ما قيل من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع
في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين اى ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى
ينحرف الى طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اى دنيوى من الصحة والسعة اطمأن به اى ثبت على ما
كان عليه ظاهرا لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اى شئ
يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله انقلب على وجهه روى انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان
احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت

في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى سعيد رضى الله عنه ان يهوديا اسلم
فاصابته مصايب فتشأم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقلنى فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال
فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة بفقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ
خاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانهم او على انه خبر مبتدأ محذوف
ذلك اى ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا
خسران مثله يدعو من دون الله استئناف مبين لعظم الخسران اى يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده
وما لا ينفعه ان عبده اى جمادا ليس من شانه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق و
الهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه استئناف مسوق لبيان مآل دعائه
المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفى الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق
التسبيب ايضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب
والجملة صلة للمبتدأ الاول وقوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الاول وايثار
من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان في ذمه
اى يقول ذلك الكافر يوم القيمة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع
اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية
ويجوز ان يكون يدعو الثانى اعادة للاول لا تأكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان كمال سوء حال معبوده اثر بيان
سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضر ولا ينفعه
يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل
اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اى يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل
تهكم به ايضا والجملة القسمية مستأنفة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات استئناف جئ به لبيان كمال
حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من اجل المنافع واعظم الخيرات
اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريقى المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم
مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى تجرى من تحتها الانهار صفة جنات
بجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد
من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء
الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يشاء تعليل
لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اى يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التى
من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك به وكذب برسوله عليه السلام
ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز وعلا من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة
تحقيقا له وتقريرا لثبوته على ابلغ وجه واكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا
والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى
بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يرومه من المكايدة فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد
معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق خنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه
فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع اى ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس
مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد فيه فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر في قوله تعالى فلينظر هل
يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اى فليصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذى هو اقصى ما انتهت
اليه قدرته في باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا ويجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل
يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحى وقيل ليقطع المسافة حتى
يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره ويأباه ان مساق النظم الكريم بيان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها
بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع
الوحى فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون
ما وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عليه السلام ويخشون ان
لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد
من الرضى بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك

لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك اى مثل ذلك الانزال البليغ المنطوى على الحكم البالغة انزلناه اى القرآن الكريم
كله وقوله تعالى آيات بينات اى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه
بذلك وان الله يهدى به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه من يريد هدايته او تثبيته او زيادته فيها ومحل الجملة اما
الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اى ولان الله يهدى من يريد انزله كذلك او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى والامر ان
الله يهدى من يريد هدايته ان الذين آمنوا اى بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل
فيه ما ذكر دخولا اوليا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر
وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا
وهم القايلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
فى حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفى الجملتين بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتاكيد اى يقضى بين المؤمنين
وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب
الثانى بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى ان الله على كل شئ شهيد تعليل لما قبله من الفصل اى عالم بكل شئ من
الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللائق
به عليه وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من اعمال الفرق
المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى
شهيدا على جميع الاشياء التى من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب
لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره
تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه باكمل افعال المكلف فى باب الطاعة ايذانا بكونه فى اقصى مراتب التسخر والتذلل
لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم
لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر
والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اى ويسجد له كثير من الناس سجود
طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه
نحو حق له الثواب والاول اولى لما فيه من الترغيب فى السجود الطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اى من
الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير الاول
للايذان بغاية تكاثره ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب اى بكفره و
استعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اى حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق فى علمه من صرف
اختياره الى الشر فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمى ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء التى
من جملتها الاكرام والاهانة هذان تعيين لطرفى الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحد من الفرق
الست وبين البواقى وتحرير لمحله اى فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس خصمان اى فريقان مختصمان
وانما قيل اختصموا فى ربهم حملا على المعنى اى اختصموا فى شأنه عز وجل وقيل فى دينه وقيل فى ذاته وصفاته والكل من
شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه
خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهم التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله
واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون
كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم اى
قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اى نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها يصب من
فوق رؤسهم الحميم اى الماء الحار الذى تنتهى حرارته قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا
لاذابتها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اى يذاب ما فى بطونهم من الامعاء
والاحشاء وقيل يصهر بالتشديد والجلود عطف على ما وتأخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة
بايهام ان تأثيرها فى الباطن اقدم من تأثيرها فى الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم للكفرة اى
لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهى آلة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا منها اى اشرفوا على الخروج من النار و
دنوا منه حسبما يروى انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين
خريفا من غم اى من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول
له للخروج اعيدوا فيها اى فى قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف

على

على اعيدوا اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اى الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وفى تغيير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله
عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهار لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق
مضمون الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية [illegible]
الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليها [illegible] من اساور [illegible]
اسورة جمع سوار والبيان لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلى المبهم وقيل ابتدائية [illegible]
يلبسون من ذهب بيان للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور [illegible]
يحلون [illegible] وقرئ بالجر عطفا على اساور [illegible]
[illegible] ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا [illegible]
المحافظة على هيئة الفواصل [illegible]
البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ [illegible]
ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده
واورثنا الارض الآية [illegible] وهدوا الى صراط الحميد اى المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة وتاخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى
القول المذكور لما ان تاخر عن دخول الجنة المتاخر عن الهداية الى الطريق لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته
لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التاخير ان ذكر الحمد يستدعى ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضى كما فى قوله تعالى الذين
آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اى وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه
فان من الحد فى الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلأن يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله باشد من ذلك احق و
اولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذى جعلناه للناس اى كائنا من كان من غير
فرق بين مكى وآفاقى سواء العاكف فيه والباد اى المقيم والطارئ وسواء اى مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به
واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم
والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول
كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثانى بدل
من الاول باعادة الجار او صلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا
يقال بوأه منزلا اى انزله فيه ولما لزمه جعل الثانى مباءة للاول قيل لابراهيم مكان البيت وعليه مبنى قول ابن عباس رضى
الله عنهما جعلناه اى اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام اى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما فى اصل الاستعمال
اى انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه
بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روى ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها
بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش فى
الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير رحمه الله والخامسة بناء الحجاج
وقد اوردنا ما فى هذا الشأن من الاقاويل فى تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وان فى قوله تعالى
ان لا تشرك بى شيئا مفسرة لبوأنا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهى
وقد مر تحقيقه فى اوائل سورة هود اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بى فى العبادة شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع
السجود اى وطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعل التعبير عن الصلاة باركانها للدلالة على ان
كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن فى الناس اى ناد فيهم وقرئ وآذن
بالحج بدعوة الحج والامر به روى انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من
فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب مما سبق فى علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امر بذلك فى حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية يأتوك جواب للامر رجالا اى مشاة جمع راجل كقيام جمع
قائم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر عطف على رجالا اى وركبانا على كل بعير
مهزول اتعبه بعد المشقة فهزله او زاد هزاله يأتين صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال
والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق واسع عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق
وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ ليشهدوا متعلق بيأتوك لا باذن اى ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد

او نوعًا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام فى قوله تعالى **لهم** متعلق بمحذوف صفة لمنافع اى منافع كائنة
لهم **ويذكروا اسم الله** عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفى جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل
هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه **فى ايام معلومات** هى ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى **على ما رزقهم من بهيمة الانعام** فان المراد بالذكر
ما وقع عند الذبح وقيل هى عشر ذى الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر **فكلوا**
منها التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح
به كما فى قوله تعالى فانفجرت اى فاذكروا اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كان عليه اهل
الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم **واطعموا البائس** اى الذى اصابه بؤس وشدة **الفقير** المحتاج
وهذا الامر للوجوب وقد قيل به فى الاول ايضا **ثم ليقضوا تفثهم** اى ليودوا ازالة وسخهم او ليحكموها بقص الشارب و
الاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال **وليوفوا نذورهم** ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ
بفتح الواو وتشديد الفاء **وليطوفوا** طواف الركن الذى به يتم التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع **بالبيت**
العتيق اى القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكأى من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز
وجل واما الحجاج الثقفى فانما قصد اخراج ابن الزبير منه لا التسلط عليه **ذلك** اى الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق
للفصل بين الكلامين او بين وجهى كلام واحد **ومن يعظم حرمات الله** اى احكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها
والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام **فهو خير له**
اى فالتعظيم خير له ثوابا **عند ربه** اى فى الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه والاشعار
بعلة الحكم **واحلت لكم الانعام** وهى الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى **الا ما يتلى عليكم** اى الا ما يتلى عليكم آية
تحريمه استثناء متصل منها على ان ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جئ به تقريرا
لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها
من ذلك القبيل بحمل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس
فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى **فاجتنبوا الرجس من الاوثان** فانه مرتب على ما يفيده
قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعى التعاطى
لا من مبادى الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من الحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن
يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب
عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التى يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى **واجتنبوا قول الزور** تعميم بعد تخصيص فان
عبادة الاوثان رأس الزور وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب
ونحوهما والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور
الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلى هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالافك المأخوذ من الافك الذى هو القلب
والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك
هو لك تملكه وما ملك **حنفاء لله** مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى **غير مشركين به** اى شيئا من
الاشياء فيدخل فى ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا **ومن يشرك بالله** جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها
من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك **فكانما خر من السماء** لانه سقط من اوج الايمان
الى حضيض الكفر **فتخطفه الطير** فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء
والطاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلهما تختطفه **او تهوى به الريح** اى تسقطه وتقذفه **فى مكان سحيق** بعيد فان الشيطان
قد طوح به فى الضلالة واو للتخيير كما فى او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه فيكون المعنى ومن يشرك بالله
فقد اهلك نفسه هلاكا شبيها باحد الهلاكين **ذلك** اى الامر ذلك او امتثلوا ذلك **ومن يعظم شعائر الله** اى الهدايا
فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد
ان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة
فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر رضى الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار **فانها** اى فان
تعظيمها **من تقوى القلوب** اى من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من او فان تعظيمها
ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها فى سائر الاعضاء
لكم فيها اى فى الهدايا **منافع** هى درها ونسلها وصوفها وظهرها **الى اجل مسمى** هو وقت نحرها والتصدق بلحمها
والاكل منه **ثم محلها** اى وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية **الى البيت العتيق** اى الى ما يليه من الحرم وثم للتراخى الزمانى
او الرتبى اى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية اعظم منها فى النفع محلها اى وجوب نحرها او وقت وجوب

نحرها الى البيت العتيق اى منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب
فى قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج ثم محلها اى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق
اى منتهية اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة **ولكل امة** اى لكل
اهل دين **جعلنا منسكا** اى متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين اى موضع نسك وتقديم الجار والمجرور
على الفعل للتخصيص اى لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض **ليذكروا اسم الله** خاصة دون غيره ويجعلوا
نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلى من المناسك تذكر المعبود **على ما رزقهم من بهيمة الانعام**
عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب فى قوله تعالى **فالهكم اله واحد** للكل تغليبا
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل اله
واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد فى ذاته كما انه واحد فى الهيته والفاء فى قوله تعالى **فله اسلموا**
لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اى فاذا كان الهكم الها
واحدا فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك **وبشر المخبتين** تجريد للخطاب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم **الذين اذا ذكر الله و**
جلت قلوبهم منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها **والصابرين على ما اصابهم** من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب **والمقيمى**
الصلوة فى اوقاتها وقرئ بنصب الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل **ومما رزقناهم ينفقون** فى وجوه
الخيرات **والبدن** بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين
تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة وحيث
شاركها البقرة فى الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا فى الشريعة جنسا
واحدا وانتصابه بمضمر يفسره **جعلناها لكم** وقرئ بالرفع على انه مبتدأ والجملة خبره وقوله تعالى **من شعائر الله** اى
من اعلام دينه التى شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى **لكم فيها خير** اى منافع
دينية ودنيوية جملة مستانفة مقررة لما قبلها **فاذكروا اسم الله عليها** بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله
اكبر اللهم منك واليك **صواف** اى قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وعلى طرف
سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف
وقرئ صوافى اى خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما فى قوله لعلى ارى باق على الحدثان
فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهى كناية عن الموت **فكلوا منها واطعموا القانع** اى الراضى بما عنده وبما يعطى من غير
مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له فى السؤال **والمعتر** اى المتعرض للسؤال وقرئ المعترى
يقال عره وعراه واعتره واعتراه **كذلك** مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف **سخرناها لكم** مع كمال عظمها
ونهاية قوتها فلا تستعصى عليكم حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها **لعلكم**
تشكرون لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص **لن ينال الله** اى لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول **لحومها**
المتصدق بها **ولا دماؤها** المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء **ولكن يناله التقوى منكم** ولكن يصيبه تقوى قلوبكم
التى تدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدمائهم
فهم به المسلمون فنزلت **كذلك سخرها لكم** تكرير للتذكير والتعليل بقوله **لتكبروا الله** اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر
عليه احد فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح **على ما هداكم** اى ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب
بها وما مصدرية او موصولة اى على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر **وبشر المحسنين**
اى المخلصين فى كل ما يأتون وما يذرون فى امور دينهم **ان الله يدافع عن الذين آمنوا** كلام مستانف مسوق لتوطين قلوب
المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره
بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع
الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما فى الممارسة اى يبالغ فى دفع غائلة المشركين وضررهم الذى من جملته الصد
عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنه مرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين
كما فى قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى **ان الله لا يحب كل خوان**
كفور تعليل لما فى ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين والايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزى ونفى المحبة كناية
عن البغض اى ان الله يبغض كل خوان فى امانته تعالى وهى اوامره ونواهيه او فى جميع الامانات التى هى معظمها كفور
لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لانهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة فى نفى المحبة على اعتبار النفى
اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا **اذن** اى رخص وقرئ على البناء للفاعل اى اذن الله تعالى **للذين يقاتلون** اى يقاتلهم المشركون

والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ على صيغة المبني للفاعل اى يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سياتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر بانهم ظلموا اى بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه السلام لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالرمز وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم عن ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له وبدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق باخرجوا اى اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اى بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهابنة وبيع للنصارى وصلوات اى وكنائس لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اى ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اى وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه ولقد انجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي اى على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا يدافعه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله تعالى عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رضي الله تعالى عنه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ولله خاصة عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اى وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين اى رسلهم ممن ذكر وممن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد او لان المراد نفس الفعل اى فعلت التكذيب قوم نوح الخ وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا لعنوان آخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح وقوله فامليت للكافرين اى امهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم والفاء لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اى اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اى انكاري عليهم بالاهلاك اى فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكاين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اى فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكناها خبره اى فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فلا محل له من الاعراب كالمعطوف عليه او على الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى

ببعض

قوم نوح

السقوط

السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة حيطانها على عروشها اى سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اى فهي خالية وهي على عروشها اى قائمة مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا وبئر معطلة عطف على قرية اى وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه من ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اى اغفلوا فلم يسيروا فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه والظاهر اقيم مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اى ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور للتأكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين لمجيء العذاب الموعود اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم به واظهار خطئهم فيه كأنه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة مستأنفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطئهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدة طويلة عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترئون على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقادير وقراءة يعدون على صيغة الغيبة اى يعد المستعجلون اوفق بهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة له ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفي في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن ايام الآخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا يرى الى قوله تعالى وكاي من قرية الخ فانه كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اى وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل امليت لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعد من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما يفعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اى امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ثم اخذتها بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى والي المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مآل امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اى الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا شركة فافعل

بهم ما افعل بما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين انذركم انذارا بينا بما اوحي الي من انباء الامم المهلكة من
غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار مع حال بيان الفريقين بعده
لما اشير اليه من ان مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين امنوا و
عملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته والذين
سعوا في اياتنا معاجزين اي مسابقين او سابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه
فعجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن
الايمان على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم اي ملازمو النار الموقدة و
قيل هو اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس
اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام
ولذلك شبه عليه السلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة
الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزات
منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام
الا اذا تمنى اي :. في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام
وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون
اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته اي يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع في
الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية من
موجبات احكام اياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شانه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول
وفعل عمدا وخطا حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض
التذييلي وقيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه و
استمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس
اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود
لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليهما السلام فاغتم به فعزاه الله عز
وجل بهذه الاية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى
بمعنى قرا كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان يتكلم
بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق
بالقران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله وفي الاية دلالة على جواز
السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان
من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لا لان تمكينه تعالى اياه
من الالقاء في حق سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سياتي وقيل علة ليحكم على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه
المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الاية والقاسية قلوبهم اي
المشركون وان الظالمين اي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض
والقساوة لفي شقاق بعيد اي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف به حقيقة
هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم انه اي القران الحق من ربك
اي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية
الجميلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم عليه السلام فلا حاجة الى التخصيص للتمكين فيما سبق بالالقاء
في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى فيؤمنوا به اي بالقران اي يثبتوا على الايمان به او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي
الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضميرين لاسيما في
الثاني الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له وان الله لهادي الذين امنوا اي في الامور الدينية خصوصا في
المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض
مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه اي في شك وجدال منه اي من القران وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم
والاول هو الاظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله اياته وقوله تعالى انه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من
قوله تعالى وكذبوا باياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان في امنيته مما لا مساغ له لان ذلك ليس من هنات
التي تستمر الى الامد المذكور بل انما هي مريتهم في شان القران ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لما ان مريتهم

الى ثالم

المستمرة

المستمرة كما انها ليست مبتداة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة منهم من لدن نزول القران الكريم حتى تاتيهم
الساعة اي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى بغتة اي فجاة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت او
ياتيهم عذاب يوم عقيم اي يوم لا يوم بعده كان كل يوم يلد ما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا
كانه قيل او ياتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها لما عرفته واما ما
قيل من ان المراد به يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان
المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح
العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم
الكريم اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين
الفريقين بالثواب والعذاب الاخرويين يقضي بان المراد به يوم القيمة قضاء بينا لا ريب فيه الملك اي السلطان
القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق يومئذ لله وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد
تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا
في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل
لما ان القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل عليه الغاية يجب ان يكون مدارا
لحكمها اعني كون الملك لله عز وجل وما تفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في ان ايمانهم وزوال مريتهم
ليس مما له تعلق بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور
عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدا ظهور احكام الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب
عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تاتيهم الساعة او عذابها لله تعالى وقوله تعالى يحكم بينهم
جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم
بين فريقي المؤمنين به والممارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى فالذين امنوا الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين امنوا
بالقران الكريم ولم يماروا فيه وعملوا الصالحات امتثالا بما امروا في تضاعيفه في جنات النعيم اي مستقرون فيها والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اي اصروا على ذلك واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر
والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب
وهو مبتدا وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من مبتدا وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر لاولئك وعذاب
مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا واولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره
بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان اثابة
المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى مهين صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين
من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى
ثم قتلوا او ماتوا اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى ليرزقنهم الله جواب لقسم
محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدا يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به
وقوله تعالى رزقا حسنا اما مفعول ثان على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد
به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن
متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم وان
الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما
قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم
مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما انما قيل يرضونه لانهم
يرون فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم
لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام
مستانف ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة
او لكونه سببا له ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه لا محالة ان الله لعفو غفور اي مبالغ
في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب
اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم الامور فان فيه حثا بليغا على العفو

والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك وتنبيها على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف
بالعفو الا القادر على ضده ذلك اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء
خبره قوله تعالى بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اى بسبب انه تعالى من شانه وسنته تغليب بعض مخلوقاته
على بعض والمداولة بين الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال بعض احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص عن
الاخر وبتحصيل احدهما في مكان الاخر لكونه اظهر المواد واوضحها وان الله سميع بكل المسموعات التي من جملتها قول
المعاقب بصير بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى
البعد لما مر آنفا وهو مبتدا خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان
وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدا لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الهيته فلا
يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه لها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن
الالهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين هو الباطل اى المعدوم في حد ذاته او الباطل الوهيته وان الله هو العلي على جميع الاشياء
الكبير من ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير كما ينفصح عنه
الرفع في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره
او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة
ظاهرا وباطنا له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وتصرفا وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد
بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اى جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف
شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتعلق بالجار والمجرور على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر والفلك عطف على ما في الارض او على اسم
ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال من الفلك على الاول وخبر على الاخرين ويمسك السماء ان تقع على الارض
اى من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على هيأة متداعية الى الاستمساك الا باذنه اى بمشيئته وذلك يوم القيمة
وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لساير الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها ان
الله بالناس لرءوف رحيم حيث هيا لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالايات
التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة ثم
يميتكم عند مجيء آجالكم ثم يحييكم عند البعث ان الانسان لكفور اى لجحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف
بعض افراده لكل امة كلام مستانف جيء به لزجر معاصريه عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته
عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من الشرايع واظهار خطائهم في النظر اى لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية
جعلنا اى وضعنا وعينا منسكا اى شريعة خاصة لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث
لا تتخطا امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكا
موكد للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اى تلك الامة المعينة
ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التورية
هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه
والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند بعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة
فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في قوله تعالى
فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه الامة شريعة
مستقلة بحيث لا تتخطا امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم
منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما عين لابائهم الاولين من التورية والانجيل فانهما شريعتان
لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية
عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم
فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام والمبالغة في تثبيته واما ما كان فمحل النزاع ما ذكرناه
وتخصيصه بامر النسايك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون مما
قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وساير ما يدينونه من الاباطيل من
جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل وادع اي وادعهم وادع الناس كافة
الى ربك الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم
اى طريق موصل الى الحق سوى والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتهما وان جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من

التحقيق

التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التي من جملتها المجادلة الله يحكم بينكم
يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيمة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين الم تعلم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اى قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا
يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه ان ذلك اى ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح
قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اى ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في
اللوح او الحكم بينكم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور ويعبدون
من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم من بناء امر دينهم على
غير مبنى من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اى
يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اى بجواز عبادته سلطانا اى حجة وما ليس لهم به اى بجواز عبادته علم من
ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين اى الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضى ببطلانه وكونه ظلما
بديهة العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رايهم او بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم
واذا تتلى عليهم اياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بينات
اى حال كونها واضحات الدلالة على العقايد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها
من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اى الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او
الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم آياتنا اى يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واظلم
من ان يعبدوا ما لا يتوهم صحة عبادته شيء ما اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق المبين
بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا وهنا وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه
من الاضرار بالمسلمين افانبئكم اى اخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوكم بهم
او مما يصيبهم من الغوايل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اى هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه
قيل ما هو وقيل هو مبتدا خبره قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من
شر فيكون الجملة الفعلية استينافا كما لو جعلت الاولى وحالا من النار باضمار قد وبئس المصير اى النار يا ايها الناس ضرب مثل
اى بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رايقة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار وجعل لله مثل
اى شبه في استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اى للمثل نفسه استماع تدبر
وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله الخ بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل
لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله سبحانه في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول
والراجع الى الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اى لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن
بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له اى لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة
ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اى لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو
اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا ومحلها في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب
شيئا بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اى ان ياخذ الذباب منهم شيئا لا يستنقذوه
منه مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات
تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا يقوى على مقاومة هذا
الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون
عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب اى عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب
لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه
ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال ما قدروا الله حق
قدره اى ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات
باسرها وافناء الموجودات عن اخرها عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال الهتهم المقهورة لاذلها العجزة عن
اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم
السلام بالوحي ومن الناس وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين
الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب
الحق فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرايعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية

وتفى ان يشاركه فيها شي من الاشيآء بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتدآء بهم الى عبادته عز وجل وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شآء الله لانزل ملائكة وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ونحو ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شي من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا اى فى صلاتكم امرهم بهما لما انهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا عبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بساير ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فى كل ما تاتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والاية آية سجدة عند الشافعى رحمه الله لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها وجاهدوا فى الله اى لله تعالى ولاجله اعدآء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى و النفس وعنه عليه السلام انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله هو اجتباكم اى هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضى الجهاد ويدعو اليه وما جعل عليكم فى الدين من حرج اى ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشي فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اى وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغرا او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته عليه السلام فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمة وفى هذا اى فى القرآن والضمير لله تعالى ويويده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين فى القرآن وان لم يكن منه عليه السلام كانت بسبب تسميته من قبل فى قوله تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل فى هذا تقدير فى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهدآء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اى فتقربوا الى الله بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما واعتصموا بالله اى ثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو موليكم ناصركم ومتولى اموركم فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا ولى ولا نصير فى الحقيقة سواه عز وجل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقى.

سورة المومنون مائة وثمان عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المومنون

قد افلح المومنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقاء فى الخير والافلاح الدخول فى ذلك كالابشار الذى هو الدخول فى البشارة وقد يجى متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرا على البناء للمفعول وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا لتوقع الاخبار به ضرورة ان المتوقع من حال المومنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعى الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالافلاح حقيقة الدخول فى الفلاح الذى لا يتحقق الا فى الاخرة فالاخبار به على صيغة الماضى للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان اريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضى فى محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على اكلونى البراغيث وقرئ افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما فى قول من قال ولو ان الاطبا كان حولى والمراد بالمومنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظايرها فقوله تعالى الذين هم فى صلوتهم خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهى صفات موضحة او مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر فى حيز الصلة من المعانى مع الايمان اجمالا او تفصيلا كما مر فى اوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل اى خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم

مساجدهم روى انه عليه السلام كان اذا صلى رفع بصره الى السما فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو اى عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال معرضون اى فى عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل فى ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد فى امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون فى اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون فى عرض غير عرضه والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وساير ما توجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع فى الصلوة والزكوة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذى هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير المضاف والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون لها فالاستثناء فى قوله تعالى الا على ازواجهم من نفى الارسال الذى ينبئ عنه الحفظ اى لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما فى قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اى حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون اى حافظون لها فى جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل الحفظ على القصر عليهن بكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج لا تعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن تاكيدا على تاكيد تكلف على تكلف او ما ملكت ايمانهم اى سراريهم عبر عنهن بما اجراء لمماليكهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى فانهم غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن اى فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك الذى ذكر من الحد المتسع وهو اربع من الحراير وما شاء من الاماء فاولئك هم العادون الكاملون فى العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل لحجة على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له فى الجملة واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يوتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون اى قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم والذين هم على صلوتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلوة من التجدد والتكرر وهو السر فى جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع فى الصلوة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا فى الذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة اولئك اشارة الى المومنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليهم حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم فى الفضل والشرف اى اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون اى الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغايب الاموال والذخاير وكرايمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشانها ورفعا لمحلها وهى استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار هم فيها اى فى الفردوس والتانيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روى انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفى رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون منها ابدا والجملة اما مستانفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الانسان شروع فى بيان مبدا خلق الانسان وتقلبه فى اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض افراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اى وبالله لقد خلقنا جنس الانسان فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا حسبما حققته فى سورة الحج وغيرها او ما كونه مخلوقا من سلالة ثم جعلت نطفا بعد ادوار واطوار فبعيد من سلالة السلالة ما سل من الشى واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصودا منه كالخلاصة واخرى غير مقصودة

منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن فى قوله تعالى من طين بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان يتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهى ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان ادم عليه السلام فانه الذى خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق ثم جعلناه اى الجنس باعتبار افراده المغايرة لادم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان ادم عليه السلام نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتاويل الجوهر او المسلول او الماء فى قرار اى مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذى هو مصدر مبالغة وقوله تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق ساير او بمكانتها فى نفسها فانها مكنت بحيث هى واحرزت ثم خلقنا النطفة علقة اى دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة اى قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة اى غالبها ومعظمها او كلها عظاما بان صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام المعهودة لحما من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اى كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثانى فحسب ثم انشاناه خلقا اخر مبين صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين و احتج به ابو حنيفة رحمه الله تعالى على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله فتعالى شانه فى علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من سمع ما فصل من اثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى احسن الخالقين بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدا محذوف اى هو احسن الخالقين خلقا اى المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه فى قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اى احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال اى جميل فعله فحذف المضاف و اقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روى ان عبد الله بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى فلما انتهى عليه السلام الى قوله خلقا اخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه فقال عليه السلام اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية قال عمر رضى الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت يا عمر وكان رضى الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربى فى اربع الصلوة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولى لهن او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الاية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضى الله عنه وشقاوة ابن ابى سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ولا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القران وذلك قادح فى اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الاية الكريمة منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله ثم انكم بعد ذلك اى بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما فى اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية لميتون لصائرون الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذى يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم انكم يوم القيمة اى عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب ولقد خلقنا فوقكم بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اى خلقنا فى جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم سبع طرائق هى السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذى هو السموات او عن جميع المخلوقات التى هى من جملتها او عن الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية ويصل الى ما فى الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء هو المطر او الانهار النازلة من الجنة قيل هى خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر

والعدول

والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرايق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه فى الارض اى جعلناه ثابتا قارا فيها وانا على ذهاب به [illegible] بالافساد او التصعيد او التغوير بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفى تنكير ذهاب [illegible] وبذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به اى بذلك الماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها اى فى الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يعود الضميران للنخيل والاعناب اى لكم فى ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف دل عليه ما قبله اى ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين ساير الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هى اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فيعالا فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من ساير البقاع ايضا لتعظيمها او لانه المنشا الاصلى لها وقوله تعالى تنبت بالدهن صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا اى تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية لتنبت اى تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن و قرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما فى قول زهير رايت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان وصبغ للاكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الاخر اى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس للائتدام وقرئ صباغ كدباغ فى دبغ وان لكم فى الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها فى نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان للمح ان محل العبرة فيه اظهر مما فى النبات وقوله تعالى نسقيكم مما فى بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما فى بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذى يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اى تسقيكم الانعام ولكم فيها منافع كثيرة غير ما ذكر من اصوافها واشعارها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها وعليها اى على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضى الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هى الابل خاصة لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدى زمامها فالضمير فيه كما فى قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون اى فى البر والبحر وفى الجمع بينها وبين الفلك فى ايقاع الحمل عليها مبالغة فى تحملها الحمل وهو الداعى الى تاخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع فى بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على ساير القصص مما لا يخفى وجهه وفى ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد ارسلنا نوحا الخ ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود فقال متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى فى سورة هود الا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بانها هى العبادة فقط اما العبادة بالاشراك فليس من العبادة فى شئ راسا وقوله تعالى ما لكم من اله غيره استئناف مسوق لتعليل العبادة المامور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على انه فاعل او مبتدا خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى ما لكم فى الوجود او فى العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه افلا تتقون اى افلا تخافون انفسكم عذابه الذى يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم الخ وليس بذاك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لانكار

الوافع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى تعرفون ذلك اى مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره افلا تتقون عذابه بسبب اشراككم فى العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة فى الكمية وفى الاول فى الكيفية فقال الملاء اى الاشراف الذين كفروا من قومه وصف الملا بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم فى الكفر وشدة شكيمتهم فيه اى قالوا لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم اى فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة فى وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اى يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عليه الصلوة والسلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى ولو شاء الله لانزل ملائكة بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام اى لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشية مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما فى قوله تعالى ولو شاء لهديكم ونظائره ما سمعنا بهذا اى بمثل هذا الكلام الذى هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام فى دعوى النبوة فى ابائنا الاولين اى الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما لكونهم وآبائهم فى فترة متطاولة واما لفرط غلوهم فى التكذيب والعناد وانهماكهم فى الغى والفساد واياما كان فقولهم هذا ينبغى ان يكون هو الصادر عنهم فى مبادى دعوته عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء فى قوله تعالى فقال الملاء الخ وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام انه نبى فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم فى زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذى صدر عنهم فى اواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه وقولهم ان هو اى ما هو الا رجل به جنة اى جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به حتى حين اى احتملوه واصبروا عليه وانتظروا لعله يفيق مما هو فيه محمول على تراخى احوالهم فى المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام من البشرية وارادة التفضل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كانه قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا فى الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن رب انصرنى باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الخ بما كذبون اى بسبب تكذيبهم اياى او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك ان مفسرة لما فى الوحى من معنى القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عليه السلام منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤنه باعينهم من التعدى او من الزيغ فى الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء فى قوله تعالى فاذا جاء امرنا لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما فى قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيئه كمال اقترابه او ابتداء ظهوره اى اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان لمجيء الامر روى انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء اخبرته امرأته فركبوا واختلف فى مكانه فقيل كان فى مسجد الكوفة اى فى موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان فى عين وردة من الشام وقد مر تفصيله فى تفسير سورة هود فاسلك فيها اى ادخل فيها يقال سلك فيه اى دخل فيه وسلكه فيه اى ادخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم فى سقر من كل اى من كل امة زوجين اى فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى اثنين فانه نص فى الفردين دون الجمعين او الفريقين وقرئ بالاضافة على ان المفعول اثنين اى من كل امتى زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح فى ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفى سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين فالوجه ان يحمل اما على انه حكاية لامر تنجيزى ورد عند فوران التنور الذى نيط به الامر التعليقى اعتناء بشأن المأمور به او على ان ذلك هو الامر السابق بعينه لكن لما كان الامر التعليقى قبل تحقق المعلق به فى حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث عند تحققه فحكى على صورة التنجيز وقد مر فى تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا واهلك منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى اى واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان فى المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدى الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم الا من سبق عليه القول اى القول باهلاك الكفرة وانما جئ بعلى لكون السابق ضارا كما جئ باللام فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونها نافعا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم مغرقون تعليل للنهى او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اى انهم

مقضى عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك اى من اهلك واشياعك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلنى فى السفينة او منها منزلا مباركا اى انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اى موضع نزول وانت خير المنزلين امر عليه السلام ان يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر مع شركة الكل فى الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان فى دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ان فى ذلك الذى ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه لآيات جليلة يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذووا الاعتبار وان كنا لمبتلين ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين ان النافية وضمير الشان محذوف اى وان الشان كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد ومختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشأنا من بعدهم اى من بعد اهلاكهم قرنا آخرين هم عاد حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود فى سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعل القرن موضعا للارسال كما فى قوله تعالى كذلك ارسلناك فى امة ونحوه لا غاية له كما فى مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم اى من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان فى قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى ما لكم من اله غيره تعليل للعبادة المأمور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به افلا تتقون اى عذابه الذى يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصى والكلام فى العطف كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام وقال الملاء من قومه حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذى نطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستيناف المبنى على السؤال كما ينبئ عنه ما سيأتى من حكاية سائر الامم اى وقال الاشراف من قومه الذين كفروا فى محل الرفع على انه صفة للملاء وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم فى الكفر وتأخيره عن من قومه لعطف قوله تعالى وكذبوا بلقاء الآخرة وما عطف عليه على الصلة الاولى اى كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم فى الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اى قالوا لاعقابهم مضلين لهم ما هذا الا بشر مثلكم اى فى الصفات والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة فى تهوين امره عليه السلام وتوهينه يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم اى فيما ذكر من الاحوال والصفات اى ان امتثلتم باوامره انكم اذا اى على تقدير الاتباع لخاسرون عقولكم ومغبونون فى آرائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذى يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التى لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذا وقع بين اسم ان وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة اى والله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم استيناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده انكم اذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب اى كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى انكم تأكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذى هو قوله تعالى مخرجون اى من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم وقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذى يقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم الخ هيهات هيهات تكرير لتأكيد البعد اى بعد الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما فى هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هى الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حياتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما فى هى النفس تحمل ما حملت وهى العرب تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى نموت ونحيا جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هى الحيوة الدنيا اى يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو اى ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من رسالته وفيما يعد

من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله قال اى هود عليه السلام عند ياسه من ايمانهم بعد ما
سلك فى دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل رب انصرنى عليهم وانتقم لى منهم بما كذبون اى بسبب تكذيبهم
اياى واصرارهم عليه قال تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل اى عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور
لتاكيد معنى القلة كما زيدت فى قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اى عن شىء قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا
من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا فى تضاعيفها
بصيحة هائلة ايضا وقد روى ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله تعالى عليهم صيحة من
السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هو العذاب المصطلم قال قائلهم صاح الزمان بآل برمك صيحة
خروا لشدتها على الاذقان بالحق متعلق بالاخذ اى بالامر الثابت الذى لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد
الصدق فجعلناهم غثاء اى كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التى لا يكاد
يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اى هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ثم انشانا من
بعدهم اى بعد هلاكهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اى ما تتقدم
امة من الامم المهلكة الوقت الذى عين لهلاكهم اى ما تهلك امة قبل مجىء اجلها وما يستاخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى
ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشانا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ من انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان
ارسال كل رسول متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين قد ارسلنا
الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب
لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالى تترى اى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من
الواو كما فى تولج وتيقور والالف للتانيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا
وقوله تعالى كلما جاء امة رسولها كذبوه استيناف مبين لمجىء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد
بالمجىء اما التبليغ واما حقيقة المجىء للايذان بانهم كذبوه فى اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق
الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء امته الخاصة به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم
حيث كذب كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجىء بالمرسل اليهم فاتبعنا بعضهم
بعضا فى الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا فى مباشرة اسبابه التى هى الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وجعلناهم احاديث
لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى ما يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع
اعجوبة وهى ما يتعجب منه اى جعلناهم احاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر ههنا على وصفهم
بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد فى
الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا هى الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل
والضفادع والدم ونقص الثمرات ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هى الآيات التى كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين
اى حجة واضحة ملزمة للخصم وهى اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها فى الآيات لما انها ام آياته عليه السلام واولاهن
وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل فى تفسير سورة طه واما التعرض لانفلاق
البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من
قبل ومن بعد فى غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام واما نفس الآيات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام
الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتى الى فرعون
وملائه اى اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بنى اسرائيل منوط بارائهم لا بآراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد
وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار اى كانوا قوما
عادتهم الاستكبار والتمرد اى قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق على الواحد كقوله بشرا
سويا كما يطلق على الجمع كما فى قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه فى حكم المصدر وهذه القصص
كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية
وتباين طبقات افرادها فى مراقى الكمال ومهاوى النقصان بحيث يكون بعضها فى اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس
الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحانى والجسمانى يتلقون من جانب ويلقون
الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جانب الحق وبعضها فى اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم
كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بنى اسرائيل لنا عابدون اى خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا
بذلك التعريض بشانهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام فى لنا متعلق
بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد

الموسى على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم فى نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب
قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء
للرسالة هو السبق فى حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما اى فتموا على تكذيبهما
واصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق فى بحر قلزم ولقد آتينا اى بعد اهلاكهم وانجاء بنى اسرائيل
من ملكتهم موسى الكتاب اى التوراة وحيث كان ايتاؤه عليه السلام اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شان الكتب الالهية
جعلوا كانهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اى الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والاحكام وقيل اريد آتينا قوم
موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما فى قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم اى من آل فرعون وملائهم
ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التوراة انما نزلت بعد اغراقهم لبنى اسرائيل واما الاستشهاد على
ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى مما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد
بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط
كما سياتى فى سورة القصص وجعلنا ابن مريم وامه آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر
فالآية امر واحد نسب اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم فى المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه آية بانها ولدته من غير مسيس
فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وبما كونه عليه السلام ابنها وكونها امه عليه السلام للايذان
من اول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته عليه السلام اليها مع ان النسب الى الآباء دالة على ان لا اب له اى جعلنا ابن مريم
وحدها من غير ان يكون له اب وامه التى ولدته خاصة من غير مشاركة الاب آية وتقديمه عليه السلام لاصالته فيما ذكر من كونه
آية كما ان تقديمها فى قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليها من الاحصان والنفخ وآويناهما الى ربوة
اى ارض مرتفعة قيل هى ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر
ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربا وقرئ بكسر الراء و
ضمها ورباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع
لاجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين اى وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد فى الشىء او
من الماعون وهو النفع لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك
للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقى ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول فى عصره جىء بها اثر حكاية
ايواء عيسى عليه السلام وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادى التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل اباحة الطيبات
شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصفوا به اى وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن
تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبانية
من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول
ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدى والكلبى رحمهم الله تعالى انه خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب فى مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل فى حيازة كمالاتهم
والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات الماكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه واعملوا صالحا
اى عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم انى بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة عليم فاجازيكم عليه
وان هذه استيناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما
اجمع عليه كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها فى الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك فى
سلك الامور المشاهدة امتكم اى ملتكم وشريعتكم ايها الرسل امة واحدة اى ملة وشريعة متحدة فى اصول الشرائع
التى لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على
الايمان والتوحيد فى العبادة وانا ربكم من غير ان يكون لى شريك فى الربوبية وضمير المخاطب فيه وفى قوله تعالى فاتقون اى
فى شق العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بى للرسل والامم جميعا على ان الامر فى حق الرسل للتهييج
والالهاب وفى حق الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى
واتحاد الامة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وان هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اى ولان هذه امتكم امة وانا ربكم
فاتقون اى فاتقوا فاتقون كما مر فى قوله تعالى واياى فارهبون وقيل على العطف على ما اى انى عليم بان امتكم امة الخ وقيل على حذف
فعل عامل فيه اى واعلموا ان هذه امتكم الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان فتقطعوا امرهم حكاية لما ظهر من امم الرسل
بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها على التفسيرين والفاء لترتيب عصيانهم على الامر
لزيادة تقبيح حالهم اى فتقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة بينهم زبرا اى قطعا جمع زبور يعنى

لفرقة ويويده قراءة زبرا بفتح البا جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا او مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل
كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف اى مثل زبر وقرى بتخفيف البا كرسل في رسل كل حزب من اولئك
المتحزبين بما لديهم من الدين الذى اختاروه فرحون معجبون معتقد ونا نه الحق فذرهم في غمرتهم شبه ما هم فيه من الجهالة
بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرى غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفا
لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا
على قلوبهم اى اتركهم على حالهم حتى حين هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والاخرة
وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفا لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما ونهى
له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وفى التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل ايحسبون انما نمدهم به اى نعطيهم
اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه
في سورة الكهف لا خبرا لان وانما الخبر قوله تعالى نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع الى الاسم اى يحسبون ان الذى نمدهم به
من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى بل لا يشعرون
عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشئ اصلا كالبهايم لا فطنة لهم ولا شعور
ليتاملوا ويعرفوا ان ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وقرى
يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرى يسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون استيناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم اى
اى من خوف عذابه حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا
يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها
للاشفاق والايمان وعدم الاشراك والذين يؤتون ما آتوا اى يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرى يأتون ما اتوا اى
يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما كان فصيغة الماضى في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في
الاولى للدلالة على الاستمرار وقلوبهم وجلة حال من فاعل يؤتون او يأتون اى يؤتون ما آتوه او يفعلون من العبادات
ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة اشد الخوف انهم الى ربهم راجعون اى من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل
ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى
والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة
منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ وانما
كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال
الموصوف بها اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة يسارعون في الخيرات اى في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما
في قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وقوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين فقد
اثبت لهم ما نفى عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء
الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم
خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الاية وهم لها سابقون
اى اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون اى ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل
المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها
سابقون الناس والاول هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستانفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من
فعل الطاعات المؤدى الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اى عادتنا جارية على ان لا نكلف
نفسا من النفوس الا ما فى وسعها على ان المراد استمرار النفى بمعونة المقام لا نفى الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر
عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب
السابقين فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن
لم يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تعالى ولدينا كتاب الخ تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة
عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحايف الاعمال التى يقرؤنها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى
ينطق بالحق كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اى عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل
احد على ما هى عليه او اعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الاخرين ففيه قطع
معذرتهم ايضا وقوله بالحق متعلق بينطق اى يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه
النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلايل اعمالهم ودقايقها ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله

معنى السبق الاول ... الفضل ... يسارعون في الخيرات اى ... الى ...

تعالى

وهم لا يظلمون بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اى لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او
بزيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التى كلفوها ونطقت بها صحايفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب
الاعمال اى لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم التى من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها
عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عن ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم
على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا
وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف ما فى الوسع وكتب الاعمال
ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره تعالى
وتسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله اى بل قلوب الكفرة في
غفلة غامرة لها من هذا الذى بين في القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤس الاشهاد
فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سياتى من قوله تعالى قد كانت آياتى تتلى عليكم الخ وقيل عما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال
الصالحة ولهم اعمال سيئة كثيرة من دون ذلك الذى ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهى فنون كفرهم ومعاصيهم
التى من جملتها ما سياتى من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف
به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطى للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل
متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم لها عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون
بها لا يكادون يبرحون حتى اذا اخذنا مترفيهم اى مستمرون عليها معتادون فعلها متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى
بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية اى لا يزالون
يعملون اعمالهم الى حيث اذا اخذنا رؤساءهم بالعذاب قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذى اصابهم
حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف
فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق انه العذاب الاخروى اذ هو الذى يفاجئون عنده
الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى و
لقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل
والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان رضى الله عنه وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد
عليه بالاقناط حيث روى انه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك اذا هم يجأرون اى فاجؤا الصراخ بالاستغاثة
من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجأة
الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم
متنعمين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من
الحماة والخدم اولى واقدم لا تجأروا اليوم على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم
الفارغة من الاغاثة والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجؤار
وقد جوز كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلى في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدى ذلك الى ان يكون
مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود اصلى وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون تعليل للنهى عن الجؤار ببيان عدم افادته
ونفعه اى لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق النظم
الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى قد كانت
آياتى تتلى عليكم الخ صريح في انه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان
النصر المنفى متوهما من الغير لعلل بعجزه وذله او بعزة الله تعالى وقوته اى قد كانت آياتى تتلى عليكم في الدنيا فكنتم
على اعقابكم تنكصون اى تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع
قهقرى مستكبرين به اى بالبيت الحرام او بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بانهم
خدامه وقوامه او بكتابى الذى عبر عنه بآياتى على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على المسلمين
قد حدث بسبب استماعه ويجوز ان يتعلق البا بقوله تعالى سامرا اى يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه
حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر
كالحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرى سمرا وسمارا وان يتعلق بقوله تعالى
تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك اى تهذون في شان القرآن او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش
ويؤيده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش فيه وقرى تهجرون من هجر الذى هو مبالغة في هجر اذا هذى افلم يدبروا
القول الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفا للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى افعلوا ما فعلوا من النكوص

والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلاً عما فعلوا في شأنه من القبائح وام في قوله تعالى ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ باخر والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع اى بل اجاءهم من الكتاب ما لم يأت اباءهم الاولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعنى ان مجئ الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى انكارها وان مجئ القرآن على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذاب الله تعالى ما لم يأت اباءهم الاولين كاسمعيل عليه السلام واعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مر وتبع وضبة بن اد فآمنوا به تعالى وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع ايضاً اى بل الم يعرفوه عليه السلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام فهم له منكرون اى جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبنى بطلان ما بنى عليه او فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تأكيد لما قبله ام يقولون به جنة انتقال الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اى بل يقولون به جنة اى جنون مع انه ارجح الناس عقلاً واثقبهم ذهناً واتقنهم رأياً واوفرهم رزانة ولقد روعى في هذه التوبيخات الاربعة التى اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به عليه السلام الترقى من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا اولاً بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشئ لو اتصف به القول لكان سبباً لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من عدم معرفتهم به عليه السلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا شر ثم بما لو كان فيه عليه السلام لقدح في رسالته عليه السلام بل جاءهم بالحق اضراب عما يدل عليه ما سبق اى ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول عليه السلام بل جاءهم عليه السلام بالحق اى الصدق الثابت الذى لا محيد عنه اصلاً ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه واكثرهم للحق من حيث هو حق اى حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضى الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافى كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافاً من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا كراهة الحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلاً ولو اتبع الحق اهواءهم استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التى ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اى لو كان ما كرهوه من الحق الذى من جملته ما جاء به عليه السلام موافقاً لاهوائهم الباطلة لفسدت السموات والارض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذى جاء به عليه السلام اهواءهم وانقلب شركاً لجاء الله تعالى بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر ففيه انه لا يلائم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية مما لا احتمال له اصلاً بل اتيناهم بذكرهم انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذى به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذى هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اى بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذى كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال فهم بما فعلوا من النكوص عن ذكرهم اى فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقاً فان المستتبع لكون اعراضهم اعراضاً عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لا الايتاء مطلقاً وفي اسناد الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه السلام تنويه لشأن النبي صلى الله عليه وسلم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذى يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه واما التشريف فانما يليق به تعالى لا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم احد المتشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكراً من الاولين وقيل وعظهم ويؤيده انه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس في مثابة اعراضهم عن شرفهم او عن ذكرهم الذى يتمنونه في الشناعة والقباحة ام تسألهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل ام يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة خرجاً اى جعلاً فلاجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى فخراج ربك خير اى رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار اى لا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تعليل الحكم وتشريفه

عليه السلام ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج ففي النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجاً فخرج وخرجاً فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وعلا وازاح عللهم في هذه الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة وصفوا بذلك تشنيعاً لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا واشعاراً بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعى الى طلب الحق وسلوك سبيله عن الصراط اى عن جنس الصراط لناكبون لعادلون فضلاً عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذى تدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجاً ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اى قحط وجدب للجوا اى لتمادوا في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يعمهون اى عامهين عن الهدى روى انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفى ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التى من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف اى وبالله لقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم بذلك اى لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اى وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى حتى اذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد اذا هم فيه مبلسون اى متحيرون آيسون من كل خير اى محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما رؤى منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى في شئ وانما هو نوع خنوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغا واكثرهم مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من الاسر والقتل والمعنى اخذناهم اولاً بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع في استكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو اشد واطم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار لتشاهدوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها ما تشاهدونها وتعتبروا اعتباراً لائقاً قليلاً ما تشكرون اى تشكرون شكراً قليلاً غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما ان العمدة في الشكر صرف تلك القوى التى هى في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هى له وانتم تخلون بذلك اخلالاً عظيماً وهو الذى ذرأكم في الارض اى خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون اى تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه وهو الذى يحيى ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شئ من الاشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار اى هو المؤثر في اختلافهما اى تعاقبهما او اختلافهما ازدياداً وانتقاصاً او لامره وقضائه اختلافهما افلا تعقلون اى الا تتفكرون فلا تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التى من جملتها البعث وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اى فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون اى آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ءاذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءانا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا اى البعث من قبل متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم اى وعد آباؤنا من قبل او بمحذوف وقع حالاً من آباؤنا اى كائنين من قبل ان هذا اى ما هذا الا اساطير الاولين اى اكاذيبهم التى سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليباً للعقلاء على غيرهم ان كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اى ان كنتم تعلمون شيئاً ما فاخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفى او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قيل سيقولون

لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها قل اى عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم افلا تذكرون اى اتعلمون ذلك او تقولون ذلك فلا تذكرون اى من فطر الارض وما فيها ابتداء قادر على اعادتها فان البدء ليس باهون على الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرى تتذكرون اى من فطر الارض وما فيها ابتداء على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد الرب تنويها لشان العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا ولقد روعي في الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرى هو وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال قل الحاما لهم وتوبيخا افلا تتقون اى اتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية قل من بيده ملكوت كل شيء مما ذكر وما لم يذكر اى ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو يجير اى يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه اى ولا يغيث احد عليه اى لا يمنع احد منه بالنصر عليه ان كنتم تعلمون اى شيئا ما او ذلك فاجيبوني على ما سبق سيقولون لله اى لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه قل فانى تسحرون اى فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك بل اتيناهم بالحق الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث وانهم لكاذبون فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما يقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه من اله يشاركه في الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم اذا لذهب كل اله بما خلق جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه اى لو كان معه الهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الاخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قطعا مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون اى يصفونه به من ان يكون له انداد واولاد عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرى بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وايا ما كان فهو دليل اخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فتعالى عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك قل رب اما تريني اى ان كان لا بد من ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستاصل واما العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اى قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوا من العذاب وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به وردا لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به عليه السلام هضما للنفس وقيل لان شوم الكفر قد يحيق بمن وراهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروى انه تعالى اخبر نبيه عليه السلام بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستاصلا لا يظهر على يديه عليه السلام للحكمة الداعية اليه ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيها من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اى بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له عليه السلام الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين اى وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع والوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون امر عليه السلام بان يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمامور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء اى اعوذ بك من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القران كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وحال حلول الاجل كما روي عن عكرمة رحمه الله لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى اذا جاء احدهم الموت حتى هي التي يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين ان يزلوه عليه السلام عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى ان العامل فيه لفظ يصفون بل بمعنى انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا ومعنى اى يستمرون على الوصف

المذكور حتى اذا جاء احدهم اى احد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له احوال الاخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون اى ردني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك ونظائره لعلي اعمل صالحا فيما تركت اى في الايمان الذي تركته لم ينظم في سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة بان يقول لعلي اومن فاعمل الخ للاشعار بانه امر مقرر الوقوع غني عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع اى لعلي اعمل في الايمان الذي آتي به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال ومن الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المومن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تبارك وتعالى واما الكافر فيقول ارجعوني كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها اى قوله رب ارجعوني الخ كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم اى امامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها على ان الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وبنيه او لا انساب يفتخرون بها يومئذ كما هي بينهم اليوم ولا يتساءلون اى لا يسال بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذاك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه موزونات حسناته من العقايد والاعمال اى فمن كانت له عقايد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب ومن خفت موازينه ومن لم يكن له من العقايد والاعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف فاولئك الذين خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين في الصلتين باعتبار لفظه في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين من الاسنان وقرى كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اى يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن اياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا اى ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرى شقوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اى اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سالوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم حينئذ على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما قال اخسؤا فيها اى اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ اى انزجر ولا تكلمون اى باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون راسا وهو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعا وقوله تعالى انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اى ان الشان وقرى بالفتح اى لان الشان كان فريق من عبادي وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يقولون في الدنيا ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اى اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتتشاغلون باستهزائهم حتى انسوكم اى الاستهزاء بهم ذكري من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم بما صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اى جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرى

بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن قال اى الله عز وجل او الملك المامور بذلك تذكيرا
لما لبثوا فيما سالوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك كم
لبثتم في الارض التى تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها
فاسأل العادين اى المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين لاعمار العباد و
اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى المعتدين بانهم ايضا يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم
اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اى الله تعالى او الملك
وقرئ قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اى تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم و
الجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا
اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اى الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون
العظمة اى عابثين او مفعول له اى انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما فان خلقكم بغير بعث من
قبيل العبث وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام
له تعالى وللشؤون التى يصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اى ارتفع بذاته
وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة
الملك الحق الذى يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما
سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته ومحاط
به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذى منه القرآن الكريم او الخير والبركة
والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن
يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه
جئ بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه
او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه
فهو مجاز له على قدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اى ان الشان الخ وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه
عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه
انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفى الفلاح عن
الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل رب اغفر وارحم وانت خير
الراحمين ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكيف بمن
عداه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند
نزول ملك الموت وعنه عليه السلام انه قال لقد انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون
حتى ختم العشر وروى ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها نجا وافلح

سورة النور اربع وستون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور

سورة خبر مبتدأ محذوف اى هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في
حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من
حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة
انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شان هذه السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحى الى النبى عليه السلام سورة شانها
كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرئ بالنصب
على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل لها من الاعراب او على تقدير اقرا ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة
الاغراء فمحل انزلناها النصب على الوصفية وفرضناها اى اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان
بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتاكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض عليهم
من السلف والخلف وانزلنا فيها اى في تضاعيف السورة آيات بينات ان اريد بها الآيات التى نيطت بها الاحكام
المفروضة وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق
فانها اسوة لساير الآيات في ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشانها وان اريد
جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة وانزالها

عين

عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف احدى التاءين وقرئ بادغام الثانية
في الذال اى تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان تكون
على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان
احكامها والزانية هي المراة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني لانها الاصل
في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبرية وقوله تعالى فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التى زنت والذى زنى كما في قوله تعالى
واللذان ياتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف اى فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اى حكمهما وقوله تعالى
فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ
القطع بانه عليه السلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفى الايضاح الرجم حكم ثبت
بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروى عن على رضى الله عنه جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة وهى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من
الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روى عن على رضى الله عنه ولا تأخذكم بهما رأفة وقرئ بفتح الهمزة وبالمد بفتحها على فعالة اى
رحمة ورقة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت
فاطمة لقطعت يدها ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضى الجد
في طاعته تعالى والاجتهاد في اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اى لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة
فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشئ من الطوف واقلها ثلاثة كما روى عن قتادة وعن ابن عباس رضى الله عنهما اربعة
الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا
زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب المعتاد جئ به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن فنفروا
عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص المشركين كانه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب في
نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما او تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي
الثانية اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استاذنوا في نكاحهن او لتاكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر
والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما
تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة وحرم ذلك اى نكاح الزواني على المؤمنين
لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب واختلال امر المعاش وغير
ذلك من المفاسد مما لا يكاد يليق باحد من الادانى والاراذل فضلا من المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة
في الزجر وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله
تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روى انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح
وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان والذين يرمون المحصنات بيان
لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الاحصان ههنا مع مدلوله الوضعي الذى هو العفة
عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمى المنبئ عن صلابة الآلة وايلام الرمى
وبعده عن الرامى ايذان بشدة تاثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء
بايرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون
رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه مؤنة بيان تاخر والى
الآية عن قوله تعالى واستشهدوا عليهن اربعة ولا بعموم وجوب الحد بالرمى بغير الزنا على ان فيه شبه المصادرة كما
قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا ثم لم ياتوا باربعة شهداء يشهدون عليهن بما رموهن
به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تاخير الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا
ان اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعى فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمى والشهادة ويجوز
ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور كذبهم وافترائهم
بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب
المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمى المحصنين ايضا ذلك لخصوص الواقعة
وشيوع الرمى فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب

كان الجلد مولما للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام فى لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تاخرت عنها لكانت صفة لها وفايدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشية عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمى وهو السر فى قبول شهادة الكافر المحدود فى القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشية من اهليته السابقة بل من اهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعباون بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بدون ما مر من الاعتبار تعليل فى مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمى **ابدا** اى مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اى فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله **واولئك هم الفاسقون** كلام مستانف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشر والفساد اى اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كانهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى **الا الذين تابوا** استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتى ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله تعالى **من بعد ذلك** لتهويل المتوب عنه اى من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهايل **واصلحوا** اى اصلحوا اعمالهم التى من جملتها ما فرط منهم بالتلافى والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف **فان الله غفور رحيم** تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المواخذة بموجب الفسق كانه قيل فح لا يواخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم فى سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ فى المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعى رحمه الله الاستثناء بالنهى فمحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير فى لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهى بالتوبة فتقبل شهادته بعدها **والذين يرمون ازواجهم** بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الاية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرايط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخى النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخى نزولها كما سياتى فيبقى الاية السابقة قطعية الدلالة فيما بقى بعد النسخ لما بين فى موضعه ان دليل النسخ غير معلل **ولم يكن لهم شهداء** يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرى بتانيث الفعل **الا انفسهم** بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه فى سلك الشهادة فى الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم فى قوله تعالى **فشهادة احدهم** اى شهادة كل واحد منهم وهو مبتدا وقوله تعالى **اربع شهادات** خبره اى فشهادتهم المشروعة اربع شهادات **بالله** متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرى اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فيه شهادة على انها اما خبر لمبتدا محذوف اى فالواجب شهادة احدهم واما مبتدا محذوف الخبر اى فشهادة احدهم واجبة **انه لمن الصادقين** اى فيما رماها به من الزنا واصله انه لمن فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتاكيد **والخامسة** اى الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اى الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها فى افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهى مبتدا خبره **ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين** فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن **ويدرأ عنها العذاب** اى العذاب الدنيوى وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم الذى هو اشد العذاب **ان تشهد اربع شهادات بالله انه** اى الزوج **لمن الكاذبين** اى فيما رمانى به من الزنا **والخامسة** بالنصب عطفا على اربع شهادات **ان غضب الله عليها ان كان** اى الزوج **من الصادقين** اى فيما رمانى به من الزنا وقرى والخامسة بالرفع على الابتداء وقرى ان بالتخفيف فى الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرى ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المراة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترين على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روى ان آية القذف لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدى الانصارى رحمه الله تعالى فقال جعلنى الله فداك ان وجد رجل مع امراته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجى باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امراتى خولة وهى بنت عاصم شريك بن سحما فقال والله هذا سوالى ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان فى حكم التطليقة البائنة عند ابى حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ولا يتابد حكمها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابى يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعى رحمهم الله تعالى هى فرقة بغير طلاق توجب تحريما موبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم** التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن

حصره كانه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ فى قبول التوبة حكيم فى جميع افعاله واحكامه التى من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفترى عليها لاشتراكهما فى الفضاحة وبعدما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفاتت النظرة لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفاتت النظرة له ولا ريب فى خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منهما فى تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درأته عنه واطم وفى ذلك من احكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى اما على الصادق فظاهر واما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه فى الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما اعظم شانه واوسع رحمته وادق حكمته **ان الذين جاءوا بالافك** اى بابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه مافوك عن وجهه وسننه والمراد به ما افك به الصديقة ام المومنين رضى الله تعالى عنها وفى لفظ المجى اشارة الى انهم اظهروه من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرج قرعتها استصحبها قالت عايشة رضى الله عنها فاقرع بيننا فى غزوة غزاها قيل غزوة بنى المصطلق فخرج سهمى فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت فى هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودى بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شانى اقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسنى ابتغاوه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى وهم يحسبون انى فيه لخفتى فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى وظننت انى سيفقدونى ويعودون فى طلبى فبينا انا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فلما رانى عرفنى فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ما كلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطى على يدها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بى الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدنى الناس حين نزلوا وماج القوم فى ذكرى فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس فى حديثى فهلك من هلك وقوله تعالى **عصبة منكم** خبران اى جماعة وهى من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى **لا تحسبوه شرا لكم** استيناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعايشة وصفوان تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك **بل هو خير لكم** لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثمانى عشرة آية فى نزاهة ساحتكم وتعظيم شانكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا **لكل امرئ منهم** اى من اولئك العصبة **ما اكتسب من الاثم** بقدر ما خاض فيه **والذى تولى كبره** اى معظمه وقرى بضم الكاف وهى لغة فيه **منهم** من العصبة وهو ابن ابى فانه بدا به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما **له عذاب عظيم** اى فى الاخرة او فى الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابى مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفى التعبير عنه بالذى وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى **لولا اذ سمعتموه** تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما فى لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة فى قوله تعالى **ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا** لتاكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اى بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هولاء تقتلون انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح والتشنيع والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقى فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمومنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافى مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تاخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به راسا فى غاية ما يكون من القباحة والشناعة اى كان الواجب ان يظن المومنون والمومنات اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المومنين خيرا **وقالوا** فى ذلك الآن **هذا افك مبين** اى ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق ام المومنين

حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على
الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اى هلا جاء الخائضون
باربعة شهداء يشهدون على ما قالوا فاذ لم ياتوا بالشهداء وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك اشارة الى الخائضين
وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اى اولئك المفسدون عند الله اى في
حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة هم الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون
لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدا مسوق من جهته تعالى للاحتجاج
على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا ولولا فضل الله عليكم خطاب للسامعين والمسمعين جميعا
ورحمته في الدنيا من فنون النعم التي من جملتها الامهال للتوبة والاخرة من ضروب الالاء التي من جملتها العفو والمغفرة
بعد التوبة لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره
يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد اذ تلقونه بحذف
احدى التائين ظرف لمسكم اى لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين بالسنتكم والتلقي والتلقف
والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق
والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض
وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اى تتبعونه
وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اى تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق ومنشا في القلوب
لانه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له او
ليس له كثير عقوبة وهو عند الله والحال انه عنده عز وجل عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب ولولا اذ سمعتموه
من المخترعين او المشايعين لهم قلتم تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم بهذا وما يصدر عنا
ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة او الاستقامة والانبغاء وهذا اشارة
الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر مرارا من تخصيص التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على
تاخير القول المذكور عن ذلك الان ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه واما ترك القول نفسه
راسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب
عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف
الاشياء منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما
تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم
خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها اصلا لما تحققت ان مناط التقديم
توجيه التحضيض اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها
سبحانك تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنايعه تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب
عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها
تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه
واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله اى ينصحكم ان تعودوا لمثله اى كراهة
ان تعودوا او يزجركم من ان تعودوا وفي ان تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه ابدا اى مدة حياتكم ان كنتم مومنين
فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرايع ومحاسن الاداب دلالة
واضحة لتتعظوا وتتادبوا بها اى ينزلها كذلك اى مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن
كذلك وهذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اى خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية
ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل موقع الاضمار لتفخيم شان البيان والله عليم باحوال جميع مخلوقاته جلايلها
ودقايقها حكيم في جميع تدابيره وافعاله فانى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة
الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل هنا للتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي
والاشعار بعلية الالوهية للعلم والحكمة ان الذين يحبون اى يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة ان تنتشر
الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا او نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها اى يحبون شيوعها
ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة في الذين امنوا متعلق
بتشيع اى تشيع فيما بين الناس وذكر المومنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن
المومنين خاصة اى يحبون ان تشيع الفاحشة كاينة في حق المومنين وفي شانهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا

صفوان
من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف
وضرب حسانا ضربة بالسيف وكف بصره والاخرة من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الامور
التي من جملتها ما في الضماير من المحبة المذكورة وانتم لا تعلمون ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال
المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسراير
فيعاقب في الاخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا جعل العذاب العظيم في الدنيا عبارة عن حد القذف او متضمنا له كما اطبق
عليه الجمهور اما اذا ابقي على اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم
الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على ان عذاب من يباشر الاشاعة ويتولاها اشد واعظم ويكون الاعتراض
التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب العظيم لهم وتعليلا له ولولا فضل الله عليكم
ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة وان الله رءوف رحيم عطف على فضل الله واظهار
الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرافة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان
المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرافة التي هي كمال الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان
حدوث تعلق رافته ورحمته بهم كما ان المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه يا ايها الذين امنوا لا
تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تسلكوا مسالكه في كل ما تاتون وما تذرون من الافاعيل التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها
وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهران موضع ضميريهما حيث لم يقل ومن
يتبعها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير فانه يامر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت
موضعه كانه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دابه المستمر ان يامر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشاء
ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للشان على راي من لا يوجب عود الضمير من الجملة
الجزائية الى اسم الشرط او على ان الاصل يامره وقيل هو عايد الى من اى فان ذلك المتبع يامر الناس بهما لان شان الشيطان هو
الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته هاتيك
البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكا اى ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد
اى ما طهره الله تعالى ومن في قوله تعالى منكم بيانية وفي قوله تعالى من احد زايدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية على
القراءة الاولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية ابدا لا الى نهاية ولكن الله يزكي يطهر من يشاء من عباده
بافاضة اثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله سميع مبالغ في سمع الاقوال التي من جملتها
ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة واظهار الاسم
الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولا ياتل اى لا
يحلف افتعال من الالية وقيل لا يقصر من الالو والاول هو الاظهر لنزوله في شان الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق
على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرا ولا يتال اولوا الفضل منكم
في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله عنه والسعة في المال ان يؤتوا اى على ان لا يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب
على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد جيء بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا
منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات قيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره اى على ان يؤتوهم
شيئا وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء عنه وقرئ الامران بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى الا تحبون ان
يغفر الله لكم اى بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة
مع كمال قدرته على المواخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كانه
قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روي انه صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب
ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات اى العفائف مما رمين به من
الفاحشة الغافلات عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها اصلا ففيها من الدلالة على كمال
النزاهة ما ليس في المحصنات او السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء المومنات اى المتصفات بالايمان
بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تاخير المومنات عما قبلها
مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكرنا لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم
في الجملة كما هو المتبادر من تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لسائر امهات
المومنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم
نوح المرسلين ونظايره وقيل امهات المومنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا اوليا واما ما قيل من ان المراد هي الصديقة
والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الامة فياباه ان العقوبات المرتبة على رميهن لا تعقوبات

مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في ان رمي غير امهات المومنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن
قد خصصن من بين سائر المومنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم حوله
احد بسوء حتى ان ابن عباس رضي الله عنهما جعله اغلظ من سائر افراد الكفر حين سئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم
تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله تعالى عنها وهل هو الا لتهويل امر الافك والتنبيه على انه كفر غليظ
لعنوا بما قالوا في حقهن في الدنيا والاخرة حيث يلعنهم اللاعنون من المومنين والملائكة ابدا ولهم مع ما ذكر من اللعن الابدي
عذاب عظيم هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم تشهد عليهم الخ اما متصل بما قبله مسوق
لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها
على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب وان اعتضد بعض
وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطعة عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على انه ظرف لفعل موخر قد ضرب عنه
الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كانه قيل يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول
المذكور عبارة عن جميع اعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة
بها انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من افاعيل صاحبها لا ان كلا منها تخبر بجناياتهم المعهودة
فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن احداهما خاصة ففيه من ضروب
التهويل بالاجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح
على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لامر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها
في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى الموخر كما مر مرارا
وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي يوم اذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت
الذي يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم
المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول
لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد وفي يوم تشهد بالتذكير للفصل ويعلمون عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما
نطق به القران الكريم ان الله هو الحق الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها
كلماته التامات المنبئة على الشوون التي يشاهدونها منطبقة عليها المبين المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر
انه هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب
ليس له كثير مناسبة بالمقام كما ان تفسير الحق بذي الحق البين اي العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في القران
المجيد من ايات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع
المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشان والتنبيه
وابراز رتبة الصديقة رضي الله عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى الخبيثات الخ كلام مستانف مؤسس
على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من
النساء للخبيثين من الرجال اي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص و
الخبيثون ايضا للخبيثات لان المجانسة من دواعي الانضمام والطيبات منهن للطيبين منهم والطيبون ايضا
للطيبات منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب
الاطيبين وخيرة الاولين والاخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان
ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى اولئك مبرءون مما يقولون على ان الاشارة الى اهل البيت
المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بعلو الشان
مبرءون مما يقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول والنساء اي مختصة و
لائقة بهم لا ينبغي ان تقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول
والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك
الطيبون مبرءون مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين
من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها
والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون
بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرءون مما يقوله الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر

عنهم ذلك فما له تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق كريم
هو الجنة يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل
الزواجر عما عسى يودي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات الخلوات وتعليم الاداب
الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي
سكنى كل احد في ملكه والا فالاجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل
الياء حتى تستانسوا اي تستاذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره
فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يوذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما ان المستاذن
مستوحش خائف ان لا يوذن له فاذا اذن له استانس وتسلموا على اهلها عند الاستيذان روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم اي الاستيذان مع التسليم
خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم
صباحا حييتم مساء فيدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن
على امي قال نعم قال ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال عليه السلام اتحب ان تراها عريانة قال لا
قال عليه السلام فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق بمضمر اي امرتم به او قيل لكم هكذا لتذكروا وتتعظوا وتعملوا
بموجبه فان لم تجدوا فيها احدا اي ممن يملك الاذن على ان من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه او احدا
اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس
اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص
لان الدخول حين حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على العورات
اولى فلا تدخلوها واصبروا حتى يوذن لكم اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى ياتي من ياذن
لكم او حتى تجدوا من ياذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة
في الانتظار على الابواب مطلقا بل في تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن اولا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان
كما في الوجه الاول ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى ان ياتي الاذن كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب
الناس ويقدح في المروءة اي قدح هو اي الرجوع ازكى لكم اي اطهر مما لا يخلو عنه اللح والعناد والوقوف على الابواب
من دنس الدناءة والرذالة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تاتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح
ان تدخلوا اي بغير استيذان بيوتا غير مسكونة اي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من
يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح
الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح
اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشرى والبيع والاغتسال وغير ذلك
مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا باس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها
من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال
يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها
الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه البيوت لا انها المرادة
فقط وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على
عورات قل للمومنين شروع في بيان احكام كلية شاملة للمومنين كافة يندرج فيها حكم المستاذنين عند دخولهم
البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر
والنواهي الى رايه عليه السلام لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الامر بها والمتصدي
لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا يغضوا
من ابصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن
التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ذلك اي ما ذكر من الغض و
الحفظ ازكى لهم اي اطهر لهم من دنس الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من
جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما ياتون
وما يذرون وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه ويحفظن فروجهن بالتستر والتصون
عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة

في النهي عن ابدآء مواقعها ما لا يخفى الا ما ظهر منها عند مزاولة الامور التي لابد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في
سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان
لانها ليست بعورة وليضربن بخمرهن على جيوبهن ارشاد الى كيفية اخفآء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النسآء على
عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا
لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقآء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثنآء بعض
موارد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد ما استثني عنه بعض موارد الضرورة باعتبار المنظور الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة
ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود او آبآء بعولتهن او ابنائهن او ابنآء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني
اخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب
ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذارا من ان
يصفوهن لابنائهم او نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال
او ما ملكت ايمانهن اي من الامآء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الامآء والعبيد لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة
رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام انه
ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النسآء وهم الشيوخ الهم والممسوحون
وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النسآء وقرئ غير
بالنصب على الحالية او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسآء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم
حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفآء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما
يخفين اي ما يخفينه من الرؤية من زينتهن اي لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات
خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابدآء صوت الحلي بعد النهي عن ابدآء
عينها من المبالغة في الزجر عن ابدآء مواضعها ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقة
بان يكون سبحانه وتعالى هو الامر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف
كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا
كان المامور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم
عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى ايها المؤمنون تاكيد للايجاب وايذان بان وصف
الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم
بعد ما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه
مناطا لبقآء النوع خير مزجرة عن ذلك والايامى مقلوب ايايم وهو من لا زوج له من الرجال والنسآء بكرا كان او
ثيبا كما ينفصح عنه قول من قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم اي زوجوا من لا زوج له من
الاحرار والحرائر والصالحين من عبادكم وامائكم على ان الخطاب للاوليآء والسادات واعتبار الصلاح في الارقآء لان
من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشانه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لابد
منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر
فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح
فلا بد من مساعدة الاوليآء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او
آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقرآء يغنهم الله من فضله ازاحة لما عسى يتوهم يكون وازعا
من النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال
فانه غاد ورائح يرزق من يشآء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغنآء لقوله عليه السلام اطلبوا
الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شآء
والله واسع غنى ذو سعة لا يرزؤه اغنآء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق
لمن يشآء ويقدر حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وليستعفف ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابه الى ما هو
اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقرآء اي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا
اي اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف
لهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفآء وادنى من الصلحآء والذين يبتغون
الكتاب بعد ما امر بانكاح صالحي المماليك الاحقآء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر

كاتب

كاتب كالكتابة اي الذين يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا
درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق
مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفا بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق ان
الكتابة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب في ان ذلك لا
يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله
ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم به من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا ان كلا
من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الا منوطا بتحقق الآخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة
البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع
بالثمن من جهة البايع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشتري لم يكن بد من تضمين احدهما الآخر وقت الانشآء
فكما ان قول البايع بعت انشآء لعقد البيع على معنى انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا
ايقاعا متوقفا على رايه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشآء لعقد الكتابة اي
ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا
على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتدآء خبره فكاتبوهم والفا لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه
مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا يجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا
ومنجما وغير منجم وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه ان علمتم فيهم خيرا اي امانة ورشدا
وقدرة على ادآء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق واطلاق العنان وآتوهم من مال الله
الذي آتاكم امر للموالي ببذل شيء من اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك اقل ما يتمول وعن
علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب ويرده
قوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط الباقي عنه حتما وايضا لو وجب الحط لكان
وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع
وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى
ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المامور به كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي الى صرفه
الى الجهة المامور بها وقيل هو امر باعطآء سهمهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين
الماخذ وقيل هو امر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا
لتبدل العنوان حسبما نطق به قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اي امائكم
فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عليه السلام ليقل احدكم فتاي
وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة
لقوله تعالى على البغآء وهو الزنا من حيث صدوره عن النسآء لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من
عداهن من العجائز والصغار وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا
واخراج ما عداها عن حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني او لخصوص الزمان او لخصوص
المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على
البغآء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن
الزاجرة عن تعاطي القبائح فان عبد الله بن ابي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت
اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من
القبائح ما لا يخفى فان من له ادنى مروة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا عن امرهن به او اكراههن
عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتامل ودع عنك ما قيل من ان ذلك لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن
وما قيل من انه ان جعل شرطا للنهي لا يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي
عنه فانهما بمعزل من التحقيق وايثار كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة في مورد النص حتما للايذان بوجوب
الانتهآء عن الاكراه عند ارادة كون التحصن في حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو
الواقع وتعليله بان الارادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يابا0 اعتبار تحققها
ابآء ظاهرا وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا قيد للاكراه لكن لا باعتبار انه مدار للنهي عنه بل باعتبار انه
المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير اي لا تفعلوا ما انتم

عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب
واستيفائه بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلوب المتناول للطلب السابق الباعث عليه ومن يكرههن
الى آخره جملة مستانفة سيقت لتقرير النهي وتاكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة
برجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة اي ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن كما وقع
في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات
على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان
الحسن البصري اذا قرأ هذه الاية يقول لهن والله لهن والله وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين ايضا
في الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كانه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفي به عن العائد الى
اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا او معهن اخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لامر النهي في مقام
التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن وان كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن
شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما
لغاية تهويل امر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن
عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب
ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات كلام مستانف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة
شؤونها المستوجبة للاقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشانه اي
وبالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب
وغير ذلك مما هو مبادي بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازي او آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة
على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول اي التي بينت واوضحت
في هذه السورة في معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم عطف على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين مضوا من قبلكم من القصص
العجيبة والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة
عائشة رضي الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم وسائر الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما
واضحا وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سياتي من
التمثيلات وموعظة تتعظون به وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب
فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني
المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شان الآداب وانما قيل للمتقين
مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في
سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من انوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل
والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والامثال والمواعظ فقوله تعالى الله نور السموات والارض الخ
حينئذ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على
الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام
والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى
على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة
التنوير وشدة التاثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير
به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق من الامور التي
لها مدخل في ارشاد الناس بواسطة شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران
للعالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه او على شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من
موجود الا وقد بين من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود
الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان باهلهما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات
والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم
الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب
وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات

والاشجار او على تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما فمما لا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظام مثل نوره اي نوره
الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال والتبيين
وقد صرح بكونه نورا ايضا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وزيد بن اسلم
رحمهم الله تعالى وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شان الآيات
ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شان القرآن
الكريم واما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة اي صفة
نوره العجيبة كمشكاة اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل
المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة اي قنديل من الزجاج الصافي الازهر
وقرئ بفتح الزاي وكسرها في الموضعين الزجاجة كانها كوكب دري متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ودراري
الكواكب عظامها المشهورة وقرئ دري بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل من الدرء
وهو الدفع اي مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض اجزائه ضياءه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال
والباقي على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما من انتظام الكلام
بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كانها كوكب دري من تفخيم شانها ورفع مكانها بالتفسير اثر الابهام والتفصيل
بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلي دون الوصف المنبئ على الاشارة الى الثبوت
في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام مغنية عن
الرابط كانه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كانها كوكب دري يوقد من شجرة اي يبتدأ ايقاد المصباح من شجرة مباركة
اي كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين
زيتونة بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشانها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم
مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل اي ابتدأ ثقوب المصباح منها وقرئ
توقد بحذف احدى التائين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل
بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة او صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس
رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اي
يصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وقيل لا نابتة
في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس
عليها دائما فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما
في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا و
كلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد
حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل
هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا
بادخالها على ابعدها منه واما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة واما
لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية
لما ان الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء
آخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها
عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت
فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في
جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطف
هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفي اي يعطي او لا يعطي كائنا على جميع الاحوال وتقدير
الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار اي يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت
الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة نور خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى على نور
متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه
اي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور
كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف
من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه

عادة فان المصباح اذا كان فى مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شىء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما يليق بشأن التنزيل الجليل يهدى الله لنوره اى يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره فى مقام الاضمار لزيادة تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل من يشاء هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب ويضرب الله الامثال للناس فى تضاعيف الهداية حسبما يقتضى حالهم فان له دخلا عظيما فى باب الارشاد لانه ابراز للمعقول فى هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعانى بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما اسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذى هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعلق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة والله بكل شىء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه لما ذكر شان القرآن الكريم فى بيانه للشرائع والاحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه فى غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه فى اقصى مراتب الظهور انما يهتدى بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم فى الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل هى المساجد التى بناها نبى من انبياء الله تعالى الكعبة التى بناها ابرهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذى بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن فى رفعها الامر ببنائها رفيعة كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيرى واياما كان ففى التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المأمور ان يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر به ناويا لتحققه كانه مستأذن فى ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة فى متعلقة بقوله تعالى يسبح له وقوله تعالى فيها تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع فى البيوت فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس ويستعمل فى ذكر الصلوات ايضا كما فى قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى فالمراد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى بالغدو والآصال اى بالغدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كقنى جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو العشى وهو شامل للاوقات ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التنزيه على انه عبارة عما يقع منه فى اثناء الصلوات واوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده او عما يقع فى جميع الاوقات وافراد طرفى النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها لكونهما مشهودين وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل وقوله تعالى رجال فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فى وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتأنيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على ان يسند الى اوقات الغدو والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اى تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابى جعفر ليجزى قوما اى ليجزى الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح لا تلهيهم تجارة صفة لرجال مؤكدة لما افادة التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكى عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اى لا يشغلهم نوع من انواع التجارة ولا بيع اى ولا فرد من افراد البياعات وان كان فى غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان ربحه

متيقن

متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع فى ثانى الحال عند البيع فلم يلزم من نفى الهاء ما عداه نفى الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفى وتأكيده وقد نقل عن الواقدى ان المراد بالتجارة هو الشرى لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اى جلبه عن ذكر الله بالتسبيح والتحميد واقام الصلوة اى اقامتها لمواقيتها من غير تأخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما فى قوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا اى عدة الامر وايتاء الزكوة اى المال الذى فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل فى البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلوة فى عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع فى المساجد وكذلك قوله تعالى يخافون الخ فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم واياما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم فى المساجد وقوله تعالى يوما مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار صفة ليوما اى تضطرب وتتغير فى انفسها من الهول والفزع وتشخص كما فى قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتتغير احوالها وتتقلب فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكى من اعمالهم المرضية اى يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى احسن ما عملوا اى احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله اى يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم تخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال فى مثل قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه السلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التى من جملتها قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفى به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فينبو عنه نظمها فى سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا تظاهر الاسباب وللايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذى هو المعنى بالنور وبه يتم احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى فى بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة فى متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكوة اى كائنة فى بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شىء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبى يؤدى الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهتدين لنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به فى كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز والذين كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين آمنوا اعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين كفروا اعمالهم اى اعمالهم التى من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوف وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما فى قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية كسراب وهو ما يرى فى الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجرى بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اى كائن فى قاع وهى الارض المنبسطة المستوية وقيل هى جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف يحسبه الظمآن ماء صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه فى وجه الشبه الذى هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس حتى اذا جاءه اى اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه لم يجده اى ما حسبه ماء وعلق به رجاءه شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما فى قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها فى الدنيا نافعة لهم فى الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كانه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيمة اعمالهم التى كانوا فى الدنيا يحسبونها نافعة لهم فى الآخرة

لم يجد وها شيئا ووجد والله اى حكمه وقضاءه عند المجئ وقيل عند العمل فوفاه اى اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اى حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع فى التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل انزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد فى الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التى كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها فى كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التى ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات كائنة فى بحر لجى اى عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهى ايضا معظمه يغشاه صفة اخرى للبحر اى يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هى الجار والمجرور وموج الثانى فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر فى قوله تعالى نور على نور اى يغشاه امواج متراكمة متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة لموج الثانى على احد الوجهين المذكورين اى من فوق ذلك الموج سحاب ظلمانى ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كانها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدأ محذوف اى هى ظلمات بعضها فوق بعض اى متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها اذا اخرج اى من ابتلى بها واضمار من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها لم يكد يراها وهى اقرب شئ منه فضلا عن ان يراها ومن لم يجعل الله له نورا الخ اعتراض تذييلى جئ به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما فى حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشاء الله تعالى هدايتهم اى ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذى هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اى فما له هداية ما من احد اصلا وقوله تعالى الم تر الخ استئناف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه السلام اعلى مراتب النور واجلاها وبين له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اى قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة فى القوة والرصانة بالوحى الصريح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اى ينزهه تعالى على الدوام فى ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص وخلل من فى السموات اى ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا يفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذى هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال واكد ذلك باشاركة من يتولى ما كان كل شئ مما عز وهان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة فى اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له فى الالوهية ونسبتهم الى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازى شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التى يشاركهم فيها غير العقلاء ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جهاتهم التى هى الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار اشرفها التى هى الانسانية والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى جملة ما فى الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى صافات اى تسبحه تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف فى الجو كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر فى التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافعال فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادمج فى تضاعيفه الاشارة الى ان لكل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه ان كل واحد من الموجودات الممكنة فى حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود

وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه فى كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلوة التى هى الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح فى الذكر لتقدمها عليه فى الرتبة هذا ويجوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين فى كل انواع الطير وافرادها بالصلوة والتسبيح ما الهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على ان يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا برافعها فانه يرده الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازى شامل للتسبيح المقالى والحالى من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر فى قوله تعالى وكثير من الناس اى وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه اى دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وان صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال بشئ منهما حسبما الهمه الله تعالى فان الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدى اليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبها فيغير المدخل الى جحرها حتى روى انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامى رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك امور سفائنهم وغيرها وكان السبب فى ذلك انه كان يقتنى فى داره قنفذا يستدل باحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون اى ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثانى اما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا او عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل ان الضمير فى قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفى صلوته وتسبيحه لكل اى قد علم الله تعالى صلوة كل واحد مما فى السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على ان يكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلوته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له وافعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولا اوليا ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف فى جميعها ايجادا واعداما ابداء واعادة وقوله تعالى والى الله اى اليه تعالى خاصة لا الى غيره المصير اى رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى فى المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى فى المبدأ واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم الم تر ان الله يزجى سحابا الازجاء سوق الشئ برفق وسهولة غلب فى سوق شئ يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اى بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاما اى متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اى المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله اى من فتوقه حال من الودق لان الروية بصرية وفى تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة فى سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الروية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فان كل ما علاك سماء من جبال اى من قطع عظام تشبه الجبال فى العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح بعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اى ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد اى مشبهة بالجبال فى الكثرة واياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان فى الارض جبالا من حجر وليس فى العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح فيصيب به اى بما ينزله من البرد من يشاء ان يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر فى نفسه وماله

ويصرفه عمن يشاء أن يصرفه عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه أي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الإزجاء والتأليف
وغيرهما وإضافة البرق إليه قبل الإخبار بوجوده فيه للإيذان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة
والعلو وبإدغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء على أنه جمع برقة وهي مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للإتباع بضمة الباء
يذهب بالأبصار أي يخطفها من فرط الإضاءة وسرعة ورودها وفي إطلاق الأبصار مزيد تهويل لأمره وبيان لشدة تأثيره
فيها كأنه يكاد يذهب بها ولو عند الإغماض وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث إنه توليد للضد وقرئ يذهب
من الإذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد
وغيرهما مما يقع فيهما من الأمور التي من جملتها ما ذكر من إزجاء السحاب وما ترتب عليه إن في ذلك إشارة إلى ما فصل آنفا و
ما فيه من معنى البعد مع قرب المشار إليه للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم
ووحدته وكمال قدرته وإحاطة علمه بجميع الأشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي لأولي الأبصار لكل من له بصر
والله خلق كل دابة أي كل حيوان يدب على الأرض وقرئ خالق كل دابة بالإضافة من ماء هو جزء مادته أو ماء مخصوص
هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لأن من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست
صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة أو المشاكلة ومنهم من يمشي
على رجلين كالإنس والطير ومنهم من يمشي على أربع كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على أكثر من أربع كالعناكب ونحوها
من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الأصناف بكلمة من ليوافق التفصيل
الإجمال والترتيب لتقديم ما هو أعرق في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان أو مركبا على ما يشاء من
الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفاعيل مع اتحاد العنصر وإظهار الاسم الجليل في موضع
الإضمار لتفخيم شأن الخلق المذكور والإيذان بأنه من أحكام الألوهية إن الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء وإظهار
الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف التعليلي لقد أنزلنا آيات مبينات أي لكل ما يليق بيانه من الأحكام الدينية و
الأسرار التكوينية والله يهدي من يشاء أن يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وإرشاده إلى التأمل في مطاويها إلى صراط
مستقيم موصل إلى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول شروع في بيان أحوال بعض من لم يشأ الله هدايته
إلى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق
خاصم يهوديا فدعاه إلى كعب بن الأشرف واليهودي يدعوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي
الله عنه في أرض وماء فأبى أن يحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأيا ما كان فصيغة الجمع للإيذان بأن للقائل طائفة
يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وأطعنا أي أطعناهما في
الأمر والنهي ثم يتولى عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك أي من بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الإيمان بالله
وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للإيذان بكونه أمرا معتدا به واجب المراعاة وما
أولئك إشارة إلى القائلين لا إلى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الإيمان عنهم نفيه عن الأولين بخلاف
العكس فإن نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على أبلغ وجه وآكده وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم
في الكفر والفساد أي وما أولئك الذين يدعون الإيمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل
بالمؤمنين أي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام أي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالإخلاص في الإيمان والثبات عليه
وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم أي الرسول بينهم لأنه المباشر للحكم حقيقة وإن كان ذلك حكم الله تعالى حقيقة و
ذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والإيذان بجلالة محله عنده تعالى إذا فريق منهم معرضون أي فاجأ فريق منهم الإعراض
عن المحاكمة إليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بأنه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه
وإن يكن لهم الحق لا عليهم يأتوا إليه مذعنين منقادين لجزمهم بأنه عليه السلام يحكم لهم وإلى صلة ليأتوا فإن الإتيان
والمجيء يعديان بإلى أو لمذعنين على تضمين معنى الإسراع والإقبال كما في قوله تعالى فأقبلوا إليه يزفون والتقديم للاختصاص
أفي قلوبهم مرض إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم
والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فمدار الاستفهام ليس ما وليته الهمزة وأم من الأمور الثلاثة بل هو منشئيتها
كأنه قيل أذلك أي إعراضهم المذكور لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم أم لأنهم ارتابوا في أمر نبوته عليه السلام
مع ظهور حقيتها أم لأنهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ثم أضرب عن الكل وأبطلت منشئيته وحكم بأن المنشأ
شيء آخر من شنائعهم حيث قيل بل أولئك هم الظالمون أي ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الأولان فلأنه لو كان لشيء منهما
لأعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما أتوا إليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضا
وأما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله عليه السلام في الأمانة والثبات
على الحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه عليه السلام لعلمهم

بأنه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئيتهما للإعراض فقط مع
تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بما له منشأ مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى
أم ارتابوا بأن رأوا منه تهمة فزال ثقتهم ويقينهم به عليه السلام فمدار النفي حينئذ نفس الارتياب ومنشئيته معا
فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل إنما كان قول المؤمنين بالنصب على أنه
خبر كان وأن مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والأول أقوى صناعة لأن الأولى للاسمية ما هو أوغل في التعريف
وذلك هو الفعل المصدر بأن إذ لا سبيل إليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فإنه يحتمله كما إذا اختزلت عنه الإضافة لكن
قراءة الرفع أقعد بحسب المعنى وأوفى لمقتضى المقام لما أن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالأحق بالخبرية ما
هو أكثر إفادة وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع
ولا ريب في أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل فإذن هو أحق بالخبرية وأما ما تفيده الإضافة من النسبة المطلقة
الإجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع
فالمعنى إنما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم أي الرسول عليه السلام بينهم أي
وبين خصومهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا أي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر أصلا
وأما قراءة النصب فمعناها إنما كان قول المؤمنين أي قولا لهم عند الدعوة خصوصية هذا القول المحكي عنهم ففيه من جعل
أخص النسبتين وأبعدهما وقوعا وحضورا في الأذهان وأحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وإبراز ما هو بخلافها
في معرض القصد الأصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا إلى مصدره مجاوبا لقوله تعالى إذا دعوا
أي ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم أي وقع التقطع بينكم وأولئك إشارة إلى المؤمنين باعتبار صدور
القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك المنعوتون بما
ذكر من النعت الجميل هم المفلحون أي هم الفائزون بكل مطلب والناجون عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله
استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم أي ومن يطعهما كائنا
من كان فيما أمرا به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والأول هو الأنسب بالمقام و
يخش الله ويتقه بإسكان القاف المبني على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر القاف والهاء وبإسكان الهاء أي يخش الله على ما مضى
من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فأولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم
لا من عداهم وأقسموا بالله حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكدا بالأيمان الفاجرة وقوله تعالى جهد أيمانهم نصب على أنه
مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على أنه حال من فاعل أقسموا أي أقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهدا ومعنى
جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها أي جاهدين بالغين أقصى
مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لأقسموا أي أقسموا إقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف
بالله فقد اجتهد في اليمين لئن أمرتهم أي بالخروج إلى الغزو لا عن ديارهم وأموالهم كما قيل لأنه حكاية لما كانوا يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى
ليخرجن جواب لأقسموا على طريقة حكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر عليه السلام بردها حيث
قيل قل أي ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها وإظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا أي على ما ينبئ
عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي أي لا تقسموا على ما تدعون
من الطاعة لأن طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وإنما عبر عنها بمعروفة للإيذان
بأن كونها كذلك مشهور معروف لكل أحد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية
بتقدير ما يناسبها من مبتدأ أو خبر أو فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية أو طاعة معروفة
أمثل أو لتكن طاعة معروفة أو أطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام إن الله خبير بما تعملون من الأعمال الظاهرة
والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الأكاذيب المؤكدة بالأيمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق و
العزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بأن طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بأن مدار
شهرة أمرها فيما بين المؤمنين إخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بأنه تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التي منها نفاقهم
قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول كرر الأمر بالقول لإبراز كمال العناية به والإشعار باختلافهما من حيث إن المقول في
الأول نهي بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني أمر بطريق التكليف والتشريع وإطلاق
الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والإخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على أنها ليست من الطاعة
في شيء أصلا وقوله تعالى فإن تولوا خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الأمر بها والمبالغة في
إيجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك

ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه فى تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لاسيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان فى خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بواسطته عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولى عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل تحت القول مأمور بحكايته من جهته تعالى وانه ابلغ فى التبكيت تعكيس للامر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام للمأمور به اليهم وعدم التصريح به للايذان بغاية ظهور مسارعته عليه السلام الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة الى الذكر اى ان تتولوا عن الطاعة اثر ما امرتم بها فانما عليه اى فاعلموا انما عليه عليه السلام ما حمل اى امر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم اى ما امرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مؤنة باقية فى عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وان تطيعوه اى فيما امركم به من الطاعة تهتدوا الى الحق الذى هو المقصد الاصلى الموصل الى كل خير والمنجى عن كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولى لما فى تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله من ان غاية التولى و فائدة الطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا او للعهد اى ما على جنس الرسول كائنا من كان او ما على رسولنا عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقى ما حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم استئناف مقرر لما فى قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التى هى من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التى نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اى طائفة كان وفى اى وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب فى منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التى امر بها ورتب عليها ما نظم فى سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته فى استتباع الآثار والاحكام وللايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تأخيره عنهما فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه الصلاة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب فى انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليهما فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها وهنا ومن جعل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولمن معه عموما على ان من تبعيضية او له عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه بمراحل وابعد عما يليق بشأنه عليه السلام بمراحل ليستخلفنهم فى الارض جواب للقسم اما بالاضمار او بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اى ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك فى ممالكهم او خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم هم بنوا اسرائيل استخلفهم الله عز وجل فى مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التى اشير اليهم فى قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهى مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية اى ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى الذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل فى الكاف هو الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبنى للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كأنه قيل ليستخلفنهم فى الارض فيستخلفن فيها استخلافا اى مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى فانبتها الله نباتا حسنا على احد الوجهين اى فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اى فلم يبق الا مسحت الخ وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه فى سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها فى الاستمالة ادخل ليجعلن والمعنى دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه فى كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذى هو جعل الشئ مكانا لآخر يقال مكن له فى الارض اى جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له فى الارض ونظائره وكلمة فى الايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير

والتبديل

والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض فى الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف فى الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم فى قبوله عند وروده ولان فى توسيطها بينه وبين وصفه اعنى قوله تعالى الذى ارتضى لهم وتأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفى اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال من بعد خوفهم اى من الاعداء امنا حيث كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتى علينا يوم نأمن فيه فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عاداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة يعبدوننى حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف وما انتظم معه فى سلك الوعد لا يشركون بى شيئا حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين بى فى العبادة شيئا ومن كفر اى اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترغيب والترهيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام بعد ذلك اى بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعى الجميل فى حيازتها فاولئك البعداء عن الحق التائهون فى تيه الغواية والضلال هم الفاسقون الكاملون فى الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب عن التولى بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم فى الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهى عن الكفر فكأنه قيل فآمنوا واعملوا صالحا ولا تكفروا واقيموا الخ وعطفه على اطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا الرسول امرهم الله سبحانه بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول عليه السلام من طاعته التى هى طاعته تعالى فى الحقيقة تأكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية ايضا اى واطيعوه فى كل ما يأمركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلوة والزكوة على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع اى واطيعوه فى سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثانى بالاوامر الثلاثة اى افعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا لما بين حال من اطاعه عليه السلام واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه السلام ومآل امره فى الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه فى الفسق تكميلا لامر الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله تعالى فى الارض ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفى فيها لا فى غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع اجزائها اى لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم فى قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بالياء التحتية على ان الفاعل كل احد والمعنى كما ذكر اى لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه فى الارض او هو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كأنه قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم معجزين فى الارض واما جعل معجزين مفعولا اول وفى الارض مفعولا ثانيا فبمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثانى ولا فائدة فى بيان كون المعجزين فى الارض وقد مر فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة وقوله تعالى ومأواهم النار معطوف على جملة النهى بتأويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهى عن الحسبان تحقيق نفى الحسبان كأنه قيل ليس الذين كفروا معجزين فى الارض ومأواهم الخ او على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهى كأنه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض فانهم مدركون ومأواهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون مدركون ولبئس المصير جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف اى وبالله لبئس المصير هى اى النار والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله وفى ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفى فوتهم بالهرب فى الارض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل يا ايها الذين آمنوا رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهى الواردة فيها وفى الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات فى الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق التغليب روى ان غلاما لاسماء بنت ابى مرثد دخل

عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر
رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا
ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت هذه الاية ليستأذنكم
الذين ملكت ايمانكم من العبيد والجواري والذين لم يبلغوا الحلم اي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه
بالحلم لكونه اظهر دلايله منكم اي من الاحرار ثلث مرات اي ثلثة اوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان
بان مدار وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلوة الفجر لظهور انه وقت
القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف
اي احدها من قبل الخ وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة وهي
شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعني وضع الثياب في هذا الحين دون الاول والاخر لما ان التجرد
عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنه ايراد الحين مضافا الى فعل حادث منقض ووقوعها في النهار الذي
هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين
المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلوة العشاء ضرورة انه وقت التجرد عن
اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في وقت ممتد متخلل بين الصلوتين
كما في قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما لطرفي
ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلوتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى ثلث عورات خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى
لكم متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات اي كائنة لكم والجملة استيناف مسوق لبيان علة وجوب الاستيذان اي هن ثلث
اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره اطلقت على الاوقات
المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم اي على المماليك والصبيان
جناح اي اثم في الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعدهن اي بعد كل واحدة
من تلك العورات الثلث وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات
قبل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور
في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز
على القراءة الاولى كونها في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات واما على القراءة الثانية وهي مستانفة لا غير اذ لو جعلت
صفة لثلث عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستاذنكم هؤلاء في ثلث عورات لا اثم في ترك الاستيذان
بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم مما لا يعلمه السامع الا بهذا الكلام لم يتيسر ابرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع
فان انتفاء الاثم معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان
وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها
بكونها عورات بعضكم على بعض اي بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك اشارة الى
مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شان المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من
الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة واضحة
الدلالات عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين
علل الاحكام وليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص الايات بما ذكر ههنا والله عليم مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم
حكيم في جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم لما بين فيما مر انفا
حكم الاطفال في انه لا جناح في ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى
يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اي اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستأذنوا
اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استأذن الذين من قبلهم في حيز النصب على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق
والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الاية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل
ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما ان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى
ذلك الا بالتشبيه باستيذان المعهودين عند السامع ولا ريب في ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان
الامر كذلك في الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم اي فليستأذنوا استيذانا كائنا مثل استيذان المذكورين قبلهم
بان يستاذنوا في جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم
الكلام فيه كالذي سبق والتكرير للتاكيد والمبالغة في الامر بالاستيذان واضافة الايات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد

من النساء اي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او للوصف بها غير
متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة مما امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى
من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله الا انه خص بكشف المراة زينتها
ومحاسنها للرجال وان يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع
ما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذارا من استقذارهم اياهم وخوفا من تاذيهم
بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر به والاعرج يتفسح في مجلسه
فياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم
فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت ابائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل في الاية الكريمة
فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من
اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان ياكلوا مما
فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس
على الطوائف المعدودة ولا على انفسكم اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال من المؤمنين حرج ان تاكلوا اي تاكلوا
انتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا ياباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف حتما
من بيوتكم اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك
لابيك وقوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة
والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او
ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف فيها باذن اربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك
والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه او صديقكم اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم
قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقرباء روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الصديق اكبر من الوالدين
ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على
الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة عليه
ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا
كلام مستانف مسوق لبيان حكم اخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون
ان ياكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل معه فان لم يجد من يواكله
لم ياكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل
فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من
ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار
لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاؤا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا
للاعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تاكلوا واشتاتا
عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر شت اي متفرق او على انه في الاصل مصدر و
صف به مبالغة اي ليس عليكم ان تاكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم شروع في بيان الاداب التي يجب رعايتها
عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه بيوتا اي من البيوت المذكورة فسلموا على انفسكم اي على اهلها الذين بمنزلة
انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه
ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم
مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما طيبة يطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه عليه
السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك وصل صلوة الضحى
فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات تكرير لتاكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون
اي في تضاعيفها من الشرايع والاحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين
بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله
استيناف جيء به في اواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتاكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض اخر من
جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدا مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا

لما بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما في سلكه فقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع الخ معطوف
على آمنوا داخل معه في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما في جميع
الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق
كما اذا كانوا معه عليه السلام على امر مهم يجب اجتماعهم في شانه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى
اجتماع اولي الآراء والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما
لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى يستاذنوه عليه السلام في
الذهاب لا على ان نفس الاستيذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الاذن المنوط برايه عليه السلام والاقتصار على
ذكره لانه الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه
كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير اذنه عليه السلام من
الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فقضى بان
المستاذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاول بان الكاملين في الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستيذان
وفي اولئك من تفخيم شان المستاذنين ما لا يخفى فاذا استاذنوك بيان لما هو وظيفته عليه السلام في هذا الباب
اثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وان الاذن عند الاستيذان ليس بامر محتوم بل هو مفوض الى رايه عليه السلام و
الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعد ما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستاذنون فاذا استاذنوك لبعض شانهم
اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم فاذن لمن شئت منهم لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فان الاستيذان
وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على امر الآخرة ان الله غفور مبالغ في مغفرة فرطات العباد رحيم
مبالغ في افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم يا ايها الذين آمنوا لا
تجعلوا دعاء الرسول بينكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشانه اي لا تجعلوا دعوته
عليه السلام اياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا اي لا تقيسوا دعاءه عليه السلام اياكم على دعاء بعضكم
بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه السلام بغير استيذان
فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه السلام كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه
مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل وتقريب الجملة ح لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عليه السلام مما
يوجب امتثالهم باوامره عليه السلام ومتابعتهم له في الورود والصدور اكمل ايجاب واما من حيث انها موجبة
للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه السلام المؤدي الى ما يوجب هلاكهم من دعائه عليه السلام عليهم واما ما قيل من
ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه
المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله
تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم الخ وعيد لمخالفي امره عليه السلام فيما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه
له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان رب يجيء للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر
اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية لواذا اي ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى
يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه من اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون
اي ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى فليحذر
الذين يخالفون عن امره لترتيب الحذر او الامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اي
يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن اما لتضمنه معنى الاعراض او حمله على معنى يصدون
عنا من دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما ان المقصود بيان المخالف والمخالف
عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة او للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة اي محنة
في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي في الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد
والتحذير واستدل به على ان الامر للايجاب فان ترتيب العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما
يوجب وجوب الامتثال به حتما الا ان لله ما في السموات والارض من الموجودات باسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا
واعداما بدءا واعادة قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة
والاخلاص والنفاق ويوم يرجعون اليه عطف على ما انتم عليه اي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه
تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره
لما ان العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه وآكده وفيه اشعار بان علمه تعالى لنفس
رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات

وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم بما عملوا من الاعمال التي من جملتها مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء
وقد يرد وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية والله بكل شيء عليم لا يعزب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن و
مؤمنة فيما بقي وفيما مضى تم سورة النور والحمد لله

سورة الفرقان

سورة الفرقان سبع وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل
على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم
المعجز الناطق بعلو شانه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكمة والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية
وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالى
الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التي من
جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة ح يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها
شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار
بالتعجب المناسب للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى
والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق والمبطل
باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض في نفسه او في انزاله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وايراده عليه السلام
بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عليه السلام في اقصى مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا
للمرسل ردا على النصارى ليكون غاية للتنزيل اي نزله عليه ليكون هو عليه السلام او الفرقان للعالمين من الثقلين
نذيرا اي منذرا او انذارا مبالغة او ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة و
تقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول
عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد كقوله تعالى
لا ريب فيه الذي له ملك السموات والارض اي له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء
الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا
حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستانفة مقررة لما
قبلها او على انه نعت للموصول الاول او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام صلته ومعلومية مضمونه
للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره او مدح له تعالى
بالرفع او بالنصب ولم يتخذ ولدا كما يزعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون و
هو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه في سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا
يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرر ما قبله ولم يكن له شريك في الملك اي ملك السموات والارض وهو ايضا عطف على
الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين
بتعدد الآلهة والرد في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه
تتمة للاول وخلق كل شيء اي احدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية
على الحكم البالغة بان خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والاحكام
فقدره اي هياه لما اراد به من الخصائص والافعال اللائقة به تقديرا بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة
الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في امور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة
وهكذا احوال سائر الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل
عنه في نفس الامر فالمعنى اوجد كل شيء فقدره في ذلك الايجاد تقديرا واما ما قيل من انه سمي احداثه تعالى خلقا لانه تعالى
لا يحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى
التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى و
ايا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها في سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على
ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضي انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته
القاهر بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه وتعالى او شريكا في ملكه واتخذوا

من دونه آلهة بعد ما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل و
المنزل عليه على الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم اي اتخذوا
لانفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك
منه وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير آلهة لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا وهم
يخلقون كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على ان يختلقوا شيئا وهم يختلقون حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير
وقوله تعالى ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين
العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف في ضر ما ليدفعوه
عن انفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في نفسه
اول مراتب النفع واقدمها والتنصيص على قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اي لا يقدرون على التصرف في
شيء منها باماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع
للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية
جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك
وقال الذين كفروا ان هذا الا افك شروع في حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول اما
عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم وروي عن
الكلبي ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له في ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول موضع
ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب
مصروف عن وجهه افتراه يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانه عليه اي على اختلاقه قوم آخرون
يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هما جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن
التورية والانجيل وقيل هو عابس وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاؤا ظلما منصوب بجاؤا فان جاء واتى يستعملان
في معنى فعل فيعديان تعديته او بنزع الخافض اي بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاؤا بما قالوا ظلما هائلا عظيما
لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو
من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة
اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تنالها عقول
البشر ولا يفهمه القوى والقدر وزورا اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه السلام ما هو بريء منه والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر او يحصل بسببه بل على ان
الثاني هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاؤه من الظلم والزور
هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا
لامره وقالوا اساطير الاولين بعد ما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد
كيفية الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات اكتتبها اي كتبها
لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه السلام امي واصله اكتتبها له كاتب فحذف
اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل
للضمير المنفصل فاستتر فيه فهي تملى عليه اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه
من ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر على ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها اذ
استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه عليه الكلم كاسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه عليه السلام بكرة واصيلا اي
دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه الجرأة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون
قل لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق انزله الذي يعلم السر في السموات والارض وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات
الجلية والخفية للايذان بانطوا ما انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم
المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة
واساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار
على وجه بديع لا يحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة
لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك
ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى انه كان غفورا رحيما تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة اي انه تعالى

ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابه اياها
وغاية قدرته تعالى عليها وقالوا ما لهذا الرسول شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية
بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشانه عليه السلام وتسميته
عليه السلام رسولا بطريق الاستهزاء به عليه السلام كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقوله تعالى يأكل
الطعام حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي
الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب
فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا
فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكروا استبعد تحققه لانتفاء سببه لوجود سبب نقيضه كذلك
كل من الاكل والمشي امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد المسبب وانكار
السبب ونفيه في عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما
ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم
يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على
المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك اي على صورته وهيئته او يلقى اليه كنز تنزل منهم عن اقتراح ان
يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه و
يفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى او يلقى اليه كنز تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر
به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى او يكون له جنة يأكل منها تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو
ايسر منه واقرب من الوقوع وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم وقال الظالمون هم القائلون الاولون
وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما
فيه من نسبته صلى الله عليه وسلم الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا قد سحر
فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم انظر كيف
ضربوا لك الامثال استعظام للاباطيل التي اجترؤا على التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل
العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع
فضلوا اي عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلا
الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون
طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال امثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة تبارك
الذي اي تكاثر وتزايد خير الذي ان شاء جعل لك في الدنيا عاجلا شيئا خيرا لك من ذلك الذي اقترحوه من ان
يكون لك جنة تأكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا
ومحقق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار ويجعل لك قصورا عطف على محل
الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على نفسه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم كما في قول القائل
وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب
على انه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض
لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما
للحكمة التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم
السلام قد اوتوا في الدنيا مع النبوة ملكا عظيما بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة و
انتقال منه الى توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا الخ اي اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها
على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع
الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم
بسائر ما جاء به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى سببية تكذيبها لدخولها
وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا الخ على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد
اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب
من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المبني عن الوعد بالجنات في الآخرة مسوق

لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يحلى بطائل على طريقة قول من قال عوجوا النعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نوى واحجار
والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى
بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك
وقوله تعالى اذا رأتهم الخ صفة للسعير اي اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما
اي لا تتقاربان بحيث تكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز كان بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان
بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالى من مكان بعيد اشعار
بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حد البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل
لامرها قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي صوت تغيظ على تشبيه
صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة ما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن
ان يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا
منها مكانا نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل صفة له ضيقا صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع
الضيق كما ان الروح مع السعة وهو السر في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضي
الله تعالى عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده
انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون
فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء مقرنين حال من مفعول القوا اي اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين
قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطان وفي ارجلهم الاصفاد
دعوا هنالك اي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبورا اي يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا
حينك واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا اي دعوا مقولا لهم
ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه
من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب اي دعوا حال
كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا يكون عند
دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء
الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد وادعوا ثبورا كثيرا اي بحسب كثرة الدعاء
المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة
صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب
لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء
وتجدده لتعدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم
وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او
لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهي عذابهم ويريحهم
منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد
النهي والامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام المعهودة قل تقريعا لهم وتهكما
بهم وتحسيرا على ما فاتهم اذلك اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهائلة وما
فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة اي اذلك الذي ذكر من السعير
التي اعدت لمن كذب بالساعة وشأن اهلها ما ذكر خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون
اي وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق
التقوى لا بالمرتبة الثانية والثالثة منها فقط كانت تلك الجنة لهم في علم الله تعالى او في اللوح او لان ما وعده
الله تعالى فهو كالكائن لا محالة لتحققه ووقوعه جزاء على اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم ومصيرا ينقلبون اليه
لهم فيها ما يشاؤن اي ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات وانواع النعم كما في قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس
ولعل كل فريق منهم يقنع بما اتيح له من درجات النعيم ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية
فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب اهل الجنان خالدين حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ
وقيل من فاعل يشاؤن كان اي ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون على ربك وعدا مسؤلا
اي موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون او مسؤلا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا و
آتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع

للخلف

الخامس والثلاثون
١٤٢

للخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفي
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بانه عليه السلام هو الفائز باثر ذي
اثير بغايات الوعد الكريم ما لا يخفى ويوم يحشرهم نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل اذلك الخ
اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من
الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه وقف
الايذان بقصور العبارة عن بيانه اي يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة
بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين ايضا وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم
اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه انك اذا رأيت شبحا من بعيد تقول ما هو او لانه اريد به الوصف لا الذات كانه
قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على انهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها
او اريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تكلم بلسان الحال كما قيل
في شهادة الايدي والارجل فيقول اي الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون
كما عطف عليه وقرئ هنا بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء بان دعوتموهم
الى عبادتكم كما في قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ام هم ضلوا السبيل اي عن السبيل
بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي
السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لما ان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل لا نفسه
قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا مما قيل
لهم لانهم اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده
فكيف يتأتى منهم اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما صح وما استقام لنا ان نتخذ
من دونك اي متجاوزين اياك من اولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فاني يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا
غيرك فضلا ان يتخذنا وليا او ان نتخذ من دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى
يطلق على الاعلى والاسفل ومنه اولياء الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى مفعولين كما في
قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء على ان من للتبعيض اي ان نتخذ بعض اولياء وهي على الاول
مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام ولكن متعتهم واباءهم استدراك مسوق لبيان
انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعي عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة
اي ما اضللناهم ولكنك متعتهم واباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا
فيها حتى نسوا الذكر اي غفلوا عن ذكرك وعن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم
ذريعة الى الغواية وكانوا اي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال
السيئة قوما بورا هالكين على ان بور مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر
كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على
العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم
على تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك قد كذبكم المعبودون ايها الكفرة بما تقولون اي في قولكم
انهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا وبالياء اي ان تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم الصرف
والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم آلهتهم وناصروهم واياما كان فالباء بمعنى في او هي صلة
للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك الآية فما يستطيعون
اي ما تملكون صرفا اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من
قولهم انه ليتصرف في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة ولا نصرا اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم
والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم
حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة
اي ما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم والا ان ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه
ومن يظلم منكم ايها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا
في اللجاج كل حد معتاد نذقه في الآخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله سبحانه
وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق الكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط
في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك

من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل هي حالية والتقدير الا وانهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى لبعض رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول فتنة اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من الاولين ببعض مبهم من الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى اتصبرون فانه غاية للجعل المذكور ليس ان ليس ابتلاء كل احد من آحاد الناس معنيا بالصبر بل بما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما لهما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته عليه السلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد كريم للرسول عليه السلام بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض آخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم لولا انزل علينا الملائكة اي هلا انزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد عليه السلام وقيل هلا انزلوا علينا بر[illegible] الرسالة وهو الانسب لقولهم او نرى ربنا من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى اجترؤوا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان عتوا كبيرا بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد ترنو اليها احداق الامم ولا تمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولوا العزائم الماضية من الانبياء عليهم الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا والآية فيه من الدلالة على قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملائكة استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم ينزل الملائكة ايذانا من اول الامر بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس في نفي البشرى وما قيل من انه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها لتهوين الخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعران بان هناك بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن ثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت الثبور لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يدل عليه بشرى على ان لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا لقصد نفي البشرى في ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان الى

الى ان نفي البشرى لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر بمعزل من الحق بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منه فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شديد وحلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا واردة للتأكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل يقولها الملائكة انما للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافنى عليها بالافساد والتحريق ومزقها كل ممزق بحيث لم يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الخ يومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا خير مستقرا المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم كما في قوله تعالى قل اذلك خير الآية هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت احدى التاءين كما في تلظى وقرئ بادغام التاء في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل ونزل الملائكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وينزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحايف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة وننزل وننزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر واياما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان احواله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله المبالغ في الرحمة لعباده يوما على الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات من الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه عليه السلام يوما الى ضيافته فابى عليه السلام ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال اني لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فامر عليا فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن عليه السلام ابيا يوم احد في المبارزة فرجع الى مكة

تمات واما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول الخ حال من فاعل يعض وقوله تعالى ياليتني الخ محكي
به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادى محذوف اى يا هؤلاء ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اى طريقا واحدا
منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بى طرق الضلالة او حصلت فى صحبته عليه السلام طريقا ولم اكن ضالا
لا طريق لى قط يا ويلتى بقلب ياء المتكلم الفا كما فى صحارى ومدارى وقرئ على الاصل يا ويلتى اى هلكتى تعالى واحضر فهذا
اوانك ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله فى الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس وقيل فلان
كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث
والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء الا فى ضرورة كما فى قوله فى لجة امسك فلانا عن فل وقوله حدثانى
عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا فى لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان اريد
بالظالم عقبة ففلان كناية عن ابى وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الجن
والانس وهذا التمنى منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته
الى الغير وقوله تعالى لقد اضلنى عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة فى
بيان خطابه واظهار ندمه وحسرته اى والله لقد اضلنى عن ذكر الله تعالى او عن القران او عن موعظة الرسول صلى الله
عليه وسلم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءنى وتمكنت منه وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اى مبالغا فى الخذلان حيث يواليه
حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام الظالم على انه
سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذى هو اخص الاوصاف الشيطانية او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذى حمله
على مخالفة المضلين ومخالفة الرسول الهادى عليه السلام بوسوسته واغوائه فان وصفه بالخذلان يشعر بانه كان يعده
فى الدنيا ويمنيه بان ينفعه فى الاخرة وهو اوفق بحال ابليس وقال الرسول عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقاءنا
وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم فى الاخرة من الاهوال والخطوب وايراده عليه السلام بعنوان
الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكى عنهم قدحا فى رسالته عليه السلام اى قالوا كيت وكيت وقال
الرسول اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل يا رب ان قومى يعنى الذين حكى عنهم
ما حكى من الشنائع اتخذوا هذا القران الذى من جملته هذه الايات الناطقة بما يحيق بهم فى الاخرة من فنون العقاب كما ينبئ
عنه كلمة الاشارة مهجورا اى متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه راسا ولم يتاثروا بوعيده وفيه تلويح بان
من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقران كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روى عنه صلى الله عليه وسلم
من تعلم القران وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا
اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اى جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بان هجروا
فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقد جوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود و
المعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم
عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له
على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم السلام اى كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما
يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبى من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمى قومهم
فاصبر كما صبروا وقوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا وعد كريم له عليه السلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على اعدائه
اى كفاك مالك امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التى من جملتها تبليغ الكتاب اجله واجراء
احكامه فى اكناف الدنيا الى يوم القيمة ونصيرا لك على جميع من يعاديك وقال الذين كفروا حكاية لاقتراحهم الخاص
بالقران الكريم بعد حكاية اقتراحهم فى حقه عليه السلام والقائلون هم القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم
به والاشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القران التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما فى قوله تعالى يسألك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل فى نفسه اى هلا انزل كله جملة واحدة كالكتب
الثلثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها
من عند الله تعالى اعجازها واما القران الكريم فبينة صحته واية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقى على مر الدهور
المتحقق فى كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما وقع به التحدى ولا ريب فى ان ما يدور عليه فلك
الاعجاز هو المطابقة لما يقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوائد
جمة قد اشير الى بعض منها بقوله تعالى كذلك لنثبت به فؤادك فانه استيناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة
وبيان الحكمة فى التنزيل التدريجى ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر مؤكد لفعل معلل لما بعده وذلك اشارة الى
ما يفهم من كلامهم اى مثل ذلك التنزيل المفرق الذى قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوى

بذلك

بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسيرا لحفظ النظم وفهم المعانى وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعى فيها
من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلا بالنسخ من احوال
المكلفين وكذلك عامة ما ورد فى القران المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن
قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه
حالهم فى الاخرة على انهم فى هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل
فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بالكل وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف على
ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اى كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه اية بعد اية
قاله النخعى والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدى فصلناه
تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه فى اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القران ترتيلا وقيل قراناه
عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا فى عشرين او فى ثلث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا ياتونك بمثل من الامثال التى من جملتها
ما حكى من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اى لا ياتونك بكلام عجيب
هو مثل فى البطلان يريدون به القدح فى حقك وحق القران الا جئناك فى مقابلته بالحق اى بالجواب الحق الثابت
الذى ينحى عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق اسولتهم الشنيعة الدامغة
لها بالكلية وقوله تعالى واحسن تفسيرا عطف على الحق اى جئناك باحسن تفسيرا او على محل بالحق اى اتيناك الحق واحسن
تفسيرا اى بيانا وتفصيلا على معنى انه فى غاية ما يكون من الحسن فى حد ذاته لا ان ما ياتون به له حسن فى الجملة وهذا
احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اى لا ياتونك بمثل الا حال اتياننا اياك الحق الذى لا محيد عنه
وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان
جميع الاسولة وصحة جميع الاجوبة وباشارته منبئ عن بطلان السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القران على
التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه السلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون
المثل عبارة عن الصفة الغريبة التى كانوا يقترحون كونه عليه السلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب
وحيازة الكنز والجنة ونزول القران عليه جملة واحدة على معنى لا ياتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين
هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك فى حكمتنا ومشيئتنا ان نعطيكه وما هو احسن تكشيفا
لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذى انت عليه فى الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه
ان يكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل دامغا لها ولا ريب فى ان ما اتاه الله تعالى من
الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد اتاه من اول الامر لا بمقابلة ما حكى عنهم من الاقتراحات لاجل دمغها وابطالها الذين
يحشرون على وجوههم الى جهنم اى يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على
قفاهم وارجلهم الى فوق روى عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم
وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول
ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها فى الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او
الرفع على الابتداء وقوله تعالى اولئك بدل منه او بيان له وقوله شر مكانا واضل سبيلا خبره او اسم الاشارة مبتدا ثان
وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالاضلال من باب الاسناد المجازى للمبالغة والمفضل عليه الرسول
صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل
ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عليه السلام وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا
وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ولقد اتينا موسى الكتاب جملة مستانفة سيقت
لتاكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر فى قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من
الانبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اى وبالله لقد اتينا
موسى التورية اى انزلناها عليه بالاخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى اخاه مفعول اول له وقوله
تعالى هرون بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع فى سورة طه وقوله تعالى وزيرا مفعول ثان له وقد مر
تحقيق معنى الوزير اى جعلناه فى اول الامر وزيرا له فقلنا لهما اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا هم فرعون وقومه
والايات هى المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا
الوصف ضرورة تاخر تكذيب الايات عن اظهارها المتاخر عن ذهابهما المتاخر عن الامر به بل انما وصفوا بذلك عند
الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير اى فذهبا اليهم فارياهم اياتنا
كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه

فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفاً ظاهراً مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدميرهم قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التورية من الاحكام اذ به يحصل تاكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم وقرئ فدمراهم وفدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة **وقوم نوح** منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى **لما كذبوا الرسل** اي نوحاً ومن قبله من الرسل او نوحاً وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى **اغرقناهم** وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع انه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم **وجعلناهم** اي جعلنا اغراقهم او قصتهم **للناس آية** اي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالاً من آية اذ لو تاخر عنها لكان صفة لها **واعتدنا للظالمين** اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب **عذاباً اليما** هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتاد العذاب الذي قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولاً اولياً ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي **وعاداً** عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد **وثمود** الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثموداً على تاويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى **واصحاب الرس** هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيباً عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي من الانبياء فقتلوه فهلكوا وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي صلى الله عليه وسلم ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغرباً فدعا عليها حنظلة عليه السلام فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم ورسوه اي دسوه في بئر **وقروناً** اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون **بين ذلك** اي بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعداداً متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب **كثيراً** لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة **وكلا** منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم التاثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين **ضربنا له الامثال** اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل **وكلا** اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض **تبرنا تتبيراً** عجيباً هائلاً لما انهم لم يتاثروا بذلك ولم يرفعوا له راساً وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة **ولقد اتوا** جملة مستانفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام **على القرية التي امطرت** اي اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المرادة بقوله تعالى **مطر السوء** وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في انبته الله نباتاً حسناً اي امطار السوء او على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء **افلم يكونوا يرونها** توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لانكار نفي استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لا لانكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام اي الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او كانوا

ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معاً وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى **بل كانوا لا يرجون نشوراً** اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون تلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا انه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشوراً اصلاً مع تحققه حتماً وشموله للناس عموماً واطراده وقوعاً فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور **واذا راوك ان يتخذونك الا هزواً** اي ما يتخذونك الا مهزواً به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه هزواً لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزواً كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزواً وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى **اهذا الذي بعث الله رسولاً** محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي قائلين اهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وابراز بعث الله رسولاً في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفة المشار اليه مع كونهم في غاية الانكار لبعثه عليه السلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله هذا رسولاً او اهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولاً **ان كاد** ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي انه كاد **ليضلنا عن آلهتنا** اي ليصرفنا عن عبادتها صرفاً كلياً بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي **لولا ان صبرنا عليها** ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام يجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات ما شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل **وسوف يعلمون** جواب من جهته تعالى لكلامهم لما ينبئ عنه من نسبته عليه السلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان تراخى **حين يرون العذاب** الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم **من اضل سبيلاً** وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم **ارايت من اتخذ الهه هواه** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان لما هو من المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر التعجيب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زاغ عنه ان المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اي ارايت من جعل هواه الهاً لنفسه من غير ان يلاحظه ويبني عليه امر دينه معرضاً عن استماع الحجج الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى **افانت تكون عليه وكيلاً** انكار واستبعاد لكونه عليه السلام حفيظاً عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعاً او كرهاً والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كانه قيل ابعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره على الايمان شاء او ابى وقوله تعالى **ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون** اضراب وانتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه عليه السلام لهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه السلام في الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لا ينبغي ان يتوهم بل الحسبان ان اكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني بشانهم وتطمع في ايمانهم وضمير اكثرهم لمن باعتبار معناه كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظه ونفي الفعلين للاكثر لا للكل وقوله تعالى **ان هم الا كالانعام** جملة مستانفة مسوقة لتقرير النكير وتاكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة **بل هم اضل** منها **سبيلاً** لانها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتاوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو اعدى عدو لهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقاً مستتبعاً لاكتساب الخير لم تعتقد باطلاً مستتبعاً لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها احكام الشر ولان احكام جهالتها

على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد النكال الم تر الى ربك بيان لبعض دلايل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام وللايذان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته ورحمته تعالى اي الم تنظر الى بديع صنعه تعالى كيف مد الظل اي كيف انشا ظل اي مظل كان من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لانه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه يأباه سياق النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود ففيه بعد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله تعالى وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكر وان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة ولان توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته عليه السلام لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره عليه السلام غير مقصور على ما يطالعه من الاثار والصنايع بل مطمح انظاره معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشية والقدرة ومفعول المشية محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى راي العين حركة وانتقالا وحاصله انه لا يعتريه اختلاف حال بان لا ينسخه الشمس واما التعلل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمدار الغفول عما يسوقه النظم الكريم وينطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتاثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا لذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي اولى واحق بالايراد في معرض البيان وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل باحوالها المتغيرة على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتاثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التاثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالى ثم قبضناه عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيان كون القبض والمد مترتبين دايرين على قطب مصالح الخلق مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعد ما انشاناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون له تاثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى الينا للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه منه عز وجل قبضا يسيرا اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي مسلطا عليه ومتبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم قبضناه بها قبضا يسيرا اي قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها ووصفه باليسير على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو الذي جعل لكم الليل لباسا بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع احكام رحمته ونعمته الفايضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديم على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما بعده من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه اي هو الذي جعل لكم الظلام الساتر كاللباس يستركم ظلامه كما يستركم اللباس والنوم سباتا اي يجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى

الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وجعل النهار نشورا اي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ الريح على ان المراد هو الجنس بشرا تخفيف بشر جمع بشور اي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اي ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى بين يدي رحمته استعارة بديعة اي قدام المطر والالتفات الى نون العظمة في قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح اي انزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وما قيل انه ما يكون طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور في العربية اما صفة كما تقول ماء طهورا واسم كما في قوله عليه السلام التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عليه السلام لا صلوة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور اهنى وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك واولى لنحيي به اي بما انزلنا من الماء الطهور بلدة ميتا بانبات النبات والتذكير لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد فالمراد به القطعة من الارض عامرة كانت او غامرة ونسقيه اي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض والمنافع والابار مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي اهل البوادي الذين يعيشون بالحياء ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقي السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الايات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي بالتخفيف على حذف ياء افاعيل كاناعم في اناعيم ولقد صرفناه اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين الناس من المتقدمين والمتاخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيامه وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيرها وفي بعض الاوقات دون بعض او جعله تارة وابلا واخرى طلا وحينا ديمة وتارة رهمة والاول هو الاظهر فابى اكثر الناس من سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على ساير الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما انه عليه السلام كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك بتاليف قلوبهم اشد الاجتهاد وجاهدهم به اي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع الزواجر والمواعظ وتذكير احوال الامم المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا لترك طاعتهم كانه قيل وجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملايمة والمداراة كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه عليه السلام نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكثر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه السلام وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فايدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح

فلعله تخفيف مالح كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا
وتنافرا مفرطا كأن كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري
في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون
اثر القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي
خلق من الماء بشرا هو الماء الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول
الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات
صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة حيث
قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من
نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله الذي شأنه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شأنه النفع
والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه
الذي ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا
مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل لهم ما اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي
ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى
عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثنى
منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه
عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت بالاستكفاء
عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا
ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر
على سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم
جزاء وافيا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر
انه صفة اخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه
بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من انشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق
والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات
جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح
اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى
وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه
في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزم حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع
روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في
تفسير قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن
في استوى فاسأل به اي بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى للسؤال
حاجة ولا في تعديته بالباء فانه مبني على تضمينه معنى الاعتناء لكون المسؤول امرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل
للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا
على ان الخطاب له عليه السلام والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسأل
معتنيا به خبيرا عظيم الشأن محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل
به من وجد في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه
على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن
مبتدأ وما بعده خبرا وقرئ فسل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قالوه لما انهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم
ظنوا ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بسجوده او لامرك ايانا من غير ان نعرف
ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر
بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا هي البروج الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية
لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا هي الشمس لقوله تعالى
وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي

جمع قمراء ولما ان الليالي للقمر تكون قمرا اضيف اليها ثم حذف واجرى حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي
الله عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تعالى
واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس لمن اراد ان يذكر اي يتذكر آلاء الله عز وجل
ويتفكر في بدائع صنعه فيعلم انه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد او اراد شكورا اي ان يشكر الله تعالى على ما
فيهما من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن
كلام مستأنف مسوق لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته
والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في آخر السورة الكريمة
من الجملة المصدرة باسم الاشارة وقرئ عباد الرحمن اي عباده المقبولون الذين يمشون على الارض هونا اي بسكينة وتواضع
وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اي يمشون هينين ليني الجانب
من غير فظاظة او مشيا هينا وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون اي السفهاء كما في قول من قال الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم اي اذا خاطبهم
بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم
وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن ابي العالية وقوله تعالى والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم اي يكونون ساجدين لربهم وقائمين اي يحيون الليل كلا او
بعضا بالصلوة وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب
والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل والذين يقولون اي في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان
انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم
غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون انها ساءت مستقرا ومقاما
تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا اولى وليس
بذاك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما
هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها وقيل ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها
ضمير اسم ان ومستقرا حالا او تمييز وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين
من جهته تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل
الاسراف والانفاق في المعاصي والقتر منع الواجبات والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرها مخففة ومشددة
مع ضم الياء وكان بين ذلك اي بين ما ذكر من الاسراف والقتر قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما
سمي به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة
او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى
القوام فيكون كالاخبار عن الشيء بنفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان
اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم
لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه والتعريض بما كان عليه الكفرة
من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في التحريم الا بالحق اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بالحق المزيل
لحرمتها وعصمتها او لا يقتلون قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق
ولا يزنون اي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه
مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا ومن يفعل ذلك اي ما
ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين يلق في الآخرة وقرئ يلقى وقرئ يلقّ بالتشديد مجزوما اثاما وهو جزاء الاثم
كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرئ اياما اي شدائد
يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرئ بالرفع على الاستئناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف
له العذاب بالنون ونصب العذاب ويخلد فيه في ذلك العذاب المضاعف مهانا ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني
والروحاني وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب

ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة فاولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلاثة باعتبار لفظه اي اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين و بالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات فانه يتوب الى الله اي يرجع اليه تعالى متابا اي متابا عظيم الشان مرضيا عنده ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع الى الله تعالى او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه واذا مروا على طريق الاتفاق باللغو اي ما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم المنطوية على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها صما وعميانا اي اكبوا عليها سامعين باذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا لما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده اهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين ولا ريب في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى قلتها نظرا الى غيرها واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم نخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان مدار كل ذلك صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وابقي اماما على حاله وقيل الامام جمع آم بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شان خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم اولئك اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم في الآخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها من جهة الملائكة تحية وسلاما اي يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة عن الآفات او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما اي الكلام فيه كالذي مر في مقابله قل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة الخ

ينافس

يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اي قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم اي اي عبء يعبأ بكم واي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اي وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة ويجوز ان يكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتكم به وخالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عملا وكيلا المذكور وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدته الايذان بان مناط فوز احدهما وخسران الآخر مع الاتحاد الجنسي المصحح للاشتراك في الفوز ليس الا اختلافهما في الاعمال فسوف يكون لزاما اي يكون جزاء التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره والتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله تعالى هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة آتية وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعراء

طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وتلك في قوله تلك آيات الكتاب المبين اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هنالك وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل والحق والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة لعلك باخع نفسك اي قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين اي لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى ان نشأ الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله تعالى ننزل عليهم من السماء آية اي ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فظلت اعناقهم لها خاضعين اي منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم في الصيغة ايضا كما في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس اي فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر واياما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى المحضة لمنفعتهم اشنع واقبح اي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة من القرآن الكريم تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال ومحله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور اي ما يأتيهم

من نكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اي كذبوا بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء
به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء في قوله تعالى فسيأتيهم
لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسيأتيهم البتة من غير تخلف اصلا انباء ما كانوا
به يستهزؤن عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما
اشير اليه حسبما وقع في قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن وانباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما
لكونها مما انبأ بها القرآن الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية
عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما
كانوا يستهزؤن به قبل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها اولم يروا الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي أفعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى الارض
اي الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال عما اعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى كم انبتنا فيها من كل زوج
كريم استئناف مبين لما في الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها
على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اي صنف مميز والكريم من كل شيء مرضيه
ومحموده اي كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه
بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم
للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم
لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون ان في ذلك
اشارة الى مصدر انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في
الفضل لآية اي آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان
وازعة عن الكفر وما كان اكثرهم اي اكثر قومه عليه السلام مؤمنين قيل اي في علم الله تعالى وقضائه حيث علم
ازلا انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذي عليه يدور امر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات
العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما اكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة
والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها
كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما اشير اليه من التحقيق مما خفي على مهرة العلماء المتقنين كأنه قيل
ان في ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي
والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي
من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم
الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية
بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى واذ نادى ربك موسى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم
من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ منصوب على المفعولية
بمضمر خوطب به النبي عليه السلام اي واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عليه السلام وذكرهم
بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق
باضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا بقياس حالهم على احوال اولئك
فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله
تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير
ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا ان ائت بمعنى اي ائت على ان ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف
عنها الجار القوم الظالمين اي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في
حيز النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ما جرى
في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف عند قوله تعالى
قال انظرني قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له جيء به للايذان بانهم علم في الظلم كأن معنى القوم الظالمين
وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة ان نفسه اول داخل في الحكم الا يتقون استئناف
جيء به اثر ارساله عليه السلام اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب
على طريقة الالتفات المبني على زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ

غيبا

غيبا لكنهم تدارجوا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه يبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من
مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم وقد يجوز ان يكون بمعنى الا يا ناس
اتقون نحو الا يا اسجدوا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل
قال متضرعا الى الله عز وجل رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوف على اخاف
فارسل الى هرون اي جبريل عليه السلام ليكون معي وليعاضدني به في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاء ذلك
على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض الروح
الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعتراه
حبسة حتى لا يختل دعوته ولا ينقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الامر في شيء وانما هو استدعاء لما يعينه
على الامتثال وتمهيد عذره فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه
ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او سمي باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته
ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع فاخاف اي اذا اتيتهم وحدي
ان يقتلون بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة وقوله
قال كلا فاذهبا بآياتنا حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه
الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت
ومن استدعيته وفي تعلق قوله تعالى بآياتنا رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف و
مزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى وحيث كان الموعود بحضرة من فرعون
اعتبر هنا في المعية وقيل اجرياهما مجرى الجماعة وباباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية اي سامعون ما يجري بينكما
وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم
على عدائهم مبالغة في الوعد بالاعانة او استعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف
والاصوات وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد
التوجيه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله
تعالى ان ارسل معنا بني اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشأنهم
ليذهبوا معهما الى الشام قال اي فرعون لموسى عليه السلام بعدما اتياه وقالا له ما امرا به يروى انهما انطلقا الى باب
فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك
فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك الم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليدا اي طفلا عبر عنه به
لقرب عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين واقام به عشر سنين ثم عاد
اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم
على اثر ذلك والله اعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعد ما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال
وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل وانت من
الكافرين اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي او انت حينئذ ممن تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه السلام او جهل امره
عليه السلام حيث كان يعاشرهم بالتقية والا فاين هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين فالجملة حال من احدى
التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او ممن يكفرون في دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونهم
او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال مجيبا له في القتل و
مكذبا فيما نسبه اليه من الكفر فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت
افتراء اي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تأديبه او الذاهبين عما يؤدي اليه
الوكز او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ففررت منكم الى مدين لما خفتكم ان تصيبوني
بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي من العقاب فوهب لي ربي حكما اي حكمة او نبوة وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك
ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدد عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على ان
ذلك كان في الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في
الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه
مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
او بدل من نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيان لها

والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وتوحيد الخطاب فى تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون لما سمع منه عليه السلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه فى امره وعدم تأثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع فى الاعتراض على دعواه عليه السلام فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع فى عبارته عليه السلام اى اى شئ رب العالمين الذى ادعيت انك رسوله منكرا لان يكون رب سواه حسبما يعرب عنه قوله تعالى انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيرى وينطق به وعيده عند تمام اجوبته عليه السلام و قال موسى عليه السلام مجيبا له رب السموات والارض وما بينهما بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقريب وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين اى ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم ذلك او ان كنتم موقنين بشئ من الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله قال اى فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تأثيره فى قلوب قومه واذعانهم له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا خمسماية عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون مرائيا لهم انه ما سمع من جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق بان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعى خلاف امر محقق لا اشتباه فيه يريد ربوبية نفسه قال عليه السلام تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابيه السابقين ربكم ورب آبائكم الاولين وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية قال اى فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه فاراهم ان ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفى التأكيد ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء واضافه الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما مكملا لجوابه الاول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا لربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركة السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والارض التى ربما توهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناءها عن المحدث المتصرف ان كنتم تعقلون اى ان كنتم تعقلون شيئا من الاشياء او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل فى الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون قال لما سمع اللعين منه عليه السلام تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجارى فى حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف ونادى بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمر عند السؤال والجواب لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين لم يقتنع منه عليه السلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه السلام ان يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الالوهية وهذا صريح فى ان تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه السلام الى الجنون فى الجواب الثانى كان لنسبته عليه السلام الربوبية الى غيره واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجيبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله واللام فى المسجونين للعهد اى لاجعلنك ممن عرفت احوالهم فى سجونى حيث كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو جئتك بشئ مبين اى اتفعل ذلك ولو جئتك بشئ مبين اى موضح لصدق دعواى يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشئ للتهويل قالوا الواو فى اولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اى جائيا بشئ مبين وقد سلف منا مرارا انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء الشئ فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ له جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر

لبيان

لما ذكر

لما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة فتعلق الحكم بابعدها منه ليظهر بتحققه معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التى لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد يعطى لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اى يعطى حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال فى الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحال وتصدير المجئ بما ذكر من كلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده فى نفسه بل بالنسبة الى فرعون و المعنى اتفعل بى ذلك حال عدم مجيئى بشئ مبين وحال مجيئى به قال فأت به ان كنت من الصادقين اى فيما يدل عليه كلامك من انك تأتى بشئ مبين موضح لصدق دعواك او فى دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين اى ظاهر ثعبانيته لا انه شئ يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اى فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال فى سورة الاعراف وسورة طه ونزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين قيل لما راى فرعون الاية الاولى قال هل لك غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله اى مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق فى فن السحر يريد ان يخرجكم قسرا من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده فى زعمه والامتثال بامرهم او الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعدما كان مستقلا فى الرأى والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث فى المدائن حاشرين اى شرطا يحشرون السحرة يأتوك اى الحاشرون بكل سحار عليم فائق فى فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون قيل لهم ذلك استبطاء لهم فى الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اى نتبعهم فى دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد فى المغالبة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا اى اجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين لا موسى عليه السلام قال نعم لكم ذلك وانكم مع ذلك اذا لمن المقربين عندى قيل قال لهم تكونون اول من يدخل على وآخر من يخرج عنى وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسى اى بعد ما قال له السحرة اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى القوا ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اى وقد قالوا عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون قالوا ذلك لفرط اعتقادهم فى انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف اى تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التاءين من تتلقف ما يأفكون اى ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقى السحرة ساجدين اى اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كان ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهى قد ظهر على يده عليه السلام لتصديقه وفيه دليل على ان قصارى ما ينتهى اليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شئ لا حقيقة له قالوا آمنا برب العالمين بدل اشتمال من القوا او حال باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهرون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من المعجزة القاهرة قال اى فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اى بغير ان آذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى الا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذى علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شئ فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا على بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اى وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان لما اوعدوا به قالوا اى السحرة لا ضير لا ضرر فيه علينا وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اى لا ضير فى ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما توعدنا به من القتل لانه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اى لان كنا اول المؤمنين اى من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفى الضير اى لا ضير علينا فى ذلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره كقول العامل لمستأجر اخر اجرته ان كنت عملت لك فوفنى حقى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل

في سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الايات وقرئ بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان
سر من السير انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اى يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بمن معك حتى لا يدركوكم
قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بمسيرهم في المدائن حاشرين
جامعين للعساكر ليتبعوهم ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون الفا
بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع
عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف
الف حصان سوى الاناث وانهم لنا لغائظون اى فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم لقلتهم لا يبالي بهم
ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال
الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا
يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثاني على الثبات وقيل الحاذر المودي في
السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اى اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حذارة في اجسامهم
فاخرجناهم بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كانت
لهم جملة ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي لاخرجنا اى مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم
اى من مقام كريم كائن كذلك او خبر لمبتدأ محذوف اى الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اى ملكناها اياهم على طريقة
تمليك مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اى
فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس اى طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث
راى كل واحد منهما الاخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التاكيد
للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشيء اذا تتابع ففنى اى لمتتابعون
في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي بالنصرة والهداية سيهدين
البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روى ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر
امامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان وروى ان مؤمنا
من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال
عليه السلام امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
القلزم او النيل فانفلق الفاء فصيحة اى فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان
كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها وازلفنا اى قربنا
ثم الاخرين اى فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك
الهيئة الى ان عبروا الى البر ثم اغرقنا الاخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اى في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام
وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال
وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل امر المشار اليه وتفظيعه كتنكير الاية في قوله تعالى لاية اى اية اية واية
عظيمة لا تكاد توصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شان النبي صلى الله عليه وسلم بشان موسى عليه
السلام وحال انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول
ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان فيما فصل من القصة من حيث حكايته
عليه السلام اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لاية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق
موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه السلام وما كان اكثرهم اى اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه
السلام مؤمنين لا بان يقيسوا شانه بشان موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بان
يتدبروا في حكايته عليه السلام لقصتهم من غير ان يسمعها من احد مع كون كل منهما لطريقتين مما يؤدي الى الايمان قطعا
ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين وما اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو راي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الايات الناطقة بالقصة
تقريرا لما مر من قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه وجوز ان يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك في قوله تعالى وكان
من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الاية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون
الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الاية وان ربك لهو العزيز
الغالب على كل ما يريد من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل

عقوبتهم

عقوبتهم بعد ايمانهم بعد مشاهدة هذه الاية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي تقتضيه جزالة
النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى اخر القصص السبع بل الى اخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل
من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا
آسية وحزقيل ومريم ابنة باموشا التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدونها
واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة
في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه السلام انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم
السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بايديهم من الايات العظام ما يوجب عليهم الايمان
ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم
بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم وعلى المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم
منها اخرا مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من الجنايات اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله واتل
عليهم عطف على المضمر المقدر عاملا لاذ نادى الخ اى واتل على المشركين نبا ابراهيم اى خبره العظيم الشان حسبما اوحي
اليك ليقفوا على ما ذكر من عدم ايمانهم بما ياتيهم من الايات باحد الطريقين اذ قال منصوب اما على الظرفية لنبا اي
نباه وقت قوله لابيه وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبا اى واتل عليهم وقت قوله لهم ما تعبدون على ان المتلو
ما قاله لهم في ذلك الوقت سالهم عليه السلام عن ذلك ليبني على جوابهم ان ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية
قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون
قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم
قصدا الى ابراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون
الليل وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او مستديرين حولها
وهذا ايضا من جملة اطنابهم قال استئناف مبني على سؤال نشا من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم اى هل يسمعون دعاءكم
على حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون
عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع اى هل يسمعونكم شيئا من الاشياء او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة
المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها كانه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها
فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب عبادتكم لها او يضرون اى يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد
للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع او دفع ضر قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار ان لا سند لهم سوى التقليد اى ما علمنا
او ما راينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اى مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال افرايتم
ما كنتم تعبدون اى انظرتم فابصرتم او تاملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه انتم واباؤكم الاقدمون حق الابصار او حق العلم
وقوله تعالى فانهم عدو لي بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اى فاعلموا انهم اعداء لعابديهم
الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان من يغريهم على
عبادتها ويحملهم عليها هو الشيطان الذي هو اعدى عدو الانسان لكنه عليه السلام صور الامر في نفسه تعريضا بهم فانه
انفع في النصيحة من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدا بها نفسه لتكون ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى
الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر الموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين
استثناء منقطع اى لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو ولي في الدنيا والاخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه
ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من ابائهم من عبد الله تعالى
وقوله تعالى الذي خلق صفة لرب العالمين وجعله مبتدا وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك
وبما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها
ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة و
الآجلة عليه تعالى فهو يهدين اى هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور الدين والدنيا هداية متصلة
بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له
من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدا ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما
طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة و
التنعم بنعيمها المقيم والذي هو يطعمني ويسقين عطف على الصفة الاولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف
ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى

مستقل في ايجاب الحكم حقيق بان تجري عليه تعالى بحيالها ولا تجعل من روادف غيرها **واذا مرضت فهو يشفين** عطف على يطعمني
ويسقين نظم معهما في سلك الصلة لما ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض
الى نفسه والشفاء الى الله تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان اعيبها وقال
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الامامة فحيث كانت من معظم خصايصه تعالى كالاحياء بدءا واعادة وقد نيطت
امور الاخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى والذي يميتني ثم يحيين على ان الموت
لكونه ذريعة الى نيله عليه السلام للحيوة الابدية بمعزل من ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام **والذي اطمع ان يغفر**
لي خطيئتي يوم الدين ذكره عليه السلام هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب
مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عليه السلام من الصغاير وتنبيها لابيه وقومه على ان يتاملوا في امرهم
فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه السلام مع كونه في طاعة الله وعبادته في الغاية
القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة
على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا
المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة
فظاهر لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين
ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا
لان اثرها يومئذ يتبين ولان في ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر **رب هب لي حكما** بعدما
ذكر عليه السلام فنون الالطاف الفايضة عليه من الله عز وجل من مبدا خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته
تعالى ودعايه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق و
رياسة الخلق **والحقني بالصالحين** ووفقني من العلوم والاعمال والملكات لما يرشح للانتظام في زمرة الكاملين
الراسخين في الصلاح المنزهين عن كباير الذنوب وصغايرها او اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه تعالى حيث
قال وانه في الاخرة لمن الصالحين **واجعل لي لسان صدق في الاخرين** اي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين
ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له ومثنية عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت
ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم عليه السلام
واجعلني في الاخرة **من ورثة جنة النعيم** وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم **واغفر لابي** بالهداية والتوفيق للايمان
كما يلوح به تعليله بقوله تعالى انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة
مريم بما لا مزيد عليه **ولا تخزني** بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة و
جواز التعذيب عقلا وكل ذلك مبني على هضم النفس منه عليه السلام او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين
بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء **يوم يبعثون** اي الناس كافة والاضمار
قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم **يوم لا ينفع مال**
ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به تاكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا
ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستاهلين للشفاعة احدا
الا من اتى الله بقلب سليم اي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تاييد لكون استغفاره
عليه السلام لابيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه
من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او بنو من اتى الله الاية وقيل
المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع اي الا
حال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة القلب كانه قيل الا سلامة قلب من اتى الله الاية وقيل المضاف
المحذوف ما دل عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الاية
لان غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه **وازلفت الجنة للمتقين**
عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق
الوقوع وتقرره كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه
مقام التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون
على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها **وبرزت الجحيم للغاوين** الضالين عن طريق الحق
الذي هو الايمان والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهايلة ويوقنون بانهم
مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا **وقيل لهم اينما كنتم** في الدنيا **تعبدون من دون الله** اي اين الهتكم الذين كنتم

تزعمون

تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا الموقف **هل ينصرونكم** بدفع العذاب عنكم **او ينتصرون** بدفعه عن
انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل **فكبكبوا فيها** اي القوا في الجحيم على وجوههم
مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها **هم** اي الهتهم **والغاوون** الذين كانوا يعبدونهم وفي تاخير ذكرهم عن
ذكر الهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم **وجنود**
ابليس اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام و
ساير فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين
والاول هو الوجه **اجمعون** تاكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى **قالوا** الخ استيناف وقع جوابا عن سؤال
نشا من حكاية حالهم كانه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قال العبدة **وهم فيها يختصمون** اي قالوا
معترفين بخطاياهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام
مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة
على الفهم والنطق **تالله ان كنا لفي ضلال مبين** ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشان واللام
فارقة بينها وبين النافية اي ان الشان كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار
ندمهم وتحسرهم وبيان عظم خطاهم في رايهم مع وضوح الحق كما ينبي عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة
بالتعجب وقوله تعالى **اذ نسويكم برب العالمين** ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال
المذكور وان كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام
في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وقولهم **وما اضلنا الا المجرمون** بيان
لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى
قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا في تحققه او يكون بسبب اضلال الغير كانه قيل وما صدر
عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي رحمه الله الاولون الذين اقتدوا بهم وايا ما كان ففيه
اوفر نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه
اول من سن القتل وانواع المعاصي **فما لنا من شافعين** كما للمؤمنين من الانبياء والملائكة عليهم الصلوة والسلام
ولا صديق حميم كما يرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على
ان عدمهما كناية عن عدم نفعهما كما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبي
عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق
على ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة
اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى **فلو ان لنا كرة** للتمني لما
ان بين معنييهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وقيل هي على
اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه قوله تعالى
فنكون من المؤمنين لتحتم كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم
وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو على اصلها انما يفيد تحقق مضمون
الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان اصلا مع انه المقصود حتما
ان في ذلك اي فيما ذكر من نبا ابراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام
وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيمة من اعترافهم بخطاياهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان
وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم
وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب **لاية** اي اية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة
الاصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل الاجتناب
ما كانوا عليه من عبادتها خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه او ان
في ذكر نبايه وتلاوته عليهم ما هو عليه من غير ان يسمعه من احد لاية عظيمة دالة على ان ما يتلوه عليهم وحي
صادق نازل من جهة الله موجبة للايمان به قطعا **وما كان اكثرهم مؤمنين** اي اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم
النبا مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عليه السلام
كما توهموا فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا

ترغيل

على تلك العظيمة التي فعلوا به عليه السلام فكيف يعتبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام
وقد مر بقية الكلام في آخر قصة موسى عليه السلام وان ربك لهو العزيز الرحيم اي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك
ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك
يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول الشرائع التي لا
تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما
له الا دابة وبردة واذ في قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين
الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه السلام الى انتهائها اخوهم اي نسيبهم
نوح الا تتقون الله حيث تعبدون غيره اني لكم رسول من جهته تعالى امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله
واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسالكم عليه اي على ما انا متصد له من الدعاء والنصح من اجر
اصلا ان اجري فيما اتولاه الا على رب العالمين والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها على ما قبلها
من تنزهه عليه السلام من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتاكيد والتنبيه
على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء قالوا انؤمن لك
واتبعك الارذلون اي الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر
وقيل جمع ارذل جمع رذل كالكالب والاكلب وكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل
وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي
كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من هو
اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وان النعيم هو نعيم الآخرة والاشرف
من فاز به والارذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب عما اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر
وبصيرة اي ما وظيفتي الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم ان
حسابهم اي ما محاسبتهم على اعمالهم والتنقير عن كيفياتها البارزة والكامنة الا على ربي فانه المطلع على السرائر والضمائر
لو تشعرون اي بشيء من الاشياء او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون
وما انا بطارد المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا
عنه وقوله تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر
والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم
بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن
من المرجومين من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه في اواخر الامر ومعنى قوله تعالى
قال رب ان قومي كذبون تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم
دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا اي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه
حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي من المؤمنين اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم فانجيناه
ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون اي المملوء بهم وبما لا بد لهم منه ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين
اي من قومه ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل
اكثرهم على اكثر قوم نوح ابعد من السداد وابعد كذبت عاد المرسلين انث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم
ابيهم الاقصى اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون الكلام فيه وفي ان المراد تكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ما ذا كان
مر في صدر قصة نوح عليه السلام اي الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون اني لكم رسول امين فاتقوا الله و
اطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر وتصدير القصص
به للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب
وان الانبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة و
الاعصار وانهم متنزهون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع اي مكان مرتفع و
ريع الارض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون
اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها وتتخذون مصانع
اي مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون اي راجين ان تخلدوا في الدنيا اي عاملين عمل من
يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة
ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم

واتقوا الله الذي امدكم بما تعلمون من انواع النعماء واصناف الآلاء اولا ثم فصلها بقوله تعالى امدكم بانعام وبنين باعادة الفعل
لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اني اخاف عليكم ان
لم تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما ان شكرها مستلزم
لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لن
نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كانهم قالوا ام لم تكن من اهل
الوعظ ومباشريه اصلا ان هذا ما هذا الذي جئتنا به الا خلق الاولين اي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه او ما
هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الموت و
الحياة الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اي اختلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين
او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من
الاعمال فكذبوه اي اصروا على ذلك فاهلكناهم بسببه بريح صرصر ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون الله تعالى اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا آمنين انكار ونفي لان يتركوا
فيما هم فيه من النعمة او تذكير للنعمة في تخليته تعالى اياهم واسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع و
نخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من الابهام والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو
ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار
الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط
فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي
هي انقياد الآمر لامتثال الامر وارتسامه او نسب حكم الآمر الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح
لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص افسادهم عن مخالطة الاصلاح قالوا انما انت من
المسحرين اي الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر اي الرئة اي من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا
تاكيدا له فات بآية ان كنت من الصادقين اي في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه
عليه السلام حسبما مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود لها شرب اي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ
من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء
كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها
اسند العقر الى كلهم لما ان عاقرها عقرها برأيهم ولذلك عمهم العذاب فاصبحوا نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة
او عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في
ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء الى
انه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وانت خبير بان
قريشا هم المشهورون بعدم ايمان اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين اي اتاتون من بين من
العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء مع كونهن اليق بالاستمتاع
فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم وكلمة
من في قوله تعالى من ازواجكم للبيان ان اريد بها جنس الاناث وهو الظاهر او للتبعيض ان اريد بها العضو المباح
منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعدون متجاوزون الحد في جميع
المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته
يا لوط اي عن تقبيح امرنا او نهينا عنه او عن دعوى النبوة التي من جملة احكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين
اي من المنفيين من قريتنا وكانهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين اي من
المبغضين غاية البغض كانه يقلي الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال اني لعملكم قال لدلالته على انه عليه السلام
من زمرة الراسخين في بغضه المشهورين في قلاه ولعله عليه السلام اراد اظهار الكراهة من مساكنتهم والرغبة في
الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تعالى قائلا رب نجني واهلي مما يعملون
اي من شؤم عملهم وغائلته فنجيناه واهله اجمعين اي اهل بيته ومن اتبعه في الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة
حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امرأة لوط استثنيت من اهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة في الاهلية
بحق الزواج في الغابرين اي مقدرا كونها من الباقين في العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد

اصابها الحجر في الطريق فاهلكها كما في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقي في القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا اي مطرا غير معهود قيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اي اتموه ولا تكونوا من المخسرين اي حقوق الناس بالتطفيف وزنوا اي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين اي وذوي الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين اي فيما تدعيه من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء اي قطعا وقرئ بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة والكسفة كالريع والربعة وهي القطعة والمراد بالسماء اما السحاب او المظلة ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد ان كنت من الصادقين في دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربي اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فينزله عليكم في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه اي فتموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا اما ان ارادوا بالسماء السحاب فظاهر واما ان ارادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفي اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بان لهم يوما عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذهم بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روي ان شعيبا عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اي في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع التي اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه السلام عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية فان كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بان يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بانه عليه السلام لم يسمع شيئا منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كان لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق في خاتمة قصة موسى عليه السلام وانه اي ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية او القرآن الذي هي من جملته لتنزيل رب العالمين اي منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به اي انزله الروح الامين اي جبريل عليه السلام فانه امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام وقرئ بتشديد الزاي ونصب الروح والامين اي جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك اي روحك وان اريد به العضو فتخصيصه به لان المعاني الروحانية تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة لتكون من المنذرين متعلق بنزل به اي انزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام في سلك اولئك المنذرين المشهورين في حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربي مبين واضح

المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل به وتاخيره للاعتناء بامر الانذار وللايماء الى ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عليه عليه السلام لا انزاله باللسان العربي وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي الى ان غاية الانزال كونه عليه السلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في باب الانذار ما انذره نوح وموسى عليهما السلام واشد الزواجر تاثيرا في قلوب المشركين ما انذره ابراهيم عليه السلام لانتمائهم اليه وادعائهم انهم على ملته عليه السلام وانه لفي زبر الاولين اي وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة فان احكامه التي لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح اولم يكن لهم آية الهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه في زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به او بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبره لكون قدم على اسمه الذي هو قوله تعالى ان يعلمه علماء بني اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي ان يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تانيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الاعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفي لفظ البعض اشارة الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقرأه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادات ما كانوا به مؤمنين مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه اي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اي ادخلنا القرآن في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للبشارة بانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه فقوله تعالى لا يؤمنون به جملة مستأنفة مسوقة لبيان انهم لا يتأثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل يستمرون على ما هم عليه حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان فيأتيهم بغتة اي فجأة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولون هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي ما فرطوا وقيل معنى كذلك سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتآخذ مبادي الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد رحمهم الله ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين افبعذابنا يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقولهم فأتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار فالفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على احد او ايغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل افرأيت لما كانت الرؤية من اقوى اسباب الاخبار بالشيء واشهرها شاع استعمال ارأيت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة رتبة في المعنى على الهمزة وتاخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأي الجمهور اي فاخبرني ان متعناهم سنين متطاولة بطول الاعمار وطيب المعايش ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم اي شيء او اي اغناء اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اي كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على انها موصولة حذف عائدها والاول هو الاولى لان الاستفهام للانكار والنفي وقيل ما نافية اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من شأنه الخطاب قد كلف ان يخبر بان تمتيعهم ماذا افادهم واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر احد على ان يخبر بشيء من ذلك اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون قد انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار كانه قيل مذكرون ذكرى او على انه مصدر مؤكد لفعل هو صفة

منذرون اى الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى او المرفوع على انها صفة منذرون باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضميرها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على معنى ان لكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد او اكثر وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من انه من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ اى وما يصح وما يستقيم لهم ذلك وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ذلك اصلا إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لكلام الملائكة لَمَعْزُولُونَ لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون الشرور فمن اين لهم ان يحوموا حول القرآن الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم السلام فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عنه عليه السلام تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه وَأَنْذِرْ العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اى لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او لغيره او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فحسب فَإِنْ عَصَوْكَ ولم يتبعوك فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ اى مما تعملونه او من اعمالكم وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ اى الى التهجد وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا امهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه السلام التي بها يستأهل ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ بما تقوله الْعَلِيمُ بما تنويه وتعمله هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ اى تتنزل بحذف احدى التاءين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما انها ليست موضوعة للاستفهام بل الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل وقوله تعالى تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة وتخصيص لهم بهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة عن ان يحوم حولها شائبة شيء من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه السلام يُلْقُونَ اى الافاكون السَّمْعَ الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ اى فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون السمع اى المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون وماله واكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اى يلقون السمع اى المسموع من الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جنح اليه الجمهور

لما ان يلقون كما صرحوا به اما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزل للالقاء او استئناف مبين للغرض من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في ان القاء السمع الى الملأ الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل او يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملأ الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل واما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استئناف اخبار بحالهم على كلا التقديرين لما ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على التقدير الاول استئناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون اى يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس والحال انهم في اكثر اقوالهم كاذبون فتدبر وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ استئناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القرآن العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحواله عليه السلام والمعنى ان الشعراء يتبعهم اى يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الافعال والاقوال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اى الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه الصلف والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والتشبيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاخرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه عليه السلام من ان يكون من الشعراء ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه عليه السلام منهم بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ تهديد شديد ووعيد اكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد قال ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلوة والسلام

سورة النمل

سورة النمل ثلث وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدإ محذوف اي هذا طس اي مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكرنا ثمة تلك اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى آياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما سيأتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره آيات القرآن والجملة مستأنفة مقررة لما افادته التسمية من نباهة شان المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشان اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص وكتاب اي كتاب عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان ولقد فخم شانه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكانه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين في حيز النصب على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كانهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما بدلان من الآيات او خبران آخران لتلك او لمبتدإ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينتا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وقوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب او هو من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم اوحديون فيه ان الذين لا يؤمنون بالآخرة بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن زينا لهم اعمالهم القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم فهم يعمهون يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضر او في الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور اولئك اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم سوء العذاب اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اي اشد الناس خسرانا لفوت الثواب واستحقاق العقاب وانك لتلقى القرآن كلام مستأنف قد سيق بعد بيان بعض شؤون القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشان القرآن وتنصيص على علو طبقته عليه السلم في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار بان ما في القرآن من

العلوم

العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر بتلاوة بعض من القرآن الذي يلقاه عليه السلم من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نار اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتأكيد الوعد ولا يخفى ان الصحيح انه لم يكن معه عليه السلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل والتعظيم ما لا يخفى في التسلية او آتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي شعلة نار مقبوسة اي ماخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك معناه اي بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لما انه دعاء من في النار ومن حولها اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر انه عام في كل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلم وكفاتهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى اياه عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده عليه السلام وسبحان الله رب العالمين تعجيب له عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون ومن احكام تربيته تعالى للعالمين ياموسى انه انا الله استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير اما للشان وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزة اي انا القوي القادر على ما لا يناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين والق عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فابصرها فلما ابصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى كانها جان اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى ياموسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة تما مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم السلم فانهم وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه السلم من وكزه القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عليه السلم رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال متعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفران والعدوان فلما جاءتهم آياتنا وظهرت على يد موسى مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهدي فضلا عن

عن الهداية او مبصرة كل من ينظر اليها ويتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا
بها اى كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال اى وقد استيقنتها اى علمتها انفسهم علما يقينيا ظلما اى للآيات
كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها اى ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم
وليس بذاك وعلوا اى استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة
من جحدوا بها او على الحالية من فاعله اى جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق
على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا
داود وسليمان علما كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من انه عليه السلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما
عليهما السلام من جملة القرآن الكريم لقيته عليه السلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لاظهار كمال
الاعتناء بتحقيق مضمونه اى آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والاحكام وغير ذلك مما يختص
بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير او علما سنيا غزيرا وقالا اى قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله
الذى فضلنا بما آتانا من العلم على كثير من عباده المؤمنين على ان عبارة كل منهما فضلنى الا انه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة
المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس
بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر فى سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر
حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ايتاء ما اوتى نفسه فقط وقيل فى العطف
بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشئ من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل
ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية فتأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل
علمهما وقيل من لم يؤت علما واباه تبيين الكثير بالمؤمنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفى تخصيصهما الاكثر بالذكر
رمزا الى ان البعض مفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس
الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذى لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على ان يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من
فضله وان يتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذى علم عليم ونعما قال
امير المؤمنين عمر رضى الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود اى النبوة والعلم والملك بان قام مقامه
فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر
المعجزات الباهرة التى اوتيها يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ المنطق فى المتعارف كل لفظ يعبر به عما فى
الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل
صنف من اصناف الطير يتفاهم اصواته والذى علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض
من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل فى شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله
ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا
وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى
فقال يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت قمرى فاخبر انه يقول
سبحان ربى الاعلى وصاحت رخمة فقال يقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وارضه وقال الحدا يقول كل شئ هالك الا
الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر
يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى
القدوس واراد عليه السلام بقوله علمنا واوتينا النون التى يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه
ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل تمهيدا لما اراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له فى اوامره ونواهيه حتى كان
على عزيمة المسير وبقوله من كل شئ كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ ويراد به كثرة قصاده
وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شئ وقال ابن عباس من كل ما يهم من امر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعنى
النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والريح ان هذا اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتاء لهو الفضل والاحسان
من الله تعالى المبين الواضح الذى لا يخفى على احد او ان هذا الفضل الذى اوتيته لهو الفضل المبين على انه عليه السلام
قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اى اقول هذا القول شكرا لا
فخرا ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو فان اخبارهم بايتاء كل شئ من الاشياء التى من جملتها
آلات الحرب واسباب الغزو مما ينبئ عن ذلك فيعقبه قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده جمع له عساكره من الجن والانس و
الطير بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم
الجن على الانس فى البيان للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من ان الجن طائفة عاتية وقبيلة

طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير فهم يوزعون اى يحبس اوائلهم على اواخرهم اى توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم
التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد
فى العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق
يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير
الريح فى الجو روى ان معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ فى مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس
وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه السلام الف بيت من قوارير على الخشب فيها
ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى
وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسى
الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع
عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر
الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك لا يتكلم احد بشئ الا القته
الريح فى سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتى آل داود ملكا عظيما فالقته الريح فى اذنه فنزل ومشى الى الحراث
وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتى آل داود حتى
اذا اتوا على وادى النمل حتى هى التى يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هى غاية لما قبلها كالتى فى قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا
وفار التنور قلنا احمل الآية وهى ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا
الخ ووادى النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطائف على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن و
النمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم
اتى على الشئ اذا انفده وبلغ آخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادى اذ حينئذ يخافهم ما فى الارض لا عند
سيرهم فى الهواء وقوله تعالى قالت نملة جواب اذا كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها
ما بحضرتها من النمل مرادها فتبعها فى الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت
هى قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها
النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه
كالسبع فى السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشى وهى تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه
السلام كلامها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهى فى
الحقيقة للنمل عن التاخر فى دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام ولجنوده عن الحطم كقولهم
لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر كقوله من قال فعلت لما رحلا لا تقيمن عندنا الا جواب له فان النون
لا تدخله فى السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم
وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا
بذلك لم يحطموا وارادت بذلك الايذان بانها عارفة بشئون سليمان وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام
فى عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استئناف اى فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك فتبسم ضاحكا من
قولها تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بنى نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده فى باب
التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التى هى ابعدها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى
به من ادراك همسها وفهم مرادها روى انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انها فى الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح
فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك اى اجعلنى ازع شكر نعمتك عندى واكفه
وارتبطه بحيث لا ينفك عنى حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح ياء اوزعنى التى انعمت على وعلى والدى ادرج
فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة
وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين فى جملتهم الجنة التى هى دار الصالحين وتفقد الطير اى تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما
بينها فقال ما لى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين كانه قال اولا ما لى لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب فاضرب عنه
فاخذ يقول اهو غائب لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده فى قفص وقيل
بالتفريق بينه وبين الفه او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتينى بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة
على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتيننى بنونين اولاهما مفتوحة مشددة قيل انه عليه السلام لما اتم بناء بيت
المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة
آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال

وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسنا اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه مسيرة
شهر وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء
فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك
سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثنى عشر الف قايد تحت يد كل
قايد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد اى زمانا غير مديد وقرى
بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير
وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل
فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد
حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بسلطان مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه بسلطان
يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ عليه السلام برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله
تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله فقال احطت بما لم تحط به اى علما ومعرفة وحفظته من جميع
جهاته وقرى احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا يخفى انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقايق
العلوم ودقايق المعارف التي يكون معرفتها والاحاطة بها من وظايف ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل
مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدي نبي الله سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا عن دايرة قدره ونفيها
عنه عليه السلام جناية على جنابه يحتاج الى الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه السلام بذلك مع
ما اوتي عليه السلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام في
علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون
لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا يعد الاحاطة بها فضيلة ولا
الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوى فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عليه السلام
لم يشاهدها ولم يسمع خبرها من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه السلام وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره
واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المنبي عن امر بديع اقبل والى تلقي ما لا تعلمه اميل ثم اتبعه بقوله وجئتك
من سبأ بنبأ يقين حيث فسرها مع نوع تفسير وارآه عليه السلام انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر
عما جاء به بالنبأ الذي هو الخبر الخطير والشان الكبير ووصفه بما وصفه والا فما ذا صدر عنه عليه السلام مع ما حكي
عنه ما حكى من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع حتى يليق بالحكمة الالهية تنبيهه عليه السلام على تركه وسبأ منصرف على
انه اسم لحي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من
سبى وقرى بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وعلى
هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام
على ما بهم قبل انباء الهدهد ليس بامر بديع لا بد له من حكمة داعية اليه البتة وان استحال خلو افعاله تعالى من الحكم والمصالح
فان المسافة بين محطه عليه السلام وبين مأرب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه السلام هناك وبين مجيء الهدهد
بالخبر ايضا قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه مبني على حكم بالغة يستأثر بها علام الغيوب
وقوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم استيناف لبيان ما جاء به من النبأ وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل
ابن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها ورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك
ودانت لها الامة وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على رأيت لما اشير اليه من الايذان بكونه
عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بابراز نفسه في معرض من يتفقد احوالها ويتعرفها كأنها طلبته وضالته
ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبأ على انه اسم الحي او لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على انه اسمها واوتيت
من كل شيء اى من الاشياء التي يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم قيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا
وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه
سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام لما انه بالنسبة
الى حالها او الى عروش امثالها من الملوك وقد يجوز ان لا يكون لسليمان عليه السلام مثله واياما كان فوصفه بذلك
بين يديه عليه السلام لما مر من ترغيبه عليه السلام في الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عليه السلام نحو تسخيرها
ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله اى يعبدونها
متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظايرها من اصناف الكفر والمعاصي فصدهم
بسبب ذلك عن السبيل اى سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقبيح طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته

نسبة طريق الحق الى العوج فهم بسبب ذلك لا يهتدون اليه وقوله تعالى الا يسجدوا لله مفعول له اما للصد او للتزيين
على حذف اللام منه اى فصدهم لان لا يسجدوا لله تعالى او زين لهم اعمالهم لان لا يسجدوا او بدل على حاله من اعمالهم وما بينهما
اعتراض اى زين لهم ان لا يسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف اى الا يا قوم اسجدوا كما في قوله الا يا اسلمي يا دارمي
على البلى ونظايره وعلى هذا يحتمل ان يكون استينافا من جهة الله عز وجل او من سليمان ويوقف على لا يهتدون ويكون
امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه واياما كان فالسجود واجب وقرى هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرى
هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض اى يظهر ما هو مختف ومخفي فيهما
كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين ساير اوصافه الموجبة لذلك
لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما اودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة
الماء تحت الارض واشار بعطف قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون على يخرج الى انه تعالى يخرج ما في العالم الانساني من
الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان المراد يظهرها ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع
دائرة العلم او للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرى ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات
واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات بل
الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود وغير
ذلك من غيوبه عز وجل وقرى الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرى الخبا بتخفيفها بالقلب وقرى الا تسجدون لله الذي
يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها وقرى
العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكي من الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله احطت
بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه السلام اورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه
في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها قال
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال
سننظر اى فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتاكيد اى سنتعرف بالتجربة البتة اصدقت ام كنت من الكاذبين
كان مقتضى الظاهر ام كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في
سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين
نحو قبولها من غير ان يكون لها مصداق اصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم الشان لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ في الكذب
والافك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم استيناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عليه السلام وقد قاله
عليه السلام بعد ما كتب كتابه في ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عليه السلام بالرسالة دون ساير ما تحت ملكه من امناء
الجن الاقويا على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر اصلا ثم تول
عنهم اى تنح الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر اى تأمل وتعرف ماذا يرجعون اى ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول
وجمع الضماير لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت اى بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فالقاه
اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوي ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا بالاستغناء
عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عليه السلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها
الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح
الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس
ينظرون حتى رفعت رأسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارية كاتبة عربية من نسل تبع الحميري كما مر فلما رأت الخاتم
ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه او
لكونه من عند ملك كريم او لكونه مختوما او لغرابة شانه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد انه من سليمان استيناف
وقع جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من سليمان وانه اي مضمونه او المكتوب فيه بسم
الله الرحمن الرحيم وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرى انه وانه بالفتح على حذف اللام كانها عللت كرمه بكونه من
سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على انه بدل من كتاب وقرى أن من سليمان وان بسم الله الرحمن الرحيم
على ان المفسرة الا تعلوا علي ان مفسرة ولا ناهية اى لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل
ولا نافية محلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام اى مضمونه الا تعلوا او النصب باسقاط
الخافض اى بان لا تعلوا علي وقرى الا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا حدكم واتوني مسلمين اى مؤمنين وقيل منقادين
والاول هو الاليق بشان النبي عليه السلام على ان الايمان مستتبع للانقياد حتما يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان
ابن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام

قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة
على رسالته مرشدة لا له بينة قالت كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها يا ايها الملأ افتوني في امري
اي اجيبوني في امري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث
المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار بانهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة امرا
اي من الامور المتعلقة بالملك حتى تشهدون اي الا بمحضركم وبموجب ارائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها
في الراي والتدبير قالوا استئناف مبني على سوال نشا من حكاية قولها كانه قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا نحن
اولوا قوة في الاجساد والالات والعدد واولوا باس شديد اي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب والامر
اليك اي هو موكول اليك فانظري ماذا تامرين ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نمتثل به ونتبع رايك او ارادوا نحن
من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما احست
منهم الميل الى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة عن شان سليمان
عليه السلام وذلك قوله تعالى قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية من القرى على منهاج المقاتلة والحراب افسدوها
بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال وجعلوا اعزة اهلها اذلة بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون
الاهانة والاذلال وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بان ذلك عادتهم
المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي واني مرسلة اليهم بهدية تقرير لرايها بعدما زيفت اراءهم واتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات
المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مزمعة على رايها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف اي واني مرسلة اليهم
رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون حتى اعمل بما يقتضيه الحال روي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب
الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب
المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من اشراف قومها المنذر بن عمرو
واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة
خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل
الهدهد فاخبر سليمان عليه السلام بذلك فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله
سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها
عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره
والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور
والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا
بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل عليه السلام
بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة واخذت
دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ
الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله
تعالى فلما جاء سليمان اي الرسول قال اي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن
معه ويؤيده انه قرئ فلما جاءوا والاول اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده
الافراد في قوله تعالى ارجع اليهم اتمدونني بمال وهو انكار لامدادهم اياه عليه السلام بالمال مع علو شانه
وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى فما اتاني الله اي مما رايتم اثاره من النبوة و
الملك الذي لا غاية وراءه خير مما اتاكم اي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع
لها عندي تعليل للانكار ولعله عليه الصلوة والسلام انما قال لهم هذه المقالة الى اخرها بعد ما جرى بينه وبينهم
ما حكي من قصة الحق وغيرها كما اشير اليه لا انه عليه السلام خاطبهم بها اول ما جاءوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى
فلما جاء الخ وقرئ اتمدوني بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون
اضراب عما ذكر من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عليه السلام فرح افتخار وامتنان
واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الاضراب
التنبيه على ان امداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع انه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه المتنافسون
اقبح والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما

انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع افراد الضمير ههنا بعد جمع الضماير الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول
وعموم الامداد ونحوه للكل اي ارجع ايها الرسول اليهم اي الى بلقيس وقومها فلناتينهم اي فوالله لناتينهم بجنود لا قبل
لهم بها اي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبا
اذلة اي حال كونهم اذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع القلة تاكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اي
اسارى مهانون حال اخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق الاسر لا بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا
بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كانه قيل ارجع اليهم فلياتوا مسلمين والا فلناتينهم الخ قال يا ايها الملأ ايكم
ياتيني بعرشها قاله عليه السلام لما دنى مجيء بلقيس اليه عليه السلام يروى انه لما رجع رسلها اليها بما حكي من خبر سليمان عليه
السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك
وما تدعوا اليه من دينك ثم اذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وروي انها
امرت فجعلت عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا
يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به من اجراء
العجايب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام لا
وتقييد الاتيان به بقوله تعالى قبل ان ياتوني مسلمين لما ان ذلك ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظم
قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدايع المعجزات في اوان كفرها وقيل لانها اذا
اتت مسلمة لم يحل له اخذ مالها بغير رضاها قال عفريت اي مارد خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل الخبيث
المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا اتيك به اي بعرشها قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلسك للحكومة
وكان يجلس الى نصف النهار واتيك اما صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة واوفق
لما عطف عليه من الجملة الاسمية اي انا اتي في تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان به لقوي لا يثقل علي حمله
امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين القايلين ومقاليهما
وكيفيتي قدرتيهما على الاتيان به من كمال التباين او لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير
سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اجاب وقيل الخضر او جبريل عليه السلام
او ملك ايده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم
لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود ومن ابتدائية انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شيء وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على
الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة كما في وعد العفريت استغني عن التاكيد وطوي عند الحكاية ذكر الاتيان
به للايذان بانه امر متحقق غني عن الاخبار به وجيء بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على
تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظايره بل داخلة على الشرطية حيث قيل فلما راه
مستقرا اي راى العرش حاضرا لديه كما في قوله عز وجل فلما راينه اكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنايه
عن الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام اياه واستغنائه ايضا عن التصريح به اذ التقدير
فاتاه به فراه فلما راه الخ فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كانه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته
عليه السلام اياه شيء ما اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام تاكيد لهذا المعنى لايهامه انه لم يتوسط
بينهما ابتداء الاتيان ايضا كانه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك
ملكه قال اي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله تعالى عليهم السلام وخلص
عباده هذا اي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل
ربي اي تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي ليبلوني ااشكر بان اراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا
قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شان ساير النعم الفايضة
على العباد ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته عب الواجب ويتخلص
عن وصمة الكفران ومن كفر اي لم يشكر فان ربي غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر
ايضا قال اي سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين
السابق واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها عرشها اي غيروا
هيئته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي الى معرفته او الى الجواب
اللايق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد
خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب ويؤيده تعليق النظر المعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك

عنده

مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون اى بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون اى الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها فى نفس الامر منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع فى حكاية التجربة التى قصدها سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه قيل اى من جهة سليمان عليه السلام بالذات او بالواسطة اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش فى معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة العقل قالت كأنه هو فابانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة فى الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب فى محاورته عليه السلام واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه عليه السلام اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التى شاهدناها بما سمعنا من المنذر من الايات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رايها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى الآن اى صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اى انها كانت من قوم راسخين فى الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهى بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام وقرئ انها بالفتح على البدلية من فاعل صد او على التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملائه كانهم لما سمعوا قولها كانه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشأنها اصابت فى الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الايات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم الخ اى واوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهرانى الكفرة ففيه ما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلى الصرح الصرح القصر وقيل صحن الدار روى ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا للنبوة وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضى اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان فى عقلها شيئا وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فلما رأته وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله خبرا حسبته لجة وكشفت عن ساقيها وتشمرت لئلا يبتل اذيالها فاذا هى احسن الناس ساقا وقدما خلا انها شعراء قيل هى السبب فى اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه السلام وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ ساقيها حملا للمفرد على الجمع فى سؤق واسؤق قال عليه السلام حين راى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اى ما توهمته ماء صرح ممرد اى مملس من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة ايضا رب انى ظلمت نفسى بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظنى بسليمان حيث ظننت انه يريد اغراقى فى اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وما فى قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التى من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد ارسلنا عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير انه عليه السلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القرآن الكريم الذى يلقيه عليه السلام واللام جواب قسم محذوف اى والله لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وان فى قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لما فى الارسال من معنى القول او مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها للباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا التفريق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال عليه السلام للكافرين منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عليه السلام يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اى بالعقوبة السيئة قبل الحسنة اى التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها لعلكم ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول قالوا اطيرنا اصله تطيرنا والتطير

التشام

التشام عبر عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله سبحانه وقسمته او من عمل العبد اى تشاءمنا بك وبمن معك فى دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا ولم نزل فى اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طائركم اى سببكم الذى منه ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون اى تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه وكان فى المدينة وهى الحجر تسعة رهط اى اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورئاب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفى وقدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون فى الارض لا فى المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شئ من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون اى لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشياء قالوا استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اى قال بعضهم لبعض فى اثناء المشاورة فى امر صالح عليه السلام وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام الخ تقاسموا بالله اما امر مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه او حال من فاعله باضمار قد وقوله تعالى لنبيتنه واهله اى لنباغتن صالحا واهله ليلا ونقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على الغيبة وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لوليه اى لولى صالح وقرئ بالتاء والياء كما قبله ما شهدنا مهلك اهله اى ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم فضلا ان نتولى اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول اى نقول ما نقول والحال انا لصادقون فى ذلك لان الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رايت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا اى اهلكناهم اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون او جازيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع فى بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اى فتفكر فى انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى انا دمرناهم اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهى تامة وكيف حال اى فانظر كيف حصل اى على اى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما فى عاقبة مكرهم من الابهام اى هى تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم فى مباشرة التبييت اجمعين بحيث لم يشذ منهم شاذ وما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر فى كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار اى لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فلا وجه حينئذ ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الخ بالكسر على الاستئناف روى انه كان لصالح عليه السلام مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد ارسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية اى خالية او ساقطة متهدمة بما ظلموا اى بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف ان فى ذلك اى فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اى ما من شأنه ان يعلم من الاشياء او لقوم يتصفون بالعلم وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون اى الكفر والمعاصى اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا فى صدر قصة صالح داخل معه فى حيز القسم اى وارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا اى وانجينا لوطا وهو بعيد اتأتون الفاحشة اى الفعلة المتناهية فى القبح والسماجة وقوله تعالى وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطى القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب اى اتفعلونها والحال انكم تعلمون علما يقينيا

بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها ائنكم لتأتون الرجال شهوة تثنية للانكار وتكرير
للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية للجملة بحرفي التأكيد للايذان بان مضمونها مما لا
يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة
بينها وبين الشهوة التي تعلل بها الاتيان من دون النساء متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة بل انتم قوم
تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحه او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اى بل انتم قوم سفهاء
ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم
اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه استهزاء
وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الاخيرة من مراتب مواعظ لوط عليه السلام
بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام اخر غيره فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها اى قدرنا انها من الغابرين اي
الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير معهود فساء مطر المنذرين قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب
غير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اثر ما قص الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم قصص الانبياء
المذكورين عليهم السلم واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شانه وبما خصهم به من الايات القاهرة
والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم وبين على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد
وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردي
وشرح صدره عليه السلم بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بانوار الملكات
السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به عز وجل وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم
امره صلى الله عليه وسلم بان يحمده على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من دونها
لطامح ويسلم على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه اخبارهم كما هي من جملة المعارف التي اوحيت
اليه عليه السلم اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو امر للوط عليه السلم بان يحمد تعالى على هلاك
كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده آلله خير اما يشركون
اى الله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير اما يشركونه من الاصنام ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة
من جهته تعالى وتسفيه ارائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة خير
ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين
الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة
القول المامور به ياباه قوله تعالى فانبتنا الخ فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز وجل بالذات وحمله على
انه حكاية منه عليه السلم لما امر به بعبارته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم تعسف
ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تعالى امن خلق السموات والارض منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة
الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اظهر منه لمزيد التاكيد و
التشديد واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الاتية والهمزة لتقريرهم
اى حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا
يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه من اخس تلك المخلوقات
واد ناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف مع ام المعادلة للهمزة تعويلا
على ما سبق في الاستفهام الاول خلا ان تشركون ههنا بتاء الخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة
الاتية والمعنى بل امن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأ منافع ما بينهما وانزل لكم التفات الى الخطاب الكفرة
على القراءة الاولى لتشديد التبكيت والالزام اى انزل لاجلكم ومنفعتكم من السماء ماء اى نوعا منه وهو
المطر فانبتنا به حدائق اى بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ذات بهجة اى ذات حسن ورونق يبتهج به النظار
ما كان لكم اى ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خير اما تشركون
وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وتقديم صلة الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات
الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا لتاكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة
الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء
واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم الخ سواء كانت
صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم
النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها ءاله مع الله اى االه اخر كائن مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا

يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الالوهية عما يشركونه به تعالى في
ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احدا ممن له تمييز
في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأسا لا سيما بعد
ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الاتية وقيل المراد نفي ان يكون معه
تعالى اله اخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كيف لا وهم لا ينكرونه
حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى في العبادة ما يعترفون
بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كانه قيل االه اخر مع الله في خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في
العبادة وقيل المعنى اغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت
مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والاوفق
بحق المقام لافادته نفي وجود اله اخر معه تعالى رأسا لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط وقرئ ءاله بتوسيط مدة بين
الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ االها باضمار فعل يناسب المقام لافادته نفي وجود اله اخر معه تعالى رأسا
لا نفي معيته في الخلق مثل اتدعون او اتشركون بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان
سوء حالهم وحكايته لغيرهم اى بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل امر من الامور
فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو
الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة امن جعل الارض قرارا قيل هو بدل من امن خلق
السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت
بما قبلها الى التبكيت بوجه اخر داخل في الالزام بجهة من الجهات اى جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب
بابداء بعضها من الماء وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم وجعل خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون
بها وجعل لها رواسي اى جبالا ثوابت يمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبت في حضيضها الينابيع ويتعلق
بها من المصالح ما لا يحصى وجعل بين البحرين اى العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا مانعا من الممازجة
وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلاثة الاخيرة ابداعي وتاخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق
ءاله مع الله في الوجود او في ابداع هذه البدائع على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اى شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان
ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره امن يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذي احوجته شدة من الشدائد والجاته الى اللجا
والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو المجهود وعن السدي رحمه الله من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى
يلزم اجابة كل مضطر ويكشف السوء وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض اى خلفاء فيها بان ورثكم
سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط ءاله مع الله الذي يفيض على كافة
الانام هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتاكيد معنى القلة
التي اريد بها العدم او ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بان مضمونه
مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل
ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام امن يهديكم في ظلمات البر والبحر اى في ظلمات الليالي فيهما
على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء التي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار
حرها وتموجها للهواء فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وعلا والفاعل للسبب
فاعل للمسبب قطعا ءاله مع الله نفي لان يكون معه اله اخر وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون تقرير وتحقيق له واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم اى تعالى وتنزه بذاته المتفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات
الكمال ونعوت الجلال والجمال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون اى عن وجود ما يشركونه
به تعالى لا مطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى او عن اشراكهم امن يبدؤ الخلق
ثم يعيده اى بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ومن يرزقكم من السماء والارض اى باسباب سماوية
وارضية قد رتبها على ترتيب بديع يقتضيه الحكمة التي عليها بني امر التكوين خير اما تشركونه في العبادة من جماد لا يتوهم
قدرته على شيء ما اصلا ءاله اخر موجود مع الله حتى يجعل شريكا له في العبادة وقوله تعالى قل هاتوا برهانكم امر له عليه
السلم بتبكيتهم اثر تبكيت اى هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل على ان معه تعالى الها على ان غيره تعالى يقدر على شيء
مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة

فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صحيح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام
ان لهم برهانا وانى لهم ذلك ان كنتم صادقين اى فى تلك الدعوى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله بعد
ما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر
ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع و
رفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه
وتعالى منهم كانه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب ومتصل على ان المراد ممن فى السموات والارض من
تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه ومن
موصولة او موصوفة وما يشعرون ايان يبعثون اى متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم
وايان مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك
بينه وبين ما سياتى من الضماير الخاصة بهم قطعا وقيل للكل لمن واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم
بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم بل ادارك علمهم فى الاخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم
بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ فى تاكيده وتقريره بان اضرب عنه وبين انهم فى جهل افحش من جهلهم بوقت
بعثهم حيث لا يعلمون احوال الاخرة قطعا مع تعاضد اسباب معرفتها على ان معنى ادارك علمهم فى الاخرة
تدارك وتتابع علمهم فى شان الاخرة التى ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشئ مما سيكون
فيها قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب
العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها
مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوء منه وهو حيرتهم فى ذلك
حيث قيل بل هم فى شك منها اى فى شك مريب من نفس الاخرة وتحققها كمن تحير فى امر لا يجد عليه دليلا فضلا
عن الامور التى ستقع فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل بل هم منها
عمون بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفنى
وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناها الظاهر اى تكامل واستحكم و
تم اسباب علمهم بان القيامة كائنة لا محالة من الايات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل
تمكن وهم جاهلون فى ذلك وقوله تعالى بل هم فى شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى و
صفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اشد منه و
افظع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم
على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم
بالجهل مبالغة والاضرابان على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرا ابى فابدلت التاء دالا وسكنت فتعذر
الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرئ بل اَدْرَكَ واصله افتعل وبل آدّارك بهمزتين
وبل ااادرك بالف بينهما وبل ادْرك بالتخفيف والنقل وبل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله
بل اَدْرَك على الاستفهام وبلى ادرك وبلى أَأَدْرك وام تدارك وام ادرك فهذه ثنتي عشرة قراءة فما فيه
استفهام صريح او مضمن من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك
على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة فى النفي ودلالة
على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اورد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا بيان لجهلهم
بالاخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز صلته والاشعار
بعلة حكمهم الباطل فى قولهم ائذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون اى انخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه
مخرجون ولا مساغ لان يكون هو العامل فى اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى فى المنع وتقييد الاخراج
بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج فى فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان
كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج فى حالة منافية له وقوله تعالى واباؤنا عطف
على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتاكيد وتكرير الهمزة فى ائنا للمبالغة والتشديد فى الانكار
وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما فى قوله تعالى افلا تعقلون ونظايره على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار
التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا اى الاخراج
نحن واباؤنا من قبل اى من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث اخر

قصد به المبعوث والجملة استيناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التاكيد وقوله تعالى ان هذا
الا اساطير الاولين تقرير اثر تقرير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم الرسل عليهم السلام
فيما دعوهم الى الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذي تنكرونه فان فى مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية
لاولى الابصار وفى التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين فى ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على
الكفر والتكذيب ولا تكن فى ضيق فى حرج صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر
الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز ان يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اى لا تكن فى امر ضيق و
يقولون متى هذا الوعد اى العذاب العاجل الموعود ان كنتم صادقين فى اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين
فى الاخبار بذلك قل عسى ان يكون ردف لكم اى تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد كالباء فى قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذى تستعجلون
وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا
بان الرمز منهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجرى وعد الله تعالى ووعيده واشار ما عليه النظم الكريم
على ان يقال عسى ان يردفكم الخ لكونه ادل على تحقق الوعد وان ربك لذو فضل على الناس اى لذو افضال وانعام
على كافة الناس ومن جملة انعاماته تاخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال
العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء
وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اى ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشئ اى سترته وما يعلنون من الافعال
والاقوال التي من جملتها ما حكى عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبايح غير ما يظهرونه وانه تعالى
يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره فى سورة البقرة عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون وما من غائبة فى السماء والارض اى من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما فى الراوية او
اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا فى كتاب مبين اى بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح
المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
من جملته ما اختلفوا فى شان المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن العسف والغلو فى الافراط والتفريط و
التشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكر فى اشياء حتى بلغ المشاقة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل
القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا فى حيز الانصاف وانه لهدى ورحمة للمؤمنين على الاطلاق فيدخل فيهم من
آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم اى بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته
ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد حكمه وقضاؤه العليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضي به والفاء
فى قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به
اى فتوكل على الله الذي هذا شانه فانه موجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى
انك على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه السلام على الحق البين او الفاصل بينه وبين
الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عليه السلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتاييده لا محالة
وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى الخ تعليل اخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر
اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى
وثانيا بما يوجبه من جهته عليه السلام على احد الوجهين اعني كونه عليه السلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه
الاخر اعني اعانته تعالى وتاييده للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن
التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمى موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا
وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تاثرهم بما يتلى
عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشئ من المسموعات ولعل المراد تشبيه
قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر واشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري
الاذن والعين كما فى قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها
والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمى مزيد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اى الدعوة الى
امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتاكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء
الى الحق معرضون عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب فى ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه
قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
هداية موصلة الى المطلوب كما فى قوله تعالى فانك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة

بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمى يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية
وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع سماعا يجدي السامع نفعا الا من يؤمن بآياتنا اي من من شانهم
الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن الخ لما ان طريق
الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية فهم مسلمون تعليل لايمانهم بها كانه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون
لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون
من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون
الاهوال التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتاثيرها وبتنا
الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه
كما في قوله تعالى اتى امر الله فلا اي اذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه اخرجنا
لهم دابة من الارض وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتاكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على
غرابة شانها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب
ولا يفوتها هارب وروي انها اربع قوايم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جرير في وصفها راس ثور وعين
خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما
بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي خلقها خلق الطير
وروي عن علي رضي الله عنه انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة
وروي لا يخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها كل
لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي
الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج
الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى
اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على الله تعالى و
اكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم
يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب
الارض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم
سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب
بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول
لهم انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرع الصفا
بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
بئس الشعب شعب جياد مرتين او ثلثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلث صرخات يسمعها
من بين الخافقين فتتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ان
تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها او بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات
وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرئ بان الناس الآية
واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله
عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد
لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان
بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار
القول او اجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة كالذي سبق وقيل هو استيناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها
او تكليمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق في الدنيا
المراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركو مكة وقد روي عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا
بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد
جوز كون القراءة المشهورة ايضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده ويوم نحشر من كل امة فوجا بيان اجمالي لحال المكذبين
عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الحشر
هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير
ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي جمعنا من كل امة من الامم الانبياء عليهم

السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى ممن
يكذب بآياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين بها فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا
في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وهكذا يحشر قادة ساير الامم بين ايديهم
الى النار حتى اذا جاؤا الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب قال اي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب
والالتفات لتربية المهابة اكذبتم بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى ولم تحيطوا بها علما جملة حالية مفيدة
لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يودي
الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص في ان المراد بالآيات فيما سلف في الموضعين هي الآيات القرآنية
لانها هي المنطوية على دلايل الصحة وشواهد الصدق التي لم يحيطوا بها علما مع وجوب ان يتاملوا ويتدبروا فيها لا نفس
الساعة وقيل هو معطوف على كذبتم اي اجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها اماذا كنتم تعملون اي ام اي شيء
كنتم تعملون بها او ام اي شيء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصي
مع انهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك قوله تعالى ووقع القول
عليهم اي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله بما ظلموا بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بآيات
الله فهم لا ينطقون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم الم يروا انا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه الروية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات
اي الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا اي ليبصروا بما فيه من
الاضاءة طرق التقلب في امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه
التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما ان تاثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تاثير
ضوء النهار في الابصار ان في ذلك اي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته
في الفضل لآيات اي عظيمة كثيرة لقوم يؤمنون دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة
كيف لا وان من تامل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رايقة يحار في فهمها العقول
ولا يحيط بها الا الله عز وجل وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحيوة و
عاين في نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحيوة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها
وان الله يبعث من في القبور قضاء متقنا وجزم بانه تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه
وان الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهانا عليه وساير الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم
ينفخ في الصور اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه او بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ
فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق
السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر قال
قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده ان عظم دارة فيه كعرض السموات
والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحيوة احد غير من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى
معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سياق النظم
الكريم وسياقه ان المراد بالنفخ هاهنا النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض ما يعتري
الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهايلة الخارقة للعادات في الانفس والآفاق من الرعب والتهيب
الضروريين الجبليين وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه اعني ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه
اثر النفخ ولعل تاخيره بان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة
لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا بان كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولو
روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما مر في قصة البقرة الا من شاء الله اي
ان لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وكل اي كل واحد
من المبعوثين عند النفخة اتوه حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة والحساب
وقيل اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه وقرئ آتوه اي حاضروه داخرين اي صاغرين
وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وعلا تحسبها جامدة اي ثابتة
في اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير ترى او مفعوله وقوله تعالى وهي تمر مر السحاب حال من ضمير الجبال في تحسبها
او في جامدة اي تراها راي العين ساكنة والحال انها تمر مر السحاب الذي تسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام

تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله

العظام اذا انحركت بحوسمت لا يكاد يتبين حركتها وعليه قول من قال يا دعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج
والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى
وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل
الارض غير الارض ويغير هيأتها ويسير الجبال عن مقارها على ماذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي
وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما
نطق به قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
امتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد
القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية
وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف مع
كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا
وقد قيل ان المراد هي النفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من
في السموات ومن في الارض الخ فيختص اثرها بمن كان حيا عنده وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم وجوز
ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان ينزه ساحة
التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي ربك
بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الاصيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون
سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر او كالقنديل المعلق ترجحه الارواح فانه مما لا ارتباط
له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سياتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ
آمنون صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما
ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شان تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال
نظام العالم وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية ويكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدايع
صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتب مقدمات الخلق ومبادي
الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما
تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما تفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر
افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب اجزيتها
عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك
ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة
علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اي من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو
خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة وهم اي الذين جاؤا بالحسنات من فزع اي عظيم هائل لا يقادر قدره
وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم
الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه حين يومر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي المنادي
يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور آمنون لا يعتريهم
ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي يعتري كل من في السموات ومن في الارض غير من استثناه
الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه
احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افامنوا مكر الله وقرئ
من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة
يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء بالسيئة قيل هو
الشرك فكبت وجوههم في النار اي كبوا فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم على انه قد انما امرت ان
اعبد رب هذه البلدة امر عليه السلام بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدا والمعاد وشرح احوال القيمة تنبيها
لهم على انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه السلام بعد ذلك شان سوى الاشتغال بعبادة الله عز
وجل والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا صلحوا او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم
ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه السلام بامر دعوتهم انه عليه السلام يظهر لهم ما يلجيهم الى الايمان لا محالة

الذي حرمها

ويشتغلوا

ويشتغلوا بتدارك احوالهم وتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الايات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة
لتفخيم شانها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة
الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز
الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا ترى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها
وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي افجر افراد الفجور واشنع احاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها
ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله انى يوفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى وله كل شيء اي خلقا
وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف
مع عموم الربوبية لجميع الموجودات وامرت ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام
والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وان اتلو القرآن اي
اواظب على تلاوته لينكشف لي حقايقه الرايقة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا او على تلاوته على الناس بطريق تكرير
الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى
قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرايع والاحكام وعلى الاول
فمن اهتدى باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الي ومن ضل
بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه انما انا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة الانذار
فليس علي من وبال ضلاله شيء وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها نعمة النبوة المستتبعة
لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالايات البينة والبراهين النيرة
وقوله تعالى سيريكم آياته من جملة الكلام المامور به اي سيريكم البتة في الدنيا اياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج
الدابة وساير الاشراط وقد عد منها وقعة بدر وياباه قوله تعالى فتعرفونها اي فتعرفون انها ايات الله تعالى
حين لا ينفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الاخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون
كلام مستانف من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير
النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص الخطاب اولا به عليه السلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل عما تعمل
انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة
فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فيعذبهم البتة فلا يحسبوا ان تاخير عذابهم لغفلته تعالى عن
اعمالهم الموجبة له والله تعالى اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم السلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص ثمان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام والتفصيل في اشباهه نتلو عليك اي نقرا بواسطة جبريل
عليه السلام ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبا موسى وفرعون مفعول نتلو اي بعض نبايهما بالحق
متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلو عليك بعض نبايهما ملتبسين او ملتبسا بالحق
او تلاوة ملتبسة بالحق لقوم يومنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به
ان فرعون علا في الارض استيناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتناء بتحقيق
مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعا اي فرقا
يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستعمل كل
صنف في عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او
فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف طايفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة
اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك
لما ان كاهنا قال له يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فايدة القتل
وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين اي الراسخين في الافساد ولذلك اجترا على مثل تلك العظيمة من قتل
المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام ونريد ان نمن اي نتفضل على الذين استضعفوا في الارض على الوجه المذكور
بانجائهم من باسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا الخ لتناسبهما في الوقوع
في حيز التفسير للنبا او حال من يستضعف بتقدير المبتدا اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من

سورة القصص

ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لما ان تعلق الارادة للمن تعلق الارادة استقبالي على ان منة الله
تعالى عليهم بالخلاص لما كانت فى شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير
لابانة قدر النعمة فى المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها ونجعلهم ائمة يقتدى بهم فى امور الدين بعد ان كانوا
اتباعا مسخرين لاخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما فى سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم
كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتاخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة
ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعنى قوله تعالى ونمكن لهم فى الارض الخ اى نسلطهم على مصر و
الشام يتصرفون فيهما كيف ما يشاؤن واصل التمكين ان يجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم
اى من اولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون فى دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم
وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا
خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه فالقيه فى اليم فى البحر وهو النيل ولا تخافى عليه ضيعة بالغرق ولا
شدة ولا تحزنى انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهى عن الخوف والحزن
وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اى انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين
لا محالة روى ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بنى اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام
فقالت لها لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه
فى قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك فى قلبى محبة ما وجدت مثلها لاحد
فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته فى خرقة فالقته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها
فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار
عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون فى طلب الولدان اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روى انها ارضعته ثلثة اشهر
فى تابوت من بردى مطلى بالقار من داخله والفاء فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة
مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اى فالقته فى اليم
بعد ما جعلته فى التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون اى اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال
ابن عباس رضى الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس اليه وكان بها برص
شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يوخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من
شهر كذا حين تشرق الشمس فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون فى مجلس له على
شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر فى زمن يوسف
الصديق عليه السلم وقيل كانت من بنى اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلى واقبلت بنت
فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت فى النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون
ائتونى به فابتدروا بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم
فنظرت آسية فرأت نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هى بصبى صغير فى مهده واذا
نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت
به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذى
نحذر منه رمى فى البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتى واللام فى قوله تعالى
ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز مدخولها فى معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له فى الترتب عليه بالغرض
الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم
ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اى فى كل ما ياتون وما يذرون فلا غرو فى ان قتلوا لاجله الوفا
ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روى انه ذبح فى طلبه عليه السلام تسعون الف وليد او كانوا مذنبين
فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطائهم اولبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ
خاطين على انه تخفيف خاطئين او على انه بمعنى متعدين الصواب الى الخطاء وقالت امرأة فرعون اى لفرعون حين
اخرجته من التابوت قرة عين لى ولك اى هو قرة عين لنا لما انهما لما رأياه احباه او لما ذكر من برء بنته من البرص
بريقه وفى الحديث انه قال لك لا لى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ
الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت فيه من العلامات
المذكورة او نتخذه ولدا اى نتبناه فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته له كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطاء عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء

النفع

النفع منه والتبنى له وقوله ان فرعون الاية اعتراض وقع بين المعطوفين لتاكيد خطائهم وقيل حال من احد ضميرى نتخذه على
ان الضمير للناس اى وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف
والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء اى خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من
قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او لسماعها ان فرعون
عطف عليه وتبناه وقرئ موسى بالهمز اجراء للضمة فى جارة الواو مجرى ضمها فهمزت كما فى وجوه ان كادت لتبدى به
اى انها كادت لتظهر بموسى اى بامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح لتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر
والثبات لتكون من المؤمنين اى المصدقين بوعد الله تعالى او من الواثقين بحفظه لا بتبنى فرعون وتعطفه وقرئ
موسى اجراء للضمة وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخوته
عليه السلام دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر قصيه اى اتبعى اثره وتتبعى اخباره
فبصرت به اى ابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون انها تقصه
وتعرف حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع اى منعناه ان يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهى
المرأة التى ترضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه اعنى الثدى من قبل اى من قبل قصها اثره فقالت عند
رؤيتها لعدم قبوله الثدى واعتناء فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم
اى لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه
واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتى بمن يكفله فاتت
بامه وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال من انت
منه فقد ابى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فقرره فى يدها
واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كى تقر عينها بوصول ولدها اليها
ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله اى جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه
بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فيرتابون فيه او ان الغرض
الاصلى من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون ولما بلغ
اشده اى المبلغ الذى لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم
يبعث نبى الا على راس الاربعين واستوى اى اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اى نبوة وعلما بالدين
او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة
لانه تعالى استنباه بعد الهجرة فى المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين على
احسانهم ودخل المدينة اى مصر من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من
اهلها فى وقت لا يعتاد دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين
يقتتلان هذا من شيعته اى ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اى من مخالفيه دينا وهم القبط
والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذى من شيعته اى سأله ان يغيثه بالاعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ
استعانه على الذى من عدوه فوكزه موسى اى ضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره فقضى عليه
فقتله واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يكن مامورا
بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده
من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين فى استعظام ما فرط منهم ولو كان من
محقرات الصغائر انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال توسيط بين كلاميه عليه السلام
لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول رب انى ظلمت نفسى اى بقتله فاغفر لى
ذنبى فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم اى المبالغ فى مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت على
اما قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين
واما استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون معينا لمن تؤدى معاونته الى الجرم وعن ابن عباس
رضى الله عنهما انه عليه السلم لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وهذا يويد الاول وقيل معناه بما انعمت على من القوة
اعين اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك فاصبح فى المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة او الاجناد فاذا
الذى استنصره بالامس يستصرخه اى يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسى انك لغوى مبين اى بين الغواية
تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذى هو عدو لهما اى لموسى والاسرائيلى اذ لم
يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبنى اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء قال اى الاسرائيلى

ظالمًا انه عليه السلام يبطش به حسبما يوهمه تسميته اياه غويًا يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسًا بالامس
قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك
وامر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطي ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارًا في الارض وهو الذي
يفعل كل ما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى
وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اي كاين من اخرها او جاء
من اخرها يسعى اي يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصصه يلحقه
بالمعارف قيل هو مؤمن من آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان قال يا موسى ان الملأ يأتمرون
بك ليقتلوك اي يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يامر الاخر ويأتمر فاخرج اي من المدينة
اني لك من الناصحين اللام للبيان لما ان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها اي من المدينة خايفًا يترقب
لحوق الطالبين قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين اي نحو
مدين وهو قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها
وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه
وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرايق فاخذ في الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا في الاخريين وقيل خرج حافيًا
لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به
الى مدين ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اي فوق شفيرها امة
جماعة كثيفة من الناس يسقون اي مواشيهم ووجد من دونهم في موضع اسفل منهم امرأتين تذودان اي تمنعان
ما معهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الفايدة في التقدم قال عليه السلام
لهما حين رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود ما خطبكما ما شأنكما فيما انتما عليه من التأخر والذود ولم
لا تباشران السقي كداب هؤلاء قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء اي عادتنا ان لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم
بعد ريها عن الماء عجزًا عن مساجلتهم وحذرًا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية وحذف
مفعول السقي والذود والاصدار لما ان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هي التي دعت موسى عليه
السلام الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه عليه السلام انما رحمهما لكونهما على الذياد العجز والعفة وكونهم
على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنمًا ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء ويصدر
من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال واما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالى وابونا
شيخ كبير ابداء منهما للعذر اليه عليه السلام في توليهما للسقي بانفسهما كانهما قالتا انا امرأتان
ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ
كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يقضي الناس اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة
عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر آنفا روي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير حجرا لا يقله الا سبعة
رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع و
لعله عليه السلام زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البير لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فان الظاهر
انه عليه السلام غبّما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روي انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل
كانت هناك بير اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه صلى الله عليه وسلم سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم
وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما
واصدرهما ثم تولى الى الظل الذي كان هناك فقال رب اني لما انزلت الي اي اي شيء انزلته الي من خير
جل او قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام فقير اي محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جيء
بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الي من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا
لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما قيل هي
كبراهما واسمها صفوراء او صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيرا اي جاءته عقيب ما رجعتا الى ابيهما
روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا
رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي وقوله تعالى تمشي حال من فاعل جاءت وقوله تعالى
على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي اي جاءته تمشي كاينة على استحياء ومعناه انها كانت على
استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة اي شديدة
الحياء وقيل قد استترت بكم درعها قالت استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عليه السلام

كانه قيل جاءته متخفرة اي شديدة الحياء فماذا قالت له عليه السلام فقيل قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا
اي جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل
والحياء والعفة ما لا يخفى روي انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته
فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليهما السلام فلما جاءه وقص عليه القصص اي ما
جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي
يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عليه السلام انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه
السلام ويستظهر برايه لا ليأخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت به الا يرى الى ما روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما
قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه
السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه
قصصه وعرف انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما في
دار نبي من انبياء الله تعالى عليهم الصلوة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه السلام ان يقبل الاجر لاضطرار
الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السايب انه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك
الخ ولعله عليه السلام انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر قالت احديهما وهي التي استدعته
الى ابيها وهي التي زوجها من موسى عليهما السلام يا ابت استاجره اي لرعي الغنم والقيام بامرها ان خير من استاجرت
القوي الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة في ذلك جعل خيرا اسما لان وذكر الفعل
على صيغة الماضي للدلالة على انه امين مجرب روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت
ما شاهدت منه عليه السلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه
قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني اي تكون اجيرا لي او تثيبني من اجرته كذا اذا اثبته اياه
فقوله تعالى ثماني حجج على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد
انه يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود واجرت ممدودا والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا
والمعنى على ان تأجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا في الخدمة والعمل فمن عندك
اي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرايه على موسى واستدعاء
منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات
واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في طاقته ويوزع رأيك
في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه السلام بالاستثناء
التبرك به وتفويضه امره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى قال ذلك بيني وبينك مبتدأ وخبر
اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما
شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى ايما الاجلين اي اكثرهما او اقصرهما قضيت اي وفيتكه
باداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب الزيادة على ما قضيته
من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان في اكثرهما رأسا
للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني او ايما
الاجلين قضيت فلا اثم علي يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرئ اي
الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتاكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة لتاكيد ابهام اي وشياعها
وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره والله على
ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس
ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان
لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين
في تلك الشريعة تفصيلا روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من
تلك العصي وكانت عنده عصي الانبياء عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل الانبياء
يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي
سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل عليه السلام بعد موت ادم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها
موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع
في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك

فقال القها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلم وعن الحسن رضى الله عنه ما كانت
الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبى رحمه الله الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما
اصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلاء وان كان بها اكثر
الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب
وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية
فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليه السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون
غزيرة اللبن فاخبره موسى عليهما السلام بالشان ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له انى وهبت لك من نتاج
غنمى هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحى اليه فى المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت
واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء فى قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة اى فعقد العقدين
وباشر موسى ما التزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روى انه عليه السلام
قضى ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستاذنه فى ذلك فاذن له فخرج
باهله آنس من جانب الطور اى ابصر من الجهة التى تلى الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها
بخبر اى بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه او جذوة اى عود غليظ سواء كانت فى راسه نار او لا قال قائلهم
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها
حرها والتهابها ولذلك بيّن بقوله تعالى من النار وقرى بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون اى
تستدفئون فلما اتاها اى النار التى آنسها نودى من شاطئ الواد الايمن اى اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة
الى موسى عليه السلام فى البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودى من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ
لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى انى انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا لما فى طه والنمل لكنه
موافق له فى المعنى المراد وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودى والفاء فى قوله تعالى
فلما رآها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها
اى فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز كانها جان اى فى سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى مدبرا
اى منهزما من الخوف ولم يعقب اى لم يرجع يا موسى اى قيل يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف
فانه لا يخاف لدى المرسلون اسلك يدك فى جيبك اى ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء اى عيب واضمم اليك جناحك
اى يديك المبسوطتين لتتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن
او بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة
ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه
واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب اى من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا
لنفسك وقرى بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وقرى بتشديد النون
فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان
من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمراة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت
لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن فى قوله تعالى من ربك متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان اى كائنان
منه تعالى الى فرعون وملائه واصلان ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود الظلم والعدوان
فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها
واخى هارون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا اى معينا وهو فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرى ردا بالتخفيف
يصدقنى بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة انى اخاف ان يكذبون ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة وقيل
المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرى يصدقنى بالجزم على انه جواب
الامر قال سنشد عضدك باخيك اى سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك
يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اى تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك فلا يصلون
اليكما باستيلاء او محاجة باياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به فى مواضع اخر اى اذهبا باياتنا او بنجعل اى نسلطكما
باياتنا او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون فى قوله
تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما يبينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذى فلما جاءهم موسى
باياتنا بينات اى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما
اللتان اظهرهما موسى عليه السلم اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره فى سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى

خوف

اى

اى سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر
وما سمعنا بهذا اى السحر او ادعاء النبوة فى آبائنا الاولين اى واقعا فى ايامهم وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من
عنده يريد به نفسه وقرى قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر
بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها الاصلية
هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة و
سيئات الغواة وقرى يكون بالياء التحتانية انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور وقال
فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى قاله اللعين بعدما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من امرهم
ما كان فاوقد لى يا هامان على الطين اى اصنع آجرا فاجعل لى منه صرحا اى قصرا رفيعا لعلى اطلع الى اله موسى
كانه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الرقى اليه ثم قال وانى لاظنه من الكاذبين نفى المعلوم كما فى قوله تعالى
أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة
لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون
ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بياء فى وسط الكلام
واستكبر هو وجنوده فى الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء
وقرى بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام فاخذناه وجنوده عقيب
ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم فى اليم قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شان الاخذ وتهويله
واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى البحر ونظيره قوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اى صيرناهم فى عهدهم ائمة يدعون الناس الى النار الى ما يؤدى اليها من الكفر
والمعاصى اى قدوة يقتدى بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة
دعاة الى النار كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالانسب ح ان يكون الجعل بعد تمام فيما
بين الامم ويكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث
لا تزال يلعنهم الملائكة عليهم السلم والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين
وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قال ابن عباس رضى الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه
اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف
لا بمعنى الذى او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب
اى التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان
كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى
انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع
وانطماس آثارها واحكامها المؤدين الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد
بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار
كانه قيل ولقد آتينا موسى التورية على حين حاجة الى ايتائها بصائر للناس اى انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز
بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما ان البصر
نور العين الذى به تبصر وهدى اى هداية الى الشرائع والاحكام التى هى سبل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل به
رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف
اى ذا بصائر الخ وقيل على العلة اى آتينا الكتاب للبصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال
يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول فى ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت
بجانب الغربى شروع فى بيان ان انزال القرآن الكريم ايضا واقع فى زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة
له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال
لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحى من علام الغيوب لا محالة على
طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الاية اى وما كنت بجانب الجبل الغربى او المكان
الغربى الذى وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه او الجانب الغربى على اضافة الموصوف
الى الصفة كمسجد الجامع اذ قضينا الى موسى الامر اى عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحى وايتاء التورية وما كنت من

الشاهدين اى من جملة الشاهدين للوحى وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى فى ميقاته
وكتبة التورية له فى الالواح فتخبره للناس ولكنا انشأنا قرونا اى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا
كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانباء لا سيما على اخرهم فاقتضى
الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وقوله تعالى وما كنت
ثاويا فى اهل مدين نفى لاحتمال كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن شاهدها اى وما كنت مقيما فى اهل
مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى تتلو عليهم اى تقرأ على اهل مدين بطريق التعلم منهم آياتنا الناطقة
بالقصة اما حال من المستكن فى ثاويا او خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الآيات ونظائرها
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اى وقت ندائنا موسى انى انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا اياه الى
فرعون ولكن رحمة من ربك اى ولكن ارسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل
علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه السلام
بالاضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى فى الاول بذكر ما يوجبه من جهة
الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا بانه المراد فيهما ايضا ولله در شأن التنزيل وقوله
تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من ارساله عليه السلام بالقرآن حتما لما انه المعلل بالانذار
لا تعليم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما
اى لم يأتهم نذير لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل بناء على
ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرائيل لعلهم يتذكرون اى يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعى
بين قضاء الامر والثواء فى اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عليه
السلام للقصة بطريق الوحى الالهى ولو ذكر اولا نفى ثوائه عليه السلام فى اهل مدين ثم نفى حضوره عليه السلام عند
النداء ثم نفى حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعى لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما
مر فى قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة اى عقوبة بما قدمت ايديهم اى بما اقترفوا من الكفر والمعاصى فيقولوا
عطف على تصيبهم داخل فى حيز لولا الامتناعية على ان مدار امتناع ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه
وانما ذكر فى حيزها للايذان بانه السبب الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اى هلا ارسلت الينا رسولا
مؤيدا من عندك بالآيات فنتبع آياتك الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب
لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التى قدموها ما ارسلناك
لكن لما كان ذلك قولهم محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم اى اهل مكة الحق من عندنا
وهو القرآن المنزل عليه عليه الصلوة والسلام قالوا تعنتا واقتراحا لولا اوتى يعنون عليه السلام مثل ما
اوتى موسى من الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه السلام وقوله
تعالى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق
اى الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتى موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا استيناف مسوق
لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى سحران خبر لمبتدأ محذوف اى كلاهما يعنون
ما اوتى محمد وما اوتى موسى عليهما السلام سحران تظاهرا اى تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك انهم
بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود فى عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه الصلوة والسلام فقالوا انا نجده فى التورية
بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى انا بكل اى بكل واحد موسى
من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم
فى الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون محمدا صلى الله تعالى عليهما وسلم هذا هو الذى يستدعيه
جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل الا ترى الى قوله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما
مما اوتياه من التورية والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه جواب للامر اى ان
تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتى به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى
من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين اى فى انهما سحران مختلقان
وفى ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان
بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه عليه السلام على كمال امن من
امره عليه السلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى
الداعى باللام فيحذف الدعاء عند ذكره غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله دعاءه فاعلم انما يتبعون اهواءهم

الزايغة

الزايغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك لأتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام انكارى للنفى اى لا
اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اى هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفى الاضل لا لنفى المساوى كما مر فى
نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقريع والاشباع فى التشنيع والتضليل والا فمقارنته
لهدايته تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى والاعراض عن الآيات
الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف اى انزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم
الكتاب من قبله اى من قبل ايتاء القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان
وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى اى القرآن عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اى الحق
الذى كنا نعرف حقيته وهو استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى انا كنا من قبله اى من قبل نزوله مسلمين بيان
لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره فى الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن اولئك
الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم
وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤن
بالحسنة السيئة اى يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون
فى سبيل الخير واذا سمعوا اللغو من اللاغين اعرضوا عنه عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغى الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم
انك لا تهدى هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله فى الاسلام وان بذلت
فيه غاية المجهود وجاوزت فى السعى كل حد معهود ولكن الله يهدى من يشاء ان يهديه فيدخله فى الاسلام وهو اعلم بالمهتدين
بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل
لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا
ان يكون عليك وعلى بنى ابيك غضاضة بعدى لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك
ولكنى سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت
فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف
ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا
اى الم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الحرام الذى تتناحر العرب حوله وهم آمنون يجبى اليه
وقرئ تجبى اى يجمع ويحمل اليه ثمرات كل شئ من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم
بانقطاع الميرة رزقا من لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة اصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت
حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اى جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى
من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا
على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم
احقاء بان يخافوا بأس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اى وكثيرا من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء فى
الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من
بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا اى الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يبق من يسكنها
الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر ذات ايديهم
وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله
مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة
اى وما صح وما استقام بل استحال فى سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان فى حكمه الماضى وقضائه السابق ان
يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها حتى يبعث فى امها اى فى اصلها وقصبتها التى هى اعمالها وتوابعها
لكون اهلها افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام
الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال
الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكى القرى عطف على ما كان ربك وقوله تعالى الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اى وما كنا مهلكين لاهل القرى بعدما بعثنا فى امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه فى حال من الاحوال الا حال
كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه
حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه فى سورة بنى اسرائيل وما اوتيتم من شئ من امور الدنيا

فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اى فهو شئ شانه ان يتمتع ويتزين به اياما قلايل وما عند الله وهو الثواب خير فى نفسه
من ذلك لانه لذة خالصة عن شوايب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم وابقى لانه ابدى افلا تعقلون الا تتفكرون
فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرى بالياء على الالتفات المبنى على انتظام
سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم افمن وعدناه وعدا حسنا اى وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه
اى مدركه لا محالة لاستحالة الخلف فى وعده تعالى ولذلك جئ بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفها بالفاء
المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذى هو مشوب بالالام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر
على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل الاخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين
متاع الحيوة الدنيا وبين ما عند الله تعالى اى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى ثم
هو يوم القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه فى حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كانه قيل
كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق
حتما وفى جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخى فى الزمان او فى الرتبة وقرى ثم هو بسكون الهاء تشبيها
للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار
اذكر فيقول تفسير للنداء اين شركائى الذين كنتم تزعمون اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان معا لثقة
بدلالة الكلام عليهما قال استيناف مبنى على حكاية السؤال كانه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال الذين حق عليهم القول
وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم فى كل ما امروهم
به ونهوهم عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لاصالتهم فى الكفر واستحقاق
العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال
للعبدة واما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون
هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء انما قالوا ما قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا
لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون
ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله
تمهيد له اى ما اكرهناهم على الغى وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم
غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه
من الكفر والمعاصى هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون اى ما كانوا
يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا
وقيل ادعوا شركاءكم اى للتهكم بهم او تبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم على الاجابة
والنصرة وراوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق
لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمنى اى تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله
سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اى صارت كالعمى
عنهم لا تهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على ان ما يحضر الذهن يفيض
عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء و
الاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل او جميع الانباء وهى داخلة فيه دخولا اوليا واذا
كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم فى ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسؤول فما
ظنك بالضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل
سواء فى الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اى جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من
المفلحين اى الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجى
من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه
تعالى ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة اى التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفى الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا
ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل فى قول
الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم
وقيل معناه ويختار الذى كان لهم فيه الخير والصلاح سبحان الله اى تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه
احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدو

كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اى المستحق للعبادة لا اله الا هو لا
احد يستحقها الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه
فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم
اى القضاء النافذ فى كل شئ من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقريرا لما ذكر ارايتم
اى اخبرونى ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما فى دلامص من الدلاص يقال
درع دلاص اى ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله
صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت والالزام كما فى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض
وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظايرهما خلا انه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله لاراد
التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا تسمعون هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا
له وتعملوا بموجبه قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق
الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا
بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع افلا تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التى لا تخفى على من له بصر ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اى فى الليل ولتبتغوا من فضله فى النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكى
تشكروا نعمته تعالى فعل ما فعل او لتعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين
شركائى الذين كنتم تزعمون تقريع للاشعار بانه لا شئ اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كما لا شئ ادخل فى مرضاته
من توحيده سبحانه وقوله تعالى ونزعنا عطف على يناديهم وصيغة الماضى للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار
قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله اى اخرجنا من كل امة من الامم شهيدا
نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا لكل من تلك الامم هاتوا
برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا يومئذ ان الحق لله فى الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم
اى غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترون فى الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث
بن لاوى بن يعقوب وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن اخيه وكان يسمى
المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بنى اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق السامرى وقال اذا كانت النبوة لموسى
والمذبح والقربان لهرون فمالى وروى انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة والقربان لهرون
وجد قارون فى نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شئ الى متى اصبر قال موسى عليه السلام هذا
صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى تأتى بآية فامر رؤساء بنى اسرائيل ان يجئ كل واحد بعصاه فحزمها والقاها
فى القبة التى كان الوحى ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر
فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت
امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر منه فى حق موسى وهرون
عليهما السلام وآتيناه من الكنوز اى الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اى مفاتيح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر
وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولى القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى
مفعولى آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرى لينوء بالياء على اعطاء المضاف
حكم المضاف اليه كما مر فى قوله تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين اذ قال له قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد
بان البغى ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بان الايتاء ايضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل
هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما اوتيته ويكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح
اى لا تبطر والفرح فى الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بما فيها من
اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا
من محبته عز وعلا ان الله لا يحب الفرحين اى بزخارف الدنيا وابتغ وقرى واتبع فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة
اى ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس اى لا تترك ترك المنسى نصيبك من الدنيا وهو ان
تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن اى الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك فيما انعم به عليك وقيل
احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد فى الارض نهى عما كان عليه من الظلم والبغى ان
الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا لناصحه انما اوتيته على علم عندى كانه يريد به الرد على قولهم كما احسن
الله اليك لنبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله اى فضلت
به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم فى موقع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل

علم الكيميا وقيل هو علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفاين وعندي صفة له او متعلق باوتيته
كقولك جاز هذا عندي او في ظني ورايي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ له من
جهته تعالى الله عز وجل على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التورية وتلقيا من موسى عليه السلام
وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرا التورية ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون
السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به اورد لادعايه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا
حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كان قارون
لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين بل الله
تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله
تعالى في زينته اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كائنا في زينته قيل خرج على بغلة شهباء
عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه
ثلثماية جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم روي فيه المعصفر
قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المومنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا
مثل ما اوتي قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوما
كفارا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتاكيد له وقال الذين اوتوا العلم اي باحوال الدنيا والاخرة كما ينبغي وانما
لم يوصفوا بارادة ثواب الاخرة تنبيها على ان العلم باحوال النشاتين يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية
حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى
ثواب الله في الاخرة خير مما تتمنونه لمن امن وعمل صالحا فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى ولا يلقاها
اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانهما في معنى
السيرة والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يوذي موسى
عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره
فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب
مملوة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن
زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت انت قال ولو كنت انا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت
فناشدها موسى عليه السلام ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي
ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله تعالى
بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير
رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم
الى الاعناق وهم يناشدونه بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت
عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله
تعالى حتى خسف بداره واموالهم فما كان له من فئة جماعة مشفقة ينصرونه من دون الله بدفع العذاب عنه
وما كان من المنتصرين اي الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين
تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي يفعل
كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض وويكان عند البصريين مركب
من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الرزق الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك
وان وتقديره ويلك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطاء والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطايهم في تمنيهم
وتندموا على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطايه ايانا ما تمنيناه واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا من الله
علينا لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القايم مقام الفاعل لانخسف بنا كقولك انقطع
به وقرئ لتخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الاخرة تلك الدار
الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي
غلبة وتسلطا ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كداب فرعون وقارون وفي تعليق الوعد بترك ارادتهما لا بترك
انفسهما مزيد تحذير منهما وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل
تحتها والعاقبة الحميدة للمتقين اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال من جاء بالحسنة فله
بمقابلتها خير منها ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول والظاهر

موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم
مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القران اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى
معاد اي معاد يعتد اليه اعناق الهمم ويرنو اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه
وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو بمكة في اذية وشدة من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز
ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم ابراهيم
عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما
يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال
مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله تعالى
وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه
اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم
فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون عن آيات الله اي عن
تلاوتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصد المنقول من صد اللازم وادع الناس الى
ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج والالهاب
وقطع اطماع المشركين عن مساعدته عليه السلام لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن
صدوره عنه اصلا لا اله الا هو وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن في حد ذاته عرضة
للهلاك والعدم له الحكم اي القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت تسع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العنكبوت

الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظايره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا احسب
الناس الحسبان ونظايره لا تتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفاء شيء عن شيء بحيث
يحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول
الاسمي والحرفي فان كان منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا
يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان يقولوا آمنا او ان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين
بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف
كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظايف الطاعات وفنون المصايب في الانفس والاموال ليتميز المخلص
من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي
غير الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا من اذية
المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رماه عامر بن الحضرمي
بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامراته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى
احسب او بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي
ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما
يعرب عنه قوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا
الايات وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك
عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا اي في
قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما ينفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب
القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اي فوالله
ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون
على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من
الاعلام اي وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين
يعملون السيات ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله

على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والاشتغال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير
مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم
يفوتونه تعالى ولم يحدثوا انفسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع
في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم
ذلك من كان يرجو لقاء الله اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا وعقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل
في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقائه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت
والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان
يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضده لما سخطه فان اجل الله الاجل عبارة عن غاية
زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت الذي
عينه تعالى لذلك لات لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم
دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزاء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر من
الاعمال ما يؤدي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر بما يحقق امله ويصدق رجاءه
او ما يوجب القربة والزلفى وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد ومن جاهد في
طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها اليها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم
بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها
من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه
حسنا اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس
حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المأمور به نفع عائد الى المأمور او غيره وقيل هو بمعنى
قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا
اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه
وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار
القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونها من
التكليف ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون
بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والاية نزلت في سعد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت
امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلثة ايام
كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت في عياش ابن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر
مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا
له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا
حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب واستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك
على ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه اما اذ اعصيتني
فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ان ناقتي قد كلت
فاحملني معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا
تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الراسخين في
الصلاح والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول انبياء الله المرسلين قال تعالى حكاية عن سليمان
عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في حق ابراهيم عليه السلم وانه في الاخرة لمن الصالحين او
في مدخل الصالحين وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله اي في شانه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان
جعل فتنة الناس اي ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله في الشدة والهول فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من
عذابه تعالى اصلا ولئن جاء نصر من ربك اي فتح وغنيمة ليقولن اي بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما
سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة
المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى اوليس الله باعلم
بما في صدور العالمين اي باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد

والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق ولما لحق من قوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا
اي بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان كفرهم باذية الكفرة اولا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق وقال الذين كفروا
للذين آمنوا بيان لحملهم للمؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا
دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جناياتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ اي قالوا مخاطبين
لهم اتبعوا سبيلنا اي اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا
للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا في طريقتنا ولنحمل خطاياكم اي ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون
وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم بالاتباع للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم
ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقرئ من خطيئاتهم اي وما هم بحاملين
شيئا من خطاياهم التي التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض
او حال انهم لكاذبون حيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى
الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين
وليحملن اثقالهم بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الاخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا
والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر اي وبالله ليحملن اثقال
انفسهم كاملة واثقالا اخر مع اثقالهم لما تسببوا له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من
اثقال من اضلوه شيء ما اصلا وليسألن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون اي يختلقونه في الدنيا
من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما
شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المؤمنين باذية الكفار تأكيدا للانكار
على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما
اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلم
الفا وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا واربعماية سنة ولعل ما عليه النظم
الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعماية وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة
فان المقصود من القصة تسلية رسول الله عليه السلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار
ركاكة رأي الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة فاخذهم الطوفان
اي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام
وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اي والحال انهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلم
من الايات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فانجيناه اي نوحا عليه السلام واصحاب السفينة
اي ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور
ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة والقصة آية للعالمين يتعظون بها وابراهيم نصب بالعطف
على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه على الاول ظرف للارسال اي ارسلناه
حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من مرتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى
طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابراهيم اعبدوا الله اي وحده واتقوه ان تشركوا به شيئا ذلكم اي ما ذكر من
العبادة والتقوى خير لكم اي مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان
كنتم تعلمون اي الخير والشر وتميزون احدهما من الاخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك
كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى انما تعبدون من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته
في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق اي انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة
لكم ليس فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكا اي وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم عند
الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون
بحذف احدى التائين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب واللعب ونعت بمعنى خلقا
ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون
على ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له
على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد اليه ترجعون اي بالموت ثم
البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا وان تكذبوا اي تكذبوني فيما اخبرتكم به من
انكم اليه ترجعون بالبعث فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اي فلا تضرونني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد

كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضروا انفسهم حيث
تسببوا لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه ان
يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني في تكذيبكم بعد ذلك اصلا اولم يروا كيف
يبدئ الله الخلق كلام مستانف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله
والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر اي الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية
في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب
لتشديد الانكار وتاكيده وقرئ يبدا وقوله تعالى ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه
فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتاويل الاعادة بانشائه تعالى كل
سنة مثل ما انشاه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من
غير ريب ان ذلك اي ما ذكر من الاعادة على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء اصلا قل سيروا في الارض امر لابراهيم
عليه السلام بان يقول لهم ذلك اي سيروا فيها فانظروا كيف بدأ الخلق اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع
متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض موذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين في اقطارها
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التي هي محل النزاع بالنشأة
الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على انهما شان واحد من شؤون الله حقيقة واسما من حيث ان كلا
منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود لا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة
والرآفة ومحلها النصب على انها مصدر موكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اي بنشئ فتنشئون
النشأة الآخرة كما في قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة معها في حيز القول
واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدأ لابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة
الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع
الاشياء التي من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعد ما اخبر به يعذب اي بعد النشأة
الآخرة من يشاء ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما ويرحم من يشاء ان يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها
وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب واليه تقلبون عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء
من التعذيب والرحمة وما انتم بمعجزين له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم في الارض ولا في السماء اي بالتواري
في الارض او الهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف
على انتم اي ولا من في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من
السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله اي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله
فيدخل فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها [illegible]
تعالى لا يناسب المقام ولقائه الذي ينطق به تلك الآيات اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه يئسوا
من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او يئسوا منها في الدنيا لانكارهم البعث
والجزاء واولئك لهم عذاب اليم وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال
فظاعة حالهم ما لا يخفى اي اولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر
الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام فما كان جواب قومه بالنصب على انه خبر كان
واسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره وليس المراد انه لم يصدر
عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك
هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى
فانجاه الله من النار الفاء فصيحة اي فالقوه في النار فانجاه الله تعالى منها بان جعلها عليه السلام بردا وسلاما
حسبما بين في مواضع اخر وقد مر في سورة الانبياء بيان كيفية القائه عليه السلام فيها وانجائه اياه تعالى تفضلا
قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلا ان في ذلك اي في انجائه منها لآيات بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من
حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون
ومن الفوز بمغانمها محرومون وقال اي ابراهيم عليه السلام مخاطبا لهم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم
في الحياة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف
اوثانا آلهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف او بتاويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة

اي

اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة وقرئ مودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع
والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا
او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة
بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس
الا في الحيوة وقد اجريتم احكامه حيث فعلتم بي ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا منى كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا
آلهتكم ثم يوم القيامة ينقلب الامور وتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم وهم العبدة ببعض
وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا اي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر ومأواكم النار
اي هي منزلكم الذي تأوون اليه ولا ترجعون منه ابدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني
فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي ما لاحد منكم من ناصر اصلا فآمن له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في
نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين راى النار لم تحرقه ينبغي
ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهي التي لا يرتقي اليها الا همم الافراد الكمل ولوط هو ابن
اخته عليه السلام وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي الى حيث امرني به انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعني من
اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يامرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى
من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا
له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اي
جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد والذرية الطيبة
واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين اي الكاملين
في الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابراهيم والكلام في قوله تعالى اذ قال لقومه كالذي مر في قصة ابراهيم
عليه السلام انكم لتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح وقرئ ائنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين
استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر
منه النفوس ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة حيث روي انهم كانوا
كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون
السبيل بالقتل واخذ المال وتأتون في ناديكم اي تفعلون في مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط
وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق
والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر
بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي فما كان
جوابا من جهتهم شيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام
وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم الآية وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم الآية فهو
الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد
مر تحقيقه في سورة الاعراف قال رب انصرني اي بانزال العذاب الموعود على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة
وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال
العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اي بالبشارة بالولد والنافلة قالوا اي لابراهيم عليه السلام في تضاعيف
الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان
المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع
المعاصي قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين عن مكان
لوط عليه السلام فيها بل عمن لم يتعرض له ابراهيم عليه السلام من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشانهم اتم اعتناء
حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اي والله لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين في
العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا المذكورون بعد مفارقتهم لابراهيم عليه السلام سيء بهم اعتراه المساءة
بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان صلة لتاكيد ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا اي ضاق
بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا
عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا ريثما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعلموا
انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي حتى آلت به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد

لا تخف اى من قومك علينا ولا تحزن اى على شئ وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امراتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء وايا ما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذى يقلق المعذب اى يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اى من القرية اية بينة هى قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا فى قصة نوح اى وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر اى توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تامنون غائلته وقيل ارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة الشديدة وفى سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تموج الهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا فى دارهم اى بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اى اهلكنا وقرئ ثمودا بتاويل الحى وقد تبين لكم من مساكنهم اى وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان اعمالهم من فنون الكفر والمعاصى فصدهم عن السبيل السوى الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلام لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا وقيل تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اى ادراك فتداركوا انحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اى فكل واحد من المذكورين اخذنا بذنبه اى عاقبناه بجنايته لا بعضه دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل للاخذ اى ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا فى الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب فى الاستعمال التانيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا يرى شئ يدانيه فى الوهن والوهى لو كانوا يعلمون اى شيئا من الاشياء لجزموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشئ مفعول يدعون او مصدرية وشئ عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتاكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان من هذا شانه قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اى هذا المثل وامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها على ما هى عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون الراسخون فى العلم المتدبرون فى الاشياء على ما ينبغى وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اى محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذى لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى ان فى ذلك لآية للمؤمنين دالة على ما ذكر من شؤونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد فى خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك اتل ما اوحى اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما فى تضاعيفه من المعانى وتذكيرا للناس وحملا لهم

على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة اى داوم على اقامتها وحيث كانت الصلوة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره عليه السلام باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة الله تعالى فلا بد ان يكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلى عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهم فى الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصى الله تعالى فمن لم يامره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه وروى انس رضى الله عنه ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر اى وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما فى قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فى الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتى هى احسن اى بالخصلة التى هى احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدى الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ بآية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط فى الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا من القرآن وانزل اليكم اى وبالذى انزل اليكم من التوراة والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما فى خاتمة سورة البقرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد لا شريك له فى الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه فى الفضل اى مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا اليك الكتاب اى القرآن الذى من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى فالذين آتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا فى كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء اى ومن العرب او اهل مكة على الاول او ممن فى عصره عليه السلام على الثانى من يؤمن به اى بالقرآن وما يجحد بآياتنا عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التامل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله اى ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد او ما كانت عادتك ان تتلو ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون اى لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق فى شانك منشأ ريب اصلا وتسميتهم مبطلين فى ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين فى اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلام عن ذلك بل هو اى القرآن آيات بينات واضحات ثابتة راسخة فى صدور الذين اوتوا العلم من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد بآياتنا مع كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون للحدود فى الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية قل انما الآيات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد فى ذلك قطعا وانما انا نذير مبين ليس من شانى الا الانذار بما اوتيت من الآيات اولم يكفهم كلام مستانف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات انا انزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها يتلى عليهم فى كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها فى مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك ونعت دينك ان فى ذلك الكتاب العظيم الشان الباقى على مر الدهور لرحمة اى لنعمة عظيمة

وذكرى اى تذكرة لقوم يؤمنون اى لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا بما صدر عنى وعنكم يعلم ما فى السموات والارض اى من الامور التى من جملتها شأنى وشانكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله تعالى وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الايمان به اولئك هم الخاسرون المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتى هى احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما فى قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا اجل مسمى قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه فى اللوح لجاءهم العذاب المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالاجل يوم القيمة لما روى انه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه بعذاب الاستيصال وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم وفيه بعد ظاهر لما انهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعى ولا كانوا يستعجلون به وليأتينهم جملة مستانفة مبينة لما اشير اليه فى الجملة السابقة من مجئ العذاب عند محل الاجل اى وبالله ليأتينهم العذاب الذى عين لهم عند حلول الاجل بغتة اى فجاءة وهم لا يشعرون اى باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤلهم فان ذلك اتيان برايهم وشعورهم لا انه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه ببالهم كعذاب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اى يستعجلونك بالعذاب والحال ان محل العذاب الذى لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اى سيحيط بهم وانما جئ بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها او تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصى الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصى هى النار فى الحقيقة لكنها ظهرت فى هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق واللام فى الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف لمضمر قد طوى ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم العذاب الذى اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى به المقال وقيل ظرف للاحاطة من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى من جميع جهاتهم ويقول اى الله عز وجل او بعض الملائكة بامره وقرئ بنون العظمة ذوقوا ما كنتم تعملون اى جزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من السيئات التى من جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادى الذين آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغى لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون اى اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصوها فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستانفة جئ بها حثا على المسارعة فى الامتثال بالامر اى كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه ثم راجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا اى علالى وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما فى قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم تجرى من تحتها الانهار صفة لغرفا خالدين فيها اى فى الغرف او الجنة نعم اجر العاملين اى الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم الذين صبروا اما صفة للعاملين او نصب على المدح اى صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون اى ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اى وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا

تخافوا

تخافوا الفقر بالمهاجرة وهو السميع المبالغ فى السمع فيسمع قولكم هذا العليم المبالغ فى العلم فيعلم ضمائركم ولئن سألتهم اى اهل مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه فانى يؤفكون انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه اى فكيف يصرفون عن الافراد بتفرده تعالى فى الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسط له من عباده ويقدر له اى يقدر لمن يشاء ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسط له على التعاقب ان الله بكل شئ عليم فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بقدره له فيقدره له او فيعلم ان كلا من البسط والقدر فى اى وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما فى وقته ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله فعلم معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يكاد يتوهم منه القدرة على شئ ما اصلا قل الحمد لله على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وانه اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عصمك من امثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده بل اكثرهم لا يعقلون اى شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء الا لهو ولعب اى الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه وان الدار الآخرة لهى الحيوان اى لهى دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها او هى فى ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيى سمى به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة فى هذا المقام المقتضى للمبالغة لو كانوا يعلمون اى لما آثروا عليها الدنيا التى اصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث فيها من الحيوة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال فاذا ركبوا فى الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشئ المتحرك وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله ههنا وفى امثاله بكلمة فى للايذان بان المركوب فى نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما فى سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا فى البحر ولقوا شدة دعوا الله مخلصين له الدين اى كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اى فاجؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا اى يفاجؤن الاشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الانجاء التى حقها ان يشكروها فسوف يعلمون اى عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب اولم يروا اى الم ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا اى بلدهم حرما آمنا مصونا عن النهب والتعدى سالما اهله من كل سوء ويتخطف الناس من حولهم اى والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون اى ابعد ظهور الحق الذى لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق وبنعمة الله يكفرون وهى المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة فى الموضعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوا ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفى الاظلم من غير تعرض لنفى المساوى وقد مر مرارا او كذب بالحق لما جاءه اى بالرسول او بالقرآن وفى لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اثر ذى اثير اليس فى جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها كقول من قال الستم خير من ركب المطايا اى الا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح وانكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اى الم يعلموا ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا اى فى شاننا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين معية النصرة والمعونة وعنه عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم ستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الروم

الم الكلام فيه كالذى مر فى امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم فى ادنى الارض اى ادنى ارض العرب منهم اذ هى الارض المعهودة عندهم وهى اطراف الشام او فى ادنى ارضهم من العرب على ان اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هى ارض الجزيرة وهى ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضى الله عنهما الاردن وفلسطين وقرئ فى ادانى

الارض وهم اى الروم من بعد غلبهم اى من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب سيغلبون
سيغلبون فارس في بضع سنين روى ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم
وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر
اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد
بضع سنين فقال ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلايص من كل منهما
وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر به ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر
ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر الروم على فارس
عند راس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي فجاء
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الاية من البينات الباهرة الشاهدة
بصحة النبوة وكون القران من عند الله عز وجل حيث اخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت
على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد
غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل لله
الامر من قبل ومن بعد اى في اول الوقتين وفي اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو
وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين
اخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف
اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا واخرا ويومئذ اى يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده
الله تعالى من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة
وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من
غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وقل
كل منهما شوكة الاخر وفي ذلك قوة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز
للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الانسب لقوله تعالى ينصر من يشاء اى من يشاء ان ينصره من عباده على عدوه
ويغلبه عليه فانه استيناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وهو العزيز المبالغ في العزة والغلبة فلا
يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اى فريق كان والمراد بالرحمة
هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لما ان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخرى فلان
المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من اثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في
الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه قيل وعد الله وعدا لا يخلف الله وعده اى وعد
كان مما يتعلق بالدنيا والاخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة
استيناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان تكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى ما سبق من شؤونه تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهو ما يشاهدونه من زخارفها
وملاذها وساير احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها
وتنعمهم بملاذها كما قيل فانهما ليسا مما علموه منها بل من افعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون
الوحدة كما توهم اى يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الاخرة التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون
لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سياتي والجملة معطوفة على
يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة
خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهلهم وتشبيها
لهم بالبهائم المقصور ادراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون احوالها التي هي مبادي العلم بامور الاخرة واشعارا
بان العلم المذكور وعدم العلم راسا سيان اولم يتفكروا انكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحيوة الدنيا
مع الغفلة عن الاخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى في انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع ظهور
استحالة كونه في غيرها لتحقيق امره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الخ متعلق اما بالعلم
الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض
ربنا ما خلقت هذا باطلا اى اعلموا ظاهر الحيوة الدنيا فقط او اقصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا
انه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي هي من جملتها ملتبسة بشيء من الاشياء الا ملتبسة بالحق او يقولوا هذا
القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة

والغرض الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته
وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم عندما
تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما
نصب في المصنوعات من الايات والدلايل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوايل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى واجل مسمى
عطف على الحق اى وباجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من ان تنتهي اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد
جوزان يكون قوله تعالى في انفسهم صلة للتفكر على معنى ولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم
بشؤونها واخبر باحوالها منهم فيتدبروا ما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرايب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال
وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك
ان ساير الخلايق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد الانسان
ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل
من الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله تعالى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم
غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن احوال الاخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما
بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم
بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومالهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اقعدوا
في اماكنهم ولم يسيروا في الارض وقوله تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم
قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد
منهم قوة الخ بيان لمبدا احوالهم ومالها يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة واثاروا
الارض اى قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك وعمروها اى عمرها اولئك
بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها اكثر مما عمروها اى عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة
هؤلاء اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها
مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب في اكناف الارض بانواع
التصرفات وهم ضعفة ملجاؤن الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او
الايات الواضحات فما كان الله ليظلمهم اى فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير
عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته
تعالى عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى اياهم بلا جرم ليس وقد مر في سورة الانفال وسورة آل
عمران ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان اجترؤا على اقتراف ما يوجبه من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة الذين اساؤا اى عملوا
السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم السوأى اى العقوبة التي هي اسوأ
العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تانيث الاسوأ كالحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف
به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل
في الجزالة وقوله تعالى ان كذبوا بآيات الله علة لما اشير اليه من تعاقب بيبهم الدنيوي والاخروي اى لان كذبوا او بان كذبوا
بايات الله المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على ايديهم وقوله تعالى وكانوا بها يستهزؤن عطف على
كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة
النظم الجليل وقد قيل وقيل الله يبدؤ الخلق اى ينشئهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه ترجعون الى موقف
الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة اى هي وقت اعادة الخلق ورجعهم
اليه يبلس المجرمون اى يسكتون متحيرين لا ينبسون بقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج وقرئ بفتح اللام
من ابلسه اذا افحمه واسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها
في مقابلة الجمع اى لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا وليس بذلك اذ ليس في الاخبار به فائدة يعتد بها ويوم تقوم الساعة
اعيد لتهويله وتعظيم ما يقع فيه وقوله تعالى يومئذ يتفرقون تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض
منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق الدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم
افتراق كل فرد منهم عن الاخر بل تفرقهم الى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك
بعد تمام الحساب وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين

ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اى القبر [illegible] سبحانه [illegible]
[illegible] على [illegible]

والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره
سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن
عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابى بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع رحمه الله
السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة ومافيها من النعيم وفى آخر القوم اعرابى فقال يا رسول الله هل من سماع
فى الجنة قال عليه السلام يا اعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق
بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت ابا الدرداء رضى الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى
الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك
الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا التى من جملتها هذه
الايات الناطقة بما فصل ولقاء الاخرة صرح بذلك مع اندراجه فى تكذيب الايات للاعتناء بامره وقوله تعالى فاولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى وبلقاء الاخرة للايذان بكمال تميزهم
بذلك عن غيرهم وانتظامهم فى سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم
فى الشر اى اولئك الموصوفون بما فصل من القبائح فى العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه ابدا فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اثر ما بين حال فريقى المؤمنين العاملين للصالحات
والكافرين المكذبين بالايات وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجى من الثانى ويفضى الى الاول من تنزيه الله عز وجل
عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الاول على الثانى لما ان التخلية متقدمة على التحلية
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اى نزهوه عما ذكر سبحانه اى تسبيحه اللائق
به فى هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض فى معنى
الامر به على ابلغ وجه واكده وتوسيطه بين اوقات التسبيح للاعتناء بشأنه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه
قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان
الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله عليه السلام من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الايات والاحاديث وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على
ان ما يحدث فيها من ايات قدرته تعالى واحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد موجبة
لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل و
تغيير الاسلوب لما انه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول فى العشى كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر فى ذلك
انه ليس من الاوقات التى يختلف فيها احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول
فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت يتغير فيها الاحوال تغيرا ظاهرا اما فى المساء والصباح فظ واما فى الظهيرة
فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر فى سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها عليهما
وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة
الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة
ركعتان فى اى وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفى اخره
هن خمس صلوات كل يوم وليلة عن النبى صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون الاية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى
وكذلك تخرجون ادرك ما فاته فى يومه ومن قالها حين يمسى ادرك ما فاته فى ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون
اى تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحى من الميت كالانسان من النطفة والطير من البيضة ويخرج الميت من الحى النطفة
والبيضة من الحيوان ويحيى الارض بالنبات بعد موتها بيبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم وقرئ
تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده ومن اياته الباهرة الدالة على انكم تبعثون
دلالة اوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحى من الميت واخراج الميت من الحى ومن دلالة
احياء الارض بعد موتها عليها ان خلقكم اى فى ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام منطو
على خلق ذرياته انطواء اجماليا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه فى ذاتكم ومنا
ثم اذا انتم بشر تنتشرون اى فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون فى الارض وهذا مجمل ما فصل فى قوله تعالى
يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الاية ومن اياته الدالة على ما ذكر من البعث وما
بعده من الجزاء ان خلق لكم اى لاجلكم من انفسكم ازواجا فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن
لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى لتسكنوا اليها اى لتألفوا

وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعى التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر وجعل بينكم اى بين
الازواج اما على تغليب الرجال على النساء فى الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اى جعل بينكم وبينهن كما
مر فى قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد الجنس اى بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى مودة ورحمة
فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا اى جعل بينكم بالزواج الذى شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم
سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن
الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا ان فى ذلك اى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم
من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته لايات عظيمة
لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون فى تضاعيف تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل
مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن اياته بل هى مشتملة على ايات شتى ومن
اياته اى الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السموات والارض اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من
المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر
ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة
ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم اى لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره
عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية من كل وجه والوانكم ببياض الجلد
وسواده وتوسطه فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها بين الاشخاص حتى ان التوأمين
مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شىء من ذلك لا محالة وان كانا فى غاية التشابه
وانما نظم هذا فى سلك الايات الافاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الايات الانفسية الحقيقية بالانتظام فى
سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان فى ذلك اى
فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان لايات عظيمة فى انفسها كثيرة فى عددها للعالمين
اى المتصفين بالعلم كما فى قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الايات
وعدم خفائها على احد من الخلق كافة ومن اياته منامكم بالليل لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية
وابتغاؤكم من فضله فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع فى الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول فى الاول والثانى
فى الثانى او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الايات الواردة فى ذلك خلا انه فصل بين
القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمان والزمان مع ما وقع فيه كشىء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان فى ذلك
لايات لقوم يسمعون اى شأنهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون فى تضاعيف هذا البيان
ويستدلون بذلك على شئونه تعالى ومن اياته يريكم البرق الفعل اما مقدر بان كما فى قول من قال الا ايهذا
الزاجرى احضر الوغى اى ان احضر او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدى خير من
ان تراه او على حاله صفة لمحذوف اى اية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى
العيش اكدح اى فمنهما تارة اموت فيها واخرى ابتغى فيها او ومن اياته شىء او سحاب يريكم البرق خوفا من
الصاعقة او للمسافر وطمعا فى الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق
مستلزمة لرؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع او على تأويل الخوف والطمع
بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف
فيحيى به الارض بالنبات بعد موتها بيبسها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون فانها من الظهور بحيث يكفى فى
ادراكها مجرد العقل عند استنباط فى استعمال اسبابها وكيفية تكونها ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره
اى بارادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادى والاسباب وليس
المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن اياته خلق السموات والارض ولا اقامتهما
بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر فى غير موضع من
قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الاية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذى نطق به
قوله تعالى فيما قبل ما خلق الله السموات والارض الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الاية متأخرة عن
سائر الايات المعدودة متصلة بالبعث فى الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به فى الذكر ايضا فقيل ثم
اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء
اجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم فى سلكها كما قيل كانه قيل ومن اياته قيام السموات
والارض على هيئاتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم اى بعد انقضاء الاجل من

الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال ايها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله خاصة من في السموات والارض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه كل له قانتون اي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شؤونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد موتكم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو اهون عليه اي بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما انها مأولة بان يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد باهونية الفعل اقربيته الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل اسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى العجيب الشان من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية في السموات والارض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة وعلى معنى انه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل او من ضميره في الاعلى وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم مثلا يتبين به بطلان الشرك من انفسكم اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى هل لكم الى اخره تصوير للمثل اي هل لكم مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وما يجري مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى فانتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم لانه عام للفريقين بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم امثالكم في البشرية واحكامها ان يشارككم فيما رزقناكم وهو مستعار لكم فانتم وهم فيه سواء يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم تخافونهم خبر اخر لانتم او حال من ضمير الفاعل في سواء اي تخافون ان تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم كخيفتكم انفسكم اي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية اي لا ترضون بان يشارككم فيما هو معار لكم مماليكم وهم امثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه كذلك اي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات اي نبينها ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وابراز لاوابد المدركات على هيئة المأنوس فيكون في غاية الايضاح والبيان لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الايات للكل لانهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الايات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة بيان لاستحالة تبعيتهم للحق كانه قيل لم يعقلوا شيئا من الايات المفصلة بل اتبعوا اهواءهم الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم اي جاهلين ببطلان ما اتوا مكبين عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه فمن يهدي من اضل الله اي خلق فيه الضلال لصرف اختياره الى كسبه اي لا يقدر على هدايته احد وما لهم اي لمن اضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وافاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فاقم وجهك للدين تمثيل لاقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه اي فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المأمور او من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة وانتصابها على الاغراء اي الزموا او عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد في اقم لما ان الرسول صلى الله عليه وسلم امام الامة فامره عليه السلام مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال بها باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر اي فطر الله فطرة وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن

قبولهم

قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى او لوجوب الامتثال به اي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها رأسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل ح من جهة ان سلامة الفطرة متحققة في كل احد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور او باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدودا منيبين اليه حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لعمومه للامة حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض اي راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله تعالى واتقوه اي من مخالفة امره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء الى حزب من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا اي فرقا تشايع كل منها امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف المقدم اعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده واذا مس الناس ضر اي شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم الذي كانوا دعوه منيبين اليه يشركون اي فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على الطريق القصد او متوسط في الكفر لانزجاره والجملة ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدي كقوله تعالى فتمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة سلطانا اي حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم به تعالى او بالامر الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا واشرا لا حمدا وشكرا وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجأوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته ويقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما اتيتم من ربا زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اي غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله اي لا يبارك فيه وقرئ لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله اي تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك هم المضعفون اي ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون وقد جوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتأكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة او الظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل

تمايل اخاه هايلو في البحر ان لجلدى كان يأخذ كل سفينة غصبا الذى بعض الذى عملوا اى بعض جزائه فان تمامه
في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك
فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اى البليغ الاستقامة
من قبل ان يأتي يوم لا مرد له متعلق بيأتى او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق
ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اى يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره
اى وبال كفره وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اى يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين
للدلالة على الاختصاص ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اى يتفرقون
بتفريق الله تعالى فريقين ليجزى كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في
معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الآخر بقوله تعالى انه
لا يحب الكافرين فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ومن آياته ان يرسل
الرياح اى الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته وهي المنافع التابعة
لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذى هو مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة
على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون
كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر له تعالى له بمنافعكم ولتجرى الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون
ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم اى ارسلنا كل رسول الى قومه فجاؤهم
بالبينات اى جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالى فانتقمنا من الذين
اجرموا فصيحة اى فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف ورعاية
بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين
على الله تعالى ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام وفي
توسط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها انذار الكفرة وتحذيرهم عن
الاخلال بمواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل
بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام الله الذى يرسل الرياح استئناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح
فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء سائرا او واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب
الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى اى قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق
المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده اى بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون فاجاؤا الاستبشار
بمجيء الخصب وان كانوا ان مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف اى وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم
اى المطر من قبله تكرير للتأكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال
وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل ليفيد
سرعة تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل
بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اى آيسين فانظر الى آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر
من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي
اى الله تعالى الارض بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف متعلق بانظر اى فانظر الى احيائه البديع للارض
بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل واياما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما
فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ تحيي بالتأنيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان الذى
ذكر بعض شؤنه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى الحيوانية كما ان احياء
الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون
ما قبله اى مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه
اى الاثر المدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد
جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام في لئن موطئة للقسم دخلت على حرف
الشرط والفاء في فرأوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم الساد مسد الجوابين اى وبالله لئن ارسلنا
ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا ليظلن من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم

بعدم

بعدم تثبتهم وبسبة تزلزلهم من حال الى الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال
ويلجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته
ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا نعمته فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا
ما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بما ذكر
لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو
كان فيهم احديهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى التكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته شيئا
من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء مفتوحة ورفع الصم وما
انت بهاد العمى عن ضلالتهم سموا عميا لما انهم فقدوا المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدي العمى
ان تسمع اى ما تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من يشارف الايمان
بها ويقبل عليها اقبالا لائقا فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق الله الذي خلقكم من ضعف مبتدأ وخبر اى
ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة
ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق الروح بابدانكم ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم
السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرأني
من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتأخر يخلق ما يشاء من الاشياء التي من
جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة
من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اى القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها
تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا اى في القبور او في الدنيا او فيما
بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم
وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اهي اربعون سنة
او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا
يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله
في علمه او قضائه او ما كتبه وعينه او في اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وايدوه
[illegible]
عليهم كل من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان اربع وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة لقمان

الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه فى نظايره الحكيم اى ذى الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بنعته تعالى او اصله الحكيم
منزله او قايله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن فى الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل
كما قالوا عقدت اللبن فهو عقيد اى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من الايات والعامل
فيهما معنى الاشارة وقرئا بالرفع على انهما خبران لاسم الاشارة او المبتدا محذوف للمحسنين اى العاملين للحسنات فان اريد بها
مشاهيرها المعهودة فى الدين فقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لما عملوها
من الحسنات على طريقة قوله الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص
لهذه الثلث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة
للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدا مما لا وجه له اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب
والناجون من كل مهروب بحيازتهم قطرى العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال فى مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن الناس
محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن فى قوله تعالى من يشترى لهو الحديث موصولة او موصوفة
محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذى يشترى او فريق يشترى على ان مناط الافادة والمقصود
بالاصالة هو اتصافهم بما فى حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول
آمنا بالله وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهى عما يعنى من المهمات كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير التى لا اعتداد
بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى
التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الاية فى النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا
ويقول ان كان محمد صلى الله عليه وسلم يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان
يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اى دينه الحق الموصل اليه تعالى او عن
قراءة كتابه الهادى اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اى ليثبت ويستمر على ضلاله او ليزداد فيه بغير علم اى بحال ما يشتريه او
بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث
وهو دين الاسلام او القرآن اى ويتخذها هزوا مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشترى وقوله تعالى اولئك
اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر
المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم فى الشرارة اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين لما
اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه واذا تتلى عليه اى على المشترى افرد الضمير فيه وفيما بعده
كالضمائر الثلثة الاول باعتبار لفظة من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها آياتنا التى هى آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة
للمحسنين ولى اعرض عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا فى التكبر كأن لم يسمعها حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا
والاصل كأنه فحذف ضمير الشان وخففت المثقلة اى مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها
لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال
كأنك لم تجزع على ابن طريف كأن فى اذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها اى مشبها حاله حال من فى اذنيه ثقل مانع من السماع
ويجوز ان يكونا استينافين وقرئ فى اذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب اليم اى فاعلمه بان العذاب المفرط فى الايلام لاحق
به لا محالة وذكر البشارة للتهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى اثر بيان الكافرين بها اى
الذين آمنوا بآياته تعالى وعملوا بموجبها لهم بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم جنات النعيم اى نعيم جنات فعكس للمبالغة
والجملة خبر ان والاحسن ان يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى خالدين فيها حال
من الضمير فى لهم او من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان
الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد
واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذى لا يغلبه شئ ليمنعه
من انجاز وعده او تحقيق وعيده الحكيم الذى لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد الخ استيناف
مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد
وتقريره وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اى يسند يقال عمدت الحائط
اذا دعمته اى بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ترونها استيناف جئ به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى
لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة لعمد اى خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد
لا ترى هى عمد القدرة والقى فى الارض رواسى بيان لصنعه البديع فى قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم فى قرار السموات
اى القى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام فى سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضى
تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشئ من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص وبث فيها

من

من كل دابة من كل نوع من انواعها وانزلنا من السماء ماء هو المطر فانبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف
كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة فى الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما هذا اى ما ذكر من السموات والارض وما تعلق
بهما من الامور المعدودة خلق الله اى مخلوقه فأرونى ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه فى العبادة حتى
استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأرونى تعلق به وقوله تعالى بل الظالمون
فى ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعى للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات
المعقولة الحقة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتأثروا من الالزام والتبكيت فينزجروا
عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم بإشراكهم واضعون للشئ فى غير موضعه ومتعدون عن الحد وظالمون لانفسهم
بتعريضها للعذاب الخالد ولقد آتينا لقمان الحكمة كلام مستانف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من اولاد آزر
ابن اخت ايوب عليه السلام او خالته وعاش حتى ادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه وقيل كان قاضيا
فى بنى اسرائيل والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية
واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد
الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه
السلام بحق ما سميت حكيما وان داود عليه السلام قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت فى يدى غيرى فتفكر داود
عليه السلام فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتى باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد
ايام امره بان يأتى باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا
خبثا ومعنى ان اشكر لله اى اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان ايتاء الحكمة فى معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر
الخ استيناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر اى ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته التى
هى ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها ومن كفر فان الله غنى عن كل شئ فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر
من كفر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه
تعالى مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه السلام الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده
فاثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعا واذ قال لقمان لابنه انعم وقيل اشكم وقيل ماثان وهو يعظه يا بنى تصغير اشفاق
وقرئ يا بنى باسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما
ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهى والانتهاء عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الخ كلام مستانف اعترض به على نهج
الاستطراد فى اثناء وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهى عن الشرك وقوله تعالى حملته حال من امه اى ذات وهن
او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اى تهن وهنا وقوله تعالى على وهن صفة للمصدر اى كائنا على وهن اى تضعف ضعفا
فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن
وهنا وفصاله فى عامين اى فطامه فى تمام عامين وهى مدة الرضاع عند الشافعى وعند ابى حنيفة رحمهما الله هى ثلثون
شهرا وقد بين وجهه فى موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لى ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية
فى حقها خاصة ولذلك قال عليه السلام لمن قال من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك
الى المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اى الى الرجوع لا الى غيرى فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر وان
جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به اى بشركته له تعالى فى استحقاق العبادة علم فلا تطعهما فى ذلك وصاحبهما فى الدنيا معروفا
اى صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه المروة واتبع سبيل من اناب الى بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة ثم الى مرجعكم
اى مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الى فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازى كلا منكم بما صدر عنه من
الخير والشر وقوله تعالى يا بنى الخ شروع فى حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما فى مطلعها من النهى عن الشرك وتأكيده
بالاعتراض انها ان تك مثقال حبة من خردل اى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل وقرئ
برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتانيث لاضافة المثقال الى الحبة كما فى قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم
او لان المراد الحسنة او السيئة فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض اى فتكن مع كونها فى اقصى غايات الصغر والقماءة فى
اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت فى العالم العلوى او السفلى يأت بها الله اى يحضرها ويحاسب عليها ان الله
لطيف يصل علمه الى كل خفى خبير بكنهه وبعد ما امر بالتوحيد الذى هو اول ما يجب على الانسان فى ضمن النهى عن الشرك
ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلوة التى هى اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث
الاعتقاد فقال مستميلا له يا بنى اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك
من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى الكل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار
اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الفضل من عزم الامور اى مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور

من القيس ... [illegible]

لمزيد مزيتها مصدرا اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اى جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس اى لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر موكد لفعل هو الحال اى تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي او موجبه وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اى توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشي يذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضي الله تعالى عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اى اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه واكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان ان حال صوت هذا الجنس من بين سائر الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا او معادا واما جعله منقادا للامر مذللا على ان معنى لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنه الغين او الخاء او القاف كما تقول سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول عليه السلام ولا كتاب منير انزل الله سبحانه بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اى لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا يريدون به عبادة الاصنام اولو كان الشيطان يدعوهم اى اباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اى يتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم بما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدي باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد وهو محسن اى في اعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في اخر سورة النحل فقد استمسك بالعروة الوثقى اى تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله لا الى احد غيره عاقبة الامور فيجازيه احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا ولا في الاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي وليس بمستفيض الينا مرجعهم لا الى غيرنا فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الاول باعتبار لفظها ان الله عليم بذات الصدور تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف به قل الحمد لله على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا بل اكثرهم لا يعلمون شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات وما في الارض فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن العالمين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اى لو ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده اى من بعد نفاده سبعة ابحر اى والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا

ومنها

ومنها ينصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى الا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي اذ لا يشغله شان عن شان لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الموجبة مع قدرته الذاتية حسبما يعرب عنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق اى الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اى يدخل كل واحد منهما في الاخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد في كل حين واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في اثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجري اى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن رحمه الله فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه السلام يجوز ان تكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم القيمة من جملة ما في حيز رؤيته عليه السلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين في الاخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الراس تزداد القوس التي هي فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ المدار الذي هو اقرب المدارات الى سمت الراس وذلك عند بلوغها الى راس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسي التي فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار نقصا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الراس وذلك عند بلوغها برج الجدي وقوله تعالى وان الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديري خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها ذلك اشارة الى ما تلي من الايات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اى بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد وان ما يدعون من دونه الباطل اى ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا وان الله هو العلي الكبير اي وبيان انه تعالى هو المترفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف الايات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اي بيان هذا وقيل ذلك اى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري تعالى به بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وانت خبير بان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل له في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه في سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا ان بطلانها يقتضيها الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجري او بمقدر هو حال من فاعله اى ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته اى بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور تعليل لما قبله اى ان فيما ذكر لايات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس والافاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قيل لكل مؤمن واذا غشيهم اى علاهم واحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه كفور مبالغ في كفران نعم الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده اى لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اى لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او هو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الاخرة

ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن اخلافه اصلا فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اى الشيطان
البالغ فى الغرور بان يحملكم على المعاصى بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روى
ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة وانى قد القيت حباتى فى الارض فمتى السما تمطر
وحمل امرأتى ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وينزل
الغيث فى ابانه الذى قدره والى محله الذى عينه فى علمه وقرئ ينزل من الانزال ويعلم ما فى الارحام من ذكر وانثى او تام او
ناقص وما تدرى نفس من النفوس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما يعزم على شئ منهما فيفعل خلافه وما تدرى نفس باى ارض
تموت كما لا تدرى فى اى وقت تموت روى ان ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال من
هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدنى فمر الريح ان تحملنى وتلقينى ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليه السلام كان
دوام نظرى اليه تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية
الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيله وبذل فى التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره
مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل فى كلتهن ان الله عليم مبالغ فى العلم
فلا يعزب عن علمه شئ من الاشياء التى من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة لقمان كان لقمان رفيقا له يوم القيمة واعطى من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة الجرز ثلثون اية • بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجرز

الم اما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت
سرها واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه
مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدأ محذوف اى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر
لالم اى المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب
اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين
وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى من رب العالمين متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اى كائنا منه تعالى لا بتنزيل
لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير فيه راجع الى
مضمون الجملة كانه قيل لا ريب فى ذلك اى فى كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى ام يقولون افتريه فان
قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفى الريب
عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جئ بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه
مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل بل هو الحق من ربك باضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام
بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه السلام ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان بيان غاية الشئ وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع
جليلة فى وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشئ ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهدى
بارسال الرسول وانزال الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه السلام اى ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من
قبل زمانك والترجى معتبر من جهته عليه السلام اى لتنذرهم راجيا لاهتدائهم ولرجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر
من التاييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ واما على سائر الوجوه فلا تاييد اصلا لان قوله تعالى من
رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود
الافادة لحكم اخر فتدبر الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه فيما سلف ما لكم
من دونه من ولى ولا شفيع اى ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من باسه اى ما لكم سواه ولى
ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم فى مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق
لكم ولى ولا نصير افلا تتذكرون اى الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او تسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار
على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثانى الى عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع يدبر الامر من السماء
الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة آثارها واحكامها الى الارض ثم يعرج اليه اى
يثبت فى علمه موجودا بالفعل فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اى فى برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول
امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها فى اللوح المحفوظ فتنزل
بها الملائكة ثم تعرج اليه فى زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل

يقضي

يقضى قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم
يعرج اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثم يعرج اليه خالصا
الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا يقتضى بطء عروجها
الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض
والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبره
ما بعده اى ذلك العظيم الشان عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم
على عباده وهما خبران اخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل فى جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذى احسن كل شئ
خلقه خبر اخر او نصب على المدح اى حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه
الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان
فى احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن اى يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق و
ايقان وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل وجه والضمير للمبدل منه اى حسن خلق كل شئ وقيل بدل الكل على
ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اى حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى
اى اعطى كل شئ خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شئ مفعوله الثانى والخلق
بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شئ مما يحتاجون اليه
وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شئ يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وبدأ
خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع تحار العقول فى فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة
عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب
استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم جعل نسله الخ اى ذريته سميت بذلك لانها تنسل و
تنفصل منه من سلالة من ماء مهين هو المنى الممتهن ثم سواه اى عدله بتكميل اعضائه فى الرحم وتصويرها على ما
ينبغى ونفخ فيه من روحه اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شانا له
مناسبة الى الحضرة الربوبية وان اقصى ما ينتهى اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذى يعبر عنه تارة
بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما فى قوله تعالى قل الروح من امر ربى وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة لجعل ابداعى واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرات من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اى خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها
فى انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها
بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الايات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبابصاركم
الايات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بافئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك
النعم بطريق الاعتراض التذييلى على ان القلة بمعنى النفى كما ينبئ عنه ما بعده اى شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون
وفى حكاية احوال الانسان من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب
المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه وقالوا كلام مستانف مسوق لبيان
اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم تلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم
لغيرهم بطريق المباثة ائذا ضللنا فى الارض اى صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن و
قرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة وهى الارض اى صرنا
من جنس الصلة قيل القائل ابى بن خلف ولرضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل فى اذا ما يدل عليه قوله
تعالى ائنا لفى خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتاكيده وقرئ انا على الخبر وايا
ما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا انكار التاكيد كما هو المتبادر من تقديم الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها فى الاعتبار
وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان
ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق وردا
على زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اى

يقبض ارواحكم لا يدع فيكم شيئا او لا يترك منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوع وافظعها من ضرب وجوهكم وادباركم الذي وكل بكم اي بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القائلون ائذا ضللنا في الارض الاية او جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي اقترفوها في الدنيا ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى انا موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سألوه من الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون باظهار مدلول ما اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل اي سمعنا سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية في ذلك الوقت او يقدر ما ينبئ عنه صلة اذ والمضي فيها وفي لو باعتبار ان الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا تختص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الخ اي ونقول لو شئنا اي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول مني اي سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الاية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلي بافعال العباد عند حدوثها لان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى ازلا بصرف اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريدت هي من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها وسقط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤون والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى بما نسيتم لقاء يومكم هذا للايذان بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا او وحق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها

في

في استيجاب العذاب وفي ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن بآياتنا استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا خروا سجدا اثر ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى المعاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اي سقطوا على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم اي ونزهوه عز وجل عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم وهم لا يستكبرون اي والحال انهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اي ترتفع وتتنحى عن المضاجع اي الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا انه قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء وهي صلوة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلوة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم اي داعين له تعالى على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه البر والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اي لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرآت اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اي أبعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت احواله لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه وآكده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وايا ما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة فمأواهم اي ملجأهم ومنزلهم النار مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى انه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به اي بعذاب النار تكذبون على الاستمرار في الدنيا ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين يشاهدونه وهم في الحيوة يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون

فكيف من هو اظلم من كل ظالم وأشد جرماً من كل مجرم ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية عبّر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عليه السلام فلا تكن فى مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذى هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحى فلا تكن فى شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى عليه السلام وعنه عليه السلام رايت ليلة اسرى بى موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعداً كانه من رجال شنوءة وجعلناه اى الكتاب الذى آتيناه موسى هدى لبنى اسرائيل قيل لم يتعبد بما فى التورية ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بقيتهم بما فى تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرايعه بامرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا هى لما التى فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتنى والضمير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هى ظرف بمعنى الحين اى جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد فى نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرى لما صبروا اى لصبرهم وكانوا بآياتنا التى فى تضاعيف الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذى آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل بينهم اى يقضى بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيمة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو للعطف على منوى يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطى فى ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اى اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم اولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرى نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضاً ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الخ استينافاً مبيناً لكيفية هدايته تعالى يمشون فى مساكنهم اى يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرى يمشّون للتكثير ان فى ذلك اى فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او فى مساكنهم لآيات عظيمة فى انفسها كثيرة فى عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اى التى جرز نباتها اى قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك الارض زرعاً تأكل منه اى من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرى يأكل بالياء وانفسهم كالحبوب التى يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اى الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء متى هذا الفتح اى النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين فى ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتاً لهم وتحقيقاً للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رحمهما الله يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغى ان يسال عنه لكونه امراً بيناً غنياً عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لا تستعجلوا فكانى بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما فى الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناساً آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قيل اى الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما فى قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظرون فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصى فى حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرى على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك اعطى من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب ثلث وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اتق الله فى ندائه عليه السلام بعنوان النبوة تنويه بشانه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فان له باباً واسعاً وعرضاً عريضاً لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اى المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اى فيما يعود بوهن فى الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روى ان اباسفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور السلمى قدموا عليه عليه السلام فى الموادعة التى كانت بينه عليه السلام وبينهم وقام معهم عبدالله بن ابى ومعتب

ابن قشير والجد بن قيس قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اى اتق الله فى نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليماً حكيماً مبالغاً فى العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما فيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهى مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع اى فى كل ما تأتى وتذر من امور الدين ما يوحى اليك من ربك من الآيات التى من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيراً قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له عليه السلام وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب واياً ما كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملون من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثواباً وعقاباً واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويأمرك بما ينبغى لك ان تعمله فى دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحى والعمل بمقتضاه حتماً وتوكل على الله اى فوض جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظاً موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه شروع فى القاء الوحى الذى امر عليه السلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيهاً على ان كون المظاهر منها اماً وكون الدعى ابناً اى بمنزلة الام والابن فى الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم فى الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين فى جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر او لجميل بن اسد الفهرى ذو القلبين اى ما جمع الله قلبين فى رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما فى قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ولا زوجية وامومة فى امرأة ولا دعوة وبنوة فى شخص لكن لا بمعنى نفى الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفى الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما فى القلب ولا بمعنى نفى الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفى الجمع بين احكام الدعوة واحكام البنوة على الاطلاق بل بمعنى نفى الجمع بين حقيقة الزوجية واحكام الامومة ونفى الجمع بين حقيقة الدعوة واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعى ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت على كظهر امى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقاً فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرى اللاء وقرى اللاى وقرى تظاهرون بحذف احدى التاءين من تتظاهرون وتظّاهرون بادغام التاء الثانية فى الظاء وتظهّرون من اظّهر بمعنى تظهّر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهوراً وادعياء جمع دعى وهو الذى يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص فعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقى واتقياء كانه شبه به فى اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء ذلكم اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والادعاء او الى الاخير الذى هو المقصود من مساق الكلام اى دعاؤكم بقولكم هذا ابنى قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة فى الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدى السبيل اى سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم اى انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقاً من القسط بمعنى العدل اى الدعاء لآبائهم بالغ فى العدل والصدق فى حكم الله تعالى وقضائه فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فهم اخوانكم فى الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اى فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية وليس عليكم جناح اى اثم فيما اخطأتم به اى فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اى ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهى وما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفوراً رحيماً لعفوه عن المخطئ وحكم التبنى بقوله هو ابنى اذا كان عبداً للقائل على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبنى ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم اى فى كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روى انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وهو اب لهم اى فى الدين فان كل نبى اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون

اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولو الارحام اي ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزله وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر من الايتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا عظيم الشان او موكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشانه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اي ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهودهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كانه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الاية يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اي جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكر على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب ابن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي والله لا احب ان اقتلك قال له علي رضي الله عنه لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان يعد اشهر ابطال الشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه فاقبل على علي فتنازلا وتجاولا فضربه علي رضي الله عنه ضربة فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه ابن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله ايضا علي رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسياتي تفصيلها في آخر القصة وجنودا لم تروها وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات النيران واكفات القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادي الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اي بما يعمله الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله اذ جاءوكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة الاف واذ زاغت الابصار عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله وتظنون بالله الظنونا لمن يظهر الايمان على الاطلاق اي

تظنون به تعالى انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الاية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي هنالك ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان الهائل والمكان الدحض ابتلي المؤمنون اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي واذ يقول المنافقون عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض اي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من اعلاء الدين والظفر الا غرورا اي وعد غرور وقيل قولا باطلا القائل معتب بن قشير واضرابه راضون به قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه يا اهل يثرب هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة او طابة كانهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها لا مقام لكم لا موضع اقامة لكم او لا اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اي لا قيام او لا موضع قيام لكم فارجعوا اي الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانهم من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين محمد عليه السلام فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتمكنكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله ويستاذن فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استاذنوه عليه السلام في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستاذن او حال من فاعله او استئناف مبني على السؤال عن كيفية الاستئذان ان بيوتنا عورة اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فاذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد جوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون ما يريدون بالاستئذان الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور من اقطارها اي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراده من اهل الدعارة والفساد ثم سئلوا من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان والطاعة لآتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لاتوها بالقصر اي لفعلوها وجاءوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي ما البثوها وما اخروها الا يسيرا ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا واما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة مع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه اثر ذي اثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فان بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل سيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من منافقي المدينة هلم الينا وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر او قرب ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال اي قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون عن العسكر متوجهون نحو المدينة ولا ياتون البأس اي الحرب والقتال الا قليلا اي اتيانا قليلا او زمانا او باسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم

معناه ولا يأتي أصحاب محمد حزب الأحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا أشحة عليكم اي بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله
او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون او من المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور
اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم اي
ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك او ينظرون كائنين كالذي الخ او تدور اعينهم
دورانا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كاعينه فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد و
قالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد او اللسان
وقرئ صلقوكم أشحة على الخير نصب على الحالية او الذم ويؤيده القراءة بالرفع اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء
لم يؤمنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم اي اظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا
لمنفعة دنيوية اصلا وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شيء عليه تعالى يسير لبيان ان
اعمالهم حقيقة بان يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون
ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى
البدو وحاصلون بين الاعراب وقرئ بُدًّى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يساءلون اي يتساءلون و
معناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد
تجرد عن معنى كون ما اسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظائره عن
انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد وهو في نفسه قدوة
يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله او لقاءه او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان
اليوم الآخر من ايام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه
وذكر الله اي وقرن الرجاء بذكر الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة الطاعة
وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما رأى المؤمنون الاحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشؤون
واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم قالوا هذا مشيرين الى ما شاهدوه من حيث
هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب او البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي
هو ما وعدنا الله ورسوله فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وقوله
عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام ان الاحزاب سائرون اليكم بعد
تسع ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله اي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله او صدقا في النصر
والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم اي ما رأوه الا ايمانا بالله تعالى وبمواعيده وتسليما لاوامره
ومقاديره من المؤمنين اي المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
من الثبات مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لاعلاء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا انهم اذا لقوا
حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد
ابن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ومعنى
صدقوا اتوا بالصدق من صدقني اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل
اليه كما في قولهم صدقني سن بكره اي في سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال
نكوا به نحو نبي الاعداء ان لم تحرني وقاتلوا المستغيث وحث وثوابه فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا
فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان شيئا من اعمال
البر ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على احد الوجهين المذكورين في
قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اي فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير
وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر
على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو
الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزام امر يلي ما سيأتي ومنهم اي وبعضهم او وبعض منهم من ينتظر اي قضاء نحبه
لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله عليهم اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا

بعضا

بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال
الى الموت شهيدا هذا ويجوز ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التي هي افعال اختيارية لهم
منزلة التزام نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح واما ما كان فنفي وصفهم بالانتظار المنبئ عن
الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان
فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها واخراج للنظم عن مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله فاعله اي
وما بدلوا عهدهم وما غيروه تبديلا اي تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه ومراعين لحقوقه على
احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق
الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان
المحتاج الى البيان حالهم وقد روي ان طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال
عليه السلام اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عليه السلام في رواية جابر رضي الله عنه من سره ان ينظر الى
شهيد يمشي على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضي الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض
وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين حكما ليجزي الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق
بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما في قوله تعالى ليسأل
الصادقين عن صدقهم كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا ويعذب
المنافقين بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ان شاء تعذيبهم او يتوب عليهم ان تابوا وقيل متعلق بما قبله
من نفي التبديل المنطوق واثباته المعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء
العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى
ولما رأى المؤمنون الاحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الآية فتأمل وبالله التوفيق ان الله كان غفورا
رحيما اي لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ورد الله الذين كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل
تتمة النعمة المشار اليها اجمالا في قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى
ليجزي الله كأنه قيل اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان
كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر
عن فريقي اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها
اليهم عند غاية احتياجهم اليها اي فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل
لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى بغيظهم حال من الموصول اي متلبسين به وكذا قوله تعالى لم ينالوا خيرا بتداخل
او تعاقب اي غير ظافرين بخير او الثانية بيان للاولى او استئناف وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من ارسال الريح والجنود وكان
الله قويا على احداث كل ما يريد عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب المردودة من اهل الكتاب وهم بنو
قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم
الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم واولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى فريقا تقتلون وتأسرون
فريقا من غير ان يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال اتنزع لامتك والملائكة ما
وضعوا السلاح ان الله يأمرك ان تسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصروهم
احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به
فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة
فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة وقرئ تأسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين
ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون
وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل واورثكم ارضهم وديارهم اي حصونهم واموالهم نقودهم واثاثهم
ومواشيهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال
عليه السلام انكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر قال عليه السلام لا انما جعلت هذه لي طعمة دون
الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤوها اي واورثكم في علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم
وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة وقيل خيبر وكان الله على كل شيء قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الاراضي
التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا اي السعة والتنعم فيها وزينتها
زخارفها فتعالين اي اقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن

بالجزم جوابا للامر وكذا واسرحكن اى اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستيناف
روى انهن سالنه عليه السلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة
ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان تفويض
الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار اولا فذهب الحسن رضى الله عنه وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض
الطلاق وانما كان تخييرا لهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن عليه الكلم لانه ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين
امتعكن واسرحكن وذهب آخرون الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا
اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهم اذا خير رجل امراته فاختارت زوجها لا يقع
شئ اصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعى وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابى ليلى
وسفيان رحمهم الله وروى عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلث
طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروى عن على رضى الله عنه انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان
اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه ايضا انها ان اختارت زوجها لا يقع شئ اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار
وقد روى عن عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على
التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة فى المطلقة التى لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند
العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهى درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل
من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اى تردن رسوله وذكر الله عز وجل
للايذان بجلالة محله عليه الكلم عنده تعالى والدار الاخرة اى نعيمها الذى لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله اعد
للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد
الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة فى تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع
على التسريح وفى وصف السراح بالجميل يا نساء النبى تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن
ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه الكلم لانها التى يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يات منكن بفاحشة مبينة بكبيرة
ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هى عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تات بالفوقانية يضاعف لها العذاب
ضعفين اى يعذبن ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة
عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول
ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن
نساء النبى صلى الله عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت منكن وقرئ بالتاء اى ومن يدم على الطاعة لله ورسوله
وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة
وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها فى الجنة زيادة على اجرها
المضاعف رزقا كريما مرضيا يا نساء النبى لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى مستويا فيه
المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة من النساء فى الفضل والشرف ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضى
رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس اى لا تجئن بقولكن خاضعا
لينا على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع الذى فى قلبه مرض اى فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى
على انه نهى لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب
وقلن قولا معروفا بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن فى بيوتكن
امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كما فى قولك ظلن ومن قار يقار
اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت وسكن واصله اوقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد او
من قر يقر حذفت احدى رائى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن اى لا تتبخترن فى مشيكن تبرج
الجاهلية الاولى اى تبرجا مثل تبرج النساء فى الجاهلية القديمة وهى ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم
السلام وقيل الزمان الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها
على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى
جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق فى الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابى الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر
او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة امرن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصل الطاعات البدنية
والمالية واطعن الله ورسوله اى فى كل ما تاتين به وتذرن عنه لا سيما فيما امرن به ونهين عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اى

الذنب

الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل
بطريق النداء والمدح اهل البيت مرادا بهم من حواهم بيت النبوة ويطهركم من اوضار الاوزار والمعاصى تطهيرا بليغا واستعارة
الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة على كون نساء النبى صلى الله عليه وسلم من اهل بيته
قاضية ببطلان راى الشيعة فى تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة رضى الله عنها وعلى وابنيه رضوان الله عليهم اجمعين واما
ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود وجلس فاتت فاطمة فادخلها
فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل
على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها فى مقابلة النص
واذكرن ما يتلى فى بيوتكن اى اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع
بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير
بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحى وما شاهدن من برحاء الوحى مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة
حثا على الانتهاء والايتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة فى البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحى
لعمومها لجميع الآيات ووقوعها فى كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين
التالى لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبى عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما وتعلما ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر
ما يصلح فى الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهى او يعلم من يصلح للنبوة ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين
والمسلمات اى الداخلين فى السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث والمومنين والمومنات المصدقين بما يجب ان
يصدق به من الفريقين والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات القائمين بها والصادقين والصادقات فى القول والعمل
والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصى والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين
والمتصدقات بما وجب فى مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغائر
لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على
الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روى ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله
الرجال فى القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروى انه لما نزل
فى نساء النبى عليه السلام ما نزل قال نساء المومنين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين
وهو ضرورى واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك فى قوله تعالى مسلمات
مومنات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة وما كان لمومن ولا مومنة اى
ما صح وما استقام لرجل ولا امراة من المومنين اذا قضى الله ورسوله امرا اى اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره
وللاشعار بان قضاءه عليه الكلم قضاء الله عز وجل لانه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هى واخوها عبد الله وقيل هو فى ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهبت
نفسها للنبى عليه الكلم فزوجها من زيد فسخطت هى واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده ان يكون لهم الخيرة من
امرهم اى ان يختاروا من امرهم ما شاؤا بل يجب عليهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه عليه الكلم واختيارهم تلوا لاختياره وجمع
الضميرين لعموم مومن ومومنة لوقوعهما فى سياق النفى وقيل الضمير الثانى للرسول عليه الكلم والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء
ومن يعص الله ورسوله فى امر من الامور ويعمل فيه برايه فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اى بين الانحراف عن سنن
الصواب واذ تقول اى واذكر وقت قولك للذى انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته وانعمت عليه
بالعتق بما وفقك الله له من فنون الاحسان التى من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة
حاله لما صدر عنه عليه السلام من اظهار خلاف ما فى ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما
مما لا يتصور فى حق زيد امسك عليك زوجك اى زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت فى نفسه
حالة جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك
ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتى فقال ما لك ارابك منها شئ
قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال امسك عليك زوجك واتق الله فى امرها فلا تطلقها اضرارا
وتعللا بتكبرها وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق
ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار
ما ينافى اضماره فان الاولى فى امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا بحيث لم يبق له فيها
حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لى فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها

والمراد الامر بتزوجها منه عليه السلام وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لساير نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه لكيلا يكون على المومنين حرج ضيق ومشقة في ازواج ادعيائهم اي في حق تزوجهن اذا قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه عليه السلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي ما يريد تكوينه من الامور او مامورا به الحاصل بكن مفعولا مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ما كان على النبي من حرج اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له ضيق فيما فرض الله له اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا موكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية وقوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما ياتون ويذرون لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تاخذهم في ذلك لومة لائم ولا يخشون احدا الا الله في وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه الصلوة والسلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له عليه السلام لا لهم ولكن رسول الله اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحيوتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه عليه السلام فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم النبيين اي كان اخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عليه السلام خاتم النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليه السلام لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد عليه السلام مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به بكرة واصيلا اي اول النهار واخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون ساير الاوقات بل لابانة فضلهما على ساير الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح به من بين الاذكار مع انه راجحه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم الخ استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يوجبه عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف على المستكن في يصلي لكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلوة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار الملائكة ودعاءهم للمومنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتبار يتبع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي اي يعتني بامورهم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى وكان بالمومنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المومنين الذين انتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان بكم رحيما على ان المومنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للاحكام الآجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتناء بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملائكة

بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى واعد لهم اجرا كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية لمناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين ساير آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وساير ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المومنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته وبساير ما يجب له من صفاته وافعاله باذنه اي بتيسيره اطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتاتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر المومنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر المومنين منهم بان لهم من الله فضلا كبيرا اي على مومني ساير الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اي لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشان فانه تعالى يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما حققته وقوبل الداعي اليه تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذا كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المومنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المومن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مومنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخرى غير مستحبة وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن اي مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد واياما كان فتقييد الاحلال له عليه السلام ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل والمتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له عليه السلام كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه السلام خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مومنة بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف اي احللناها لك ايضا ان وهبت نفسها للنبي اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته عليه السلام استنكاحها كما نطق به قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اي ان يتملك بضعها باي عبارة كانت بلا مهر فان ذلك جار منه عليه السلام مجرى

القبول وحيث لم يكن هٰهنا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او قبولا
واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عنده عليه السلام احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع
ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عليه السلام في الموضعين بعنوان
النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به عليه السلام حسب اختصاصها به كما ينطق به
قوله تعالى خالصة لك اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة او
خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى من دون المؤمنين على الاول ان الاحلال
المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان احلال الجميع على القيود
المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود وعلى الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف اي ذلك الخلوص لك وخصوص او هي اي تلك المراة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم
بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اي على المؤمنين في ازواجهم اي في حقهن
اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض
عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه السلام تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان يفرض
عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلى اي حد واي صفة يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على
ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها
من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه السلام لا باعتبار اختصاصه به عليه السلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول
لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك وسع الامر في مواضع
الحرج ترجي من تشاء منهن اي تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها
او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمز والمعنى واحد ومن ابتغيت اي طلبت ممن عزلت
طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك
ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا اطلق فاما ان تخلى المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجأ منهن سودة وجويرية
وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب
ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة
رضي الله عنهما وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك ادنى ان تقر
اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اي اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء
ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر
بضم التاء ونصب اعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تاكيد لهن والله يعلم
ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وما
تخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتاخيرها فانه امهال لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث
الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد اي من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال
ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن
بما تؤتيهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل اي تتبدل بحذف احدى التاءين بهن اي بهؤلاء التسع من ازواج
بان تطلق واحدة منها وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على ما
اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهو التسع اللاتي توفي عليه السلام عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة
بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة
بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك
النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي احللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات
او من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد
ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي ليس من الوظائف
البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج
لتوغله في التنكير وقيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو
اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه اي هي ممن اعجبه عليه السلام حسنهن
واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى
انا احللنا لك وترتيب النزول على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم حتى احل له النساء وقال انس رضي الله عنه مات عليه السلام على التحريم الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج
والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا
لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يجب مراعاته عليه
السلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم
ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع
موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المأول لا يقال آتيك ان يصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى الى
طعام متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى
غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند
من يجوزه او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين
وقرئ بالامالة لانه مصدر اني الطعام اي ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي على الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة
على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام
النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عليه السلام
باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا مستانسين لحديث اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع
له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستانسين الخ ان ذلكم اي الاستيناس الذي كنتم تفعلونه
من قبل كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي
منكم اي من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيى منه امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم
وما ذلك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة
وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته
عليه السلام متاعا اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن اي المتاع من وراء حجاب اي ستر روي ان عمر رضي الله عنه
قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم معه بعض اصحابه
فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم
الاستيناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية
وما كان لكم اي وما صح وما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اي تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتاذى به ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عليه السلام ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد كان عند الله عظيما اي امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره وفيه
من تعظيمه تعالى لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال
ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم
من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد
لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب
عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال
لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة
وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لما
انهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن
اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله في كل ما تاتين
وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ولا يتفاوت في علمه الاحوال ان الله و
ملائكته وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على راي
البصريين يصلون على النبي قيل الصلوة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون
له وعنه ايضا يصلون يبركون وقال ابو العالية صلوة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوتهم دعاؤهم له فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى
مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه
بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد ونحو
ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والاية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى
ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله عليه السلام من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار فابعده الله ويروى انه عليه السلام
قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر

عند مسلم ولا يصلي على الا قال فانك المكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال يجب في
كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه السلام كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال
بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شانه صلى الله عليه وسلم ان يصلي
عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه في الصلوة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلوة عندنا وعند ابراهيم النخعي رحمه الله ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتفون
عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا واما الصلوة على غيره الانبياء عليهم الصلوة
والسلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين
يؤذون الله ورسوله اريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التاذي في حقه تعالى وقيل في
ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام
شركاؤه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته وفي ايذاء الرسول عليه السلام هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون
وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه عليه السلام خاصة
بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عند الله تعالى وان ايذاءه عليه السلام ايذاء له سبحانه
لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا
يصيبهم في الآخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتاذون به من قول او فعل وتقييده بقوله تعالى بغير
ما اكتسبوا بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء
فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا
خير فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون الا
للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما ياتي
من اراجيف المرجفين يا ايها النبي بعدما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يامر بعض المتاذين منهم بما
يدفع ايذاء هم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن
الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله الى صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يتستر به اي
يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن
السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين ذلك اي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء والقينات
اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما
بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هاتيك الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء والذين
في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة من الفريقين عما هم عليه من نشر اخبار السوء
عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة ووصفت
به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك
ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه السلام اعظم ما يصيبهم فيها اي في المدينة
الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء وارد عليه
ايضا على راي من يجوزه كما مر وقوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية سنة وهي ان يقتل الذين
نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا اصلا لابتنائها على اساس
الحكمة التي يدور عليها فلك التشريع يسالك الناس عن الساعة اي عن وقت قيامها كان المشركون يسالونه عليه السلام عن ذلك
استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في التورية وسائر الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع
عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل له عليه السلام غير داخل تحت الامر مسوق لبيان انها
مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها اي لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي
شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم
او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال
الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا
نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في
النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم
يشوى في النار او يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة او من حال الى حال او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين ويقولون

تقلب بحذف احدى التائين من تتقلب وتقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص
الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان تكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى
يقولون استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما
فاتهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا نبتلى بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او هو العامل في يوم وقالوا
عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار اراد وابه
ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية
الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا
ربنا آتهم ضعفين من العذاب اي مثلي العذاب الذي آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما وقرئ كثيرا
وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار واستدعاء الاجابة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت
في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس فبراه الله مما قالوا اي فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا في حقه اي من مضمون
ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما فاظهر
الله تعالى نزاهته عليه السلام عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل
كما فسر في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى
راوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم
الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة
وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تاتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي
رسوله عليه السلام وقولوا في كل شان من الشؤون قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سد السهم نحو الرمية
اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم
يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن
يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا
يبلغ غايته انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها عظم شان طاعة الله ورسوله ببيان مآل

الخارجين عنها من العذاب الاليم ومآل الراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شان ما يوجبها من التكاليف
الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام
وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن
الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة
الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليها لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والترغيب في قبولها وعن عدم
استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة
فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة
والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشان بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت
ذات شعور وادراك لابين قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما
لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه وحملها الانسان اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده
او بتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبولها
لها بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا اعتراض وسط بين الحمل وغايته
للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب غالب افراده
الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى
الفريق الاول اشير بقوله عز وجل ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي حملها الانسان ليعذب الله
بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل
لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة
حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني
اشير بقوله تعالى ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله تعالى على هؤلاء من افراده اي يقبل
توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان
بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار

في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التي شانها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم شان الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين ياباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة وايتانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لامانتنا واتين بما امرناهن به كقوله تعالى اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يات بما امرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتامل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستيناف **وكان الله غفورا رحيما** مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبا اربع وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة سبا

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات كما مر في اية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله تعالى **وله الحمد في الآخرة** بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الاخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الاية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدينية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والاخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس **وهو الحكيم** الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما يقتضيه الحكمة **الخبير** ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى **يعلم ما يلج في الارض** الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها **وما يخرج منها** كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها **وما ينزل من السماء** كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد ونون العظمة **وما يعرج فيها** كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة **وهو الرحيم** للحامدين على ما ذكر من نعمه **الغفور** للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه **وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة** ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد **قل بلى** رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى **وربي لتاتينكم** تاكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم على تاويل الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى **عالم الغيب** الخ امداد للتاكيد وتشديد له اثر تشديد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان

ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة آكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيوب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح **لا يعزب عنه** اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاي **مثقال ذرة** مقدار اصغر نملة **في السموات ولا في الارض** اي كائنة فيهما **ولا اصغر من ذلك** اي من مثقال ذرة **ولا اكبر** اي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى **الا في كتاب مبين** هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لما ان الاستثناء يمنعه الا ان جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات** علة لقوله تعالى لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها **اولئك** اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة **لهم** بسبب ذلك **مغفرة** لما فرط منهم من بعض فرطات قل ما يخلو عنها البشر **ورزق كريم** لا تعب فيه ولا من عليه **والذين سعوا في آياتنا** بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها **معاجزين** اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده **اولئك لهم عذاب** الكلام فيه كالذي مر آنفا ومن في قوله **من رجز** للبيان قال قتادة رض الرجز سوء العذاب وقوله تعالى **اليم** بالرفع صفة عذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز **ويرى الذين اوتوا العلم** اي يعلم اولوا العلم من اصحاب رسول الله عليه السلام ومن شايعهم من علماء الامة او من آمن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما رضي الله عنهم **الذي انزل اليك من ربك** اي القرآن **هو الحق** بالنصب على انه مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى الخ مستانف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب عطفا على يجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا به على المكذبين ويجوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار اي ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما **ويهدي** عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تاويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك الحق وهاديا **الى صراط العزيز الحميد** الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستانف وقيل حال من الذي انزل على اضمار مبتدا اي وهو يهدي كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا **وقال الذين كفروا** هم كفار قريش مخاطبا بعضهم لبعض **هل ندلكم على رجل** يعنون به النبي عليه السلام وانما قصدوا به الطنز والسخرية قاتلهم الله تعالى **ينبئكم** اي يحدثكم بعجيب عجاب وقرئ ينبئكم من الانباء **اذا مزقتم كل ممزق** اي اذا متم وفرقت اجسادكم كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا **انكم لفي خلق جديد** اي مستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون او تخلقون خلقا جديدا للاشباع في الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لما ان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد نحو قل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع **افترى على الله كذبا** فيما قاله **ام به جنة** اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدلال بهذا الترديد على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء اخص من الكذب **بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد** جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا في حقه عليه السلام كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوءهم ويفت اعضادهم والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كانه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعيد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجترؤا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى **افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض** استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عليه السلام وانه من العظائم الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث وتاخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى **ان نشا** الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به اي افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشا جريا على موجب

جنا یا تهم نخسف بهم الارض کما خسفنا ها بقارون او نسقط علیهم کسفا ای قطعا من السماء کما اسقطناها علی اصحاب الایکة
لاستیجابهم ذلك بما ارتکبوه من الجرائم وقیل هو تذکیر بما یعاینون مما یدل علی کمال قدرته وما یحتمل فیه ازاحة لاستحالتهم
البعث حتی جعلوه افتراء وهذوا وتهدید علیها والمعنی اعموا فلم ینظروا الی ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم یتفکروا
اهم اشد خلقا ام هی وان نشا نخسف بهم الارض او نسقط علیهم کسفا لتکذیبهم بالایات بعد ظهور البینات فتامل و
کن علی الحق المبین وقری یخسف ویسقط بالیاء لقوله تع افتری علی الله کذبا وکسفا بسکون السین ان فی ذلك ای فیما ذکر من
السماء والارض من حیث احاطتهما بالناظر من جمیع الجوانب او فیما تلی من الوحی الناطق بما ذکر لایة واعتبرة لکل عبد منیب راجع
الی ربه فانه اذا تامل فیهما او فی الوحی المذکور ینزجر عن تعاطی القبائح وینیب الیه تع وفیه حث بلیغ علی التوبة والانابة
وقد اکد ذلك بقوله تع ولقد آتینا داود منا فضلا ای آتیناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا علی سائر الانبیاء علیهم السلام ای نوع
من الفضل وهو ما ذکر بعد فانه معجزة خاصة به علیه السلام او علی سائر الناس فیندرج فیه النبوة والکتاب والملك والصوت
الحسن فتنکیره للتفخیم ومنا لتاکید فخامته الذاتیه بفخامته الاضافیه کما فی قوله تع وآتیناه من لدنا علما وتقدیمه علی المفعول
الصریح للاهتمام بالمقدم والتشویق الی المؤخر فان ما حقه التقدیم اذا اخر تبقی النفس مترقبة له فاذا ورد لها تمکن عندها
فضل تمکن یا جبال اوبی معه من التاویب ای رجعی معه التسبیح او التوجه علی الذنب وذلك اما بان یخلق الله تع فیها صوتا مثل
صوته کما خلق الکلام فی الشجرة او بان یتمثل له ذلك وقری اوبی من الاوب ای رجعی معه فی التسبیح کلما رجع فیه وکان کلما سبح
علیه السلام یسمع من الجبال ما یسمع من المسبح معجزة له علیه السلام وقیل کان ینوح علی ذنبه بترجیع وتحزین وکانت الجبال تسعده
علی نوحه باصدائها والطیر باصواتها وهو بدل من آتینا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطیر بالنصب عطفا علی فضلا
بمعنی وسخرنا له الطیر لان ایتاءها ایاه تسخیرها له فلا حاجة الی اضماره کما نقل عن الکسائی ولا الی تقدیر مضاف ای تسبیح
الطیر کما نقل عنه فی روایة وقیل عطفا علی محل الجبال وفیه من التکلف لفظا ومعنی ما لا یخفی وقری بالرفع عطفا علی لفظها
تشبیها للحرکة البنائیة العارضة بالحرکة الاعرابیة وقد جوز انتصابه علی انه مفعول معه والاول هو الوجه وفی تنزیل الجبال و
الطیر منزلة العقلاء المطیعین لامر الله تع المذعنین لحکمه المشعر بانه ما من حیوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشیئته
غیر ممتنع علی ارادته من الفخامة المعربة عن غایة عظمة شانه تع وکمال کبریاء سلطانه ما لا یخفی علی اولی الالباب والنا له الحدید
ای جعلناه لینا فی نفسه کالشمع یصرفه فی یده کیف یشاء من غیر احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الی قوته التی
آتیناها ایاه لینا کالشمع بالنسبة الی سائر القوی البشریة ان اعمل امرناه ان اعمل علی ان ان مصدریة حذف عنها الباء
وفی حملها علی المفسرة تکلف لا یخفی سابغات واسعات وقری صابغات وهی الدروع الواسعة الضافیة وهو علیه السلام
اول من اتخذها وکانت قبل صفائح قالوا کان علیه السلام حین ملك علی بنی اسرائیل یخرج متنکرا فیسال الناس ما تقولون فی
داود فیثنون علیه فقیض الله تع له ملکا فی صورة آدمی فساله علی عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فیه فریع داود فساله عنها
فقال لولا انه یطعم عیاله من بیت المال فعند ذلك سال ربه ان یسبب له ما یستغنی به عن بیت المال فعلمه تع صنعة الدروع
وقیل کان یبیع الدرع باربعة آلاف فینفق منها علی نفسه وعیاله ویتصدق علی الفقراء وقدر فی السرد السرد نسج الدروع ای اقتصد
فی نسجها بحیث تتناسب حلقها وقیل قدر مسامیرها فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه علیه السلام لم تکن مسمرة
کما ینبئ عنه الانة الحدید وقیل معنی قدر فی السرد لا تصرف جمیع اوقاتك الیه بل مقدار ما یحصل به القوت واما الباقی فاصرفه
الی العبادة وهو الانسب بقوله تع واعملوا صالحا عمم الخطاب حسب عموم التکلیف له علیه السلام ولاهله انی بما
تعملون بصیر تعلیل للامر او لوجوب الامتثال به ولسلیمان الریح ای وسخرنا له الریح وقری برفع الریح ای ولسلیمان الریح
مسخرة وقری الریاح غدوها شهر ورواحها شهر ای جریها بالغداة مسیرة شهر وجریها بالعشی کذلك والجملة اما مستانفة
او حال من الریح وقری غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله کان یغدو من دمشق فیقیل باصطخر ثم یروح فیکون رواحه
بکابل وقیل کان یتغدی بالری ویتعشی بسمرقند ویحکی ان بعضهم رای مکتوبا فی منزل بناحیة دجلة کتبه بعض اصحاب سلیمان
نحن نزلناه وما بنیناه ومبنیا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تع واسلنا
له عین القطر ای النحاس المذاب اساله من معدنه کما الان الحدید لداود علیه السلام فنبع منه نبوع الماء من الینبوع و
لذلك سمی عینا وکان ذلك بالیمن وقیل کان یسیل فی الشهر ثلاثة ایام وقوله تع ومن الجن من یعمل بین یدیه اما جملة من مبتدا وخبر
او من یعمل عطفا علی الریح ومن الجن حال مقدم باذن ربه بامره تع کما ینبئ عنه قوله تع ومن یزغ منهم عن امرنا ای ومن یعدل منهم
عما امرناه به من طاعة سلیمان وقری یزغ علی البناء للمفعول من ازاغه نذقه من عذاب السعیر ای عذاب النار فی الآخرة وعن
السدی رحمه الله انه کان معه ملك بیده سوط من نار کلما استعصی علیه ضربه من حیث لا یراه الجنی یعملون له ما یشاء
تفصیل لما ذکر من عملهم وقوله تع من محاریب الخ بیان لما یشاء ای من قصور حصینة ومساکن شریفة سمیت بذلك لانها
یذب عنها ویحارب علیها وقیل هی المساجد وتماثیل وصور الملائکة والانبیاء علیهم السلام علی ما اعتادوه فانها کانت تعمل
فی المساجد لیراها الناس ویعبدوا مثل عبادتهم وحرمة التصاویر شرع جدید روی انهم عملوا اسدین فی اسفل

کرسیه ونسرین فوقه فاذا اراد ان یصعد بسط الاسدان له ذراعیهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان جمع
جفنة وهی الصحفة کالجواب کالحیاض الکبار جمع جابیة من الجبایة لاجتماع الماء فیها وهی من الصفات الغالبة کالدابة وقری
باثبات الیاء قیل کان یقعد علی الجفنة الف رجل وقدور راسیات ثابتات علی الاثافی لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شکرا
حکایة لما قیل لهم وشکرا نصب علی انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شکر له او لفعله المحذوف ای اشکروا شکرا او حال و[illegible]
[illegible] فی حکمه ای شاکرین او مفعول به ای اعملوا شکرا وقلیل من عبادی الشکور ای المتوفر علی اداء الشکر بقلبه ولسانه وجوارحه
اکثر اوقاته ومع ذلك لا یوفی حقه لان التوفیق للشکر نعمة تستدعی شکرا آخر الی ما لا نهایة له ولذلك قیل الشکور من یری عجزه عن الشکر
ویروی انه علیه السلام جزأ ساعات اللیل والنهار علی اهله فلم تکن تاتی ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم یصلی فلما
قضینا علیه الموت ای علی سلیمان علیه السلام ما دلهم ای الجن او آله علی موته الا دابة الارض ای الارضة اضیفت الی فعلها وقری
بفتح الراء وهو تاثر الخشبة من فعلها یقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اکلت القوادح اسنانه اکلا فاکلت
اکلا تاکل منساته ای عصاه من نسات البعیر اذا طردته لانها یطرد بها ما یطرد وقری منساته بالف ساکنة بدلا من الهمزة وبهمزة
ساکنة وباخراجها بین بین عند الوقف ومنساته علی مفعالة کمیضاة فی میضاة ومن ساته ای من طرف عصاه من ساة القوس
وفیه لغتان کما فی قحة بالکسر والفتح وقری اکلت منساته فلما خر تبینت الجن من تبینت الشیء اذا علمته بعد التباسه علیك ای
علمت الجن علما بینا بعد الالتباس الامر علیهم ان لو کانوا یعلمون الغیب ما لبثوا فی العذاب المهین ای انهم لو کانوا یعلمون الغیب کما یزعمون
لعلموا موته علیه السلام حینما وقع فلم یلبثوا بعده حولا فی تسخیره الی ان خر او من تبین الشیء اذا ظهر وتجلی ای ظهرت الجن وان مع ما
فی حیزها بدل اشتمال من الجن ای ظهر ان الجن لو کانوا یعلمون الغیب الخ وقری تبینت الجن علی البناء للمفعول علی ان المبین فی الحقیقة
هو ان مع ما فی صلتها لانه بدل وقری تبینت الانس والضمیر فی کانوا للجن فی قوله تع ومن الجن من یعمل بین یدیه باذن ربه وفی قراءة
ابن مسعود رضی الله عنه تبینت الانس ان الجن لو کانوا یعلمون الغیب روی ان داود اسس بنیان بیت المقدس فی موضع فسطاط
موسی فتوفی قبل تمامه فوصی به الی سلیمان علیه السلام فاستعمل فیه الجن والشیاطین فباشروه حتی اذا حان اجله وعلم به سال
ربه ان یعمی علیهم موته حتی یفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغیب فدعاهم فبنوا علیه صرحا من قواریر لیس له باب فقام یصلی متکئا
علی عصاه فقبض روحه وهو متکئ علیها فبقی کذلك وهم فیما امروا به من الاعمال حتی اکلت الارضة عصاه فخر میتا وکانت الشیاطین
تجتمع حول محرابه اینما صلی فلم یکن ینظر الیه شیطان فی صلوته الا احترق فمر به یوما شیطان فنظر فاذا سلیمان علیه السلام قد
خر میتا فخبروا عنه فاذا عصاه قد اکلتها الارضة فارادوا ان یعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة علی العصا فاکلت منها فی یوم
ولیلة مقدارا فحسبوا علی ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وکان عمره علیه السلام ثلاثا وخمسین سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة
سنة وبقی فی ملکه اربعین سنة وابتدا بناء بیت المقدس لاربع مضین من ملکه لقد کان لسبا شروع فی بیان لاخبار بعض الکافرین
بنعم الله تع اثر بیان احوال الشاکرین لها ای لاولاد سبا بن یشجب بن یعرب بن قحطان وقری بمنع الصرف علی انه اسم القبیلة
وقری بقلب الهمزة الفا ولعله اخراج لها بین بین فی مسکنهم وقری بکسر الکاف کالمسجد وقری بلفظ الجمع ای مواضع سکناهم وهی
بالیمن یقال لها مارب بینها وبین صنعاء مسیرة ثلث لیال آیة دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة علی وجود الصانع
المختار القادر علی کل ما یشاء من الامور البدیعة المجازی للمحسن والمسیء معاضدة للبرهان السابق کما فی قصتی داود وسلیمان
علیهما السلام جنتان بدل من آیة او خبر لمبتدا محذوف ای هی جنتان وفیه معنی المدح ویؤیده قراءة النصب علی المدح والمراد
بهما جماعتان من البساتین عن یمین وشمال جماعة عن یمین بلدهم وجماعة عن شماله کل واحدة من تینك الجماعتین فی تقاربهما و
تضامهما کانها جنة واحدة او بستانا کل رجل منهم عن یمین مسکنه وعن شماله کلوا من رزق ربکم واشکروا له حکایة لما قیل لهم علی لسان
نبیهم تکمیلا للنعمة وتذکیرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بیان لکونهم احقاء بان یقال لهم ذلك بلدة طیبة ورب غفور
استئناف مبین لما یوجب الشکر المامور به ای بلدتکم طیبة وربکم الذی رزقکم ما فیها من الطیبات وطلب منکم الشکر رب
غفور لفرطات من یشکره وقری الکل بالنصب علی المدح قیل کان اطیب البلاد هواء واخصبها وکانت المراة تخرج وعلی راسها المکتل
تعمل بیدیها وتسیر فیما بین الاشجار فیمتلئ المکتل بما یتساقط فیه من الثمار ولم یکن فیها من موذیات الهوام شیء فاعرضوا عن الشکر
بعد اتیان الآیات الداعیة لهم الیه قیل ارسل الیهم ثلاثة عشر نبیا فدعوهم الی الله تع وذکروهم نعمه وانذروهم عقابه فکذبوهم
فارسلنا علیهم سیل العرم ای سیل الامر العرم ای الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشدید
وقیل العرم جمع عرمة وهی الحجارة المرکومة وقیل هو السکر الذی یحبس الماء وقیل هو اسم المسناة التی یجعل سدا وقیل هو البناء الرصین
الذی بنته الملکة بلقیس بین الجبلین بالصخر والقار وحقنت به ماء العیون والامطار وترکت فیه خروقا علی ما یحتاجون الیه فی
سقیهم وقیل العرم الجرذ الذی نقب علیهم ذلك السد وهو الفار الاعمی الذی یقال له الخلد سلطه الله تع علی سدهم فنقبه فغرق
بلادهم وقیل العرم اسم الوادی وقری العرم بسکون الراء قالوا کان ذلك فی الفترة التی کانت بین عیسی ونبینا علیهما السلام وبدلناهم
بجنتیهم ای اذهبنا جنتیهم وآتینا بدلهما جنتین ذواتی اکل خمط ای ثمر بشع فان الخمط کل نبت اخذ طعما من مرارة حتی لا یمکن اکله و
قیل هو الحامض والمر من کل شیء وقیل هو ثمر شجرة یقال لها فسوة الضبع علی صورة الخشخاش لا ینتفع بها وقیل هو الاراك وکل شجر ذی شوك

والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرى اكل خمط بالاضافة وبتخفيف اكل واثل وشىء من سدر
قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرى اثلا وشيا عطفا على جنتين
وتقليل السدر لقلة ما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس فى البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف
يوكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمر عفصه لا توكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد ههنا هو الثانى
وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك اشارة الى مصدر
قوله تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته فى الفظاعة ومحله على الاول النصب
على انه مصدر موكد للفعل المذكور وعلى الثانى النصب على انه مفعول ثان له اى ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء اخر او ذلك
التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل
وهل يجازى الا الكفور اى وما يجازى هذا الجزاء الا المبالغ فى الكفران او الكفر وقرى يجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل و
هل نجازى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان لما اوتوا من النعم الحاضرة فى مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم
بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما فى التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو
عطف على كان لسبا لا على ما بعده من الجمل الناطقة بافعالهم او باجزيتها اى وجعلنا مع ما اتيناهم فى مساكنهم من فنون النعم
بينهم اى بين بلادهم وبين القرى الشامية التى باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة
لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اى جعلناها فى نسبة
بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادى من قرية يقيل فى اخرى والرائح منها يبيت فى اخرى الى
ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرها فى الحضر والسفر سيروا فيها على ارادة القول اى وقلنا
لهم سيروا فى تلك القرى ليالى واياما اى متى شئتم من الليالى والايام امنين من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف
الاوقات او سيروا فيها امنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالى واياما كثيرة او سيروا فيها ليالى اعماركم واياميها
لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه المذكور
منزلة امرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرى يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد و
التعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنا جنانا ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسألوا
الله ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله
لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيه داع ولا مجيب وقرى بعد وربنا بعد بين اسفارنا وكر
وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرى ربنا باعد بين
اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها وسهولة
سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاجون على الله تعالى ويتحازنون عليه وظلموا انفسهم
حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة او غمطوها فجعلناهم احاديث اى جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين
من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومالهم ومزقناهم كل ممزق اى فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان تفريق
على انه اسم مكان وفى عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التاثير والايلام ما لا يخفى اى
مزقناهم تمزيقا لا غاية وراءه بحيث يضرب به الامثال فى كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام
بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبى عن ابى صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبا وبينهما اثنا عشر ابا وهو
الذى يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مارب وتفريق سيل العرم الجنتين وعن ابى زيد الانصارى
ان عمرا راى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف
من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى اسمعيل وغيرهم فارسل اليهم
ثعلبة بن عمرو بن عامر يسالهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه
ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلاثة ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه
وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد و
كندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت
غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحى فولى امر مكة وحجابة الكعبة ثم
جاءهم اولاد اسمعيل عليه السلام فسالوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم فى ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان فروة بن
مسيك القطيعى سال النبى صلى الله عليه وسلم عن سبا فقال عليه السلام هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن
وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة
وغسان ولما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدى سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر

وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها

مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة
والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم
غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية
وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم
ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله اعلم ان فى ذلك اى فيما ذكر من قصتهم لايات عظيمة لكل صبار شكور
اى شانه الصبر عن الشهوات ودواعى الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون
بها ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وقرى بالتخفيف اى صدق فى ظنه او صدق يظن ظنه
ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرى بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجد ظنه صادقا و
مع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيله اغواهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم
فى الشهوات او ببنى ادم حين شاهد ادم عليه السلام قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما وقيل ظن
ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اى اهل سبا
او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من
فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان اى تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى
الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اى وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق
علمنا بمن يؤمن بالاخرة متميزا ممن هو فى شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر
ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شىء حفيظ اى محافظ عليه فان فعيلا
ومفاعلا صيغتان متاخيتان قل اى للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم ادعوا الذين زعمتم اى زعمتموهم الهة وهما
مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفته اعنى قوله تعالى من دون الله مقامه ولا
سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع
او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة
من خير وشر ونفع وضر فى السموات ولا فى الارض اى فى امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان الهتهم بعضها سماوية
كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان
حالهم وما لهم اى لالهتهم فيهما من شرك اى شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اى لله تعالى منهم من الهتهم من ظهير يعينه
فى تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده اى لا توجد راسا كما فى قوله ولا ترى الضب بها ينجحر كقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا
باذنه وانما علق النفى بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفى ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اى لا تنفع الشفاعة فى حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له فى الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستاهلين لمقام
الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن فى الشفاعة
لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستاهلين
لها فى حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اى لاجله وفى شانه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم
اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم فى شفاعتهم بل فى شفاعة غيرهم فعلى هذا ثبت حرمانهم عن شفاعة
هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من
جهة العجزة عنها اولى وقرى اذن له مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم
من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار
والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستيذان المستدعى للترقب و
الانتظار للجواب كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون فى موقف الاستيذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا
حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتى وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اى المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون
بامره ماذا قال ربكم اى فى شان الاذن قالوا اى الشفعاء لانهم المباشرون للاستيذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل
بالشفاعة الحق اى قال ربنا القول الحق وهو الاذن فى الشفاعة للمستحقين لها وقرى الحق مرفوعا اى ما قاله الحق وهو العلى الكبير
من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس
لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرى فزع مخففا بمعنى فزع وقرى فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرى فرغ بالراء
المهملة والغين المعجمة اى نفى الوجل عنها وافنى من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شىء وهو من الاسناد المجازى لان الفراغ وهو الخلو حال
ظرفه عند نفاده فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن بتخفيف الراء واصله فرغ الوجل عنها اى انتفى عنها وفنى ثم حذف الفاعل

واسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال المفزع وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض
امر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان الهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرزاق هو الله تع فانهم لا ينكرونه
كما ينطق به قوله تع قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار فيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا فى الجواب
مخافة الالزام قيل له عليه السلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين اى وان احد الفريقين
من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتيه ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به فى العبادة الجماد النازل فى ادنى
المراتب الامكانيه لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى
ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا او اياكم اما على هدى او فى
ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادى كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كانه منغمس فى ظلام
لا يرى شيئا او محبوس فى مطموره لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون وهذا ابلغ فى الانصاف و
ابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع
ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمه عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اى يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال
كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنه والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل فى القضايا المتعلقه العليم بما ينبغى ان يقضى به قل
ارونى الذين الحقتم اى الحقتموهم به شركاء اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمراى منه عليه السلام اظهار خطائهم العظيم
واطلاعهم على بطلان رايهم اى ارونيها لانظر باى صفه الحقتموها بالله الذى ليس كمثله شئ فى استحقاق العبادة وفيه مزيد
تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسه بل هو الله العزيز الحكيم اى الموصوف بالغلبة
القاهره والحكمة الباهره فاين شركاؤكم التى هى اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العاليه والضمير اما لله عز وعلا او للشان
كما فى قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة اى الا رساله عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا
لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغه ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا
ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغى والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى
هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تع يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين
مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به قل لكم ميعاد يوم اى وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ
ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعنى للتعظيم لا تستاخرون عنه عند مفاجاته ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفى
هذا الجواب من المبالغة فى التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستيخار فى الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه
مرارا ويجوز ان يكون نفى الاستيخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجاة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال
الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذى بين يديه اى من الكتب القديمه الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه القيمه
ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اى فى موقف الحساب يرجع بعضهم الى بعض القول اى يتحاورون و
يتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع الخ اى يقول الاتباع للذين استكبروا فى الدنيا واستتبعوهم فى الغى
والضلال لولا انتم اى لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا
للذين استضعفوا استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا فى الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم
راسخين فى الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار اى بل صدنا مكركم
بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى وقرئ
بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اى بل صدنا مكركم فى الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم
على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اى تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعليه اى بل
صدنا مكركم الاغواء فى الليل والنهار على اسلوب الاتساع فى الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدريه اى بل تكرون
الاغواء مكر الليل والنهار اى مكرا دائما وقوله تع اذ تامروننا ظرف للمكر اى بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل
له اندادا على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما فى قوله تع يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان
الجعلين المذكورين نعمة من الله تع واى نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك
واسروا الندامة لما راوا العذاب اى اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الاخر مخافة التعيير او
اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا اى فى اعناقهم والاظهار فى موضع الاضمار للتنويه
بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا يجزون الاجزاء ما كانوا يعملونه او الا بما كانوا يعملونه من
الجرائم وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى

به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك
على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال
مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة فى حقه عليه السلام وكادوه بنحو ما كادوه به عليه السلام وقاسوا امور الاخرة الموهومه
او المفروضه عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تع لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تع
لما حرمهم اياها وعلى ذلك الراى الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب الاخروى
راسا او على اعتقاد انه تع اكرمهم فى الدنيا فلا يهينهم فى الاخرة على تقدير وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ
وتحقيقا للحق الذى عليه يدور امر التكوين ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسط له ويقدر على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان
يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصى ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما
يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم البالغه فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعقاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ يقدر بالتشديد ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامه ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما
يكون بطريق الاستدراج والثانى بطريق الابتلاء ورفع الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى كلام مستانف
من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغه فى تحقيق الحق وتقرير ما سبق اى وما جماعة اموالكم واولادكم
بالجماعة التى تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاءه وغير عقلائه سواء فى حكم التانيث او بالخصلة التى تقربكم وقرئ بالذى اى بالشئ
الذى الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اى وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى انفق امواله
فى سبيل الله تع وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اى الا اموال
من الخ فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل اى فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اى ثابت
لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تاكيد لتكرر الاسناد او ثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور
خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعليه واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا
الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف جزاء
وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء بما عملوا من الصالحات وهم فى الغرفات
اى غرفات الجنة امنون من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ فى الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون فى اياتنا
بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا اولئك فى العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا
قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده اى يوسعه عليه تارة ويقدر له اى يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر
وانفقوا فى سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تع وما انفقتم من شئ فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما اجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسطة
فى ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا اى المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم
ظرف لمضمر متاخر سياتى تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا
لهم على نهج قوله تع ءانت قلت للناس اتخذونى الخ واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغه من شفاعتهم وتخصيص الملائكة
لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدا الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم
عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية
سؤال الملئكة كانه قيل فماذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول الى صيغة
الماضى للدلالة على التحقق اى انت الذى نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم
ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله سبحانه
وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملئكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها
اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الاشهاد اظهارا لعجزهم و
قصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكليه والفاء ليس لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه
محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغه فيما هو المقصود الذى هو
بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه فى سلك عدم نفع العبدة لهم كان نفع الملائكة لعبدتهم فى الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم
والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد
دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل
ونقول للذين ظلموا عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيمة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكى وهذا

حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اى يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون تكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تع واذا تتلى عليهم اياتنا بينات بيان لبعض اخر من كفرياتهم اى اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم اياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستدعيه من غير ان يكون هناك دين الهى واضافة الاباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة فى تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون القران الكريم الا افك اى كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له فى الواقع مفترى باسناده الى الله تع وقال الذين كفروا للحق اى لامر النبوة او الاسلام او القران على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثانى نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تامل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك كما فى قوله تع ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تع ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرى يدرسونها ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرائهم ثم هددهم بقوله تع وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم اى ما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما اتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلى عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تع كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ بطريق التفصيل فكيف كان نكير اى انكارى لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من ذلك قل انما اعظكم بواحدة اى ما ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هى ما دل عليه قوله تع ان تقوموا لله على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدا محذوف اى هى ان تقوموا من مجلس رسول الله عليه السلام او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تع معرضا عن المماراة والتقليد مثنى وفرادى اى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفى تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمئنان ثم تتفكروا فى امره عليه السلام وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته وقوله تع ما بصاحبكم من جنة استيناف مسوق من جهته تع للتنبيه على طريقة النظر والتامل بان مثل هذا الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والاخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالى بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه فى دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا اى شئ به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد هو عذاب الاخرة فانه عليه السلام مبعوث فى نسم الساعة قل ما سالتكم من اجر اى اى شئ سالتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفى السؤال راسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتنى شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سالهم بقوله تع ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تع لا اسالكم عليه اجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل اليه منفعتهم الكبرى وقرباه عليه السلام قرباهم ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرى ان اجرى بسكون الياء قل ان ربى يقذف بالحق اى يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به فى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن فى يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدا محذوف وقرى بالنصب صفة لربى او مقدرا باعنى وقرى بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غايب قل جاء الحق اى الاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد اى زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا ماخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا فى الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدى ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها قل ان ضللت عن الطريق الحق فانما اضل على نفسى فان وبال ضلالى عليها لانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تع وان اهتديت فبما يوحى الى ربى لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرى ربى بفتح الياء انه سميع قريب يعلم قول كل من المهتدى والضال وفعله وان بالغ فى اخفائهما ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف اى لرايت امرا هائلا فلا فوت فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرى واخذ بالعطف على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا امنا به اى بمحمد عليه السلام وقد مر ذكره فى قوله تع ما بصاحبكم

وانى لهم التناوش التناول السهل اى ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه فى حيز التكليف وهم منه بمعزل من بعيد وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرى بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من ناشت الشئ اذا طلبته وعن ابى عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم تناشت اذا ابطات وتاخرت ومنه قول من قال تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى وقد حدثت بعد الامور امور وقد كفروا به اى بمحمد عليه السلام او بالعذاب الشديد الذى انذرهم اياه من قبل من قبل ذلك فى اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى حق الرسول عليه السلام من المطاعن او فى العذاب المذكور من بت القول بنفيه من مكان بعيد من جهة بعيدة من حاله عليه السلام حيث ينسبونه الى الشعر والسحر والكذب وان ابعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وابعد شئ من عادته المعروفة فيما بين الدانى والقاصى الكذب ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم فى لحوقه وقرى ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرى باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل اى باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا فى شك مريب اى موقع فى الريبة او ذى ريبة والاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثانى من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله اعلم عن النبى عليه السلام من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضى فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل فى المشتق جاعل الملائكة رسلا الكلام فى اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله اولى اجنحة منصوب به على الوجه الثانى من الاضافة بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند الكسائى واما عند البصريين فبمضمر يدل عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافى اسم الفاعل المتعدى الى اثنين يعمل فى الثانى لان باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثانى فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرى جاعل بالرفع على المدح وقرى الذى فطر السموات والارض وجعل الملائكة اى جاعلهم وسائط بينه تع وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تع وبين خلقه ايضا حيث يوصلون اليهم اثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييرا واما على تقدير كونه ابداعا فرسلا نصب على الحالية وقرى رسلا بسكون السين اولى اجنحة صفة لرسلا واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تع مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة اى ذوى اجنحة متعددة متفاوتة فى العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحة كل منهم ثلاثة وخلقا اخر لكل منهم اربعة اجنحة ويروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون اجسادهم وباخرين منها يطيرون فيما امروا به من جهته تع وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله عليه السلام انه راى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى انه سأله ان يتراءى له فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال انى احب ان تفعل فخرج عليه السلام فى ليلة مقمرة فاتاه جبريل صلوات الله عليهما فى صورته فغشى عليه ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير يزيد فى الخلق ما يشاء استيناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة فى عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام مشيئته تع لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلى ناطق بانه تع يزيد فى اى خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التى لا يحيط بها الوصف وما روى عن النبى عليه السلام من تخصيص بعض المعانى بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تع ان الله على كل شئ قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تع لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تع على ان يزيد كل ما يشاؤه ايجابا بينا ما يفتح الله للناس من رحمة عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن التى يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اى اى شئ يفتح الله من خزائن رحمته كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اى لا احد يقدر على امساكها وما يمسك اى اى شئ يمسك فلا مرسل له اى لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثانى مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده اى من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على كل ما يشاء من الامور التى من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذى يفعل كل ما يفعل

سورة الملائكة

حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي
عليها يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون
لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم
اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها
وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تع مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون
في الوجود شيء غيره تع يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال
هل من خالق غير الله اي هل خالق مغاير له تع موجود على ان خالق مبتدا محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير
نعت له باعتبار محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تع يرزقكم من السماء والارض اي بالمطر
والنبات كلام مبتدا على التقادير لا محل له من الاعراب داخل في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق
مرفوع المحل او مجرور لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف
بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدا ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تع من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من
خالق الخ لما ان معناهما نفي رازقية خالق مغاير له تع من غير تعرض لنفي وجوده راسا مع انه المراد حتما الا يرى الى قوله تع لا اله
الا هو فانه استيناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة بحيث كان
هذا ناطقا بنفي الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تع فانى تؤفكون لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد
الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تع بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك
وقوله تع وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله عليه السلام بين خطابي الناس مسارعة
الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم
من الحق المبين بعد ما اقمت عليه الحجة والقمتهم الحجر فتاس باولئك الرسل في المصابرة اي رسل اولو شان خطير وذوو عدد
كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار
على ذكر اختصاص المرجع بالله تع مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من
الرجوع فالاولى ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتاكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه
برجع الامور اليه تع من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها و
يلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها
كما في قوله تع لا يجرمنكم شقاقي ولا يغرنكم بالله الغرور بعفوه وكرمه تع الغرور اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان
يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطي
الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في الكيفية
وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام
به فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له في عقائدكم وافعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تع انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب
السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس
تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم
في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد
لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه والذين امنوا وعملوا الصالحات بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة
الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا اما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتي
الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتب ما بعدها على ما قبلها اي ابعد كون حالهما كما ذكر
يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتاهما
كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تع فان الله يضل الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تع اي فانه تع
يضل من يشاء ان يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدي من يشاء ان يهديه
لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان
انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل
عليه قوله تع فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دلالة لقرينة واما تمهيد لصرفه عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة
في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان
فراه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تع
فان الله يضل من يشاء الخ على انه ممن شاء الله تع ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله

[illegible]

تع حسرات اما مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام على احوالهم او على كثرة
قبائح اعمالهم الموجبة للتاسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه
ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كان كلها صارت حسرات وقوله تع ان الله عليم بما
يصنعون اي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي جهل
ومشركي مكة والله الذي ارسل الرياح مبتدا وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تع فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا
لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة
على استمرار الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان
بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي
للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تع لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين
احياء الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله تع كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع
على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة التاني من غير تفاوت بينهما اصلا
سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تع من تحت العرش ماء فتنبت منه اجساد الخلق من كان يريد
العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تع واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين يتعززون
بهم من الذين امنوا بالسنتهم كما في قوله تع الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان
ويريد للدلالة على دوام الاستمرار اي ارادتهم فلله العزة جميعا اي له تع وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الاخرة اي فليطلبها منه لا من غيره
فاستغني عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تع موجب لتخصيص طلبها به تع وقوله تع اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تع اياهما او صعود الكتبة
بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تع هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات اي اليه
يصل الكلم الطيب الذي به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطي طلبته بالذات
والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه
ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناءين والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل
الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القران وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت
جناحه ثم صعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله تع
اليه يصعد الكلم الطيب الخ والذين يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء واهلهما بعد بيان حال الكلم
الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش
بالنبي عليه السلام في دار الندوة وتداورهم الراي في احدى الثلاث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكرهم
عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون ومكر اولئك هو يبور وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال
تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في
الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به عليه السلام هو يبور اي هو يهلك و
يفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابارهم الله تع بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر
فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل اخر على صحة البعث والنشور
اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق ادم خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا
اي اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته
وما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم
لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة
والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار
عليه السلام بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في
الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى ياتي على اخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل
ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اي ما ذكر
من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوي البحران
هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره

لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تع ومن كل اى من كل احد منهما تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المومن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة و السخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكماله اللائق دون الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تع ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة الاية والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه اى في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد يتاتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تع بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد يجوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اى فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اى ولتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تع يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة احدهما ونقص الاخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الآخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد اثاره وقد اشير اليه بقوله تع كل يجري اى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا لاجل مسمى قدره الله تع لجريانهما وهو يوم القيمة كما روى عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما في فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة اى ذلكم العظيم الشان الذي ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تع لتلك البدايع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدا في مقابلة قوله تع والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تع بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شانه السماع ولو سمعوا على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من انهم متبرؤن منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ويوم القيمة يكفرون بشرككم اى يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير اى لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تع وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد اى المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك اى ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان باخرين على الله بعزيز بمتعسر ولا متعذر ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها واما ما في قوله تع وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها من اوزار غيرهم شيء وان تدع مثقلة اى نفس اثقلها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم يجب بحمل شيء منه ولو كان اى المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا والاول نفي له اجبارا انما تنذر استيناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اى انما تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون ربهم بالغيب اى يخشونه تع غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غائب عنهم واقاموا الصلوة اى راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اى انما ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اى تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي بالتاثر من هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من معظم مبادي التزكي والى الله المصير لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمومن ولا الظلمات ولا النور اى ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اى الثواب ولا العقاب وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمومنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء ان يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه عليه السلام من ايمانهم ان انت الا نذير

ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق اى محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اى ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة الماضية الا خلا اى مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولان الانذار هو الانسب بالمقام وان يكذبوك اى تمادوا على تكذيبك فلا تبال بهم وتسل بهم فقد كذب الذين من قبلهم من الامم الماضية جاءتهم رسلهم بالبينات اى المعجزات الظاهرة الدلالة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم اخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ فكيف كان نكير اى انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها الم تر استيناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية اى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به بذلك الماء والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة ثمرات مختلفا الوانها اى اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيآتها واشكالها او الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تع ومن الجبال جدد اى ذو جدد اى خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديد بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تاكيد لمضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة * والمومن العائذات الطير يمسحها * وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اى ومنهم بعض مختلف الوانه او وبعضهم مختلف الوانه على ما مر في قوله تع ومن الناس من يقول آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونها على تباين الناس في الاحوال الباطنة لما ان اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التامل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تع كذلك مصدر تشبيهي لقوله تع مختلف اى صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك اى كاختلاف الثمار والجبال وقرئ الوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تع انما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تع انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان اى انما يخشاه تع بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشئونه فمن كان اعلم به تع كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله اى يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تع القرآن وقيل جنس كتب الله تع فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الباقي مشروعا ليس الا حكمها لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القرآن واما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تع لن تبور اى لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة جيء بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تع ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تع ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من افعالهم المرضية اى فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل يرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اى غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين

الناس

ويرجون حال من واو انفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب وهو القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن
للابتدا هو الحق مصدقا لما بين يديه اي احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال موكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه
في العقايد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم
يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على ساير الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية ثم اورثنا
الكتاب اي قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل اورثناه من الامم السالفة اي اخرناه
عنهم واعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم او الامة باسرهم فان الله تع
اصطفاهم على ساير الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله عليهم السلام
وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تع فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الاية فمنهم ظالم لنفسه
بالتقصير في العمل به وهو المرجاء لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تع
باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق
العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سياته مكفرة
وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون
حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقد روي ان عمر رضي الله عنه
قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى
السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل
الكبير من الله عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه تع جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا خبره
يدخلونها وعلى الاول هو مستانف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت عن
الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على السعي في ادراك
شاو السابقين وقري جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقري يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها
خبر ثان او حال مقدرة وقري يحلون من حليت المراة فهي حالية من اساور هي جمع اسورة جمع سوار من ذهب من الاولى تبعيضية
والثانية بيانية اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه افضل من ساير افرادها ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من اساور وقري
بالجر عطفا على ذهب اي من ذهب مرصع من لؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر سره في سورة
الحج وقالوا اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل
حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقري الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على
اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون
التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور اي للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار
المقامة اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها
نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور
والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى
عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقري فيموتون عطفا على يقضى كقوله تع ولا يؤذن لهم
فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد استعارها كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في
الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقري يجزى على البناء للمفعول واسناده الى الكل وقري يجازى وهم يصطرخون فيها
يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم
لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تع اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تع وتوبيخ لهم و
الهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا
يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة وروي ذلك عن
علي رضي الله عنه وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة و
قوله تع وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تع الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك
الخ لانه في معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله عليه السلام او ما معه من القران وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب
والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي تقتضيه المقام والفاء في قوله تع فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء

النذير في قوله تع فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات والارض بالاضافة وقري بالتنوين ونصب غيب على
المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات
الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف
والثاني خلفاء والمعنى انه تع جعلكم خلفاءه في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم
خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعم السنية
وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تع ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا
بيان لوبال الكفر وغايلته وهو مقت الله تع اياهم اي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما
بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال
والاصالة قل تبكيتا لهم ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تع من غير ان يكون
له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه وياباه سباق النظم الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض
بدل اشتمال من ارايتم كانه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة
مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم
على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تع ام انزلنا
عليهم سلطانا الخ وقري على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلايل بل ان يعد الظالمون بعضهم
بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الاسلاف للاخلاف واضلال الروسا للاتباع
بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا استيناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك
وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما من احد
من بعده من بعد امساكه تع او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية للابتدا
انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال تع
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقري ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم
الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال لها
احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير واي نذير اشرف الرسل ما زادهم اي النذير او
مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اي المكر
السيء ثم ومكرا السيء ثم مكر السيء وقري بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقفة خفيفة وقري مكرا سيئا
ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون اي ما ينتظرون الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد
لسنة الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء
لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني
وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد على ما قبله من جريان
سنته تع على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الامم الماضية العاتية
والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واطول اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على
الحالية وقوله تع وما كان الله ليعجزه من شيء اي ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من
استيصال الامم السالفة وقوله تع انه كان عليما قديرا اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم
بموجبها تعليل لذلك ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل باولئك ما ترك على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة
من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما
ويعضد الاول قوله تع ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم عند ذلك
باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ابواب الجنة الثمانية ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس

سورة يس ثلث وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم

يس اما مسرود على نمط التعديد فلاحظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين بالرفع والنصب اى هذه ياسين او اقراء يس ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شئ واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف فى فاتحة سورة البقرة من ان ما كان من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل يتاتى فيها الاعراب اللفظى ذكره سيبويه فى باب اسماء السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما فى حيث واين حسبما يشهد بذلك قراءة ياسين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد فى الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان معناه يا انسان فى لغة طى قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله فى ايمن الله **والقران** بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم **الحكيم** اى المتضمن للحكمة فى الصفة المشبهة كما مر فى صدر سورة لقمان **انك لمن المرسلين** جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم فى حقه عليه السلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه بقوله تع فى جوابهم قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم وفى تخصيص القران بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشانه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عليه السلم من حيث نظمه المعجز المنطوى على بدايع الحكم تشهد بها من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشئ استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاملا به ودليلا عليه قطعا وقوله تع **على صراط مستقيم** خبر آخر لان او حال من المستكن فى الجار والمجرور على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفايدته تربيا لشرائع بعثته عليه السلام اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمى والوصف اثر بيان انه عليه السلام من جملة المرسلين بالشرائع **تنزيل العزيز الرحيم** نصب على المدح وقرى بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالجر على انه بدل من القران وايا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القران بيانا لكمال عراقته فى كونه منزلا من عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفى تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرافة العامة حث على الايمان به ترغيبا وترهيبا واشعار بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعله المضمر اى نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شان القران المنزل وعلى كل تقدير ففيه فضل تاكيد لمضمون الجملة القسمية **لتنذر** متعلق بتنزيل على الوجوه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اى لتنذر به كما فى صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه المرسلين اى انك مرسل لتنذر **قوما ما انذر اباؤهم** اى لم ينذر اباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فيكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار والذى انذره او شئا انذره اباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارا اباءهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد اى لتنذر انذارا كائنا مثل انذارهم **فهم غافلون** على الوجه الاول متعلق بنفى الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اى لم ينذر اباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تع لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره عليه السلام او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اى عما انذر اباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام فى قوله تع **لقد حق القول على اكثرهم** جواب القسم اى والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختيارى على الكفر والانكار وعدم تاثرهم من التذكير والانذار وغلوهم فى العتو والطغيان وتماديهم فى اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تع لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله تع لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعيه ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهران قوله تع **فهم لا يؤمنون** متفرع فى الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تع **انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا** تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم **فهى الى الاذقان** اى فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له **فهم مقمحون** رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته **وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون** اما تتمة للتمثيل وتكميل له اى تكميل اى جعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شئ ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شئا قطعا كاف فى الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين فى مطمورة الغى والجهالات محرومين عن النظر فى الادلة والايات وقرى سدا بالضم وهى لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرى فاعشيناهم من العشا وقيل الايتان فى بنى مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه بها فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال مخزومى آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تع بصره **وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم** بيان لشانهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اى مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه فى سورة البقرة وقوله تع **لا يؤمنون** استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء او حال مؤكدة له او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتاثر منه فقيل **انما تنذر** اى انذارا مستتبعا للاثر **من اتبع الذكر** اى القران بالتامل فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان **وخشى الرحمن بالغيب** اى خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خاف فى سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تع نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم **فبشره بمغفرة** عظيمة **واجر عظيم** لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية **انا نحن نحيى الموتى** بيان لشان عظيم ينطوى على الانذار والتبشير انطواء اجماليا اى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به **ونكتب ما قدموا** اى ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها **واثارهم** التى ابقوها من الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كاساس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادى الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التى احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هى اثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الاثار وقرى ويكتب على البناء للمفعول ورفع اثارهم **وكل شئ** من الاشياء كائنا ما كان **احصيناه فى امام مبين** اصل عظيم الشان مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرى كل شئ بالرفع **واضرب لهم مثلا اصحاب** ضرب المثل يستعمل تارة فى تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى كما فى قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط واخرى فى ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما فى قوله تع وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اى بينا لكم احوالا بديعة هى فى الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء فى الغلو فى الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اى طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثانى اذكر وبين لهم قصة هى فى الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية **اذ جاءها المرسلون** بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تع فى قوله **اذ ارسلنا اليهم اثنين** بناء على انه كان بامره تع لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما **فكذبوهما** اى فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما بالرسالة **فعززنا** اى قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرى بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به **بثالث** هو شمعون **فقالوا** اى جميعا **انا اليكم مرسلون** مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب ياسين فسالهما فاخبراه قال امعكما اية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفى على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى انظر فى امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له يوما بلغنى انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بينى وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تع حتى انشق له بصر فاخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال انى ادخلت فى سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم فى العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة فى الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن احد سوى حبيب ولو ان الملك وقوما من حاشيته آمنوا لكان الظاهر ان يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا فى ذلك او قتلوا كداب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على

خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار قالوا اى اهل انطاكيه الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفى لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شئ مما تدعونه من الوحى والرسالة ان انتم الا تكذبون فى دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تع وهو يجرى مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تع وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا اى من جهة ربنا الا البلاغ المبين اى الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالايات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا من عهدته فلا مواخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او ما علينا شئ نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاى شئ تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك قالوا لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق من اصابته ضر متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم ان لا يومنوا فكانوا يستفرون عنه وقد روى انه حبس عنهم القطر فقالوا ذلك لئن لم تنتهوا اى عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا يقادر قدره قالوا طائركم اى سبب شومكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم اى وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اى تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين همزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشوم او مصححا للتوعد اى ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فلذلك اتاكم الشوم او فى الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبى غيره عليه السلام قبل مبعثه وقيل كان فى غار يعبد الله تع فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية مجيئه ساعيا كانه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتاليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتاكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم فى اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوى والاهتداء الى خير الدنيا والدين وما لى لا اعبد الذى فطرنى تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله واليه ترجعون مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ااتخذ من دونه آلهة انكار ونفى لاتخاذ الالهة على الاطلاق وقوله تعالى ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا اى لا تنفعنى شيئا من النفع ولا هم ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استيناف سيق لتعليل النفى المذكور وجعله صفة لالهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردنى بفتح الياء على معنى انه يوردنى ضرا اى يجعلنى موردا للضر انى اذا اى اذا اتخذت من دونه آلهة لفى ضلال مبين فان اشراك ما ليس من شانه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذى لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز فى الجملة انى آمنت بربكم خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك وانما اكد لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم الذى ارسلكم او الذى تدعوننا الى الايمان به فاسمعون اى اسمعوا ايمانى واشهدوا لى به عند الله تع وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تع الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة فى المسارعة الى بيانه والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسخى بروحه لوجهه تع فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تع قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشا من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم فى امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اى باى شئ غفر لى يريد به تفخيم شان المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شان الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا منزلين وما صح فى حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا قدرنا لكل شئ سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك فى الانتصار من قومك وقيل ما موصولة

معطوف على جند اى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة وغيرها ان كانت اى ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بهم جبريل وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة فى الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

يا حسرة على العباد تعالى فهذه من الاحوال التى حقها ان تحضريهم فيها وهى ما دل عليه قوله تع ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون او قد تلهف على حالهم الملئكة والمومنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله تع بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتى ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل والمفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا اى الم يعلموا وهو معلق عن العمل فى قوله تع كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى اى الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافيه وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتاكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ واية لهم الارض الميتة بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله تع اية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها والارض مبتدا والميتة صفتها وقوله تع احييناها استيناف مبين لكيفية كونها اية وقيل اية مبتدا ولهم خبرها والارض الميتة مبتدا موصوف واحييناها خبره والجملة مفسرة لاية وقيل الارض مبتدا واحييناها خبره والجملة خبر لاية وقيل الخبر لها وهو الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة هو كون الارض اية لهم لا كون الاية هى الارض واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب اى من انواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اى بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة على راى الاخفش ليأكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتاخيره عن تفجير العيون لانه من مبادى الاثمار وجعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادى اثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تع بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تع وقرئ بضمتين وهى لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافيه والمعنى ان الثمر بخلق الله تع لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤكد الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذف العائد من الصلة احسن من الحذف من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايرون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذى خلق الازواج كلها استيناف سيق لتنزيهه تع عما فعلوه من ترك شكره على الائه المذكورة واستعظام ما ذكر فى حيز الصلة من بدائع اثار قدرته واسرار حكمته وروائع نعمه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادا او قولا او فعلا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح فى الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه اى انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه التام والتباعد الكلى عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تع بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمومنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع مما تنبت الارض بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها ومن انفسهم اى خلق الازواج من انفسهم اى الذكر والانثى ومما لا يعلمون اى والازواج مما لم يطلعهم الله تع على خصوصياتها لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شئ من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تع ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه واية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدا موخر كما مر وقوله تع نسلخ منه النهار جملة مبينة لكيفية كونه اية اى نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال

[illegible]

والاغلب فى الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة فاذا هم مظلمون
اى داخلون فى ظلام مفاجاة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجرى لمستقر لها لحد معين ينتهى اليه دورها
فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى
لها فى الجو تدويم اذ لا استقرار لها على نهج مخصوص ولمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة
وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب
العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها اى لا سكون لها فانها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك
اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اى ذلك الجرى البديع
المنطوى على الحكم الرائقة التى تحار فى فهمها العقول والافهام تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل
معلوم والقمر قدرناه بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اى قدرنا له منازل وقيل قدرنا مسيره منازل
وقيل قدرناه ذا منازل وهى ثمانية وعشرون السرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة
الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود
سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها
فاذا كان فى اخر منازله وهو الذى يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج
وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغى
لها اى يصح ويتسهل ان تدرك القمر فى سرعة السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او فى الاثار والمنافع او فى
المكان بان تنزل فى منزله او فى سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها
ولا الليل سابق النهار اى يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما اياتهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان
الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه الملائم لسرعة سيره وكل اى وكلهم على ان التنوين عوض من المضاف
اليه الذى هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب
تعددا ما فى الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها فى فلك يسبحون يسيرون بانبساط وسهولة واية لهم انا حملنا
ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية يطلق عليهن لا سيما
مع الاختلاط وتخصيصهما بالذكر لما ان استقرارهم فى السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع فى الفلك المشحون اى المملوء وقيل هو
فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل ابائهم الاقدمين وفى اصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص اعقابهم بالذكر
دونهم لانه ابلغ فى الامتنان وادخل فى التعجب الذى يدور عليه كونه اية وخلقنا لهم من مثله مما يماثل الفلك ما يركبون
من الابل فانها سفائن البر او مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تع مع كونها من مصنوعات العباد
ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تع والهامه بل لما يد اختصاص اصلها بقدرته تع وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل
واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذريتهم
بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار وان نشأ نغرقهم الخ من تمام الاية فانهم معترفون بمضمونه
كما ينطق به قوله تع واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وفى تعليق الاغراق بمحض المشية
اشعار بانه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيئته تع به اى ان نشأ نغرقهم بالتشديد بما حملناهم فيه من الفلك
فحديث خلق الابل كلام جئ به فى خلال الاية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكانها نوع منه او مع ما يركبون
من السفن والزوارق فلا صريخ لهم اى فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق يدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم
اتاهم الصريخ ولاهم ينقذون اى ينجون منه بعد وقوعه وقوله تع الا رحمة منا ومتاعا استثناء مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث
المتقدم والغاية المتاخرة اى لا يغاثون ولا ينقذون لشئ من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ
وتمتيع بالحيوة مترتب عليهما ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اى
لنوع من الرحمة وتمتيع الى حين اى الى زمان قدر فيه اجالهم كما قيل ولم اسلم لكى ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام واذا قيل لهم اتقوا
بيان لاعراضهم عن الايات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الايات الافاقية التى كانوا يشاهدونها وعدم تاملهم فيها اى اذا
قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الايات او بغيره اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من الافات والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم
من المكان من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون او من الوقايع النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم فى الاخرة
او من نوازل السماء ونوائب الارض او من عذاب الدنيا وعذاب الاخرة او ما تقدم من الذنوب وما تاخر لعلكم ترحمون
اما حال من واو اتقوا او غاية له اى راجين ان ترحموا او كى ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله تع وجواب
اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تع وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا اما اذا كان الانذار بالاية الكريمة فبعبارة
النص واما ان كان بغيرها فبدلالته لانهم حين اعرضوا عن ايات ربهم فلان يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل

لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى ومن الاولى مزيدة
لتاكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لاية واضافة الايات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها
المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه فى حقها والمراد بها اما الايات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما نزل اليهم اية من الايات
التنزيلية التى من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل من بدايع صنع الله وسوابغ الائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها
الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الايات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها
من تعاجيب المصنوعات التى من جملتها الايات الثلث المعدودة انفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحى وظهور تلك الامور
لهم والمعنى ما يظهر لهم اية من الايات التى من جملتها ما ذكر من شواهد الشاهدة بوحدانيته تع وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها
معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى الى الايمان به تع وايثار على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله فى قوله تع وان يروا
اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الايات وعن متعلقة بمعرضين قدمت
عليه مراعاة للفواصل والجملة فى حيز النصب على انها حال من مفعول تاتى او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما
والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اى ما تاتيهم من اية من ايات ربهم فى حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها او ما تاتيهم
اية منها فى حال من الاحوال لها الا حال اعراضهم عنها واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اى اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع
الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا فى الانفاق على منهاج قوله تع واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم
جنايتهم فى ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية اى اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تع من فضله
على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة للذين امنوا
تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشية الله تع انطعم حسبما تعظوننا به من لو يشاء الله اطعمه اى على زعمكم وعن
ابن عباس رض كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركوا
قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التى زعموا انهم جعلوها لله تع من الحرث والانعام يوهمون انه تع لما لم
يشأ اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم فان الله تع يطعم عباده باسباب من جملتها حث
الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك ان انتم الا فى ضلال مبين حيث تامروننا بما يخالف مشية الله تع وقد جوز ان يكون
جوابا لهم من جهته تع او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اى فيما تعدوننا من قيام الساعة مخاطبين
لرسول الله عليه السلام والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم ايات الوعيد بقيامها ومعنى القرب فى هذا اما
بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد ما ينظرون جواب من جهته تع اى ما ينتظرون الا صيحة واحدة هى النفخة
الاولى تاخذهم مفاجاة وهم يخصمون اى يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شئ من مخايلها كقوله تعالى
فتاخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علائمها ولا يزعموا انها لا تاتيهم واصل يخصمون يختصمون
فسكنت التاء وادغمت فى الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه
وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون
من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية فى شئ من امورهم ان كانوا فيما بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون اذا كانوا
خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا ونفخ فى الصور هى النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اى ينفخ
فيه وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث اى القبور جمع جدث وقرئ بضم السين قالوا اى فى ابتداء
بعثهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقرئ
من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط
عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك
وعن ابن عباس رض وابى بن كعب وقتادة رحمهم الله ان الله تع يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة
الثانية وشاهدوا من اهوال القيمة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب
يصير عذاب القبر فى جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اى
من رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدا وخبر وما موصولة
محذوف العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملئكة والمؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه
وتنبيها على ان الذى يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم ذلك
فى كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث
يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدا محذوف
او مبتدا خبره محذوف اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق ان كانت اى ما كانت النفخة التى حكيت انفا الا صيحة واحدة
حصلت من نفخ اسرافيل فى الصور فاذا هم جميع اى مجموع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث

والحشر والابدان باستغنا بهما عن الاسباب مالا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم ولا تجزون الا ما كنتم تعملون اى الاجزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصى على حذف المضاف اليه واقامة المضاف اليه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شئ واحد او الا بما كنتم تعملون اى بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفى هذه الحكاية مزجر لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشان الذى يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد ههنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التى تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع وضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم فى النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم كما روى كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جار خبر لان وفاكهون خبر اخر لها اى انهم مستقرون فى شغل واى شغل فى شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها تنزيل للمترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك على الحال المستكن فى الظرف وقوله تعالى هم وازواجهم فى ظلال على الارائك متكئون استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على ان هم مبتدا وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل وهو الجاران بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثانى مستانف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدا محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدا مؤخر وقرئ متكين بلا همز نصبا على الحال من المستكن فى الظرفين او احدهما وقيل هم تاكيد للمستكن فى خبر ان ومتكئون خبر اخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا فى ظلال او هذا بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة فى ظلل والارائك جمع اريكة وهى السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا يكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة الخ بيان لما يتمتعون به فى الجنة من الماكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اى لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما فى قوله تعالى ولهم ما يدعون موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشان معين ابهم ايذانا بانه الحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه او هى باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشان او كل ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشان او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور واياما كان ففيه دلالة على انهم فى اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامى وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على وقال الزجاج هو من الدعاء اى ما يدعو به اهل الجنة يا تيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة وبعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشى وقوله تعالى سلام على التقدير الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدا محذوف وقولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كانه قيل ولهم سلام يقال لهم قولا كائنا من جهة قولا من رب رحيم اى يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها مبالغة فى تعظيمهم قال ابن عباس رضى الله عنه والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثانى فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدا ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك اى ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اى عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدا محذوف الخبر اى لهم سلام اى تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الافات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اى لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين وامتازوا اليوم عطف على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما مر فى قوله تعالى وبشر الذين امنوا

الاية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم فى شغل عظيم الشان وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقر ولذلك عينا وامتازوا عنهم ايها المجرمون الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل من ان الضمير فليمتازوا وانعزل من السداد لما ان المحكى عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدى نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحال منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرايعة حسبما مر بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدى لاضمار شئ يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل انه لكم عدو مبين وغيرهما من الايات الكريمة الواردة فى هذا المعنى وقيل هو الميثاق الماخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بنى ادم واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها فى مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة واعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهى لغة بنى تميم انه لكم عدو مبين اى ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهى عنه وقيل تعليل للنهى وان اعبدونى عطف على ان لا تعبدوا على ان ان فيهما مفسرة للعهد الذى فيه معنى القول بالنهى والامر او مصدرية حذف عنها الجار اى الم اعهد اليكم فى ترك عبادة الشيطان وفى عبادتى وتقديم النهى على الامر لما ان حق التخلية التقدم على التحلية كما فى كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم فانه اشارة الى عبادته تعالى التى هى عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط على مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم والاكتفاء فى قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتاكيد التقريع ببيان ان جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما فيه هدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم الشيطان فالخطاب لمتاخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق فى جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اى وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذى امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التى ملات الافاق اخبارها وبقى مدى الدهر اثارها والفاء فى قوله تعالى افلم تكونوا تعقلون للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اكنتم تشاهدون اثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم او فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى هذه جهنم التى كنتم توعدون استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اى كنتم توعدونها على السنة الرسل بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اليوم نختم على افواههم اى نمنعها عن الكلام ختما الالتفات الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكى احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الحكم الحق الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفى الحديث يقول العبد انى لا اجيز على شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على افعالها وظهور اثار المعاصى عليها وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كى على النصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ بالنصب ولتكلمنا ايديهم ولتشهد ارجلهم بلام الامر والجزم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التى هى وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اى لو نشاء ان نطمس على اعينهم لفعلناه وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضى لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس نصا فى افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر فى قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير فاستبقوا الصراط اى فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه على ان انتصابه بنزع الجار او هو بتضمين الاستباق معنى الابتدار او بانه ظرفية فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم اى مكانهم الا ان المكانة اخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اى ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة

وعن بن عباس رضي الله عنه قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وان منا هم وقرى مضيا
بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تع على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه
من الكفر والمعاصي ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من اثار دمار امثالهم احقاء بان يفعل بهم في الدنيا تلك
العقوبة كما فعل بهم في الاخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشية الالهية به كانه قيل لو نشاء عقوبتهم
بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشأها جريا على سنن الرحمة والحكمة
الداعيين الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه ونخلفه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال
يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وينتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف
الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرى ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس افلا يعقلون اي ايرون
ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيته تع بهما
وقرى تعقلون بالتاء لجرى الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما كانوا يقولون في حقه عليه السلام من انه شاعر
وما يقولوه شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القران على معنى ان القران ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال من
حذف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافيه مبني على خيالات واوهام واهيه • فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر
المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكمة والاحكام الباهره • الموصلة الى سعادة الدنيا والاخره • ومن اين اشتبه
عليهم الشؤن واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انى يوفكون وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتاتى له لو طلبه اي جعلنا
بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتات له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ليكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله عليه السلم
انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • وقوله عليه السلام هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت • فمن قبيل الاتفاقا
الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقران اي وما ينبغي للقران ان يكون شعرا ان هو اي ما القران
الا ذكر اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تع ان هو الا ذكر للعالمين وقران مبين اي كتاب سماوي بين كونه
كذلك او فارق بين الحق والباطل يقرا في المحارب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين
ما قالوا لينذر اي القران والرسول عليه السلام ويؤيده القراة بالتاء وقرى لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول
من الانذار من كان حيا اي عاقلا متاملا فان الغافل بمنزلة الميت او مومنا في علم الله تع فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص
الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول اي يجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا
اشعار بانهم لخلوهم عن اثار الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقه اولم يروا الهمزة للانكار والتعجب والواو
للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي الم يتفكروا او الم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينه
انا خلقنا لهم اي لاجلهم وانتفاعهم مما عملت ايدينا اي مما توليناه احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل اليها
استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به انعاما مفعول خلقنا وتاخيره عن الجارين المتعلقين به
مع ان حقه التقديم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبه
فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا عن كون المؤخر امرا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار
الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس اليه شوقا ورغبة فيه ولان
في تاخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تع فهم لها مالكون الايات اي فملكناها اياهم وايثار الجملة الاسميه
على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها
وايثار الجملة الاسميه متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون
من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والاول
هو الاظهر ليكون قوله تع وذللناها لهم تاسيسا للنعم على حالها الاتية لما قبلها اي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم
في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تع فمنها ركوبهم الخ فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها
اي فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم اي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرى ركوبتهم وهي
بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرى ركوبهم اي ذو ركوبهم ومنها ياكلون اي وبعض منها ياكلون لحمه ولهم فيها اي
الانعام بكلا قسميها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران ومشارب من اللبن جمع
مشرب وهذا مجمل ما فصل في سورة النحل افلا يشكرون اي ايشاهدون هذه النعم او يتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا
من دون الله اي متجاوزين الله الذي شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهره الهة من
الاصنام واشركوها به تع في العبادة لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور وتشفع لهم في الاخرة وقوله
لا يستطيعون نصرهم الخ استيناف سيق لبيان بطلان رايهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا يقدر الهتهم على نصرهم
وهم اي المشركون لهم اي لالهتهم جند محضرون يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم والذب عنهم

والذات عنهم ولا يساعد مساق النظم الكريم فان الفاء في قوله تع فلا يحزنك قولهم لترتب النهي على ما قبله فلا بد ان
يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير
فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة واما كونهم معدين لحفظهم وحفظهم فبمعزل من ذلك والنهي وان كان
بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقه متوجه الى رسول الله عليه السلام ونهي له عليه السلام عن التاثر منه بطريق
الكناية على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية
وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه والمراد
بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام الهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء الهتنا وانهم شركاء الله سبحانه
في المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرى يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من احزن المنقول من حزن اللازم انا نعلم ما
يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهي بطريق الاستيناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة
قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافيه والباديه التي لا يعزب عن علمه شيء منها وفيه فصل تسلية لرسول الله عليه السلام
وتقديم السر على العلن اما للمبالغه في بيان شمول علمه تع لجميع المعلومات كان علمه تع بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه
مع استوائهما في الحقيقه فان علمه تع بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تع ... مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر في
القلب قبل ذلك فتعلق علمه تع بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانيه حقيقه اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
كلام مستانف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده كما ان ما
سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تع بعد ما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية
ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف
على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف كما مر في الجملة الانكاريه السابقه اي الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه
من نطفه الخ او هي عين الجملة السابقه اعيدت لتاكيد النكير السابق وتمهيد الانكار لما هو احق منه بالانكار والتعجب لما ان المنكر
هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان باحوال
نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار والتعجب من الاخلال بذلك ادخل كانه قيل الم يعلموا خلقه تع لاسباب معايشهم
ولم يعلموا خلقه تع لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهميه على معنى ان المنكر الاول بعيد قبيح و
الثاني ابعد واقبح ويجوز ان يكون الواو لعطف الجملة الانكاريه الثانيه على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة
عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما هو راي الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث
هو انسان كما في قوله تع اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تع فاذا هو خصيم مبين اي شديد الخصومة
والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفيه داخل في حيز الانكار والتعجب كانه قيل اولم يروا انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها
ففاجا خصومتنا في امر يشهد بصحته وتحققه مبدا فطرته شهادة بينه وايراد الجملة الاسميه للدلالة على استقراره في الخصومة
واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في
ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه
واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد ارى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك
جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تع فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب
عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجب بل هو من متممات شواهد صحة البعث فقوله تع
وضرب لنا مثلا معطوف على الجملة المنفيه داخل في حيز الانكار والتعجب واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائيه
والمعنى ففاجا خصومتنا وضرب لنا مثلا اي اورد في شاننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل
وهي انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياؤنا
اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تع ونسي خلقه اي خلقنا اياه
على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد
او بدونه وقوله تع قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية ضربه المثل كانه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل
قال من يحيي العظام منكرا له اشد النكير مؤكدا له بقوله وهي رميم اي بالية اشد البلى اي بعيدة من الحيوة غاية البعد فالمثل
على الاول هو انكار احيائه تع للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضرورة جزم العقول
ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احياؤه تع لها فانه امر عجيب في زعمه قد استبعده
وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء او اهون منه واما
على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تانيث الرميم مع وقوعه خبر المؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير
صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الاية الكريمة من اثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون

[illegible]

بحياته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس قل
تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده الى طريقة الاستشهاد بها يحييها الذي انشاها اول مرة
فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد
انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها واوضاع بعضها من بعض من
الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون الجواب او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تع بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه
للنشات وقوله تع الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتاكيد
ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على ان الجعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله
الصريح مع تاخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ
الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما عصيين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ
وهو ذكر على العفار وهو انثى فينقدح النار باذن الله تع وذلك قوله تع فاذا انتم منه توقدون فمن قدر على احداث النار من
الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرا عليه اليبوسة
والبلى وقوله تع اوليس الذي خلق السموات والارض الخ استيناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي امر عليه السلام
بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر تقتضيه المقام اي اليس الذي انشاها اول
مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان
يخلق مثلهم في الصغر والقمائة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي اقدر
كما قال تع لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تع بلى جواب من جهته تع وتصريح بما افاده الاستفهام
الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تع وهو الخلاق العليم
عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق كيفا وكما انما امره اي شانه اذا اراد شيئا من الاشيا
ان يقول له كن اي ان يعلق به قدرته فيكون فيحدث من غير توقف على شيء اخر اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تع فيما اراده
بامر الامر المطاع للمامور المطيع في سرعة حصول المامور به من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول فسبحان
الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تع به وتعجيب مما قالوا في شانه تع والفاء للايذان
بان ما فصل من شؤنه تع موجبة لتنزهه وتنزيهه اكمل ايجاب كما ان وصفه تع بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية
لذلك اتم اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء واليه
ترجعون لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم
ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا
وان قلب القران يس من قراها يريد بها وجه الله تع غفر الله تع له واعطي من الاجر كانما قرا القران اثنين وعشرين مرة وايما مسلم
قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون
له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض
ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو
ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم
ان في القران سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة ياسين تم سورة ياسين بعون الرب المعين

سورة الصافات مائة واثنتان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملئكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى
المفعول او الصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما نطق به قوله تع وما منا
الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تع وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اقدامها في الصلاة وقيل اجنحتها في الهوا
فالزاجرات زجرا اي الفاعلات للزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور
ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سياتي وصفا وزجرا مصدران
مؤكدان لما قبلهما اي صفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا في قوله تع فالتاليات ذكرا فمفعول التاليات اي التاليات ذكرا عظيم
الشان من ايات الله تع وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر
مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما
بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات

في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس
وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات انفسها في صفوف الجماعات واقدامها في الصلاة الزاجرات
بالمواعظ والنصائح التاليات ايات الله تع الدارسات شرايعه واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في
مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص او طوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك
طردا التاليات ايات الله تع وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ودلالته على ترتب الصفات في الفضل
او ترتب موصوفاتها فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتب في الوجود كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالآيب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملئكة والغزاة فتاخر التلاوة عن الزجر
غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تع والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب
الله وقيل الزاجرات القوارع القرانية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال ان الهكم لواحد جواب للقسم والجملة
تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المالوف في كلامهم من التاكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع
وعلمه وقدرته واعدل شواهد قدرته كما مر في قوله تع لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدا
محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق
الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور اثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق
منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تع رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف
والشتاء ومغرباهما انا زينا السماء الدنيا اي القربى منكم بزينة عجيبة بديعة الكواكب بالجر بدل من زينة على ان المراد بها
الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها من بعض زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على انها
بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فيقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به
وهو ضوؤها وروي عن ابن عباس رضي بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير
اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب اي
حسنها واصله بزينة الكواكب والمراد هو التزين في راي العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين
كانها جواهر متلالئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ان تكون الثوابت في الفلك الثامن وما عدا
القمر في الستة المتوسطة ان ثبت ذلك وحفظا منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا
الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد اي خارج عن الطاعة برمي الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل
مؤخر معلل به كانه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تع انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين وقوله تع لا يسمعون الى الملا الاعلى كلام مبتدا مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية
الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة
المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم
حذف ان واهدر عملها كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى لما ان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده واما
اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملا الاعلى الملئكة
عن ابن عباس رضي هم الكتبة وعنه اشراف الملئكة عليهم السلام اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف
ويقذفون يرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها دحورا علة للقذف اي للدحور وهو
الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد له لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا مبالغا في الطرد وقد
جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب واصب اي ولهم في الاخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب
عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تع واعتدنا لهم عذاب السعير الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن
بدل منه والخطف الاختلاس والمراد به اختلاس كلام الملئكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء
المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب
ما يرى منقضا من السماء ثاقب مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم
او يحرقهم او يخبلهم قالوا وانما يعودون من يسلم منهم طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب السفينة فاستفتهم فاستخبر
مشركي مكة اهم اشد خلقا اي اقوى خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشد ايجادا ام من خلقنا من الملئكة والسماء
والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه
بعد ذلك لا سيما قراءة من قرا ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم
من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ

وقرى لازم ولابت بل عجبت اى من قدرة الله تع على هذه الخلايق العظيمه وانكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرى بضم التاء على معنى انه ابلغ كمال قدرتى وكثرة مخلوقاتى الى حيث عجبت منها وهولاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر والبعث ممن هذه افاعيله ويسخروا ممن يجوزه والعجب من الله تع اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظام الشئ وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا اى ودابهم المستمر انهم اذا وعظوا بشئ من المواعظ لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم واذا راوا آية اى معجزة تدل على صدق القايل به يستسخرون يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا اى ما يرونه من الاية الباهرة الا سحر مبين ظاهر سحريته ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما اى كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون فى قوله تع ءانا لمبعوثون اى نبعث لا نفسه لان دونه خطوبا لو تفرد واحد منها لكفى فى المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافيه له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة فى اثنا المبالغه والتشديد فى ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم الكريم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله تع افلا تعقلون على راى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرى بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانيه فقط اواباونا الاولون رفع على الابتدا او خبره محذوف عند سيبويه اى وآباؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير فى مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفى فى قوله تع ما اشركنا ولا اباؤنا وايا ما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرى او اباونا قل نعم تبكيتا لهم نعم والخطاب فى قوله تع وانتم داخرون لهم ولابائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اى كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرى نعم بكسر العين وهى لغة فيه فانما هى زجرة واحدة هى اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثه والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهى مقدر اى اذا كان كذلك فانما هى الخ او لا تستصعبوه فانما هى الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وهى النفخة الثانيه فاذا هم قايمون من مراقدهم احياء ينظرون يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اى المبعوثون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا اى هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تع هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستيناف اى اليوم الذى نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون فى الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تع هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون كلام الملئكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله احشروا الذين ظلموا خطاب من الله عز وجل للملئكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اى اشباههم ونظراهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تع وكنتم ازواجا ثلاثه وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتى على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية الكريمه وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين الموصول عبارة عن المشركين خاصه جئ به لتعليل الحكم بما فى حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم اى عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم فى الموقف كان الملئكة سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تع انهم مسؤلون ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتاخير العذاب فى الجمله بل ليسالوا لكن لا عن عقايدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله تع ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اى لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون فى الدنيا وتاخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكليه فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا وتاثيرا وقرى لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر واقبل بعضهم على بعض هم الاتباع والرؤساء والكفرة والقرناء يتساءلون يسال بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومه والجدال قالوا استيناف كما سبق اى قال الرؤساء او القرناء انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اى لم يمنعكم من الايمان بل لم تومنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه واثرتم الكفر عليه وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق علينا اى لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تع لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذائقون اى العذاب الذى ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغى دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحببتم الغى على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا فى تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبه من الدعوة لتكونوا امثالنا فى الغواية فانهم اى الاتباع والمتبوعين يومئذ فى العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين فى الغواية انا كذلك اى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقتضيه الحكمة التشريعيه

نفعل بالمجرمين المتناهين فى الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تع انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا الله يستكبرون عن القبول ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذى قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعه انكم بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام والاستكبار انكم لذائقوا العذاب الاليم والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرى بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرى لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون اى الا جزاء ما كنتم تعملون من السيئات او الا بما كنتم تعملون منها الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جئ به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب فى تجزون لجميع المكلفين فانه ليس فى حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تع اولئك اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص فى عبادته تع عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدا وقوله تع لهم اما خبر له وقوله تع رزق مرتفع على الفاعليه بما فيه من الاستقرار او مبتدا ولهم خبر مقدم والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استيناف مبين لما افاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هى خبر للاستثناء المنقطع على انه متاول بالمبتدا وقوله تع معلوم اى معلوم الخصايص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرايحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تع ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تع فواكه اما بدل من رزق او خبر مبتدا مضمر اى ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه اى ما يوكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك اعظم المثوبات واليقها باولى الهمم وقيل مكرمون فى نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شان ارزاق الدنيا وقرى مكرمون بالتشديد فى جنات النعيم اى فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن فيه او فى مكرمون وقوله تع يطاف عليهم اما استيناف مبنى على سؤال نشا من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من الضمير فى متقابلين او فى احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكاس باناء فيه خمر او خمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كما فى قول من قال وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها من معين متعلق بمضمر هو صفة لكاس اى كائنة من شراب معين او من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به الخمر وهو للماء لانها تجرى فى الجنة فى انهار كما تجرى الماء قال تع وانهار من خمر لذة للشاربين بيضاء صفتان ايضا لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغه كانها نفس اللذة او لانها تانيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدى تركته بارض العدا من خشية الحدثان يريد به النوم لا فيها غول اى غائلة كما فى خمور الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا اخرج دمه كله افرد هذا بالنفى مع اندراجه فيما قبله من نفى الغول عنها لما انه من معظم مفاسد الخمر كانه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو وتاثيم ولا هم يسكرون وقرى ينزفون بكسر الزاء من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرى ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف بضم الزاء فيهما وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف اى يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم فى الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضى للتاكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم فى تضاعيف محاوراتهم انى كان لى فى الدنيا قرين مصاحب يقول لى على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث ائنك لمن المصدقين اى بالبعث وقرى بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تع ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمدينون اى لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اى ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله تع فى الاخرة خيرا منه فقال ائنك من المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتاكيد انكار الجزاء المبنى على انكار البعث قال اى ذلك القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه فى الدنيا هل انتم مطلعون اى الى اهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تع او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون

بيضاء

ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان فى الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل
النار فاطلع اى عليهم فرآه اى قرينه فى سواء الجحيم اى فى وسطها وقرى فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرى
مطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى
هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعد
فالمعنى انه لما شرط فى اطلاعه اطلاعهم كما هو دين الجلساء فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرى مطلعون
بكسر النون اراد مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله ٭ هم الفاعلون الخير والآمرونه ٭ او شبه اسم الفاعل
بالمضارع لما بينهما من التاخى قال اى القائل مخاطبا لقرينه تالله ان كدت لتردين اى لتهلكنى بالاغواء وقرى لتغوين وانتار
فيه معنى التعجب وان هى المخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف واللام فارقة اى تالله ان الشان كدت لتردين
ولولا نعمة ربى بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين اى من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت واضرابك وقوله تع
افما نحن بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم
المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين
اى بمن شانه الموت وقرى بمائتين الا موتتنا الاولى التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال قاله
تصديقا لقوله تع لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا
جئ بالموت على صورة كبش املح وذبح فنودى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك
تحدثا بنعمة الله تع واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا
اى الامر العظيم الذى نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرى لهو الرزق العظيم
وهو ما رزقوه من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية
السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم
اصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشئ فانتصابه على التمييز اى اذلك الرزق المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور
خير نزلا ام شجرة الزقوم التى حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى
ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير فى كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة
مرة كريهة الرائحة تكون فى تهامة سميت بها الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا
فانهم لما سمعوا انها فى النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويتلذذ بها
اقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها فهى
نابتة فى اصل الجحيم طلعها اى حملها الذى يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له فى الشكل او الطلوع من الشجر اولا لاوائل
التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كانه رؤس الشياطين فى تناهى القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق
فى الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة
يسمى ثمره رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها اى من الشجرة او من طلعها فالتانيث مكتسب من المضاف اليه فمالئون منها البطون
لغلبة الجوع او القسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها على الشجرة التى ملؤا منها بطونهم بعد ما
شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان تكون لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة
لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرى بالضم وهى اسم لما يشاب والاول مصدر سمى به
ثم ان مرجعهم اى مصيرهم وقد قرى كذلك لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها
وقيل الحميم خارج عنها لقوله تع هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى
الجحيم الى شجرة الزقوم فياكلون منها الى ان يمتلؤا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرى ثم ان منقلبهم انهم الفوا
اباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء فى الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شئ يتمسك به
اصلا اى وجدوهم ضالين فى نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا
انهم على الحق او لا مع ظهور كون بهم على الباطل بادنى تامل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم
وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اى قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف
وكذا قوله تع ولقد ارسلنا فيهم منذرين اى انبياء اولى عدد كثير وذوى شان خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته
الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا
الى الانذار ولم يرفعوا له راسا والخطاب اما للرسول عليه السلام او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم
اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى عنهم المخلصون بقوله تع الا عباد الله المخلصين اى الذين اخلصهم الله تع بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب
الانذار وقرى المخلصين بكسر اللام اى الذين اخلصوا دينهم لله تع ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين

وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تع فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح
وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تع ووفقهم للايمان كما اشار اليه
الاستثناء كقوم يونس ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما فى قوله
فلنعم المجيبون اى وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه
الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة
والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اى من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة
بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روى انه مات كل من كان معه فى السفينة غير ابنائه وازواجهم
او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال قتادة رض الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام
وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج
ومأجوج وتركنا عليه فى الآخرين من الامم سلام على نوح اى هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة
انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اى فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى
قلنا وقوله تع فى العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا فى العالمين من الملئكة
والثقلين جميعا وقوله تع انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن
اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين
فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التى وقعت جزاء له
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل والشرف والكاف متعلقة
بما بعدها اى مثل ذلك الجزاء الكامل نجزى الكاملين فى الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تع انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه
من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين اى المغايرين لنوح
واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اى ممن شايعه فى اصول الدين لابراهيم وان اختلفت فروع شرائعهما
ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلى او اكثرى وعن ابن عباس رض من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب
فى دين الله تع ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة
واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم اى من آفات القلوب
او من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجئ به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه
وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم اى اى شئ تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون اى اتريدون
آلهة من دون الله افكا اى للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على
افك وباطل فى شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم بين الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة
على انها افك فى نفسها للمبالغة او اريد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين
اى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اى شئ هو من
الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ان يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به
فنظر نظرة فى النجوم قيل كانت له عليه السلام حمى لها نوبة معينة فى بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هى تلك الساعة
فاذا هى قد حضرت فقال انى سقيم وكان صادقا فى ذلك فجعله عذرا فى تخلفه عن عيدهم وقيل اراد انى سقيم القلب
لكفركم وقيل نظر فى علمها او فى كتبها او احكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه السلام ايهامهم حين ارادوا ان
يخرجوا به عليه السلام الى معيدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فاوهمهم انه قد استدل بامارة فى علم النجوم على انه سقيم
اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى
معيدهم وتركوه فى بيت الاصنام وذلك قوله تع فتولوا عنه مدبرين اى هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم
اى ذهب اليها فى خفية واصله الميل بخفية فقال للاصنام استهزاء الا تاكلون اى من الطعام الذى كانوا يضعونه عندها
لتبرك عليهم ما لكم لا تنطقون اى بجوابى فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وقوله تع ضربا باليمين مصدر موكد لراغ عليهم
فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اى فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو الحال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل
اى فراغ عليهم ضاربا باليمين اى ضربا شديدا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضى قوة الفعل
وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما فى قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية
الحلف باليمين لانه يقوى الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اى المامورون
باحضاره عليه السلام بعد ما رجعوا عن عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسالوا عن الفاعل فظنوا انه عليه السلام
فقيل فاتوا به يزفون حال من واو اقبلوا اى يسرعون من زفيف النعام وقرى يزفون من ازف اذا دخل فى الزفيف او من

ازفة اذا الهيع ويزفون من زفاه اذا احداه كان بعضهم يحمل بعضا لتسارعهم اليه عليه السلام قال اى بعد ما اتوا به عليه السلام وجرى بينه وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تع قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام وقوله تع والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ اى والحال انه تع خلقكم وخلق ما تعملونه فان جوهر اصنامهم ومادتها بخلقه تع وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقدار الله تع اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله تع ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وتع وقيل ما مصدرية اى عملكم على انه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تع كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم اى فى النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهى شدة التاجج واللام عوض من المضاف اليه اى جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفيته بنائهم له فى سورة الانبياء فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه عليه السلام بجعل النار عليه بردا وسلاما وقال انى ذاهب الى ربى اى مهاجر الى حيث امرنى ربى وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته تع سيهدين اى الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وبت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء على عادته تع معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع رب هب لى من الصالحين اى بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولقوله تع فبشرناه بغلام حليم فانه صريح فى ان المبشر به عين ما استوهبه عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واى حلم يعادل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر الخ وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تع نعتهما به وحالهما المحكية بعد اعدل بينة بذلك والفاء فى قوله تع فلما بلغ معه السعى فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتاخر بعد البشارة كما مر فى قوله تع فلما راه مستقرا عنده اى فوهبناه له فنشا فلما بلغ رتبة ان يسعى معه فى اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعى لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ لافضائه بلوغهما الى حد معا كانه لما ذكر السعى قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل فى الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال اى ابراهيم عليه السلام يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك اى ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتاويله وقيل انه راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روّى فى ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمة سمى يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله تع فمن ثمة سمى يوم عرفة ثم راى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذا ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعى معه قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذى وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تع له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا فى ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روى انه عليه السلام سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن خليل الله فالصحيح انه عليه الصلاة والسلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وما روى من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ انى بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الراى انما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تع فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اى تؤمر به فحذف الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصال الفعل او حذفا دفعة او افعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدنى ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله تع فلما اسلما اى استسلما لامر الله تع وانقادا وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه ومعناهما

اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تع وعن قتادة رض فى اسلما اسلم ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله تع وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل فى الموضع المشرف على مسجد منى وقيل فى المنحر الذى ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان بالمامور به وترتيب مقدماته وقد روى انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تع على ما انعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المامور به فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله تع افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص عن غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شئ اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم اى عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى واى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة وعن ابن عباس رض انه الكبش الذى قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل عليه السلام وقيل فدى بوعل اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقى سنة فى الرمى وروى انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقى سنة والفادى فى الحقيقة هو ابراهيم وانما قيل وفديناه لانه تع هو المعطى له والآمر به على التجوز فى الفداء او الاسناد وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم قد سلف بيانه فى خاتمة قصة نوح كذلك نجزى المحسنين ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا انه من عبادنا المؤمنين الراسخين فى الايمان على وجه الايقان والاطمئنان وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اى مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم فى اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهما السلام او افضنا عليهما بركات الدنيا والآخرة وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن فى عمله او لنفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصى مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا تاثير له فى الهداية والضلال وان الظلم فى اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا على موسى وهرون اى انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل من الكرب العظيم وهو تملك الفرعون وتسلطهم عليهم بالوان العسف والعذاب كما فى قوله تع واذ انجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة ونصرناهم اى اياهما وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما فى اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه التنجية وان كانت عقب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذى يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغلبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلث نعمة جليلة على حيالها وآتيناهما بعد ذلك الكتاب المستبين اى البليغ فى البيان والتفصيل وهديناهما بذلك الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون اى ابقينا فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل انا كذلك نجزى المحسنين الجزاء الكامل الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا عنه انهما من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخى موسى عليه السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ابليس وقرئ الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون اى عذاب الله تع اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اى اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين اى وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تع الله

ربكم ورب اباءكم الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تع
لاباءهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تع والاشعار ببطلان اراء اباءهم ايضا فكذبوه فانهم بسبب تكذيبهم ذلك
لمحضرون اى العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين
استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه فى الاخرين سلام على الياسين هو لغة فى الياس كسينا فى سينين وقيل هو جمع له
اريد به هو واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمثالين وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما
فى المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المومنين مر تفسيره وان لوطا لمن المرسلين
اذ نجيناه اى اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين اى الباقين فى العذاب او الماضين الهالكين
ثم دمرنا الاخرين فان فى ذلك شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم
فى متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم فى طريق الشام مصبحين داخلين فى الصباح وبالليل اى
ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون اتشاهدون
ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق
اى هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اى المملوء
فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر يعنى انه عليه السلام
لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامر الله تع به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد ابق فاقترعوا فخرجت
القرعة عليه فقال انا الابق ورمى بنفسه فى الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل فى الملامة او آت بما
يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح
مدة عمره او فى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام كان
كثير الصلاة فى الرخاء للبث فى بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه
فى السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر او نبت روى
ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه
شئ فاسلموا وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف فى مقدار لبثه فقيل اربعين يوما وقيل عشرون يوما
وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه روى عطاء انه حين ابتلعه
اوحى الله تع الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل
حين يولد وانبتنا عليه اى فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ
والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثرون على انه الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع
عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله عليه السلام انك تحب القرع قال اجل هى شجرة اخى يونس وقيل هى التين وقيل الموز تغطى
بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وارسلناه
الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق اخبر اولا بانه من المرسلين على الاطلاق
ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه الى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى
بينه وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تع وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته
كما مر تفصيله فى سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذى يحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه
بالفاء بل بعد اللتيا والتى وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر او يزيدون اى فى مرأى الناظر فانه اذا نظر
اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا اى بعد ما شاهدوا علائم حلول
العذاب ايمانا خالصا فمتعناهم الى حين اى بالحيوة الدنيا الى حين قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة و
قصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل
الرسل المذكورين فى اخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل فى صدر السورة الكريمة رسوله عليه السلام بتبكيت قريش
وابطال مذهبهم فى انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه
وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل
من قبلهم اكثر الاولين وانه تع ارسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا
فى كل قصة منها انهم من عباده تع واصفا لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره عليه السلام ههنا بتبكيتهم بطريق
الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية وهى القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ
حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما

سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام الحق عليهم السلام عباده تع فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان
مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملئكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم المنطوى
على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه فى سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى
فى ذلك فاستفتهم الربك البنات اللاتى هن اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به
من له ادنى شئ من العقل وقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت
بهذا كما اشير اليه اى بل اخلقنا الملئكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل الطبائع
اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تع وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تع اشهدوا خلقهم
وقوله تع ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل
الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما
حال من فاعل خلقنا اى بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون ح او عطف على خلقنا اى بل اهم شاهدون وقوله تعالى
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله استئناف من جهته غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال اصل مذهبهم
الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم لكاذبون
فى قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدأ محذوف اى الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا
فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث اصطفى البنات على البنين اثبات لافكهم وتقرير
لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تع البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشئ
لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير
القول اى لكاذبون فى قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد ما لكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذى يقضى ببطلانه بديهة العقول
افلا تذكرون بحذف احدى التائين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اى اتلاحظون ذلك
فلا تذكرون بطلانه فانه مركوز فى عقل كل ذكى وغبى ام لكم سلطان مبين اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى
تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود اصلا اى بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملئكة بناته تع ضرورة
ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسى او عقلى وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلى فاتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم
ان كنتم صادقين فيها وفى هذه الايات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم
وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تامل فيها وقوله تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء
حالهم ان يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لاخرين والمراد بالجنة الملئكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا
كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع
عظم شانهم فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التى اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملئكة بنات الله وانما
اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تع ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اى والله لقد علمت الجنة التى عظموها بان
جعلوا بينها وبينه تع نسبا وهم الملئكة ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم فى قولهم ذلك و
المراد به المبالغة فى التكذيب ببيان ان الذين يدعى هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال
يكذبونهم فى ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤكدا وقيل انهم قوم من الزنادقة يقولون ان الله تع وابليس اخوان
فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تع وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازى
وهذا القول عندى اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملئكة بنات
الله تع فقال ابو بكر الصديق رض فمن امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا
بينهما مناسبة حيث اشركوا به تع الجن فى استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز ان يكون الضمير فى انهم لمحضرون
للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تع يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تع او شركاء فى استحقاق
العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله سبحان الله عما يصفون حكاية لتنزيه الملئكة اياه تع عما وصفه المشركون
به بعد تكذيبهم لهم فى ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تع الا عباد الله المخلصين شهادة منهم ببراءة المخلصين
من ان يصفوه تع بذلك متضمنة لتبريهم منه بحكم اندراجهم فى زمرة المخلصين على ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع
من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملئكة ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد
الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف وقوله تع فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين
مما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون
عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب

لهم ولمعبودیهم تغلیبا وعلی متعلقه بفاتنین یقال فتن فلان علی فلان امرأته ای افسدها علیه والمعنی فانکم ومعبودیکم ایها المشرکون لستم بفاتنین علیه تع باضلال عباده ثموا اضلالهم الامن هو صال الجحیم منهم ای داخلها لعلمه تع بانه یصر علی الکفر بسوء اختیاره ویصیر من اهل النار لا محاله واما المخلصون منهم فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لا جرم برآء من ان یفتتنوا بکم ویسلکوا مسلککم فی وصفه تع بما وصفتموه به وقری صال بضم اللام علی انه جمع محمول علی معنی من قد سقط واوه لالتقاء الساکنین وقوله تع وما منا الا له مقام معلوم تبیین لجلیة امرهم وتعیین لحیزهم فی موقف العبودیة بعد ما ذکر من تکذیب الکفرة فیما قالوا وتنزیه الله تع عن ذلک وتبرئة المخلصین عنه واظهار لقصور شانهم وقمائتهم ای وما منا احد الا له مقام معلوم فی العبادة والانتهاء الی امر الله عز وجل مقصور علیه لا یتجاوزه ولا یستطیع ان یزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهیبته وتواضعا لجلاله کما روی فمنهم راکع لا یقیم صلبه وساجد لا یرفع راسه قال ابن عباس رض ما فی السموات موضع شبر الا وعلیه ملک یصلی او یسبح وروی انه قال علیه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط والذی نفسی بیده ما فیها موضع اربع اصابع الا وفیه ملک واضع جبهته ساجد لله وقال السدی الا له مقام معلوم فی القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون فی مواقف الطاعة ومواطن الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون لله تع عن کل ما لا یلیق بجناب کبریائه وتحلیة کلامهم بفنون التاکید لابراز ان صدوره عنهم بکمال الرغبة والنشاط هذا هو الذی یقتضیه جزالة التنزیل وقد ذکر فی تفسیر الایات الکریمة واعرابها وجوه اخر فتامل والله الموفق وان کانوا لیقولون ان هی المخففة من الثقیلة وضمیر الشان محذوف واللام هی الفارقة ای ان الشان کانت قریش تقول لو ان عندنا ذکرا من الاولین ای کتابا من کتب الاولین من التوریة والانجیل لکنا عباد الله المخلصین ای لاخلصنا العبادة لله تع ولما خالفنا کما خالفوا وهذا کقولهم لئن جاءهم نذیر لیکونن اهدی من احدی الامم والفاء فی قوله تع فکفروا به فسوف یعلمون ای عاقبة کفرهم وغائلته ولقد سبقت کلمتنا لعبادنا المرسلین استیناف مقرر للوعید وتصدیره بالقسم لغایة الاعتناء بتحقیق مضمونه ای وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلین لهم الغالبون علی اعدائهم فی الدنیا والاخرة ولا یقدح فی ذلک انهزامهم فی بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع فی تضاعیف ذلک شوب من الابتلاء والمحنة والحکم للغالب وعن ابن عباس رض ان لم ینصروا فی الدنیا نصروا فی الاخرة وقری علی عبادنا بتضمین سبقت معنی حقت وتسمیتها کلمة مع انها کلمات لانتظامها فی معنی واحد وقری کلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتی حین الی مدة یسیرة وهی مدة الکف عن القتال وقیل یوم بدر وقیل یوم الفتح وابصرهم علی اسوء حال وافظع نکال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الایذان بغایة قربه کانه بین یدیه فسوف یبصرون ما یقع حینئذ من الامور وسوف للوعید دون التبعید افبعذابنا یستعجلون روی انه لما نزل فسوف یبصرون قالوا متی هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم ای فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم کانه جیش قد هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن علیهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقیل المراد نزول رسول الله علیه السلام یوم الفتح وقد نزل بساحتهم علی اسناده الی الجار والمجرور وقری نزل مبنیا للمفعول من التنزیل ای نزل العذاب فساء صباح المنذرین فبئس صباح المنذرین صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجیش المبیت لوقت نزول العذاب ولما کثر منهم الغارة فی الصباح سموها صباحا وان وقعت لیلا روی ان رسول الله علیه السلام لما اتی خیبر وکانوا خارجین الی مزارعهم ومعهم المساحی قالوا محمد والخمیس ورجعوا الی حصنهم فقال علیه السلام الله اکبر خربت خیبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرین وتول عنهم حتی حین وابصر فسوف یبصرون تسلیة لرسول الله علیه السلام اثر تسلیة وتاکید لوقوع المیعاد غب تاکید مع ما فی اطلاق الفعلین عن المفعول من الایذان بان ما یبصره علیه السلام حینئذ من فنون المسار وما یبصرونه من الوان المضار لا یحیط به الوصف والبیان وقیل اریه بالاول عذاب الدنیا وبالثانی عذاب الاخرة سبحان ربک رب العزة عما یصفون تنزیه لله سبحانه عن کل ما یصفه المشرکون به مما لا یلیق بجناب کبریائه وجبروته مما ذکر فی السورة الکریمة وما لم یذکر من الامور التی من جملتها ترک انجاز الموعود علی موجب کلمته السابقة لا سیما فی حق رسول الله صلی الله علیه وسلم کما ینبئ عنه التعرض لعنوان الربوبیة المعربة عن التربیة والتکمیل والمالکیة الکلیة مع الاضافة الی ضمیره علیه السلام اولا والی العزة ثانیا کانه قیل سبحان من هو مربیک ومکملک ومالک العزة والغلبة علی الاطلاق عما یصفه المشرکون به من الاشیاء التی منها ترک نصرتک علیهم کما یدل علیه استعجالهم بالعذاب وقوله تع وسلام علی المرسلین تشریف لهم بعد تنزیهه تع عما ذکر وتنویه بشانهم وایذان بانهم سالمون عن کل المکاره فائزون بجمیع المآرب وقوله تع والحمد لله رب العالمین اشارة الی وصفه عز وجل بصفاته الکریمة الثبوتیة بعد التنبیه علی اتصافه تع بجمیع صفاته السلبیة وایذان باستتباعها للافعال الجمیلة التی من جملتها افاضته علیهم من فنون الکرامات السنیة والکمالات الدینیة والدنیویة واسباغه علیهم وعلی من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تع واشعار بان ما وعد من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبیه المؤمنین علی کیفیة تسبیحه تع وتحمیده والتسلیم علی رسله الذین هم وسائط بینهم

وبینه عز وعلا فی فیضان الکمالات الدینیة والدنیویة علیهم ولعل توسیط التسلیم علی المرسلین بین تسبیحه تع وتحمیده لختم السورة الکریمة بحمده تع مع ما فیه من الاشعار بان توفیقه تع للتسلیم علیهم من جملة نعمه الموجبة للحمد عن علی رضی الله تع عنه من احب ان یکتال بالمکیال الاوفی من الاجر یوم القیمة فلیکن اخر کلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربک رب العزة عما یصفون وسلام علی المرسلین والحمد لله رب العالمین وعن رسول الله صلی الله علیه وسلم من قرا والصافات اعطی من الاجر عشر حسنات بعدد کل جنی وشیطان وتباعدت عنه مردة الشیاطین وبری من الشرک وشهد له حافظاه یوم القیمة انه کان مؤمنا بالمرسلین

سورة ص

سورة ص ثمان وثمانون ایة بسم الله الرحمن الرحیم

ص بالسکون علی الوقف وقری بالکسر والفتح لالتقاء الساکنین ویجوز ان یکون الفتح باضمار حرف القسم فی موقع الجر کقولهم الله لافعلن بالجر وان یکون ذلک نصبا باضمار اذکر او اقرا لا فتحا کما مر فی فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعریف والتانیث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرا صاد بالتنوین علی انه اسم الکتاب او التنزیل وقیل هو فی قراءة الکسر امر من المصاداة وهی المعارضة والمقابلة ومنه الصدی الذی ینعکس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملک فاعمل باوامره وانته عن نواهیه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا علی منهاج التحدی او الرمز الی کلام مثل صدق الله او صدق محمد کما نقل عن اکابر السلف او اسما للسورة خبرا لمبتدا محذوف او نصبا علی اضمار اذکر او اقرا او امرا من المصاداة فالواو فی قوله تع والقرآن ذی الذکر للقسم وان جعل مقسما به فهی للعطف علیه فان ارید بالقرآن کله فالمغایرة بینهما حقیقیة وان ارید عین السورة فهی اعتباریة کما فی قولک مررت بالرجل الکریم وبالنسمة المبارکة وایا ما کان ففی التکریر مزید تاکید لمضمون الجملة المقسم علیها والذکر الشرف والنباهة کما فی قوله تع وانه لذکر لک ولقومک او الذکری والموعظة او ذکر ما یحتاج الیه فی امر الدین من الشرایع والاحکام وغیرها من اقاصیص الانبیاء علیهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعید وجواب القسم علی الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ینبئ عنه التحدی والامر والاقسام به من کون المتحدی به معجزا او کون الماموریه واجبا وکون المقسم به حقیقا بالاعظام ای اقسم بالقرآن او بصاد وبرانه لمعجز او لواجب العمل به او لحقیق بالاعظام واما علی الوجهین الباقیین فهو الکلام المرموز الیه ونفس الجملة المذکورة قبل القسم فان التسمیة تنویه بشان المسمی وتنبیه علی عظم خطره ای انه لصادق والقرآن ذی الذکر او هذه السورة عظیمة الشان والقرآن الی آخره علی طریقة قولهم هذا حاتم والله ولما کان کل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الریب عن مضمونه بالکلیة انباء بینا کان قوله تع بل الذین کفروا فی عزة وشقاق اضرابا عن ذلک کانه قیل لا ریب فیه قطعا ولیس عدم اذعان الکفرة له لشائبة ریب ما فیه بل هم فی استکبار وحمیة شدیدة وشقاق بعید لله تع ورسوله ولذلک لا یذعنون له وقیل الجواب ما دل علیه الجملة الاضرابیة ای ما کفر به من کفر لخلل وجد فیه بل الذین کفروا الخ وقری فی غرة ای فی غفلة عما یجب علیهم التنبه له من مبادی الایمان ودواعیه کم اهلکنا من قبلهم من قرن وعید لهم علی کفرهم واستکبارهم ببیان ما اصاب من قبلهم من المستکبرین وکم مفعول اهلکنا ومن قرن تمییز والمعنی قرنا کثیرا اهلکنا من القرون الخالیة فنادوا عند نزول باسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لینجوا من ذلک وقوله تع ولات حین مناص حال من ضمیر نادوا ای نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان لیس الحین حین مناص ای فوت ونجاة من ناصه ای فاته لا من ناص بمعنی تاخر ولا هی المشبهة بلیس زیدت علیها تاء التانیث للتاکید کما زیدت علی رب وثم وخصت بنفی الاحیان ولم یبرز الا احد معمولیها والاکثر حذف اسمها وقیل هی النافیة للجنس زیدت علیها التاء وخصت بنفی الاحیان وحین مناص منصوب علی انه اسمها ای ولا حین مناص لهم او بفعل مضمر ای ولا اری حین مناص وقری بالرفع فهو علی الاول اسمها والخبر محذوف ای لیس حین مناص حاصلا لهم وعلی الثانی مبتدا محذوف الخبر ای ولا حین مناص کائن لهم وقری بالکسر کما فی قوله • طلبوا صلحنا ولات اوان • فاجبنا ان لات حین بقاء • اما لان لات تجر الاحیان کما ان لولا تجر الضمائر فی نحو قوله • لولاک هذا العام لم احجج • او لان اوان شبه باذ فی قوله • نهیتک عن طلابک ام عمرو • بعافیة وانت اذ صحیح • فی انه زمان قطع منه المضاف الیه وعوض التنوین لان اصله اوان صلح ثم حمل علیه حین مناص اذ اصله حین مناصهم منزلة قطعه من حین لما بین المضافین من الاتحاد ثم بنی الحین لاضافته الی غیر متمکن وقری لات بالکسر کجیر وتقف الکوفیون علیها بالهاء کالاسماء والبصریة بالتاء کالافعال وما قیل من ان التاء مزیدة علی حین لاتصالها به فی الامام مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القیاس وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حکایة لاباطیلهم المتفرعة علی ما حکی من استکبارهم وشقاقهم ای عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم فی الریاسة الدنیویة والمال علی معنی انهم عدوا ذلک امرا عجیبا خارجا عن احتمال الوقوع وانکروه اشد الانکار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الکافرون وضع فیه الظاهر موضع الضمیر غضبا علیهم وایذانا بانه لا یتجاسر علی مثل ما یقولونه الا المتوغلون فی الکفر والفسوق هذا ساحر فیما یظهره من الخوارق کذاب فیما یسنده الی الله تع من الارسال والانزال اجعل الالهة الها واحدا بان نفی الالوهیة عنهم وقصرها علی واحد ان هذا لشیء عجاب بلیغ فی العجب وذلک لانه خلاف ما الفوا علیه اباءهم الذین

اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما ياتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد
والاغبيا دفيعدون ما خالف ما اعتادوه عجبا بل محالا واما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء
الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لالهتهم علما وقدرة ومدخلا فى حدوث شئ من الاشيا حتى يلزم من نفى الوهيتهم
بقاء الاثار بلا موثر وقرى عجاب بالتشديد وهو ابلغ ككرام وكرام روى انه لما اسلم عمر رض شق ذلك على قريش فاجتمع
خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا اباطالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولاء السفهاء وجئنا لتقضى
بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخى هولاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل
الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسالوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام ارايتم
ان اعطيتكم ما سالتم امعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله
فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم اى وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابى طالب بعدما بكتهم رسول الله عليه السلم
بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه فى الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجون بتوسط ابى طالب
من المصالحة على الوجه المذكور ان امشوا اى قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا على الهتكم اى واثبتوا على
عبادتها متحملين لما تسمعونه فى حقها من القدح وان هى المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلوا عن القول وقيل المراد
بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاول اى اجتمعوا واكثروا وقرى
امشوا بغير ان على اضمار القول وقرى يمشون ان اصبروا ان هذا الشئ يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اى هذا
اى هذا الذى شاهدناه من محمد عليه السلام من امر التوحيد ونفى الهتنا وابطال امرها الشئ يراد اى من جهته عليه السلام
امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة
اوامتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رايه بواسطة ابى طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة الهتكم بالكلية
فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه فى حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشئ يريده الله تع ويحكم بامضائه وما اراد
الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشئ من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم
لشئ يراد اى يطلب ليوخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذى تدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب
والعجم لشئ يتمنى ويريده كل احد فتامل فى هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل ما سمعنا بهذا الذى يقوله فى الملة
الاخرة اى الملة النصرانية هى اخر الملل فانهم مثلثه او فى الملة التى ادركنا عليها اباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا
اى ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا فى الملة المترقبة ولقد كذبوا فى ذلك اقبح كذب فان حديث البعثة والتو
كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا اى ما هذا الا اختلاق اى كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر اى القرآن من بيننا ونحن
رؤساء الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من الله تع
كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على
الحطام الدنيوى بل هم فى شك من ذكرى اى من القرآن او الوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر فى الادلة المؤدية
الى العلم بحقيته وليس فى عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق
بل لما يذوقوا عذاب اى بل لم يذوقوا بعد عذابى فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفى لما دلالة على ان ذوقهم على شرف
الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابى الموعود فى القرآن ولذلك شكوا فيه ام عندهم
خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته تع يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها
عمن شاؤا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله تع يتفضل بها على من يشاء
من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اى الغالب الذى لا يغالب الوهاب الذى له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء وفى اضافة
اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه السلام من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تع ام لهم ملك
السموات والارض وما بينهما ترشيح لما سبق اى بل الهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا فى الامور الربانية
ويتحكموا فى التدابير الالهية التى يستاثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تع فليرتقوا فى الاسباب جواب شرط محذوف اى ان
كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا فى المعارج والمناهج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا
الوحى الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب
السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابوابها جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هم جند ما من الكفار المتحزبين على
الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما
وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تع كذبت قبلهم قوم
نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الخ استيناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم
بما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير

لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت
الاوتاد او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدى
المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد فى الارض ويرسل عليه العقارب
والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلم
وقوله تع اولئك الاحزاب اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم على احد الوجوه وفيه فضل
تاكيد وتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تع ان كل الا كذب الرسل استيناف جئ به تقريرا لتكذيبهم
وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه اى ما كل احد من آحاد اولئك او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم
تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وايا ما كان فالاستثناء
مفرغ من اعم العام فى خبر المبتدا اى ما كل احد منهم محكوما عليه بحكم الا محكوما عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم
مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه بانه كذب الرسل وفى اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام اولا والايذان بان
كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة
عليهم باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تع فحق عقاب اى ثبت ووقع على كل منهم عقابى الذى
كانت توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة فى مواقعها واما مبتدا وقوله تع ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف
العائد اى ان كل منهم الخ والجملة استيناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم
الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل من انه خبر والمبتدا قوله وعاد
الخ او قوله وقوم لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وما ينظر هولاء شروع فى بيان عقاب كفار مكة اثر بيان
عقاب اضرابهم من الاحزاب الذين اخبر فيما سبق بانهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع
وترقبه الى بيانه قطعا وفى الاشارة اليهم بهولاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم واما جعله اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم
بحسب الذكر او حضورهم فى علم الله تع فليس فى حيز الاحتمال اصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة او استهزاء انما
يتصور فى حق من لم يترتب على اعماله نتائجها بعد وبعد ما بين عقاب الاحزاب واستيصالهم بالمرة لم يبق مما ابد بيانه من
عقوباتهم امر منتظر وانما الذين فى مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لاشد العقوبات
مثل ما ارتكب الاحزاب او اشد منه ولما يلاقوا بعد شيئا من غوائلها اى وما ينتظر هولاء الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوائف
المهلكة فى الكفر والتكذيب الا صيحة واحدة هى النفخة الثانية لا بمعنى ان عقابهم نفسها بما فيه من الشدة والهول فانها
داهية يعم هولها جميع الامم برها وفاجرها بل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب الفظيع الا هى حيث
اخرت عقوبتهم الى الاخرة لما ان تعذيبهم بالاستيصال حسبما يستحقونه والنبى عليه السلام بين اظهرهم خارج عن السنة
الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تع وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما قيل من انها النفخة الاولى فمما لا وجه
له اصلا لما انه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب
المطلق موخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم ما لها من فواق اى من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرى بضم الفاء
وهما لغتان وقوله تع وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتاخير عقابهم الى الاخرة اى
قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قسطنا من العذاب الذى توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذى مبداه الصيحة
المذكورة والقط القطعة من الشئ من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا
صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله عليه السلام وعد الله تع المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها
وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان فى الاستهزاء كانهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون
من امثال هذه المقالات الباطلة واذكر لهم عبدنا داود اى قصته تهويلا لامر المعصية فى اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما
اجترؤا عليه من المعاصى فانه عليه السلام مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما الم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخه
الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكاء الدائب وغم الواصب وندمه الدائم فما
الظن بهولاء الكفرة الاذلين من كل ذليل المرتكبين لاكبر الكبائر المصرين على اعظم المعاصى او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيما كلفت
من مصابرتهم وتحمل اذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة ذا الايد اى ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد بمعنى وايا د كل شئ
ما يتقوى به انه اواب رجاع الى مرضاة الله تع وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد به القوة فى الدين فانه عليه السلم
كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه استيناف مسوق لتعليل قوته فى الدين واوابيته
الى مرضاته تع ومع متعلقة بالتسخير وايثارها على اللام لما اشير اليه فى سورة الانبياء من ان تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن
بطريق تفويض التصرف الكلى فيها اليه عليه السلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له والاقتداء
به فى عبادة الله تع وقيل متعلقة بما بعدها وهو اقرب بالنسبة الى ما فى سورة الانبياء يسبحن اى يقدسن الله تع بصوت يتمثل

له او لخلق الله تع فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات
للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال او استيناف مبين لكيفية التسخير **بالعشى والاشراق** اى ووقت الاشراق وهو
حين تشرق الشمس اى تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن
ام هانى انه عليه السلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رض ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الاية
والطير عطف على الجبال **محشورة** حال من الطير والعامل سخرنا اى وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضى الله عنه
كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرى والطير محشورة بالرفع على الابتداء
والخبرية **كل له اواب** استيناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير اى كل واحد من الجبال والطير
لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله
رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تع ومن دابه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل
الضمير لله تع اى كل من داود والجبال والطير لله اواب اى مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا ملكه** قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة
الجنود وقرى بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل على اخر بقرة وعجز عن اقامة
البينة فاوحى اليه فى المنام ان اقتل المدعى عليه فتاخر فاعيد الوحى فى اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله تع لم ياخذنى بهذا
الذنب ولكن بانى قتلت اباهذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تع عليه فقتله فهابوه وعظمت
هيبته فى القلوب **واتيناه الحكمة** النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرايع وقيل كل كلام وافق الحكمة فهو
حكمة **وفصل الخطاب** اى فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد
روعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه
يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلاة وقيل هو الخطاب الفصل الذى ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء
فى نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر **وهل اتيك نبأ الخصم** استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما فى حيزه
لايذانه بانه من الانباء البديعة التى حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد و
الجمع كالضيف ومعنى خصمان فريقان **اذ تسوروا المحراب** اى تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره
تسنمه اذا علا سنامه وتذراه علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع
فى عهد داود عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة
لا باتى لان اتيانه الرسول عليه السلام لم يكن حينئذ وقوله تع **اذ دخلوا على داود** بدل مما قبله او ظرف لتسوروا **ففزع منهم**
روى انه تع بعث اليه ملكين فى صورة انسانين قيل هما جبريل وميكائيل فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما
الحرس فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على
خلاف العادة والحرس حوله وفى غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رض ان داود جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة
ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير **قالوا** استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية
فزعه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه عليه السلام فقيل قالوا ازالة لفزعه **لا تخف خصمان**
اى نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما **بغى بعضنا على بعض** هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب
فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اى لا تجر فى الحكومة وقرى ولا تشطط اى لا تبعد عن الحق وقرى ولا تشطط ولا تشاطط
وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق **واهدنا الى سواء الصراط** الى وسط طريق الحق بزجر الباغى عما سلكه من طريق
الجور وارشاده الى منهاج العدل **ان هذا اخى** استيناف لبيان ما فيه الخصومة اى اخى فى الدين او فى الصحبة والتعرض لذلك
تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه **له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة** هى الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المراة والكناية
والتعريض ابلغ فى المقصود وقرى تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرى ولى نعجة بسكون الياء **فقال اكفلنيها**
اى ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى **وعزنى فى الخطاب** اى غلبنى فى مخاطبته
اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المراة وخطبها هو فخاطبنى خطابا اى
غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث تزوجها دونى وقرى وعازنى اى غالبنى وعزنى بتخفيف الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب
كانه قيس على ظلت ومست **قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه** جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام المبالغة فى
انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه فى نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه
بما ادعاه عليه او بناه على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر بالى لتضمنه معنى
الاضافة والضم **وان كثيرا من الخلطاء** اى الشركاء الذين خلطوا اموالهم **ليبغى** ليتعدى وقرى بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة
وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسر **بعضهم على بعض** غير مراع لحق الصحبة والشركة **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** منهم فانهم
يتحامون عن البغى والعدوان **وقليل ما هم** اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض **وظن داود انما**

فتناه الظن مستعار للعلم الاستدلالى لما بينهما من المشابهة الظاهرة اى علم بما جرى فى مجلس الحكومة وقيل لما قضى
بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعد الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام انه تع ابتلاه وليس المعنى على
تخصيص الفتنة به عليه السلام دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول اخر كما هو
الاستعمال الشايع الوارد على توجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفى فيه و
الاثبات فيها كما فى مثل قولك انما ضربت زيدا او انما ضربته تاديبا بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر
الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفى والاثبات معا فى خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا
بل باعتبار النفى فيما قبله من معنى مطلق الفعل باعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة
ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره فى الحقيقة فان معنى نصر
مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر فى الحقيقة ما يتعلق
بالفعل باعتبار النفى فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامراة اوريا وقيل
امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ فى التوبيخ فان التامل فيه اذا اداه الى الشعور
بما هو الغرض كان اوقع فى نفسه واعظم تاثيرا فى قلبه وادعى الى التنبه للخطاء مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام من
المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيى من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه السلام الى التصريح بنسبة نفسه الى
الظلم وتنبيهه على ان اوريا بصدد الخصام **فاستغفر ربه** اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب **وخر راكعا** اى ساجدا على
تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اى مصليا كانه احرم بركعتى الاستغفار **واناب** اى رجع الى الله
تع بالتوبة واصل القصة ان داود عليه السلام راى امراة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فساله ان يطلقها فاستحيى ان
يرده ففعل فتزوجها وهى ام سليمان عليهما السلام وكان ذلك جائزا فى شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة
حيث كان يسال بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار فى صدر الاسلام يواسون
المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شانه نبه بالتمثيل على انه لم يكن
ينبغى له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسال رجلا ليس له الا امراة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان
يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود فوثر
عليه السلام اهلها فكان ذنبه عليه السلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل
ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلى ويقرا الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمد
يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فوقعت فى كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها
فغطى بدنها وهى امراة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا
وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله تع على يديه او يستشهد ففتح الله تع على
يده وسلم وامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امراته فافك
مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه
ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك
حد الفرية على الانبياء صلوات الله عليهم هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب ودخلوا
عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم فهم بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله
عز وجل فاستغفر ربه مما هم به فاناب **فغفرنا له ذلك** اى ما استغفر عنه وروى انه عليه السلام بقى ساجدا اربعين
يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة او لما لابد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت منه العشب الى راسه ولم يشرب
ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تع فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له
يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه **وان له عندنا لزلفى**
لقربة وكرامة بعد المغفرة **وحسن مآب** حسن مرجع فى الجنة **يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض** اما حكاية لما خوطب به
عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اى وقلنا له او
قائلين له يا داود انا اى استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين
بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم يتغير قط **فاحكم بين الناس بالحق** بحكم الله تع فان الخلافة
بكلا معنييه مقتضية له حتما **ولا تتبع الهوى** اى هوى النفس فى الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا **فيضلك عن
سبيل الله** بالنصب على انه جواب النهى وقيل هو مجزوم بالعطف على النهى مفتوح لالتقاء الساكنين اى فيكون الهوى او
اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التى نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تع **ان الذين يضلون عن سبيل الله** تعليل لما قبله
ببيان غائلته واظهار سبيل الله فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه **لهم عذاب شديد**

جملة من خبر ومبتدا وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار بما نسوا
بسبب نسيانهم وقوله تع يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان
يوم الحساب بعد الاشعار بعليته ما يتبعه ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة
بل هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تع لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم
ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان
ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى
فتدبر وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستانف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما
وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية الجليلة و
الحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز بين
الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا
للحق دلايل افاقية وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها
رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها
عاقبة وجزاء على حسب اعمالها ذلك اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث
والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
فويل للذين كفروا مبتدا وخبر والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم
للاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تع من النار تعليلية كما في قوله
فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظايره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم
وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة
وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى
تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه واكده اي بل انجعل المومنين المصلحين
كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحيوة
الدنيا بل الكفرة اوفر حظا منها من المومنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد
الاخرين الى اسفل سافلين وقوله تع ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية
بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المومنين واشقياء
الكفرة وحمل الفجار على فجرة المومنين مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار
وصفين اخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمومنين انا نعطى في الاخرة من الخير ما
تعطون فنزلت كتاب خبر مبتدا محذوف هو عبارة عن القران او السورة وقوله تع انزلناه اليك صفة وقوله تع
مبارك خبر ثان للمبتدا او صفة لكتاب عند من يجوز تاخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرى مباركا على انه حال من مفعول
انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله ليدبروا اياته متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في اياته
التي من جملتها هذه الايات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتاويلات اللائقة
وقرى ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى التائين وليتذكر اولوا الالباب اي وليتعظ
به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان
الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه ووهبنا لداود سليمان نعم العبد وقرى نعم
العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تاخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تع انه اواب اي رجاع الى الله تع
بالتوبة او الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله لما ان الضمير المجرور في قوله تع اذ عرض عليه لا يرجع اليه عليه السلام قطعا
واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه بالعشي هو من الظهر الى اخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب
وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على
طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتفق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسوي
واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم الجياد جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل
وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها
واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس
وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها
فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته

فاسترد ها فعقرها مقربا لله تع وبقي ما بقي فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله عز وجل
خيرا منها وهي الريح تجري بامره قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما
صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار
اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتاكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل
احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى اثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب الخير مفعوله كانه قيل انبت حب
الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها
قال عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيمة وقرى اني حتى توارت بالحجاب متعلق بقوله تع احببت باعتبار
استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت اي غربت الشمس
تشبيها لغروبها في مغربها بتواري المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات اي حتى
توارت بحجاب الليل اي بظلامه ردوها علي من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن
لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر اخر كان سائلا قال فماذا قال سليمان فقيل قال ردوها فاذا
والفاء في قوله تع فطفق مسحا فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال
بالامر اي فردوها عليه فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته
اي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرى بالسؤق على همز الواو لضمتها كما في
ادؤر وقرى بالسؤوق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرى بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا
سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اظهر ما قيل في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن
الليلة على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تع ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة
واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن
فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث
لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها
لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح
مع ولايدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبر اصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش
له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تع باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة
يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه
فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف
ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين
ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف وعظماء
بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو
بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص
وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن
حال اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم لا يضره قال بدل من اناب وتفسير له رب
اغفر لي اي ما صدر عني من الزلة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي
فانه عليه السلام لما نشا في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان
يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف
الملك بالعظم لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله
تع وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء والصالحين وكون ذلك ادخل في
الاجابة وقرى لي بفتح الياء انك انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من
احكام وصف الوهابية قطعا فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعادت الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرى
الرياح تجري بامره بيان لتسخيرها له رخاء اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمامور المنقاد
حيث اصاب اي حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب والشياطين عطف على الريح
كل بناء وغواص بدل من الشياطين واخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كانه عليه السلام فصل
الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل
لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها وتقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان

يكون الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشر وبطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم
عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد وقوله تع هذا الخ اما حكاية لما خوطب
به سليمان عليه السلام مبينة لعظم شان ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف
على سخرنا او حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عليه السلام اي وقلنا اي قائلين له هذا الذي اعطيناكه من الملك
العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك عطاؤنا الخاص بك فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من
شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او
من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى
تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا
وحسن مآب هو الجنة قيل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه
ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش وسار
من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد
الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس
فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبتها ما ذكره الله تع وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة
وغيرهما والله اعلم واذكر عبدنا ايوب عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال
الاتصال بينه وبين داود وايوب عليهم السلام هو ابن عيص بن اسحق اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف
بيان له اني باني مسني الشيطان بفتح ياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها بنصب اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتحين
وبضمتين للتثقيل وعذاب اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله اني
مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الخ والاسناد الى الشيطان اما لانه تع مسه بذلك
لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله واستغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه
ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من
ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة
ويغريه على الكراهة والجزع فالتجا الى الله تع في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس
هذا تمام دعائه عليه السلام بل من جملته وانت ارحم الراحمين فاكتفي ههنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر
الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تع اركض برجلك الخ اما حكاية لما قيل له او مقول لقول مقدر معطوف على نادى
اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تع هذا مغتسل بارد وشراب فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد
امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين
فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرا ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب
وياباه ظاهر النظم الكريم وقوله تع ووهبنا له اهله معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر
آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم
وهو المروي عن الحسن او بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما
كان له قبل رحمة منا اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد
كما صبر ويلجاوا الى الله عز وجل كما لجا ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على
وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد
الصحة فان امراته رحمة بنت افرايم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميشا بن يوسف ذهبت لحاجة
فابطات فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامر الله تع باخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن
ابن عباس رض قبضة من الشجر وقال فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله
هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من
المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال
وليس في شكواه الى الله تع اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة
في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ
امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي
ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان
فكشف الله تع عنه نعم العبد اي ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تع واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب

عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني
والباقيان عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة و
البصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها تباشر بها وبالابصار عن
المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع
تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما
وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشان كما ينبئ عنه
التنكير التفخيمي وقوله تع ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكر للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة
بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما ياتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز
بلقائه ولا يتسنى ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرا
بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اي بما خلص
من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا
كما هو شان الانبياء وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار
لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في
جمع ميت وميت واذكر اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع
هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما في قول من قال
رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو علم
على القراءتين علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه
فقيل فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة
وكل اي وكلهم من الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر اي شرف
لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء وعن ابن عباس رض
هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تع وان للمتقين لحسن مآب شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم
الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين
عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز
تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تع جنات عدن التي وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله
مفتحة لهم الابواب حال من جنات والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط
بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو راي البصريين اي الابواب منها او الالف واللام القائمة مقامه كما هو راي
الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة
متكئين فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تع يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استئناف لبيان حالهم فيها وقيل
هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون
التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب لدات
لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت
واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق
بمقام الامتنان والتكريم ان هذا اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع
ابدا هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تع وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق السابق
جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم و
المخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تع لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تع فاياي
فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدا خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدا
محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق
يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل
الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تع وقرئ بتخفيف السين وآخر من شكله اي ومذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق
او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخر اي ومذوقات اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد ضمير شكله بتاويل ما ذكر او
الشراب الشامل للحميم والغساق وهو راجع الى الغساق ازواج اي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة
له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا

دخلوا النار واقتحموها معكم فوج كانوا يتبعونهم فى الكفر والضلالة والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة قال الراغب الاقتحام
توسط شدة مخيفة وقوله تع لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه اى مقول
او مقولا فى حقهم لا مرحبا بهم اى لا اتوا مرحبا او لا رحبت بهم الدار مرحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم
الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء فى حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام
الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء فى حق اتباع قالوا اى الاتباع عند سماع ما قيل فى حقهم
ووجه خطابهم للرؤساء فى قولهم بل انتم لا مرحبا بكم الخ على الوجهين الاخيرين ظ واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم
مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الخ قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع
الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا فى قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اى بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم
وقوله تع انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اى انتم قدمتم العذاب او الصلى لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدى اليه
من العقائد الزايغة والاعمال السيئة وتزيينها فى اعيننا واغرائنا عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا فبئس القرار
اى فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم وقالوا اى الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما
من التباين البين ذاتا وخطابا اى قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تع ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا
ضعفا فى النار كقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا فى النار اى عذابا مضاعفا اى ذا ضعف وذلك بان يزيد
عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعى وقالوا اى
الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم
سخريا
بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا
على انفسهم وتانيبا لها فى الاستسخار منهم ام زاغت عنهم الابصار متصل باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اى الامرين
فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار
كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل زاغت عنهم الابصار كقولك
ان يد عندك ام عندك عمرو على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء
والتحقير وقرى اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تع ام زاغت متصل بقوله تع ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم
فى النار اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان يكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة
وقرى سخريا بضم السين ان ذلك اى الذى حكى من احوالهم لحق لا بد من وقوعه البتة وقوله تع تخاصم اهل النار
خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لذلك وفى الابهام اولا والتبيين ثانيا من بيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل
من حق او عطف بيان له وقرى بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف
الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل امر لرسول الله عليه السلام ان يقول للمشركين انما
انا منذر من جهته تع انذركم عذابه وما من اله فى الوجود الا الله الواحد الذى لا يقبل الشركة والكثرة اصلا القهار
لكل شئ سواه رب السموات والارض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها العزيز الذى لا
يغلب فى امر من اموره الغفار المبالغ فى المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفى هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد
للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفى القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة
لتوفية مقام الانذار حقه قل تكرير الامر للايذان بان المقول امر جليل له شان خطير لا بد من الاعتناء به امرا واتمارا هو
اى ما انبأتكم به من انى منذر من جهته تع وانه تع واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر انه
القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس رض ومجاهد وقتادة نبأ
عظيم وارد من جهته تع وقوله تع انتم عنه معرضون استيناف ناع عليهم سوء صنيعهم به بيانا انهم لا يقدرون
قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلى عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبأ
وقوله تع ما كان لى من علم بالملأ الاعلى الخ استيناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تع بذكر نبأ من انبائه على
التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق
الوحى من عند الله تع وان سائر انبائه ايضا كذلك والملأ الاعلى هم الملئكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله
اذ يختصمون متعلق بمحذوف تقتضيه المقام اذ المراد نفى علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لى فيما سبق
علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم وتقديم الكلام كما اختاره الجمهور بحيز الواسع فان علمه عليه السلام
غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملئكة واستكبار ابليس وكفره حسبما
نطق به الوحى فلا بد من اعتبار العموم فى نفيه ايضا ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله
تقرير لثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته

عليه السلام بشئ من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحى حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار
به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخبار ما هو داع الى الوحى ومصحح له تحقيقا لقوله تع انما انا منذر فى تحقيق
علمه عليه السلام بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضميره عائد الى الحال المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما
يوحى الى حال الملأ الاعلى او ما يوحى الى ما يوحى من الامور الغيبية التى من جملتها حالهم الا انما انا نذير مبين من جهته
تع فان كونه عليه السلام كذلك من دواعى الوحى اليه ومن موجباته حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور او
هو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الى الا الانذار او ما يوحى الى الا ان انذر وابلغ ولا افرط فى ذلك
كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكليف فى توجيه قصر الوحى على كونه للانذار فى الاول وقصره على الانذار فى الثانى
فلا نبا عن سياق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله
فتامل والله المرشد وقرى انما بالكسر على الحكاية وقوله تع اذ قال ربك للملائكة شروع فى تفصيل ما اجمل من الاختصام
الذى هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تع اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملئكة واذ
بدل من اذ الاولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفى اشتمال ما فى حيزها عليه فان القصة
ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه عليه السلام والايذان بان وحى هذا
النبأ اليه تربية وتاييد له عليه السلام والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه ادل على كونه وحيا منزلا من عنده تع كما
فى قوله تع قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الخ دون حال المأمور والا لقيل ربى لانه داخل فى حيز الامر انى خالق
اى فيما سيأتى وفيه ما ليس فى صيغة المضارع من الدلالة على انه تع فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه
بشرا قيل اى جسما كثيفا يلاقى ويباشر وقيل خلقا بادى البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكى ليس
هذا الاسم الذى لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية
من طين لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر فى مواقع اخر فاذا سويته اى صورته
بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاءه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحى النفخ اجراء الريح الى
تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة
القابلة لها اى فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التى هى من امرى فقعوا له امر من وقع وفيه
دليل على ان المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اى اسقطوا له ساجدين تحية وتكريما فسجد الملائكة اى فخلقه فسواه
فنفخ فيه الروح فسجد له الملئكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا سجد اجمعون اى بطريق المعية بحيث لم يتاخر فى
ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا وقيل اكد بتاكيدين مبالغة
فى التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الامر التعليقى كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتى فى
سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعى ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شئ غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق و
التسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزى كما يقتضيه ما فى سورة البقرة وما فى سورة الاعراف وما فى سورة بنى اسرائيل
وما فى سورة الكهف وما فى سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل فى سورة البقرة وسورة
الاعراف الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالالوف من الملئكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم
استثنى استثناء واحد منهم او لان من الملئكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تع استكبر على الاول
استيناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتامل والتروى وبه يتحقق انه للاباء
والاستكبار وعلى الثانى يجوز اتصاله بما قبله اى لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين اى وصار منهم بمخالفته للامر و
استكباره عن الطاعة او كان منهم فى علم الله عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت اى خلقته بالذات من غير
توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه المستدعى لاجلاله واعظامه قصدا الى تاكيد الانكار وتشديد التوبيخ
استكبرت بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اى تكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين للتفوق
وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرى بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله
قال انا خير منه ادعاء منه لشئ مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما
يعرب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وقوله تع خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل
لما ادعاه من فضله عليه عليه السلام ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما
من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تع لما خلقت بيدى وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تع ونفخت فيه من روحى وما من
جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملئكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة
فى الارض وان له خواص ليست لغيره قال فاخرج منها الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل
وتعليلها بالاباطيل اى فاخرج من الجنة او من بين الملائكة وهى المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته

بعضهم مع بعض

بيدى

لادم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته فى سورة البقره وقيل اخرج من الخلقه التى كنت
فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تع خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد
ما كان نورانيا وقوله تع فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اى مطرود من كل خير وكرامه فان من يطرد ويرجم بالحجارة
او شيطان يرجم بالشهب وان عليك لعنتى اى ابعادى عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها فى قوله تع وان
عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملئكة والثقلين ايضا من جهته تع وانهم يدعون عليه بلعنة الله تع وابعاده من
الرحمة الى يوم الدين اى يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هى انموذج مما
سيلقاه مستمرا الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ من الوان
العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنه اللعنه وتصير كالزائل الا يرى الى قوله تع فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على
الظالمين وقوله تع ويلعن بعضهم بعضا قال رب فانظرنى اى امهلنى واخرنى والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه
الكلام اى اذ اجعلتنى رجيما فامهلنى ولا تمتنى الى يوم يبعثون اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد
فسحة لاغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكليه اذ لا موت بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب
بالجملة الاسميه مع التعرض لشمول ما ساله لاخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم فى ذلك دليل واضح على انه اخبار
بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق
كونه منهم لا لتاخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اى انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا
حسبما يقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذى قدره الله تع وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى
وقت البعث الذى هو المسؤل فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما فى قول من قال
فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تع من الاهلية القديمه للرحمة بوقوع الرحمة الحادثه
بل هى لربط الاخبار بتلك الاهليه للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت فى سورة الاعراف كما ترك النداء والاستنظار
فى الفاء والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفى سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان يكون
له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار
والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكيه فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز
واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه فى
سورة الاعراف بفضل الله تع وتوفيقه قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله
فبما اغويتنى وقوله تع رب بما اغويتنى فان اغواءه تع اياه اثر من آثار قدرته تع وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته
فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالاخر اى فاقسم بعزتك لاغوينهم
اجمعين اى ذريته آدم بتزيين المعاصى لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله تع لطاعته وعصمهم من الغواية
وقرى المخلصين على صيغة الفاعل اى الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تع قال اى الله عز وجل فالحق والحق اقول رفع
الاول على انه مبتدا محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدا ونصب الثانى على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اى لا
اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فالحق قسمى لاملان جهنم على ان الحق اما اسمه تع او نقيض الباطل عظمه
الله تع باقسامه به او فانا الحق او فقولى الحق وقوله تع لاملان الخ جواب لقسم محذوف اى والله لاملان الخ وقوله تع
والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسميه وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمه
اعنى فقولى الحق وقرئا منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملان وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين
على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل
ومعناه التاكيد والتشديد وقرى بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعوليه منك اى من جنسك من
الشياطين وممن تبعك فى الغواية والضلال منهم من ذرية آدم اجمعين تاكيد للكاف وما عطف عليه اى لاملان
من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تع لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تع لاملان
ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح ان مدار عدم
المشيئة فى قوله تع ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى اتباع الكفرة الشياطين بسوء اختيارهم لا تحقق القول
فليس فى ذلك شائبة الجبر فتدبر قل ما اسالكم عليه على القران او على تبليغ ما يوحى الى من اجر دنيوى وما انا من المتكلفين
اى المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة واتقول القران ان هو اى ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين للثقلين
كافة ولتعلمن نباه اى ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق بعد حين بعد الموت او يوم
القيمه او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقى علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد
ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تع لداود عليه السلام عشر حسنات

سورة الزمر

وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا وكبير وقال ابو امامة عصمه الله تع من كل ذنب صغيرا وكبير تمت سورة الصاد

سورة الزمر خمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر لمبتدا محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف
الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر فى قوله تع ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تع من الله العزيز
الحكيم صلة للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذى هو مفعول معنى عاملها المضاف
وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول اوفى بمقتضى المقام الذى هو بيان ان السورة او القران تنزيل الكتاب من الله
لا بيان ان تنزيل الكتاب منه تع لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرى تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرا
والزم والتعرض لوصفى العزة والحكمة للايذان بظهور آثارهما فى الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من
غير مدافع ولا ممانع وبابتناء ما فيه على اساس الحكم الباهره وقوله تع انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع فى بيان شان
المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شان المنزل وكونه من عند الله تع والمراد بالكتاب هو القران واظهاره على تقدير
كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشانه والباء اما متعلقة بالانزال اى بسبب الحق واثباته واظهاره
او بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب اى انزلناه اليك محقين فى ذلك
او انزلناه ملتبسا بالحق والصواب اى كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء فى قوله تع فاعبد الله مخلصا
له الدين لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه السلام بالحق اى فاعبده تع ممحضا له الدين من شوائب
الشرك والرياء حسبما بين فى تضاعيف ما انزل اليك وقرى برفع الدين على انه مبتدا خبره الظرف المقدم عليه لتاكيد
الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تع الا لله الدين الخالص
استئناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تع ووجوب الامتثال به على السرائر والضمائر وقوله تع والذين
اتخذوا من دونه اولياء الخ تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذى هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك
الذى هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سياتى من الجملة المصدرة
بان والاولياء عن الملئكة وعيسى عليهما السلام والاصنام وقوله تع ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير القول
من واو اتخذوا مبينه لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير
لفظ المصدر ملاق له فى المعنى اى والذين لم يخلصوا العباده لله تع بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشئ من الاشياء
الا ليقربونا الى الله تع تقريبا ان الله يحكم بينهم اى وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال
عليه كما فى قوله تع لا نفرق بين احد منهم على احد الوجهين اى بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغه • فما كان بين
الخير لو جاء سالما • ابو حجر الا ليال قلائل • اى بين الخير وبينى وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا فيما هم فيه يختلفون من
الدين الذى اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تع فى ذلك ادخال الموحدين الجنه
والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم واما ما جوز من ان يكون الموصول عبارة
عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير و
الذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تع ان الله يحكم بينهم اى بين العبدة والمعبودين
فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التعسفات بمعزل من
السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل
وانما ذلك ما بين فريقى الموحدين والمشركين فى الدنيا من الاختلاف فى الدين الباقى الى يوم القيمه وقرى قالوا ما نعبدهم
فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس فى الاخبار بذلك من مزيد مزية وقرى ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما
خاطبوا به آلهتهم وقرى نعبدهم اتباعا للباء ان الله لا يهدى اى لا يوفق للاهتداء الى الحق الذى هو طريق النجاة عن
المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار اى راسخ فى الكذب مبالغ فى الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب
فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصليه بالتمرن فى الضلالة والتمادى فى الغى والجملة تعليل
لما ذكر من حكمه تع لو اراد الله ان يتخذ ولدا الخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله
وان عيسى ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد فى حقه تع على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما
قيل اندراجا اوليا اى لو اراد الله تع ان يتخذ ولدا لاصطفى اى لاتخذ مما يخلق اى من جملة ما خلقه او من جنس ما خلقه
ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تع لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه
ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثله بين المتخذ والمتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ
ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذى يقتضيه الشرطيه تنبيها

على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه انتفاءه اى لو اراد الله تع ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد
فى شئ اصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب فى ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكانه قيل لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقيق الاراده بل على انه متحقق عند عدمها بطريق الاولويه
على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تع سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد فى حقه تع وتاكيد له ببيان
تنزهه تع عنه اى تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحا لائقا
به على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحا حقيقا بشانه وقوله تع هو الله الواحد القهار استيناف
مبين لتنزهه تع بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تع عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات
الكمال النافيه لسمات النقصان والوحدة الذاتيه الموجبة لامتناع المماثله والمشاركة بينه تع وبين غيره على الاطلاق
مما يقضى بتنزهه تع عما قالوا اقتضاء مستقلا وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت الغير
عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء
الفانيه ما يقوم مقامه وقوله تع خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تع الدالة على تفرده تع بما ذكر
من الصفات الجليله اى خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح و
قوله تع يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفيه تصرفه تع فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل و
النهار فى الارض منوط بتحريك السموات اى يغشى كل واحد منهما الآخر كانه يلف عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه
به كما يغيب الملفوف باللفافه او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد
وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تع وقوله تع كل يجرى لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اى كل منهما يجرى لمنتهى
دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة الا هو العزيز الغالب القادر على كل شئ من الاشياء التى من جملتها
عقاب العصاة الغفار المبالغ فى المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنايع البديعة من آثار الكرم
وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على
ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله فى الدلالة وتعلقه بالعالم السفلى والبداية بخلق الانسان
لعراقته فى الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته فى المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف
والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تع ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف هو صفة لنفس اى من نفس
خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت
ما بينهما فى الدلالة فانهما وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى استمر بها صارت معتادة واما الثانية
فلم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل فى كونها آية واجلب
للتعجب من السامع فعطفت على الاولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها
آية فهو من التراخى فى الحال والمنزلة وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلث آيات مترتبة
خلق آدم عليه السلام بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعب الخلق الفائت للحصر منهما وقوله تع وانزل لكم
بيان لبعض آخر من افعاله الداله على ما ذكر اى قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث
تكتب فى اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب من الانعام ثمانية ازواج
ذكرا وانثى هى الابل والبقر والضان والمعز وقيل خلقها فى الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر
مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العاليه من الامور المهمة
المشوقة الى ما انزل لا محاله وقوله تع يخلقكم فى بطون امهاتكم استيناف سوق لبيان كيفيه خلقهم واطوارهم المختلفة
الداله على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تع خلقا من بعد خلق مصدر موكد
اى يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق اى خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عاريه
من بعد مضغ مخلقه من بعد مضغ غير مخلقه من بعد علقه من بعد نطفه فى ظلمات ثلاث متعلق بيخلقكم وهى ظلمة
البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمه او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة اليه تع باعتبار افعاله المذكوره وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد منزلته تع فى العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء اى ذلكم العظيم الشان الذى عددت افعاله
الله وقوله تع ربكم خبر آخر اى مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به له الملك على
الاطلاق فى الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة فى ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تع لا اله الا هو والفاء فى
قوله تع فانى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤنه تع اى فكيف تصرفون عن عبادته تع مع وفور موجباتها
ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكليه الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها ان تكفروا به تع مع
مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤنه العظيمه الموجبة للايمان والشكر فان الله غنى عنكم اى فاعلموا انه تع

غنى عن ايمانكم وشكركم غير متاثر من انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر اى عدم رضاه بكفر عباده لا لاجل منفعتهم ودفع
مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تع به وان تشكروا يرضه لكم اى يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة
الدارين لا لانتفاعه تع به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تع وقرى باسكان الهاء ولا تزر وازرة
وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا اى لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث
بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اى كنتم تعملونه فى الدنيا من اعمال الكفر والايمان اى يجازيكم بذلك
ثوابا وعقابا انه عليم بذات الصدور اى بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهره وهو تعليل للتنبيه واذا مس الانسان
ضر من مرض وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان يدعوه فى حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف
ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تع ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اى اعطاه نعمة عظيمه
من جنابه تع من التخول وهو التعهد اى جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او
من الخول وهو الافتخار اى جعله يخول اى يختال ويفتخر نسى ما كان يدعوا اليه اى نسى الضر الذى كان يدعو الله تع فيما
سبق الى كشفه من قبل اى من قبل التخويل او نسى ربه الذى كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما فى قوله تعالى
وما خلق الذكر والانثى وقوله تع ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو
فضلا من ان يعرف من هو كما مر فى قوله تع عما ارضعت وجعل لله اندادا شركاء فى العبادة ليضل الناس بذلك عن
سبيله الذى هو التوحيد وقرى ليضل بفتح الياء اى ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متاخر عن
الجعل المذكور واللام لام العاقبه كما فى قوله تع فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى
الحقيقه لان الجاعل هاهنا قاصد بجعله المذكور حقيقه الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما اضلال وضلال
واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوه اصلا قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله
تمتع بكفرك قليلا اى تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اى من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو
تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن
حقك ان تومر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت آناء الليل الخ من تمام الكلام المامور به وام اما متصلة قد حذف
معادلها ثقه بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تاكيدا للتهديد وتهكما به انت احسن حالا ومآلا امن هو قائم
بمواجب الطاعات ودائم على اداء وظائف العبادات فى ساعات الليل حالتى السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط
كدابك حال كونه ساجدا وقائما اى جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل فى معنى العباده
وقرى كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال اخرى على الترادف او التداخل او استيناف وقع جوابا
عما نشا من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو
رحمة ربه فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبيه المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع
الاضافة الى ضمير الراجى لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد
الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل ام من هو قانت الخ افضل ام من
هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل هل يستوى الذين يعلمون حقائق
الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون ما ذكر او شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم
كدابك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين فى اعلى معارج الخير وكون الآخرين فى اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث
لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى
القانتون والعاصون وقوله تع انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل غير داخل فى الكلام المامور به وارد من جهته تعالى
بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصى لبيان عدم تاثيرها فى قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما فى قول
من قال • عوجوا لجنوا النعمى دمنة الدار • ماذا تحيون من نوى واحجار • اى انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة اصحاب
العقول الخالصه عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرى انما يذكر بالادغام قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم
امر رسول الله عليه السلام بتذكير المومنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولى الالباب ايذانا بانهم
هم كما يصرح به اى قل لهم قولى هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلاله ومزيد اعتناء بشان المامور به فان
نقل عين امر الله تع ادخل فى ايجاب الامتثال به وقوله تع للذين احسنوا تعليل للامر او لوجوب الامتثال به وايراد
الاحسان فى حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر فى قوله تع
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفى قوله تع انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى
فى هذه الدنيا متعلق باحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة فى هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذى عبر عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اى حسنة

عظيمه لا يكتنه كنهها وهي الجنه وقيل هو متعلق بحسنه على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها الصحة والعافيه وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تع انما يوفى الصابرون الخ ترغيب في التقوى المامور بها وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اى انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الالام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب اى بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رض لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيمه لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اى من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله عليه السلام ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله تع الذي هو عبارة عما امر به المومنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت لان اكون اول المسلمين اى وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان اقوم بدليل قوله تع وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زماني او من قومي او اكون اول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيمه وصف بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي والاهوال قل الله اعبد لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني من كل شوب امر عليه السلام اولا ببيان كونه مامورا بعبادة الله تع واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه واكده اظهارا للتصلب في الدين وحسما للاطماع الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تع فاعبدوا ما شئتم من دونه تع وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين اى الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه الذين خسروا انفسهم واهليهم باختيارهم الكفر لهما اى اضاعوهما واتلفوهما يوم القيمه حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه ان المحذور ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا واياما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان انهم هم اما بجعل الموصول عبارة عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا اوليا وما في قوله تع الا ذلك هو الخسران المبين من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تع لهم من فوقهم ظلل من النار الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هو حال من ظلل والاظهر انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اى لهم ظلل كائنة من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اى اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل لاخرين بل لهم ايضا عند تردبهم في دركاتها ذلك العذاب الفظيع الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم اياه بايات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تع بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمه وقرى يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت اى البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد به هو الشيطان ان يعبدوها بدل اشتمال منه فان عبادة غير الله تع عبادة للشيطان اذ هو الامر بها والمزين لها وانابوا الى الله واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب والانابة باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويوثرون الافضل فالافضل اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده من الموصول اى اولئك المنعوتون بالمحا

الجميلة الذين هداهم الله للدين الحق واولئك هم اولوا الالباب اى اصحاب العقول السليمه عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تع وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار بيان لاحوال اضداد المذكورين على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعوا خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تع لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تع لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه على انها شرطيه دخل عليها الهمزة للانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونيهما معا اى اانت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده عليه السلام في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله تع افانت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائهم الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كانه قيل اولا افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه منه ثم شدد النكير فقيل افانت تنقذ من في النار وفيه تلويح بانه تع هو الذي يقدر على الانقاذ لا غير وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تع لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تع يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضله وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله تع يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم الايه وبين ان لهم درجات عاليه في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اى لهم علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية الموسسة على الارض في الرصانة والاحكام تجري من تحتها من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لقوله تع لهم غرف الخ فانه وعد اى وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء استئناف وارد اما لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها كما في نظائر قوله تع انما مثل الحيوة الدنيا الايه او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من اثار قدرته واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ما في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تع بين البقاع فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض اى عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار اى في ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج اى يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته فتراه مصفرا من بعد خضرته ونضرته ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا كان لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الاثار القوية علقت بجعل الله تع كالاخراج ان في ذلك اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه لذكرى لتذكيرا عظيما لاولي الالباب لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحيوة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يجزمون بان من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الاية الكريمه وانما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الاثار الجليله والافعال الجميله من غير اسنادها الى موثر ما وحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين ان يكون متعلق التذكير والتنبيه شؤونه تع او شؤون اثاره حسبما تبين لا وجوده تع وقوله تع افمن شرح الله صدره للاسلام الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل القلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره فانه روي انه عليه السلام تلا فقال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك فقال عليه السلام الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تع افمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره اى خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الاصليه ولم تتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور عظيم من ربه وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الايات التكوينيه والتنزيليه والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض

عن تلك الايات بالكليه حتى لا تتذكرها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اى من اجل ذكر الله الذى حقه ان ينشرح له الصدور وتطمئن به القلوب اى اذا ذكر الله تع عندهم او آياته اشمازوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تع فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله اى عن قبوله اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب فى ضلال بعيد من الحق بعيد ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الايه فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وابى لهب وولده وقيل فى عمار بن ياسر رض وابى جهل وذويه الله نزل احسن الحديث هو القران الكريم روى ان اصحاب رسول الله عليه السلام ملوا ملة فقالوا له عليه السلام حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وفى ايقاع الاسم الجليل مبتدا وبناء نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتاكيد استناده اليه تع وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحى معجز ما لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا اولا فان مساغ مجئ الحال من النكرة المضافة اتفاق ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله تع متشابها او لكونه فى قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه فى الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق فى المعاد والمعاش وتناسب الفاظه فى الفصاحة وتجاوب نظمه فى الاعجاز مثانى صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده وقيل لانه يثنى فى التلاوه وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنيه بمعنى التكرير والاعاده كما فى قوله تع فارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة ووصف به كتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القران سور وايات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رايت رجلا حسنا شمايل اى شمايله والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر انه استيناف مسوق لبيان آثاره الظاهره فى سامعيه بعد بيان اوصافه فى نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا انقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زايد يقال اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هايل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق الحقيقة والمعنى انهم اذا سمعوا القران وقوارع اياته وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تع تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تع ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك اى الكتاب الذى شرح احواله هدى الله يهدى به من يشاء ان يهديه بصرف مقدوره الى الاهتدا بتامله فيما فى تضاعيفه من شواهد الحقية ودلايل كونه من عند الله تع ومن يضلل اى يخلق فيه الضلال لصرف قدرته الى مبادئها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تاثره بوعيده ووعده اصلا ومن يخذل فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذى ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تع يهدى بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اى ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من يؤثر فيه بشئ قط افمن يتقى بوجهه الخ استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حال المهتدى والضال والكلام فى الهمزة والفاء وحذف الخبر كما مر فى نظيره والتقدير اكل الناس سواء فمن شانه ان يتقى بنفسه بوجهه الذى هو اشرف اعضائه سوء العذاب اى العذاب السيئ الشديد يوم القيمه لكون يده التى بها كان يتقى المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت فى ابى جهل وقيل للظالمين عطف على يتقى اى ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقى باضمار قد ووضع المظهر فى مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر فى قوله تع ذوقوا ما كنتم تكسبون اى وبال ما كنتم تكسبونه فى الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصى كذب الذين من قبلهم استيناف مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوى اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروى اى كذب الذين من قبلهم من الامم السالفه فاتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزى اى الذل والصغار فى الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اى لو كان من شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل يحتاج اليه الناظر فى امور دينه لعلهم يتذكرون كى يتذكروا به ويتعظوا قرانا عربيا حال مؤكدة من هذا على ان مدار التاكيد هو الوصف كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذى عوج لا اختلال فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعانى وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ايراد لمثل من الامثال القرانيه بعد بيان ان الحكمة فى ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر فى سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثانى للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التى هى العمدة فى التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان انه فى الاصل كذلك

مما لا حاجة اليه فى حيز النصب على انه وصف لرجلا او الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تع مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يشترك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهماتهم المتباينه فى تحيره وتوزع قلبه ورجلا اى وجعل للموحد مثلا رجلا سلما اى خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وهما مصادر من سلم له كذا اى خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقرئ سالما وسالم اى وهناك سالم لرجل وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجرى عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على ابلغ وجه واكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم فى الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما فى اعلى عليين والاخر فى اسفل سافلين وهو السر فى ابهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلا على التمييز اى هل يستوى حالاهما وصفتاهما والاقتصار فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تع اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان فى الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تع الحمد لله تقرير لما قبله من نفى الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تع وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على انه تع بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تع بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون فى ورطة الشرك والضلال وقوله تع انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمه وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله عليه السلام موته اى انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اى مالك اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التى من جملتها ما فى تضاعيف هذه الايات واجتهدت فى الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا فى المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجارى فى الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تع فمن اظلم ممن كذب على الله فانه الخ مسوق لبيان حال كل من طرفى الاختصام الجارى فى شان الكفر والايمان لا غير اى اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتع بان اضاف اليه الشريك والولد وكذب بالصدق اى بالامر الذى هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اى فى اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تامل اليس فى جهنم مثوى للكافرين اى لهولاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضماير السابقه باعتبار لفظها او لجنس الكفرة وهم داخلون فى الحكم دخولا اوليا والذى جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله عليه السلام ومن تبعه كما ان المراد فى قوله تع ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه السلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمومنين بهم ويويده قراءة ابن مسعود رض والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجئ بالصدق والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى الذى هو اجل الرغايب وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به اى بسببه لان ما جاء به من القران معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرئ صُدّق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم بيان لما لهم فى الاخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم فى الدنيا من محاسن الاعمال اى لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار فى الاخرة لا فى الجنه فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وساير اهوال القيمه انما يقع قبل دخول الجنه ذلك الذى ذكر من حصول كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين اى الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا الخ متعلق بقوله لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار منطوقه صريحا فان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن لهم فى الاخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سياتى كان فى معنى الوعد به كما مر فى قوله تع وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تع لهم غرف من فوقها غرف فانه فى معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوأ الذى عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة الاسوأ والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشئ الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزياده لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما فى قولهم الناقص والاشج اعدلا بنى مروان خلا ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقه بل هى فى الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثانى بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقه وان امكن فى الاول بناء على ان تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفيره ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوأ لتكفير السيئ لكن لما لم يمكن ذلك فى الاحسن كان الاحسن نظمهما فى سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتى

والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله بكاف
عبده انكار ونفي لعدم كفايته تع على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها
او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله عليه السلام او الجنس المنتظم له انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من
قرا عباده وفسر بالانبياء وكذا قراءة من قرا بكاف عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لان في
المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام عما قالت له قريش انا نخاف ان تخبلك آلهتنا
وتصيبك معرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان
نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تع ويخوفونك بالذين من دونه اي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تع
والجملة استيناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تع وعصمته له عليه السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا
فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله
ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تع اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام ينتقم من اعدائه
لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح الدليل وسنوح السبيل قل تبكيتا لهم افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره
اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان آلهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك
الضر او ارادني برحمة اي او ان ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته
بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه
معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه عم
لما سالهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تع قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث
للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان
حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتاييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تع فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد عذبهم الله تع واخزاهم يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم
اي دائم هو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاد والمعاش بالحق حال من فاعل انزلنا
او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اي انما نفع به نفسه ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال
ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اي بلاغ الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند
الموت او ظاهرا فقط كما عند الموت فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرئ قضي على البناء للمفعول ورفع الموت
ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع
بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما
مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها
عند الموت قريب مما ذكر ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في الاخرى لآيات
عجيبة دالة على كمال قدرته تع وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية
كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها
حينا بعد حين الى انقضاء آجالها ام اتخذوا اي بل اتخذ قريش من دون الله من دون اذنه تع شفعاء تشفع لهم عنده تع قل
اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه اي قل اتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا
يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تع او هي لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان
ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء لان فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمقدر حينئذ غيرها قد راولا
وعلى اي تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي ايشفعون لو كانوا يملكون شيئا ولو كانوا
لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق
لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع ماذونا له وكلاهما
مفقود ههنا وقوله تع له ملك السموات والارض تقرير له وتاكيد اي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان
يتكلم في امر من اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل
يومئذ ما يريد واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اي انقبضت ونفرت كما في قوله تع واذا
ذكرت ربك في القرآن وحده الاية واذا ذكر الذين من دونه فرادى او مع ذكر الله تع اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها

ونسيانهم حق الله تع ولقد بولغ في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا
حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمازت وفي الثانية
ما هو العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة اي التجئ اليه تع بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه
القادر على الاشياء بجملتها والعالم باحوالها برمتها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي حكما يسلمه كل مكابر ومعاند
ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي والاخروي وقوله تع ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الخ كلام مستانف
مسوق لبيان آثار الحكم الذي استدعاه النبي عليه السلام وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال
والذخائر ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات
ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم من
فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم الاية
وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين يعرض عليهم صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اي احاط بهم
جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما
مر من حاليهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر
الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمازوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا
فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي من
الاستحقاق او على علم من الله تع بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فلنعمة والتذكير لما ان المراد شيء من النعمة
بل هي فتنة اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب
الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو امر مباين له بالكلية وتانيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته
على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او اجزية ما
كسبوا او تسميتها سيئات لانها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض
اي افرطوا في الظلم والعتو سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتاكيد وقد اصابهم اي
اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اي فائتين اولم يعلموا اي اقالوا ذلك ولم يعلموا
او اغفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسط له ويقدر لمن يشاء ان يقدر له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك
حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك الذي ذكر لآيات دالة على ان الحوادث كافة من الله تع
لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في
المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم لا تقنطوا من رحمة الله لا تياسوا من مغفرته اولا وتفضله
ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغيره حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر
كيف لا وقوله تع ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه
التعليل بقوله تع انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة
مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا
عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه المستغني
والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي من اسباب النزول الدالة على ورود الاية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم
بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد
ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تع وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس المدعى
ان الاية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم اي القرآن او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى
واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه لتتداركوا وتتاهبوا له ان تقول نفس
اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تع علمت نفس ما احضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد
مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع
بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك على ما فرطت اي على ما فرطت وقصرت في جنب الله
اي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال. اما تتقين الله في جنب وامق. له كبد حرى وعين ترقرق. وهو كناية فيها مبالغة

وقيل في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تع والصاحب بالجنب وقرى في ذكر الله وان
كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بدين الله تع واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او يقول لو ان الله
هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون
من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحيرا او تحيرا او تعللا بما لا طايل تحته وقوله تع بلى
قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تع عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي و
فصله عنه لما ان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية
ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار
المعنى وقرى بالتانيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يليق بشانه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من
الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفى فيها بالضمير عن الواو وعلى ان الرؤية بصرية او مفعول ثان لها على انها
عرفانية اليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك وينجي الله
الذين اتقوا الشرك والمعاصي اي من جهنم من العذاب لنيل الثواب اي ينجيهم الله تع من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم
بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تع لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير بمفازتهم مفيدة
لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فازته اي نجاته والباء للملابسة وقوله تعالى
لا يمسهم الخ تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تع ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء والحزن عنهم او بسببه
فليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة
الكاسب لاسبابهما وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيفما يشاء له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا
يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تع وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن
ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ
كالمذاكير وعن عثمان رض انه سال النبي عليه السلام عن المقاليد فقال عليه السلام تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان
الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو
على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين
كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تع خالق لجميع الاشياء ومتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء
والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا باياته التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس والتنزيلية التي من
جملتها هاتيك الايات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسران وراءه هذا وقد قيل هو متصل بقوله وينجي الله وما بينهما
اعتراض فتدبر قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي بعد مشاهدة هذه الايات غير الله اعبد وتامروني اعتراض للدلالة
على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه تامروني
اعبد لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع ما بعدها كما في قوله الا ايهذا
الزاجري احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرى تامرونني باظهار النونين على الاصل
وبحذف الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من
لا يكاد يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب
واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصايصهم لان الاشراك منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه
ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص و
وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تع في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشانه جلاله
وقرى بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الا
العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تع ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من
غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار
المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضته وقرى بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيدا الارض بجميع
لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغايرة وقرى مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض
منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ونفخ
في الصور هي النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض اي خر واموا تا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل
واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام

قايمون من قبورهم او متوقفون وقرى بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب
كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع و
يظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض او بنور خلقه
فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضيف الى الاسم الجليل ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب
المحاسبة بين يديه او صحايف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحايف وجيء
بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملئكة والمومنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون
بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء
من افعالهم وقوله تع وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الخ تفصيل للتوفيه وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة افواجا
متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو
الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرى بالتشديد و
قال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم وقرى نذر منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل
وتبليغ الكتب قالوا بلى قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تع لابليس لاملان جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون قيل ادخلوا ابواب
جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس والمخصوص
بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا اي فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بان كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق
في ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة
وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم
الا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقرى بالتشديد
وجواب اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد
فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصي وطبتم نفسا بما اتيح لكم من
النعيم فادخلوها خالدين كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض
يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها
تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل واحد منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها
مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملئكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن
مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه تع عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى
والمعنى ذاكرين له تع بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذاتهم هو الاستغراق
في شؤنه تع وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملئكة باقامتهم في منازلهم حسب
تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق وانزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقايلون هم المومنون ممن
قضي بينهم والملئكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله تعالى
رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعن عايشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان يقرا كل ليلة بني اسرايل والزمر

سورة المؤمن خمس وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم

حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرى بامالة الالف واخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين او نصبها باضمار اقرا ونحوه
ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفي قوله تع تنزيل الكتاب
كالذي سلف في الم السجدة وقوله تع من الله العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر من الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العزة
والعلم ما ذكر هناك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب
والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او
الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط
الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين
لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل
هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا
اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي

هذا

سورة المؤمن

كلا من المطيع والعاصى ما يجادل فى ايات الله اى بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا واما الذين امنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن
فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق فى مضائق الافهام
ومداحض الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا فى القران
كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء فى قوله تع فلا يغررك تقلبهم فى البلاد لترتيب النهى او وجوب الانتهاء على ما
قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذى لا شىء امقت منه عند الله تع ولا اجلب لخسران الدنيا والاخرة فان من تحقق ذلك
لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم ماخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تع
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم
وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم وقرى برسولها لياخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب
او قتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذى لا اصل ولا حقية له اصلا ليدحضوا به الحق الذى لا محيد عنه كما فعل
هولاء فاخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذى عاقبتهم به فان اثار دمارهم عبرة للناظرين
ولاخذن هولاء ايضا لاتحادهم فى الطريقة واشتراكهم فى الجريرة كما ينبئ عنه قوله تع وكذلك حقت كلمة ربك اى كما وجب
وثبت حكمه تع وقضاوه بالتعذيب على اوليك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب
ايضا على الذين كفروا اى كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام
فان ذلك للاشعار بان كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التى من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعدائه وذلك
انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تع انهم اصحاب النار فى حيز النصب بحذف لام
التعليل اى لانهم مستحقو اشد العقوبات وافظعها التى هى عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين
متحزبين على الرسول عليه السلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق
استيجابا وقيل هو فى محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من
اصحاب النار اى كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بعذاب الاستيصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار فى الاخرة
ومحل الكاف على التقديرين النصب على انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم اعلى طبقات الملئكة
واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذى العرش جل جلاله
ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استيناف مسوق لتسلية رسول الله
عليه السلام ببيان ان اشراف الملئكة مثابرون على ولاية من معه من المومنين ونصرهم واستدعاء ما يسعدهم فى الدارين
اى ينزهونه تع عن كل ما لا يليق بشانه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التى لا تتناهى ويؤمنون به ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح
به مع الغنى عن ذكره راسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم للمومنين حسبما ينطق به قوله
ويستغفرون للذين امنوا فان المشاركة فى الايمان اقوى المناسبات واتمها وادعى الدواعى الى النصح والشفقة وفى نظم
استغفارهم لهم فى سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار
بوقوعه عند الله تع فى موقع القبول روى ان حملة العرش ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع
لا يرفعون طرفهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملئكة فان خلقا
من الملئكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات
وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفى الحديث ان الله امر جميع الملئكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة
العرش تفضيلا لهم على سايرهم وقيل خلق الله تع العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوايمه خفقان الطير المسرع
ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملئكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف
صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان
على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر ربنا على ارادة القول اى يقولون ربنا على انه اما بيان لاستغفارهم
او حال وسعت كل شىء رحمة وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه تع بالرحمة والعلم والمبالغة
فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء فى قوله تع فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اى للذين علمت منهم
التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح
بعد اشعار للتاكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة فى الجؤار جنات عدن التى وعدتهم اى وعدتهم
اياها وقرى جنة عدن ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم اى صلاحا مصححا لدخول الجنة فى الجملة وان كان دون صلاح اصولهم
وهو عطف على الضمير الاول اى وادخلها معهم هولاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثانى لكن لا بناء على الوعد العام
للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تع الحقنا بهم ذريتهم بان يكونوا على درجة من ذريتهم

قال سعيد بن جبير يدخل المومن الجنة فيقول اين ابى اين ولدى اين زوجى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول
انى كنت اعمل لى ولهم فيقال ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعى حصول الموعود بلا توسط
شفاعة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء
بالادخال فيه صريح وفى الثانى ضمنى وقرى صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اى الغالب الذى لا يمتنع
عليه مقدور الحكيم الذى لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التى من جملتها انجاز الوعد والجملة تعليل لما
قبلها وقهم السيئات اى العقوبات لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص
او مخصوص بالاتباع او المعاصى فى الدنيا فمعنى قوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تقه المعاصى فى الدنيا فقد
رحمته فى الاخرة كانهم طلبوا لهم السبب بعد ما سالوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها
والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو الفوز العظيم الذى لا مطمع وراءه
لطامع ان الذين كفروا شروع فى بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون
اى من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التى وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم
بعضا من الاحباب كقوله تع يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى ابغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار و
اظهروا ذلك على رءوس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء
او مقته اياكم فى الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتابون قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة وميلا
الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين واستحبابا لاراءهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم
فاذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما فى الظروف من الاتساع وقيل لمصدر اخر مقدر اى مقته اياكم اذ تدعون
وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين فى الاخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم
والمعنى لمقت الله اياكم الان اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون
المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعى له قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدرى الفعلين المذكورين اى اماتتين
واحياءتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء
ينبئان عن الموت والحيوة حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين واحييتنا فحيينا حيوتين اثنتين على طريقة قول من قال
وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحتا او مجلف • اى لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ قيل ارادوا بالاماتة
الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء اجالهم على ان الاماتة جعل الشىء عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشائه
كذلك كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحياءين الاحياء الاول واحياء البعث
وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحياءين ما فى القبر وما عند البعث وهو
الانسب بحالهم واما حدث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم
بها لزوالها وانقضائها وانقطاع اثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه فى الدنيا كما
نطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة
من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذى ارادوه بقولهم فهل الى خروج
من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار ياس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب فى ان الذى كانوا
ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه
فى سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها فى الدنيا
لتوقف حيوة القبر عليها وكذا حالة الموتة فى القبر فان مقصدهم الاصلى هو الاعتراف بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين
لترتيبهما عليهما ذكرا حسبما ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اى من سبيل ما كيفما كان وقوله تع ذلكم الخ
جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اى ذلكم الذى انتم فيه من العذاب مطلقا لا
مقيدا بالخلود كما قيل بانه اى بسبب ان الشان اذا دعى الله فى الدنيا اى عبد وحده اى منفردا كفرتم اى بتوحيده وان
يشرك به تؤمنوا اى بالاشراك به وتسارعوا فيه وفى ايراد اذا وصيغة الماضى فى الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع
فى الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذى لا يحكم الا بالحق ولا يقضى الا
بما يقتضيه الحكمة العلى الكبير الذى ليس كمثله شىء فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب
لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذى يريكم اياته
الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تع وتخصوه بالعبادة
وينزل بالتشديد وقرى بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اى سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الايات
الدالة على كمال قدرته تع لتفرده بعنوان كونه من اثار رحمته وجلايل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة

على تجدد الارادة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات الباهرة
ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته
الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين
اي اذا كان الامر كذلك من اختصاص التذكير بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنين مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه
وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات خبر بديع السموات على انه صفة مشبهة اضيفت
الى فاعلها بعد النقل الى فعُل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال
اي رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم الى العرش ذو العرش اي مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو اخبر
عنه بهما ايذانا بعلو شانه وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما
عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته
وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شانه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز
المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح من امره فانه خبر آخر لما ذكر مبنيء عن
انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر اي ينزل الوحي الجاري من القلوب
منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا
ومبتدأ من امره او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن
للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي الوحي بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه
لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عم
او الروح لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة
لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله
وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اي
خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب
انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم
وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار
توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية
السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله
من الجملة المنفية المستانفة او مستانف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ
فقيل يقال الخ اي ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي انه
يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان
ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية
واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص
الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى
كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عذاب ان الله سريع
الحساب اي سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله تعالى شان عن شان فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي
عنه انه تعالى اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك
اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريعا فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم
الازفة اي القيمة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الازفة وهي مشارفة اهل النار
دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب لدى الحناجر
بدل من يوم الازفة فانها ترتفع من اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم
حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء
كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم
ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع اي ولا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله
لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل
الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية
وما تخفي الصدور من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله

يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون يعبدونهم من دونه تعالى لا يقضون
بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي ولا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير
تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم
كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير الفصل مع ان حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة افعل
من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل
المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق اي واق يقيهم عذاب
الله ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب انهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة فكفروا
فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد ارسلنا موسى باياتنا
وهي معجزاته وسلطان مبين اي وحجة قاهرة وهي اما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا افرد
بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها كافراد جبريل وميكال بالذكر مع دخولهما في الملائكة الى فرعون وهامان وقارون فقالوا
ساحر كذاب اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يده من المعجزات
القاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا
عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه السلام واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده
عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
ملكهم على يده وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء
المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا
اوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد
واضمحلاله بالمرة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كان ملاؤه اذا هم بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه فانه اقل
من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت عن معارضته
بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات باهرة
وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له
عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة
بدعائه ولكنه اخوف ما يخافه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبادته وعبادة
الاصنام لتقربهم اليه او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل
دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظّهر بتشديد الهاء والظاء من تظهر بمعنى
تظاهر اي تتابع وتعاون وقال موسى اي لقومه حين سمع بما يقوله اللعين من حديث قتله اني عذت بربي وربكم من كل
متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلام كلامه بان تأكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم
الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لانهما الذي يستدعيه واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به تعالى والتوكل عليه
فان في تظاهر النفوس تأثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة
والاشعار بعلة القساوة والجراءة على الله تعالى وقرئ عدت بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون
آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا يكتم ايمانه اي من فرعون وملائه اتقتلون رجلا اتقصدون قتله
ان يقول لان يقول او كراهة ان يقول ربي الله اي وحده من غير روية وتامل في امره وقد جاءكم بالبينات والحال انه
قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا
لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في
دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا
كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب الله
وهو بعض ما يعدهم كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها
او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لما ان مراده بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج آخر ذو وجهين
احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله و
اهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بانه
مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني اسرائيل في الارض
اي ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت فمن ينصرنا من بأس الله من اخذه وعذابه ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تعرضوا

لباس الله تقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه
في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء باس الله تع تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم
سعيه في حق نفسه ليتاثروا بنصحه قال فرعون بعد ما سمع نصحه ما اريكم اي ما اشير عليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله
وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد اي الصواب او لا اعلمكم الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر ولقد كذب
حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه ما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد
كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور
فيه الى فعل وقال الذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم
الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه
من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير
انتقام وهو ابلغ من قوله تع وما ربك بظلام للعبيد لما ان المنفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم
اني اخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيمة لانه ينادي فيه
بعضهم للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكي في سورة الاعراف
وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تع يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا
هاربين فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى
الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اي منصرفين عن الموقف الى النار او فارين منها حسبما نقل آنفا ما لكم من
الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد
جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد
وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك
مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من
بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث
كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة
الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار معناه كانه
قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في المجادلة اتاهم
صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره
باعتبار اللفظ وقيل الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بالتنوين على وصف القلب بالتكبر والتجبر
لانه منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشي اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى نصب على
جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التي هي
اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على رسالة موسى او ان يرى فساد قول موسى بان
اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه
الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك
التزيين المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي عنه بحال وصد عن السبيل سبيل الرشاد
والفاعل على الحقيقة هو الله تع ويدل عليه انه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى
بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تع وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وهلاك
اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على انه عطف على سوء عمله
وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد بالدلالة سبيلا
يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع
تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل
سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل
اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا

اعلى من ذلك ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له
ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار ودعوته اياهم
الى النجاة كما قيل الخبر وعني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل مالي اراك حزينا
اي ما لك تكون حزينا وقوله تع تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك
به ما ليس لي به بربوبيته له تع في المعبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان
موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم
والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله
قوله تع انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اي حق ووجب عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة
مستجاب لها او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته
بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد اي
التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل بضم الجيم
وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله اي بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا
قوله تع وان المسرفين اي في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار اي ملازموها فستذكرون
وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امري الى الله قاله
لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا
به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بآل فرعون اي بفرعون وقومه وعدم التصريح
به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما انه فر الى جبل فاتبعه طائفة
لياخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل والنار النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب والنار خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب
فقيل هو النار ويعرضون استئناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الآل ولا يشترط في الحيق
ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا
به عليهم بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل
يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود
ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله
اعلم بحالهم واما للتابيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم
فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم
ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين
استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع على اضمار المضاف او تبعا على انه
بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اي دافعون عنا
نصيبا او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا الخ او نصب على المصدرية كشيئا في قوله تع لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه في موقع غنا فكذلك نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم
ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا
من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول
جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار من الضعفاء
والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم لخزنة جهنم اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير
للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين
بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تع ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام على انه
ظرف لا معيار شيئا من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان
دون رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم
قالوا اي الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اي الم تنبهوا على هذا ولم تك تاتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج
الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تع الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات وينذرونكم لقاء
يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم
كما نطق به قوله تع بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي الاية والفاء في قوله تع قالوا فادعوا فصيحة كما في قول من قال فقد

بشناعة ما سانا اى اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعا مالين بفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن
الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الفاء ربما يوهم ان الاذن فى حيز الامكان وانهم
لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم فى الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به
فى قولهم وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اى ضياع وبطلان وقوله تع انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الخ كلام مستانف مسوق من
جهته تع لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكى من فروع حكم كلى يقتضيه الحكمة وهو ان شاننا المستمر انا ننصر رسلنا
واتباعهم فى الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستيصال والقتل والسبى وغير ذلك من العقوبات
ولا يقدح فى ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هى بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اى
يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جمع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ
وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم
اللعنة اى البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اى جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع
واورثنا بنى اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولى
الالباب لذوى العقول السليمة العاملين بما فى تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله اى وعده
الذى نطق به قوله تع ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص
بك او جميع مواعيده التى من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك
تداركا لما فرط منك من ترك الاولى فى بعض الاحايين فانه تع كافيك فى نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد
ربك بالعشى والابكار اى ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تع وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة و
ركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشى والابكار وقيل هما صلوة العصر وصلوة الفجر ان الذين يجادلون فى آيات الله
ويجحدون بها بغير سلطان اتاهم فى ذلك من جهته تع وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم فى امر
الدين لابد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل فى مشركى مكة وقوله تع ان فى
صدورهم الا كبر خبر لان اى ما فى قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الا ارادة الرياسة والتقدم على
الاطلاق او الا ارادة ان يكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم و
قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان فيها موقع جدال ما او ان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لمجادلتهم
فى الجملة وقوله تع ما هم ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد رحمه الله ما هم ببالغى مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة
او النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور فى التورية بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال
يخرج فى آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله تع فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى
تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اى فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك وفيه رمز الى انه من
همزات الشياطين انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم وقوله تع لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر
ما يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله تع اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون لقصورهم فى النظر والتامل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوى الاعمى والبصير اى الغافل والمستبصر
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيئ اى والمحسن والمسيئ فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت
وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسيئ لتاكيد النفى لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من
الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة
بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اى تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير
للناس او الكفار ان الساعة لآتية لا ريب فيها اى فى مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعونى اى اعبدونى استجب لكم اى اثبكم
لقوله تع ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين اى صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف
عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة
المبنى للمفعول من الادخال الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف الحركات وهدوء الحواس
لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا والنهار مبصرا اى مبصرا فيه او به ان الله لذو فضل عظيم لا
يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران
بهم ذلكم المتفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص السابقة منها
اللاحقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة
فانى تؤفكون فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون

اى مثل ذلك الافك العجيب الذى لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك كل من جحد بآياته تع اى آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح
فى الجملة الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء بيان لفضله تع المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى
وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفاء فى فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اى صوركم احسن
تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب
الكمالات ورزقكم من الطيبات اى اللذائذ ذلكم الذى نعت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك
الله اى تعالى بذاته رب العالمين اى مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه فى ذاته ووجوده وسائر احواله
جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية هو الحى المنفرد بالحيوة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود
يدانيه فى ذاته وصفاته وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تع مخلصين له الدين اى الطاعة من
الشرك الجلى والخفى الحمد لله رب العالمين اى قائلين ذلك عن ابن عباس رض من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله
رب العالمين قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى من الحجج والآيات او من الآيات لكونها
مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية وامرت ان
اسلم لرب العالمين اى بان انقاد له واخلص له دينى هو الذى خلقكم من تراب اى فى ضمن خلق آدم عليه السلام منه حسبما
مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اى منى ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اى اطفالا والافراد
لارادة الجنس او لارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل
ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم فى العقل والقوة وكذا الكلام فى قوله تع ثم لتكونوا شيوخا ويجوز
عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تع طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا
متعلق بفعل مقدر بعده اى ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكى تعقلوا ما فى
ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذى يحيى الاموات ويميت الاحياء او الذى يفعل الاحياء والاماتة فاذا قضى امرا اى اراد
امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شئ من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لقدرته تع فى المقدورات
عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك آمر ومأمور والفاء الاولى للدلالة
على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله تعجيب من احوالهم
الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك
كما ان ما سبق من قوله تع ان الذين يجادلون فى آيات الله الخ بيانا لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو
الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اى انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين فى آياته تع الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال
فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تع انى يصرفون
اى بكل القرآن او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها فى محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او فى حيز النصب او
الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثانى بالتكذيب دون المجادلة لتكريرها الذين كذبوا بالكتاب من سائر الكتب او مطلق
الوحى والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته اذ الاغلال فى اعناقهم ظرف ليعلمون
اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضى لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال والجار فى نية التاخير وقيل مبتدأ حذف خبره
لدلالة خبر الاول عليه وقيل قوله تع يسحبون بحذف العائد اى يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن فى الظرف وقيل
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون فى الحميم وقرئ والسلاسل
يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تع الاغلال
فى اعناقهم فى معنى اعناقهم فى الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم فى النار يسجرون اى يحرقون من سجر التنور اذا
ملاه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه يسجر بالحب اى يملاء والمراد بيان انهم يعذبون بالوان العذاب وينقلون من باب الى
باب ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا اى يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا
عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى بل تبين لنا
انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك اى مثل ذلك
الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شئ ينفعهم فى الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم
حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون فى الارض اى تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان
وبما كنتم تمرحون تتوسعون فى البطر والاشر والالتفات للمبالغة فى التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اى ابوابها السبعة المقسومة لكم
خالدين فيها مقدرا خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود
فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق كائن لا محالة فاما نرينك اى فان نرك وما مزيدة لتاكيد
الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذى نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك فالينا

رجعون يوم القيمة مجاز بهم باعمالهم وهو جواب نرينك وجواب نتوفينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة اشد العذاب وافظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة الاف من سائر الناس وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول منهم ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا اوليا الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها تاكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الاخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الازواج الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على ان كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الاخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لاي واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشائع المستفيض والتانيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الخ استيناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذي اظهره رسلهم على معنى ان فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لمجرد بيان ان كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما راوا باسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كانه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة اربع وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم (سورة السجدة)

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدا محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتدا خبره تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدا محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر آخر او تنزيل مبتدا لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجه الاول بدل منه او خبر آخر او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا قرآنا عربيا نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرآنا اي كائنا لقوم الخ او بتنزيل على ان من الرحمن الرحيم ليست بصفة له او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآنا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب او من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتامل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول الله عليه السلام عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر اي صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام فاعمل اي على دينك وقيل في ابطال امرنا اننا عاملون اي على ديننا وقيل في ابطال امرك والاول هو الاظهر لان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مامورون بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب في الهكم محكي منتظم للكل لا انه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتامل والفاء في قوله تعالى فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص في الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكاة لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل وهم بالآخرة هم كافرون عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر لا يؤتون الزكاة بلا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من منيت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتاكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التاكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكره العقلاء ويقع محتاجا الى التاكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل بالذي خلق الارض في يومين لتفخيم شانه تعالى واستعظام كفرهم به اي بالعظيم الشان الذي قدر وجودها اي حكم بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما تحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اي وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدا خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان الذي فعل ما ذكر رب العالمين اي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون اخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسي عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل ابداعي وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهي بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التاكيد فالفصل بهما كلا فصل على ان فيه فائدة التنبيه على تجرد المعطوف عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اي خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستانف وايا ما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي اي كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار

ما فيهما من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها اى قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التى من جملتها الانسان واصناف النبات التى فيها معايشهم وقدر فيها اقواتها اى حكم بالفعل بان يوجد فيها سياتى لا هلها من الانواع اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرى وقسم فيها اقواتها فى اربعة ايام متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها فى يومين وانما قيل فى اربعة ايام اى تتمة اربعة تصريحا بالفذلكة سواء مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لايام اى استوت سواء اى استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير فى اقواتها او فى فيها وقرى بالرفع اى هى سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى الى السماء شروع فى بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادى معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوى على غيره وهى دخان اى امر ظلمانى عبر به عن مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها او دخان مرتفع من الماء كما سياتى وانما خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى فقال لها وللارض اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل فقال لها وللارض التى قدر وجودها ووجود ما فيها ائتيا اى كونا واحدثا على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك امر ومامور كما فى قوله تعالى كن وقوله تعالى طوعا او كرها تمثيل لتحتم تاثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال اى طائعتين او كارهتين وقوله تعالى قالتا اتينا طائعين اى منقادين تمثيل لكمال تاثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما فى معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مترتب على تكوينها اى خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما اقتضته الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثانى فى يومين فى وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها من الملئكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة فى مواقع من التنزيل واوحى فى كل سماء امرها عطف على قضاها اى خلق فى كل منها ما فيها من الملئكة او امرهم وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وايا ما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة فى الاية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهى وما فى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روى ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث فى الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق ادم فى اخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيمة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رحمه الله من انه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الاية وليس المراد بنظمها مع السماء فى سلك الامر بالاتيان انشاءها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ائتيا على ما ينبغى ان تاتيا عليه ائتى يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة اتيا واتينا من المواتاة وهى الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق الارض حتى تاتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقين على الوجه المذكور وليس من ضرورة ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب فى ان تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف فى حصوله ولا يقدح فى ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان جعل الاشارة فى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير وجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى نفسها وحمل البعدية اما على انه قاصر عن الاول فى الدلالة على القدرة الباهرة كما قيل واما على انه ادخل فى الالزام لما ان المنافع المنوطة بما فى الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ما روى عن الحسن رضى نصا فى تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة فى

ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدى عن مقاتل رحمه الله ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر بالاتيان حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح فى ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لا يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كلمة ثم للتراخى الزمانى واما على تقدير كونها للتراخى الرتبى كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة فى الاية الكريمة على الترتيب كما فى الوجه الاول وعلى ذلك بنى الكلام فى تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا الاية فانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها كلها ترى متلالئة عليها كانها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا اى وحفظناها من الافات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك الذى ذكر بتفاصيله تقدير العزيز العليم المبالغ فى القدرة والعلم فان اعرضوا متصل بقوله تعالى قل ائنكم الخ اى فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان فقل لهم انذرتكم اى انذركم وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به صاعقة اى عذابا هائلا شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرى صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله صفة لصاعقة عاد اى الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته من بين ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اى من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الاخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتاخرون على تنزيل مجئ كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجئ انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اى من قبلهم وممن يجئ من خلفهم اى من بعدهم فكان الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله اى بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية او اى لا تعبدوا على انها مفسرة قالوا لو شاء الله اى ارسال الرسل لا انزال الملئكة كما قيل فانه عار عن افادة ما ارادوه من نفى رسالة البشر وقد مر فيما سلف لانزل ملائكة اى لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل فانا بما ارسلتم به اى على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون لما انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى ان ابا جهل قال فى ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة ابن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار هن اى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه عليه السلام وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا فى الارض شروع فى حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اى فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا فيها واستولوا على اهلها بغير الحق اى بغير استحقاق للتعظم والولاية وقالوا من اشد منا قوة مدلين بشدتهم وقوتهم حيث كانوا ذوى اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده اولم يروا اى اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة اى قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر وانما اورد فى حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة فى القوة وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا باياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اى ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اى باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر اى يجمع ويقبض او عاصفة تصوت فى هبوبها من الصرير فى ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرى بالسكون على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن اخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا وقرى لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضيف العذاب الى الخزى الذى هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الاخرة اخزى وهو فى الحقيقة وصف المعذب قد وصف به العذاب للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق

بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وازاحة عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تع هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء **فاستحبوا العمى على الهدى** اي اختاروا الضلالة على الهداية **فاخذتهم صاعقة العذاب الهون** داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه **بما كانوا يكسبون** من اختيار الضلالة **ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون** من تلك الصاعقة **ويوم يحشر اعداء الله** شروع في بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم باعداء الله لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين ويرده ما سيأتي من قوله تع في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ نحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها **الى النار** اي الى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تع يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تع **فهم يوزعون** اي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تع **حتى اذا ما جاؤها** اي جميعا غاية ليحشر او ليوزعون اي حتى اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور **شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون** في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تع او يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رض ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال في قوله تع **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا** فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما تشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح اي سألوها سؤال توبيخ لما روي انهم قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود وفي قوله تع **قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء** لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اي انطقنا الله الذي انطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار في الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي **وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون** فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تع **وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم** حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تع بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء راسا **ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون** من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تع لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رض كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي عليه السلام فانزل الله تع وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تع يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من الحال لجميع اصناف الكفرة فتدبر **وذلكم** اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تع **ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم** خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا **فاصبحتم** بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم **من الخاسرين** اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين **فان يصبروا فالنار مثوى لهم** اي محل ثواء واقامة ابدية بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غيابة دركات النار **وان يستعتبوا** اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه **فما هم من المعتبين** المجابين اليها ونظيره قوله تع سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة **وقيضنا لهم** اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا **قرناء** جمع قرين اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة **فزينوا لهم ما بين ايديهم** من امور الدنيا واتباع الشهوات **وما خلفهم** من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط **وحق عليهم القول** اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله تع لابليس فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تع اذهب فمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين كما مر مرارا **في امم** حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم

ولا جلودكم

تع وهذا كما ترى صريح في ان المراد باعداء الله تع فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل **قد خلت** صفة لامم اي مضت **من قبلهم من الجن والانس** على الكفر والعصيان كداب هؤلاء **انهم كانوا خاسرين** تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين **وقال الذين كفروا** من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض **لا تسمعوا لهذا القرآن** اي لا تنصتوا له **والغوا فيه** وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى كلقي يلقى ولغا يلغو اذا هذى **لعلكم تغلبون** اي تغلبونه على قراءته **فلنذيقن الذين كفروا** اي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا **عذابا شديدا** لا يقادر قدره **ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون** اي جزاء سيئات اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رض عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة **ذلك** مبتدأ وقوله تع **جزاء اعداء الله** خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه وقوله تع **النار** عطف بيان للجزاء او ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تع **لهم فيها دار الخلد** جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في للتجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على معناها والمراد ان لهم في النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون **جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون** منصوب بفعل مقدر اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تع فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو **وقال الذين كفروا** وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب **ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس** يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطنا اياهما وقرئ باختلاس كسر الراء **نجعلهما تحت اقدامنا** اي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل **ليكونا من الاسفلين** اي ذلا ومهانة او مكانا **ان الذين قالوا ربنا الله** شروع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوه اعترافا بربوبيته تع واقرارا بوحدانيته **ثم استقاموا** اي ثبتوا على الايمان ومقتضياته وثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها الشان كله وما روي من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها **تتنزل عليهم الملائكة** من جهته تع يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه **الا تخافوا** ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه **ولا تحزنوا** على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوع من فوت نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تع كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استئناف **وابشروا** اي سروا **بالجنة التي كنتم توعدون** في الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلاثة وقوله تع **نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا** الخ من بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام **وفي الآخرة** نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام **ولكم فيها** اي في الآخرة **ما تشتهي انفسكم** من فنون الطيبات **ولكم فيها ما تدعون** ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اي تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للايذان باستقلال كل منهما **نزلا من غفور رحيم** حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الاجور كالنزل للضيف **ومن احسن قولا ممن دعا الى الله** اي الى توحيده تع وطاعته عن ابن عباس رض هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله عليه السلام وقيل نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها عام للكل بين جميع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر **وعمل صالحا** فيما بينه وبين ربه **وقال انني من المسلمين** ابتهاجا بانه منهم واتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اي مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ انّي بنون واحدة **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة** جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد والرب عز وجل ترغيبا لرسول الله عليه السلام في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي وقوله

ادفع بالتى هى احسن الخ استيناف مبين لحسن عاقبة الحسنه اى ادفع السيئه حيث اعترضتك من بعض اعاديك بالتى هى
احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال
كيف اصنع للمبالغه ولذلك وضع احسن موضع الحسنه وقوله تع فاذا الذى بينك وبينه عداوه كانه ولى حميم بيان لنتيجة الدفع
المامور به اى فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق وما يلقاها اى ما يلقى هذه الخصله والسجيه التى
هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اى شانهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ
العظيم الجنه وقيل هو الثواب قيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وكان موذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا
مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر
وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اى وان صرفك الشيطان عما وصيت
به من الدفع بالتى هى احسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك
وفى جعل ترك الدفع بالاحسن من اثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن آياته الداله على شؤنه العظيمه الليل
والنهار والشمس والقمر كل منهما مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره
مثلكم واسجدوا لله الذى خلقهن الضمير للاربعه لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث او لانها عبارة عن الايات
وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما فى
المخلوقيه فى سلك الاعراض التى لا قيام لها بذاتها وهو السر فى نظم الكل فى سلك اياته تع ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى
مراتب العباده فلابد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عندنا وعند الشافعى آخر الاية الاخرى لانه تمام المعنى
فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملئكة يسبحون له بالليل والنهار اى دائما وهم لا يسامون لا يفترون
ولا يملون وقرى لا يسامون بكسر الياء ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسه متطامنه مستعار من الخشوع بمعنى التذلل
فاذا انزلنا عليها الماء اى المطر اهتزت وربت اى تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنا ان يظهر ارتفعت له
الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرى ربات اى ارتفعت ان الذى احياها بما ذكر
بعد موتها لمحيى الموتى بالبعث انه على كل شئ قدير من الاشياء التى من جملتها الاحياء قدير مبالغ فى القدرة ان الذين
يلحدون يميلون عن الاستقامه وقرى يلحدون فى اياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطله لا يخفون علينا
فنجازيهم بالحادهم وقوله تع ام من يلقى فى النار خير ام من ياتى امنا يوم القيمة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال
الموديه الى ما ذكر من الالقاء فى النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تع ان الذين يلحدون الخ وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستانف وخبرها
محذوف وقال الكسائى سد مسده الخبر السابق والذكر القران وقوله تع وانه لكتاب عزيز اى كثير المنافع عديم النظير او منيع
لا يتاتى معارضته جملة حاليه مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تع لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى لا يتطرق اليه
الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تع تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدا محذوف او صفه اخرى لكتاب مفيد
لفخامته الاضافيه كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتيه وقوله تع لا ياتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز تقدم
غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتاكيد بطلان الكفر بالقران وقوله تع ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله عم
عما يصيبه من اذية الكفار اى ما يقال فى شانك وشان ما انزل اليك من القران من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل
من قبلك اى الا مثل ما قد قيل فى حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد
نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب
لقولهم هلا انزل القران بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت اياته اى بينت بلسان نفقهه وقوله تع ءاعجمى وعربى
انكار مقرر للتحضيض والاعجمى يقال لكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغه فى الوصف كاحمرى والمعنى اكلام اعجمى و
رسول او مرسل اليه عربى على ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافى والتنافر بين الكلام وبين
المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمى اى اكلام منسوب الى امة العجم وقرى اعجمى على الاخبار بان
القران اعجمى والمتكلم او المخاطب ويجوز ان يراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العرب وايا ما كان فالمقصود
بيان ان ايات تع على اى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به قل هو للذين امنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما
فى الصدور من شك وشبهه والذين لا يؤمنون مبتدا خبره فى اذانهم وقر على ان التقدير هو اى القران فى اذانهم وقر
خبر للضمير المقدر وفى اذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو وفق لقوله تع وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول
فى اذانهم ووقر فاعل الظرف وقيل التقدير والذين لا يؤمنون فى اذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف
الموصول على الموصول الاول اى هو للاولين هدى وشفاء وللاخرين وقر فى اذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثانى
باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وملاحظة ما اثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته

فى الشر مع ما فيه من كمال المناسبه للنداء من بعيد اى اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذى يسمعونه
والتعامى عن الايات الظاهره التى يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى
من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستانف سوق لبيان ان
الاختلاف فى شان الكتب عادة قديمه للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تع ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
اى وبالله لقد اتيناه التورية فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك فى شان ما اتيناك من القران فمن
مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك فى حق امتك المكذبه وهى العده بتاخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من
الخصومه الى يوم القيمه نحو قوله تع بل الساعة موعدهم وقوله تع ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضى بينهم باستيصال
المكذبين كما فعل بمكذبى الامم السالفه وانهم اى كفار قومك لفى شك منه مريب اى من القران وجعل الضمير الاول
لليهود والثانى للتورية مما لا وجه له من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اى فلنفسه يعمله او فنفعه لنفسه
لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مبنى على تنزيل ترك اثابة
المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه
وقد مر ما فى المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعه اى اذا سئل عنها يقال
الله يعلم او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرة من اكمامها اى من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرى من ثمرة على
ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقد قرى بجمع الضمير ايضا وما نافيه ومن الاولى مزيده للاستغراق اى وما يحدث شئ
من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشئ من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم اين شركائى اى بزعمكم
كما نص عليه فى قوله تع اين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك
ايذانا بقصور البيان عنه كما مر فى قوله تع يوم يجمع الله الرسل قالوا اذناك اى اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم
بالشركة اذ تبرانا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وحدك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وقيل هو قول الشركا
اى ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم اذناك اما لان هذا التوبيخ اخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك
علمت من قلوبنا وعقايدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطله لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان معناه الانشا
لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اى يعبدون من قبل اى غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان
حضورهم كغيبتهم وظنوا اى ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى لا يسام الانسان اى لا يمل ولا
يفتر من دعاء الخير من طلب السعة فى النعمة واسباب المعيشه وقرى من دعاء بالخير وان مسه الشر اى العسر والضيقه فيؤس قنوط
فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن ياس مفرط يظهر اثره فى الشخص فيتضائل وينكسر اى مبالغ
فى قطع الرجاء من الله تع ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان الياس من رحمته تع لا يتاتى الا من الكافر وقد
سيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته تفريجا عنه ليقولن هذا لى اى حقى استحقه لما لى من الفضل والعمل او لى لا
لغيرى فلا يزول عنى ابدا وما اظن الساعة قائمة اى تقوم فيما سياتى ولئن رجعت الى ربى على تقدير قيامها ان لى عنده للحسنى اى
للحاله الحسنى من الكرامه وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الاخرة كذلك فلننبئن الذين
كفروا بما عملوا اى لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقيه وقد مر تحقيقه فى سورة الاعراف عند قوله تع
والوزن يومئذ الحق وفى قوله تع انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه
واذا انعمنا على الانسان اعرض اى عن الشكر ونا بجانبه اى وذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس
كما فى قوله تع فى جنب الله ويجوز ان يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض اى كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول
الامتداد فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شان بعض غير البعض الذى حكى عنه الياس والقنوط او شان
الكل فى بعض الاوقات قل ارايتم اى اخبرونى ان كان اى القران من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من
اضل ممن هو فى شقاق بعيد اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم اياتنا
الداله على حقيته وكونه من عند الله فى الافاق هو ما اخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتيه وآثار النوازل الماضيه
وما يسر الله تع له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق
للعاده وفى انفسهم هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رض فى الافاق اى منازل الامم الخاليه وآثارهم
وفى انفسهم اى يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى فى الافاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه السلام وللمسلمين وفى
انفسهم فتح مكة وقيل فى الافاق اى اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء
والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفى انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة فى تكوين الاجنة فى
ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبه والتركيبات الغريبه كقوله تع وفى انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان معنى التبيين

مع ان اراءة تلك الايات قد حصلت قبل ذلك انه تع سيطلعهم على تلك الايات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقا
يو ما فيو ما حتى يتبين لهم بذلك انه الحق اى القران او الاسلام او التوحيد او لم يكف بربك استيناف وارد لتوبيخهم على ترددهم
فى شان القران وعنادهم المحوج الى اراءة الايات وعدم اكتفائهم باخباره تع والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر
تقتضيه المقام اى الم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد ولا يكاد يزاد الا مع كفى وقوله تع انه على كل شئ شهيد
بدل منه اى الم تغنهم عن اراءة الايات الموعوده المبينه لحقية القران ولم يكفهم فى ذلك انه تع شهيد على جميع الاشيا ١
وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار ايات الله فى الافاق وفى انفسهم سيرونه ويشاهدونه
فيتبينون عند ذلك ان القران تنزيل عالم الغيب الذى على كل شئ شهيد اى مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم
ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده تع ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوه ولما نصره حاملوه هذه النصرة فتامل واما ما قيل
من ان المعنى او لم يكفك انه تع على كل شئ شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الايات الموعوده كما حقق سائر الاشيا الموعودة
فمع اشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تع الا انهم فى مرية من لقا
ربهم اى فى شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح فى ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرى مُرية بالضم وهى
لغة فيها الا انه بكل شئ محيط عالم بجميع الاشياء وجملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم
على كفرهم ومريتهم لا محاله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة السجدة اعطاه الله تع بكل حرف عشر حسنات

سورة الشورى ثلث وخمسون اية . بسم الله الرحمن الرحيم سورة حم عسق

حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا ايتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرى حم سق
فعلى الاول هما خبران لمبتدا محذوف وقيل حم مبتداء وعسق خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد وقوله تع كذلك يوحى اليك
والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستانف وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما فى تضاعيف سائر الكتب
المنزله على الرسل المتقدمه فى الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق او ان ايحاءها مثل ايحاءها بعد تنويهها بذكر اسمها
والتنبيه على فخامة شانها والكاف فى حيز النصب على انه مفعول ليوحى على الاول وعلى انه نعت لمصدر موكد له على الثانى و
ذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثانى على ايحاءها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته
فى الفضل اى مثل ما فى هذه السورة من المعانى اوحى اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم على ان مناط المماثلة
ما اشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد او مثل ايحاءها اوحى اليك
عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما فى قوله تع انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
الاية على ان مدار المثليه كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضيه للايذان باستمرار الوحى وان ايحاء
مثله عادته وفى جعل مضمون السورة او ايحاءها مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا فى وصفه تع بوصفى العزة والحكم وتاخير
الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرى يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره المسند الى ضميره او
مصدر يوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحى فقيل الله والعزيز الحكيم خبران له وعلى الوجوه
السابقه استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرى بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تع وقيل من دعاء
الولد له كما فى سورة مريم وقرى ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرى تنفطرن بالتاء لتاكيد التانيث
وهو نادر من فوقهن اى يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانيه وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الايات وادلها على العظمة
والجلال من تلك الجهه وعلى الثانى للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة فى الارض حين
اثرت فى جهة الفوق فلان تؤثر فى جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها فى معنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم
تنزهونه تع عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن فى الارض بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب
الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تاخير العقوبة طمعا فى ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المومن والكافر بل لو
فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما فى قوله تع ويستغفرون للذين امنوا
فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تع والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته
تع وعلى الثانى بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملئكة
وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى انه تع يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه اولياء
شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فمجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم
وانما وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرانا عربيا
مفعول لاوحينا اى ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك قرانا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة
الى معنى الاية المتقدمه من انه تع هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب فالكاف مفعول به لاوحينا وقرانا عربيا حال من المفعول

صفتان له او مسند اليه كما فى قراءة نوحى والعزيز وما بعده
خبران له او العزيز الحكيم له ما فى السموات وما فى الارض
وهو العلى العظيم

به اى اوحيناه اليك وهو قران عربى لتنذر ام القرى اى اهلها وهى مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اى يوم القيمة
لانه يجمع فيه الخلائق قال الله تع يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار
يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثانى مفعولى الاول واول مفعولى الثانى للتهويل وابهام
التعميم وقرى لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القران لا ريب فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى بعد
جمعهم فى الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة الجمع عليه
وقرى بالنصب على الحاليه منهم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين اى مشارفين للتفرق او فى دارى الثواب والعقاب
ولو شاء الله لجعلهم اى فى الدنيا امة واحدة قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس رض فى قوله على دين واحد
فمعنى قوله تع ولكن يدخل من يشاء فى رحمته انه تع يدخل فى رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء ان يدخله
فيه ولا ريب فى ان مشيته تع لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة
والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون ما لهم من ولى
ولا نصير للايذان بان الادخال فى العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تع كما فى الادخال فى الرحمة لا
لما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما فى قوله تع ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
وقوله تع ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشية قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشية حكمة وكلفهم
وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بقوله تع من يشاء وترك الظالمين بغير ولى ولا نصير واجيب
بان فرض جعل الكل مومنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم فى رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب
حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد
فى الكفر كما فى قوله تع كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الاية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين هم فى فترة ادريس
او فى فترة نوح عليهما السلام والمعنى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم
ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء فى رحمته ولا تاثير به الاخرون
ويتمادون فى غيهم وهم الظالمون فيبقون فى الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون فى الاخرة الى السعير من غير ولى يلى
امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دونه اولياء جملة مستانفه مقررة لما قبلها من استفادة ان يكون للظالمين
ولى او نصير وام منقطعه وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ
وجه واكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل والمراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء فى شئ لان ذلك فرع كون
الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اى بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام وغيرها هيهات وقوله تع فالله هو الولى
جواب شرط محذوف كانه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء ان ارادوا اولياء فى الحقيقه فالله هو الولى لا ولى سواه وهو
يحيى الموتى اى ومن شانه ذلك وهو على كل شئ قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شئ
وما اختلفتم فيه من شئ حكاية لقول رسول الله عليه السلام للمؤمنين اى ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم
وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشان الله ربى مالكى عليه توكلت
فى مجامع امورى خاصة لا الى غيره واليه انيب ارجع فى كل ما يعن لى من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث كان
التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعدده متجدده حسب تجدد موادها اوثر فى الاول صيغة الماضى وفى الثانى صيغة
المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شئ من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته
حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله
عليه السلام وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح
والتحقيق انه لا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه السلام فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم او
لمبتدا محذوف او مبتدا خبره جعل لكم وقرى بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل فى قوله تع الى الله وما بينهما
اعتراض بين الصفة والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره
غير مرة ومن الانعام اى وجعل للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من
الذرء وهو البث وفى معناه الذرو والذر فيه اى فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد
كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ فى الشؤن التى من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله
ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه
الطريقة فى شان من لا مثل له وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة وهو السميع البصير المبالغ فى العلم بكل ما يسمع ويبصر له
مقاليد السموات والارض اى خزائنهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسه على
الحكم البالغه انه بكل شئ عليم مبالغ فى الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغى ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد

لما بعدها من قوله تع شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وايذان بان ما شرع
لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم السلام تنبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل و
والخطاب لامته عليه السلام اى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرايع واولى العزم من مشاهير
الانبياء عليهم السلام وامرهم به امرا موكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شانهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه
لاتفاق كل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود فى شان موسى عليه السلام والافما من نبى الا وهو مامور بما امروا به وهو عبارة عن
التوحيد ودين الاسلام ومالا يختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من اصول الشرايع والاحكام كما ينبئ عنه التوصيه فانها
معربة عن تاكيد الامر والاعتناء بشان المامور به والمراد بايحاء عليه السلام اما ماذكر فى صدر السورة الكريمة وفى قوله تع
وكذلك اوحينا الاية او ما يعمهما وغيرهما مما وقع فى ساير المواقع التى من جملتها قوله تع ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا وقوله تع قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام
بالذى لزيادة تفخيم شانه من تلك الحيثية واثار الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصيه لمراعاة ما وقع فى الايات المذكورة و
فى الايحاء من التصريح برسالته عليه السلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو
السر فى تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم قصة نوح عليه السلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما
وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تع شرعه لهم على لسانه عليه السلام ان اقيموا
الدين اى دين الاسلام الذى هو توحيد الله تع وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وساير ما يكون الرجل به مومنا
والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه او التشمر له ومحل ان اقيموا اما النصب على انه بدل
من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سوال نشا من ابهام المشروع كانه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة
الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما انه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبى عليه السلام مستلزم لكون الخطاب
فى قوله تع ولا تتفرقوا فيه للانبياء المذكورين وتوجيه النهى الى اممهم تمحل ظاهر مع ان الاظهر انه متوجه الى امته عليه السلام
وانهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا اى لا تتفرقوا فى الدين الذى هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف
الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تع لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تع كبر على المشركين شروع فى بيان احوال
بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم اى عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعد
حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وقوله تع الله يجتبى اليه من يشاء استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار
بان منهم من يجيب الى الدعوة اى الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو من صرف اختيار الى ما دعى اليه
كما ينبئ عنه قوله تع ويهدى اليه من ينيب اى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تع وما تفرقوا شروع فى بيان
احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تع وما
تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اى وما تفرقوا فى الدين الذى دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم الا
من بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران من دلايل الحقية حسبما وجدوه فى كتابهم او
العلم بمبعثه عليه السلام وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى وما تفرقوا فى حال من الاحوال او فى وقت
من الاوقات الاحال مجئ العلم او الاوقت مجئ العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم فى ذلك شبهة ولولا كلمة
سبقت من ربك وهى العدة بتاخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيمة لقضى بينهم لاوقع القضاء بينهم باستيصالهم
لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تع وان الذين اورثوا الكتاب الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقران اثر بيان كيفية كفر اهل
الكتاب وقرى ورثوا وورثوا اى وان المشركين الذين اورثوا القران من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفى شك منه من
القران مريب موقع فى القلق او فى الريبة ولذلك لا يومنون به لا لمحض البغى والمكابرة بعد ما علموا حقيته كدأب اهل الكتابين
هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا لامم الانبياء عليهم السلام وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال
وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم السلام فيرده قوله تع ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وكذا ما
قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مومنين بعد ما اهلك الله تع اهل الارض بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك
حين بعث الله تع النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغى بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب
الاستيصال من غير انظار ولا امهال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم السلام
لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم السلام تاكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق
والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق اممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام فلذلك اى فلاجل ما ذكر من التفرق والشك
المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بان تتنافس فيه المتنافسون فادع اى الناس كافة الى اقامة ذلك الدين
والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم فى شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهى عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار

وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما فى قوله تع بان ربك اوحى لها اى فالى ذلك الدين فادع واستقم
عليه وعلى الدعوة اليه كما امرت واوحى اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اى كتاب كان
من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الاصول وتاليف لقلوب
اهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيانه لكيفية الايمان بها فى خاتمة سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم فى تبليغ الشرايع والاحكام
وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوى بينى وبينكم ولا آمركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق
بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمامور به محذوف اى امرت بذلك لاعدل او زايدة اى امرت ان اعدل والباء
محذوفة الله ربنا وربكم اى خالقنا وخالقكم جميعا ومتولى امورنا لنا اعمالنا لا تتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم لا يجاوزكم
آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم اى لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة
حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى
محاجزة فى مواقف المجاوبة لا متاركة فى مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ باية القتال والذين يحاجون فى الله اى فى دينه من
بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد
ما استجاب الله لرسوله عليه السلام وايده بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته عليه السلام و
استفتحوا به قبل مبعثه عليه السلام وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمومنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن
خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زالة زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم
على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذى انزل
الكتاب اى جنس الكتاب بالحق ملتبسا به فى احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذى
يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك اى اى شئ يجعلك عالما
الساعة التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق قريب اى شئ قريب او قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى
البعث والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الاعمال
ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق
اهو الذى نحن عليه ام الذى عليه محمد واصحابه والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها
الحق اى الكاين لا محالة الا ان الذين يمارون فى الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب
لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفى ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات
فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون
الطافه ما لا يكاد يناله ايدى الافكار والظنون يرزق من يشاء ان يرزقه كيفما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوى الباهر القدرة الغالب على كل شئ العزيز المنيع الذى لا يغلب من كان يريد حرث
الاخرة الحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الاعمال ونتايجها بطريق الاستعارة
المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اى من كان يريد باعماله ثواب الاخرة نزد له فى
حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها
نؤته منها اى شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه وما له فى الاخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة على الدنيا
وقد مر تفصيله فى سورة الاسراء ام لهم شركاء اى بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل
من الدين ما لم ياذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها
شركاء لله تع واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تع انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا
كلمة الفصل اى القضاء السابق بتاخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم اى بين الكافرين والمومنين او بين
المشركين وشركائهم وان الكافرين لهم عذاب اليم وقرى بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين
فى الاخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الاخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد
ممن يصلح له للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص برؤية راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اى وباله
لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات
مستقرون فى اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على
ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاؤن ذلك اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو منزلة المشار اليه هو الفضل الكبير الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو الذى يبشر الله
عباده اى يبشرهم به فحذف الجار ثم العايد الى الموصول كما فى قوله تع اهذا الذى بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذى
يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرى يبشر من ابشر قل لا اسئلكم عليه روى انه اجتمع المشركون فى مجمع لهم

فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسال على ما تعاطاه اجرا فنزلت اى لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة
اجرا نفعا الا المودة فى القربى اى الا ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا اهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسالكم
اجرا قط ولكن اسالكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة والقربى
مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هولاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة
وابناهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد
عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيمة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى اى الا ان تودوا الله ورسوله
فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى ومن يقترف حسنة اى يكتسب اى حسنة كانت فتتناول
مودة ذى القربى تناولا اوليا وعن السدى انها المرادة وقيل نزلت فى الصديق رضه ومودته فيهم نزد له فيها اى فى
الحسنة حسنا فيضاعفه الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وقرئ حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفيته
العذاب والتفضيل عليه بالزيادة ام يقولون بل يقولون افترى محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القران على ان
الهمزة للانكار التوبيخى كانه قيل اتمالكون ان ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذى هو
اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى فان يشاء الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عليه السلام لو افترى
على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القران افتراء عليه تعالى قول بانه تعالى لا يشاء عدم صدوره عنك وان يشاء ذلك
يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحى حينا
فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشا يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه الا من كان
كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وانه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم
وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القران ويقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل
لو كذب على الله لانساه القران وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا تشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته
استيناف مقرر لنفى الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما فى بعض المصاحف لاتباع
اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه اى ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه كقوله تعالى بل
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ولو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة لرسول الله عليه السلام بانه تعالى يمحو الباطل
الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى هو عليه بالقران او بقضائه الذى لا مرد له بنصرته عليهم انه عليم
بذات الصدور فيجرى عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات وهو الذى يقبل التوبة عن عباده التوبة هو الرجوع عن
المعاصى بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروى جابر رضه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له على رضه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار
توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المومنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من
الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة
الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما
يفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازى ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء
ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما فى قوله تعالى واذا كالوهم اى كالوا لهم والمراد
اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما ترتب عليها ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون
الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا
والله يدعوا الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سالوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما
للمومنين من الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لعلا بعضهم
على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية او
الكيفية ولكن ينزل بقدر اى بتقدير ما يشاء ان ينزله مما تقتضيه مشيته انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلايا
فيقدر لكل واحد منهم فى كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشانهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه
الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت فى العرب
كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذى ينزل الغيث اى المطر الذى يغيثهم من الجدب ولذلك خص
بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال
النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته اى بركات الغيث ومنافعه فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته
الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولى الذى يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة الحميد المستحق للحمد على ذلك
لا غيره ومن آياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب الصنايع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شئونه العظيمة

وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حى على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما
يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد يجوز ان
يكون للملئكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان يخلق الله فى السماء حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض
كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روى ان النبى عليه السلام قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء
والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم
اى حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد بالمشية جمعه تعالى لا قدرته
واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضى تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة اى مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم
اى فهى بسبب معاصيكم التى اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما فى الباء من
السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب اخر منها
تعريضه للثواب بالصبر عليه وما انتم بمعجزين فى الارض فائتين ما قضى عليكم من المصايب وان هربتم من اقطارها كل مهرب
وما لكم من دون الله من ولى يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية فى البحر وقرئ الجوارى
كالاعلام اى كالجبال على الاطلاق لا التى عليها النار للاهتداء خاصة ان يشا يسكن الريح التى تجريها وقرئ الرياح فيظللن
رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اى غير جاريات لا غير متحركات اصلا ان فى ذلك الذى ذكر من السفن اللاتى
يجرين تارة ويركدن اخرى على حسب مشيته تعالى لآيات عظيمة فى انفسها كثيرة فى العدد دالة على ما ذكر من شئونه تعالى
لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغى ووكل همته بالنظر فى آيات الله تعالى والتفكر فى آلائه او لكل
مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن
او يرسلها فيغرقهن بعصفها وايقاع الايباق عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو فى قوله تعالى
ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم
الذين يجادلون فى آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما فى قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى
ولنعلمه من تاويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستيناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او ان يشا
يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص اى من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما
اوتيتم من شئ مما ترغبون وتتنافسون فيه فمتاع الحيوة الدنيا اى فهو متاع تتمتعون به مدة حيوتكم وما عند الله
من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وابقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا و
الموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها فى الحيوة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف
الثانى وعن على رضه انه تصدق ابو بكر رضه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم اى الكبائر
من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح بالنصب او الرفع وبناء يغفرون
على الضمير خبرا له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضه كبير الاثم
الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة نزل فى الانصار دعاهم رسول الله عليه السلام الى الايمان فاستجابوا له وامرهم
شورى بينهم اى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا
وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون اى فى سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعهما عند اجتماعهم للصلوات
والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون اى ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة
بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهذا لا ينافى وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة فى موقع نفسه ورذيلة
مذمومة فى موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغو اللئام مذموم فانه اغراء على البغى و
عليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته • وان انت اكرمت اللئيم تمردا فوضع الندى فى موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف فى موضع الندى وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع
كونه فى نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادى هو الذى فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا
فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدى واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من نزلت به فمن عفا عن المسئ اليه
واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما فى قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم فاجره على الله
عدة مبهمة منبئة عن عظم شان الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمعتدين فى
الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اى بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير ان لها باعتبار اللفظ
ما عليهم من سبيل بالمعاتبة او المعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يعتدون فى الانتقام و
يبغون فى الارض بغير الحق اى يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغى بغير الحق لهم عذاب اليم
بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك الذى ذكر من الصبر والمغفرة

من عزم الامور اى ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما فى قولهم السمن منوان بدرهم وهذا فى المواد التى لا يؤدى العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تع اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب اى حين يرونه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد اى رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها اى على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب فى الموضعين لكل من يتاتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفى اى يبتدى نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين اى المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب الخالد يوم القيمة اما ظرف لخسروا والقول فى الدنيا او لقال اى يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقوله تع الا ان الظالمين فى عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تع لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك فى الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدى سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان ياتى يوم لا مرد له من الله اى لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من صلة مرد او من قبل ان ياتى من الله يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ اى مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اى انكار لما اقترفتموه لانه مدون فى صحائف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه السلام اى فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اى نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان الجنس لقوله تع وان تصبهم سيئة اى بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتامل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من الانتظام فى سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والارض فله ان يفعل ما يشاء ومن قضيته ان يملك التصرف فيهما وفى كل ما فيهما كيفما يشاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريد يخلق ما يشاء مما تعلمه ومما لا تعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون فى ذلك مدخل لاحد او يزوجهم اى يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى يزوجهم ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توامين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد فى حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيته تع لا ما يتعلق به مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام فى البلاء والعرب تعدهن اعظم البلايا او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف فى الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه فى الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبى عليه السلام ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير مبالغ فى العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر اى وما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا اى الا بان يوحى اليه ويلهمه ويقذف فى قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم فى ذبح ولده وقد روى عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام فى صدره او بان يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تع او من وراء حجاب فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذى يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملئكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تع او يرسل رسولا اى ملكا فيوحى ذلك الى المرسل اليه الذى هو الرسول البشرى باذنه اى بامره تع وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا هو الذى يجرى بينه تع وبين الانبياء عليهم السلام فى عامة الاوقات من الكلام وقيل وحيا وقوله تع او يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تع او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح ان يكلم الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرى او يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروى ان اليهود قالت للنبى عم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى الى الله تع فنزلت وعن عائشة رضى من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الاية انه على متعال عن صفات المخلوقين لا ياتى جريان المفاوضة بينه تع وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجرى افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اى ومثل ذلك الايحاء

البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القران الذى هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حيوة ابدية وقيل هو جبريل ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام ارساله اليه بالوحى ما كنت تدرى قبل الوحى ما الكتاب اى اى شىء هو ولا الايمان اى الايمان بتفاصيل ما فى تضاعيف الكتاب من الامور التى لا تهتدى اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اى الروح الذى اوحيناه اليك نورا نهدى به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذى يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تع وانك لتهدى تقرير لهدايته تع وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور اى وانك لتهدى بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرى لتهدى اى ليهديك الله وقرى لتدعو صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تع الذى له ما فى السموات وما فى الارض لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتاكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تع خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير الامور اى امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حم عسق كان ممن يصلى عليه الملئكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف تسع وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه كالذى مر فى فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسمية كونه اسما للقران لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة فى العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة فى تاكيد مضمون الجملة القسمية المبين اى البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه فى ابواب الديانة انا جعلناه قرانا عربيا جواب للقسم لكن لا على انه مرجع التاكيد ومداره بل على انه مقسم به ... جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التى يعرب عنها قوله تع لعلكم تعقلون فانها المحتاجة الى التحقيق والتاكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اى جعلنا ذلك الكتاب قرانا عربيا لكى تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة فى ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه فى ام الكتاب اى فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرى ام الكتاب بالكسر لدينا اى عندنا لعلى رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا فى ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة فى حكمها ففى الاقسام بالقران على علو قدره تع براعة بديعة وايذان بانه من علو الشان بحيث لا يحتاج فى بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف فى الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به على منهاج الاعتراض فى قوله تع وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شان القران العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل افنضرب عنكم الذكر اى ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف تقتضيه المقام اى انهملكم فننحى الذكر عنكم صفحا اى اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اى افننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اى لان كنتم منهمكين فى الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشانكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا فى العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرى ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تع وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تع من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله عليه السلام عن استهزاء قومه به وقوله تع فاهلكنا اشد منهم بطشا اى من هؤلاء القوم المسرفين عدل له عليه السلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين اى سلف فى القران غير مرة ذكر قصتهم التى حقها ان تسير مسير المثل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اى ليسندن خلقها الى من هذا شانه فى الحقيقة وفى نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تع بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تع الذى جعل لكم الارض مهدا استيناف من جهته تع اى بسطها لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها فى اسفاركم لعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذى هو المقصد الاصلى والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اى احيينا

سورة الزخرف

العليم

بذلك الماء بلدة ميتا خاليا عن النماء والنبات بالكليه وقرى ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة فى معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمه لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره كذلك اى مثل ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقه اخراج النبات من الارض تخرجون اى تبعثون من قبوركم احياء وفى التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس والذى خلق الازواج كلها اى اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رض الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تع فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اى ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها بكلمة فى للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر فى سورة هود عند قوله تع وقال اركبوا فيها لتستووا على ظهوره اى لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اى تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما يروى عن النبى عليه السلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تع لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وما كنا له مقرنين اى مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرى بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تع اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتامل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هو الانقلاب الى الله تعالى فيبنى اموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شئ مما ياتى ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تع ولئن سالتهم الخ اى وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته فى حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرى جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما يخلق بنات ام منقطعه وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تع ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شانهم وقوله تع واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذ داخل فى حكم الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى الخطاب لتاكيد الالزام وتشديد التوبيخ اى بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم شئ من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تع آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا الخ استيناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم ويحكى لغيرهم تعجيبا منها اى اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا اى صار اسود فى الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال و وقرى مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له او من ينشؤا فى الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا اى او جعلوا من شانه ان يربى فى الزينة وهو عاجز عن ان يتولى امره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما فى ام المنقطعه من الانكار وتاكيده والعطف لتغاير العنوانين اى او اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور فى الخصام اى الجدال الذى لا يكاد يخلو عنه الانسان فى العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رايه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفى وقرى ينشا وينشا من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه وغالاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرى عبيد الرحمن وقرى عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرى انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اى احضروا خلق الله تع اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرى أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بالالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه فى ديوان اعمالهم ويسالون عنها يوم القيمه وقرى سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرى شهاداتهم وهى قولهم ان لله جزءا وانه له بنات وانها الملائكة وقرى يساءلون من المساءلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن آخر من كفرهم اى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضى عنده تع وانهم انما يفعلونه

بمشيئته تع لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تع اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزله ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احديهما ان عبادتهم بمشيئته تع والثانيه ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تع ولقد اخطاوا فى الثانيه حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضاء او السخط فى شئ من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تع ما لهم بذلك اى بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئه فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الايات الكريمه من علم يستند الى سند ما ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كانه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القران او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اى لم ياتوا بحجة عقليه او نقليه بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد ابائهم الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقه التى تؤم اى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرى امه بالكسر والحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد وقوله تع على آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون وكذلك اى و فى قرية الامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تع ما ارسلنا من قبلك من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون استيناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين وبين اممهم عند تعللهم بتقليد ابائهم اى قال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم اولو جئتكم اى اتقتدون بابائكم ولو جئتكم باهدى بدين اهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التى ليست من الهداية فى شئ وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرى قل على انه حكاية امر ماض اوحى الى كل نذير لا على انه خطاب للرسول عليه السلام كما قيل لقوله تع قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن الامم قطعا اى قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلت به الخ وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر فى قوله تع يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه السلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما فى نظائر قوله تع كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تع فانتقمنا منهم اى بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابراهيم اى واذكر وقت قوله عليه السلام لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرا مما هم فيه بقوله اننى براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف ابائهم وبراء مصدر نعت به مبالغه ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرى برى وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها اى اننى برئ من عبادتكم او معبودكم الا الذى فطرنى استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اى اننى براء من آلهة يعبدونها غير الذى فطرنى فانه سيهدين اى سيثبتنى على الهداية او سيهدينى الى ما وراء الذى هدانى اليه الى الآن والاوجه ان السين للتاكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اى جعل ابراهيم كلمة التوحيد التى ما تكلم به عبارة عنها كلمة باقية فى عقبه اى فى ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تع ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الاية فلا يزال فيهم من يوحد الله تع ويدعوا الى توحيده وقرى كلمة وفى عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اى جعلها باقية فى عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية فى عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول عليه السلام من اهل مكة وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا فى الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق اى القران ورسول اى رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالايات البينات والحجج وقرى متعنا ومتعت بالخطاب على انه تع اعترض به على ذاته فى قولها تع وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة فى تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يجعلوه سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القران سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله عليه السلام وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين اى من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تع يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم اى بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومى وعروة بن مسعود الثقفى وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول عليه السلام دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان قرآنا لنزل الى احد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان

الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها رتبة روحانية لا يترقى اليها
الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية واما المتزخرفون بالزخارف
الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله تع اهم يقسمون رحمت ربك
انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اى اسباب معيشتهم في الحيوة
الدنيا قسمة يقتضيها مشيتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا
بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادى المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن
ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم
ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص
في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كان في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية
وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر
النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمت ربك اى النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام
الدنيا الدنية الفانية وقوله تع ولولا ان يكون الناس امة واحدة استيناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله
تع والمعنى ان حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا راوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه
بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وذلك قوله تع لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة اى لجعلنا لهم سقفا
لبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف
كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرى سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت
وسقفا كانه لغة في سقف وسقوف ومعارج اى وجعلنا لهم معارج من فضة اى مصاعد جمع معرج وقرى معاريج جمع معراج
عليها يظهرون اى يعلون السطوح والعلالى ولبيوتهم اى وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اى على السرر
يتكؤن ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا اى زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل
ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اى وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شئ يتمتع به في الحيوة الدنيا وفي
معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرى بتخفيف ما على ان ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرى بكسر اللام
على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اى للذى هو متاع الخ كما في قوله تع تماما على الذى احسن والاخرة بما
فيها من فنون النعيم التى يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين اى عن الكفر والمعاصى وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم
في الاخرة لا في الدنيا ومن يعش اى يتعام عن ذكر الرحمن وهو القران واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين
وقرى يعش بالفتح اى يعم يقال عشى يعشى اذا كان في بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرى يعشو على
ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه في حظوظها
الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرى يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن
ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع يقيض وانهم اى الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو ليصدونهم اى قرناءهم
فمدار جمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها عن السبيل المستبين الذى يدعو اليه القران
ويحسبون اى العاشون انهم اى الشياطين مهتدون اى الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون ان انفسهم مهتدون
لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون
بتقدير المبتدا او من فاعله او منهما لاشتمالها على ضميريهما اى وانهم ليصدونهم عن الطريق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه
وصيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددى لقوله تع حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة
على الجملة الشرطية لكنها تقتضى حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة
كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد
والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له ياليت بينى وبينك في الدنيا بعد المشرقين
اى بعد المشرق والمغرب اى تباعد كل منهما عن الاخر فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما فبئس القرين اى انت وقوله
ولن ينفعكم الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله تع توبيخا وتقريعا اى لن ينفعكم اليوم اى يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم اذ
ظلمتم اى لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصى وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم اى اذ تبين عندكم وعند
الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال • اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة • اى تبين انى لم تلدنى لئيمة بل كريمة وقوله
انكم في العذاب مشتركون تعليل لنفى النفع اى لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا
ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها
لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا تبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم

حتى يرد عليهم سفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا
آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك كان رسول الله
عليه السلام يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه
من بينات القران فنزل افانت تسمع الصم او تهدى العمى وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا
في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشا عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على العمى باعتبار
تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توهم القصور من قبل الهادى
ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تع وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اى فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم
ونشفى بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والاخرة فما مزيدة للتاكيد بمنزلة لام القسم
في انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك الذى وعدناهم اى او اردنا ان نريك العذاب الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون
بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد اراه عليه السلام ذلك يوم بدر فاستمسك بالذى اوحى اليك من الايات والشرائع
سواء عجلنا لك الموعود او اخرناه الى اليوم الاخر وقرى اوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط مستقيم تعليل
للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسئلون يوم القيمة عنه وعن قيامكم بحقوقه واسئل
من ارسلنا قبلك من رسلنا اى واسال اممهم وعلماء دينهم كقوله تع فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذا
المجاز التنبيه على ان المسؤل عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله اممهم وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء
هم انما يخبرون عن كتب الرسل فاذا سالهم فكانه سال الانبياء اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اى هل حكمنا بعبادة الاوثان
وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب
ويعادى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ملتبسا بها الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية الرسول عم
والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليه فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون
اى فاجاؤا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا بها اول ما راوها ولم يتاملوا فيها وما نريهم من اية من الايات الا هى اكبر من اختها
الا وهى بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الايات والمراد وصف الكل بالكبر
من غير ملاحظة قصور في شئ منها او الا وهى مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها واخذناهم
بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكى يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا ايها الساحر
نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم
السحر وقرى ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من
استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة اننا لمهتدون
اى لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته
اذا هم ينكثون فاجؤا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه
في مجمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار اى انهار النيل ومعظمها
اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجرى من تحتى اى من تحت قصرى او امرى وقيل من تحت سريرى
لارتفاعه وقيل بين يدى في جنانى وبساتينى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجرى حال منها او الحال فهذه مبتدا
والانهار صفتها وتجرى خبر للمبتدا افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة
من هذا الذى هو مهين اى ضعيف حقير من المهانة وهى القلة ولا يكاد يبين اى الكلام قاله افتراء عليه وتنقيصا له عليه السلام
في اعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتة وكانت ذهبت عنه لقوله تع قد اوتيت سؤلك وام اما منقطعة
والهمزة للتقرير كانه قال اثر ما عدد اسباب فضله ومبادى خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم انى انا خير وهذه حالى من هذا الخ
واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون خلا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده
بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من
اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القى عليه اسورة من ذهب اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا
لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع سوار وقرى اساورة جمع اسورة وقرى اساور
جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرى كذلك وقرى والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل
وهو الله تع او جاء معه الملئكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن
فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما
فاسقين فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوى فلما اسفونا اى اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا اشتد
غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل

ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به او جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين واللام على انه جمع سليف اى فريق قد سلف كرغف او سالف كصبر او سلف كاسد وقرئ سلفا بابدال الضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة قد سلفت ومثلا للاخرين اى عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله عليه السلام فى قوله تع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال اهذا لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملئكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تع اذا قومك منه اى من ذلك المثل يصدون اى يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون اى من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اى يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض اى يزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعنى المفاجاة وقالوا ءالهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيد الما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء اى ظاهر ان عيسى خير من الهتنا فحيث كان هو فى النار فلا باس بكوننا مع الهتنا فيها واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه عليه السلام سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية فان ذلك مع ايهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه السلام عنه من شائبة الافحام من اول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روى ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من اول الامر عند سماع الاية الكريمة فرد عليه النبى عليه السلام بقوله ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل وانما لم يحض عليه السلام هذا الحكم بالهتهم حين سال الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عند الحاجة موهم للرخصة فى عبادته فى الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك فى المعبودية من دون الله تع ثم بين عليه السلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك ان الملئكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تع سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما نطق به قوله تع ماضربوه لك الاجدلا اى ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك بل هم قوم خصمون اى لداء شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تع ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملئكة فنزلت فقوله ءالهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لالهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملئكة ومعنى ماضربوه الخ ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الاية قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير فى ام هو لمحمد عليه السلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين الهتهم الاستهزاء به وقد جوز ان يكون مرادهم التنصل عما انكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كانهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقوله تع ان هو الا عبد انعمنا عليه اى بالنبوة وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل اى امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السائرة على الوجه الاول استيناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وفيه تنبيه على بطلان راى من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد راى من يرى رايهم فى شان الملئكة وعلى الثانى والرابع لبيان انه قياس باطل بباطل وابطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى امره انه ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وخلقنا آدم بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملئكة بكونهم اهدى منهم او يعتذروا بان حالهم اشف او اخف من حالهم واما على الوجه الثالث فهو لرد هم وتكذيبهم فى افترائهم على رسول الله عليه السلام ببيان ان عيسى فى الحقيقة وفيما اوحى الى الرسول عليهما السلام ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته او كيف يتوهم الرضى بمعبودية نفسه وقوله تع ولو نشا الخ لتحقيق ان مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله تع وانه تع قادر على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملئكة ايضا من درجة المعبودية اى قدرتنا بحيث لو نشاء لجعلنا اى لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شانكم الولادة ملائكة كما خلقناهم بطريق الابداع فى الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين فى السماء يخلفون اى يخلفونكم مثل اولادكم فيما تاتون وما تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شانهم التسبيح والتقديس فى السماء فمن شانهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه وان عيسى لعلم للساعة اى انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله به او بحدوثه بغير اب او باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة فى الساعة وقرئ لعلم اى علامة وقرئ للذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية

ما يعلم به علما وفى الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها آفيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد عم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقران لما ان فيه الاعلام بالساعة فلا تمترن بها فلا تشكن فى وقوعها واتبعون اى واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل هو قول الرسول مامورا من جهته تع هذا اى الذى ادعوكم اليه او القران على ان الضمير فى انه له صراط مستقيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعى انه لكم عدو مبين بين العداوة حيث اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اى بالمعجزات او بايات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال لبنى اسرائيل قد جئتكم بالحكمة اى الانجيل او الشريعة ولابين لكم عطف على مقدر ينبئ عنه المجئ بالحكمة كانه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله فى مخالفتى واطيعون فيما ابلغه عنه تع ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا اى التوحيد والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام او استيناف من جهته تع مقرر لمقالة عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اى من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون اى ما ينتظر الناس الا الساعة ان تاتيهم اى الا اتيان الساعة بغتة اى فجاة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تع وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون فى الدنيا على الاطلاق او فى الامور الدنيوية يومئذ يوم اذ تاتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم فى الدنيا لما كانت فى الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم اثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا باياتنا صفة للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين اى مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادى منادى يا عبادى فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الاية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هى كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها اى فى الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهى وتلذ الاعين اى تستلذ وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالاخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف وتلك الجنة مبتدا وخبر التى اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم تعملون فى الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدا وصفه والموصول مع صلته خبر وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها كما فى الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها تاكلون اى بعضها تاكلون فى كل نوبة واما الباقى فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهى مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبى عليه السلام لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اى الراسخين فى الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم فى مقابلة المؤمنين بالايات فى عذاب جهنم خالدون خبر ان وخالدون هو الخبر وفى متعلقة به لا يفتر عنهم اى لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اى فى العذاب وقرئ فيها اى فى النار مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا خازن النار يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اى ليميتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضى علينا وهذا لا ينافى ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمنٍ للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اى فى العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضى الله عنه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تع مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضمير الله تع ولكن اكثركم للحق اى حق كان كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه واما الحق المعهود الذى هو التوحيد او القران فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا كلام مبتدا ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله عليه السلام وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهى لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام

صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه اى ابرم مشركو امكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله عليه السلام فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم او فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تع ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم ويتشاورون في امور عليه السلام ام يحسبون اى بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم في مكان خال ونجواهم اى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اى يكتبونهما او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اى نسمعهما والحال ان رسلنا يكتبونه قل اى للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتهم لعدم عبادته لما يعبدونه من الملكة ليس لبغضه وعداوته لهم او لمعبوديهم بل انما هو لجزمه باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تع ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اى له وذلك لانه عليه السلام اعلم الناس بشؤنه تع وبما يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله عليه السلام على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطيه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تع وقيل فانا اول الآنفين اى المستنكفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافيه اى ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اى يصفونه به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شئ منها جزا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش فذرهم حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كانه قيل وهو الذي يستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله والراجع الى الموصول مبتدا قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدا مؤخرا للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز ان يكون صلة للموصول واله خبر المبتدا محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي للالهة السماوية والارضية وتخصيص لاستحقاق الالهية به تع وحق له تع وهو العليم الحكيم كالدليل على ما قبله وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما اما على الدوام كالهواء او في بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اى العلم بالساعة التي فيها تقوم القيمة واليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ يحشرون بالياء ولا يملك الذين يدعون اى يدعونه وقرئ بالتاء مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما يزعمون الا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم اى سالت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تع وقيله بالجر اما على انه عطف على الساعة اى عنده علم الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب الخ فان القول والقيل والقال كلها مصادر او على ان الواو للقسم وقوله تع ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفي الاقسام به من رفع شانه عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تع ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم او على محل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقنط من ايمانهم وقل سلام اى امري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم البتة وان تاخر ذلك وهو وعيد من الله تع لهم وتسلية لرسول الله عليه السلام وقرئ تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي عم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان تسع وخمسون اية • بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة انا انزلناه اى الكتاب المبين الذي هو القران في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبرئيل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول القران مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من نزول الملئكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله عليه السلام وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تع انا انزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استئناف كما قبله كان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرئيل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل اى يفرق الله تع كل امر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اى اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لما ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه اى آمرين او مامورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين على ان المراد مبدؤها اى انا انزلنا القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف او تعليل ليفرق او لقوله تع امرا على ان قوله تع رحمة مفعول للارسال كما في قوله تع وما يمسك فلا مرسل له اى يفرق فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تع من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع اى تلك رحمة وقوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تع وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك او بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استئناف على اضمار مبتدا ان كنتم موقنين اى ان كنتم من اهل الايقان في العلوم وان كنتم موقنين في اقراركم بانه تع رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستانفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستانفة كما قبلها وكذا قوله تع ربكم ورب آبائكم الاولين باضمار مبتدا او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وقيل فاعل ليميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب السموات وقرئا بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤنه تع غير موقنين في اقرارهم يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزؤ ولعب والفاء في قوله تع فارتقب لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم في تلك مما يوجب ذلك حتما اى فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين اى يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله عليه السلام دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تع يغشى الناس اى يحيط بهم هذا عذاب اليم اى قائلين ذلك فمشى اليه عليه السلام ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تع والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تع ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان ياتي من السماء قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله عليه السلام اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تع انى لهم الذكرى الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اى كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اى والحال انهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظائم الموجبة للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي وقالوا في حقه معلم مجنون اى قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون

او يقول بعضهم كذا او اخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتاثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل
الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغا وقوله تع انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون جواب من جهته تع عن قولهم ربنا اكشف
عنا العذاب انا مومنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اى انا نكشف العذاب المعهود
عنكم كشفا قليلا او زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة و
صيغة الفاعل فى الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة وقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تع بدعاء النبى عليه السلام فما لبثوا
ان عادوا الى ما كانوا فيه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به
من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تع عنهم بعد اربعين يوما فريثما
يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبرى اى يوم القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تع
انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان مانعة عن ذلك اى يوم نبطش ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم ياتى الخ وقرى نبطش
اى نحمل الملئكة على ان يبطشوا لهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرى
نبطش بضم الطاء وهى لغة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اى امتحناهم بارسال موسى او اوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع
الرزق عليهم وقرى بالتشديد للمبالغة والكثرة وجاءهم رسول كريم على الله تع او على المومنين او فى نفسه لان الله تع لم يبعث
نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الى عباد الله اى بان ادوا الى بنى اسرائيل وارسلوهم معى او بان ادوا الى
يا عباد الله حقه من القبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجئ الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة
اى جاءهم بان الشان ادوا الى الخ وقوله تع انى لكم رسول امين تعليل للامر او لوجوب المامور به اى رسول غير ظنين قد
ائتمننى الله تع على وحيه وصدقنى بالمعجزات القاهرة وان لا تعلوا على الله اى لا تستكبروا عليه تع بالاستهانة بوحيه وبرسوله
وان كالتى سلفت وقوله تع انى آتيكم اى من جهته تع بسلطان مبين تعليل للنهى اى اتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها
وآتيكم على صيغة الفاعل او المضارع وفى ايراد الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى وانى عذت بربى
وربكم اى التجات اليه وتوكلت عليه ان ترجمون من ان ترجمون اى تؤذونى ضربا او شتما او ان تقتلونى قيل لما قال وان لا
تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرى بادغام الدال فى التاء وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون اى وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا
لى فخلونى كفافا لا على ولا لى ولا تتعرضوا الى بشر واذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب
الوصلة عنى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن يأباه المقام فدعا ربه بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام ان هؤلاء اى بان هؤلاء
قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمى دعاء وقرى بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه
اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادى ليلا باضمار القول اما
بعد الفاء اى فقال ربه اسر بعبادى واما قبلها كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادى اى ببنى اسرائيل فقد دبر الله
تع ان تتقدموا وقرى بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون اى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم واترك البحر
رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط
انهم جند مغرقون وقرى انهم بالفتح اى لانهم كم تركوا اى كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل
مزينة ومنازل حسنة ونعمة اى تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرى فكهين كذلك الكاف فى حيز النصب وذلك
اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا اى مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما اخرين وقيل مثل ذلك الاخراج
اخرجناهم منها وقيل فى حيز الرفع على الخبرية اى الامر كذلك فحينئذ يكون اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل
المقدر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال
من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روى ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله
ومهابط رزقه وآثاره فى الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم منظرين ممهلين الى وقت
آخر او الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا ولقد نجينا بنى اسرائيل بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد
فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب
لافراطه فيه واما على حذف المضاف اى عذاب فرعون او حال من المهين اى كائنا من فرعون وقرى من فرعون على معنى هل
تعرفونه من هو فى عتوه وتفرعنه وفى ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تع انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كنه
امره فى الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تع من المسرفين اما خبر ثان لكان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير فى عاليا
اى كان عاليا فى الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا فى الاسراف ولقد اخترناهم اى بنى اسرائيل على علم اى عالمين بانهم احقاء
بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون فى بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم
وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التى لم يعهد مثلها فى غيرهم

ما فيه بلاء مبين نعمة جليلة او اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ان هؤلاء يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون و
قومه مسوقة للدلالة على تماثلهم فى الاصرار على الضلالة والتحذير عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى اى ما العاقبة
ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات
وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هى الا موتتنا الاولى اى ما الموتة التى تعقبها
حيوة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التى تعقب حيوة القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين
بمبعوثين فاتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه السلام والمؤمنين ان كنتم صادقين فيما تعدونه من
قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله تع فينشر لهم قصى بن كلاب ليشاوروه وكان
كبيرهم ومفزعهم فى المهمات والملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اى اهم خير فى القوة والمنعة اللتين يدفع بهما
اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذمهم الله تع دونه وكان يكتب فى عنوان كتابه بسم الله الذى ملك برا وبحرا اى بحارا كثيرة وعن النبى عليه السلام
لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلام ما ادرى اكان تبع نبيا ام غير نبى وعن ابن عباس رض انه كان نبيا وقيل
لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم
عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولى باس شديد والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تع اهلكناهم
استيناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تع انهم كانوا مجرمين تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم
مع ما كانوا فى غاية القوة والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم فى الاجرام اضعف منهم فى الشدة والقوة اولى وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما اى ما بين الجنسين وقرى وما بينهن لاعبين لاهين من غير ان يكون فى خلقهما غرض صحيح و
غاية حميدة ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اى ما خلقناهما ملتبسا بشئ
من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذى هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء ان يوم الفصل اى فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل
او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرى ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل
خبرها اى ان ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل يوم لا يغنى بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل
عليه الفصل لا لنفسه مولى من قرابة او غيرها عن مولى اى مولى كان شيئا اى شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى
الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فى حقه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على
الاستثناء انه هو العزيز الذى لا ينصر من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرى بكسر الشين وقد مر
معنى الزقوم فى سورة الصافات طعام الاثيم اى الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو
ما يمهل فى النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت تغلى فى البطون وقرى بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلى الحميم
غليانا كغليه خذوه على ارادة القول والخطاب للزبانية فاعتلوه اى جروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وعنف
وقرى بضم التاء وهى لغة فيه الى سواء الجحيم اى وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب من فوق رؤسهم
الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز
الكريم اى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روى ان ابا جهل قال لرسول الله عليه السلام ما بين جبليها
اعز ولا اكرم منى فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيئا وقرى بالفتح اى لانك او عذاب انك ان هذا اى
العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اى عن الكفر والمعاصى
فى مقام فى موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذى شاع استعماله فى معنى العموم وقرى بضم الميم وهو
موضع اقامة امين يامن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذى هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة
كان المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره فى جنات وعيون بدل من مقام جئ به دلالة على نزاهته واشتماله
على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير فى الجار او استيناف والسندس ما رق
من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلين فى المجالس ليستانس بعضهم ببعض كذلك اى الامر كذلك اثبتناهم و
زوجناهم بحور عين على الوصف وقرى بالاضافة اى قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة
العينين واختلف فى انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه
لا تختص شئ منها بمكان ولا زمان آمنين من كل ما يسوؤهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون على الحيوة ابدا والاستثناء
منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق
الموتة الاولى حينئذ ووقاهم عذاب الجحيم وقرى مشددا للمبالغة فى الوقاية فضلا من ربك اى اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تع
وقرى بالرفع اى ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله

عذاب جحيم

فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اى انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كى يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك روى عن النبى عم من قرا حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الشريعة

سورة الجاثية سبع وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه كما مر فى فاتحة سورة المومن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تع تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدا اضمر يلوح به ما قبله اى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اى المسمى به تنزيل آه وقد مر مرارا ان الذى يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسميه بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تمحل على تمحل وقوله تع من الله العزيز الحكيم كما مر فى صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تع ان فى السموات والارض لايات للمؤمنين وهو الوجه المتقدمه كلام مستانف مسوق للتنبيه على الايات التكوينية الافاقية والانفسية ومحل الايات اما انفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الايات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما فى قوله تع ان فى خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تع وفى خلقكم اى من نطفة ثم من علقة متقلبة فى اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة عطف على المضاف دون المضاف اليه اى وفيما ينشر ويفرق من دابة ايات بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان فى خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون اى من شانهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هى عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار المذكور فى الايتين قبله وقد قرى بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء عطف على اختلاف من ماء اى من مطر وهو سبب الرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه اية من جهتى القدرة والرحمة فاحيى به الارض بان اخرج منها اصناف الزرع والثمرات والنبات بعد موتها وعرائها عن اثار الحيوة واستعداد قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرى بتوحيد الريح وتاخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه فى الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعى الترتيب الوجودى لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدا لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التى من جملتها سوق السفن فى البحار ايات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدا خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرى بالنصب على الاختصاص وقيل على انه اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما ان وفى اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى اختلاف والنصب فى ايات وتنكير ايات فى المواقع الثلثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الايات فى الدقة والجلاء تلك ايات الله مبتدا وخبر وقوله تع نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وايات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلوا ومن مفعوله اى نتلوها محقين او ملتبسة بالحق فباى حديث من الاحاديث بعد الله واياته اى بعد ايات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم اعجبنى زيد وكرمه او بعد حديث الله الذى هو القران حسبما نطق به قوله تع الله نزل احسن الحديث وهو المراد باياته ايضا ومناط العطف التغاير العنوانى يؤمنون بصيغة الغيبة وقرى بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع ايات الله صفة اخرى لافاك وقيل استيناف وقيل حال من الضمير فى اثيم تتلى عليه حال من ايات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرا ثم يصر اى يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من ايات الله تع والاذعان لما نطقت به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وكان يشترى من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القران لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الايات التى حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما فى قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اى كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشان والجملة حال من ضمير يصر اى يصر شبيها بغير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من اياتنا شيئا اى اذا بلغه من اياتنا شئ وعلم انه من اياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة اتخذها اى الايات كلها هزوا اى مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشئ والتانيث لانه فى معنى الاية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما فى قوله تع كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بايات الله سبحانه من ورائهم جهنم اى من قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف وقدام ولا يغنى عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تع او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اى الاصنام وتوسيط حرف النفى بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون فى شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اى القران هدى فى غاية الكمال من الهداية كانه نفسها والذين كفروا اى بالقران وانما وضع موضع ضميره قوله تع بايات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اى من اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرى بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب فى المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذى سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجرى الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون ولكى تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم جميعا اما حال من ما فى السموات والارض او توكيد له منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اى جميعا كائنا منه تع او سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له تع او خبر لمحذوف اى هى جميعا منه تع وقرى منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازى او خبر مبتدا محذوف اى ذلك منه ان فى ذلك اى فيما ذكر من الامور العظام لايات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون فى بدائع صنع الله تع فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تع ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين امنوا حذف المقول لدلالة يغفروا عليه فانه جواب له باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اى قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اى يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تع باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التى وقتها الله تع لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت فى عمر رض حين شتمه غفارى فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابى ما قال وذلك انهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فارسل ابن ابى غلامه يستقى فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقى حتى ملا قرب النبى عليه السلام وقرب ابى بكر رضى الله عنه فقال ابن ابى ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ ذلك عمر رض فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تع ليجزى قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اى امروا بذلك ليجزى يوم القيمة قوما ايما قوم قوما مخصوصين بما كسبوا فى الدنيا من الاعمال الحسنة التى من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التى من جملتها ما حكى من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديرى المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه فى الدنيا او بما يصدر عنه تع بالذات وفى ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرى ليجزى قوم وليجزى اى ليجزى الجزاء قوما وقرى لنجزى بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يسرى عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد اتينا بنى اسرائيل الكتاب اى التورية والحكم اى الحكمة النظرية والعملية والفقه فى الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر فى غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تع من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمى زمانهم واتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة فى امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رض هو العلم بمبعث النبى عليه السلام وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا فى ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اى عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اى سنة وطريقة عظيمة الشان من الامر اى امر الدين فاتبعها باجراء احكامها فى نفسك وفى غيرك من غير اخلال بشئ منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اى اراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولى المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية هذا اى القران او اتباع الشريعة بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شانهم الايقان بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيئات استيناف مسوق لبيان تباين حالى المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين حالى الظالمين والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثانى والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما فى قوله تع ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اى نصيرهم فى

الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوى الاحوال كالذين امنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال
ونعاملهم معاملتهم فى الكرامه ورفع الدرجه وقوله تع سواء محياهم ومماتهم اى محيى الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير
فى الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميرهما على ان السواء بمعنى المستوى ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعليه والمعنى
ام حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون فى شئ منهما فان هولاء فى عز الايمان و
الطاعه وشرفهما فى المحيى وفى رحمة الله تع ورضوانه فى الممات واوليك فى ذل الكفر والمعاصى وهوانهما فى المحيى وفى لعنة الله
والعذاب الخالد فى الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا فى الممات كما استووا فى الحيوة لان المسيئين والمحسنين
مستو محياهم فى الرزق والصحة وانما يفترقون فى الممات وقرى محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حالا
على حاله اى حال كونهم مستوين فى محياهم ومماتهم وقد ذكر فى الاية الكريمه وجوه اخر من الاعراب والذى يليق بجزالة التنزيل
هو الاول فتدبر وقرى سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدا فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وايا ما كان فنسبه حسبان
التساوى اليهم فى ضمن الانكار التوبيخى مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المومنين المبالغه فى الانكار والتشديد فى التوبيخ
فان انكار حسبان التساوى والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه واكده ساء ما يحكمون اى ساء حكمهم
هذا او بيس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق استيناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تع لهما ولما فيهما
بالحق المقتضى للعدل يستدعى لا محالة تفضيل المحسن على المسئ فى المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذ لم يطرد ذلك
فى المحيى فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب
دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى الخ او على علة محذوفة مثل ليدل بهما على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم
اى النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف
من قاعدة اهل السنه لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تع عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه تع افرايت من
اتخذ الهه هواه تعجيب من حال ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه عبده اى انظرت فرايته فان ذلك مما يقضى منه
العجب وقرى الهة هواه لان احدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ الهة شتى واضله
الله وخذله على علم اى عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله التى فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتاثر بالمواعظ ولا
يتفكر فى الايات والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرى بفتح العين وضمها وقرى غشوة فمن يهديه
من بعد الله اى من بعد اضلاله تع اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه فى الغى افلا تذكرون الا تلاحظون فلا تذكرون
وقرى تتذكرون على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكى اى قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هى اى ما الحيوة الا حياتنا
الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيى اى يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة وقيل نكون نطفا وما قبلها وما بعدها
ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا وقد جوز ان يريدوا به التناسخ فانه
عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرى نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اى غلبه
وقرى الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر فى هلاك الانفس هو مرور الايام والليالى وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح
بامر الله تع ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اى فان الله
هو الاتى بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اى بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما فى الدنيا واسناد الحيوة والموت الى الدهر من
علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شئ يصح ان يتمسك
به فى الجمله هذا معتقدهم الفاسد فى انفسهم واذا تتلى عليهم اياتنا الناطقه بالحق الذى من جملته البعث بينات واضحات الدلالة
على ما نطقت به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اى ما كان متمسكا لهم شئ من الاشياء الا ان قالوا ائتوا
باباءنا ان كنتم صادقين فى انا نبعث بعد الموت اى الا هذا القول الباطل الذى يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما
لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرى برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما
كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون
وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيمة للجزاء لا ريب فيه اى فى جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة و
الحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالايات دل على وقوعها حتما والاتيان باباءهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع
ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تع لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المامور به او كلام مسوق من جهته تع
تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما ولله ملك السموات والارض
بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما وفيما بينهما بالله تع اثر بيان تصرفه تع فى الناس بالاحياء والاماتة والبعث و
الجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون والعامل فى يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية
باركة على الركب مستوفزة وقرى جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضى الله عنه
جاثيه مجتمعه وقيل جماعات من الجثوة وهى الجماعة كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرى كل بالنصب على انه بدل من الاول

وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك وقوله تع هذا كتابنا الخ من تمام ما يقال لهم
وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تع اضيف الى نون العظمة تفخيما لشانه وتهويلا لامره فهذا مبتدا وكتابنا خبره وقوله
ينطق عليكم اى يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر اخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تع انا كنا نستنسخ
الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشئ منها اى انا كنا فيما قبل نستكتب الملايكة ما كنتم تعملون فى الدنيا من الاعمال
حسنة كانت او سيئه وقوله تع فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته اى فى جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما
خوطبوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد ذلك الذى ذكر من الادخال فى رحمته تع هو الفوز المبين الظاهر كونه
فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن اياتى تتلى عليكم اى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم يكن تاتيكم رسلى فلم تكن اياتى تتلى
عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين اى قوما عادتهم الاجرام
واذا قيل ان وعد الله اى ما وعده من الامور الاتيه او وعده بذلك حق اى واقع لا محالة او مطابق للواقع والساعة التى هى
اشهر ما وعده لا ريب فيها اى فى وقوعها وقرى والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها
قلتم لغاية عتوكم ما ندرى ما الساعة اى اى شئ هى استغرابا لها ان نظن الا ظنا اى ما نفعل الا ظنا وقد مر تحقيقه فى قوله تع
ان اتبع الا ما يوحى الى وقيل ما نعتقد الا ظنا اى لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تع وما
نحن بمستيقنين اى لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هولاء غير القائلين ما هى الا حياتنا
الدنيا وبدا لهم اى ظهر لهم حينئذ سيئات ما عملوا على ما هى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها فان
جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم فى العذاب ترك المنسى كما نسيتم
فى الدنيا لقاء يومكم هذا اى كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه وماواكم النار وما لكم من
ناصرين اى ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم ايات الله هزوا اى مهزوا بها ولم ترفعوا
لها راسا وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها اى من النار وقرى يخرجون من الخروج والالتفات
الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار ولا هم يستعتبون
اى يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصه رب السموات ورب الارض رب العالمين فلا يستحق الحمد
احد سواه وتكرير الرب للتاكيد والايذان بان ربوبيته تع لكل منها بطريق الاصالة وقرى برفع الثلثه على المدح باضمار هو وله
الكبرياء فى السموات والارض لظهور اثارها واحكامها فيهما واظهارهما فى موقع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء وهو العزيز الذى لا
يغلب الحكيم فى كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبى عليه السلام من قرا سورة الجاثيه ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف خمس وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذى مر فى مطلع السورة السابقه ما خلقنا السموات والارض بما فيهما من حيث
الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى الا خلقا ملتبسا
بالحق الذى تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعيه او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اى ما خلقناها فى حال من الاحوال
الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تع وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة
وانتهائها الى غايات جليله ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف اى وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه امور الكل وهو
يوم القيمه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الابد وقيل هو اخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تع والذين
كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم القيمه وما فيه من الطامة التامه والاهوال العامه لا اخر اعمارهم وقد جوز
كون ما مصدرية والجملة حاليه اى ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذى يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون
عنه وعن الاستعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا ارايتم اخبرونى وقرى ارايتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من الاصنام
ارونى تاكيد لارايتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام فى ماذا ام لهم شرك اى شركة مع الله تع فى السموات اى فى خلقها
او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل له فى وجود شئ من الاشياء بوجه من الوجوه
فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تع ايتونى بكتاب الخ تبكيت لهم بتعجيزهم
عن الاتيان بسند نقلى بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلى اى ايتونى بكتاب الهى كائن من قبل هذا الكتاب اى القران
الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة
باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين فى دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلى او سلطان نقلى وحيث لم يقم عليها
شئ منها وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرى اثرة بكسر الهمزة اى مناظرة فانها تثير المعانى واثرة اى
شئ اوثرتم به وخصصتم من علم مطوى عن غيركم واثرة بالحركات الثلث مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة
فهى المرة من اثر الحديث اى رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التى هى اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا

سورة الاحقاف

يستجيب له انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان سبك التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي
المساوي كما مر غير مرة اي هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم
العاري عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفي الاستجابة وهم عن دعائهم الضمير الاول للمفعول يدعوا والثاني
لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم
اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تع ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم الاية واذا حشر الناس عند قيام الساعة كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي مكذبين بلسان الحال او المقال
على ما يروى انه تع يحيي الاصنام فتتبرء عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملئكة والجن والانس
وغيرهم وبني رجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبريهم عنهم وعن عبادتهم وقيل
ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق
اي لاجله وفي شانه وهو عبارة عن الايات المتلوه وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع
الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلاله لما جاءهم اي في اول ما جاءهم من غير تدبر وتامل
هذا سحر مبين اي ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع
منها وما في ام من الهمزة للانكار والتوبيخ المتضمن للتعجب اي بل يقولون افترى القران قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي
من الله شيئا اذ لا ريب في انه تع يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افترى عليه تع كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي لا
مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في اياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى
كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى
وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تع عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من
الرسل البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة ككتف وزير او جمع مقدر بمضاف
اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون عليه عليه السلام آيات عجيبة ويسالونه
عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر عليه السلام بان يقول لهم ما كنت بديعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم
بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسالون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل ما كانوا ياتون الا بما آتاهم الله تع من الايات
ولا يخبرونهم الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تع وما
ذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن رض ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رض ما يفعل بي ولا بكم في
الاخرة وقال هي منسوخة بقوله تع ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية المفصلة
والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية
دون ما سيقع في الاخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا
وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي عليه السلام قالوا له وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري
ما يفعل بي ولا بكم ءاترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه وقد جوز ان
تكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتاكيده وقرئ ما يفعل
على اسناد الفعل الى ضميره تع ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى قصر افعاله عليه السلام على اتباع الوحي
لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل وهو جواب
عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول
هو الاوفق لقوله تع وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تع حسبما يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارايتم ان كان
اي ما يوحى الي من القران من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تع وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسطت
بين اجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تع قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا
ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم
به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما من عند الله تع ام لا وكذا الحال في قوله تع وشهد شاهد من بني اسرائيل
وما بعده من الفعلين فان الكل امور متحققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما من عند الله تع واستكبار منه
اولا والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين على شئون
الله تع واسرار الوحي بما اوتوا من التورية على مثله اي مثل القران من المعاني المنطوية في التورية المطابقة لما في القران من التوحيد
والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تع وانه لفي زبر الاولين وقوله تع وانه لفي الصحف
الاولى والمثلية باعتبار تاديتها بعبارات اخر او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تع والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله
فآمن للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقران لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله

عليه السلام المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك
عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال
عليه السلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت
واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله
ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه السلام اي رجل
عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من
ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال
هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص رض ما سمعت رسول الله عليه السلام يقول لاحد يمشي على
الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من الاية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته
ما في التورية من بعثة النبي عليهما السلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت
بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الاية مدنية وان كانت السورة مكية واستكبرتم عطف على شهد
شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تع وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به من غير
تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تع قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من
اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تع ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم
للاشعار بعلة الحكم فان تركه تع لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض اخر من اقاويلهم الباطلة في حق القران العظيم
والمؤمنين به اي قال كفار مكة للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به عليه السلام من القران والدين خيرا ما سبقونا
اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية
مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية
وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الاخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها
بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار
وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة مكية لا بد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء ان الاية نزلت بالمدينة
واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقران قالوا ما قالوا فسيقولون
غير مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من
قبل القران وهو خبر لقوله تع كتاب موسى قيل والجملة حالية او مستانفة وايا ما كان فهو لرد قولهم هذا افك قديم وابطاله
فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تع
وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تع لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون في حقه ما يقولون كتاب عظيم
الشان مصدق اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك لسانا
عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول
لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عليه السلام
ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين في حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي
وهو بشرى وقيل على انه عطف على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة
في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق
مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا نفي دوام الحزن كما
يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن
في اصحاب وقوله تع جزاء منصوب اما بعامل مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تع اولئك اصحاب الجنة في معنى
جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات العلمية والعملية ووصينا الانسان بوالديه احسانا وقرئ حسنا اي بان
يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن وكانه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما
فعلا حسنا او وصيناه ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما
لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله و
الفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما اراد بالامد المدة من قال كل حي مستكمل مدة
العمر ثلثون شهرا تمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر
لما انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تع حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك وقيل لعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة
الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة

قيل لم يبعث نبي قبل اربعين وقرى حتى اذا استوى وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته
بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم والتكثير واصلح
لي في ذريتي اي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله تعالى يجرح في عراقيبها نصلا قال ابن عباس اجاب الله تعالى
دعاء ابي بكر رض فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا
ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا
فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله عليه السلام وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي عم
ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضي الله عنهم اني تبت اليك عما لا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين
اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من
الطاعات فان المباح حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرى الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما
للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم
وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتفضل والتجاوز الذي كانوا يوعدون على السنة
الرسل والذي قال لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان اف لكما هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف
له كما في هيت لك وقرى اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل
ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد
سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رض قبل اسلامه يرده ما سياتي من قوله تعالى
اولئك الذين حق عليهم القول الاية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضي الله عنها من قال
ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرى اخرج من الخروج وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد
وهما يستغيثان الله يسالان الله ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به
الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك آمن ان وعد الله حق اي البعث اضافه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه
في اسناد الوعد اليهما وقرى ان وعد الله اي آمن بان وعد الله حق فيقول مكذبا لهما ما هذا الذي تسميانه وعد الله الا
اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين
حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة انهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤس
اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا
مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم
اي اجزية اعمالهم وقرى بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الاخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية
او استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية
على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى
على السيف اي قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف
وقرى اأذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اي اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في
حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان وقرى كذلك بما كنتم في الدنيا
تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون اي تخرجون من طاعة الله تعالى اي بسبب استكباركم وفسقكم
المستمرين وقرى تفسقون بكسر السين واذكر اي لكفار مكة اخا عاد اي هودا اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اي وقت
انذاره اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد
يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل جمع نذير
بمعنى المنذر من بين يديه اي من قبله ومن خلفه اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار
وسط بين انذر قومه وبين قوله ان لا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد وايذانا باشتراكهم في العبادة
المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه
قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه عليه السلام انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقدير
الاعلام لا بد في نسبة الخلق الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة الخالي قالوا اجئتنا لتافكنا اي تصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها
فاتنا بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين في وعدك بنزوله بنا قال انما العلم اي بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء

التي من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله عن الشرك من غير وقوف على
نبا تيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا
عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرى ابلغكم من الابلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون حيث تقترحون علي ما ليس
من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى فلما راوه فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله
تعالى عارضا اما تمييزا او حالا او راجع الى ما استعجلوه بقولهم فاتنا بما تعدنا اي فاتاهم فلما راوه سحابا يعرض في افق السماء
مستقبل اوديتهم اي متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا صفتين
للنكرة بل هو اي قال هود وقد قرى كذلك وقرى قل وهو رد عليهم اي ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من
العذاب ريح بدل من ما او خبر لمبتدا محذوف فيها عذاب اليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر اي تهلك كل شيء من
نفوسهم واموالهم بامر ربها وقرى يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك والعائد الى الموصوف محذوف او هو
الهاء في ربها ويجوز ان يكون استئنافا واردا لبيان ان الكل ممكن فان مقضيا منوطا بامر بارئه ويكون الهاء لكل شيء
لكونه بمعنى الاشياء وفي ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شانه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى
فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم فصيحة اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرى ترى بالتاء ونصب
مساكنهم خطابا لكل احد تاتى منه الرؤية تنبيها على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم كذلك
اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل
الفسطاط والظعينة في الجو حتى ترى كانها جرادة قيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب
النار وروي ان اول ما عرفوا به انه عذاب ما راوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض
فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال
وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا عليه السلام لما احس بالريح
خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رض اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح
الا ما تلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اي قررنا
عادا او قدرناهم وما في قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة او موصوفة وان نافية اي في الذي او في شيء ما مكناكم فيه
من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض
ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصي عن تكرر لفظة ما وهو الداعي الى قلب الفها هاء في مهما وجعلها شرطية
او زائدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به
معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤن منعمها عز وجل ويداوموا على شكره فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه
في معرفة الله تعالى من شيء اي شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتاكيد وقوله تعالى اذ كانوا يجحدون بآيات الله متعلق بما اغنى وهو ظرف
جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمني في قوة قولك اكرمته لاكرامه
بطريق الاستهزاء ويقولون فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى
لوط وصرفنا الآيات كررناها لهم لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من
دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به الى الله تعالى واحد مفعولي اتخذ والضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا
حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة قربانا وآلهة بدل لا منه لفساد المعنى فان البدل
وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا
اي متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك
وقرى قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم اي غابوا عنهم وفيه تهكم بهم كان عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم اي ظهر
ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور وذلك اي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرتهم
افكهم اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرى افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرى
افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة الى الاتخاذ اي وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرى
افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال اي جعلهم آفكين وقرى آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اي
قولهم الآفك اي ذو الافك كما يقال قول كاذب وما كانوا يفترون عطف على افكهم اي واثر افترائهم على الله تعالى او اثر ما كانوا
يفترونه عليه تعالى وقرى وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرى صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون
القرآن وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا
كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن فلما حضروه اي القرآن عند تلاوته او الرسول عند تلاوته على الالتفات والاول

هو الاظهر قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا لنستمعه فلما قضي اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه السلام وهذا ايضا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه السلام ولوا الى قومهم منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبا حدث فنهض سبعة نفرا او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى واد نخلة فوافقوا رسول الله عليه السلام وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة الفجر فاستمعوا القراءة وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرا رسول الله عليه السلام على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانباه الله تع باستماعهم وقيل بل امر الله تع ان ينذر الجن ويقرا عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه السلام اني امرت ان اقرا على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون خط لنا خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القران و سمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله عليه السلام وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله عليه السلام هل رايت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثنا عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا باسم ربك قالوا اي عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رض ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه ارادوا به التورية يهدي الى الحق من العقائد الصحيحة والى صراط مستقيم موصل اليه وهو الشرائع والاعمال الصالحة يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به ارادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تع بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تع فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم معد للكفرة واختلف في ان لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني ادم ثوابا وعقابا وقوله تع ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غير اكتفاء باحد الضميرين للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة و ادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له تع بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تع وليس له من دونه اولياء بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما ان الجمع في قوله تع اولئك بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ولم يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله تع بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخوله في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد في صدر الاية على ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله تع بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله اليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا وانى لهم ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تع فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولي العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تشييدها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله عليهم ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تع بلاغ خبر مبتدا محذوف اي هذا الذي

وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ او عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عليه السلام

سورة محمد عليه السلام ثمان وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونها من اعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سياتي من قوله تع فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تع فاذا لقيتم الخ والذين امنوا وعملوا الصالحات قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل وامنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل وايا ما كان فقوله تع من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ على البناء للفاعل وانزل على البناء ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم اي سترها بالايمان والعمل الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدين والدنيا بالتاييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدا خبره قوله تع بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعهم للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه اصلا لا مستتبعا لهما قطعا وسبب ان الاخرين اتبعوا الحق الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببية اتباعهم لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدا ومنشا لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد من ذلك فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها في الموقعين كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس امثالهم اي احوال الفريقين واوصافها الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الاخرين الحق و فوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تع فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يرتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له باشنع صورة وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون بعد ذلك منا او تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رض وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رض لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا تبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عليه السلام واما عند ابي حنيفة رض فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اي حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا ذلك اي الامر ذلك او فعلوا ذلك

ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستيصال ولكن لم يشاء ذلك ليبلو بعضكم ببعض
فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على
ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا وقاتلوا
وقتلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن يضيعها وقرئ تضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في
يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة
عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه
منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله تع او طيبها لهم من العرف وهو
طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار يعرفه كل منهم محدده مفرزة والجملة اما مستانفة او حال باضمار
قد او بدونه يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اي دينه ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن
الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط
ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله تع واضل اعمالهم
عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال ذلك بسبب انهم كرهوا
ما انزل الله من القران لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط لاجل ذلك
اعمالهم التي كانوا عملوها مع الايمان لا يثيبوا عليها افلم يسيروا في الارض اي اقعدوا فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان اثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تع دمر الله عليهم استيناف مبني على سؤال نشا
من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استاصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره اهلكه
ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن
لا على ان لهؤلاء امثال ما لاولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعدده حسب تعدد الامم المعذبه
وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستحقرونهم ويستضعفونهم و
القتل بيد المثل اشد الما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كانه قيل
دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الاخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت امثال عقوبة الامم السابقة لهؤلاء بان الله مولى
الذين امنوا اي ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولي الذين وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب
ولا يخالف هذا قوله تع ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تع لهم وثمرتها الاخروية والذين كفروا يتمتعون اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها
ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل ثواء واقامه والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف
وكاين كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تع من قرية تمييزها وقوله تع هي اشد قوة من
قريتك صفة لقرية كما ان قوله تع التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنها المضاف واجري احكامه عليها كما يفصح عنه
الخبر الذي هو قوله تع اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سبب الخروج من بينهم و
وصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه السلام
للايذان باولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقة قول النابغة • كليب لعمري كان اكثر ناصرا • وايسر جرما منك ضرج بالدم
وقوله تع فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم
والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حالي فريقي المومنين وكون الاوليين
والكافرين في اعلى عليين والاخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر
تقتضيه المقام وقرئ بدونها ومن عبارة عن المومنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي عليه السلام او عنه وعن
المومنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه السلام وبينهم مما ياباه منصبه الجليل والتقدير اليس الامر كما ذكر
فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القران الكريم وسائر المعجزات والحجج العقليه كمن زين له
سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا في
فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليها وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى
من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة انفا للمومنين وبيان
كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو
عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن اخرها ومثلها وصفها العجيب الشان وهو مبتدا محذوف الخبر فقدره
النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تع فيها انهار الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب
بصدر النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدا خبره فيها انهار الى اخر

من ماء غير اسن اي غير متغير الطعم والرائحه وقرئ غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولا حازرا كالبان
الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تانيث
لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغه وقرئ لذة بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على العله اي لاجل لذة الشاربين
وانهار من عسل مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما يستطاب
منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينغصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من فنون
الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تع من ربهم
متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة موكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتيه بالفخامة الاضافيه اي كائنة من ربهم وقوله تع
كمن هو خالد في النار خبر لمبتدا محذوف تقديره امن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق
قوله تع والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنه كمثل جزاء من هو خالد في النار او امثل
اهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينه
وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك
الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم
ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما ان جمعه فيما سياتي باعتبار معناها كانوا يحضرون
مجلس رسول الله عليه السلام فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا
للذين اوتوا العلم من الصحابة ماذا قال انفا اي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام
وانفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استانف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا
او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا و
اتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم اي الله تع هدى بالتوفيق
والالهام واتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيمه وقوله تع
ان تاتيهم بغتة اي تباغتهم بغتة وهي المفاجاة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخاليه
ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح
الغين فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى
اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا
محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه عليه السلام وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تع فانى
لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطائهم وفساد رايهم في تاخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تع يومئذ
يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدا واذا جاءتهم اعتراض
وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقا لا
مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها
فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة
ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك
وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار
سيئات المقربين وارشاد له عليه السلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل وللمومنين والمومنات اي لذنوبهم
بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانه وفي اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها
مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى فانها مواطن اقامتكم فلا يامركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال
بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ويقول الذين امنوا حرصا على الجهاد لولا
نزلت سورة اي هلا نزلت سورة نؤمر فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة
لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه اخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت
سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تع ونصب القتال رايت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين وقيل نفاق
وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كداب من
اصابته غشية الموت فاولى لهم اي فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من ال ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم
المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول
معروف كلام مستانف اي امرهم طاعة الخ او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة

وقول معروف اى امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما فى قوله تع ان ذلك
من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اى خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تع فلو صدقوا الله
على طريقة قولك اذا حضرنى طعام فلو جئتنى لاطعمتك اى فلو صدقوه تع فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجرى
على موجبه لكان اى الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكى عنهم من قوله تع لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوا
فى الايمان وواطات قلوبهم فى ذلك السنتهم وايا ما كان فالمراد بهم الذين فى قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تع
فهل عسيتم الخ بطريق الالتفات لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع اى هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم
ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم تفاخرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف فى الدين
والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مامورون شانكم
الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم
عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقابلة بعض الاقارب بعضا
ووأد البنات وفيه ان الواقع فى حيز الشرط فى مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذورية باعتبار ما يستتبعه من المفاسد
لا باعتبار ذاته ولا ريب فى ان الاعراض عن الاسلام راس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة فى التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما
دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اى جعلتم ولاة وقرئ توليتم اى تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم
فى الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التائين فانتصاب ارحامكم على نزع الجار اى فى ارحامكم
وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك
اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة
لغيرهم وهو مبتدا خبره الذين لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم واعمى
ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الايات المنصوبة فى الانفس والآفاق افلا يتدبرون القران اى الا يلاحظونه ولا يتصفحونه
وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام
منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة
للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شانها بابهام امرها فى القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف
حالها ولا يقادر قدرها فى القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة
على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر ان الذين
ارتدوا على ادبارهم اى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من
قبائح الاعمال فانهم قد كفروا به عليه السلام من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود
وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته فى كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تع الشيطان
سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان اى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف
من السؤل لاستمرار القلب فمعنى سول له امرا اوقعه فى امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف
اى كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم فى الامانى والآمال وقيل امهلهم الله تع ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املى لهم على صيغة
التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم قالوا والحال او الاستيناف وقرئ املى لهم على البناء للمفعول اى امهلوا ومد فى
عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدى ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا
من القول الآتى وهو مبتدا خبره قوله تع بانهم اى بسبب انهم قالوا يعنى المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه السلام
بعد ما وجدوا نعته فى التورية كما قيل فان كفرهم به عليه السلام ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول
لهم المنافقين او المشركين على راى القائل بل من حين بعثته عليه السلام للذين كرهوا ما نزل الله اى لليهود الكارهين لنزول القران
على رسول الله عليه السلام مع علمهم بانه من عند الله تع حسدا وطمعا فى نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى
سنطيعكم فى بعض الامر عبارة عن قطعا عما حكى عنهم بقوله تع الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم
وارادوا بالبعض الذى اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم
فانهم كانوا يابون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم فى اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا
يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تع والله يعلم اسرارهم اى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم اى جميع اسرارهم
التى من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء فى الدنيا والتعذيب فى الاخرة والفاء فى قوله تع فكيف اذا
توفتهم الملئكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل فى الظرف كانه قيل يفعلون فى حياتهم
ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف اى فكيف حالهم وحيلتهم اذا توفتهم

الخ وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفاهم او من
مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رض لا يتوفى احد على معصية الا تضرب الملائكة
وجهه ودبره ذلك التوفى الهائل بانهم اى بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصى وكرهوا رضوانه اى ما
يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجله
اعمالهم التى عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التى لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ام
حسب الذين فى قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار النعى
عليهم بقوله تع ان لن يخرج الله اضغانهم فام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف ولن بما فى
حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اى بل احسب الذين فى قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله
احقادهم ولن يبرزها لرسوله عليه السلام وللمؤمنين فيبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت
الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة
لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التى نسمهم بها وعن انس رض ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس
فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت فى المعطوف للتاكيد
والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما ما فى قوله تع ولتعرفنهم فى لحن القول فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه
او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب
قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلوا اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها
وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول
وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا نعته عليه السلام فى التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من
الآيات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء او شيئا من
الضرر او لن يضروا رسول الله عليه السلام بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم
اى مكايدهم التى نصبوها فى ابطال دينه تع ومشاقة رسوله عليه السلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل
ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر و
النفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله فى اصحاب القليب فلا تهنوا اى لا تضعفوا وتدعوا
الى السلم اى ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب النهى وقرئ
ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور
الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تع عم يتساءلون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهى على ما سبق من
الامر بالطاعة وقوله تع وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهى مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تع والله معكم فان
كونهم الاغلبين وكونه عز وعلا ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تع لاجور
الاعمال بالوتر الذى هو اضاعة شئ معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا
لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وقد مر فى قوله
تع فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها وان تؤمنوا وتتقوا
يؤتكم اجوركم اى ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التى يتنافس فيها المتنافسون ولا يسالكم اموالكم بحيث يخل
اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ان يسالكموها اى اموالكم فيحفكم اى
يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اى استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج
اضغانكم اى احقادكم وضميره يخرج لله تع ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ تخرج من الخروج
بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ها انتم هؤلاء اى انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تع تدعون لتنفقوا فى
سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلته لهؤلاء على انه بمعنى الذين اى ها انتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من
شانهم والانفاق فى سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل اى ناس يبخلون وهو فى حيز الدليل على الشرطية
السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك
والتعدى والله الغنى دون من عداه وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم
وقوله تع وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا اى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما آخرين ثم لا

تبطلوا اعمالكم

سورة الفتح

يكونوا امثالكم في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روى انه عليه السلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله عم من قرا سورة محمد كان حقا على الله

سورة الفتح تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق ماخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تع خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة شرفها الله وهو المروي عن انس رض بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تاكيدا للتبشير كما ان تصديرا الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شان المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس رض رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روي انه عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا قال بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله عليه السلام في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية اية عظيمة هي انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله عليه السلام ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه السلام من الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروي عن قتادة رض وايا ما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تع ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه السلم في اعلاء كلمة الله تع بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من افعاله تع صادر عنه تع من حيثية غير حيثية الاخر مترتبة على صفة من صفات الله تع ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجها ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشان النصر كما يعرب عنه تاكيده بقوله تع نصرا عزيزا اي نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه هو الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمانينة اي انزلها في قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تع عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الاخر عن ابن عباس رض ان اول ما اتاهم به النبي عليه السلام التوحيد ثم الصلاة والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر امرهما كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا في العلم بجميع الامور حكيما في تقديره وتدبيره وقوله تع ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تع من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اي يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اي ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته في الاصل فلما قدم عليه صار حالا اي كائنا عند الله اي في علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اي ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرى دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منها في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض وساءت مصيرا اي جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان لله تع جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد ههنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اي على امتك لقوله تع ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي عليه السلام ولامته وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من السبح بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رض صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلوة العصر وقرى الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرى وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرى بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تع انما يبايعون الله خبر ان يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله تع لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تع يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تع من غير تفاوت بينهما كقوله تع من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرى انما يبايعون الله اي لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرى بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقي بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرى بكسرها اي ومن وفى بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرى بما عهد وقرى فسنؤتيه بنون العظمة سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله عليه السلام حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا انذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم فاوحى الله تع اليه بانهم سيعتلون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرى شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تع ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من سيقول او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرى ضرا بالضم فمن يملك لكم من الله شيئا اي ومن يقدر على شيء من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاي حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تع ان كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مبادئه وقوله تع بل ظننتم الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستاصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء التانيث واما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرى الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشان انفسكم غير مبالين بهم وقرى زين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه او الى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليهم بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمونث ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام مبتدا من جهته تع غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اي ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرون ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه السلام لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تع اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا

مما لكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واول المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله تع وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة وايا ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تع غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تع لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا اى لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اى عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمؤمنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا اى ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تع بل كانوا لا يفقهون اى لا يفهمون الا قليلا اى الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم اولي باس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله عليه السلام او المشركين لقوله تع تقاتلونهم او يسلمون اى يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا اما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على امامة ابي بكر رض اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة بمحض دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اى في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة حج فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول اى عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شانهم فيما سبق وبهذه الاية سميت بيعة الرضوان وقوله تع اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم انه عليه السلام لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله عليه السلام واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله ع م انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تع فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضي فان رضاه تع عنهم مترتب على علمه تع بما في قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم عن الحديبية كما مر تفصيله وقرئ وآتاهم ومغانم كثيرة ياخذونها اى مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا غالبا حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها هي ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيمة تاخذونها في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اى غنائم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اى ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله تع في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون آية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر اى وليكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما تعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اى فعجل لكم هذه او كف ايدي الناس لتغنموها ولتكون الخ فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم بتلك الاية صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله تع والتوكل عليه في كل ما تاتون وما تذرون واخرى عطف على هذه اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تع قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تاتيها بالنسبة الى قدرته تع بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اى قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط الله بها اى وقضى الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله تع اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تع وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته تع ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا اى اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اى سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن قد مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اى تغييرا وهو الذي كف ايديهم اى ايدي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اى في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان

عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله عليه السلام خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك او يجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اى ونحر الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله تع معكوفا حال من الهدي اى محبوسا وقوله تع ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدي او منصوب بنزع الخافض اى محبوسا من ان يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان خيامه عليه السلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تع ان تطؤهم اى توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم اى من جهتهم معرة اى مشقة ومكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اى غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تع ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكن كانوا قاصرين في اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين ويأباه قوله تع لو تزيلوا الخ فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم والجملة مستانفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم واياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تع في قلوبهم الحمية اى الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اى جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اى حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تع فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام والمؤمنين بتوفيق الله تع وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب الخ وعلى الثالث على المضمر تفسيره والسكينة الثبات والوقار روي ان رسول الله عليه السلام لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي عليه السلام ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رض اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله عليه السلام اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يابوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى اى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اى المستاهل لها وكان الله على كل شئ قديرا فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت اى صدقه عليه السلام في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه اراءه الرؤيا الصادقة وقوله تع بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق اى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اى ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تع او نقيض الباطل وقوله تع لتدخلن المسجد الحرام جواب على الاولين وجواب قسم محذوف اى والله لتدخلن الخ وقوله تع ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلونها لموت او غيبة او غير ذلك او هي حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله عليه السلام او لما قاله عليه السلام لاصحابه آمنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تع محلقين رؤسكم ومقصرين اى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين

فيكون شدة اخذه لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او استيناف اى لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تع العلم الفعلى المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اى فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقدير ما يشهد بالصدق علما فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اى من دون تحقق مصداق الرؤيا من دخول المسجد الحرام آمنين الخ فتحا قريبا وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما فى قوله تع ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة الداعية الى تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه الفاء فان علمه تع بذلك متقدم على ارادة الرؤيا قطعا هو الذى ارسل رسوله بالهدى اى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين بجميع افراده التى هى الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه تع سيفتح لهم البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله تع رسول الله بدل او بيان او نعت اى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تع والذين معه مبتدأ خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم فى الدين الرأفة والرحمة كقوله تع اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن فى معه لوقوعه صلة فالخبر قوله تع تراهم ركعا سجدا اى تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الاول خبر آخر او استيناف وقوله تع يبتغون فضلا من الله ورضوانا اى ثوابا ورضا اما خبر آخر او حال من ضمير تراهم او من المستكن فى ركعا سجدا او استيناف مبنى على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ سيماهم اى سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هى السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره فى وجوههم اى فى جباههم وقوله تع من اثر السجود حال من المستكن فى الجار اى من التأثير الذى يؤثره كثرة السجود وما روى عن النبى عليه السلام من قوله تع لا تعلبوا صوركم اى لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلى بن عبد الله بن العباس يقال لهما ذو الثفنات لما احدث كثرة سجودهما فى مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم • ديار على والحسين وجعفر • وحمزة والسجاد ذى الثفنات • وقيل صفرة الوجه من خشية الله تع وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه السلام من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وبعد منزلته فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تع مثلهم اى وصفهم العجيب الشان الجارى فى الغرابة مجرى الامثال وقوله تع فى التورية حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تع ومثلهم فى الانجيل عطف على مثلهم الاول كانه قيل مثلهم ذلك فى التورية والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تع كزرع اخرج شطأه الخ تمثيل مستأنف اى هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تع ومثلهم فى الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تع مثلهم فى التورية وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهى الاعانة وقرئ فأزره بالتخفيف وأزره بالتشديد اى شد ازره وقواه فاستغلظ فصار غليظا بعد ما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تع لاصحابه عليه السلام قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تع ليغيظ بهم الكفار علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه او لما بعده من قوله تع وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين فى الآخرة مع ما لهم فى الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة شرفها الله تع

سورة الحجرات ثمان عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجرات

يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما فى حيزه امر خطير يستدعى مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع من الاخلال به لا تقدموا اى لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطى ويمنع اى يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام لافادته النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهانى وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التائين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تع بين يدى الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تع لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزلت فيما جرى بين ابى بكر وعمر رضى الله عنهما لدى النبى صلى الله عليه وسلم فى تأمير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد واتقوا الله فى كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال التى من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبى عليه السلام بعد النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة فى الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه اى لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول اى اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اى جهرا كائنا كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم اخفض من صوته عليه السلام وتعهدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضى لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضى انه كان يكلمه عليه السلام كاخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضى اذا قدم على رسول الله عم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله عليه السلام وقوله تع ان تحبط اعمالكم اما علة للنهى اى لا تجهروا خشية ان تحبط او كراهة ان تحبط كما فى قوله تع يبين الله لكم ان تضلوا او للمنهى اى لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تع ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدى اليه مما يجرى بينهم فى اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تع كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشئ ولا بما يقع منهما فى حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو ونحو ذلك وعن ابن عباس رضى نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى اذنه وقر وكان جهورى الصوت وربما كان يكلم رسول الله عليه السلام فيتأذى بصوته وعن انس رضى انه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه السلام فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية فانى رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملى قد حبط فقال له عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن من انها نزلت فى بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته عليه السلام فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص وانتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط اى والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تع ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الخ ترغيب فى الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به اى يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضى اذهب عنها الشهوات لهم فى الآخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استيناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اى من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء فان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهى فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التى كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه السلام وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصن الفزارى والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اى ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما فى حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها

التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجهم
فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة
وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان اي الصبر المذكور خيرا لهم
من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم
وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن
يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام
بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم
مقاتلوه فرجع فقال لرسول الله عليه السلام قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم
خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر
اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان تبين لكم الحال ان تصيبوا حذار ان تصيبوا
قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم في حقهم نادمين مغتمين غما
لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد
مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى
ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة الخ وهي انكم تريدون ان يتبع عليه السلام رايكم
في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطع رايهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة
على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور
اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤسا لا من اطاعته في بعض ما يرون نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها
للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه السلام لهم في ذلك فان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي
بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى
ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا
لما فيه الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره
فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي ينبئ
عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع
بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع
الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت من الاوقات وقع العنت قطعا وان
اريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت
ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة
في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت
حتما واعلم ان الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق بالقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار
حسب ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيدة للثاني على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس
بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس او لم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث
حمل على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق
الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك
بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها
ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها
واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان
عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق
والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كما
في قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل لحبب وكره وما بينهما
اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل
حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم
الله فان بغت اي تعدت احداهما على الاخرى ولم تتاثر بالنصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله للحكمة او الى ما امر

فان فاءت اليه واقلعت عن القتال حذارا عن قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما
عسى يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل
واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تاتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والاية نزلت في قتال حدث بين
الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك
عن الحرب ترك لانه فيء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة
استيناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية والفاء في قوله
فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة
في تاكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية
لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم ولاخوانكم واتقوا الله في كل ما تاتون
وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم يا ايها الذين آمنوا
لا يسخر قوم اي منكم من قوم آخرين ايضا منكم وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه اي عسى ان يكون المسخور
منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوام على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في
جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع في الجمع واما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع
واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجري بين بعض
وبعض ولا نساء اي ولا تسخر نساء من المؤمنات من نساء منهن عسى ان يكن اي المسخور منهن خيرا منهن اي من الساخرات
فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا
بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير
من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما
على الاول فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون فان من
فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب
السوء فان النبز مختص به عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان
او اشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق
الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله عليه السلام فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية
بنت يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام او الدلالة على ان التنابز فسق
والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب
يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتامل في كل ظن ظن حتى يعلم انه من
اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات
والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب
او لموجبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها
ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب
وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس
بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته
ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر
اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته وعن ابن عباس رضي الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان
ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه
واشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين
لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا للآكل ميتا واخراج تماثلهما
مخرج امر بين غني عن الاخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب
ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك
ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر منكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم
يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله
يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه عليه السلام فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها
فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام انكما قد اغتبتما

نزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحوا او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد يجوز ان يكون تاكيدا للنهى السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العماير والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل لخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيله وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزى احد الى غير اباءه لا لتفاخروا بالاباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الانساب وقرى لتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهى عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف التحقيقى كانه قيل ان الاكرم عنده تع هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرى بان المفتوحة على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا تفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقيكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله وعن ابن عباس رض كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى ان الله عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب امنا نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله عليه السلام اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه السلام بما فعلوا قل رد لهم لم تؤمنوا اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم على ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به واشار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهى عن التلفظ بالايمان وللتفادى عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم حال من ضمير قولوا اى ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما فى لما من معنى التوقع مشعر بان هولاء قد امنوا فى ما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم شيئا من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرى لا يالتكم من الالت وهى لغة غطفان او من النقص ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع راب اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس فى حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهى كما فى قوله تع ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله فى طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنيه المحضه والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة هم الصادقون اى الذين صدقوا فى دعوى الايمان لا غيرهم روى انه لما نزلت الاية جاؤا وحلفوا انهم مومنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تع قل اتعلمون الله بدينكم اى اتخبرونه بذلك بقولكم امنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض حال من مفعول تعلمون مؤكد لتشنيعهم وقوله والله بكل شئ عليم تذييل مقرر لما قبله اى مبالغ فى العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك ان اسلموا اى يعدون اسلامهم منة عليك وهى النعمة التى لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع وفيه لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا على اسلامكم اى لا تعدوا اسلامكم منة على او لا تمنوا على باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرى ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفى سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسمى اسلاما قيل يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرى بالياء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله تع وعصاه

سورة ق خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ق

ق والقرآن المجيد اى ذى المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تع وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل فى مطلع سورة ص وقوله تع بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اى لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد فى صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما اوفق شئ لقضية العقول واقربه الى التلقى بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما يفهم من وصف القرآن بالمجيد كانه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن ان لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عليه السلام منذرا بالقرآن واضمارهم اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على ان هذا اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله تع عنه مع معاينتهم لقدرته تع على ما هو اشق منه فى قياس العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق فى كونه كفرا أئذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل فى اذا مضمر غنى عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اى احين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحيوة ح وقرى اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار ذلك اشارة الى محل النزاع رجع بعيد اى عن الاوهام او عن العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذى هو الجواب فناصب الظرف ح ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبى عليه السلام كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن فى الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تع بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شئ او تاكيد لعلمه تع بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تامل وتفكر وقرى لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اى وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار بالبعث فهم فى امر مريج اى مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم فى اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن افلم ينظروا اى اغفلوا او اعموا فلم ينظروا الى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اى رفعناها بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع وما لها من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تاخير هذا لمراعاة الفواصل والارض مددناها اى بسطناها والقينا فيها رواسى اى جبالا ثوابت من رسا الشئ اى ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض بها وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستيناف اى فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اى راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنائعه وقوله تع ونزلنا من السماء ماء مباركا اى كثير المنافع شروع فى بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده فانبتنا به اى بذلك الماء جنات كثيرة اى اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد اى حب الزرع الذى شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات والنخل عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتاكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات اى طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل وهو فاعل وقرى باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد اى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضميرها فى باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تع رزقا للعباد اى لنرزقهم علة لقوله تع فانبتنا وفى تعليله بذلك بعد تعليل انبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت مجدبة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحيوة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اى مثل تلك الحيوة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شئ مخالف لها وفى التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حيوة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تع كذبت قبلهم قوم نوح الخ استيناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها واصحاب الرس قيل هم ممن بعث اليهم شعيب وقيل كما مر فى سورة الفرقان على التفصيل وثمود وعاد وفرعون اى هو وقومه ليلايم ما قبله وما بعده واخوان لوط قيل كانوا من اصهاره واصحاب الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب غير اهل مدين وقوم تبع سبق شرح حالهم فى سورة الدخان كل كذب الرسل اى فيما ارسلوا به من الشرائع التى من جملتها البعث الذى اجمعوا عليه قاطبة اى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقد

عد مها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان
يدعوهم تبع فحق وعيد اى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم و
تهديد لهم افعيينا بالخلق الاول استيناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعى بالامر
العجز عنه يقال عى بالامر وعيى به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العى من القصد والمكان
كانه قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعاده بل هم فى لبس من خلق جديد عطف على مقدر يدل عليه ما قبله
كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهه فى خلق مستانف لما فيه من مخالفة العاده وتنكير خلق لتفخيم
شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما
توسوس به نفسه اى ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسه الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما ان
جعلت موصوله والباء كما فى صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدريه والباء للتعديه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى اعلم
بحاله ممن كان هو اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب
والحبل العرق واضافته بيانيه والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه
وقيل سمى وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان منصوب بما فى اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه
الى ما لا شئ اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تع غنى
عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما فى كتبتهما وحفظهما الاعمال العباد وعرض صحايفها يوم يقوم الاشهاد
وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تع بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له فى الكف عن السيئات والرغبة فى الحسنات وعنه
عليه السلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحيى من الله ولا منهما
وقد جوزوا ان يكون تلقى الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به عن اليمين
وعن الشمال قعيد اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثانى
عليه كما فى قول من قال رمانى بامر كنت منه ووالدى بريئا ومن اجل الطوى رمانى وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما
فى قوله تع والملئكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمى به من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه
رقيب ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غنى
عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تع
عتيد اى معد مهيا للكتابة ما امر به من الخير او الشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر
لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شئ حتى انينه فى مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او
وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وكاتب الحسنات
امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات
لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وازيح ذلك بتحقيق قدرته تع وعلمه وبين
ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك بيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال
وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضى ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعديه
كما فى قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذى نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية
الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة
كالتى فى قوله تع تنبت بالدهن اى ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة
التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستتبعه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تع
على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد اى تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان
النفرة عنه شاملة للكل فرد من افراده طبعا ونفخ فى الصور هى النفخة الثانيه ذلك اى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم
الوعيد اى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان
المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدوث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا للتهويل ولذلك بدئ
ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب
اختلاف النفوس عملا اى معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والاخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك
يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله
ومحل معها النصب على الحاليه من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل
وقوله تع لقد كنت فى غفلة من هذا محكى باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استيناف مبنى على سؤال نشا
مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت فى غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الاخرة وقيل

الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تانيث النفس وكذا الخطابات الاتية على القراءة المشهورة بتذكير على تأويل الشخص كما فى قول جبلة بن
حريث يا نفس انك باللذات مسرور فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطى لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك
فى المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف فى المواضع الثلثة
وقال قرينه اى الشيطان المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدى عتيد اى هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم قد هيأته لها
باغوائى واضلالى وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت
موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصوله فهى بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدا محذوف القيا فى جهنم كل كفار خطاب
من الله تع للسائق والشاهد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال
فان تزجرانى يا ابن عفان انزجر وان تدعانى احم عرضا ممنعا او على ان الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى
الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفه عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضه وقيل المراد
بالخير الاسلام فان الاية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه منه معتد ظالم متخط للحق مريب شاك فى الله وفى دينه
الذى جعل مع الله الها اخر مبتدا متضمن لمعنى الشرط خبره فالقياه فى العذاب الشديد او بدل من كل كفار وقوله تع فالقياه تكرير
للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اى الشيطان المقيض له وانما استونفت استيناف الجمل الواقعة فى حكاية
المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تع ربنا ما اطغيته فانه منبئ عن سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغانى
فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما
فى الحصول اعنى مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان هو بالذات فى ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء و
الدعوة اليه من غير قسر والجاء كما فى قوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى قال استيناف مبنى على سؤال
نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تع فقيل قال لا تختصموا لدى اى فى موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة فى ذلك وقد
قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان فى دار الكسب فى كتبى وعلى السنة رسلى فلا تطمعوا فى الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير
الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهى على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم انى قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملان جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت والباء مزيده او معديه على ان قدم
بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تع ما يبدل القول لدى الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من
المفعول او الفاعل اى وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا ان ابدل
وعيدى والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلايل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تع وما
انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلى وتبيين ان عدم تبديل القول وتبديل موجب الوعيد ليس من جهته تع من غير استحقاق
له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه انفا اى وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم
والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنه فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته
تع عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغه لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب
بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا
يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جئ بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها
وتباعد اقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ
او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد او مفعول كالمبيع ويوم اما
منصوب باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اى يكون من الاحوال والاهوال
ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع فى بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجئ النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان
حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اى قربت للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون
المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تع غير بعيد تاكيد للازلاف اى مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال
كونها غير بعيد اى شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث او لتاويل
الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن
تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ العربى كما مر فى قوله تع ولما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وفى قوله تع ولما رأى المؤمنون
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت
وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما معمول لقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اى مقولا
لهم او مقولا فى حقها هذا ما توعدون لكل اواب اى رجاع الى الله تع بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من
النقض وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تع وقيل لما استودعه الله تع من حقوقه
من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون فى حكمه لان من لا يوصف به

ولا يوصف الا بالذى او مبتدأ خبره ادخلوها بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف
هو حال من فاعل خشى او من مفعوله او صفة لمصدره اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب عنه او هو غائب
عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته
تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم ووصف
القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اى ملتبسين بسلامة من
العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملئكته ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذى وقع فى بعض منه ما ذكر من
الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاؤن من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف
هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالى
الكرامات التى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فيقولون
المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اى قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا اى قوة كعاد واضرابها
فنقبوا فى البلاد اى خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا فى اقطارها وجالوا فى اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب
والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقيل هى عاطفة فى المعنى
كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ بالتخفيف هل من محيص اى هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول
هو حال من واو نقبوا اى فنقبوا فى البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او
هو كلام مستانف وارد لنفى ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى مسائرهم واسفارهم فى بلاد القرون
فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان
ينتقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم ان فى ذلك اى فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر فى
السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اى قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغى
فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الاثار من غير تذكير او القى السمع اى الى ما
يتلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدى اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو
دون الجمع فان القاء السمع لا يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه
فكانه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عرى قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات فى ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا تفى به القوى والقدر من لغوب من اعياء
ما ولا تعب فى الجملة وهذا رد على جهلة اليهود فى زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم
السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون اى ما تقوله المشركون فى شأن البعث
من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما تقوله
اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك اى نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى اخباره التى من جملتها
الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب هما وقتا الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات
جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالمراد
بما قبل الطلوع صلوة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاآن والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد
المكتوبات واستمع اى لما يوحى اليك من احوال القيمة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم يناد المناد اى اسرافيل او جبريل
فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل
ينادى بالحشر من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل
من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك فى الاعادة مثل كن فى البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادى الخ وهى
النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل فى الظرف ما يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج اى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق
الذى هو البعث يخرجون من القبور انا نحن نحيى ونميت فى الدنيا من غير ان يشاركنا فى ذلك احد والينا المصير للجزاء فى الآخرة
لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التاءين من تتشقق وقرئ تشقق بتشديد الشين وتشقق على
البناء للمفعول من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اى هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص
اليسر به تعالى نحن اعلم بما يقولون من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار بمتسلط
تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم
ويستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات

سورة الذاريات ستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا اى الرياح التى تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء فى الذال فالحاملات وقرا اى السحب الحاملة
للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا اى السفن الجارية فى البحر او الرياح
الجارية فى مهابها او السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف
اى جريا ذا يسر فالمقسمات امرا اى الملئكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التى يقسم الله تعالى
بها ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تذروه
تثير السحاب وتحمله وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فى الاقطار فان حملت الامور المقسم بها على
ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والا فهى لترتيب الاقسام باعتبار
ما صدر عن المقسم به من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجرى به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر
وقوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم وفى تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق
مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما
موصولة او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات الحبك
قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هى المتقنة البنيان
وقال مقاتل والكلبى والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرق المحسوسة التى هى مسير الكواكب او المعقولة التى يسلكها
النظار والنجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وهى اما جمع حباك او حبيكة
كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم
والحبك كالابل انكم لفى قول مختلف اى متخالف متناقض وهو قولهم فى حقه عليه السلام تارة شاعر واخرى ساحر وفى شأن القرآن
الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفى هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن
الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة فى هذا القسم تشبيه اقوالهم فى اختلافها وتنافى
اغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من افك اى يصرف عن القرآن او الرسول
من صرف اذ لا صرف اقطع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف فى علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف
على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك من افك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان
قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون
الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اى قتل الله
الذين هم فى غمرة من الجهل والضلال ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اى متى وقوع يوم الجزاء لكن لا
بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب للسؤال
اى يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدأ محذوف اى هو يوم هم الخ والفتح لاضافته الى
غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اى مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى هذا الذى كنتم به تستعجلون جملة من مبتدأ وخبر
داخلة تحت القول المضمر اى هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتاويل العذاب
والذى صفته ان المتقين فى جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اى قابلين لما اعطاهم راضين به
على معنى ان كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك فى الدنيا محسنين اى لاعمالهم الصالحة آتين بها
على ما ينبغى فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل على ان
قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما مزيدة فى الوجهين ويجوز ان يكون مصدرية او موصولة مرتفعة
بقليلا على الفاعلية اى كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات فى تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل
والليل الذى هو وقت الراحة والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من
الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون اى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم
يداومون على الاستغفار فى الاسحار كانهم اسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا
بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفى اموالهم حق اى نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا
الى الله تعالى واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدى والمتعفف الذى يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفى الارض آيات للموقنين
اى دلائل واضحة على شؤنه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين فى اقطارها والسالكين
فى مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف

الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروايح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وفي انفسكم اي وفي انفسكم ايات اذ ليس في العالم شئ الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيات النافعة والمناظر البهيه والتركيبات العجيبه والتمكن من الافعال البديعه واستنباط الصنايع المختلفه واستجماع الكمالات المتنوعه افلا تبصرون اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة وفي السماء رزقكم اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعه او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مبتدا خبره قوله تع فورب السماء والارض انه لحق على ان الضمير لما او ما على الاول فامالة واما لما ذكر من امر الايات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن في الحق او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شئ وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويويده القراءة بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابراهيم تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله عليه السلام بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك اخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم عليه السلام او لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين اي المكرمين عند الله تع او عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال اي ابراهيم سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى يكون تحيته عليه السلام احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليهم السلام للسلام الذي هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لا انه خاطبهم به جهرا او سالهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى ويبادره حذرا من ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفاء في قوله تع فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجي بالطعام كما في قوله تع فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فذبح عجلا فحنذه فجاء به فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد قال الا تاكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم اضمر في نفسه خيفة لتوهم انهم جاوا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملئكة جاوا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه وفي سورة الصافات وبشرناه اي بواسطتهم بغلام هو اسحق عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امرأته ساره لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعل اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني فصكت وجهها اي لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال ربك وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تع لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم يكن هذه المفاوضة مع ساره فقط بل مع ابراهيم عليه السلام ايضا حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك كما انه لم يذكر هنالك البشارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة هود قال اي ابراهيم لما علم انهم ملئكة ارسلوا لامر فما خطبكم اي شانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السورة الكريمة حجارة من طين اي طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من اسمت الماشية اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور وقوله تع فاخرجنا الخ حكاية من جهته تع لما جرى على قوم لوط بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملئكة وبين ابراهيم عليهم السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الخ من كان فيها اي في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت اي غير اهل بيت من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وتركنا فيها اي في القرية آية علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم اي من شانهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها اية وفي موسى عطف على قوله تع وفي الارض او على قوله تع وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه قيل هو منصوب باية وقيل بمحذوف

اي كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة فتولى بركنه اي فاعرض عن الايمان به وازور كقوله تع ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشئ ويتقوى وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه نسب ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شان القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم اي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي النكباء او الدبور او الجنوب ما تذر من شئ اتت عليه اي جرت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تع تمتعوا في داركم ثلاثة ايام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا عن امر ربهم اي فاستكبروا عن الامتثال به فاخذتهم الصاعقة قيل لما راوا العذاب التي بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما استطاعوا من قيام كقوله تع فاصبحوا في دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويويده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذناه من قبل اي من قبل هؤلاء المهلكين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايد اي بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شئ اي من الاجناس خلقنا زوجين اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تع ففروا الى الله مقدر بقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكي من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذي هذه شؤنه بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تع لعلكم تذكرون كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله الخ وقوله تع اني لكم منه نذير مبين تعليل للامر بالفرار اليه تع او لوجوب الامتثال به فان كونه عليه السلام منذرا منه تع موجب عليه عليه السلام ان يامرهم بالفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا به اي اني لكم من جهته تع منذر بين كونه منذرا منه تع او مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفي امره تع للرسول عليه السلام بان يامرهم بالهرب اليه تع من عقابه وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تع لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تع ولا تجعلوا مع الله الها آخر نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى اني لكم منه اي من الجعل المنهي عنه نذير مبين فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء لتضمينه معنى الفرار يقال فر منه اي هرب وافره غيره كانه قيل وفروا من ان تجعلوا معه تع اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تاكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تع لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار منه كذلك اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تع ما اتى الذين من قبلهم الخ تفسير له اي ما اتاهم من رسول من رسل الله الا قالوا في حقه ساحر او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف باتى لامتناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها اتواصوا به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن ان تتفوه بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تع بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنعاء عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم فتول عنهم فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود وذكر اي افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين اي الذين قدر الله تع ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون استيناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تع مما يدعوه عليه السلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تع خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تع لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تع وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث

على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير منفى من افعاله تع بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تع بالحكمة ويكفى فى تحقق معنى التعليل على ما تقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغه هذا المقدار وبه تحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول اليها مع تعاضد المبادى وتأخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما فى قوله تع كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتى كما فى قوله تع وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تع ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوى معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر فى التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريقة اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته تع لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفه ما اريد منهم من رزق وما اريد ان بيان لكون شانه تع مع عباده متعاليا عن ان يكون كشان السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل رزقى ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى ان الله هو الرزاق الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غنى عنه وقرئ انى انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر وقرئ بالجر على انه وصف للقوة على تأويل الاقتدار والايد فان للذين ظلموا اى ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا اى نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم المحكيه وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون اى لا يطلبوا منى ان اعجله اى المجىء به يقال استعجله اى حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تع اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك ومن فى قوله تع من يومهم الذى يوعدون للتعليل اى يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيمة وهو الانسب بما فى صدر السورة الكريمة الآتيه والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

سورة والطور تسع واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والطور الطور بالسريانيه الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله عز وعلا وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى وهو الانسب بالطور او ما يكتب فى اللوح او ما يكتبه الحفظة فى رق منشور الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او الاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اى الكعبه وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملئكة والسقف المرفوع اى السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور اى المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تع واذا البحار سجرت والمراد به الجنس روى ان الله تع يجعل البحار كلها يوم القيمة نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع اى لنازل حتما جواب للقسم وقوله تع ما له من دافع اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تع وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تع بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التى من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تع يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد فى المجىء والذهاب وقيل هو تحرك فى تموج وقيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها وتسير الجبال سيرا اى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين اى اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم الذين هم فى خوض اى اندفاع عجيب فى الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تع هذه النار التى كنتم بها تكذبون اى تقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحى الناطق بها وقوله تع افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ ام انتم لا تبصرون اى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر او ام سدت ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها

فاصبروا او لا تصبروا اى ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم اى الامران فى عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تع انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع ان المتقين فى جنات ونعيم اى فى اية جنات واى نعيم على ان التنوين للتفخيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر او خبر آخر ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان او حال باضمار قد اما من المستكن فى الخبر او فى الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل كلوا واشربوا اى يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اى هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين آمنوا الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم فى الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تع واتبعتهم ذريتهم عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تع بايمان متعلق بالاتباع اى اتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة فى الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقرئ اتبعتهم الحقنا بهم ذريتهم اى فى الدرجة كما روى انه عليه السلام قال ان الله تع يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وما ألتناهم وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق من عملهم من ثواب عملهم من شىء بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنقص مثوباتهم وألتناهم من ألت يألت ولتناهم من لات يليت والكل بمعنى واحد وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بموانسة الاخوان المؤمنين وقوله تع واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تع بايمان متعلق بما بعده اى بسبب ايمان عظيم وهو ايمان الآباء الحقنا بهم بدرجتهم ذريتهم كما انه قيل بشىء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تع بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اى دائم ثابت وهذا انسب بالمقام لان الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الآباء شىء فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وزدناهم على ما كان لهم من مبادى التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الآلاء يتنازعون فيها اى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كأسا اى خمرا تسمية لها باسم محلها لا لغو فيها اى فى شربها حيث لا يتكلمون فى اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تأثيم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا وانما يتكلمون بالحكم ومحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح ويطوف عليهم اى بالكأس غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا ومسئولا لا انه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا قالوا اى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة انا كنا قبل اى قبل الدنيا فى اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تع معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل ندعوه اى نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذى اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اى بل ايقولون ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تأمرهم احلامهم اى عقولهم بهذا اى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء فى واحد وامر الاحلام بذلك مجاز من اداتها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون

تقوله اى اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التي لا يخفى على احد بطلانها كيف لا
وما رسول الله عليه السلام الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن
في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم
على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة
المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقايع والايام ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي
الامر بذلك ام خلقوا من غير شيء اى ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شيء
من عبادة وجزاء ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اى اذا سئلوا من خلقكم
وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك اى خزاين رزقه
حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او يمسكوها عمن شاؤا او اعندهم خزاين علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ام
هم المصيطرون اى الغالبون على الامور يدبرونها كيفما شاؤا حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيتهم
وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملئكة وما يوحى
اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كاين من الامور التي يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة فليأت
مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من
هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد
ما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ ام تسألهم اجرا رجوع الى خطابه عليه السلام واعراض عنهم اى بل اتسألهم اجرا على تبليغ
الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اى اللوح
المحفوظ المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي واثبات ام يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله
عليه السلام في دار الندوة فالذين كفروا هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من
الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا هم المكيدون اى هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم
وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم
ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اى عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم
يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم اى هم في الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء
كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى
يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة او من اصعقته وقرئ يصعقون
بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا ولان
قوله تع يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اى شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي
استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه في امره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم
بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه الاضافة
المنبئة عن اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اى لهم ووضع الموصول موضع
الضمير لما ذكر من قبل اى وان لهؤلاء الظلمة عذابا آخر دون ذلك دون ما لاقوه من القتل اى قبله وهو القحط الذي اصابهم
سبع سنين او وراءه كما في قوله ترك القذى من دونها وهو دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة
وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا
او لا يعلمون شيئا اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم
فانك باعيننا اى في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح
اى نزهه تع عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من اى مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطا اى قل
حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رض معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع
اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تع ومن الليل فسبحه افراد
لبعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الريا كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اى وقت ادبارها
من آخر الليل اى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشائين وادبار النجوم صلاة الفجر وقرئ ادبار النجوم بالفتح اى في اعقابها
اذا غربت او خفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله تع ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة والنجم اثنان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول

اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد واما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه
بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيك اذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته عليه السلام
عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين فلان النجم شأنه ان يهتدي به
الساري الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم اى ما عدل عن طريق الحق
الذي هو مسلك الآخرة وما غوى اى وما اعتقد باطلا قط اى هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال و
الغواية في شيء اصلا واما على الثالث فلانه تنويه بشأن القرآن كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه
على مناط اهتدائه عليه السلام ومدار رشاده كانه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما
ضل عنها محمد عليه السلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل
احواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عليه السلام مما نفي عنه بالكلية وباتصافه عليه السلام بغاية الهدى والرشاد فان طول
صحبتهم له عليه السلام ومشاهدتهم لمحاسن شئونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على الوجه الاخير
ظ واما على الاولين فلان النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب
وانما يهتدي به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليه السلام
هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم القيمة او على انقضاض النجم الذي يرجم به وحمل النجم على النبات
او حمل هويه على سقوطه على الارض او ظهوره منها فمما لا يناسب المقام وما ينطق عن الهوى اى وما يصدر نطقه بالقرآن الا وحي
من الله تع وقوله تع يوحى صفة مؤكدة لوحي دافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي علمه شديد القوى اى ملك
شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء
الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء
وصعوده في اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اى حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير
فانه الى قوله تع ما اوحى بيان لكيفية التعليم فاستقام على صورته التي خلقه الله تع عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع
له جبريل من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل في صورة الادميين فضمه
الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما راه احد من الانبياء في صورته غير النبي صلى الله عليه وسلم فانه راه فيها مرتين مرة
في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تع وهو بالافق الاعلى اى افق الشمس حال من فاعل استوى
ثم دنا اى اراد الدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى اى استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبي يقال تدلت
الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان اى مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين اى مقدارهما
فان القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار فكان جبريل كما في قولك هو مني معقد الازار او ادنى اى على تقديركم كما في
قوله تع او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى اى جبريل الى عبده اى عبد الله
تع واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تع ما ترك على ظهرها ما اوحى اى من الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة او فاوحى الله
بواسطة جبريل ما اوحى قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اى فؤاد
محمد عليه السلام ما رأى اى ما رآه ببصره من صورة جبريل اى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه
بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على ما يرى اى اتكذبونه فتجادلونه على ما
يراه معاينة وابعدما ذكر من احواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا
من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اى افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما
يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اى جحده ولقد رآه نزلة اخرى اى وبالله لقد رأى جبريل في صورته
مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره
ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر و
ورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله تع في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع
الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء
وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان
او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور
اى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تع الى ربك المنتهى عندها جنة المأوى اى الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح
الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى
ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر منه

الغواشي او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشانى كل حين اى ياتيني والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى
وتاخير عن المفعول للتشوق اليه اى ولقد راه عند السدرة وقت ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا
ولكما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها
الجم الغفير من الملئكة يعبدون الله تع عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله
عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش وجراد من
ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رايت السدرة يغشاها فراش من ذهب
ورايت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تع وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اى ما مال بصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما راه وما طغى وما تجاوز مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما
عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها لقد راى من ايات ربه الكبرى اى والله لقد راى الايات التي هي كبراها
وعظماها حين عرج به الى السماء فارى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة
للايات والمفعول محذوف اى شيئا عظيما من ايات ربه وان يكون من مزيدة افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها
وقرى بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعم الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعم
الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته
والعزى تانيث الاعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها
فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على راسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله
فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسائك تمنى عندها اى
تراق وقرى ومناءة وهي مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتاخرة
الوضيعة المقدار وقد يجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون
ان الملئكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرايتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه
الى ترتب الرؤية على ما ذكر من شؤن الله تع المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه
فالمعنى اعقيب ما سمعتم من اثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملا
الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رايتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقمارتها بنات له تع وقيل المعنى افرايتم هذه الاصنام مع
حقارتها وذلتها شركاء لله تع مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن الهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها
رب العزة في الاي السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم في الاخرة
وقيل افرايتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تع الكم الذكر وله الانثى
شهادة بينة فانه توبيخ مبني على التوبيخ الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جانبه تع بنسبتهم اليه تع الاناث مع اختيارهم
لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثاني عليه وظاهر ان ليس في شيء من
التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول
الاول لما ان الاصل اخبروني ان اللات والعزى ومناة الكم الذكر وله هن اى تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل
وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها تقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على
جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه تلك اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية
اذا قسمة ضيزى اى جائرة حيث جعلتم له تع ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض
فان فعلى بالكسر لم يات في الوصف وقرى ضئزى بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرى ضيزى اما على انه مصدر وصف
به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى ان هي الضمير للاصنام اى ما الاصنام باعتبار الالوهية التي تدعونها الا اسماء محضة
ليس تحتها مما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تع سميتموها صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها
اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وان قيست الى المسمى
فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير هاهنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها الهة اسماء مجردة ليس
لها مسميات قطعا كما في قوله تع ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الاية لان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي
للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها
بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل انما
هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق
الاولوية اى ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم واباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطلة ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون

ان يتبعون التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اى ما يتبعون في ما ذكر
من التسمية والعمل بموجبها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا وما تهوى الانفس اى تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء
ولقد جاءهم من ربهم الهدى قيل هي حال من فاعل يتبعون او اعتراض واياما كان ففيه تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة
تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اى شخص كان قبيح وممن هداه الله تع بارسال الرسول عليه السلام وانزال الكتاب اقبح ام للانسان ما تمنى
ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي
نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي اى ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة في
شفاعة الالهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود فلله الاخرة والاولى تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه حتما فان
اختصاص امور الاخرة والاولى جميعا به تع مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور وقوله تع وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملئكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية
مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اى وكثير من
الملئكة لا تغني شفاعتهم عند الله تع شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء ان
يشفعوا له ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى
بمعزل ومن الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون
بالاخرة وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق
اى يسمون كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى
وفي تعليقها بعدم الايمان بالاخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة في الاخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من
لا يؤمن بها راسا وقوله تع وما لهم به من علم حال من فاعل يسمون اى يسمونهم والحال انه لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرى بها
اى بالملئكة او بالتسمية ان يتبعون في ذلك الا الظن الفاسد وان الظن اى جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار لا يغني
من الحق شيئا من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شان المعارف الحقيقية
وانما يعتد به في العمليات وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي اليها فاعرض عمن تولى عن ذكرنا اى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم
للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اى فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو
القران المنطوي على علوم الاولين والاخرين المذكر لامور الاخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الاخرة وما فيها من
الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها ولم يرد الا الحيوة الدنيا راضيا قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشانه فان من
اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل
ذلك اى ما اداهم الى ما هم فيه من التولي وقصر الارادة على الحيوة الدنيا مبلغهم من العلم لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى
تجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق
الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحيوة الدنيا وقوله تع ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تع هو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين
المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من من شانه الاهتداء في الجملة اى هو المبالغ في
العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل الاول
وفي تعليل الامر باعراضه عليه السلام عن الاعتناء بامرهم باقتصار العلم باحوال الفريقين عليه تع رمز الى انه تع يعاملهم بموجب
علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سياتي صريحا ولله ما في السموات وما في الارض اى خلقا وملكا لا
لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تع ليجزي الخ متعلق بما دل عليه اعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون
الكل مخلوقا له تع مما يقرر علمه تع باحوالهم الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزي
الذين اساءوا بما عملوا اى بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا ويجزي الذين احسنوا
اى اهتدوا بالحسنى اى بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تع ولله ما في السموات
وما في الارض كانه قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل متعلق بضل واهتدى واللام للعاقبة اى كان عاقبة امرهم جميعا للجزاء والتنبيه على تباين الجزائين
الذين يجتنبون كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان
او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الذنوب بخصوصه وقرى كبير الاثم
على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم اى الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل
هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد
الحين والاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على
ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين

ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تع ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تع هو اعلم بكم اى باحوالكم يعلمها اذ انشاكم فى ضمن انشاء ابيكم آدم عم من الارض انشاء اجماليا حسبما مر تحقيقه مرارا واذ انتم اجنة ووقت كونكم اجنة فى بطون امهاتكم على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التى من جملتها اللمم الذى لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استيناف مقرر لما قبلها والفاء فى قوله تع فلا تزكوا انفسكم لترتيب النهى عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تع مع علمه بصدوره عنكم اى اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصى بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تع على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصى جميعا وهو استيناف مقرر للنهى ومشعر بان فيهم من تتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلوتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تع وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرايت الذى تولى اى عن اتباع الحق و الثبات عليه واعطى قليلا اى شيئا قليلا او اعطاء قليلا واكدى اى قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان تحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقى وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى لما انه كان يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقيل فى ابى جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وكان يقول والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تع واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تع اعنده علم الغيب فهو يرى الخ اى اعنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيمة ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى اى وفر واتم ما التزمه من الكلمات او امر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل عليهما السلام حين القى فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التى هى التورية اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة وزر اخرى اى انه لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى على ان ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها بدل مما فى صحف موسى او الرفع على انه خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما فى صحفهما فقيل هو الا تزر الخ والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثانى عن عقابه ولا يقدح فى ذلك قوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذى هو وزره وقوله تع وان ليس للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء واستغفار الملئكة ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذى هو الايمان والصلاح ولم يكن لشئ منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان سعيه سوف يرى اى يعرض عليه ويكشف له يوم القيمة فى صحيفته وميزانه من ارءيته الشئ ثم يجزاه اى يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تع الجزاء الاوفى او يبدل هو عنه كما فى قوله تع واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى اى انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تع لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرى بكسر ان على الابتداء وانه هو اضحك وابكى اى خلق قوتى الضحك والبكاء وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تع على العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق فى الرحم او تخلق ويقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وان عليه النشأة الاخرى اى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرى النشاءة بالمد وهى ايضا مصدر نشاه وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهى ما يتأثل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى اى رب معبودهم وهى العبور وهى اشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ابى كبشة تشبيها له عليه السلام به لمخالفته اياهم فى دينهم وانه اهلك عادا الاولى هى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرى عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعاد لولى بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرى وثمودا بالتنوين فما ابقى احدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا من قبل اى من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة هى قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اى انقلبت بهم اهوى

اى اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء فغشاها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فباى آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تع لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد واسناد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها المعنى الاول فقط كما فى تداعوا نهم اى دعوهم وقد تجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما نحن فيه فان المراد تعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر او الى الرسول عليه السلام والنذير بمعنى المنذر وايا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اى هذا القرآن الذى تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تاويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفى تعقيبه بقوله تع ازفت الآزفة اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيمة اى دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اى ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تع لكنه لا يكشفها او ليس لها الان نفس كاشفة بتاخيرها الا الله تع فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله كقوله تع لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من غير الله تع كشف على ان كاشفة مصدر كالعافية افمن هذا الحديث اى القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شئ من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم فى شانه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة وانتم سامدون اى لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما فى قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا • فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا • والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفاء فى قوله تع فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اى واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذى انزله واعبدوه عن النبى عم من قرأ سورة والنجم اعطاه الله تع عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به

سجدة التلاوة

سورة القمر خمس وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنه انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت حراء بين فلقتى القمر وعن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيمة ويرده قوله تع وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد والاستحكام اى وان يروا آية من آيات الله تع يعرضوا عن التامل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم ياتى به محمد عليه السلام على تعاقب الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر او قوى محكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم فى العناد والمكابرة ويؤيده ما سياتى لرده وقرى وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة وكذبوا اى بالنبى صلى الله عليه وسلم وبما عاينوه مما اظهره الله تع على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم التى زينها الشيطان لهم او كذبوا الآية التى هى انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقوله تع وكل امر مستقر استيناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به اما نيهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه السلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اى وكل امر من الامور منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبى صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شانه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره عليه السلام مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة فى الدنيا وشقاوة او سعادة فى الاخرى وقرى بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او اسم زمان اى ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اى اقتربت الساعة وكل امر مستقر ولقد جاءهم اى فى القرآن وقوله تع من الانباء اى انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اى وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء ما فيه مزدجر اى ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار على ان فى تجريدية والمعنى انه فى نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرى مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهى بدل مما او خبر لمحذوف وقرى بالنصب حالا منها فانها موصولة او موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغن النذر نفى للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجىء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره

حسب تجدد بحيء الزجر واستمراره وما منصوب على الوجه الثاني اي فاي اغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر
بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البته يوم يدع الداع منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل
ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تع كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسر عنها الى شيء نكر اي منكر فظيع تنكره النفوس
لعدم العهد بمثله وهو هول القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لان
العامل متصرف اي يخرجون من الاجداث اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير
حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة
والتموج والتفرق في الاقطار مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون استيناف وقع
جوابا عما نشا من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب
شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع
في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تاثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تع فما تغني
النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تع فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تع
ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن
مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره عليه السلام
بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي لم يقتصروا
على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه
اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب اي من جهة قومي
مالي قدرة على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد
منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها
كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير لقضاء حق المقام فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقق ان التقاء
المائين لم يكن بطريق التجاور والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا
على امر قد قدر اي كائنا على حال قد قدرها الله تع من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج
او على امر قدره الله تع وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا على ذات الواح اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع
دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى
منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تع
على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد يجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه
مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها
الله تع بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اي معتبر بتلك الاية الحقيقة بالاعتبار
وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم وتعجيب اي كانا على
كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن الخ جملة قسمية وردت في اواخر القصص
الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تع ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة الخ وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة
بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم يقع واحد في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه
على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للذكر اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار ونفي
للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة
الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت عاد اي هودا ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له عليه السلام روما للاختصار ومسارعة
الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تع فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل
ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي
وانذاراتي لهم وقوله تع انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استيناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت
في يوم نحس شؤم مستمر اي شؤمه او استمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان
يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم
موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤوسهم
فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤوس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تانيثها في قوله تع اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى
فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا

والثاني لما يحيق بهم في الاخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذي
مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم
تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا ابشرا منا اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع
له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتاخيرها عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة
يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء وقوله تع نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام
انا اذا اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى
العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك
كنا اذا كما تقول االقي الذكر اي الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي بطر
حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تع لصالح عليه السلام
وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتاكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة عن
قريب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع اصالح هو ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على
حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في الحذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل
المراد بالغد يوم القيمة وياباه قوله تع انا مرسلوا الناقة فانه استيناف مسوق لبيان مبادي الموعود حتما اي مخرجوها
من الهضبة حسبما سالوا فتنة لهم اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم
هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى
الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي مر في صدر
قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر اي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل
الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر
المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء
الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا وهو علة
لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اي اخذتنا الشديدة
بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها
كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم
لوط فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب
ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار
وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تع تشديدا
للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال
الاعتناء بشانها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون
للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تع كذبوا بآياتنا كلها استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
مجيء النذر كانه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء
اكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة او مكانة من اولئكم الكفار المعدودين والمعنى انه اصابهم ما اصابهم
مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوأ حالا وقوله تع
ام لكم براءة في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل الكم براءة وامن من تبعات ما تعملون من
الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله تع ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت
المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم
لغيرهم اي بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأي امرنا مجتمع لا يرام ولا يضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر
ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تع سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتاكيد اي يهزم جمعهم البتة
ويولون الدبر اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم
بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رض يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم
فلما كان يوم بدر رايت رسول الله عليه السلام يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تاويلها وقرئ سيهزم
الجمع اي الله عز وعلا بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه والساعة ادهى
وامر اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمار

لتربية تهوى بلها ان المجرمين من الاولين والاخرين في ضلال وسعر اى في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا و
نيران في الاخرة وقوله تع يوم يسحبون الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تع في ضلال اى كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في
النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اى يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر اى ذوقوا حرها والمها وسقر علم جهنم ولذلك
لم ينصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه
بقدر اى ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التى عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب
بفعل يفسره ما بعده وقرى بالرفع على انه مبتدا وخلقناه خبره وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تع كن او
فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تع وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم
اى اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل
في الزبر اى في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء
حال الكفرة بقوله تع ان المجرمين الخ مما يستدعى بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال
بطريق الاجمال فقيل ان المتقين اى من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشان ونهر اى انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم
الجنس مراعاة للفواصل وقرى نهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرى في مقاعد صدق عند مليك
مقتدر اى مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء الا هو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شانه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله تع يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن ثمان وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم الماضية من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها ان القرآن قد يسر
لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما فاض على كافة الانام من فنون
نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدئ بتعليم القرآن فقيل
الرحمن علم القرآن لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيا وعيار على سائر الكتب
السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشاؤه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه
وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة الواسعة واحكامها وقد اقتصر على ذكر تنبيها على اصالته
وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من
القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن
فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف
لورودها على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان اى يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك
امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب والنجم اى النبات الذى نجم اى طلع
من الارض ولا ساق له والشجر الذى له ساق يسجدان اى ينقادان له تع فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين
طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم
الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تع ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تع كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم يسجدان
له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما ان
الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله تع
والسماء رفعها اى خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه ومنزل اوامره ومحل ملائكته وفيه من
التنبيه على كبرياء شانه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرى بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اى شرع العدل وامر بان
يوفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات
والارض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تع وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف
به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث
علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان اى لئلا
تطغوا فيه على ان ان ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تع ووضع الميزان او اى لا تطغوا على انها مفسرة لما في
الشرع من معنى القول ولا ناهية اى لا تعتدوا او لا تجاوزوا الانصاف وقرى لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن
بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا
الميزان اى لا تنقصوه امر اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف
ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتاكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرى ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين

وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين ايضا على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل
والارض وضعها اى خفضها مدحوة على الماء للانام اى حفظها مدحوة على الماء للانام اى الخلق قيل المراد به كل ذي روح و
قيل كل ما ظهر على الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تع فيها فاكهة الخ استئناف مسوق لتقرير ما افاده الجملة السابقة
من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ ان يكون الحال
هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية اى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية الثمر جمع كم او كل ما
يكم اى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمر وجمار وجذع والحب هو ما يتغذى به كالحنطة
والشعير ذو العصف هو ورق الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو الرزق اريد به اللب اى فيها ما يتلذذ به من الفواكه و
من التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرى
والحب ذا العصف والريحان اى خلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد ذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف وللفرق بينه وبين
الروحان وهو ما له روح قال القرطبي فباي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تع للانام وسينطق به
قوله تع ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم
بالآية تع كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لآلهتهم به تع في العبادة
من دواعي اشراكهم لها به تع فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان
والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اى فاذا كان الامر كما فصل فباي فرد من افراد الآلاء المذكورة تكذبان
بتلك الآلاء تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب
شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تع آدم
من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الآخرين وخلق الجان
اى الجن او ابا الجن من مارج من لهب صاف من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما
تكذبان مما افاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين بالرفع على خبرية مبتدأ محذوف اى الذي
فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات
قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تع مرج الخ وقرى بالجر على انه بدل من ربكما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من فوائد لا تحصى
من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك مرج البحرين اى ارسلهما من مرجت الدابة
اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان اى يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى العين وقيل
ارسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ اى حاجز من قدرة الله تع او من الارض
لا يبغيان اى لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباي آلاء ربكما تكذبان
وليس منهما شيء يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان
صغاره فنسبة خروجهما الى البحرين مع انهما انما يخرجان من الملح على ما قالوه لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب او
لانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع انهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من
بعضه وهو الاظهر وقرى يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة فباي آلاء ربكما
تكذبان وله الجوار اى السفن جمع جارية وقرى برفع الراء بحذف الياء كقول من قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات
الشرع او المصنوعات وقرى بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع
علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر
على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه كل من عليها اى على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان هالك
لا محالة ويبقى وجه ربك اى ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اى ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام
للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تع ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل
وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرى ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك واياما كان ففي وصفه تعالى
بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تع ايذان بانه تع يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تع فباي
آلاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحيوة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسأله من في السموات والارض قاطبة ما
يحتاجون اليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من
حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية
من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله تع وان تعدوا نعمة

لاتخصوها من سورة ابراهيم عليه السلام كل يوم اى كل وقت من الاوقات هو فى شان من الشؤن التى من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تع لايزال ينشئ اشخاصا ويفنى اخرين وياتى باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفى الحد من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا فباى الاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شؤن الخلق المشار اليها بقوله تع كل يوم هو فى شان فلا يبقى الا شان واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سافرغ لك اى ساتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرى سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرى سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم ايها الثقلان هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة ارائهما او لانهما مثقلان بالتكليف فباى الاء ربكما التى من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيمة للتحذير عما يؤدى الى سوء الحساب تكذبان باقوالكما واعمالكما يا معشر الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفى بما كلفوه ان استطعتم ان قدرتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اى ان تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن اقطار سمواتى وارضى فانفذوا منها وخلصوا انفسكم من عقابى لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اى بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد روى ان الملئكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا راهم الجن والانس هربوا فلا ياتون وجها الا وجدوا الملئكة احاطت به فباى الاء ربكما تكذبان اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرى شواظ بكسر الشين وقرى بالجر عطفا على نار من نار متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اى كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اى دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرى بكسر النون وقرى بالجر عطفا على نار وقرى نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرى ونحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرى ونحس اى نقتل بالعذاب فلا تنتصران اى لا تمتنعان فباى الاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصى لطف واى لطف ونعمة اى نعمة فاذا انشقت السماء اى انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كوردة حمراء وقرى وردة بالرفع على ان كان تامة اى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة تحوى الغنائم او يموت كريم كالدهان خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت اى كدهن الزيت وهو اما جمع دهن واسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اى يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال فباى الاء ربكما تكذبان مع عظم شانها فيومئذ اى يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تع فوربك لنسئلنهم اجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسئل عن ذنبه انسى ولا جنى فباى الاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تع يعرف المجرمون بسيماهم استيناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكابة والحزن فيؤخذ بالنواصى والاقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان الماخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تع خذوه واحذركم ونحوه واخذ به اذا كان الماخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تع لا تاخذ بلحيتى ولا براسى وقول المستغيث خذ بيدى اخذ الله بيدك اى يجمع بين نواصيهم واقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملئكة تارة تاخذ بالنواصى وتارة بالاقدام فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون على ارادة القول اى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة اما استيناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية الاخذ بالنواصى والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ او حال من اصحاب النواصى والاقدام لان الالف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها اى بين النار يحرقون بها وبين حميم ان ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباى الاء ربكما تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الالاء مرارا ولمن خاف مقام ربه شروع فى تعداد الالاء الفائضة عليهم فى الاخرة بعد تعداد ما وصل اليهم فى الدنيا من الالاء الدنيوية والدينية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الاية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان انفسها الاء جليلة واصلة اليهم فى الاخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم فى الدنيا الاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعى فى تحصيل ما يؤدى الى نيلها من الايمان والطاعة وانما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تع كل يوم هو فى شان من النعم الدينية والدنيوية الانفسية والافاقية الاء جليلة واصلة اليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدى الى استدامتها واما ما عدد فيما بين قوله تع سنفرغ لكم وبين هذه الاية من الاحوال الهائلة التى ستقع فى الاخرة فليست هى من قبيل الالاء وانما الالاء حكاياتها

الموجبة للانزجار عما يؤدى الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصى كما اشير اليه فى تضاعيف تعدادها ومقام ربه تع موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامه تع على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل وهو مقحم للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعده فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع ذواتا افنان صفة للجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اى ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن اى ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل فباى الاء ربكما تكذبان وليس فيها شئ يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى للجنتان اى فى كل واحدة منهما عين تجرى كيف يشاء صاحبها فى الاعالى والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احديهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه تجريان فى الدنيا من مخافة الله تع فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع فيهما من كل فاكهة زوجان اى صنفان معروف وغريب او رطب ويابس صفة اخرى للجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر انفا فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع متكئين حال من الخائفين لان من خاف فى معنى الجمع او نصب على معنى المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظاهرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنا الجنتين دان اى ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رض تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرى جنا بكسر الجيم فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع فيهن اى الجنات المدلول عليها بقوله تع جنتان لما عرفت انهما لكل خائف من الثقلين او لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله تع متكئين وقيل فيهما من الاماكن والقصور وقيل فى هذه الالاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اى لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تع متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرى يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصصها بالاضافة فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع كانهن الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كالتى قبلها اى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجه والمرجان اى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره وقيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع هل جزاء الاحسان الا الاحسان استيناف مقرر لمضمون ما فصل قبله اى ما جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع ومن دونهما جنتان مبتدا وخبر اى ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اى خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه فباى الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اى فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فباى الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جمع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لان خيرا الذى بمعنى اخير لا يجمع وقد قرى على الاصل حسان اى حسان الخلق والخلق فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع حور بدل من خيرات مقصورات فى الخيام قصرن فى خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كالذى مر من نظيره فى جميع الوجوه فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع متكئين نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من عالى الثياب وقيل هو ضرب من البسط او البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه وعبقرى حسان العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما فى رفرف على احد الوجهين وقرى على رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى عباقر فى اسم البلد فباى الاء ربكما تكذبان وقوله تع تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له تع فيه تقرير لما ذكر فى السورة الكريمة لما ذكر من الالاء الفائضة على الانام اى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به السورة الكريمة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الالاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشانه من الامور التى من جملتها جحود نعمائه

واذا كان حال اسمه بملابسه دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفه وقيل مقحم كما فى قول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذو الجلال والاكرام وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرى ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة ستة وتسعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعه اى اذا قامت القيمه وذلك عند النفخة الثانيه والتعبير عنها بالواقعه للايذان بتحقق وقوعها لا محاله كانها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فى حيز الشرط كانه قيل كانت الكائنه وحدثت الحادثه وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كانه قيل اذا وقعت الواقعه يكون من الاهوال ما لا يفى به المقال وقيل بالنفى المفهوم من قوله تع ليس لوقعتها كاذبة اى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تع او تكذب فى نفسها كما تكذب اليوم واللام كهى فى قوله تع يا ليتنى قدمت لحيوتى وهذه الجمله على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعافيه اى ليس لاجل وقعتها وفى حقها كذب اصلا بل كل ما ورد فى شانها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تع خافضة رافعة خبر مبتدا محذوف اى هى خافضة لاقوام رافعة لاخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل وقرى خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعه وقوله تع اذا رجت الارض رجا اى زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعه اى تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك يخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اى فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تع وسيرت الجبال وقرى رجت وبست اى ارتجت وذهبت فكانت اى فصارت بسبب ذلك هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم اما خطاب للامة الحاضره والامم السالفه تغليبا او للحاضره فقط ازواجا اى اصنافا ثلثه فكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود او فى الذكر فهو زوج وقوله تع فاصحاب الميمنه ما اصحاب الميمنه واصحاب المشامه ما اصحاب المشامه تقسيم وتنويع للازواج الثلاثه مع الاشارة الاجماليه الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله تع فاصحاب الميمنه مبتدا وقوله ما اصحاب الميمنه خبره على ان ما الاستفهاميه مبتدا ثان ما بعده خبره والجملة خبر للاول والاصل ما هم اى اى شئ هم فى حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقه لكنها قد يطلب بها الصفه والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه ادخل فى التفخيم وكذا الكلام فى قوله تع واصحاب المشامة ما اصحاب المشامه والمراد تعجيب السامع من شان الفريقين فى الفخامه والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنه فى غاية حسن الحال واصحاب المشامه فى نهاية سوء الحال وتكلموا فى الفريقين فقيل اصحاب الميمنه اصحاب المنزلة السنيه واصحاب المشامه اصحاب المنزلة الدنيه اخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنه والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشوم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعاتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تع والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الازواج الثلاثه ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم فى الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تع والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون فى الخيرات واياما كان فالجملة مبتدا وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابى النجم وشعرى شعرى وفيه من تفخيم شانهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى طاعة الله تع السابقون الى رحمته او السابقون الى الخير السابقون الى الجنه وقوله تع اولئك اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتدا خبره ما بعده اى اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون اى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكيه هذا الظهر ما ذكر فى اعراب هذه الجمل واشهره والذى تقتضيه جزالة التنزيل ان قوله تع فاصحاب الميمنه خبر مبتدا محذوف وكذا قوله تع واصحاب المشامة وقوله تع والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلثه بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنه والآخر اصحاب المشامه والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامى احوالهما فى الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما الاستفهاميه مبتدا وما بعدها خبر على ما راه سيبويه فى امثاله بل على انها خبر لما بعد

فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنه امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا اصحاب الميمنه كما يفيده كونها مبتدا وكذا الحال فى ما اصحاب المشامه واما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تع السابقون مبتدا والاظهار فى مقام الاضمار للتفخيم واولئك مبتدا ثان او بدل من الاول وما بعده خبره او للثانى والجملة خبر للاول وقوله تع فى جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اى كائنين فى جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشاره وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزيه وقرى فى جنة النعيم وقوله تع ثلة من الاولين خبر مبتدا محذوف اى هم امة جمة من الاولين وهم الامم السالفه من لدن آدم الى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل من الآخرين اى من هذه الامه ولا يخالفه قوله عليه السلام ان امتى يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقى الامم السالفه من سابقى هذه الامه لا تمنع اكثرية تابعى هؤلاء من تابعى اولئك ولا يرده قوله تع فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين فى انفسهما لا تنافى اكثرية احدهما من الآخر وسيأتى ان الثلتين من هذه الامه وقد روى مرفوعا ان الاولين والآخرين ههنا ايضا متقدموا هذه الامة ومتاخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر على سرر موضونة حال اخرى من المقربين او من ضميرهم فى الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو النسج متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اى مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم حال اخرى او استيناف اى يدور حولهم للخدمه ولدان مخلدون اى مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى عن على رض وعن الحسن وفى الحديث اولاد الكفار خدم اهل الجنه باكواب آنية لا عرى لها ولا خراطيم واباريق اى آنية ذات عرى وخراطيم وكاس من معين اى خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكاس لانها لا تسمى كاسا الا اذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها اى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرى لا يصدعون اى لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تع يومئذ يصدعون وقرى لا يصدعون اى لا يفرق بعضهم بعضا ولا ينزفون اى لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اى يختارونه وياخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون اى يتمنون وقرى ولحوم طير وحور عين بالرفع عطف على ولدان او مبتدا محذوف الخبر اى وفيها او لهم حور وقرى بالجر عطفا على جنات كانه قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى ويطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب اى ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اى يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اى يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اى باطلا ولا تاثيما اى ولا نسبة الى الاثم اى لا لغو فيها ولا تاثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر الا قيلا اى قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تع لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفة او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم او المسلم عليه الا سلام الآخر بدءا او ردا وقرى سلام سلام على الحكاية وقوله تع واصحاب اليمين شروع فى تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدا وقوله تع ما اصحاب اليمين جملة استفهاميه مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفيه سبكها محلها اما الرفع على انها خبر للمبتدا او معترضة لا محل لها والخبر قوله تع فى سدر مخضود وهو على الاول خبر ثان للمبتدا او خبر لمبتدا محذوف والجملة استيناف لبيان ما ابهم فى قوله ما اصحاب اليمين من علو الشان اى هم فى سدر غير ذى شوك لا كسدر الدنيا وهو سدر النبق كانه خضد شوكه اى قطع وقيل مخضود اى مثنى اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا اثناه وهو رطب وطلح منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة مستظهر طيبة الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن على رض انه قرا وطلع وما شان الطلح وقرا قوله تع لها طلع نضيد فقيل او نحولها قال اى القرآن لا يهاج ولا يحول وعن ابن عباس رض نحوه وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم اينما شاؤوا وكيف ما ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجرى على الارض فى غير اخدود وكانه مثل حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل البوادى ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة فى وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن متناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرى فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تع وحور عين وفرش مرفوعة اى رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تع هم وازواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تع انا انشاناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينه والمعنى ابتدانا خلقهن ابتداء جديدا او ابدعناهن من غير ولادة ابداء او اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تع بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تع فجعلناهن ابكارا وقوله تع عربا جمع عروب وهى المتحببة

الى زوجها الحسنة التبعل وقرى عربا بسكون الراء اترابا مستويات فى السن بنات ثلث وثلثين سنة وكذا ازواجهن و اللام فى قوله تع لاصحاب اليمين متعلقة بانشأنا او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اى مساوله فى السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اى كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدا محذوف اى هن لاصحاب اليمين او خبر لقوله تع ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهو بعيد بل هو خبر مبتدا محذوف ختمت به قصة اصحاب اليمين اى هم امة من الاولين وامة من الاخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابى العالية ومجاهد وعطا والضحاك ثلة من الاولين اى من سابقى هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة فى اخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رض فى هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتى واصحاب الشمال شروع فى تفصيل احوالهم التى اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام فى قوله تع ما اصحاب الشمال عين ما فصل فى نظيره وكذا فى قوله تع فى سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ فى المسام والحميم الماء المتناهى فى الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما فى الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذى عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرى لا بارد ولا كريم بالرفع اى لا هو بارد ولا كريم وقوله تع انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اى انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب فى الدنيا منعمين بانواع النعم من الماكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلا جرم عذبوا بنقيضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم اى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اى كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة و تقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تع ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتاكيد النكير وتحلية الجملة بان لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله تع افلا تعقلون على راى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة فى قوله تع اوآباؤنا الاولون لتاكيد الانكار والواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرى او آباؤنا قل ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والاخرين من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وفى تقديم الاولين مبالغة فى الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى لمجموعون بعد البعث وقرى لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخى زمانا او رتبة المكذبون اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اى مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اى كائن من زقوم فمالئون منها البطون اى بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث من الحميم من الماء الحار فى الغاية وتانيث ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرى من شجرة فضمير عليه للزقوم وقيل للاكل وقوله تع فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تع فكذبوا عبدنا اى لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرى شرب الهيم وهو ايضا مصدر وقرى بالكسر على انه اسم المشروب هذا الذى ذكر من الوان العذاب نزلهم يوم الدين اى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمانت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرى نزلهم بسكون الزاء تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تع بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اى فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق فى شئ وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا افرايتم ما تمنون اى تقذفون فى الارحام من النطف وقرى بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه اى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل شئ فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل نحن الخالقون على ان الاستفهام

للتقرير وقيل متصلة ومجئ الخالقون بعد نحن بطريق التاكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرى قدرنا مخففا وما نحن بمسبوقين اى انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتى مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رحمه الله اى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا فمن هذا شانه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته وعلى ان نبدل الخ اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشأة الاولى هى خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم عليه السلام من التراب فلولا تذكرون فهلا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانه اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرى فلولا تذكرون من الثلاثى وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الاخرى وهو يسعى لدار الغرور افرايتم ما تحرثون اى تبذرون حبه وتعملون فى ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف ام نحن الزارعون اى المنبتون لا انتم والكلام فى ام كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متكسرا متفتتا بعد ما انبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرى تفكنون اى تندمون وقرى فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون اى لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرى ائنا على الاستفهام والجملة على القرائتين مقدرة بقول هو فى حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اى قائلين او تقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون افرايتم الماء الذى تشربون عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به ءانتم انزلتموه من المزن اى السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون له بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها فى الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب فى الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستانفتان مسوقتان لبيان ان عصمته تع للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تع فلولا تشكرون تحضيض على شكر الكل افرايتم النار التى تورون اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد ءانتم انشأتم شجرتها التى منها الزناد وهى المرخ والعفار ام نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الاشجار التى لا تخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء فى قوله تع ثم انشأناه خلقا آخر كذلك وقوله تع نحن جعلناها تذكرة استئناف مبين لمنافعها اى جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم او تذكرة وانموذجا من نار جهنم لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى يوقدونها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة فى امر البعث فانه ليس بابدع من اخراج النار من الشئ الرطب ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهمهم ويسد خلتهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ وتاخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروى والفاء فى قوله تع فسبح باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تع وروائع نعمه الموجبة للتسبيح تع اما تنزيها له تع عما يقوله الجاحدون بوحدانيته تع الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم فى غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم السابقة اى فاحدث التسبيح بذكر اسمه تع او بذكره فان اطلاق الاسم للشئ ذكر له والعظيم صفة للاسم او للرب فلا اقسم اى فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما فى قوله تع لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرا فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شان القسم به بمواقع النجوم اى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير او لان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تع واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تع فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تع وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية وتاكيده حيث اعترض بقوله وانه لقسم بين القسم وجوابه الذى هو قوله تع انه لقرآن كريم اى كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضى او كريم عند الله تع وبقوله تع لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك اريد به نفى علمهم او محذوف ثقة بظهوره اى لعظمتموه او لعملتم بموجبه فى كتاب مكنون اى مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون

اماصفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملئكة المنزهون عن الكدورات الجسمانيه واوضار الاوزار او للقران فالمراد
هم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اى لا ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه السلم
المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اى لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ
المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم
تنزيل من رب العالمين صفة اخرى للقران وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا افبهذا الحديث الذى
ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القران الكريم انتم مدهنون اى متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى
يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون اى تضعون التكذيب موضع الشكر
وقرئ وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون
شكر ما يرزقكم الله تع من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانواء والاول هو الاوفق لسباق النظم
الكريم وسياقه فان قوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم الخ تبكيت مبنى على تكذيبهم بالقران فيما نطق به قوله نحن خلقناكم
الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تع من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب
معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفيه اى فهلا اذا بلغت النفس اى الروح وقيل نفس احدكم
الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول صاحبها تنظرون الى ما هو فيه من الغمرات ونحن اقرب
اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من اثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها
واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شئ منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملئكة الموت ولكن لا
تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤننا وقوله تع فلولا ان كنتم غير مدينين اى غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا
ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تع نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعى عدم المحضض عليه حتما وقوله
ترجعونها اى النفس الى مقرها هو العامل فى اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتاكيد وهى مع ما فى حيزها
دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند
بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين فى اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تع لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تع بموجب
مذهبهم وقوله تع فاما ان كان من المقربين الخ شروع فى بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اى فاما ان كان
الذى بين حاله من السابقين من الازواج الثلثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح اى فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء و
فسر بالرحمة لانها سبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة وريحان ورزق وجنة نعيم اى ذات تنعم واما ان كان من اصحاب
اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شانهم سواه كما ذكر للفريقين الاخرين
وقوله تع فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار من جهته تع بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية انشاء سلام
بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من المكذبين الضالين وهم اصحاب
الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تع ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك و
اشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل اى فله نزل كائن من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم
اى ادخال فى النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا
اى الذى ذكر فى السورة الكريمة لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء فى قوله تع فسبح باسم ربك
العظيم لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقية ما فصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تع عما لا يليق به
بشانه الجليل من الامور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب باياته الناطقة بالحق عن النبى عم من قرا سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه

سورة الحديد تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات والارض التسبيح تنزيه الله تع اعتقادا وعملا وقولا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح فى الارض
والماء اذا ذهب وابعد فيهما وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء ايضا فان ما فى السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء
كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر فى آية الكرسى اريد به معنى عام مجازى شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملئكة
والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم
الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تع وان من شئ الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما فى قوله تع
وسبحوه واللام اما مزيدة للتاكيد كما فى نصحت له وشكرت له او للتعليل اى فعل التسبيح لاجل الله تع وخالصا لوجهه ومجيئه
فى بعض الفواتح ماضيا وفى البعض مضارعا للايذان بتحققه فى جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شانه التسبيح الاختيارى
ان يسبحه تع فى جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو العزيز الغالب الذى لا يمانعه ولا
ينازعه شئ الحكيم الذى لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا

قوله تع له ملك السموات والارض اى التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات
مما نعلمه ومما لا نعلمه وقوله تع يحيى ويميت استيناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضميره له وهو على كل شئ من
الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ فى القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات لما انه مبدؤها
ومبدعها والاخر الباقى بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع
النظر عن علتها فهى فانية والظاهر وجودا لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقة فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى والاخيرة
للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود فى جميع الاوقات والظهور والخفاء
وهو بكل شئ عليم لا يعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش بيان
لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه فى سورة
سبا وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه تع بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تع والله بما تعملون بصير عبارة عن
احاطته باعمالهم فتاخيره عن الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لما قيل من انه دليل عليه وقوله تع
له ملك السموات والارض تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله تع والى الله ترجع الامور اى اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا
ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل فى النهار ويولج النهار
فى الليل مر تفسيره مرارا وقوله تع وهو عليم بذات الصدور اى مبالغ فى العلم بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تع
بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التى يظهرونها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اى جعلكم
خلفاء فى التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى
الانفاق فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تع من المصارف هان عليه الانفاق
او جعلكم خلفاء عمن قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم
فلا تبخلوا به فالذين امنوا منكم وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل
الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله تع وما لكم لا تؤمنون
بالله استيناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم فى ذلك عذر ما فى الجملة على ان لا
تؤمنون حال من الضمير فى لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اى اى شئ حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفى الى
السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما فى قوله تع وما لى لا اعبد الذى فطرنى فان همزة الاستفهام
كما تكون تارة لانكار الواقع كما فى اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما فى اضرب ابى كذلك ما الاستفهامية قد تكون
لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفى قوله تع ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا
فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفى سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسرى الى المسبب
ايضا كما فى قوله تع وما لى لا اعبد الخ فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر
ونفى سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تع والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيد لتوبيخهم على الكفر مع تحقق
ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اى واى عذر فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله
وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم اى وقد اخذ الله تع ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر
وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه هو الذى ينزل على
عبده حسبما يعن لكم من المصالح ايات بينات واضحات ليخرجكم اى الله تع او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات
الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الايات بعد نصب
الحجج العقلية وقوله تع وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المامور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون
لهم فى ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذى بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ
اى واى شئ لكم فى ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تع ما هو له فى الحقيقة وانما انتم خلفاؤه فى صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله
ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق
ما يوجب الانفاق اشد فى القبح وادخل فى الانكار فان بيان بقاء جميع ما فى السموات والارض من الاموال بالاخرة لله عز وجل من غير
ان يبقى من اصحابها احد اقوى فى ايجاب الانفاق عليهم من بيان ان الله تع فى الحقيقة وهم خلفاؤه فى التصرف فيها كانه قيل وما لكم
فى ترك انفاقها فى سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شئ بل تبقى لله تع واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية
المهابة وقوله تع لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم فى الانفاق
بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق وحثا لهم على تحرى الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع
كونه فى نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح
بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضمير السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه

من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء اى اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهولاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اى وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله تع الخ والله بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الاية فى ابى بكر رض فانه اول من آمن واول من انفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تع من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تع الى الانفاق فى سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيل الله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اى فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدا اى فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع وبالنصب يوم ترى المومنين والمومنات ظرف لقوله تع وله اجر كريم او لقوله تع فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تع يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذى يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هو هداهم وبايمانهم كتبهم اى يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفى ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القران وعن ابن مسعود رض يوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من يوتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجليه ينطفى تارة ويلمع اخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقول هو حال او استيناف اى يقال لهم بشراكم اى ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اى ما ذكر من النور والبشرى بالجنان المخلدة هو الفوز العظيم الذى لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا اى انتظرونا يقولون ذلك لما ان المومنين يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب ترف بهم وهولاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم اى نستضئ منه واصله اتخاذ القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم من جهة المومنين او من جهة الملائكة ارجعوا وراءكم اى الى الموقف فالتمسوا نورا فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور اى حائط والباء زائدة له باب باطنه اى باطن السور او الباب وهو الجانب الذى يلى الجنة فيه الرحمة وظاهره هو الطرف الذى يلى النار من قبله من جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استيناف مبنى على السوال كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن فى الدنيا معكم يريدون به موافقتهم لهم فى الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمومنين الدوائر وارتبتم فى امر الدين وغرتكم الامانى الفارغة التى من جملتها الطمع فى انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اى الموت وغركم بالله الكريم الغرور اى غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يوخذ منكم فدية فداء وقرئ توخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اى ظاهرا وباطنا ماواكم النار لا تبرحونها ابدا هى مولاكم اى اولى بكم وهو حقيقته مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم او مكانكم عن قريب من الولى وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها وبئس المصير اى النار الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استيناف ناع عليهم تثاقلهم فى امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروى ان المومنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رض ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس رض ان الله تع استبطأ قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران اى الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره تع وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من انى الامر اذا جاء اناه اى وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ الما يان وفيه دلالة على ان المنفى متوقع وما نزل من الحق اى القران وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تع انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق فى سبيل الله وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين

اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهى عن مماثلة اهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله تع ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اى الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال اى الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التى كانت تاتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهى كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون اى خارجون عن حدود دينهم رافضون لما فى كتابهم بالكلية اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الايات التى من جملتها هذه الايات لعلكم تعقلون كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين والمصدقات اى المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اى الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو عطف على ما فى المصدقين من معنى الفعل فانه فى حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين وعقب بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبى وهو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن واقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين امنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على ان مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما فى المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روى انه عليه السلام قال يا معشر النساء تصدقن فانى اريتكن اكثر اهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما فى حيز الصلة على حذف مضاف اى ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل اى يضاعف الله تع وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم مر ما فيه من الكلام والذين امنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم فى خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى الموصول الذى هو مبتدا وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدا ثان وقوله تع هم مبتدا ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثانى وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك و والجملة خبر للموصول اى اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله او هم المبالغون فى الصدق حيث امنوا وصدقوا جميع اخباره ورسله و القائمون بالشهادة لله تع بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيمة وقوله تع لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على انها خبر ثان للموصول او الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اى لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخيرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف واما على الوجه الثانى فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدا وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم الخ والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد بعد ما بين حال الفريقين فى الاخرة شرح حال الحيوة الدنيا التى اطمان بها الفريق الثانى واشير الى انها من محقرات الامور التى لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمينان بها وانها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اى الحراث نباته اى النبات الحاصل به ثم يهيج اى يجف بعد خضرته ونضارته فتريه مصفرا بعد ما رايته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير فى لعب لانه فى معنى الوصف وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا بتقدير المضاف اى مثل الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشير الى فخامة شان الاخرة وعظم ما فيها من اللذات والالام ترغيبا فى تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفى الاخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحيوة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اى لمن اطمان بها ولم يجعلها ذريعة الى الاخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تع فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اى سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم فى المضمار الى مغفرة عظيمة من ربكم اى الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اى كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة

مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها ذلك الذى وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا
واحسانا من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذى لا غاية وراءه
ما اصاب من مصيبة فى الارض كجدب وعاهة فى الزرع والثمار ولا فى انفسكم كمرض وآفة الا فى كتاب اى الا مكتوبا مثبتة فى علم
الله تع او فى اللوح من قبل ان نبرأها اى نخلق الانفس او المصائب او الارض ان ذلك اى اثباتها فى كتاب على الله يسير لاستغنائه
فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اى اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم اى اعطاكم الله تع
منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتى ما قدر اتيانه لا محاله لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت
وقرى بما اتاكم من الاتيان وفى القراة الاولى اشعار بان فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا
بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرى بما اوتيتم والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله تع والفرح الموجب للبطر
والاختيال ولذلك عقب بقوله تع والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ الدنيويه وعظمت فى نفسه اختال وافتخر
بها لا محاله وفى تخصيص التذييل بالنهى عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل
مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او مبتدا خبره محذوف يدل عليه قوله تع ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد
فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشىء
من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرى فان الله الغنى لقد ارسلنا رسلنا اى الملئكة الى الانبياء
او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اى الحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اى جنس الكتاب الشامل للكل والميزان
ليقوم الناس بالقسط اى بالعدل روى ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل
ليقام به السياسه ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل ادم من الجنه ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان
والميقعه والمطرقه والابره وروى ومعه المر والمسحاه وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تع وانزل لكم من الانعام وذلك
ان اوامره تع وقضاياه واحكامه تنزل من السماء وقوله تع فيه بأس شديد لان آلات الحروب انما تتخذ منه ومنافع للناس
اذ ما من صنعه الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تع وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على محذوف
يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنه للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال
السيوف والرماح وسائر الاسلحة فى مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضيه اى وليعلم الله من ينصره ورسله
انزله وقيل عطف على قوله تع ليقوم الناس بالقسط وقوله تع بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اى غائبا منهم او غائبين منه
وقوله تع ان الله قوى عزيز اعتراض تذييلى جئ به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته
فى اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غنى بقدرته وعزته
عنهم فى كل ما يريده ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم نوع تفصيل لما اجمل فى قوله تع لقد ارسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد
الاعتناء بالامر اى وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد
بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اى من الذريه او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق و
كثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابله للمبالغه فى الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم
ثم قفينا على آثارهم برسلنا اى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام
والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهم من الرسل لا للذريه فان الرسل المقفى بهم من الذريه وآتيناه الانجيل
وقرى بفتح الهمزة فانه اعجمى لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرى رآفة على فعالة ورحمة اى
وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه فى شان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية منصوب اما بفعل
مضمر يفسره الظاهر اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اى وجعلنا فى قلوبهم رأفة
ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهى المبالغة فى العبادة بالرياضة
والانقطاع عن الناس ومعناها الفعله المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرى بضم الراء كانها
نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام
فقاتلوهم ثلاث مرات حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانيه فى قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين
انفسهم للعبادة وقوله تع ما كتبناها عليهم جملة مستأنفه وقيل صفة اخرى لرهبانيه والنفى على الوجه الاول متوجه الى اصل
الفعل وقوله تع الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى ما فرضناها نحن عليهم راسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم
بقوله تع فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تع وعلى الوجه الثانى متوجه الى
قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اى ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشىء من الاشياء الا ليبتغوا رضوان
الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم فآتينا الذين آمنوا منهم
ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت

وانى لها استتباع الاجر اجرهم اى ما يخص بهم من الاجر وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من
مضى من المراعين لحقوق الرهبانيه قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض
لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم مما لا يساعده المقام يا ايها الذين آمنوا اى بالرسل المتقدمه اتقوا الله فيما نهاكم
عنه وآمنوا برسوله اى بمحمد صلى الله عليه وسلم وفى اطلاقه ايذان بانه علم فرد فى الرساله لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين
نصيبين من رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل لكن لا على معنى ان شريعتهم باقيه بعد البعثه بل على انها كانت حقه
قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيمه حسبما نطق به قوله تع يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم
من الكفر والمعاصى والله غفور رحيم اى مبالغ فى المغفرة والرحمة وقوله تع لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبيه
المتضمنه لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اى ليعلموا
ولا مزيده كما ينبئ عنه قراة ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم بادغام النون فى الياء وان فى قوله تع الا يقدرون على شىء من فضل الله
مخففه من الثقيله واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف والجملة فى حيز النصب على انها مفعول يعلم اى ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما
ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله وقوله تع وان الفضل
بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تع يؤتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمه وقوله تع والله
ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا
الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين فى قوله تع اولئك
يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم فى الايمان لا تفرقون بين احد من رسله وروى ان مؤمنى اهل
الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرى ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد
كسر وقرى بسكون الياء وفتح اللام كاسم المراة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرى ان لا يقدروا هذا وقد قيل لا غير مزيده وضمير
لا يقدرون للنبى عليه السلام واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى عليه السلام والمؤمنون به على شىء من فضل الله
الذى هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله
تع ان الفضل بيد الله الخ عطفا على ان لا يعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة اثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله باظهار الدال وقرى بادغامها فى السين قول التى تجادلك فى زوجها اى تراجعك الكلام فى شانه وفيما صدر
عنه فى حقها من الظهار وقرى تحاورك وتحاولك اى تسائلك وتشتكى الى الله عطف على تجادلك اى تتضرع اليه تع وقيل
حال من فاعله اى تجادلك وهى متضرعة اليه تع وهى خولة بنت ثعلبه بن مالك بن خزامة الخزرجيه ظاهر عنها زوجها اوس بن
الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت على فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله عليه السلام
فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفى روايه ما اراك الا قد حرمت عليه فى المرار كلها فقالت
اشكو الى الله فاقتى ووجدى وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه السلام حرمت عليه هتفت وشكت
الى الله تع فنزلت وفى كلمة قد اشعار بان الرسول عليه السلام والمجادله كانا يتوقعان ان ينزل الله تع حكم الحادثه ويفرج عنها
كربها كما يلوح به ما روى انه عليه السلام قال لها عند استفتائها ما عندى فى امرك شىء وانها كانت ترفع راسها الى السماء وتقول
اللهم انى اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تع لقولها اجابته دعاءها لا مجرد علمه تع بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى
والله يسمع تحاوركما اى يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفى
نظمها فى سلك الخطاب تغليبا تشريف لهما من جهتين والجملة استيناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها فى المسألة ومبالغتها
فى التضرع الى الله تع ومدافعته عليه السلام اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحى وعلمه تع بحالهما من دواعى الاجابة
وقيل هى حال وهو بعيد وقوله عز وجل ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اى مبالغ فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته
ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التى من جملتها رفع راسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل فى
الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهيه وتاكيد استقلال الجملتين وقوله تع الذين يظاهرون منكم من نسائهم شروع
فى بيان شان الظهار فى نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستيناف والظهار ان يقول الرجل لامراته انت على كظهر امى
مشتق من الظهر وقد مر تفصيله فى الاحزاب والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفى منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم
فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرى تظاهرون من اظاهر ويظاهرون ويتظهرون وقوله تع
ما هن امهاتهم خبر للموصول اى ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقه فهو كذب بحت وقرى امهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم
ان امهاتهم اى ما هن الا اللائى ولدنهم فلا تشبه بهن فى الحرمه الا من الحقها الشرع بهن من المرضعات وازواج النبى عليه السلام
فدخلن بذلك فى حكم الامهات واما الزوجات فابعد شىء من الامومه وانهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التاكيد

ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اى عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تع انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اى محرفا عن الحق وان الله لعفو غفور اى مبالغ فى العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تع والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلى المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اى الى ما قالوا بالتدارك والتلافى لا بالتقرير والتكرير كما فى قوله تع ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما فى قوله تع هدانا لهذا وقوله تع فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تع بان ربك اوحى لها وقوله تع واوحى الى نوح فتحرير رقبة اى فتداركه او فعليه او فالواجب اعتاق رقبة اى رقبة كانت وعند الشافعى رحمه الله يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر فى قوله تع ونرثه ما يقول اى المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع تحرير رقبة من قبل ان يتماسا اى من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالاخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شئ من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستانف عند ابى حنيفة رحمه الله ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدا خبره توعظون به اى تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطى الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذى هو علم فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال التى من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اى عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشئ منها فمن لم يجد اى الرقبة فصيام شهرين اى فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطأ فمن لم يستطع اى الصيام لسبب من الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستانف ان مس فى خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتدا او النصب بمضمر معلل بما بعده اى ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه فى جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التى لا يجوز تعديها وللكافرين اى الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تع ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اى يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعاديين كما انه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الاخر وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الاخر غير ان لورود المحادة فى اثناء ذكر حدود الله تع دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا اى اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تع اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا ايات بينات حال من واو كبتوا اى كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا ايات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل ايات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين اى بتلك الايات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الايات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اى كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين فى حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها فى تلك النشاة بما يليق بها من الصور الهائلة على رءوس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تع احصاه الله استيناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهى اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يغب منه شئ وقوله تع ونسوه حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل لم ينبئهم بذلك فقيل احصاه الله امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلى مقرر لاحصائه تع وقوله تع الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض استشهاد على شمول شهادته تع كما فى قوله تع الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه وفى قوله تع ما يكون من نجوى ثلثة الخ استيناف مقرر لما قبله من سعة علمه تع ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتانيث النجوى وان كان غير حقيقى اى ما يقع من تناجى ثلثة نفر اى من مسارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اى من اهل نجوى ثلثة او بجعلهم نجوى فى انفسهم مبالغة الا هو اى الله عز وجل رابعهم اى جاعلهم اربعة من حيث انه تع يشاركهم فى الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الاية نزلت فى تناجى المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اى مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجرى بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفى الجنس اينما كانوا من الاماكن

[illegible]

ولو كانوا تحت الارض فان علمه تع بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شئ عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عليه السلام ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه السلام والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تع ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول عطف عليه داخل فى حكمه اى بما هو اثم فى نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه السلام وذكره عليه السلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ويقولون فى انفسهم اى فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اى هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها وبئس المصير اى جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فى انديتكم وفى خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى اى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عليه السلام واتقوا الله الذى اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تاتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التى هى التناجى بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تع ليحزن الذين امنوا خبر اخر اى انما هى ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها فى نكبة اصابتهم وليس بضارهم اى الشيطان او التناجى بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اى بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه تع يعصمهم من شره وضره يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا اى توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عنى اى تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تع فى المجلس متعلق بقيل وقرئ فى المجالس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عليه السلام وكانوا يتضامون تنافسا فى القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله تع مقاعد للقتال قيل كان الرجل ياتى الصف ويقول تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وقرئ فى المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اى فى كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اى انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلوة او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا والايواء الى غرف الجنان فى الجنة والذين اوتوا العلم منهم درجات عالية بما جمعوا من اثرتى العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضى للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شاوه العمل العارى عنه وان كان فى غاية الصلاح ولذلك تقتدى بالعالم فى افعاله ولا تقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فى بعض شئونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلام فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اى فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول عليه السلام وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تع ءاشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن على رضى ان فى كتاب الله اية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا وقيل ساعة ذلك اى التصدق خير لكم واطهر اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تع فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة بلا تصدق ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات اى اخفتم الفقر من تقديم الصدقات او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات بحسب لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنهم لما راى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضى وقيل بمعنى اذا كما فى قوله تع اذ الاغلال فى اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى فاذ فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلاة وايتاء الزكوة واطيعوا الله ورسوله فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع فى ذلك من التفريط والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اى الم تنظر الى الذين تولوا قوما اى والوا غضب الله عليهم وهم اليهود كما انبأ عنه قوله تع من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستانفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اى يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تع وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيد لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه

كذب في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روى انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له رسول الله عليه السلام علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه لاهل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة الاولى فهو عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المواخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لابد ان يكون قبل المواخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المواخذة فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهو عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اي لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الاخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شيء من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اي استولى عليهم من حوذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان اي جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق واظهار المتضايفين معا في موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التاكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون الله ورسوله استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين اي في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والاخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الاخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله استئناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة والسيف وما يجري مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الاخر وبين موادة اعداء الله ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد ولو كانوا اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها اباءهم اي اباء الموادين او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في لو قد مر على التفصيل مرارا اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم واشدهم رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدا خبره كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اي قواهم بروح منه اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحيوة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم الخ بيان لاثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اي ويدخلهم في الاخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابد الابدين وقوله رضي الله عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من اثار رحمته العاجلة والاجلة وقوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا واجلا وقوله اولئك حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم به تعالى وقوله الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشاتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التاكيد كما مر في مثلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر اربع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحشر

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول منها لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي عليه السلام وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام فامر عليه السلام محمد بن سلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي عليه السلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء شهيد وقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بعنوان اما بناء على كمال الظهور او اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كانه في الجلد توليع البهق كما هو المشهور كانه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الخ ففيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون ان يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة باسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من باس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفع على الفاعلية فاتاهم الله اي امر الله تعالى وقدره المقدور لهم من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمانينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي فآتاهم الله العذاب او النصر وقذف في قلوبهم الرعب اي اثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدي المؤمنين حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا يكاد يهتدي اليه الافكار واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي او انتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله تعالى وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج من اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الاخرة ذلك اي ما حاق بهم وما سيحيق بهم بسبب انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها المشاقة عليه السلام وليوافق قوله تعالى فان الله شديد العقاب وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من العذاب العاجل والاجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة اي اي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهي النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتانيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشيء ما وقرئ على اصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم او على انه جمع كرهن وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله فذلك اي قطعها وتركها بامر الله تعالى وليخزي الفاسقين اي وليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وتركها لانهم اذا راوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا وتضاعفون حسرة

واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت
من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تع وما افاء
الله على رسوله شروع في بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم
ونخيلهم من التخريب والقطع اى ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع في
ايديهم بغير حق فرجعه الله تع الى مستحقه لانه تع انما خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون
للمطيعين منهم اى من بني النضير فما اوجفتم عليه اى فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا
ركاب هي ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانما يسمى فارسا ولا واحد
لها من لفظها وانما الواحد منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك
لانه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشاة وما كان فيهم راكب الا النبي عليه السلام فافتتحها صلحا من غير ان تجري
بينهم مسايفة كما فيل وما افاء الله على رسوله منهم فاصلحتموه ولكن الله يسلط رسله على من يشاء
اى سنته تع جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي عليه السلام على هؤلاء تسليطا
غير معتاد من غير ان تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في اموالهم والله على كل شيء قدير فيفعل
ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة واخرى على غيرها وقوله تع ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان لمصارف الفيء
بعد بيان افاءته عليه السلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة لزيادة التقرير ووضع اهل القرى
موضع ضميرهم للاشعار بشموله لعقاراتهم ايضا فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة
الفيء فقيل تسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف
الآن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل
يخمس كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور
كيلا يكون اى الفيء الذى حقه ان يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهو ما يدول للانسان اى يدور
من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالضم في المال وبالفتح في النصرة اى كيلا
يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستاثرون بالغنيمة ويقولون
من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم لما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه
فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول والمعنى كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة
بالرفع على ان كان تامة اى كيلا يقع دولة على ما فصل من المعاني وما اتاكم الرسول اى ما اعطاكموه من الفيء او من الامر فخذوه
فانه حقكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته عليه السلام
ان الله شديد العقاب فيعاقب من خالف امره ونهيه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه لان الرسول عم
لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف ظاهر
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا
من الله ورضوانا اى طالبين منه تع رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج من
الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة
اى ناوين لنصرة الله تع ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار راغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واي نصرة
اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا اظهورا بينا
والذين تبوؤا الدار والايمان كلام مستانف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم
باختصاص الفيء بهم احسن رضى واكمله ومعنى تبوؤهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن
على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا
وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه وقيل سمى المدينة بالايمان — من الاول وتعويض منه اللام
لكونها مظهره ومنشاه من قبلهم اى من قبل هجرة المهاجرين على المعاني الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الاخيرين ويجوز ان
يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعاني الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره
واحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ
لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان
ولا يجدون في صدورهم اى في نفوسهم حاجة اى شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة
كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اى مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون اى يقدمون المهاجرين على
انفسهم في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة

اى حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي عليه السلام
قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف و
الحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت
لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا
نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان قوله تع والذين تبوؤا الخ مستانف غير معطوف على الفقراء المهاجرين نعم يجوز عطفه
على اولئك فان ذلك انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تع يحبون وما عطف عليه
استئنافا مقررا لصدقهم او حالا من ضمير تبوؤا ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس
لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اى ومن يوق بتوفيق الله تع شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال
وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون الفائزون بكل
مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد والذين جاؤا من بعدهم
هم الذين هاجروا بعدما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان
الاية قد استوعبت جميع المؤمنين واياما كان فالموصول مبتدا خبره يقولون الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم
من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما ان ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اى
يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اى في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم
بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما الحقد للذين امنوا على الاطلاق ربنا انك رؤف رحيم
اى مبالغ في الرافة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة
والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله عم
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تع يقولون الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار
قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تع لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم
في الكفر او صداقتهم وموالاتهم واللام في قوله تع لئن اخرجتم اى من دياركم موطئة للقسم وقوله تع لنخرجن معكم
جواب القسم اى والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اى في شانكم احدا يمنعنا من
الخروج معكم ابدا وان طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان
وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما نطق به قوله تع وان قوتلتم
لننصرنكم اى لنعاوننكم على عدوكم على ان دعوتهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب في
ان ما يفعله عليه السلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر
لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم
المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تع لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الخ تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل
على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة
بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اى المنافقون بعد ذلك
اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اى
مرهوبية على انها مصدر من المبني للمفعول في صدورهم من الله اى رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا
يظهرون عندهم رهبة عظيمة من الله تع ذلك اى ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله بانهم بسبب انهم قوم
لا يفقهون اى شيئا حتى يعلموا عظمة الله تع فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اى اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على
قتالكم جميعا اى مجتمعين متفقين في موطن من المواطن الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان
يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وبامالة فتح الدال وجدر وجدر وهما الجدار
بأسهم بينهم شديد استئناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان باسهم بالنسبة
الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تع في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين
وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك اى ما ذكر من تشتت قلوبهم بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون اى لا يعقلون
شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت
قلوبهم حسب تشتت طرقهم وتفرق فنونهم واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم فبمعزل من
السداد وقوله تع كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل
بدر او بني قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بني النضير قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ ذاقوا

وبال امرهم اى سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هولاء كحال اولئك فى
الدنيا والاخرة لكن لا على حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهى ما نطق به قوله تع
كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم
اخرا وقد اجمل فى النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه
ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين
فى اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اى اغراه على الكفر اغراء الامر المامور على المامور به
فلما كفر قال انى برئ منك وقرئ انا برئ منك ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبرء من الشيطان يكون يوم القيمة كما ينبئ عنه
قوله تع انى اخاف الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تع اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس و
انى جار لكم وتبرؤه قوله تع يومئذ انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله الاية فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر
كان واسمها انهما فى النار وقرئ بالعكس وقد مر انه اوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على انه خبران وفى النار لغو
وذلك جزاء الظالمين اى الخلود فى النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هولاء خاصة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اى فى كل ما تاتون
وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اى اى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيمة عبر عنه بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم و
الاخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما
قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة فى ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول فى اداء الواجبات كما يشعر
ما بعده من الامر بالعمل وهذا فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تع ان الله خبير بما تعملون اى من المعاصى ولا تكونوا كالذين
نسوا الله اى نسوا حقوقه تع وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك
انفسهم اى جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الاهوال ما انساهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون الكاملون فى الفسوق لا يستوى اصحاب النار الذين نسوا الله تع فاستحقوا الخلود فى النار واصحاب الجنة
الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة ولعل تقديم اصحاب النار فى الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستوا
من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة
الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تع هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور
الى غير ذلك من المواقع واما قوله تع هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة
لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة فى الاية الكريمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال
المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء فى الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة و
كذا قوله تع اصحاب الجنة هم الفائزون فانه استيناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اى هم الفائزون بكل مطلوب
الناجون عن كل مكروه لو انزلنا هذا القران العظيم الشان المنطوى على فنون القوارع على جبل من الجبال لرايته مع كونه علما فى
القسوة وعدم التاثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اى متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل
لعلو شان القران وقوة تاثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تع وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان
على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الذى لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة اى ما غاب عن الحس
من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم
القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد الملك
القدوس البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهى لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به
للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن بقلب همزته
هاء العزيز الغالب الجبار الذى جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اى اصلحها المتكبر الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا
او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون تنزيه له تع عما يشركونه به تع او عن اشراكهم به تع اثر تعداد صفاته التى لا يمكن ان
يشاركه تع فى شئ منها شئ ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل
المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعانى الحسنة
يسبح له ما فى السموات والارض ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها
وتشعبها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة ثلاث عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الممتحنة

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله عليه السلام لغزوة الفتح
كتب الى اهل مكة ان رسول الله عليه السلام يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بنى عبد المطلب فنزل جبريل بالخبر
فبعث رسول الله عليه السلام عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وعبد الله وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها
ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل على سيفه فاخرجته
من عقاصها فاستحضر رسول الله عليه السلام حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك
منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ليس فيهم من يحمى اهلى فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لا يغنى عنهم
شيئا فصدقه رسول الله عليه السلام وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اى توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما فى قوله تع
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبى عليه السلام بسبب المودة التى بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل
لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير فى الصفات الجارية على غير من هى له انما اشترط فى الاسم دون الفعل او استيناف وقد كفروا
بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اى كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعل ما هو سبب الايمان
سببا للكفر يخرجون الرسول واياكم اى من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استيناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار
الصورة وقوله تع ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما
يوجب الايمان من الربوبية والالوهية ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائى
ان كنتم اوليائى وقوله تع تسرون اليهم بالمودة استيناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اى تسرون اليهم المودة او الاخبار
بسبب المودة وانا اعلم اى والحال انى اعلم منكم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولى على ما تسرون فاى طائل لكم فى الاسرار
وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه فى قوله تع يعلم ما يسرون وما
يعلنون ومن يفعله منكم اى الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد اخطا طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اى ان يظفروا بكم
يكونوا لكم اعداء اى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما
يسوءكم من القتل والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان
يثقفوهم ايضا لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم
يوم القيمة بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استيناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اى يفرق الله بينكم بما
اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الاخر حسبما نطق به قوله تع يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله تعالى
لمراعاة حق من هذا شانه وقرئ يفصل بينكم ويفصل مبنيا للمفعول ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تع ونفصل ونفصل
بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم اسوة حسنة اى خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تع
فى ابراهيم والذين معه اى من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن فى حسنة او صلة
لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا براء منكم جمع برئ كظريف وظرفاء وقرئ
براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا بكم اى بدينكم او بمعبودكم
او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبالهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اى هذا دابنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده
وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تع
اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به
النص لكنه ليس مما ينبغى ان يؤتسى به اصلا اذ المراد ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سياتى من قوله
تع ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه
وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره عليه السلام
لابيه الكافر مما ينبغى ان يؤتسى به بانه كان قبل النهى او لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد بالكلية لابتنائه على تناول النهى
لاستغفاره عليه السلام له وانبائه عن كونه مؤتسى به لو لم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لما ان مورد النهى هو الاستغفار للكافر
بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وان ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز
فعله فى الجملة وتجويز ان يكون استغفاره عليه السلام له بعد النهى كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ
له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابى الاية لانها كانت هى الحاملة له عليه السلام
على الاستغفار وتخصيص العدة بالذكر دون ما وقع فى سورة مريم من قوله تع ساستغفر لك ربى لورودها على طريق التوكيد القسمى
واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه فى سورة التوبة وقوله تع وما املك لك من الله من شئ
من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اى استغفر لك وليس فى طاقتى الا الاستغفار فمورد
الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تع وقوله تع
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير الخ من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار
والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تع قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل فى جميع امورهم لا سيما فى مثل ذلك

الكفرة وكفاية شرورهم كما نطق به قوله تع ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر
لنا ما فرطنا من الذنوب ربنا انك انت العزيز الغالب الذى لا يذل من التجا اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذى
لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجؤار وهذا وما قبله من جملة الايتين تلقينا للمؤمنين من جهته تع وامر لهم
بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم
وبين الكفرة فلاتيا عن النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اى فى ابراهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة فى الحث على الائتساء به
عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تع لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله و
اليوم الاخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تع ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد
فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اى من اقاربكم المشركين مودة بان يوافقوكم
فى الدين وعدهم الله تع بذلك لما راى منهم من التصلب فى الدين والتشدد فى معاداة اباهم وابناهم وسائر اقرباهم ومقاطعتهم
اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اتاح لهم الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافى ما تم والله
قدير اى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب الموده والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم من
المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم اى لا ينهاكم عن البر بهولاء فان قوله تع ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اى تقضوا
اليهم بالقسط اى العدل ان الله يحب المقسطين اى العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء
بنت ابى بكر رض بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله عليه السلام ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها
وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله عليه السلام على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن
الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم بدل
اشتمال من الموصول اى انما ينهاكم عن ان تتولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية فى موضع العداوة او هم
الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين امنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقى الكافرين اذا جاءكم
المؤمنات مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لالسنتهن فى الايمان يروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتى يمتحنها بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة
عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما فى قلوبهن والجملة
اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم وهو العلم الذى من الاستدلال بالعلامات و
الدلايل والاستشهاد بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم فى وجوب العمل به فلا
ترجعوهن الى الكفار الى ازواجهن الكفرة لقوله تع لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهى عن رجعهن اليهم والتاكيد
اما لتاكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثانى لبيان امتناع النكاح الجديد واتوهم ما انفقوا اى واعطوا
ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث
الاسلمية مسلمة والنبى عليه السلام بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب فقال يا محمد اردد على امراتى
فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت بيانا لان الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله عليه السلام فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رض ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار
اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة
وهى ما يعتصم به من عقد وسبب اى لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رض من كانت له امراة
كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعى رحمه الله هى المسلمة تلحق بدار الحرب
فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرى ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التائين
من تتمسكوا واسالوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسالوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم
الذى ذكر حكم الله وقوله تع يحكم بينكم كلام مستانف او حال من فاعل على حذف الضمير اى يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة
والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روى انه لما نزلت الاية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن
المشركين وابى المشركون ان يودوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تع وان فاتكم اى سبقكم وانفلت منكم
شئ من ازواجكم الى الكفار اى احد من ازواجكم وقد قرى كذلك وايقاع شئ موقعه للتحقير والاشباع فى التعميم او شئ من مهور
ازواجكم فعاقبتم اى فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هولاء مهور نساء اولئك
تارة واداء اولئك مهور نساء هولاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما
انفقوا من مهور المهاجرة التى تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة فاتوا بدل
الفائت من الغنيمة وقرى فاعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء
المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت

ابى جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون فان الايمان به تع يقتضى التقوى منه تع يا ايها النبى اذا جاءك
المؤمنات يبايعنك اى مبايعات لك اى قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه لما فرغ عن بيعة الرجال شرع فى بيعة النساء
على ان لا يشركن بالله شيئا اى شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به واد
البنات وقرى بالتشديد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها
هو ولدى منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها
ولا يعصينك فى معروف اى فيما تامرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول ع م
لا يامر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر فى حقهن لكثرة وقوعها
فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اى على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته فى المبايعة من الصلوة و
الزكوة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة
فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة على ما فى ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام
بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة ان الله غفور رحيم اى مبالغ فى المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه
واختلف فى كيفية مبايعته عليه السلام لهن يومئذ فروى انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر
اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروى انه كلف امراة فوقفت على الصفا فبايعتهن وقيل
دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وروى انه عليه السلام بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطرى والاظهر
الاشهر ما قالت عائشة والله ما اخذ رسول الله عليه السلام على النساء قط الا بما امره الله تع وما مست كف رسول الله
كف امراة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات الى اخر الاية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد
بايعتكن يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روى انها نزلت فى بعض فقراء
المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم
الرسول المنعوت فى التورية المؤيد بالايات كما يئس الكفار من اصحاب القبور اى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا
على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال الياس منها وقيل المعنى كما
يئسوا من موتاهم ان يبعثوا او يرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار فى موقع الاضمار للاشعار بعلة ياسهم عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف اربع عشرة اية . بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصف

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذى مر فى نظيره يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا
تفعلون روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تع لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل
من ان النازل قوله تع ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا يابى الاختلال وروى انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم
احب الاعمال الى الله تع لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى قوله تع وتجاهدون فى سبيل الله
باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التزام ان ترتيب الايات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تع بثواب
شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن
يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر
ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فنزلت فى المنتحل وقيل نزلت فى المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم
وليس بذلك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالها معا كما فى
عم وفيم ونظائرهما معناها لاى شئ تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ فى الحقيقة
عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا
وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص
بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا تفعلون مقت خالص
لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تع ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا بيان لما هو مرضى عنده تع بعد
بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح فى ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما يقوله المتمدح او المنتحل او ادعاه المنافقون وان
مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرى يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او
المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اى صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تع كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن

فی الحال الاولی ای مشبهین فی تراصهم من غیر فرجة وخلل ببنیان رص بعضه الی بعض ورصف حتی صار شیئا واحدا وقوله
واذ قال موسی لقومه کلام مستانف مقرر لما قبله من شناعة ترک القتال واذ منصوب علی المفعولیه بمضمر خوطب به
النبی علیه السلام بطریق التلوین ای واذکر لهولاء المعرضین عن القتال وقت قول موسی لبنی اسرائیل حین ندبهم الی قتال الجبابرة
بقوله یا قوم ادخلوا الارض المقدسة التی کتب الله لکم الایة فلم یمتثلوا بامره وعصوه اشد عصیان حیث قالوا یا موسی ان فیها
قوما جبارین وانا لن ندخلها حتی یخرجوا منها فان یخرجوا منها فانا داخلون الی قوله تع فاذهب انت وربک فقاتلا انا ههنا
قاعدون واصروا علی ذلک وآذوه علیه السلام کل الاذیة یا قوم لم توذوننی ای بالمخالفة والعصیان فیما امرتکم به وقوله
وقد تعلمون انی رسول الله الیکم جملة حالیه موکدة لانکار الایذاء ونفی سببه وقد لتحقیق العلم وصیغة المضارع للدلالة علی
استمراره ای والحال انکم تعلمون علما قطعیا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بیدی من المعجزات القاهرة التی معظمها اهلاک عدوکم
وانجاوکم من ملکته انی رسول الله الیکم لارشدکم الی خیر الدنیا والاخرة ومن قضیة علمکم بذلک ان تبالغوا فی تعظیمی وتسارعوا
الی طاعتی فلما زاغوا ای اصروا علی الزیغ عن الحق الذی جاء به موسی علیه السلام واستمروا علیه ازاغ الله قلوبهم ای صرفها
عن قبول الحق والمیل الی الصواب وصرف اختیارهم نحو الغی والضلال وقوله تع والله لا یهدی القوم الفاسقین اعتراض تذییلی
مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة وموذن بعلته ای لا یهدی القوم الخارجین عن الطاعة ومنهاج الحق المصرین علی الغوایة هدایة
موصلة الی البغیة لا هدایة موصلة الی ما یوصل الیها فانها شاملة للکل والمراد بهم اما المذکورون خاصة والاظهار فی
موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعلیل عدم الهدایة به او جنس الفاسقین وهم داخلون فی حکمهم دخولا اولیا وایا ما کان
فوصفهم بالفسق ناظر الی ما فی قوله تع فافرق بیننا وبین القوم الفاسقین وقوله تع فلا تاس علی القوم الفاسقین هذا هو
الذی یقتضیه جزالة النظم الکریم ویرتضیه الذوق السلیم واما ما قیل بصدد بیان اسباب الاذیة من انهم کانوا یوذونه
علیه السلام بانواع الاذیة من انتقاصه وعیبه فی نفسه وجحود آیاته وعصیانه فیما تعود الیهم منافعه وعبادتهم البقر
وطلبهم رویة الله جهرة والتکذیب الذی هو تضییع حق الله وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تع واذ قال عیسی ابن مریم
اما معطوف علی اذ الاولی معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف علی عاملها یا بنی اسرائیل ناداهم بذلک استمالة
لقلوبهم الی تصدیقه فی قوله انی رسول الله الیکم مصدقا لما بین یدی من التوریة فان تصدیقه علیه السلام ایاها من اقوی
الدواعی الی تصدیقهم ایاه وقوله تع ومبشرا برسول یاتی من بعدی معطوف علی مصدقا داع الی تصدیقه علیه السلام
مثله من حیث ان البشارة بمواقعه فی التوریة والعامل فیهما ما فی الرسول من معنی الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات
بمعزل من تضمن معنی الفعل وعلیه یدور العمل ای ارسلت الیکم حال کونی مصدقا لما تقدمنی من التوریة ومبشرا بمن یاتی من
بعدی من رسول اسمه احمد ای محمد صلی الله علیه وسلم یرید ان دینی التصدیق بکتب الله وانبیائه جمیعا ممن تقدم وتاخر
من بعدی بفتح الیاء فلما جاءهم بالبینات ای بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبین مشیرین الی ما جاء به او الیه علیه السلام
وتسمیته سحرا للمبالغة ویویده قراءة من قرا هذا ساحر ومن اظلم ممن افتری علی الله الکذب وهو یدعی الی الاسلام ای ای الناس
اشد ظلما ممن یدعی الی الاسلام الذی یوصله الی سعادة الدارین فیضع موضع الاجابة الافتراء علی الله عز وجل بقوله لکلامه
الذی هو دعاء عباده الی الحق هذا سحر ای هو اظلم من کل ظالم وان لم یتعرض ظاهر الکلام لنفی المساوی وقد مر بیانه غیر مرة
وقری یدعی یقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا یهدی القوم الظالمین ای لا یرشدهم الی ما فیه فلاحهم لعدم
توجههم الیه یریدون لیطفئوا نور الله ای یریدون ان یطفئوا دینه او کتابه او حجته النیرة واللام مزیدة لما فیها من معنی الارادة
تاکیدا لها کما زیدت لما فیها من معنی الاضافة تاکیدا لها فی لا ابا لک او یریدون الافتراء لیطفئوا نور الله بافواههم بطعنهم
فیه مثلت حالهم بحال من ینفخ فی نور الشمس بفیه لیطفئه والله متم نوره ای مبلغه الی غایته بنشره فی الآفاق واعلائه وقری متم
نوره بلا اضافة ولو کره الکافرون ای ارغاما لهم والجملة فی حیز الحال علی ما بین مرارا هو الذی ارسل رسوله بالهدی ای بالقران
او بالمعجزة ودین الحق والملة الحنیفیة لیظهره علی الدین کله لیعلیه علی جمیع الادیان المخالفة له ولقد انجز الله تع وعده حیث جعله
بحیث لم یبق دین من الادیان الا وهو مغلوب مقهور بدین الاسلام ولو کره المشرکون ذلک وقری هو الذی ارسل نبیه
یا ایها الذین آمنوا هل ادلکم علی تجارة تنجیکم من عذاب الیم وقری تنجیکم بالتشدید وقوله تع تومنون بالله ورسوله وتجاهدون
فی سبیل الله باموالکم وانفسکم استیناف وقع جوابا عما نشا مما قبله کانهم قالوا کیف نعمل وماذا نصنع فقیل تومنون
بالله الخ وهو خبر فی معنی الامر جیء به للایذان بوجوب الامتثال فکانه قد وقع فاخبر بوقوعه ویویده قراءة من قرا آمنوا بالله
ورسوله وجاهدوا وقری تومنوا وتجاهدوا علی اضمار لام الامر ذلکم اشارة الی ما ذکر من الایمان والجهاد بقسمیه وما فیه من
معنی البعد لما مر مرارا خیر لکم علی الاطلاق او من اموالکم وانفسکم ان کنتم تعلمون ای ان کنتم من اهل العلم فان الجهلة لا یعتد
بافعالهم او ان کنتم تعلمون انه خیر لکم کان خیرا لکم حینئذ لانکم اذا علمتم ذلک واعتقدتموه احببتم الایمان والجهاد فوق ما تحبون انفسکم
واموالکم فتخلصون وتفلحون یغفر لکم ذنوبکم جواب للامر المدلول علیه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل علیه الکلام تقدیره
ان تومنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلکم یغفر لکم وجعله جوابا لهل ادلکم بعید لان مجرد الدلالة لا یوجب المغفرة ویدخلکم جنات

تجری من تحتها الانهار ومساکن طیبة فی جنات عدن ذلک ای ما ذکر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذکر من
الاوصاف الجلیلة الفوز العظیم الذی لا فوز وراءه واخری ولکم الی هذه النعم العظیمة نعمة اخری عاجلة تحبونها و
ترغبون فیها وفیه تعریض بانهم یوثرون العاجل علی الآجل وقیل اخری منصوب باضمار یعطکم او تحبون او مبتدا خبره نصر من
الله وهو علی الاول بدل او بیان وعلی تقدیر النصب خبر مبتدا محذوف وفتح قریب ای عاجل عطف علی نصر علی الوجوه المذکورة
وقری نصرا وفتحا قریبا علی الاختصاص او علی المصدر ای تنصرون نصرا ویفتح لکم فتحا او علی البدلیة من اخری علی تقدیر نصبها ای
یعطکم نعمة اخری نصرا وفتحا وبشر المومنین عطف علی محذوف مثل قل یا ایها الذین آمنوا وبشر او علی تومنون فانه فی معنی آمنوا
وجاهدوا ایها المومنون وبشرهم یا ایها الرسول بما وعدتهم علی ذلک عاجلا وآجلا یا ایها الذین آمنوا کونوا انصار الله وقری
انصارا لله بلا اضافة لان المعنی کونوا بعض انصار الله وقری کونوا انتم انصار الله کما قال عیسی ابن مریم للحواریین من انصاری الی الله
ای من جندی متوجها الی نصرة الله کما یقتضیه قوله تع قال الحواریون نحن انصار الله والاضافة الاولی اضافة احد المتشارکین
الی الاخر لما بینهما من الاختصاص والثانیة اضافة الفاعل الی المفعول والتشبیه باعتبار المعنی ای کونوا انصار الله کما کان
الحواریون انصاره حین قال لهم عیسی من انصاری الی الله او قل لهم کونوا کما قال عیسی للحواریین والحواریون اصفیاوه وهم
اول من آمن به وکانوا اثنی عشر رجلا فآمنت طائفة من بنی اسرائیل ای بعیسی واطاعوه فیما امرهم به من نصرة الدین وکفرت
طائفة اخری به وقاتلوهم فایدنا الذین آمنوا علی عدوهم ای قوینا هم بالحجة او بالسیف وذلک بعد رفع عیسی فاصبحوا
ظاهرین غالبین عن النبی ع م من قرا سورة الصف کان عیسی مصلیا علیه مستغفرا له ما دام فی الدنیا وهو یوم القیمة رفیقه

سورة الجمعة احدی عشرة آیة بسم الله الرحمن الرحیم

سورة الجمعة

یسبح لله ما فی السموات وما فی الارض تسبیحا مستمرا الملک القدوس العزیز الحکیم وقد قری الصفات الاربع بالرفع
علی المدح هو الذی بعث فی الامیین ای فی العرب لان اکثرهم لا یکتبون ولا یقرءون قیل بدئت الکتابة بالطائف اخذوها
من اهل الحیرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم ای کائنا من جملتهم امیا مثلهم یتلو علیهم آیاته مع کونه امیا مثلهم لم یعهد
منه قراءة ولا تعلم ویزکیهم صفة اخری لرسولا معطوفة علی یتلو ای یحملهم علی ما یصیرون به ازکیاء من خبائث العقاید والاعمال
ویعلمهم الکتاب والحکمة صفة اخری لرسولا مترتبة فی الوجود علی التلاوة وانما وسط بینهما التزکیة التی هی عبارة عن تکمیل
النفس بحسب قوتها العملیة وتهذیبها المتفرع علی تکمیلها بحسب القوة النظریة الحاصل بالتعلیم المترتب علی التلاوة للایذان
بان کلا من الامور المترتبة نعمة جلیلة علی حیالها مستوجبة للشکر فلو روعی ترتیب الوجود لتبادر الی الفهم کون الکل نعمة
واحدة ولا یقدح فیه شمول الحکمة لما فی تضاعیف الاحادیث النبویة من الاحکام والشرایع وان کانوا من قبل لفی ضلال مبین
من الشرک وخبث الجاهلیة وهو بیان لشدة افتقارهم الی من یرشدهم وازاحة لما عسی یتوهم من تعلمه علیه السلام من الغیر
وان هی المخففة واللام هی الفارقة وآخرین منهم عطف علی الامیین او علی المنصوب فی یعلمهم ای یعلمهم ویعلم آخرین منهم
ای من الامیین وهم الذین جاءوا بعد الصحابة الی یوم الدین فان دعوته علیه السلام وتعلیمه یعم الجمیع لما یلحقوا بهم
صفة لآخرین ای لم یلحقوا بهم بعد وسیلحقون وهو العزیز الحکیم المبالغ فی العزة والحکمة ولذلک مکن رجلا امیا من ذلک الامر
العظیم واصطفاه من بین کافة البشر ذلک الذی امتاز به من بین سائر الافراد فضل الله واحسانه یوتیه من یشاء
تفضلا وعطیة والله ذو الفضل العظیم الذی یستحقر دونه نعم الدنیا ونعیم الآخرة مثل الذین حملوا التوریة ای علموها
وکلفوا العمل بها ثم لم یحملوها ای لم یعملوا بما فی تضاعیفها من الآیات التی من جملتها الآیات الناطقة بنبوة رسول الله عم
کمثل الحمار یحمل اسفارا ای کتبا من العلم یتعب بحملها ولا ینتفع بها ویحمل اما حال والعامل فیها معنی المثل او صفة للحمار اذ لیس المراد
به معینا فهو فی حکم النکرة کما فی قول من قال ولقد امر علی اللئیم یسبنی بئس مثل القوم الذین کذبوا بآیات الله ای بئس مثلا
مثل القوم الذین کذبوا الخ علی ان مثل القوم فاعل بئس بمستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس
مثل القوم مثل الذین کذبوا الخ علی ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المکذبین
مثل هولاء علی ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم الیهود الذین کذبوا بما فی التوریة من الآیات الشاهدة
بصحة نبوة محمد علیه السلام والله لا یهدی القوم الظالمین الواضعین للتکذیب فی موضع التصدیق او الظالمین لانفسهم بتعریضها
للعذاب الخالد قل یا ایها الذین هادوا ای تهودوا ان زعمتم انکم اولیاء لله من دون الناس کانوا یقولون نحن ابناء الله
واحباؤه ویدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ویقولون لن یدخل الجنة الا من کان هودا فامر رسول الله علیه السلام
بان یقول لهم اظهارا لکذبهم ان زعمتم ذلک فتمنوا الموت ای فتمنوا من الله ان یمیتکم وینقلکم من دار البلیة الی دار
الکرامة ان کنتم صادقین جوابه محذوف لدلالة ما قبله علیه ای ان کنتم فی زعمکم واثقین بانه حق فتمنوا الموت فان من
ایقن بانه من اهل الجنة احب ان یتخلص الیها من هذه الدار التی هی قرارة الاکدار ولا یتمنونه ابدا اخبار بما سیکون منهم
والباء فی قوله تع بما قدمت ایدیهم متعلقة بما یدل علیه النفی ای یابون التمنی بسبب ما عملوا من الکفر والمعاصی الموجبة

لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم
بالظالمين اى بهم واثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون فى كل ما ياتون وما يذرون من الامور
التى من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى
المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موتا احد
كما يعرب عنه قوله تع قل ان الموت الذى تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمنى وقد قال عليه السلام
لو تمنوا لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اى ان الموت الذى تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا
بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ
تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذى لا يخفى عليه خافيه فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصى بان يجازيكم
بها يا ايها الذين امنوا اذا نودى للصلوة اى فعل النداء لها اى اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل بمعنى فى كما فى قوله تع
ارونى ماذا خلقوا من الارض اى فى الارض وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لوى
وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك
فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة
فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله اية الجمعة فهى اول جمعة
كانت فى الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن
عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة
الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة
وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اى السعى الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الاخرة اجل وابقى ان كنتم
تعلمون اى الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اى اديت وفرغ منها فانتشروا فى الارض لاقامة مصالحكم
وابتغوا من فضل الله اى الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رض لم تؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى
وحضور الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع واذكروا الله كثيرا ذكرا
كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تع بالصلوة لعلكم تفلحون كى تفوزوا بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
روى ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى عليه السلام يخطب
يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقى معه عليه السلام الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون
فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها
بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها
والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا
اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثانى لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اى على المنبر قل ما عند الله من الثواب
خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه
اطلبوا الرزق عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يات بها فى امصار المسلمين

سورة المنافقون احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المنافقون

اذا جاءك المنافقون اى حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بان شهادتهم
هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تع والله يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر
لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تع والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوه
عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اى والله يشهد انهم
لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم
اتخذوا ايمانهم الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم جنة اى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبى او غير ذلك واتخاذها
جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر
عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى
فصدوا عن سبيل الله اى فصدوا من اراد الدخول فى الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق فى سبيل الله
بالنهى عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب فى ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اى ما اظهروه على السنتهم
فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تع فصدوا فاستمروا على ما كانوا عليه
من الصدود والاعراض عن سبيله تع انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصد وفى ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين

ذلك اشارة الى ما تقدم من القول الناعى عليهم انهم اسوء الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب و
الاستتار بالايمان الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الشر
بانهم اى بسبب انهم امنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل فى الاسلام ثم كفروا اى ظهر كفرهم بما شوهد
منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى
تمرنوا على الكفر واطمانوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيته اصلا
واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وروقة منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة
السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله عليه السلام فى نفر من امثاله وهم رؤساء
المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب وفى
قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تع كانهم خشب مسندة فى حيز الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او كلام مستانف لا محل له
شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم
اشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها
اى فسد شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون كل صيحة عليهم اى واقعة عليهم ضارة
لهم لجبنهم واستقرار الرعب فى قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم
هم العدو اى هم الكاملون فى العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه
الداء الدوى والجملة مستانفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء فى قوله تع فاحذرهم
لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعادى قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تع ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم
للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تع انى يؤفكون تعجيب من حالهم اى كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر
والضلال واذا قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم اى عطفوها
استكبارا ورايتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون عن ذلك سواء عليهم استغفرت
لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة ام عليه وقرئ استغفرت
باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل الفا ام لم تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار
والاستغفار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر ان الله لا يهدى القوم الفاسقين الكاملين
فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم والاظهار فى موقع الاضمار
لبيان غلوهم فى الفسق او الجنس وهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا وقوله تع هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تع لهم
وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم وقوله تع ولله خزائن
السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان خزائن
الارزاق بيد الله تع خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تع وبشؤنه ولذلك
يقولون من مقالات الكفر ما يقولون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى ان جهجاه بن سعيد اجير
عمر رض نازع سنانا الجهنى حليف ابن ابى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء
المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابى فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تع
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اى ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون
من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روى ان عبد الله بن ابى لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن
عبد الله بن ابى وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله و
لرسوله وللمؤمنين فقال النبى عليه السلام لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله اى لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من
الصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهى بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة كما فى قوله تع ولا يجرمنكم
شنآن قوم الخ ومن يفعل ذلك اى التلهى بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم
الباقى بالحقير الفانى وانفقوا مما رزقناكم اى بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للاخرة من قبل ان
ياتى احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بما قدم
والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتنى اى امهلتنى الى اجل قريب اى امد قصير فاصدق بالنصب
على جواب التمنى وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتنى اصدق واكن وقرئ واكون

بالنصب عطفا على لفظه وقرى واكون بالرفع اى وانا اكون صالح منه بالصلاح ولن يوخر الله نفسا اى ولن يمهلها اذا جاء اجلها اى آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الخ والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرى يعملون بالياء التحتانيه عن النبى عم من قرا سورة المنافقين برى من النفاق

سورة التغابن

سورة التغابن ثمان عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض اى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدء لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شئ قدير لان نسبة ذاته المقتضيه للقدرة الى الكل سواء هو الذى خلقكم خلقا بديعا حاويا بالجميع مبادى الكمالات العلميه والعمليه ومع ذلك فمنكم كافر اى فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما يقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما تفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلايم المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعه واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغه المتضمنه للمصالح الدينيه والدنيويه وصوركم فاحسن صوركم حيث براكم فى احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهره والباطنه ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنه وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشاءة واليه المصير فى النشاة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما فى السموات والارض من الامور الكليه والجزئيه والاحوال الجليه والخفيه ويعلم ما تسرون وما تعلنون اى ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذى يدور عليه الجزاء ففيه تاكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اى هو محيط بجميع المضمرات المستكنه فى صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفرة نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبه على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمه اى الم ياتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهله ما يستتبعه كفرهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اى ما ذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وما سيذوقونه فى الاخرة بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات الظاهره وقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اى قال كل قوم من المذكورين فى حق رسولهم الذى اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل فى الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر فى قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اى بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله اى اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غنى عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففه مع ما فى حيزه والمراد بالموصول كفار مكة اى زعموا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه بلى اى تبعثون وقوله وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اى لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستقله داخلة تحت الامر واردة لتاكيد ما افاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اى ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامه وقبول المادة والفاء فى قوله تعالى فامنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اى اذا كان الامر كذلك فامنوا بالله ورسوله محمد عليه السلام والنور الذى انزلنا وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمه لابراز كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابه وتاكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم

يجمعكم او مفعولا لاذكر وقرى نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون اى لاجل ما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن اى يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفى الحديث ما من عبد يدخل الجنه الا ارى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا ارى مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن فى الحقيقه هو الذى يقع فيه لا ما يقع فى امور الدنيا ومن يومن بالله ويعمل صالحا اى عملا صالحا يكفر اى الله عز وجل وقرى بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيمه ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرى ندخله بالنون ذلك اى ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم المهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اى النار كان هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ما اصاب من مصيبة من المصائب الدنيويه الا باذن الله اى بتقديره وارادته كانها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات والاسترجاع ... عندلانه يا د الطاعة والخير وقرى يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرى بنصبه على نهج سفه نفسه وقرا يهدا قلبه بالهمزة اى يسكن والله بكل شئ من الاشياء التى من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهدى قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفيه وتوضيح مورد التولى فى قوله تعالى فان توليتم اى عن اطاعة الرسول وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل للجواب المحذوف اى فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمه فى مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه الله لا اله الا هو جملة من مبتدا وخبر اى هو المستحق للمعبوديه لا غير وفى اضمار خبر لا مثل فى الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف وعلى الله اى عليه تعالى خاصه دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة فى موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهيه مقتضيه للتبتل اليه تعالى بالكليه وقطع التعلق عما سواه بالمرة يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم فى امور الدين او الدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لى او للازواج والاولاد جميعا فالمامور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثانى اما الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان يكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبه وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا المهاجرين الاولين قد فقهوا فى الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاولاد والسعى فى تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا مما رزقكم فى الوجوه التى امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر اى يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التى عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرى يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب والله شكور يعطى الجزيل بمقابلة النزر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه خافيه العزيز الحكيم المبالغ فى القدرة والحكمة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

الاموال وعدم ...

سورة الطلاق

سورة الطلاق اثنتا عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه عليه السلام واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كنداء جميعهم فان ذلك الاعتبار لو كان فى حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فطلقوهن لعدتهن اى مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المراة اذا طلقت فى طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع

ثم يخليهن حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنه واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة قروء كوامل
واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تع بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء
لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتاكيد النهي ببيان كمال
استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن
باستبداد منهن اما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هي الزنا
فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني
للمبالغه في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشه وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد حدود
الله اي حدوده المذكوره بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلة الحكم في
قوله تع فقد ظلم نفسه اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يا باه قوله تع لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا فانه استيناف مسوق لتعليل مضمون الشرطيه وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تع ان يقلب قلبه عما فعله
بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر
الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله
لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي عليه السلام كما توهم فالمعنى ومن
يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي
فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبه وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعه
او استيناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق
فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند الرجعه
والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تع واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي رحمه الله انه للوجوب في الرجعه
واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تع ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامه او على جميع ما في
الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تع ومن يتق الله الخ جملة اعتراضيه
مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تع بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تع ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط
في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما عسى يقع في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما
يعتريه من الكروب ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج
الاستطراد عند ذكر قوله تع ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الخ فالمعنى ومن يتق الله في كل ما ياتي وما يذر يجعل له مخرجا
ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا عن النبي عليه السلام انه قراها فقال مخرجا من شبهات
الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمه وقال عليه السلام اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله
فما زال يقراها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو
في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه
في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه
مطلوب وقرئ برفع امره على انه مبتدأ او بالغ خبر مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على انه فاعله اي نافذ
امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تع قد جعل الله لكل شيء قدرا اي تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب
التوكل عليه تع وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تع لا يبقى الا التسليم للقدر
والتوكل عليه واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن وقد قدروه بستين سنه وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي شككتم
وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله
عليه واولات الاحمال اجلهن اي منتهى عدتهن ان يضعن حملهن سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم
قوله تع والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور
من قول ابن مسعود رض من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت
الحارث الاسلميه ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام فقال لها قد حللت فتزوجي
ومن يتق الله في شان احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له من امره يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر
من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد المشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطا[ب]

للجمع كما يفصح عنه قوله تع امر الله انزله اليكم لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في
قوله تع ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات
يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفه وقوله تع اسكنوهن من حيث سكنتم استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله
من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان
سكناكم وقوله تع من وجدكم اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن
في السكنى لتضيقوا عليهن وتلجئوهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن
فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن فان ارضعن لكم بعد ذلك فاتوهن اجورهن على الارضاع واتمروا
بينكم بمعروف اي تشاوروا وحقيقته ليامر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسه ولا من الام
معاسرة وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز مرضعه اخرى وفيه معاتبه للام على
المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله وان قل اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر
ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها جل او قل فانه تع لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب
له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او اجلا وكاين من قرية اي كثير من
اهل قرية عتت اي اعرضت عن امر ربها ورسله بالعتو والتمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء و
التنقير والمناقشه في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الاخرة وعذابها
والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تع ونادى اصحاب الجنه فذاقت وبال امرها وكان عاقبة
امرها خسرا هائلا لا خسران وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم
هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب
ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تع كاين الذين امنوا
منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم
ذكرا هو جبريل سمي به لكثرة ذكره او لتلاوته بالذكر الذي هو القران كما ينبئ عنه ابداله قوله تع رسولا منه او لانه مذكور في
السموات وفي الامم او اريد بالذكر الشرف كما في قوله تع وانه لذكر لك ولقومك كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل
عليه او لانه ذو مجد وشرف عند الله تع كقوله تع عند ذي العرش مكين او هو النبي عليه السلام وعليه الاكثر عبر عنه
بالذكر لمواظبته على تلاوة القران او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال
الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القران ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر المنون
او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تع يتلو عليكم ايات الله مبينات نعت لرسولا وايات الله القران ومبينات
حال منها اي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تع لقوله تع قد بينا لكم
الايات واللام في قوله تع ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول
عليه السلام او ضمير الجلاله والموصول عبارة عن المومنين بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله عز وجل ما هم عليه الان
من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الايات المبينات يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله
بالنون وقوله تع خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلثه باعتبار
لفظها وقوله تع قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد ضميره له قد مر وجهه
وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المومنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدا وخبر ومن الارض
مثلهن اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات
الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل
ارض سكان من خلق الله تع وقال الضحاك مطبقه بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح
لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبي عليه السلام
لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب
الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها
وشر من فيها وعن ابن عباس رض ان نافع بن الازرق ساله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة
او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق
وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم و
يستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تع خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح

عن ابن عباس رض انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء يتنزل الامر بينهن اى يجرى امره وقضاؤه بينهن
وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن
من عجائب تدبيره وقرى ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شئ قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر يعمهما اى فعل ذلك لتعلموا
ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شئ وان الله قد احاط بكل شئ علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك
ويجوز ان يكون العامل فى اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اى اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التى
تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحى من عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شئ ما اصلا وقرى ليعلموا
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم اثنا عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التحريم

يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك روى ان النبى صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها
اكتمى على فقد حرمت مارية على نفسى وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدى امر امتى فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين
وقيل خلا بها فى يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل فقال راجعها فانها صوامة
قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وروى انه عليه السلام شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطات عائشة وحفصة فقالتا
نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله عليه السلام يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من اليمين
او من العسل تبتغى مرضاة ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف ببيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك
والله غفور مبالغ فى الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اى شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد
ههنا والله مولاكم سيدكم ومتولى اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن فى افعاله واحكامه فلا يامركم
ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة واذ اسر النبى الى بعض ازواجه وهى حفصة حديثا اى حديث تحريم مارية او العسل او امر
الخلافة فلما نبات به اى اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقرى انبات به واظهره الله عليه اى اطلع الله تعالى
النبى صلى الله عليه وسلم على افشائها حفصة عرف اى النبى عليه السلام حفصة بعضه بعض الحديث الذى افشته قيل هو
حديث الامامة روى انه عليه السلام قال لها الم اقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة
التى خص الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اى عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نباها به اى اخبر النبى عليه السلام
حفصة بما عرفه من الحديث قالت من انباك هذا اى افشاها الحديث قال نبانى العليم الخبير الذى لا يخفى عليه خافية
ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء للتعليل كما فى قولك
اعبد ربك فالعبادة حق اى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله عليه السلام
وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرى فقد زاغت وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التائين وقرى على الاصل وبتشديد الظاء
وتظهرا اى ان تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين اى فلن
يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس رض
اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر رضى الله عنهما وقد روى ذلك مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة
ومقاتل وهو اللائق بتوسيط جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لا
وان جبريل ظهير له عليه السلام يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها
الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلام اشد تاثيرا فى قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف
ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور والملائكة مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك اى
بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اى فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما
ذا يفيد تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة
الكل نصرة الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك
اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيانا لفضيلة مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكرى من افضلية المقدم
فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم
وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اى يعطيه عليه السلام بدلكن
ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان فى النساء
خيرا منهن فان تعليق الطلاق الكل لا ينافى تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرى ان يبدله بالتشديد مسلمات
مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب

عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول عليه السلام سائحات صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار
بلا زاد او مهاجرات وقرى سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
بترك المعاصى وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وقرى اهلوكم عطفا على واو قوا فيكون
انفسكم عبارة عن انفس الكل على تغليب المخاطبين اى قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اى نارا تتقد
بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة للمبالغة فى التحذير
عليها ملائكة اى تلى امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق
شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اى امره على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم به
على نزع الخافض اى لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ويفعلون ما يؤمرون اى ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل
ولا توان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه اى يقال لهم ذلك
عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعد ما نهيتم عنهما
اشد النهى وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اى بالغة فى النصح وصفت
التوبة بذلك على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقتها وذلك
ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون فى قبيح من القبائح
موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا عن على رضى الله عنه ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضى
من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك
فى طاعة الله تعالى كما ربيتها فى المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصى وعن شهر بن حوشب ان لا يعود
ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك وقيل خالصة
من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها فى صاحبها
واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقرى توبا نصوحا وقرى نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر
والشكور اى ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا النصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
جنات تجرى من تحتها الانهار ورود صيغة الاطماع للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان
العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ فى اقامة وظائف العبادة يوم لا يخزى الله النبى ظرف ليدخلكم والذين امنوا
معه عطف على النبى وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل
حالهم وقيل هو مبتدا خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط وهو على الاول استيناف او حال وكذا
قوله تعالى يقولون الخ وعلى الثانى خبر آخر للموصول اى يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك
على كل شئ قدير وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى مع تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه
تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين فيما
تجاهدهما من القتال والمحاجة وماواهم جهنم سيرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير اى جهنم او مصيرهم ضرب الله مثلا
للذين كفروا ضرب المثل فى امثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها فى الغرابة
اى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومالا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امراة نوح وامراة
لوط اى حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت
عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اى كانتا فى عصمة نبيين عظيمى الشان متمكنتين من تحصيل
خيرى الدنيا والاخرة وحيازة سعادتيهما وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الخيانة العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة
النبى عليه السلام اى خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله عليه السلام
بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا الخ بيان لما ادى اليه خيانتهما اى فلم يغن النبيان عنهما
بحق الزواج من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيئا من الاغناء وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة وقيل ادخلا النار مع الداخلين
اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء عليهم السلام وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون
اى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت اعدى اعداء الله وهى فى اعلى غرف الجنة
وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قريبا من رحمتك
او فى اعلى درجات المقربين روى انها لما قالت ذلك اريت بيتها فى الجنة من درة وانتزع روحها ونجنى من فرعون وعمله اى من نفسه
الخبيثة وعمله السيئ ونجنى من القوم الظالمين من القبط التابعين له فى الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امراة فرعون تسلية للارامل
اى وضرب مثلا للذين امنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا التى

احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرى فيها اي في مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها
بصحفه المنزله او بما اوحى الى انبيائه وكتبه بجميع كتبه المنزله وقرى بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه
وهو الانجيل وكانت من القانتين اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر من
طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام وعن النبي عليه السلام
كمل من الرجال كثير ولم تكمل من النساء الا اربع آسيه بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجه بنت خويلد وفاطمه بنت محمد
عليه السلام وفضل عائشه على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي ع م من قرا سورة التحريم آتاه الله تع توبة نصوحا

سورة الملك

سورة الملك ثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله تع
على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغه التفاعل للمبالغه في ذلك
فان ما لا يتصور نسبته اليه تع من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة
ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة ح يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا
وانا فانا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلاله على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز
استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتع واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في
حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز من القدرة التامه والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه
ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضه قدرته التصرف الكلي في كل الامور وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عليه
يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيته المبنيه على الحكم البالغه والجملة معطوفه على الصله مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام
ملكه تع في جلائل الامور ودقائقها وقوله تع الذي خلق الموت والحيوة شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة
وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليله والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه في
حكم الشهادة بتعاليه تع والموت عند اصحابنا صفة وجوديه مضادة للحيوة واما ما روي عن ابن عباس رض من انه تع خلق الموت
في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا
حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحيوة فمعنى خلقه ح تقديره او ازالة الحيوة واياما كان فالاقرب
ان المراد به الموت الطاري وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مدارتهما لما ينطق به قوله تع ليبلوكم ايكم احسن عملا
فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيويه وتقديم الموت لكونه
ادعى الى احسان العمل واللام متعلقه بخلق اي خلق موتكم وحياتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة
من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوته حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح
ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا
خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله تع الواجبة على العباد اثر ذي
اثير وانما طريقها النظري التفكر في بدايع صنع الله تع والتدبر في آياته المنصوبه في الانفس والآفاق وقد روي عنه عليه السلام
انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تع
الذي هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه
بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى
العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعيه وايراد صيغة التفضيل
مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمه الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد
بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد
الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهيه وانما
هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات
والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذي لا يفوته من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع
سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى
وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما في تفصيله في قوله تع الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة
بتعاليه تع ومع الموصول الثاني في كونه مدارا للبلوى كما نطق به قوله تع وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام و
كان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تع طباقا صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا
خصفتها وصف به المفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا وقوله تع ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت

صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تع خلقها بقدرته الكاملة
رحمة وتفضلا وبان في ابداعها نعما جليله او استيناف والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتاكيد
النفي اي ما ترى فيه شيئا من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الاخر و
قرى من تفوت ومعناهما واحد وقوله تع فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب حيث اخبره بانه لا تفاوت
في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى تستيقن ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق جمع فطر وهو
الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك و
سعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر خاسئا اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه
يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير اي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تع ولقد زينا السماء الدنيا
بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها
اي وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض بمصابيح اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت
تتراءى كانها كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحد منها مخلوق على نمط رائق تستحسنه
الابصار وطراز فائق تستلذه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب
المقتبسة من نارها لكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام
والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق في الدنيا بالشهب وللذين كفروا
بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرى بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وبئس المصير اي جهنم
اذا القوا فيها سمعوا لها اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تع شهيقا لانه في الاصل صفة فلما تقدمت
صارت حالا اي سمعوا كائنا لها شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشهيق في الصدر والزفير
في الحلق وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما في قوله تع
لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تع تكاد تميز اي تتميز وتتفرق من الغيظ اي من شدة الغضب عليهم فانه صريح في انه من آثار
الغضب عليهم كما في قوله تع سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة
اما حال من فاعل تفور او خبر آخر وقوله تع كلما القي فيها فوج استيناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل
حال من ضميرها اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة سالهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على
حسرة الم يأتكم نذير يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم ايضا قالوا
اعترافا بانه تع قد ازاح عللهم بالكليه بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف
بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك
اي قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا
وتلا علينا ما نزل الله تع عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تع وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطا
في التكذيب وتماديا في التكبر ما نزل الله على احد من شيء من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم
اي ما انتم في الدعاء الى الله تع وتنزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب
مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر
المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه
من الجناية لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف
من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام واين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر
حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام
اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعيه ومن اعتبر الجمعيه باحد الوجوه الثلاثة على التقدير الاول ولم يخص
اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار
على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون
من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتامل وكن على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا
نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تع واعتدنا لهم عذاب
السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك
فاعترفوا بذنبهم الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرى بضمها مصدر مؤكد اما لفعل
متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قعدك الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على

على ذلك الفعل اى فاسحقهم الله فسحقوا اى بعدوا سحقا اى بعدا كما فى قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع
من المال الا مسحت او مجلف اى لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تع وانبتها نباتا حسنا واللام فى قوله تع
لاصحاب السعير للبيان كما فى هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون فى عدادهم بطريق التغليب ان الذين
يخشون ربهم بالغيب اى يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفى منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة
عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة الى علمه تع كما فى قوله
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رض نزلت فى المشركين كانوا ينالون من النبى صلى الله عليه وسلم فيوحى اليه
فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر
للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى
بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما فى الحقيقة على السوية فان علمه تع بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل
وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شئ يجهر به الا وهو او
مباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تع بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تع انه عليم
بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له فى صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها
من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم
بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التى فى الصدور
والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله تع الا يعلم من خلق انكار ونفى لعدم احاطة علمه تع بالمضمر
والمظهر اى الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التى هما من جملتها وقوله تع وهو اللطيف الخبير حال من
فاعل يعلم مؤكد للانكار والنفى اى الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق
منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى
يعطى ويمنع على معنى الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتاتى بدون العلم لخلق الحال حينئذ عن الافادة لان نظم الكلام ح الا يكون
عالما وهو مبالغ فى العلم هو الذى جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعول الجعل مع ان حقه التا
عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع
المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء فى قوله تع فامشوا فى مناكبها لترتيب الامر على
الجعل المذكور اى فاسلكوا فى جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطاه الراكب
بقدمه فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يتاتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شئ لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تع
واليه النشور اى المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا فى شكر نعمه وآلائه ءامنتم من فى السماء اى الملئكة الموكلين بتدبير هذا العالم
او الله سبحانه على تاويل من فى السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تع فى السماء اى ءامنتم من تزعمون انه
فى السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض بعدما جعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم
تلك النعمة اى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اى من ان يخسف
فاذا هى تمور اى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمينان ام امنتم من فى السماء اضراب عن التهدد
بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اى بل امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم
لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هى سحاب فيها حجارة فستعلمون
عن قريب البتة كيف نذير اى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم ح وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد
كذب الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز
الاعراض عنهم فكيف كان نكير اى انكارى عليهم بانزال العذاب اى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التاكيد
القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة فى تسلية رسول الله عليه السلام وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا
اغفلوا ولم ينظروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا
ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر فى ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض
تارة بعد تارة على قابضات ما يمسكهن فى الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شئ
بان براهن على اشكال وخصائص وهياهن للجرى فى الهواء والجملة مستانفة او حال من الضمير فى يقبضن انه بكل شئ بصير يعلم
كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تع ام من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفى ان
يكون لهم ناصر غير الله تع كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تع ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تع كما هو الا
بما سياتى من قوله تع ان امسك رزقه كقوله تع ام لهم الهة تمنعهم من دوننا فى المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى

فوقهم

الى نفس المانع وتحققه وهنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال
من توبيخهم على ترك التامل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله تع الى التبكيت بما ذكر والالتفات
للتشديد فى ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهى مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته
صفته كما فى قوله تع من ذا الذى يشفع عنده واشارة هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على
الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثانى متعلق بينصركم كما فى قوله تع من ينصرنى من الله فالمعنى بل من هذا
الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تع او ينصركم من عذاب كائن
من عند الله تع وتوهم ان ام معادلة لقوله تع اولم يروا الخ مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب له اصلا وقوله ان الكافرون
الا فى غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اى ما هم فى زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ
الهتهم لا بحفظه تع فقط او ان الهتهم تحفظهم من باس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شئ
يعتد به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار فى موقع الاضمار
لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام فى قوله تع ام من هذا الذى يرزقكم ان امسك اى الله تع رزقه بامساك المطر وسائر
مباديه كالذى مر تفصيله خلا ان قوله تع بل لجوا فى عتو ونفور مبنى عن مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز
لم يتاثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا فى عتو اى عناد واستكبار وطغيان ونفور اى شراد عن الحق وقوله تع افمن
يمشى مكبا على وجهه اهدى الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشان مذهبهما والفاء لترتيب ذلك على ما
ظهر من سوء حالهم وخرورهم فى مهاوى الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم فى مسالك المحاجة الى
جهة يتوهم فيها رشد فى الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو
المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشى مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال اكبه جره على وجهه وحقيقته صار
ذا كب ودخل فى الكب كاقشع الغمام اى صار ذا قشع والمعنى افمن يمشى وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة لتوعر
طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذى يؤمه ام من يمشى سويا اى قائما سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم
مستوى الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية
معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوى البصير وقيل من
يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذى انشاكم انشاء بديعا
وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهى وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها الى الآيات
التكوينية الشاهدة بشؤون الله تع والافئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا
فى معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون اى باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف
وما مزيدة لتاكيد القلة اى شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذى ذراكم فى الارض
اى خلقكم وكثركم فيها لا غيره واليه تحشرون للجزاء لا الى غيره اشتراكا واستقلالا فابنوا امركم على ذلك ويقولون من فرط عتوهم
وعنادهم متى هذا الوعد اى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تع واليه تحشرون ان كنتم صادقين يخاطبون به النبى عليه السلم
والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام فى الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اى ان كنتم صادقين
فيما تخبرونه من مجئ الساعة والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اى العلم بوقته عند الله تع لا يطلع عليه غيره كقوله تع قل
انما علمها عند ربى وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار
والفاء فى قوله تع فلما راوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فراوه فلما
راوه الخ كما مر تحقيقه فى قوله تع فلما راه مستقرا عنده الا ان المقدر هناك امر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل
منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف وقوله تع زلفة حال من مفعول راوه اما بتقدير المضاف اى ذا زلفة وقرب
او على انه مصدر بمعنى الفاعل اى مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة او ظرف اى راوه فى مكان ذى زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا بان غشيها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة
به وقيل توبيخا لهم وتشديد العذاب بهم وقيل هذا الذى كنتم به تدعون اى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه
تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اى تدعون ان لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقد روى عن مجاهد ان الموعود
عذاب يوم بدر وهو بعيد قل ارايتم اى اخبرونى ان اهلكنى الله اى اماتنى والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه
عليه السلام وعلى المؤمنين بالهلاك ومن معى من المؤمنين او رحمنا بتاخير آجالنا فنحن فى جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين
فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اى لا ينجيكم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل
نفى الانجاء به قل هو الرحمن اى الذى ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها آمنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه فاما نعمة او منعم عليه

وعليه توكلنا لا على غيره اصلا لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرى فسيعلمون بالياء التحتانية قل ارايتم اى اخبرونى ان اصبح ماؤكم غورا اى غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل الماخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة القلم اثنتان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

ن بالسكون على الوقف وقرى بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدى باحد الطريقين المذكورين في موقعه واما للسورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف تالوا وفي قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه واياما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاقه ما في ايدى الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وعلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرى بادغام النون في الواو وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كانه قيل انت برىء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التى هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والايذان بانه تعالى يتم عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه عليه السلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الراى وان لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك شاوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عايشة رض عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن الست تقرا القرآن قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس يعنى فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بايكم المفتون اى بايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد وتاكيد لما فيه من الوعيد والوعد اى هو اعلم بمن ضل عن سبيله المؤدى الى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضرر بل يحسب الضرر نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيهجره وهو اعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور هم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهى على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه السلام وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم اى دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك او نهى عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فانه تعليل للنهى او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير اى احبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور فيدهنون اى فهم يدهنون حينئذ او فهم الآن يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك وياباه ما سياتى من نديهم بالادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب ادخاله تحت التمني واياما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذى هو اظهار الملاينة واضمار خلافها واما في جانبه عليه السلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادهم هو اظهار الملاينة فقط واما اضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هو في غاية الكراهة له وانما اعتبارها بالنسبة اليه عليه السلام وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى المفهوم من ودوا وان ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على انه عطف على تدهن بناء

على ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كانه قيل ودوا ان تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اى ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل في الزجر مهين حقير الراى والتدبير هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية مناع للخير اى بخيل او مناع للناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعى ماخوذ من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية في حلقها وقوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا في قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين استئناف جار مجرى التعليل للنهى وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرى ءان كان على معنى الان كان ذا مال كذب بها او تطيعه لان كان ذا مال وقرى ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اى لا تطع كل حلاف شارطا يسارا لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكى على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم اى اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله عليه السلام كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شىء كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون اى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة مستانفة فطاف عليها اى على الجنة طائف بلاء طائف وقرى طيف من ربك مبتدئ من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شىء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اى احترقت فاسودت وقيل كالنهار اى يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا اى نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح ان اغدوا اى اغدوا على ان ان مفسرة او بان اغدوا على انها مصدرية اى اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الاقبال او الاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون اى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفى وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اى الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسرة لما في التخافت من معنى القول وقرى بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة في النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين اى على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرى بذلك اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما راوها قالوا في بديهة رؤيتهم انا لضالون اى طريق جنتنا وما هي بها بل نحن محرومون قالوه بعد ما تاملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اى رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان يجرى في ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرى بالتشديد اى يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروى انهم تعاقدوا وقالوا

بان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تع وتضرعوا اليه فابدلهم الله تع من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تع امر جبريل عليه السلام ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام وياخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال بن مسعود ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن الحسن رض قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري كذلك العذاب جملة من مبتدا وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد اي مثل الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر اعظم واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ان للمتقين اي من الكفر والمعاصي عند ربهم اي في الاخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تع افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتاكيد الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل ام لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون اي تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون اي ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تع وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين وتخير الشيء واختياره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا اي عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان ام اقسمنا لكم سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله عليه السلام باسقاطهم عن رتبة الخطاب اي سلهم مبكتا لهم ايهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم اي قائم يتصدى لتصحيحه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه في هذه الايات الكريمة على ان ليس لهم شيء يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الاخرة يوم يكشف عن ساق اي يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم. اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها. وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا. وقيل ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اي دخل في الكشف وناصب الظرف فلياتوا او مضمر مقدم اي اذكر يوم الخ او مؤخر اي يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف ويدعون الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم في ذلك فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتاتى منهم ذلك عن بن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعليه ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم تلحقهم وتغشاهم ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير او لان المراد به الصلوة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون متمكنون منه اقوى تمكن اي فلا يجيبون اليه ويابونه وانما ترك ذكر ثقة بظهوره فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي كله الي فاني اكفيك امره اي حسبك في الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اي واذا كان حالهم في الاخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقران وتوكل علي في الانتقام منه وقوله سنستدرجهم استيناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها اي سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعم من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه اثار لهم وتفضيل على المومنين مع انه سبب لهلاكهم واملي لهم وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ان كيدي متين لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسمية ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد ام تسالهم على الابلاغ والارشاد اجرا دنيويا فهم لاجل ذلك من مغرم اي غرامة

ما ليه مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عليك ام عندهم الغيب اي اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اي يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية من الاشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنتفية لا النبذ بالعراء كما مر في الحال الاولى والجملة الشرطيه استيناف وارد لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تع فاجتباه ربه عطف على مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة وجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت باحد حين هم رسول الله عليه السلام ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه ويرهقونك وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله عليه السلام فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرا هذه الاية لما سمعوا الذكر اي وقت سماعهم القران على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم في امره عليه السلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القران من تعاجيب الحكم وبدايع العلوم المحجوبة عن العقول المنهمكة باحكام الطبايع ولتنفير الناس عنه انه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جراتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقايقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تع وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله عليه السلام وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة اثنتان وخمسون اية • بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي يحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم وايا ما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها ما الحاقة على ان ما مبتدا ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والاصل ما هي اي اي شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تاكيدا لهولها هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدا وكون الحاقة خبرا وقوله تع وما ادراك اي واي شيء اعلمك ما الحاقة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك الخبر ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تع ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبرى معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تع الحاقة مؤكدة لهولها كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحالة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استيناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه ما ادراه عليه السلام بها احد كما في قوله تع وما ادراك ما هي نار حامية ونظائره خلا ان المبين هناك نفس المسؤول عنها وههنا حال من احوالها كما في قوله تع وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة او الرجفة

واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اى شديد الصوت لها صرصر او شديد البرد تحرق ببردها عاتية شديد العصف كانها
عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تع سخرها عليهم الخ استيناف جئ به بيانا
لكيفية اهلاكهم بالريح اى سلطها الله عليهم بقدرته الباهرة سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع
شاهد من حسمت الداء اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان
يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت
ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى
اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هى ايام العجوز وهى ايام آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل وقيل مكفئ
الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا فيها فى مهابها او فى تلك الليالى والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل
اى اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية اى بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية
وجاء فرعون ومن قبله اى ومن تقدم وقرئ ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه والمؤتفكات اى
قرى قوم لوط اى اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء التى من جملتها تكذيب البعث والقيمة فعصوا
رسول ربهم اى فعصى كل امة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطون من القبائح فاخذهم اى الله تع اخذة رابية اى زائدة
فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح من ربا الشئ اذا زاد انا لما طغى الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى و
مبالغتهم فى تكذيبه عليه السلام فيما اوحى اليه من الاحكام التى من جملتها احوال القيمة حملناكم اى فى اصلاب آبائكم فى
الجارية فى سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة
كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم
فى السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تع انما السفينة سبب صورى لنجعلها اى
لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره
وسعة رحمته وتعيها اى تحفظها والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرئ وتعيها
بسكون العين تشبيها لها بكتف اذن واعية اى اذن من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه
ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ
اذن بالتخفيف فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها
وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور
والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية
او بتوسط الزلزلة او الريح او العاصفة فدكتا دكة واحدة اى فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى
تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم
اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة اى قامت القيمة وانشقت
السماء لنزول الملائكة فهى اى السماء يومئذ واهية ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة والملك اى الخلق المعروف
بالملك على ارجائها اى جوانبها جمع رجا بالقصر اى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجؤن الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش
ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبى عليه السلام هم اليوم
اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تع باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية املاك ارجلهم فى تخوم الارض السابعة
والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على
صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية املاك فى خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما
وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم ثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم
عددهم الا الله تع ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تع بما يشاهد من احوال السلاطين
يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشؤنه سبحانه اجل من كل ما يحيط به فلك
العبارة والاشارة يومئذ تعرضون اى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم
روى ان فى يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز
كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة
والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من مرفوع تعرضون
اى تعرضون غير خاف عليه تع سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل او غير خاف يومئذ
على الناس كقوله تع يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتى كتابه بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول تبجحا

وابتهاجا هاؤم اقرءوا كتابيه ها اسم لخذ وفيه ثلث لغات اجودهن هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان
وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرءوا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول
هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط
فى الوصل واستحب اثباتها لثباتها فى الامام انى ظننت انى ملاق حسابيه اى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح
فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات التى لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو فى عيشة راضية ذات رضا على النسبة
بالصيغة كما يقال دارع فى النسبة بالحرف او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة
مقرونة بالتعظيم فى جنة عالية مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو
ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيئا
اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الخالية اى الماضية فى الدنيا
وعن مجاهد ايام الصيام وروى يقول الله تع يا اوليائى طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة
وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا الآية واما من اوتى كتابه بشماله ورأى ما فيه
من قبائح الاعمال فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التى متها
كانت القاضية اى القاطعة لامرى ولم ابعث بعدها ولم القى ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة
اى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لما انه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا
اى يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عنى ماليه مالى من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول
محذوف او استفهامية للانكار اى اى شئ اغنى عنى ما كان لى من اليسار هلك عنى سلطانيه اى ملكى وتسلطى على الناس
كنت احتج بها فى الدنيا او تسلطى على القوى والالات فعجزت عن استعمالها فى العبادات خذوه حكاية لما تقوله الله تع
يومئذ لخزنة النار فغلوه اى شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اى لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون الجزاء على
وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس ثم فى سلسلة ذرعها اى طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها
على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حراكا وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر
الوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك فى السلسلة فى الشدة انه كان لا يؤمن بالله
العظيم تعليل بطريق الاستيناف التحقيقى ووصفه تع بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه
استحق اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله وقيل
ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى
حق المواخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا
حميم اى قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين اى من غسالة
اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطاء
المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز
ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اى فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد واما حمله
على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تع بما تبصرون وما لا تبصرون كما مر
فى سورة الواقعة اى اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق
والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل انه اى القرآن لقول رسول يبلغه عن الله تع فان الرسول لا يقول
عن نفسه كريم على الله تع وهو النبى او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون ايمانا
قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون ذلك تارة اخرى قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون
على ان القلة بمعنى النفى اى لا تؤمنون ولا تتذكرون اصلا قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما ان
عدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانه يتوقف على تذكر احواله صلى الله عليه وسلم
ومعانى القرآن المنافية لطريق الكهنة ومعانى اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء
فيهما تنزيل من رب العالمين نزله جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال
المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اى بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط
قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه
بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين فما منكم
ايها الناس من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام وانه اى القرآن لتذكرة للمتقين لانهم

المتقون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين مجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين به
وانه لحق اليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بمثل
عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سال سائل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث قال انكارا واستهزاء ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال فاسقط علينا كسفا من السماء
وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه
فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه
فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وقرى سال وهو اما من السؤال على لغة
قريش فالمعنى ما مر واما من السيلان ويؤيده انه قرى سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على
تحقق وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما في الآخرة فهو عذاب
النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق بسال اي دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تع
ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب
او استيناف من الله متعلق بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهته تع ذي المعارج ذي المصاعد التي يصعد فيها الملائكة
بالاوامر والنواهي او هي عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض تعرج الملائكة والروح اي جبريل افرد بالذكر لتميزه و
فضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس اليه الى عرشه تع والى حيث تهبط منه اوامره
تع وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني به في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
مما يعد الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها من ارتفاعها بحيث
لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى
عرشه تع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض
ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك
في الحقيقة او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافر واما في حق المؤمن
فلا روى ابو سعيد الخدري رض انه قيل لرسول الله عليه السلام ما اطول هذا اليوم فقال عليه السلام والذي نفسي
انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون اخف من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تع فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السؤال
كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عليه السلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل
او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم يرونه اي العذاب الواقع او يوم القيمة
على تقدير تعلق في يوم بواقع بعيدا اي يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسألون به ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير
بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تع يوم تكون
السماء كالمهل متعلق بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اي يوم تكون السماء
كالمهل الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب
ان قوله تع سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تع يسألونك عن الساعة وقوله تع ويقولون متى هذا الوعد
ونحوهما اذ المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر او ابو جهل والفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله
فاسئل به خبيرا وقوله تع ليس له دافع الخ استيناف مسوق لبيان وقوع المسؤل عنه لا محالة وقوله تع فاصبر صبرا جميلا مترتب
عليه وقوله تع انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تع يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع او بما يدل
عليه اي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف
المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن
المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسئل حميم حميما اي ولا يسال قريب قريبا من احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك
وقرى على البناء للمفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسال منه حاله يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم
وما يمنعهم من التسائل الا تشاغلهم بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول
ادخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرى يبصرونهم والجملة استيناف يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب
وقوله تع لو يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حكاية لوداده ولو في
في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود

والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدي باقرب
الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرى يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين
عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته اي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه اي
تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين والخلائق ومن للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدي
اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه
ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير انها اما للنار المدلول عليها
بذكر العذاب او هو مبهم ترجم عنه الخبر الذي هو قوله لظى وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى
نصب على الاختصاص او حال مؤكدة والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس وقرى نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان
او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة ولظى مبتدا ونزاعة خبره تدعو اي تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الي
الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها
من ادبر اي عن الحق وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل
به عن الدين وزهي باقتنائه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير
وقد فسره احسن تفسير قوله تع اذا مسه الشر اي الفقر او المرض ونحوهما جزوعا اي مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا
مسه الخير اي السعة والصحة منوعا مبالغا في المنع والامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل
الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين
على القبائح الماضية لانباء نعوتهم عن الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر
الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم
على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم اي نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى
الله تع واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات الموظفة للسائل للذي يساله والمحروم الذي لا يساله فيظن
انه غني فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي باعمالهم حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة
الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم مع ما لهم من
الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه تع كقوله تع والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
وقوله تع ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض مؤذن بانه لا ينبغي لاحد ان يامن عذابه تع وان بالغ في الطاعة والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سلف تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى اي طلب لنفسه وراء
ذلك وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات فاولئك هم العادون المتعدون لحدود الله تع والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشيء من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قائمون اي مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس
وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الامانات لابانة فضلها وقرى لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس والذين هم على صلوتهم
يحافظون اي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا و
آخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف
الذوات كما في قول من قال * الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم * ايذانا بان كل واحد من الاوصاف
المذكورة نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة
للآخر اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو
شانهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا خبره في جنات اي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها
وقوله تع مكرمون خبر آخر وهو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير في الخبر اي
مكرمون كائنين في جنات فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك
عن اليمين وعن الشمال عزين اي فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من يعتزي اليه الاخرى كان
المشركون يحلقون حول رسول الله عليه السلام حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه عليه السلام ويقولون ان دخل
هؤلاء الجنة كما يقول محمد عليه السلام فلندخلنها قبلهم فنزلت ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع لهم
من ذلك الطمع الفارغ انا خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون كما في قول الاعشى
ازمعت من آل ليلى ابتكارا * وشطت على ذي هوى ان تزارا * وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك
فهو بمعزل من ان يتبوأ مبوأ الكاملين فمن اين لهم ان يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل
معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم
مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل بالايمان والطاعة ولم تتخلق بالاخلاق الملكية لم تستعد دخولها

ولا يخفى ما في الكل من التمحل والاقرب انه كلام مستانف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تع على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله عليه السلام وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق التحزير ويبتني بدلهم قوما اخرين فان قدرته تع على ما يعلمون من النشاة الاولى حجة بينة على قدرته تع على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تع فلا اقسم برب المشارق والمغارب والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم وناتي بدلهم بخلق اخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تاخير عقوباتهم فذرهم فخلهم وشانهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون هو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تع يوم يخرجون من الاجداث بدل من يومهم وقرى يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون اي مسرعين كانهم الى نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تع وقرى بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا يوفضون يسرعون خاشعة ابصارهم وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور اثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهائلة اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سال سائل اعطاه الله تع ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام ثمان وعشرون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها الفعل فان حذفه مع ان وان مطرد وجعلت صلتها امرا كما في قوله تع وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهي والمضي والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار وقيل المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان يكون ان مفسرة لما في الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفرا والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرى انذر بغير ان على ارادة القول من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عاجل او آجل لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا قال استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية ارساله عليه السلام بالوجه المذكور كانه قيل فماذا فعل عليه السلام فقيل قال لهم يا قوم اني لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تع ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فان الاسلام يجبه ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذي قدره الله تع لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تاخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح في ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تع ان اجل الله اي ما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التاخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور في قوله تع من قبل ان ياتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتاخير الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون المنفي عند مجيء الاجل هو التاخير الموعود فكيف يتصور ان يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى لو كنتم تعلمون اي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به قال اي نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تع وهو اعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعدما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب اني دعوت قومي الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا اي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي الا فرارا مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تع زادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم اي الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم اي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اي بالغوا في التغطي بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا من اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة بعد مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم او اريد بدعوتهم جهارا مجاهرتهم او هو صفة لمصدر اي دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر في موقع الحال اي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي انه كان غفارا

وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي الدعاء مومح

الناس من كانهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم واحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تع عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان امنوا ان يرزقهم الله تع الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم مدرارا اي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تع وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تع وما لي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة له اي اي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تع عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له وقد خلقكم اطوارا اي والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون انه تع خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاكم خلقا آخر فان التقصير في توقير من هذه شئونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل اي ما لكم لا تاملون له تع توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله تع اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تع وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله تع اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفي قوله ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضي ان يكون التوقير صادرا عنه تع والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تع وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اي اي عذر لكم في ترك الخوف منه تع وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية لم ارج اي لم ابال وقوله تع الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي متطابقة بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا اي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في السماء الدنيا لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل ولان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانه في الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور في الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اي انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر او لما يترتب عليه من فعله اي انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الاخرى كما مر في قوله تع ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر اخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع ان حقه التاخر لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تاخير ما حقه التقدم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عندها وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اي كائنة من الارض ولو تاخر لكان صفة لها قال نوح اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه اي قال مناجيا له تع رب انهم عصوني اي تموا على عصياني فيما امرتهم مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرى وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها مكرا كبارا اي كبيرا في الغاية وقرى بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على اذية نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن آلهتكم اي لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اي ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم عليه السلام

خسارا

ما توا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم
انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على
صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا اى
الرؤسا كثيرا خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تع رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تع
رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اى قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين الا
ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال فى تمشية
مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما فى قوله تع ان المجرمين فى ضلال وسعر ويؤيده ما سياتى من دعائه عليه السلام
مما خطاياهم اى من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطاياهم
بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم اى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب
آخر فادخلوا نارا المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا فى الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب و
يحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محاله وتنكير النار اما لتعظيمها
وتهويلها او لانه تع اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اى لم يجد احد منهم واحدا من
الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تع وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله تع مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من
اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التى عددها نوح واشارة الى استحقاقهم للهلاك
لاجلها لا انها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا
لاخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اى احد
وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار قد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم
يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اى الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه
وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام
علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم واستقرا احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لى ولوالدى ابو متوشلخ
وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوا وقرئ ولولدى يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتى اى منزلى وقيل مسجدى
وقيل سفينتى مؤمنا بهذا القيد خرجت امراته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك
وقد مر تفصيله فى سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين
الا تبارا اى هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم بارائة
هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن
الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله برائتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تع ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم
قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين غرقوا عن النبى عم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة
نوح

سورة الجن ثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجن

قل اوحى الى وقرئ احى اصله وحى وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وازن فى وعد ووزن
انه بالفتح لانه فاعل اوحى والضمير للشان استمع اى القران كما ذكر فى الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من
الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اقسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة
وقيل هى النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرا عليهم وانما
اتفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبره الله تع بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل فى الاحقاف فقالوا
لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرانا كتابا مقروا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن النظم ودقة المعنى وهو
مصدر وصف به للمبالغة يهدى الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اى بذلك القران ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق
به ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بان فى احد عشر موضعا عطف على
محل الجار والمجرور فى فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تع جد ربنا اى ارتفع عظمته من جد فلان فى عينى اى عظم تمكنه
او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه
او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكى بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول واما اندراج
الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تع ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اى صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ

الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القران ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطاء فيما اعتقدوه كفرة الجن من تشبيه
الله تع بخلقه فى اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تع عنه وانه كان يقول سفيهنا اى ابليس او مردة الجن على الله
شططا اى قولا ذا شطط اى بعد عن القصد ومجاوزة للحد او هو شطط فى نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة
والولد اليه تع وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا
بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا فى حقه تع كان شططا واما تعلقهما بقوله تع وانا ظننا
ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فباعتبار ظاهره وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اى كنا نظن انه لن يكذب على الله
تع احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدر المحذوف اى قولا كذبا
اى مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد لان الكذب هو القول وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى فى واد قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادى
من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تع فزادوهم
اى زاد الرجال العائذون الجن رهقا اى تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم
ظنوا اى الانس كما ظننتم ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض ان لن يبعث الله احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم
ايها الكفرة الخ فيكون هذه الاية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب انهما كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع
اذ لا معنى لادراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تع وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بانا
ينبغى ان يكون معطوفة على ذلك على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحى الى كيت وكيت وهذه العبارة
اى طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه
فوجدناها ملئت حرسا اى حراسا اسم جمع كخدم مفردا للفظ ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملئكة يمنعونهم عنها وشهبا
جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا نقعد منها قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس
والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اى لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اى مقاعد كائنة للسمع
فمن يستمع الآن فى مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا اى شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوى
شهاب راصدين له على انه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبى عليه السلام والصحيح انه كان قبل
البعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق بالكلية وانا لا ندرى اشر هذا الامر
اراده الله تع باهل الارض وذلك توهمهم وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اى خيرا
ونسبة الخير الى الله تع دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما فى قوله تع واذا مرضت فهو يشفين ونظائره وانا منا
الصالحون اى الموصوفون بصلاح الحال فى شان انفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه
الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف
وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لا فى الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القران
كما يعرب عنه قوله تع كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه فيحكى بقوله تع وانا لما سمعنا الهدى الى قوله وانا منا
المسلمون اى كنا قبل هذا ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق فى اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اى متفرقة
مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اى علمنا الآن ان لن نعجز الله اى ان الشان لن نعجز الله كائنين فى الارض
اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما
سمعنا الهدى اى القران الذى هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا
يخاف بخسا اى نقصا فى الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا
يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تع ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن
واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة
الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون الجائرون عن سنن الاسلام
فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع
والمعنى واوحى الى ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة التى هى ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا اى لوسعنا
عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن
على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تع وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر
وتبعه ولده فى الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو استقام الجن على
طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة
ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا اى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه

مصدر وصف به مبالغه وان المساجد لله عطف على قوله تع انه استمع اى واوحى الىّ ان المساجد مختصه بالله تع وقيل
معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اى لا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل
ناحية منه له قبلة مخصوصه او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع
السجود على ان المراد نهى السجود لغير الله تع وقيل اعضاء السجود السبعه وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمى وانه من جملة
الموحى اى واوحى الىّ ان الشان لما قام عبد الله اى النبى عليه السلام وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه
وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما
مر تفصيله فى الاحقاف كادوا اى الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا
من قراءته واقتداء اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما
قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبده وهى ما تلبد
بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبده وهى بمعنى اللبده ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين
جمع لبود كصبور وصبر وعن قتاده تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفؤه فابى الله الا ان يظهره على من ناواه قل انما
ادعو ربى اى اعبد ربى ولا اشرك به فى العبادة احدا فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب والاطباق على عداوتى
وقرئ قال على انه حكاية لقوله عليه السلام للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تع قل انى لن يجيرنى من الله احد
كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الاخر ولن اجد من دونه ملتحدا ان اراد بى
بسوء الا بلاغا من الله ورسالاته ملتجا ومعدلا وهذا بيان لعجزه عليه السلام عن شئون نفسه بعد بيان عجزه عن شئون غيره وقوله
الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا اى
لن اجد من دونه ملجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلنى به وقيل الا مركبه من ان الشرطيه ولا النافيه ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله
والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته اى لا املك لكم الا تبليغا كائنا
منه تع ورسالاته التى ارسلنى بها ومن يعص الله ورسوله فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة
على فحقه او فجزاؤه ان له نار جهنم خالدين فيها فى النار او فى جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تع حتى اذا راوا ما
يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام واستقلالهم لعدده كانه قيل
لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من فنون العذاب فى الاخرة فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا
وحمل ما يوعدون على ما راوه يوم بدر ياباه قوله تع قل ان ادرى اى ما ادرى اقريب ما توعدون ام يجعل له ربى امدا
فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة واما
وقته فما ادرى متى يكون عالم الغيب بالرفع قيل هو بدل من ربى او بيان له ويابا الفاء فى قوله تع فلا يظهر على غيبه احدا
اذ يكون النظم ح ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدا محذوف اى هو
عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تع بعلم الغيب على
الاطلاق اى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى
من رسول اى الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقه برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا
تاما اما ان يكون من مبادى رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعيه
التى امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها فى الاخرة وما تتوقف هى عليه من احوال الاخرة التى من جملتها
قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان يكون له بيان وقته مما لا تقتضيه الحكمة التشريعيه التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما
يدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصيه من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم
حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعى احد لاحد من الاولياء ما فى رتبة الرسل من الكشف الكامل الحاصل
بالوحى الصريح وقوله تع فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته
اى فانه تع يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره
عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تع ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على
الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففه من الثقيله واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف
والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى اريد اظهاره لمن ارتضى من رسول وجمعها باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا
اما للرصد فالمعنى انه تع يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف
والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما فى قوله تع حتى نعلم المجاهدين والغاية فى الحقيقه هو
الابلاغ والجهاد وايراد علمه تع لابراز اعتنائه بامرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة فى الحث عليهما والتحذير عن
التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضمير السابق باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ

الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تع
واحاط بما لديهم اى بما عند الرصد او الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور لتحقيق
استغنائه تع فى العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اى يسلكهم من بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تع بما
ذكر والحال انه تع قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا واحصى كل شئ مما كان وما سيكون عددا اى فردا فردا وهو تمييز منقول
من المفعول به كقوله تع وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شئ وقيل هو حال اى معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء
وايا ما كان ففائدته بيان ان علمه تع بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية
كما فى قوله تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان
الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك
حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تع واحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تع ليعلم كانه قد علم ذلك واحاط بما
لديهم الخ فبمعزل من السداد عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا او كذب به عتق رقبه

سورة المزمل عشرون آية ○ بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاء وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول
ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبى عليه السلام تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه السلام متلففا بقطيفه مستعدا
للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شان فامر بان يترك التزمل الى التشمير للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه السلام
على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال زملونى زملونى فحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ
ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفه والتانيس كما فى قوله عليه السلام لعلى رضى الله عنه
حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه
وقيل المعنى يا ايها الذى زمل امرا عظيما هو امر النبوة اى حمله والزمل الحمل وازدمله اى احتمله فالتعرض للوصف ح للاشعار بعليته
للقيام او للامر به فان تحميله عليه السلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد فى العبادة قم الليل اى قم الى الصلوة وانتصاب
الليل على الظرفيه وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وبفتحها الا قليلا استثناء من الليل وقوله تع
نصفه بدل من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل اى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان
الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فى اكثره فى كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة
خلاف الظاهر او انقص منه اى انقص القيام من النصف المقارن له فى الصورة الاولى قليلا اى نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث
لا ينحط الى نصف النصف او زد عليه اى زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل
منه او اكثر وقيل قوله تع نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذى ينبئ عنه الابدال هو الجزء
الباقى بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العارى عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره
الذى هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكليه
والاعتذار بتساوى النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف
والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما
النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل
او ازيد منه قليلا وقيل والذى يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم بما فى كتابه الجليل ورتل القران فى اثناء ما ذكر من القيام
اى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقى
عليك اى سنوحى اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تع قولا ثقيلا وهو القران العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيله
على المكلفين لا سيما على الرسول عليه السلام فانه عليه السلام مامور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل
ما كلفه عليه السلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره
الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل فى الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رض كان اذا انزل عليه الوحى
ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رض نزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة
الليل اى ان النفس التى تنشا من مضجعها الى العبادة اى تنهض من نشا من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة
مصدر من نشا كالعافيه او ان العبادة التى تنشا بالليل اى تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة
او ساعاتها الاول من نشا اذا ابتدا هى اشد وطأ اى هى خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ
وطاء اى اشد مواطاة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة
او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب وهدوء

سورة الجن مكية

الاصوات ان لك فى النهار سبحا طويلا اى تقلبا وتصرفا فى مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك
بها فى الليل وهذا بيان للداعى الخارجى الى قيام الليل بعد بيان ما فى نفسه من الداعى وقرى سبخا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار
من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره تع ليلا ونهارا على اى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد
وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه اى وانقطع اليه بمجامع الهمه واستغراق العزيمه فى مراقبته وحيث لم يكن ذلك
الا بتجريد نفسه عليه السلام عن العوائق الصادة عن مراقبة الله تع وقطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه
من رعاية الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو وقرى بالجر على انه بدل من ربك
وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء فى قوله تع فاتخذه وكيلا لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهيه
والربوبيه به تع واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل
امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تع وذرنى والمكذبين اى دعنى واياهم وكل امرهم الى فانى اكفيكهم اولى النعمة ارباب
التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا ان لدينا انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اى ان لدينا
امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب فى الحلوق ولا يكاد يسوغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر
من العذاب مولما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تع يوم ترجف الارض والجبال اى تضطرب
وتتزلزل ظرف للاستقرار الذى تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اى عذابا واقعا يوم ترجف وكانت الجبال
مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر
واسيل انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا الى فرعون
رسولا هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله فى التشبيه فعصى فرعون الرسول الذى ارسلناه اليه ومحل الكاف
النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تع شاهدا عليكم ارسالا
كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تع فاخذناه اخذا وبيلا خارج من التشبيه جئ به للتنبيه على انه سيحيق بهولاء
ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلا وبيل اى وخيم لا يستمرا لثقله والوبيل العصا الضخم فكيف تتقون
اى كيف تقون انفسكم ان كفرتم اى بقيتم على الكفر يوما اى عذاب يوم يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه
من الدواهى شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله شيب وقرى منفطر اى منشق والتذكير لاجرائه على موصوف
مذكر اى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشئ
وقيل لتاويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب اى ذات انفطار والباء فى قوله تع به مثلها فى فطرت العود بالقدوم
كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم وهو مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة الى الآيات
المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج
الموصل الى مرضاته ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل اى اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين
اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثى الليل وطائفة من الذين
معك اى ويقوم معك طائفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم
الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تع علم ان لن تحصوه اى علم ان الشان لن تقدروا
على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم
فى تركه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد
واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قالوا من قرا مائة آية
من القرآن فى ليلة لم يحاجه وقيل من قرا مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية علم ان سيكون منكم مرضى استيناف مبين لحكمة
اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف وآخرون يضربون فى الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عمم
ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون فى سبيل الله واذا كان الامر كذلك وتعاضدت الدواعى الى الترخيص فاقرؤا ما
تيسر منه من غير تحمل للمشاق واقيموا الصلوة اى المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة وقيل هى زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن
فسرها بالزكوة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاقات فى سبيل الخيرات واداء الزكوة
على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير اى خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا
من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثانى مفعولى تجدوا وهو تاكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من فى
حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرى هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله فى كافة احوالكم فان الانسان قل ما
يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

سورة المدثر ست وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المدثر

يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد قيل هى اول سورة نزلت روى عن جابر
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم ار شيئا
فنظرت فوقى فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى
دثرونى فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهرى ان اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تع ما لم يعلم فحزن رسول الله عليه السلم
وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبى الله فرجع الى خديجة فقال دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل
يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه
وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهيه وقرى المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اى الذى
دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفى حرف ابى المتدثر يا ايها المتدثر على الاصل قم اى من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم
فانذر اى افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تع وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تع
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تع بالكبرياء اعتقادا وقولا و
يروى انه لما نزل قال رسول الله الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء لمعنى
الشرط كانه قيل ما كان اى اى شئ حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاولى من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه
من الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه واجب فى
الصلوة واولى واجب فى غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وتقصيرها ايضا فان طولها يؤدى
الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلام من رفض العادات المذمومه وقيل هو امر بتطهير النفس مما
يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق
والرجز فاهجر اى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من المآثم وقرى بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن
تستكثر ولا تعط مستكثرا اى رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير على انه نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع
ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهى اما للتحريم وهو خاص برسول الله
عليه السلام لان الله تع اختار له اشرف الاخلاق واحسن الآداب وللتنزيه للكل وقرى تستكثر بالسكون اعتبارا لحال
الوقف او بدلا من تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن الذى فى قوله تع منا ولا اذى لان من يمن بما يعطى يستكثره
ويعتد به وقرى بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها كقول من قال الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا وقد قرى باثباتها وتجوز فى
قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما يروى احضر الوغا بالرفع ولربك اى لوجهه تع او لامره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل
على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض فاذا نقر فى الناقور اى نفخ فى الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع
الذى هو سبب الصوت والفاء للسببيه كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة
صبرك عليه والعامل فى اذا ما دل عليه قوله تع فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين
وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الهول والفظاعة
ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير
وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقه بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه وقوله تع غير يسير
تاكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف فى ان المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها الثانيه اذ هى التى تختص
عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذى هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد
جاء فى الاخبار ان فى الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع فى تلك الثقب فى النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى
الجسد الذى نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تع ذرنى ومن خلقت وحيدا حال اما من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى
اكفيكه فى الانتقام منه او من التاء اى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احد او من العائد المحذوف اى ومن خلقته وحيدا
فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له
عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما كما مر او وحيدا
فى الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة
وعن ابن عباس رضه هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا
وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثورى
اربعة آلاف دينار وقال الثورى ايضا الف الف دينار وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه
للتصرف فى عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمتهم وكثرة خدمهم او حضورا فى الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم
قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس
اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان

ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع الرجاء الخائب وقوله تع انه كان لاياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستيناف التحقيقي فان معاندة ايات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه السلام يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد واستحقاقه له او بيان لعناده لاياته تع اي فكر ماذا يقول في شان القران وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام واتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر ياثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اي في القران مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله عليه السلام ثم قطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تع ان هذا الا قول البشر تاكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادريك ما سقر اي اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدا وادريك خبره وما الثانية خبر لانها المفيد لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدا اي اي شيء هي في وصفها لما مر مرارا من ان ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تع لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما ادريك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محاله لواحة للبشر مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تع ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او صفا او نقيبا من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون العين من عشر حذرا من توالي الحركات فيما هو حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تع واشدهم باسا عن النبي عليه السلام لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي ما جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القران ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سياتي من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف او صف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه السلام وصدق القران لما شاهدوا ما فيه

موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا اي يزداد ايمانهم كيفية بما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تاكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله كذلك يضل الله من يشاء ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف واصل التقدير يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لايات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الايات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ادنى منهما وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة وما هي اي سقر او عدة خزنتها او الايات الناطقة باحوالها الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يكون لهم تذكر والقمر والليل اذ ادبر وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح اذا اسفر اي اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر على معنى ان البلايا الكبر او الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر لان او لمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تع او لم يشا ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر مبتدا فيكون في معنى قوله تع فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تع بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين ادم يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر المبتدا المحذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تع يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان يسال بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم اي راى كل واحد منهم الاخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون عن المجرمين يسالونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تع ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يسالونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها فتامل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون قالوا اي المجرمون مجيبين للسائلين لم نك من المصلين الصلوات الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة وكنا نخوض مع الخائضين اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء واضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتاخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى اخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تع فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب انكار اعراضهم عن القران بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل لهم معرضين عن القران مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتاخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تع كانهم حمر مستنفرة حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة اي من اسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القران واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم

عنه بحيث حدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تع بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة
عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر
وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله عليه السلام لن نتبعك حتى تاتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى
فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه وقرى صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا
ردع لهم عن تلك الجرأة بل لا يخافون الاخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه
اي القران تذكرة واي تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيتهم للذكر
كما هو المفهوم من ظاهر قوله تع فمن شاء ذكره اذ لا تاثير لمشيه العبد وارادته في افعاله وقوله تع الا ان يشاء الله استثناء مفرغ
من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله ذلك
وهذا تصريح بان افعال العباد بمشية الله تع وقرى تذكرون على الخطاب التفاتا وقرى بهما مشددا هو اهل التقوى اي حقيق
بان تتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبي عم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات

سورة القيمة اربعون آية ‌• بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافيه على فعل القسم شايع وفايدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في قوله تع لئلا يعلم اهل
الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا نفي نفس الاقسام بل لنفي ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا
اعظمه باقسامي حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه
في قوله تع فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك
ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا والله ان البعث حق وايا ما كان ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد
عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامه اي بالنفس المتقيه التي تلوم النفوس يومئذ على
تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراعة التي في القسم السابق او بالنفس التي لا تزال تلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا
قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام
بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنه المسيئه فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل نفس آدم عليه السلام فانها لا تزال
تلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنه وجواب القسم ما دل عليه قوله تع ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن والمراد
بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففه من الثقيله وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشان
لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح
وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي عليه السلام
يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله عليه السلام يا محمد حدثني عن القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله
عليه السلام فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوي
بنانه اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي
هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرى قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام
مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين
يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه يسال ايان يوم القيمة اي متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا
برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرى بفتح الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة
شخوصه وقرى بلق اي انفتح وانفرج وخسف القمر اي ذهب ضوءه وقرى على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما
الله تع من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل
لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ تقع هذه الامور اين المفر اي الفرار يأسا منه وقرى بالكسر اي
موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع كلا ردع من طلب المفر وتمنيه لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل
كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او
الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنه ومن يشاء النار ينبؤ الانسان يومئذ اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن
الاعمال بما قدم اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني وما اخر اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب
بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق
به في حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة على نفسه شاهدة
بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سياتي من الجملة الحاليه وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات
بالابصار في قوله تع فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة اي التاء للمبالغه ومعنى بل الترقي اي ينبؤ الانسان باعماله بل هو يومئذ

عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تع ولو القى معاذيره اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر
بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبؤ اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر
بكل معذرة او ينبؤ باعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اي
ولو ارخى ستوره كان رسول الله عليه السلام اذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا
من ان يتفلت منه فامر عليه السلام بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضي اليه الوحي ثم يقفيه بالدراسة الى
ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اي بالقران لسانك عند القاء الوحي لتعجل به اي لتاخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك
ان علينا جمعه في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه وقرانه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قراناه اي اتممنا
قراءته عليك بلسان جبريل واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني فاتبع قرانه فكن مقفيا له ولا تراسله
ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا ردع له عليه السلام عن عادة العجلة وترغيب له في
الاناة واكد ذلك بقوله تع بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل و
جبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع
الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اي وجوه كثيرة وهي وجوه
المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيمة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبر ويومئذ منصوب
بناضرة وناظرة في قوله تع الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدأ او نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ
وناضرة خبر ولان المقام مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان
تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها
ناظرة الى ربها انها تراه تع مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تع بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في
جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر
وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة تظن يتوقع اربابها ان يفعل
بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الاخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من
الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي اي بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام
المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اي قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من
كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل
به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت وقيل هما شدة فراق
الدنيا وشدة اقبال الاخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في اكفانه الى ربك يومئذ المساق اي الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره فلا
صدق ما يجب تصديقه من الرسول عليه السلام والقران الذي نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه
والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله تع ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما
مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول والقران وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر
يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى اي ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه
واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى
عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي يخلى مهملا فلا يكلف
ولا يجزى وقيل ان يترك في قبره فلا يبعث وقوله تع الم يك نطفة من مني يمنى الخ استيناف وارد لابطال الحسبان المذكور
فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اي بقدرة الله تع لقوله تع ثم جعلنا
النطفة علقة فخلق اي فقدره بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدل وكمل نشأته فجعل منه من الانسان الزوجين اي
الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشان الذي انشأ هذا الانشاء البديع بقادر على ان يحيي
الموتى وهو اهون من البدء في قياس العقل روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها قال سبحانك بلى وعنه
عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة الدهر احدى وثلثون آية ‌• بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر اي طائفة محدودة
كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك و
الجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور او صفة اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اي لم يكن فيه شيئا مذكورا
والمراد بالانسان الجنس فالاظهار في قوله تع انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروي عن

ابن عباس وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ
فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حمأ مسنون
فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي
عن ابن عباس رض ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه
عليه السلام وهذا بيانا لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به لما ان المراد
بها مجموع المائين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة
العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم
ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار فان
النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تع نبتليه حال من فاعل خلقنا او مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتي
او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روي عن ابن عباس رض نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة الخ فجعلناه
سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف
على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تع انا هديناه السبيل بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا
حالان من مفعول هدينا اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حالتيه جميعا واما للتفصيل او التقسيم
اي هديناه الى ما يوصل اليها في حالتيه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض
عنه وقيل من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما
بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد
الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين
من افراد الانسان الذي هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم
مع تاخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تع يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان
الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين
وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد
واشهاد قيل هو من بر خالقه اي يطيعه وقيل من يمتثل بامره تع وقيل من يؤدي حق الله تع ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من
لا يؤذي الذر يشربون من كاس هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني
تبعيضية او بيانية كان مزاجها اي ما تمزج به كافورا اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته
وبرده والجملة صفة كاس وقوله تع عينا بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها
رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير مضاف اي
يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تع يشرب بها عباد الله صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها
وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس
والمعنى يشربون العين بتلك الكاس يفجرونها تفجيرا اي يجرونها حيثما شاؤوا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري
جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تع يوفون بالنذر استئناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر
من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل
يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تع عليهم ويخافون يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا
في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اي
كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تع لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك
بطيب النفس او كائنين على حب الله تع او اطعاما كائنا على حبه تع وهو الانسب لما سيأتي من قوله تع لوجه الله مسكينا ويتيما
واسيرا اي اسير كان فانه عليه السلام يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه
المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله عليه السلام الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم
لوجه الله على ارادة القول وهو في موقع الحال من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم
المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم
تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تع لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا اي شكرا وهو تقرير وتاكيد لما قبله انا نخاف من ربنا يوما اي عذاب يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد
العبوس في الشدة والضراوة قمطريرا شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا بذلك شره وقيل هو تعليل

لعدم ارادة الجزاء والشكور اي انا نخاف عقاب الله تع ان اردناهما فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه
ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا
بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه ما شاؤوا
وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رض ان الحسن والحسين رض مرضا فعادهما النبي عليه السلام في ناس معه فقالوا
لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة
ايام فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي رض من شمعون الخيبري ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة رض صاعا واختبزت
خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من
مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله تع من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا
الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين
رضي الله عنهم فاقبلوا الى النبي عليه السلام فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد ما يسوءني
ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام
وقال خذها يا محمد هناك الله تع في اهل بيتك فاقرأه السورة متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى
وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله تع لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير
او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى
ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف
على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تع ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع
على انه خبر لظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال
اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت اشجارها مظلة عليهم
مع انه لا شمس ثمة ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة
حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى
تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب الكوب الكوز العظيم الذي لا
اذن له ولا عروة كانت قواريرا قواريرا من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة
صفة لاكواب وقرئ بتنوين قواريرا الثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها تقديرا صفة لقوارير
ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت
حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تع ويطاف عليهم
ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من
قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به
اطيب ما تستطيبه العرب والذ ما تستلذ به عينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه وتخلق الله تع طعمها
فيها فعينا بدل من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها
في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل
وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء
اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس
اشعة بعضهم الى بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة
رأيت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه
وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم عاليهم ثياب سندس خضر قيل
عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ
وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا
لهم ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع على انه مبتدأ خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على
سندس بالمعنى لكونه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما
وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف
عليهم ولا ينافيه قوله تع اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله
يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا
يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه

الى رب العالمين ووصفه بالطهور بيه فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اى يقال لهم ان هذا الذى ذكر من فنون الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا اى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم آثما او كفورا اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه واو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتيب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهى عن الاطاعة فى الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره فى جميع الاوقات او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل ينتظمها ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعله صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى الصلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون فى لذاتها الفانية ويذرون وراءهم اى امامهم لا يستعدون او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شىء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم اى احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اى فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اى تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعيفها وقوله تعالى ان ربك الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله فى وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا فى الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله تعالى وقرئ يشاؤن بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشاء فى رحمته بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اى يدخل فى رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذى يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه الى ما يؤدى الى دخول الجنة من الايمان والطاعة والظالمين وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اى متناهيا فى الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

سورة المرسلات خمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المرسلات

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن فى مضيهن عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى او نشرن الشرائع فى الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عليهم السلام عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جئ بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسم بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى فى مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فى اكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل انما توعدون لواقع جواب القسم اى ان الذى توعدونه من مجئ القيامة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محيت ومحقت او ذهب

بنورها واذا السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذى ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسف الشئ اذا اختطفه وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاى يوم اجلت مقدر بقول هو جواب لاذا فى قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اى يقال لاى يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق وما ادراك ما يوم الفصل ما مبتدأ وادراك خبره اى اى شئ جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه ويل يومئذ للمكذبين اى فى ذلك اليوم الهائل وويل فى الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم فى الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين اى سنتنا جارية على ذلك ويل يومئذ اى يوم اذ اهلكناهم للمكذبين بآيات الله تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا الم نخلقكم اى الم نقدركم من ماء مهين اى من نطفة قذرة مهينة فجعلناه فى قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر فقدرنا اى فقدرناه وقد قرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل فنعم القادرون اى نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات اسم ما يكفت اى يضم ويجمع من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اى الم نجعلها كفاتا تكفت احياء كثيرة على ظهرها وامواتا غير محصورة فى بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اى كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسى اى جبالا ثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المونث فى غير العقلاء مطرد كاجذع واجذاع واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا فيها انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا اى يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون فى الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضى اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا او كرها ذى ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش قيل خصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة فى الدماغ والقوة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التى عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل ولا يغنى من اللهب اى غير مغن لهم من حر اللهب شيئا انها ترمى بشرر كالقصر اى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر بفتحتين وهى اعناق الابل واعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة كانه جمالة قيل هو جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمال او جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه فى امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اى هذا يوم لا ينطقون فيه بشئ لما ان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشئ ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى فصل واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم فى سلك النفى اى لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل والحق والباطل جمعناكم خطاب لامة محمد عليه السلام والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم

وتفقدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة لهم فى الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اى مستقرون فى فنون الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الخبر اى مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك الجزاء العظيم نجزى المحسنين اى فى عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا فى العذاب المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستانف خوطب به المكذبون فى الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا اى اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روى انه نزل حين امر رسول الله عليه السلام ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبى فانها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة فباى حديث بعده اى بعد القران الناطق باحاديث الدارين واخبار النشاتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون اذ لا يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبا اربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النبأ

عم اصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسؤل عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اى عن اى شئ عظيم الشان يتساءلون اى اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يسالون عنه الرسول عليه السلام والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اى يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل فى الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما فى قولك تراءى القوم اى راى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل ح مفعول متعدد كما فى المثال المذكور او واحد كما فى قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن اى شئ يسال هؤلاء القوم الرسول عليه السلام والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما فى قوله تعالى فباى آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى عن النبا العظيم بيان لشان المسؤل عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسال عنه كانه قيل عن اى شئ يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبا العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هى متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبنى على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبا العظيم وقيل قبل عن النبا استفهام مضمر كانه قيل عم يتساءلون اعن النبا العظيم والنبا الخبر الذى له شان وخطر وقد وصف بقوله تعالى الذى هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تاكيدا لخطره اثر تاكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسمانى فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف فى كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفى والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقى المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى كلا سيعلمون الخ فانه صريح فى ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين

السابقين للكل مما ينبغى تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذى يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للرسول عليه السلام بان يعتبر فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر فى التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجرى فى كل منهما ما يجرى فى الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقيقة فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستيناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتاكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما فى قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذى يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهى والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة فى التاكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثانى ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثانى فى القيمة وقيل الاول للبعث والثانى للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الخ استيناف مسوق لتحقيق النبا المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القران او نبوة النبى عليه السلام كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة فى الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبى وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساء لها بها كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه فانه فى قوة اما جعلنا الخ او على ما يقتضيه الانكار التقريرى فانه فى قوة ان يقال قد جعلنا الخ ازواجا اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا اى موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة فى انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل الذى يقع النوم فيه غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره فى تحقيق المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة فى قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اى وقت حيوة تبعثون فيه من نومكم الذى هو اخو الموت كما فى قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب فى تحصيل المعايش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا شدادا اى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى الآية الكريمة وللتشريعى ايضا كما فى قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشئ آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شئ من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة فى الكلام بل قيدا فيه كما فى قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسى وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد فى الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما فى قوله تعالى يجعلون اصابعهم فى آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو فى الحقيقة قيد باحد الوجهين كما مر سلف فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلالئ من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ فى الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء وانزلنا من المعصرات هى السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما فى احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد بها السحائب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح هى التى تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصلحت ان تجعل مبدأ للانزال ماء ثجاجا اى منصبا

بكثرة يقال ثج الماء اى اساله ومنه قوله عليه السلام افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبيه وصب دماء الهدى وقرى ثجاجا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجج الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تاخره عن النبات فى الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان وجنات الجنة فى الاصل هى المره من مصدر جنه اذا ستره يطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابى سلمى كان عينى فى غربى مقتله • من النواضح تسقى جنة سحقا • وعلى الارض ذات الشجر قال الفرا الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تع الفافا اى ملتفه تداخل بعضها فى بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفه بحذف الزوائد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تع فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثانى باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليله ومنافع جميله عائده الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكليه ولا يجعل لها عاقبة باقيه والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهد كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الآفاقيه والانفسيه الداله بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبه للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتسالون عنه استهزاء وقوله ان يوم الفصل كان ميقاتا شروع فى بيان سر تاخير ما يتسالون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا اى ان يوم فصل الله تع بين الخلائق كان فى علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والاخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتاخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب فى انهما بمعزل من التقريب الذى اشير اليه على ان الدنيا تنتهى عند النفخة الاولى وقوله تع يوم ينفخ فى الصور اى نفخة ثانيه بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير فى تاخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع فى مبدائه النفخة وفى بقية الفصل ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابى هريرة رض ان رسول الله عليه السلام قال لما فرغ الله تع من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها فى الحيوة غير من شاء الله وذلك قوله تع ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى عندها فى الحيوة الا يبعث ... وذلك قوله تع ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء فى قوله تع فتاتون فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما فى قوله تع فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فتبعثون من قبوركم فتاتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا افواجا اى امما كل امة مع امامها كما فى قوله تع يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رض انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم تتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمى فالذين يجورون فى الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين خالفت اقوالهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تع فى اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف على ينفخ وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقرى فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله تع فكانت ابوابا اى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملئكة نزولا غير معتاد حتى صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تع ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تع هل ينظرون الا ان ياتيهم الله اى امره وباسه فى ظلل من الغمام والملئكة وقيل الابواب الطرق والمسالك اى تكشط فيفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ وسيرت الجبال اى فى الجو على هيآتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تع وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى تراها رأى العين ساكنة فى اماكنها والحال انها تمر مر السحاب الذى تسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا يكاد يتبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لاسيما

من بعيد وعليه قول من قال • بارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب تهملج • وقد ادمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تع وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تع الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهواء وذلك قوله تع فكانت سرابا اى فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تع وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اى غبارا منتشرا وهى وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تع ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تع يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تع لا يكون الا بعد النفخة الثانيه ان جهنم كانت مرصادا شروع فى تفصيل احكام الفصل الذى اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله وجه تقديم بيان حال الكفار غنى عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمضمار الذى هو اسم للمكان الذى يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه اى انها كانت فى حكم الله تع وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها للطاغين متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اى كائنا للطاغين وقوله تع مآبا بدل منه اى مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تاخر لكانت صفة له وقد جوز ان تتعلق بنفس مآبا على انها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر كونها مرصادا للطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنه يرصدهم الملئكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهى مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة فى ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرى ان بالفتح على تعليل قيام الساعة بانها مرصاد للطاغين لابثين فيها حال مقدرة من المستكن فى للطاغين وقرى لبثين وقوله تع احقابا ظرف للبثهم اى دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهى تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة وقوله تع لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جملة مبتداة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرى غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم جزاء اى جوزوا بذلك جزاء وفاقا اى ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقا وقرى وفاقا على انه فعال من وفقه كذا اى لاقه انهم كانوا لا يرجون حسابا تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اى كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم وكذبوا بآياتنا الناطقة بذلك كذابا اى تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصى وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرى بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرى كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحاليه اى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا اى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شئ من الاشياء التى من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اى حفظناه وضبطناه وقرى بالرفع على الابتداء كتابا مصدر مؤكد لاحصيناه لما ان الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا فى اللوح او فى صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تع فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفى الالتفات المنبئ عن التشديد فى التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روى عن النبى عليه السلام ان هذه الاية اشد ما فى القران على اهل النار ان للمتقين مفازا شروع فى بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة اى ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تع حدائق واعنابا اى بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا وكواعب اى نساء فلكت ثديهن وهن النواهد اترابا اى لدات وكاسا دهاقا اى مترعة يقال ادهق الحوض اى ملأه لا يسمعون فيها اى فى الجنه وقيل فى الكاس لغوا ولا كذابا اى لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرى كذابا بالتخفيف اى لا يكذب او لا يكاذبه جزاء من ربك مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من مزيد تشريف له عليه السلام عطاء اى تفضلا واحسانا منه تع اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزاء حسابا صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب اعمالهم وقرى حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تع الرحمن صفة له وقيل صفة للاول وايا ما كان ففى ذكر ربوبيته تع للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تع لا يملكون منه خطابا استئناف مقرر لما افاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تع بما ذكر من

الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثاني نعت للاول و
قيل الاول مبتدا والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر وهو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمه وقيل الاول مبتدا و
الرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه على راي من يقول به والاوجه ان يكون
كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون استينافا او حالا ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما
في البدليه لما ان المرفوع او المنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تع الذين يومنون بالغيب
من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدليه ورفع الثاني على الابتدا والخبر ما بعده او على انه خبر لمبتدا مضمر وما بعده استينافا
او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تع من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك
خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تع بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه واكده
وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله به ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون
فيه او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملئكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملئكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل
هو ملك ما خلق الله تع بعد العرش خلقا اعظم منه عن ابن عباس رض انه اذا كان يوم القيمه قام هو وحده صفا والملئكة كلهم صفا
وعنه عن النبي عليه السلام انه قال الروح جند من جنود الله تع ليسوا ملائكة لهم رؤس وايد وارجل ياكلون الطعام ثم قرأ
يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا ما نزل من السماء ملك الا ومعه احد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف
الملئكة وقيل هم حفظة على الملئكة وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد او متعدد
والملئكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تع والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تع لا يتكلمون
وقوله تع الا من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملئكة
وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تع وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة
الى مقطعها والجملة استيناف مقرر لمضمون قوله تع لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا
يومئذ على ان يتكلموا بشيء من جنس الكلام الا من اذن الله تع له منهم في التكلم وقال ذلك الماذون له قولا صوابا اي حقا فكيف
يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما لا على معنى ان الروح والملئكة مع كونهم افضل الخلائق
واقربهم من الله تع اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل لانه موسس
على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه ان يكون يوم ظرفا ليملكون فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقيل الا من
اذن الخ منصوب على الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد
واظهار الرحمن في موقع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لان احدا يستحقه عليه سبحانه وتع ذلك اشارة
الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في
الهول والفخامه ومحله الرفع على الابتدا خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملئكة مصطفين غير قادرين
هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق اي الثابت المحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في
قوله تع فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل
واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شانه العظيم فعل ذلك
بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا وتعلق الجار بمآبا لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر في قوله تع فمن استطاع
اليه سبيلا انا انذرناكم اي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع
الواردة في القرآن عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تع وان رأوه بعيدا وسيرونه
قريبا لقوله تع كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هي
قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تع يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا
يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه
على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تع ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا الظاهر وضع موضع
الضمير لزيادة الذم وقيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث
وقيل يحشر الله تع الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم
فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمه

سورة النازعات ست واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النازعات

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله تع بطوائف
من الملئكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس ومجاهد او ارواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه
وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البير اذا اخرجها ويسبحون
في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح المومنين الى الجنة فيدبرون
امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني منزلة
التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة
من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام
الاوصاف الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع حيث ينزعها من اقاصي الاجساد قال ابن مسعود
ينزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت
تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا
ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من
الملئكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف
تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيمة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح
ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما
بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان يقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي
تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فتسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير
الازمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن
الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس الغزاة او ايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون
في البر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او خيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها
عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها
لانها من اسبابه هذا والذي يليق بشان التنزيل هو الاول وقوله تع يوم ترجف الراجفة منصوب بالجواب المضمر والمراد
بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة اي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي
النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تع يوم ترجف الارض والجبال وقوله تع تتبعها الرادفة اي الواقعة التي
تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصحح لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة
الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده
مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي
الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فيكون
الجملة استينافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله عليه السلام اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل
هو منصوب بما دل عليه قوله تع قلوب يومئذ واجفة اي ترجف وجفت القلوب قيل قلوب مبتدا ويومئذ متعلق بواجفة
وهي صفة لقلوب مسوغ لوقوعه مبتدا وقوله تع ابصارها اي ابصار اصحابها خاشعة جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا للقلوب
وقد مر ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار و
الاخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة
كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا على ان الوجيف الذي
هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما
فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب
في موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان
المعنى منسحب عليه او على التكثير كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يوم اذ
يقع النفختان واجفة اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رض خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها كما في قوله تعالى
اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تع يقولون ائنا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات
الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اي
يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه ائنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة اي في الحالة الاولى يعنون الحيوة من قولهم
رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تع عيشة راضية

اى منسوبة الى الحفرة او الى الرضا او كقولهم نهار صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة وهى بمعنى المحفورة وقوله تع ائذا كنا عظاما نخرة تاكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون اى ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شئ من الحيوة وقرئ اذا كنا على الخبر او اسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالى الاجوف الذى يمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السا[بق] ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم فى كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من الردة فى الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذا كرة خاسرة اى ذات خسران او خاسر اصحابها اى ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تع فانما هى زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة الذى عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هى صيحة واحدة اى حاصلة بصيحة واحدة وهى النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها كانها عينها وقيل هى راجع الى الرادفة وقوله تع فاذا هم بالساهرة تح بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجاة اى فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا فى جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هى وجه الارض وقيل هى ارض القيمة وروى الضحاك عن ابن عباس رض ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها ح وقيل هى ارض يجددها الله عز وجل يوم القيمة وقيل هى اسم الارض السابعة ياتى بها الله تع فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثورى الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تع هل اتاك حديث موسى كلام مستانف وارد لتسلية رسول الله عليه السلم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه عم من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه السلام فى استماع حديثه كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص اليس قد اتاك حديثه وقوله تع اذ ناداه ربه بالواد المقدس ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اى ناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى اذهب الى فرعون على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اى ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان فى النداء معنى القول انه طغى تعليل للامر او لوجوب الامتثال به فقل بعد ما اتيته هل لك رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التائين من تتزكى اى تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه فتخشى اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تع قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشى الله تع اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شر امر النبى عليه السلم بان يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تع فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء فى قوله تع فاراه الاية الكبرى فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السورة الاخرى فانه عليه السلام ما اراه اياها عقيب هذا الامر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تع ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان ارادة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه السلام بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة فى قوله تع ولقد اريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالاية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضى الله عنه فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او هما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتى باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الامور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله فى سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عداهما من الايات التسع انما ظهرت على يده عم بعد ما غلب السحرة على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى سورة الاعراف ولا ريب فى ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترقب بعد فكذب بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترا على انكار وجود رب العالمين راسا وكان اللعين وقومه مامورين بعبادته عز وعلا وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر فقط ثم ادبر اى تولى عن الطاعة او انصرف عن المجلس يسعى اى يجتهد فى معارضة الاية او اريد ثم اقبل اى انشاء يسعى فوضع موضعه ادبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل ادبر هاربا من الثعبان فانه روى انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون

ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه وقيل انها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون انشدك بالذى ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصى وياباه ان ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدى للمعارضة كما يعرب عنه قوله تع فحشر اى فجمع السحرة لقوله فارسل فى المدائن حاشرين وقوله تع فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى اى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنوده ويجوز ان يراد جمع الناس فنادى فى المجمع بنفسه او بواسطة المنادى فقال انا ربكم الاعلى قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة فاخذه الله نكال الاخرة والاولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذى ينكل من رآه وسمعه ويمنعه من تعاطى ما يفضى اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى وهو الاحراق فى الاخرة والاغراق فى الدنيا وقيل مصدر لاخذ اى اخذه الله اخذ نكال الخ وقيل مفعول له اى اخذه لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض اى اخذه بنكال الاخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور فى الاخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى ما تؤدى اليها لا محالة وقيل المراد بالاخرة والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيرى قيل كان بين الكلمتين اربعون سنة فالاضافة اضافة المسبب الى السبب ان فى ذلك اى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى اى لمن من شانه ان يخشى وهو من من شانه المعرفة وقوله تع ءانتم اشد خلقا خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تع بقوله عز وجل فانما هى زجرة واحدة اى اخلقكم بعد موتكم اشد اى اشق واصعب فى تقديركم ام السماء اى ام خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التى تحار العقول عن ملاحظة ادناها كقوله تع لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تع اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تع بناها الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السماء وفى عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شانه عز وجل ما لا يخفى وقوله تع رفع سمكها بيان للبناء اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى امر فلان اذا اصلحه واغطش ليلها اى جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تع كما يقال ظلم واظلمه وقد مر هذا فى قوله تع واذا اظلم عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها اى ابرز نهارها عبر عنه بالضحى لانه اشرف اوقاته واطيبها فكان احق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تاخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضاءة النور بعد الظلمة اتم فى الانعام واكمل فى الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز ان يكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اى ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها والارض بعد ذلك دحاها اى بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم فى اقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها اخرج منها ماءها بان فجر منها عيونا واجرى انهارا ومرعاها اى رعيها وهو فى الاصل موضع الرعى وقيل هو مصدر ميمى بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فان السكنى لا يتاتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من الماكل والمشرب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور او بدونه عند الكوفيين والاخفش كما فى قوله تع او جاؤكم حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره ارساها اى اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت فى نفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر الماكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تاخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من انه تع خلق الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تع كانتا رتقا ففتقناهما الاية وقد مر فى سورة حم السجدة ان قوله تع قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الى قوله ثم استوى الى السماء وهى دخان الاية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما فى سورة البقرة من قوله تع هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روى ان العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تع احدث فى الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى انه تع خلق جرم

الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثا ويوم الاربعا وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم
الجمعه وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمه فالاقرب كما قيل تاويل هذه الآيات
بحمل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى نفسها وحمل بعدية الدحو عنها على
البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من ان انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف
على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتعين البعدية في الوجود وفائدة تاخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في
الدلالة على القدرة القاهره بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض
اكثر وتعلق المصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وليس ما روي عن الحسن رضي نصا في تاخر دحو الارض
عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا
على تقدير حمل ما ذكر في ايات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثه على معانيها الظاهره واما اذا حملت
على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة
ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبه وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكوره وقوله تع متاعا لكم ولانعامكم
اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم
ولانعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما ياكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول الماكول على الاطلاق كاستعارة
المرسن للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر اي متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تع اخرج منها ماءها
ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تع فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات اي تعلو
وتغلبها وهي القيمه او النفخة الثانيه وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة
واهل النار الى النار شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تع متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب
ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الانسان ما سعى قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب
باعني كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة
الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على رأي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة
اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفله وطول الامد كقوله تع احصاه الله ونسوه ويجوز ان يكون ما مصدرية وبرزت
الجحيم عطف على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد لمن يرى كائنا من كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل
ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تع اذا راتهم من مكان بعيد او على انه
خطاب لرسول الله عليه السلام اي لمن تراه من الكفار وقوله تع فاما من طغى الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تع فاما
ياتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤن قسمين فاما من الخ والذي يستدعيه فخامة
التنزيل ويقتضيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم يشاهده العيون كما مر في قوله تع يوم يجمع الله
الرسل اي فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان وآثر الحيوة الدنيا الفانيه التي هي على جناح الفوات فانهمك
فيما متع به فيها ولم يستعد للحيوة الاخرويه الابدية بالايمان والطاعه فان الجحيم التي ذكر شانها هي الماوى اي هي ماواه واللام
سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب الماوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في الماوى والطرف للتعريف
لانهما معروفان وهي اما ضمير فصل او مبتدا قيل نزلت الآية في النضر وابيه الحرث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان
واما من خاف مقام ربه اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى
عن الميل اليه بحكم الجبلة البشريه ولم يعتد بمتاع الحيوة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها
فان الجنة هي الماوى له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد
ووقى رسول الله عليه السلام حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تع يوم يتذكر الانسان
ما سعى على طريقة قوله تع علمت نفس ما احضرت وقوله تع علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تع وبرزت الجحيم عطفا
عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا من الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الرائين ولمن يرى مغن عن العائد
وقوله تع فاما من طغى الخ تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين
يسالونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تع ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها
ومستقرها كما ان مرسى السفينه حيث ينتهي اليه وتستقر فيه وقوله تع فيم انت من ذكراها انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي
في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسالونك بيانها كقوله تع يسالونك كانك حفي عنها اي ما انت من ذكرها لهم
وتبيين وقتها في شيء لان ذلك فرع علمك به وانى لك ذلك وهو مما استاثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان
ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستيناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال
ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على

العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبه من العلم فمعنى قوله تع الى ربك منتهاها على هذا الوجه اليه تع يرجع منتهى
علمها اي علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل
لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه اليه تع انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا
من كان فلاي شيء يسالونك عنها وقوله تع انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تع فيم انت من ذكراها
وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام في ذلك الشان فان انكار كونه عليه السلام في شيء من ذكراها مما
يوهم بظاهره ان ليس له عليه السلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفي منه عليه السلام ذكرها
لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسالونه عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان
اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسالونك عما ليس من
وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني وهو تقرير لقوله تع انت من ذكراها ببيان ان ارساله عليه السلام وهو خاتم الانبياء
منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو
الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم
الدعوة لانه المنتفع به وقوله تع كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اما تقرير وتاكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة
مجيء المنذر به لا سيما على الوجه الثاني اي كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشيه يوم واحد او ضحاه فلما ترك
اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما ادمجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسالون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان
على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او
ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام وانما الذي تقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد
تحقيقا للانذار ورد الاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول فانه على تقديري الاضافة وعدمها مفعول للمنذر كما
ان قوله تع كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة
خلا ان التشبيه هناك في الاحوال الظاهره من الزي والهيأة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها
في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستانفه لا محل لها من الاعراب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والنازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيمه حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبه

سورة عبس اثنتان واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة عبس

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي ربيعة الفهري وام مكتوم ام
ابيه اتى رسول الله عليه السلام وعنده صناديد قريش عتبه وشيبه ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب
وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما
علمك الله تع وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام بالقوم فكره رسول الله عليه السلام قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه
فنزلت فكان رسول الله عليه السلام يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على
المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغه وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرائين اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان
عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرافة واما لزيادة الانكار
كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات في قوله تع وما يدريك لذلك فان المشافهه ادخل في تشديد العتاب اي واي شيء
يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله لعله يزكى استيناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شانا
منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادراكه مؤذن بانه تع يدريه ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار
بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض
عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى
ان من تصديت لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر اصلا وقوله تع او يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي
وقوله تع فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي
التام وقيل الضمير في لعله للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما
يدريك ان ذلك مرجو الوقوع اما من استغنى اي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن فانت
له تصدى اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم
فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تصدى
بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك الى التصدي له داع من الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك الا يزكى وليس عليك باس في
ان لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهاميه للانكار اي اي شيء في ان

لا يتزكى وما له النفى ايضا واما من جاءك يسعى اى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اى الله تع وقيل يخشى اذية الكفار فى اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرئ تتلهى وتلهى اى يلهيك شان الصناديد وفى تقديم ضميره عم على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام اى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما روى انه عليه السلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى كلا ردع له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدى لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغا فى الاهتمام بامره طمعا فى اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تع انها تذكرة اى موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذى استغنى عنه من تصدى عليه السلام له وتحقيق ان شانه ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تع فمن شاء ذكره اى حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغنى فلا حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقرآن وتانيث الاول لتانيث خبره وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة والثانى للتذكرة والتذكير لانها فى معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سياتى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما القى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سياتى من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطا واساء الادب وخبط خبطا يقضى منه العجب فتامل وكن على الحق المبين وقوله تع فى صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جئ به للترغيب فيها والحث على حفظها اى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لانها مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة اى فى السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر مطهرة منزهة عن مساس ايدى الشياطين بايدى سفرة اى كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدى رسل من الملائكة يسفرون بالوحى بينه تع وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقى من الوحى لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهى وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار او على اصحابه عليه السلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبى ان المراد بما فى قوله تع لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة كرام عند الله عز وجل او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء وقيل مطيعين لله تع من قولهم فلان يبر خالقه اى يطيعه وقيل صادقين من بر فى يمينه قتل الانسان دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تع ما اكفره تعجب من افراطه فى الكفر وبيان لاستحقاقه الدعاء عليه والمراد به اما من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى من اى شئ خلقه شروع فى بيان افراطه فى الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدا فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفى الاستفهام عن مبدا خلقه ثم بيانه بقوله تع من نطفة خلقه تحقير له اى اى شئ حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه فقدره فهياه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تع ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اى ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره اى جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة فى الجملة الى الحيوة الابدية والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره اى اذا شاء انشاره انشره على القاعدة المستمرة فى حذف مفعول المشيئة وفى تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه وقوله تع لما يقض ما امره بيان لسبب الردع اى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما امره الله تع باسره اذ لا يخلو احد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب فى ان مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال عليه السلام شيبتنى سورة هود لما فيها من قوله تع فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم النفى لا على نفى العموم اما على ان المحكوم عليه هو المستغنى او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل كما فى قوله تع ان الانسان لظلوم كفار للاشباع فى اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع افراده

ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده اى حقا لم يعمل بما امره به وقوله تع فلينظر الانسان الى طعامه شروع فى تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اى فلينظر الى طعامه الذى عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقوله تع انا صببنا الماء اى الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستيناف وقرئ انى بالامالة اى كيف صببنا الخ اى صببناه صبا عجيبا ثم شققنا الارض اى بالنبات شقا بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء فى قوله تع فانبتنا فيها حبا فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتيب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تع على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تاكيد الفعلين بالمصدرين فتوسط فعل المنعم عليه فى حصول تلك النعمة مخل بالمرام وقوله وعنبا عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلو انبات العنب عن شق الارض وقضبا اى رطبة سميت بمصدر قضبه اى قطعه مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام فيهما وفى امثالهما كما فى العنب وحدائق غلبا اى عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اى مرعى من اب اذا امه اى قصده لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيا له لانه متهيئ للرعى او فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضى انه سئل عن الاب فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى انه قرا هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدرى ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اى متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه اى متعكم بذلك فتمتعتم متاعا اى تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلثة فى معنى التمتيع فاذا جاءت الصاخة شروع فى بيان احوال معادهم اثر بيان مبدا خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصخ لها الخلائق اى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها وقيل هى الصيحة التى تصخ الاذان اى تصمها لشدة وقعها وقيل هى ماخوذة من صخه بالحجر اى صكه وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اما منصوب باعنى تفسيرا للصاخة او بدل منها مبنى على الفتح بالاضافة الى الفعل على راى الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر فى قوله تع يوم يتذكر الخ اى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسال عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما تعليل ذلك بعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تع لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فانه استيناف وارد لبيان سبب الفرار اى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضى انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبى عليه السلام من امه ويفر ابراهيم عليه السلام من ابيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امراته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اى يهمه من عناه الامر اذا اهمه اى اوقعه فى الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تع وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدا وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اى مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضى ان ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله ضاحكة مستبشرة بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اى غبار وكدورة ترهقها اى تعلوها وتغشاها قترة اى سواد وظلمة اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى سوء الحال اى اولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغبرتها هم الكفرة الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تع الى سواد وجوههم الغبرة عن النبى عم من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير

سورة التكوير تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت اى لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها من مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تع يوم نطوى السماء واما لف ضوئها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الاقطار على

انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم
بالانكدار من طعنه فكورته اذا القاه على الارض وعن ابى صالح كورت نكست وعن ابن عباس رض تكويرها ادخالها فى العرش
ومدار التركيب على الارادة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء واذا
النجوم انكدرت اى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روى عن ابن عباس رض انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط فى الارض
وعنه رض ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدى ملئكة من نور فاذا مات من فى السموات
ومن فى الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراها
من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا الجبال سيرت اى عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا فى
الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا العشار جمع عشراء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع
لتمام السنة وهى انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل
العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تع فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت
بالتخفيف واذا الوحوش حشرت اى جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص
فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وقرئ حشرت
بالتشديد واذا البحار سجرت اى احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاءه بالحطب
ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف
واذا النفوس زوجت اى قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس
الكفرة بالشياطين واذا الموءودة اى المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن
قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر
لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت
بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته سئلت باى ذنب قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ
والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تع ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين وقرئ
سالت اى خاصمت او سالت الله تع او قاتلها وانما قيل قتلت لما ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت
ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سئلت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد
وعن ابن عباس رض انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الاية واذا الصحف نشرت اى صحف الاعمال فانها
تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبى عليه السلام انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال
شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اى فرقت
بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية
وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال واذا السماء كشطت قلعت
وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور
والقافور واذا الجحيم سعرت اى اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بنى آدم وقرئ سعرت
بالتخفيف واذا الجنة ازلفت اى قربت من المتقين كقوله تع وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست
منها فى الدنيا اى فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله تع واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل
ناحية لا بعثها للقصاص وست فى الاخرة اى بعد النفخة الثانية وقوله تع علمت نفس ما احضرت جواب اذا على ان المراد
بها زمان واحد ممتد يسع ما فى سياقها وسياق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه قبيل النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء
بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم فى كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد وعند وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند
نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها
تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه
نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشاة بصور عرضية تبرز فى النشاة الاخرة
بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيات معينة حتى ان الذنوب والمعاصى تتجسم هنالك
وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تع وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تع ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما
ياكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام فى حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى
ذلك الا يرى ان العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس
انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع فى الميزان واياما كان فاسناد احضارها
الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما ينطق به قوله تع يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية لانها لما عملتها فى الدنيا
فكانها احضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هى فى الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن
مما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت
تشاهدها عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس مفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او لبعض منها
للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد ولو جيء
بعبارة تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل بالنسبة الى جناب
الكبرياء الذى اشير بعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذى يقصدون به
الافراط فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تع ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال قد اترك القرن مصفرا اناملة
وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندى وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادى فى تكثير فرسانه واظهار
براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فمن لوائح النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة
مما يفيد الافراط والتمادى فيه فانه فى الاول كثيرا ما يود وفى الثانى كثيرا ما اترك وفى الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من
ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادى فى التكثير حسبما فصل
واما فيما نحن فيه فالكلام الذى عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه
المبالغة والتمادى فيه وانما الذى يمكن فيه المبالغة ما ذكرناه فتامل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت نفس من النفوس
ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون هى تلك التى عملت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة
قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا
متيقن به او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعى
الوجود كثير الوقوع فلا اقسم بالخنس اى بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهى ما عدا النيرين من الدرارى الخمسة
وهى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى ووصفت بقوله تع الجوار الكنس لانها تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى
تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشى اذا دخل كناسه وهو بيته الذى
يتخذه من اغصان الشجر وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع فى اماكنها كالوحش فى كنسها
والليل اذا عسعس اى ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر
وعليه قول العجاج ❊ حتى اذا الصبح لها تنفسا ❊ وانجاب عنها ليلها وعسعسا ❊ وقيل هى لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال الظلام
اوفق لقوله تع والصبح اذا تنفس لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله
روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح انه اى القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهى الهائلة لقول
رسول كريم هو جبريل قاله من جهة الله عز وجل ذى قوة شديدة كقوله تع شديد القوى وقيل المراد القوة فى اداء طاعة الله تع
وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف عند ذى العرش مكين ذى مكانة رفيعة عند الله تع عندية اكرام وتشريف
لا عندية مكان مطاع فيما بين الملئكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه ثم امين على الوحى وثم ظرف لما
قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف وما صاحبكم هو رسول الله عليه السلام
بمجنون كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما
نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه عليهما السلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود
رد قول الكفرة فى حقه عليه السلام انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه
اى وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو اى رسول الله عليه السلام
على الغيب على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب بظنين اى بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرئ بضنين اى ببخيل لا يبخل بالوحى ولا يقصر فى التبليغ والتعليم
وما هو بقول شيطان رجيم اى بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون
استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحى مبين وليس مما يقولون فى شئ كما
تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب ان هو ما هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله تع
لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تع ان يستقيم مفعول شاء اى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة
الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن اى الاستقامة مشيئة مستتبعة لها فى وقت من الاوقات
الا ان يشاء الله اى الا وقت ان يشاء الله تع تلك المشيئة اى المستتبعة للاستقامة فان مشيتكم لا تستتبعها بدون مشية الله تع لها
رب العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت

سورة الانفطار تسع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملئكة كقوله تع ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا وقوله تع وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رض وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تع لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي قلب ترابها واخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تع علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما قدم واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من اموال لنفسه وما اخر لورثته وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامه والعراقيل الطامه وما سيكون ح من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تع للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدار الاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الاخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تع الذي خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبنية للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدءا اقدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تع لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تع وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تع بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترؤن على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا وبدين الاسلام الذي هما من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما يقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا تتيقنون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تع وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق ما يكذبون به اي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم كراما لدينا كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا اي يضبطونه نقيرا وقطميرا ليجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تع ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تع يصلونها اما صفة لجحيم او استئناف فان المراد مبني على سؤال نشأ من تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به وما هم عنها بغائبين طرفة عين فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة لما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما تفيد من الدوام واثبات بعد النفي وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله تع وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تفخيم لشان يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل اثر تهويل ببيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اي صورة تصوروها فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو اطم من ذلك واعظم اي اي شيء جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو راي سيبويه لما مر مرارا ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة ههنا هو لا يوم الدين اي اي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تاكيد لهوله وفخامته وقوله تع يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالي لشان يوم الدين اثر ابهامه وخروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضي الله عنه كل ما في القرآن من قوله تع ما ادريك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه عليه السلام الى معرفته

اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون ولبس بذاك فانه عار عن افادة ما لم يفده ما قبله كما ان ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حو الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف والله تع اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين

سورة المطففين ستة وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقيل وقيل واياما كان فهو مبتدا وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله عليه السلام قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه السلام وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله عليه السلام فقراها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وقوله تع الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه ياخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع انه الشايع فيما بينهم تقتضي ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدارا للذم والدعاء عليهم وحمله على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مالا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى تعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتامل وقد جوز ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب او الافراد او التعيين حسبما تقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تع واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اي ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تاكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والعطاء لا في خصوصية الماخوذ والمعطى وقوله تع الا يظن اولئك انهم مبعوثون استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن ساير الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهايل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من كان يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا مشابها للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبايح فكيف بمن يتيقنه وقوله تع يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر لمبتدا مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كاظرة لله تع خاضعين ووصفه تع بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وامثاله ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تع ان كتاب الفجار لفي سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت

الارض السابعة فى مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اى
ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفى ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تع وما ادريك ما سجين تهويل
لامره اى هو بحيث لا تبلغه دراية احد وقوله تع كتاب مرقوم اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه قيل
هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تع ويل يومئذ للمكذبين متصل بقوله تع يوم يقوم الناس لرب
العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تع الذين يكذبون بيوم الدين اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او
منصوب على الذم وما يكذب به الا كل معتد اى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تع
وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء اثيم اى منهمك فى الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات
التامة الباقية وحملته على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا الناطقة بذلك قال من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا محيد عنه
اساطير الاولين اى هى حكايات الاولين قال الكلبى المراد بالمعتدى الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث وقيل
عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ ااذا تتلى على الاستفهام الانكارى كلا
ردع للمعتدى الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تع بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون بيان لما ادى بهم
الى التفوه بتلك العظيمة اى ليس فى آياتنا ما يصح ان يقال فى شانها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها
ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصداء فى المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم
ان العبد كلما اذنب حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصداء يقال ران عليه الذنب
وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم اى رسخ فيه وقرئ بادغام اللام فى الراء كلا ردع وزجر عن الكسب الرائن
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك
وعن ابن عباس وقتادة وابن ابى مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اى داخلوا النار وثم
لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية هذا
الذى كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تع ان كتاب الابرار لفى عليين
استيناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تاكيد للردع ووجوب
الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملئكة وصلحاء الثقلين منقول من
جمع على فعيل من العلو سمى بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالى الدرجات فى الجنة واما لانه مرفوع فى السماء السابعة
حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام فى قوله تع وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم كما مر فى نظيره وقوله تع يشهده
المقربون صفة اخرى لكتاب اى يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيمة ان الابرار لفى نعيم شروع فى بيان محاسن
احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر فى شان الفجار على الارائك اى على الاسرة فى الحجال ولا يكاد يطلق الاريكة على
السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة ينظرون اى الى ما شاءوا مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل
من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف فى وجوههم نضرة النعيم
اى بهجة النعيم وماءه ورونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من آثار النعمة واحكام البهجة
بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء يسقون من رحيق شراب خالص لا غش فيه مختوم ختامه مسك اى مختوم اوانيه
واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اى مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء
وكسرها اى ما يختم به ويقطع وفى ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد
اما للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه فى الجنة اى فى ذلك خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اى فليرغب الراغبون
بالمبادرة الى طاعة الله تع وقيل فليعمل العاملون كقوله تع لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس
التغالب فى الشئ النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشئ انفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كان كل واحد
من الشخصين يريد ان يستاثر به وقال البغوى واصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه
وينفس به على غيره اى يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته
اى ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او تبعيضية او من نفسه على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها
سميت به اما لانها ارفع شراب فى الجنة واما لانها تاتيهم من فوق روى انها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى اوانيهم
عينا نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تع يشرب بها المقربون فانهم
يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة فالباء مزيدة او بمعنى من وقوله تع ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض قبائح مشركى قريش
جئ بها تمهيد الذكر بعض احوال الابرار فى الجنة كانوا فى الدنيا من الذين آمنوا يضحكون اى يستهزؤن بفقراء المؤمنين كعمار
وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اى كانوا
من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تع افى الله شك او لمراعاة الفواصل واذا مروا اى

فقراء المؤمنين بهم بالمشركين وهم فى انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يتغامزون اى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون
باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم الى اهلهم انقلبوا فاكهين ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا
لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون بالتغامز وقرئ فكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين
متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين واذا رأوهم انما كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون اى نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم
بطريق التاكيد وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين حال من واو قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله تع
موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان
ما اجترؤا عليه من القول من وظائف ما ارسل من جهته تع وقد جوز ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان
هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما
فى قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما فى قولك حلف لافعلن فاليوم الذين آمنوا اى المعهودون من الفقراء من الكفار اى من
المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان
والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة
اى فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا وقوله تع على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون
اى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما فيهم من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا
اليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا ويضحك المؤمنون منهم ويابا قوله تع هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح
فى ان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة
وقرئ بادغام اللام فى الثاء وعنه عليه السلام من قرا سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيمة من الرحيق المختوم

سورة الانشقاق خمس وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت اى بالغمام كما فى قوله تع ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رض تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت
اى انقادت واذعنت لتاثير قدرته تع حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المامور المطوع اذا ورد عليه امر الآمر
المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى
ائتيا طائعين فى الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير
اليه فيما سلف وحقت اى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل فى نفسها وحد ذاتها من قولهم
هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهى حقيقة بذلك لكن لا على ان المدار خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات
بل خصوصية القدرة الباهرة الربانية التى يتاتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من المامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا
لما قبلها لا معطوفة عليه واذا الارض مدت اى بسطت بازالة جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى امده اى زاده والقت ما فيها اى رمت ما فى
جوفها من الموتى والكنوز كقوله تع واخرجت الارض اثقالها وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كانها
تكلفت فى ذلك اقصى جهدها واذنت لربها فى الالقاء والتخلى وحقت اى وهى حقيقة بذلك اى شانها ذلك بالنسبة الى
القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعا فى الوقت الممتد الذى هو مدلولها
فقد مر سره فيما مر يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اى جاهد مجد الى الموت وما بعده من الاحوال التى مثلت بالقاء
مبالغ فى ذلك فان الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه اى فملاق له
عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تع فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الخ قيل جواب
اذا كما فى قوله تع فاما ياتينكم منى هدى فمن اتبع هداى الآية وقوله تع يا ايها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء
الى قصور العبارة الى بيانه او للتعويل على دلالة ما مر فى سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تع يا ايها
الانسان الخ تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تع فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الخ باضمار القول
ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رض هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله
مسرورا اى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله فى الجنة من الحور والغلمان
واما من اوتى كتابه وراء ظهره اى يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه
بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا اى يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال فانه
اوانك وانى له ذلك ويصلى سعيرا اى يدخلها وقرئ يصلى كقوله تع وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما فى قوله تع ونصليه جهنم
انه كان فى اهله فيما بين اهله وعشيرته فى الدنيا مسرورا مترفا بطرا مستبشرا كديدن الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم امور
الآخرة ولا يتفكرون فى العواقب ولم يكن حزينا متفكرا فى حاله ومآله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استيناف لبيان علة ما قبلها

سورة الانشقاق

وقوله تع انه ظن ان لن يحور تعليل لسرورهم في الدنيا اي ظن ان لن يرجع الى الله تع تكذيبا للمعاد وان مخففه من ان سادة
مع ما في حيزها مسد مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تع ان ربه كان به بصيرا
تحقيق وتعليل له اي بلى ليحورن البته ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله الموجبه للجزاء بصيرا بحيث لا تخفى منه خافيه
فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الايتان في ابي سلمه بن عبد الله الاشد واخيه الاسود فلا اقسم
بالشفق هي الحمرة التي تشاهد في افق المغرب بعد الغروب او البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقه التي هي
عبارة عن رقة القلب والليل وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اي جمعه فاجتمع وما عبارة عما
يجتمع اليه بالليل ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة لتركبن طبقا
طبقا عن طبق اي لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقه لاختها في الشدة والفظاعه وقيل الطبق جمع طبقه وهي
المرتبه وهو الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض
وهي الموت وما بعده من مواطن القيمه ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار
شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اي ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب
على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين او مجاوزا او مجاوزة على حسب
القراءة والفاء في قوله تع فما لهم لا يؤمنون لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيمه
واهوالها الموجبة للايمان والسجود اي اذا كان حالهم يوم القيمه كما ذكر فاي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين اي اي شيء
يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تع واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون جملة شرطيه محلها النصب على الحالية
نسقا على ما قبلها اي فاي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القران وقيل قرا النبي عم
ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفه
رحمه الله على وجوب السجدة وعن ابن عباس رض ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة رض انه سجد فيها وقال والله ما سجدت
الا بعد ان رايت النبي عليه السلام يسجد فيها وعن انس رض صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن
الحسن رض هي غير واجبه بل الذين كفروا يكذبون بالقران الناطق بما ذكر من احوال القيمه واهوالها مع تحقق موجبات
تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر
والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا
فبشرهم بعذاب اليم لان علمه تع بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تع لهم اجر
غير ممنون اي غير مقطوع او ممنون به عليهم استيناف مقرر لما افاده الاستثناء من اسفار العذاب عنهم وبيين لكيفيته
ومقارنته للثواب العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج اثنان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البروج

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل
القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم
الموعود اي يوم القيمه وشاهد ومشهود اي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما
للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغه في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم
والمشهود يوم القيمه وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله تع وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل يوم
التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعه وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنوا آدم وقيل الانبياء ومحمد
عليهم السلام قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قوله تع قد افلح
من زكيها بعد قوله تع والشمس وضحيها والاظهر انها
حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال وقيل تقديره لقد قتل وايا ما كان فالجملة خبريه والاظهر انها
دعائيه داله على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود لما ان السورة
وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من
التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله
عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود
الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر
فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس
قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك

يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابراه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال
ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب
به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينه
فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله
رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك
ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها
صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضه فصبرت
قيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رض واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضي الله عنه ان
بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله
قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل
فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم
الله تع بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس
اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهوديه فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان
طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها
بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تع اذ هم عليها قعود
ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود وكما في قوله فبات على النار
الندى والمحلق وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم
شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيمه يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم
مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم و
ينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم
ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تع ولهم عذاب
الحريق وما نقموا منهم اي ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفرغ من براءتهم عما يعاب وينكر
بالكليه على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم تلام بنسيان الاحبة والوطن ووصفه تع بكونه عزيزا غالبا يخشى
عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتاكيد ذلك بقوله تع الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى
والله على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تع بجميع الاشياء التي من جملتها اعمال الفريقين يستدعي
توفير جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود
خاصه وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في
جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنه في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا فلهم
فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعليه وهو الاحسن والفاء لتضمين المبتدا معنى
الشرط ولا ضير في نسخه بان فان خالفه الاخفش والمعنى لهم في الاخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار
اخرى عظيمه بسبب فتنتهم للمؤمنين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر
من الايمان والعمل الصالح جنات تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها
الارض المشتمله عليها فالتحتيه باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنه وقد مر بيانه مرارا
ذلك اشارة اما الى الجنات الموصوفه والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون
فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا للذات فقط كما هو شان الضمير فاذا اشير الى
الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تع لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها
لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف
ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب
بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغه وعلى الثاني مصدر على حاله ان بطش ربك
لشديد استيناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان
الربوبيه مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة
والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تع وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمه ان اخذه اليم شديد انه هو يبدئ
ويعيد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا

ويعين فى الاخرة وهو الغفور لمن تاب وآمن الجيد المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اى ذو السلطنة القاهرة وقرى ذى العرش على انه صفة لربك المجيد العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرى بالجر على انه صفة لربك او للعرش ومجد علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث لا تتخلف عن ارادته مراد من افعاله تع وافعال غيره وهو خبر مبتدا محذوف وقوله تع هل اتيك حديث الجنود استيناف مقرر لشدة بطشه تع بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عليه السلام بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤن الله تع وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب اشياعهم وقوله تع بل الذين كفروا فى تكذيب اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم اشد منهم فى الكفر والطغيان كانه قيل ليسوا مثلهم فى ذلك بل هم اشد منهم فى استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرآن الكريم او قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تع بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تع بل هو قرآن مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اى ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى وقرى قرآن مجيد بالاضافة اى قرآن رب مجيد فى لوح محفوظ اى من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرى محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرى فى لوح وهو الهواء اى ما فوق السماء السابعة التى فيه اللوح عن النبى عليه السلام من قرأ سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون فى الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق سبع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطارق

والسماء والطارق الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع فى كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع فى التوسيع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال. طرق الخيال ولا كليلة مدلج. سدكا بارحلنا ولم يتعرج له والمراد ههنا الكوكب البادى بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذى يقال له كوكب الصبح فهو وما ادريك ما الطارق تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدا وادراك خبرها والثانية خبر والطارق مبتدا حسبما بين فى نظائر اى واى شىء اعلمك ما الطارق وقوله تع النجم الثاقب خبر مبتدا محذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن استفهام نشأ عما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضىء فى الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين نزل وحين يصعد وفى ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تع ان كل نفس لما عليها حافظ جواب القسم وما بينهما اعتراض جىء به لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اى ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما فى قوله تع وكان الله على كل شىء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما فى قوله تع وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تع ويرسل عليكم حفظة وقوله تع له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرى لما مخففة على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة وما مزيدة اى ان الشأن كل نفس لعليها حافظ والفاء فى قوله تع فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على ان ما بين من ان كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول او فعل يستوجب على الانسان ان يتفكر فى مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحيوة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملى على حافظه ما يرديه وقوله تع خلق من ماء دافق استيناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من المائين فى الرحم كما ينبئ عنه قوله تع يخرج من بين الصلب والترائب اى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وينفصل عن جميع الاعضاء حتى يستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك يشبهه ويورث الافراط فى الجماع الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرى الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هى صالب انه الضمير للخالق

تعالى فان قوله تع خلق يدل عليه اى ان ذلك الذى خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه اى اعادته بعد موته لقادر لبين القدرة يوم تبلى السرائر اى تتعرف وتتصفح ما اسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفى من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه فما له اى للانسان من قوة فى نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره والسماء ذات الرجع اى المطر سمى رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تع يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنه الارض من النبات جعلا مصدرا من المبنى للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل لان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما فى انفسهما من شواهده وهو السر فى التعبير عن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الارض بالنبات الحاكى للنشور حسبما ذكر فى مواقع من التنزيل لا فى تشققها بالعيون انه اى القرآن الذى من جملته ما تلى من الايات الناطقة بمبدأ احوال الانسان ومعاده لقول فصل اى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كانه نفس الفصل وما هو بالهزل ليس فى شىء منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة انهم اى اهل مكة يكيدون فى ابطال امره واطفاء نوره كيدا حسبما تقتضيه قدرتهم واكيد كيدا اى اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون فمهل الكافرين اى لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك او لا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تع لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدى لمكايدتهم قطعا وقوله تع امهلهم بدل من مهل وقوله تع رويدا اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اى امهلهم امهالا رويدا اى قريبا كما قاله ابن عباس رض او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة وهو فى الاصل تصغير رود بالضم وانشد كانها تمشى على رود اى على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود بالترخيم وله فى الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اى متمهلين وفى ايراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده برويد على احد الوجهين المذكورين تسلية رسول الله عليه السلام وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه عليه السلام من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تع بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الاعلى

سبح اسم ربك الاعلى اى نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرى سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت الذى خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى لئلا يلزم الفصل بين الموصول والصفة بصفة غيره اى خلق كل شىء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه وقوله تع والذى قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا الحال ما بعده اى قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واحوالها فهدى اى فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغى له طبعا واختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرأيت فى كل منها ما يحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تع ان مسح عينيها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينيها بورقها وترجع باذن الله عز وجل بصيرة وان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله تع له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تع له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا وما فنون هداياته سبحانه وتع للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا اللطيف الخبير والذى اخرج المرعى اى انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء احوى اى دريا اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تع سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تع الخاصة برسول الله عم اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ما اوحى اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقراء اى سنقرئك ما نوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عم او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امى لا تدرى ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية اخرى لك مع ما فى تضاعيف ما تقرؤه من الايات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل

فلا تنسى نهي والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تع واضلونا السبيلا وقوله تع الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة و الايذان بدوران المشية على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روى انه عليه السلام اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب ابى انها نسخت فساله فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفى النسيان رأسا فان القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان نسخ النسيان بالكلية اذ هو المنفي رأسا الا ما قد ينسى ثم تذكر انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التى من جملتها ما اوحى اليك فينسى ما يشاء انساءه ويبقى محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف على نقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشايع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تع ويسر لى امرى للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام جبل عليها كما في قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له اى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تع فذكر ان نفعت الذكرى اى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله عليه السلام طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجهد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلام بان يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بان يكون من يذكر كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا و نفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تع فذكر بالقران من يخاف وعيد وقوله تع واعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تع سيذكر من يخشى اى سيتذكر بتذكيرك من من شانه ان يخشى الله تع حق خشيته او من يخشى الله تع في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما في قوله تع وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اى اذ كنتم وقيل هي بمعنى ما اى فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هنا شيء محذوف والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تع سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي ويتجنبها اى الذكرى الاشقى من الكفرة لتوغله في عداوة النبي عليه السلام وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى اى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها حتى يستريح ولا يحيى حيوة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحيوة افظع من الصلى قد افلح اى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اى تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الاخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى اقام الصلوات الخمس كقوله تع اقم الصلوة لذكرى اى كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اى كبر يوم العيد فصلى اى صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحيوة الدنيا ما هو الرضا والاطمينان بها والاعراض عن الاخرة بالكلية كما في قوله تع ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الاية او للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر ومما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الاخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تع والاخرة خير وابقى حال من فاعل تؤثرون مؤكد للتوبيخ والعتاب اى تؤثرونها على الاخرة والحال ان الاخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تع قد افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا لفي الصحف الاولى اى ثابت فيها معناه صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى روى ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة واربعة كتب انزل على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف عليهم السلام والتورية والانجيل والزبور والفرقان عن النبي عم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله تع عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تع على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية مكية ست وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الغاشية

هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تع هل اتى على الانسان الاية قال قطرب اى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التى حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التى تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهى القيمة من قوله تع يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هى النار من قوله تع وتغشى وجوههم النار وقوله تع ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تع وجوه يومئذ خاشعة الى قوله تع مبثوثة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته عليه السلام ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اى يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رض لم يكن اتاه عليه السلام حديثها فاخبره عليه السلام عنها فقال وجوه يومئذ الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها في موقع التنويع و خاشعة خبره وقوله تع عاملة ناصبة خبران آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اى تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهى جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهى يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الاخرة وقوله تع تصلى اى تدخل نارا حامية اى متناهية في الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد عرفت ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور مستورة في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استينافا مبينا لتفاصيل احوالها تسقى من عين آنية اى متناهية في الحر كما في قوله تع وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هى شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تع طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين لاخرين لا يسمن ولا يغني من جوع اى ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله من غير ان يكون لهم دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة و يستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير واستفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مايع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روى انه تع يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اى لا يغني من جوع ما وتأخير نفي الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى نفي ذكر الاسمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفي وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة شروع في رواية حديث اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار لانه ادخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية اى لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته في جنة عالية مرتفعة المحل او عليه المقدار لا تسمع اى انت او الوجوه فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية فيها عين جارية اى عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تع علمت نفس فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او المقدار واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة اى بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي اى بسط فاخرة جمع زربية مبثوثة اى مبسوطة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت استيناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تع كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل اى اينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها

وشدة قوتها وعجيب هيئاتها اللائقة لتاتى ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفى انقيادها مع ذلك للانسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير **والى السماء** التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار **كيف رفعت** رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك **والى الجبال** التى ينزلون فى اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها **كيف نصبت** نصبا رصينا فهى راسخة لا تميل ولا تميد **والى الارض** التى يضربون فيها ويتقلبون عليها **كيف سطحت** سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئت الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء فى قوله تع **فذكر** لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اى فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تع **انما انت مذكر** تعليل للامر وقوله تع **لست عليهم بمصيطر** تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اى لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تع وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هى لغة بنى تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تع **الا من تولى وكفر** استثناء منقطع اى لكن من تولى منهم فان لله تع الولاية والقهر **فيعذبه الله العذاب الاكبر** الذى هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تع فذكر اى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه قرئ الا على التنبيه وقوله تع **ان الينا ايابهم** تعليل لتعذيبه تع بالعذاب الاكبر اى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب وفعال من اوب كفعال من فتر ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى فى الثانية **ثم ان علينا حسابهم** فى المحشر لا على غيرنا وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتيب الزمانى بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تع وحسابهم عليه تع فانهما امران مستمران وفى تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب فى الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية ثلثون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفجر

والفجر اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلاته **وليال عشر** هن عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام **والشفع والوتر** اى الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالى ووترها وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيها الاقوال والله تع اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح العدد وبالكسر فى الرحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء **والليل اذا يسر** اى يمضى كقوله تع والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد بذلك لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اى صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا وقرئ باثباتها على الاطلاق وبحذفها فى الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق **هل فى ذلك قسم لذى حجر** تحقيق وتقرير لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تع وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير لما ذكر او باعتبار المذكور واما الى الاقسام بها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الشرف والفضل اى هل فيما ذكر من الاشياء قسم اى مقسم به لذى حجر يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر او هل فى اقسامى بتلك الاشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله تع **الم تر كيف فعل ربك بعاد** الى قوله تع فصب عليهم ربك سوط عذاب اى الم تعلم علما يقينا جاريا مجرى الرؤية كيف عذب ربك عادا والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الآخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد فى القران خبر عاد الاولى الا ما فى سورة الاحقاف وقوله تع **ارم** عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التى كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم **ذات العماد** صفة لارم اى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اى بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اى جعلها الله تع رميما بدلا من فعل ربك وقيل هى جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروى انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تع عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل **التى لم يخلق مثلها فى البلاد** صفة اخرى لارم اى لم يخلق مثلهم فى عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحى فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تع **وثمود** عطف على عاد وهى قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخى جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد **الذين جابوا الصخر بالواد** اى قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تع وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة **وفرعون ذى الاوتاد** وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى يضربونها فى منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد **الذين طغوا فى البلاد** اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اى طغى كل طائفة منهم فى بلادهم وكذا الكلام فى قوله تع **فاكثروا فيها الفساد** اى بالكفر وسائر المعاصى **فصب عليهم ربك** اى انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد **سوط عذاب** اى عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التى شرحت فى سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم فى الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شئ مائع او جار مجراه فى السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشئ المصبوب وقيل السوط خلط الشئ بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالنصيب والشدة ايضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ الى التشبيه بالمصبوب الا باعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما فى المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعانى مما يقبل الاستمرار فى نفسه وقوله تع **ان ربك لبالمرصاد** تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تع بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تع **فاما الانسان** الخ متصل بما قبله كانه قيل انه تع بصدد مراقبة احوال العباد ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها **اذا ما ابتلاه ربه** اى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء فى قوله تع **فاكرمه ونعمه** تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء **فيقول ربى اكرمن** اى فضلنى بما اعطانى من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر المبتدا الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربى اكرمن وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى **واما اذا ما ابتلاه** اى واما هو اذا ما ابتلاه **ربه فقدر عليه رزقه** حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة **فيقول ربى اهانن** ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة فى شئ بل التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ اكرمنى واهاننى باثبات الياء واكرمن واهانن بسكون النون فى الوقف **كلا** ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها فى كلتا الحالتين قال ابن عباس رض المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته على ولم ابتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الاخير بعيد وقوله تع **بل لا تكرمون اليتيم** انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع

وتاكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اى بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على
المال حيث يكرمكم الله تع بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرى لا يكرمون ولا يحاضون بحذف
احدى التائين من تتحاضون اى لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اى على اطعامه وقرى تحاضون من المحاضة وقرى يحضون
بالياء والتاء وتاكلون التراث اى الميراث واصله وراث اكلا لما اى ذا لم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون
النساء والصبيان وياكلون انصباءهم او ياكلون ما جمعه المورث من حرام وحلال عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع
حرص وشره وقرى ويحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله تع اذا دكت الارض دكا دكا الخ استيناف جئ به بطريق
الوعيد تعليلا للردع اى اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت
وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شئ حتى
صارت كالصخرة الملساء وايا ما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اى ظهر آيات قدرته وآثار قهره
مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من احكام هيبته وسياسته وقيل جاء امره تع وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا
اى مصطفين او ذوى صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم
محدقين بالجن والانس وجئ يومئذ بجهنم كقوله تع وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه
سبعون الف ملك تجر وتهاحتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا يومئذ
بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تع يتذكر الانسان اى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة
عينه على ان الاعمال تتجسم فى النشاة الاخرة فيبرز كل من الحسنات والسيآت بما يناسبهما من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ
وقوله تع وانى له الذكرى اعتراض جئ به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه فى اوانه وانى خبر مقدم
والذكرى مبتدا وله متعلق بما تعلق به الخبر اى ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك مضاف محذوف اى
له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة فى دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة
فى شئ فانه عالم بانها انما تكون فى الدنيا كما يعرب عنه قوله تع يقول يا ليتنى قدمت لحياتى وهو بدل اشتمال من يتذكر او استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشا منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتنى عملت لاجل حياتى هذه او وقت حياتى فى الدنيا
اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس فى هذا التمنى شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذى يدل عليه ذلك اعتقاد
كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تع عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما
قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفى الفعل يعتقد انه محجور من الطرف
الاخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اى طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك
التكليف والزام الحجة فيومئذ اى يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تع
اى لا يتولى عذاب الله تع ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرى
الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابى بن خلف اى لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل
والاغلال مثل وثاقه لتناهيه فى الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تع ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى
يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمان بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمان بالدنيا وصفت بالاطمينان
لانها تترقى فى معارج الاسباب والمسببات الى المبدا المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغنى به فى وجودها وساير
شئونها عن غيرها بالكلية وقيل هى النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك وقيل هى الآمنة التى
لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اى يقول الله تع ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام
او على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل نزد النفس الروح والمعنى فادخلى اجساد عبادى التى فارقت عنها
وقيل عند الموت فقيد ارجعى الى ربك اى الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلى
فى عبادى فى زمرة عبادى الصالحين المختصين بى وادخلى جنتى معهم او انتظمى فى سلك المقربين واستضيئى بانوارهم فان الجواهر
القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى وهذا
يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرى فادخلى فى عبدى وقرى فى جسد عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى حبيب
بن عدى رضى والظاهر العموم عن النبى عليه السلام من قرا سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قراها فى ساير الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على الانسان خلق ممنوا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض
بين القسم وجوابه بقوله تع وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه عليه السلام بجعل حلوله عليه السلام به مناطا لاعظامه بالاقسام
او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض موارد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه عليه السلام مع

سورة البلد

جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه فى هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون
ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته عليه السلام بالوعد بفتحه على معنى وانت حل
به فى المستقبل كما فى قوله تع انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عليه السلام
مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار
الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى ان تقوم
الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها
ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه السلام الا الاذخر
ووالد عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم وبقوله تع وما ولد اسمعيل والنبى عليهم السلام حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه
فانه حرم ابراهيم ومنشا اسمعيل ومسقط راس رسول الله عليهم السلام والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد
وايرادهم بعنوان الولادة ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى انه متحقق فى حالتى الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله
وهو انسب بمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولد
لقد خلقنا الانسان فى كبد اى تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسى فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال
كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل نصب ومشقة ومنه اشتقت
المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه وهو تسلية لرسول الله عليه السلام مما كان يكابد من كفار قريش والضمير فى قوله تع ايحسب
لبعضهم الذى كان عليه السلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحى وكان شديد القوة
مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظى فيقوم عليه ويقول من ازالنى عنه فله كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعا ولا تزل قدماه
اى ايظن هذا القوى المارد المتضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففة من ان واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف
اى ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم
ويدعونها معالى ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق وانه تع لا يسئله عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما
ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين اى طريقى الخير
والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة
التى هى الطريق فى الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تع وما ادريك ما العقبة اى اى شئ اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها
عند الله تع بمكانة رفيعة فك رقبة اى هو اعتاق رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة اى مجاعة يتيما ذا مقربة اى قرابة
او مسكينا ذا متربة اى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضى فانها لا تكاد تقع الا مكررة
اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب
اذا افتقر وقرى فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة
الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة
الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تع من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة
وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان ببعد درجتهم فى الشرف والفضل اى اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة
المذكورة اصحاب الميمنة اى اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة
اى الشمال او الشؤم عليهم نار مؤصدة مطبقة من اصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرى موصدة بغير همز من اوصدته
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تع الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية خمس عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشمس

والشمس وضحاها اى ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا
امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها فى الاستدارة وكمال
النور والنهار اذا جلاها اى جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكانه جليها مع انها التى تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او الارض
وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اى الشمس فيغطى ضوءها او الآفاق او الارض وحيث كانت الواوات العاطفة
نوائب للاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا فى قولك اقسم بالله حقق ان يعملن عمل الفعل والجار
جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما بناها اى ومن بناها واثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل
والقادر العظيم الشان الذى بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام فى قوله تع والارض وما طحاها اى بسطها
من كل جانب كدحاها ونفس وما سويها اى انشاها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام
او للتكثير وهو الانسب بالجواب فالهمها فجورها وتقويها اى افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى اليه كل

منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد افلح من زكاها اى فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد فى قوله تع وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة اى خسر من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تع فالهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وانما الجواب ما حذف تعويلا على دلالة قوله تع كذبت ثمود بطغواها عليه كانه قيل ليدمدمن الله تع على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله عليه السلام كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول استيناف وارد لتقرير مضمون قوله تع وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجراءته على الله تع او صلة للتكذيب اى كذبت بما اوعدت به من العذاب ذى الطغوى كقوله تع فاهلكوا بالطاغية وقرى بطغواها بضم الطاء وهو ايضا مصدر كالرجعى اذ انبعث اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمونث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل فى الرضى به فقال لهم اى لثمود رسول الله اى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب الطاعة وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان وهو السر فى اضافة الناقة اليه تع فى قوله تع ناقة الله اى ذروا ناقة الله وسقياها ولا تذودوها عنها فى نوبتها فكذبوه اى فى وعيده بقوله تع ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وقد جوز ان يكون ضمير لهم للاشقين ولا يلايمه ذكر سقياها فعقروها اى الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب فسواها اى الدمدمة بينهم لم يفلت منهم احد من صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض او سواها فى الاهلاك ولا يخاف عقباها اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقى بعض الابقاء وذلك انه تع لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف والواو للحال او للاستيناف وقرى فلا يخاف وعن رسول الله عم من قرا سورة والشمس فكانما

سورة الليل مكية احدى وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اى حين يغشى الشمس كقوله تع والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى اى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل ما له توالد وقيل هما آدم وحواء وقرى والذكر والانثى وقرى والذى خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت اى ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تع فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الخ تفصيل لتلك المساعى المشتتة وتبيين لاحكامها اى فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله التى نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهى الايمان او بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهى الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل اى بماله فلم يبذله فى سبيل الخير واستغنى اى زهد فيما عنده تع كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الاخرة وكذب بالحسنى اى بما ذكر من المعانى المتلازمة فسنيسره للعسرى اى للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماتها لاختيارها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول باعطاء الطاعة والثانى بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر ياباه قوله تع وما يغنى عنه ماله اى ولا يغنى او اى شىء يغنى عنه ماله الذى يبخل به اذا تردى اى هلك تفعل من الردى الذى هو الهلاك او تردى فى الحفرة اذا قبر او تردى فى قعر جهنم ان علينا للهدى استيناف مقرر لما قبله اى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يؤدى اليه من طريق الهلاك وما يؤدى اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية هى الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان لنا للاخرة والاولى اى التصرف الكلى فيهما كيف ما نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال التى من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما فى الدنيا والاخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التائين من تتلظى اى تتلهب وقرى على الاصل لا يصليها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصليها صليا لازما وقد صرح به قوله تع الذى كذب وتولى اى كذب بالحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها اى سيبعد عنها الاتقى المبالغ فى اتقاء الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدى واما من دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق

الذى يؤتى ماله يعطيه ويصرفه فى وجوه البر والحسنات وقوله تع يتزكى اما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لا محل له او فى حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتى اى يطلب ان يكون عند الله تع زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى استيناف مقرر لكون ايتائه للتزكى خالصا لوجه الله تع اى ليس لاحد عنده نعمة من شانها ان تجزى وتكافا فيقصد بايتاء ما يؤتى مجازاتها وقوله تع الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرى بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة والاية نزلت فى حق ابى بكر الصديق رض حين اشترى بلالا فى جماعة كان يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رض انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال احد يعنى الله تع ينجيك ثم قال لابى بكر رض ان بلالا يعذب فى الله فعرف مراده عليه السلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعنى بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تع ولسوف يرضى جواب قسم مضمر اى والله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضى وقرى يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله عم من قرا سورة والليل

سورة الضحى مكية احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام والقى فيها السحرة سجدا لقوله تع وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما فى قوله تع ان ياتيهم باسنا ضحى فى مقابلة بياتا والليل اى جنس الليل اذا سجى اى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تع فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تع ما ودعك ربك جواب القسم اى ما قطعك قطع المودع وقرى بالتخفيف اى ما تركك وما قلى اى وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او القصد الى نفى صدور الفعل عنه تع بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روى ان الوحى تاخر عن رسول الله عليه السلام اياما لترك الاستثناء كما مر فى سورة الكهف او لزجر سائل ملح فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له عليه السلام بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وحيث تضمن ما سبق من نفى التوديع والقلى انه تع يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا بشر عليه السلام بان ما سيؤتيه فى الاخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللاخرة خير لك من الاولى لما انها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتى عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو فى الدنيا من بعض العوارض القادحة فى تمشية الاحكام مع انه عندما اعد له عليه السلام فى الاخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التى لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادى بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالاخرة عاقبة امره عليه السلام اى لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتصاعد رفعة وقوله تع ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تع فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والاخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة فى عصره عليه السلام وفى ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبا ابن عباس عن شمة منها حيث قال له عليه السلام فى الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتاكيد مضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الخ لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هى للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التاكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احدهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الاية وكقوله والله لساعطيك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تع لالى الله تحشرون وقد قال ابو على الفارسى ليست هذه اللام هى التى فى قولك لاقومن بل نابت سوف عن احدى نونى التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذا اللام فى قوله تع وللاخرة الخ وقوله تع الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما افاض عليه عليه السلام من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفى وتقرير المنفى على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روى ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمانى سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تع عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرى فاوى وهو اما من اواه بمعنى آواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تع ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما اشير اليه او على المضارع المنفى لدخوله فى حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الشرائع التى لا تهتدى اليها العقول كما فى قوله تع ما كنت تدرى ما الكتاب وقيل ضل فى صباه فى بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة

سبعا وتضرع الى الله تع فسمعوا منادا ينادى من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادى تهامه عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبى عليه السلام قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمه عند باب مكة حين فطمته وجائت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته فى ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فهدى فهداك الى مناهج الشرايع المنطوية فى تضاعيف ما اوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك عائلا اى فقيرا وقرى عيلا وقرئ عديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقى تحت ظل رمحى وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرى فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعى السائل يريد الاخرة يجئ الى باب احدكم فيقول ابعثون الى اهليكم بشئ وقيل المراد بالسائل ههنا الذى يسال عن الدين واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاض الله تع عليه عليه السلام من فنون النعم التى من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من شئ فلا تنس حقوق نعمة الله تع عليك فى هذه الثلاث واقتد بالله تع واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام للضلال وتعليمه للشرايع والاحكام حسبما هداه الله تع وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبى م من قرا سورة والضحى جعله الله تع فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تع له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية ثمان آيات ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الم نشرح

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتاييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اى الم نفسحه حتى حوى عالمى الغيب والشهادة وجمع بين ملكتى الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شئون الحق وقيل اريد به ما روى ان جبريل اتى رسول الله عليه السلام فى صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسمانى مما سيظهر له عليه السلام من الكمال الروحانى والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكارى عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه عليه السلام ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة فى قلبه عليه السلام وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تع ووضعنا عنك وزرك عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان فى وصفه نوع طول فتاخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اى حططنا عنك عبأك الثقيل الذى انقض ظهرك اى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرجل المتداعى الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرايع او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرايع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرى وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرى وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك بعنوان النبوة واحكامها اى رفع حيث قرن اسمه باسم الله تع فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تع وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وسماه رسول الله ونبى الله والكلام فى العطف وزيادة لك كالذى سلف وقوله تع فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين كانه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تع ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفى كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجئ اليسر كانه مقارن للعسر ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او عدة مستانفة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصابر فرحة ان للصابر فرحة اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثانى عين الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد مغاير للاول فاذا فرغت اى من التبليغ وقيل من الغزو فانصب فاجتهد فى العبادة واتعب شكرا لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل اذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسال غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره وقرى فرغب اى رغب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

سورة التين مكية ثمان آيات ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

سورة والتين

والتين والزيتون هما هذا التين والزيتون خصهما الله تع من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما فى المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى انه اهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن على بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله فى بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هى الشجرة المباركة المشهود لها فى التنزيل ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبى عليه السلام يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكى وسواك الانبياء قبلى وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منبتاهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبرى وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه السلام الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس رضى هو تينكم الذى تاكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعى وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبى وطور سينين هو الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذى هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كبيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب وهذا البلد الامين اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تع وامانتها انها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن فى قوله تع حرما آمنا بمعنى ذى امن ووجه الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غنى عن الشرح والتبيين لقد خلقنا الانسان اى جنس الانسان فى احسن تقويم اى كائنا فى احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه تع مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التى هى انموذجات الصفات السبحانية وآثار لها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله ان الله خلق آدم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة فى البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيفما شائت فاذا ارادت فعلا من الافاعيل الجسمانية تلقيه الى ما فى القلب من الروح الحيوانى الذى هو اعدل الارواح واصفاها واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم المجردات القار روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما فى الشرايين من الارواح الى الدماغ الذى هو منبت الاعصاب التى فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك فبهذه الطريقة من عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا فى العالم او خارجا منه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة فى العالم الانسانى الذى هو نسخة للعالم الاكبر وانموذج منه وقوله تع ثم رددناه اسفل سافلين اى جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تع ومن نعمره ننكسه فى الخلق واياما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول اى رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اى رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرى اسفل السافلين وقوله تع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه فى معنى الجمع وعلى الثانى منقطع اى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تع بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب فى قوله تع فما يكذبك بعد بالدين للرسول عليه السلام اى فاى شئ يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات للتشديد فى التوبيخ والتبكيت اى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فاى شئ يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان اليس الله باحكم الحاكمين

اى اليس الذى فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء وانه وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه عليه السلام من قرا سورة والتين اعطاه الله تع الخصلتين العافية واليقين ما دام فى الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق

سورة العلق مكية تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقرا اى ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضى المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب ان هذا الى قوله تع ما لم يعلم اول ما نزل عليه عليه السلام كما ينطق به حديث الزهرى المشهور وقوله تع باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اى اقرا ملتبسا باسمه تع او مبتدئا به لتتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحى المتواتر ووصف الرب بقوله تع الذى خلق لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تع والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحيوة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى العالم المتكلم اى الذى انشا الخلق واستاثر به او خلق كل شئ وقوله تع خلق الانسان على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين خلق سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشانه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المامور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد تجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير وما لتفخيم فطرته وقوله تع من علق اى دم جامد لبيان كمال قدرته تع باظهار ما بين حالته الاولى والاخرى من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان فى معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تع واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تع بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تع له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تع اقرا اى افعل ما امرت به تاكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تع وربك الاكرم الخ فانه كلام مستانف وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما انا بقارئ يريد ان القراءة شان من يكتب ويقرا وانا امى فقيل له وربك الذى امرك بالقراءة مبتديا باسمه هو الاكرم الذى علم بالقلم اى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تع علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال من علم بالقلم اى علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفى حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تع وكمال كرمه والاشعار بانه تع يعلمه من العلوم ما لا يحيط به العقول ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تع عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة فى الزجر وقوله تع ان الانسان ليطغى اى يجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل فى ابى جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تع ان رآه استغنى مفعول له اى يطغى لان راى نفسه على ان استغنى مفعول ثان لراى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميرى واحد كما فى علمتنى وان جوز بعضهم كونها الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول عائشة رض لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تع ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تع ان الى ربك الرجعى تهديد للطاغى وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد فى التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اى ان الى مالكك امر رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تع ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتاتى منه الرؤية ويقضى منها العجب روى ان ابا جهل قال فى ملأ من طغاة قريش لئن رايت محمدا يصلى لاطان عنقه فراه عليه السلام فى الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام واستعظام النهى وتاكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية واما فى قوله تع ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى وما فى قوله تع ارايت ان كذب وتولى فقلبية معناه اخبرنى فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئى اجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر

والتكذيب والتولى فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس فى حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التى هى كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما فى قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لارايت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثانى سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثانى لارايت لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية والمعنى اخبرنى ذلك الناهى ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تع او آمرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى اى يطلع على احواله فيجازيه بها حتى اجترا على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستانف ولم ينظمها فى سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع فى نفس الامر واستتباع الوعيد الذى ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر فى حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر فى تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل ارايت الاول بمعنى اخبرنى مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثانى الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وارايت فى الموضعين تكرير للتاكيد ومعناه اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله تع عن صلوته ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى من عبادة الله تع او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتامل وقيل المعنى ارايت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثانى للكافر فانه تع كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرنى ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله تع امرا بالتقوى انهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة كلا ردع للناهى اللعين وخسوء له واللام فى قوله تع لئن لم ينته موطئة للقسم اى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهى نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازى وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم اى يجتمعون روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله عليه السلام فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنى وكانه نسب الى الزبن ثم غير كامسى واصلها زبانى فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبى عليه السلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع بعد ردع وزجر اثر زجر لا تطعه اى دم على ما انت عليه من معاصاته واسجد وواظب على سجودك وصلوتك غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك الى ربك وفى الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرا المفصل كله

سورة القدر

سورة القدر مكية خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه فى ليلة القدر تنويه بشان القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كانه حاضر فى جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تع وما ادريك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدرى بها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تع ليلة القدر خير من الف شهر فانه بيان اجمالى لشانها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفى اظهار ليلة القدر فى الموضعين من تاكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزال كله الى السماء الدنيا كما روى انه انزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبى وقيل المعنى انزلناه فى شان ليلة القدر وفضلها كما فى قول عمر رض خشيت ان ينزل فى قرآن وقول عائشة رض لانا احقر فى نفسى من ان ينزل فى قرآن فالانسب ان يجعل الضمير للسورة التى هى جزء من القرآن لا للكل واختلفوا فى وقتها فاكثرهم على انها فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر فى اخفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالى الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تع فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالى وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روى انه عليه السلام ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد

حتى يعبد الله تع الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل ارى النبي عليه السلم
اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر
وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تع
العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تع تنزل الملئكة والروح فيها استيناف مبين لمناط فضلها على تلك
المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبا ما قيل في شان الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك
الليلة اى تتنزل الملئكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف
هو حال من فاعله اى ملتبسين باذن ربهم اى بامره من كل امر اى من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل
كقوله تع فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ اى من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه
سلام هى اى ما هى الا سلامة اى لا يقدر الله تع فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضى سلامة وبلاء او ما هى الا
سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اى وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على
غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اى لمكثهم في محل تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى
طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر في الجار عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة مدنية ثمان آيات • بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اى اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد
باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم والمشركين اى عبدة
الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث
في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم
افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته
بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله عليه السلام هل هو المذكور في كتابهم
وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشئ من الشئ ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه
اشارة الى كمال وكادة وعدهم اى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تأتيهم البينة
التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير
عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تع واتبعوا ما تتلوا الشياطين اى تلت وقوله تع
رسول بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تع من الله
متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول واى رسول كائن منه تع
وقوله تع يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار صحفا مطهرة اى منزهة من الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا
من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى
فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة ويجوز ان يكون الصفة او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا
به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تع وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ كلام مسوق لغاية
تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد
وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته
والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التى من جملتها نعوت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو
جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأى المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر
عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقى اهل
الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الرأى المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأى آخر بل بطريق الاختلاف وقوله تع الا
من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة
الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تع وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وما امروا الا ليعبدوا الله والحال انهم ما امروا بما امروا به في كتابهم
الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اى الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا
الله مخلصين له الدين اى جاعلين دينهم خالصا له تع او جاعلين انفسهم خالصة له في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد

الزايغة الى الاسلام ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر
وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التى هما من جملتها
وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تع بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته
وبعد منزلته دين القيمة اى دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل في قوله تع لم يكن الذين
كفروا الى قوله فيها كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من انهم لا ينفكون عن دينهم الى مبعثه ويعدون
ان ينفكوا امنه ح ويتفقوا على الحق وقوله تع وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم
ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير
الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى يستغنى فيستغنى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر
وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد اليسار والتى على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق
مستلزم للثبات على الباطل كما نقيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا
فمنهم من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم
بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص
مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيمة وايراده بالجملة الاسمية للايذان
بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من
الكفر والمعاصى عين النار الا انها ظهرت في هذه النشاة بصور عرضية وستخلعها في النشاة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية
كما في قوله تع وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفي سورة الاعراف خالدين فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين
في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافى تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة
اليهم باعتبار اتصافهم بما هم من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اى اولئك البعداء
المذكورون هم شر البرية شر الخليقة اى اعمالا وهو الموافق لما سيأتى في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار
او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن احوال
المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب اولئك المنعوتون بما هو في الغاية القاصية
من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من
الايمان والطاعات عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان
الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين
فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة
ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تع والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع
الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتأكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضى الله عنهم
استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا
من المآرب ناصيتها واتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اى ما ذكر من الجزاء والرضوان لمن
خشى ربه فان الخشية التى هى من خصائص العلماء بشؤن الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة
الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار
بالتربية عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة ثمان آيات • بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض اى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الالهية
المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره او زلزالها اللائق
في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاى وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وفي لهم ناقة خزعال نادر وقيل
الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها
اى ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض في موضع الاضمار لزيادة التقرير او للايماء
الى تبدل الارض غير الارض او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان اى كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة
التامة ويبهرهم من الداهية العامة ما لها زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما
لما شاهدوه من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والظاهر
هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تع تحدث اخبارها

عامل فيهما ويجوز ان يكون اذ منتصبا بمضمر اى يوم اذ زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث
تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير و
شر وروى عن النبى عليه السلام انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ تنبئ من الانباء
بان ربك اوحى لها اى تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث على احد الوجهين ويجوز ان يكون بدلا
من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها
يومئذ اى يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى موقف الحساب اشتاتا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه
آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر فى محله تعالى فتاتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات
الشمال الى النار ليروا اعمالهم اى جزاء اعمالهم خيرا كان او شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا وقرئ يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء
وايا ما كان فمعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الاولى مختصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا
وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب
يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل
يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر
ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضى ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن
فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته تحسيرا ويعذبه بسيئاته عن النبى عم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات

سورة العاديات مكية عشر آيات • بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها
اى تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات او حال على انه
مصدر بمعنى الفاعل اى ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاورى اى فالتى تورى
النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة فالمغيرات اسند الاغارة التى هى مباغتة العدو للنهب
او القتل او الاسر اليها وهى حال اهلها ايذانا بانها العمدة فى اغارتهم صبحا اى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات
يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما ياتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل
الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن به اى فهيجن بذلك الوقت نقعا اى غبارا او صياحا
اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل ولله در شان
التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار
فوسطن به اى توسطن بذلك الوقت او توسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء والفاءات للدلالة على ترتب
ما بعد كل منها على ما قبلها كما فى قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة
على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اى لكفور من كند النعمة كنودا جواب
القسم والمراد بالانسان بعض افراده روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بنى كنانة سرية واستعمل
عليها المنذر بن عمرو الانصارى وكان احد النقباء فابطأ عليه عليه السلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت
السورة اخبارا للنبى صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين فى حقهم ما هم فيه من
الكنود وفى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وحق خيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد
ارجف هؤلاء فى حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون فى الكفران وانه على ذلك اى وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد
على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد اى قوى مطيق مجد فى طلبه
وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل لشديد البخيل اى انه لاجل
حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور
الداعية للمنافقين الى النفاق وحب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا
وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى
ايفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من فى القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من
رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل وحصل اى جمع محصلا او ميز خيره من شره وقرئ حصل
مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما فى الصدور من الاسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن
الاعمال الجلية ان ربهم اى المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم

فى الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب فى قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الآية
بعد قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هنالك بهم
بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما فى القبور وتحصيل ما فى الصدور لخبير
اى عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط
بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرئ
ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة

سورة القارعة مكية احدى عشرة آية • بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهى القيامة التى مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها
فصل القضاء بين الخلائق كما مر فى سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج
جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار
والارض والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله تعالى ما القارعة على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا
بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب فى ان مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة
اى اى شئ عجيب هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا للتهويل وقوله تعالى وما ادريك ما القارعة
تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى ان عظم شانها ومدى شدتها بحيث لا يكاد تناله دراية
احد حتى يدريك بها وما فى حيز الرفع على الابتداء وادريك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها
النصب على نزع الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا ادريكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية
معلقة له كانت فى موقع المفعول الثانى له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ الاول اى واى
شئ اعلمك ما شان القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راى الكوفيين
اى هى يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعى
كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه عليه السلام الى معرفتها اذكر يوم
يكون الناس الخ فانه يدريك ماهى هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة اى تقرع يوم يكون الخ وقيل تقديره
ستاتيكم القارعة يوم يكون الخ وتكون الجبال كالعهن المنفوش اى كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف فى تفرق اجزائها
وتطايرها فى الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد
النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيأتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيآت
الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهى وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد
النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى
هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام فى سورة النمل وقوله تعالى
فاما من ثقلت موازينه الخ بيان اجمالى لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال
الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء او جمع ميزان قال ابن عباس
انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا
للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين
قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التى هى اعراض منقضية
وقيل ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح
وقد روى عن ابن عباس رضى انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان اى فمن
ترجحت مقادير حسناته فهو فى عيشة راضية اى ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعتد بها
او ترجحت سيئاته على حسناته فامه اى فماواه هاوية هى من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روى ان اهل
النار يهوى فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن المأوى بالام لان اهلها يأوون اليها كما يأوى الولد
الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبى ان المعنى فام رأسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله
وما ادريك ماهيه نار حامية فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهى ضمير الهاوية
والهاء للسكت واذا وصل القارى حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد اجيز اثباتها مع

الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الهيكم التكاثر اى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف فى الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى افنانا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى زرتم المقابر اى حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعى لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرى الهاكم على الاستفهام التقريرى كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون سوء مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثانى ابلغ من الاول او الاول عند الموت او فى القبر والثانى عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تع لترون الجحيم جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانى المشاهدة والمعاينة عين اليقين اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اى عن النعيم الذى الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تع وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التكاثر لم يحاسبه الله تع بالنعيم الذى نعم به عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قرا الف اية

سورة العصر مكية ثلث ايات بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها الباهر او بالعشى الذى هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة ان الانسان لفى خسر اى خسران فى متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم فى مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم فى تجارة لن تبور حيث باعوا الفانى الخسيس واشتروا الباقى النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تع وتواصوا بالحق الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذى لا سبيل الى انكاره ولا زوال فى الدارين لمحاسن اثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله فى كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر اى عن المعاصى التى تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها اداؤها او على ما يبلوا الله عز وجل عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجه تحت التواصى بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تع والثانى عن العبودية التى هى الرضى بما فعل الله تع فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقى ما ورد منه تع بالجميل والرضى به باطنا وظاهرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العصر غفر الله تع له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة تسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

ويل مبتدا خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرى لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى ياتى بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم به وقيل نزلت فى الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل فى امية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله عليه السلام وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعى خصوص الوعيد بل كل من اتصف بهذا القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم الذى جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرى جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تع وعدده وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرى وعدده اى جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل

هو فعل ماض بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده اى يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الامانى البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا فى الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد فى الدنيا وانه هو الذى اخلد صاحبه فى الحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بمخالد ولا بمخلد وروى ان الاخنس كان له اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف والجملة مستانفة او حال من فاعل جمع كلا ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تع لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين لعلة الردع اى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة فى الحطمة اى فى النار التى شانها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شانه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تع وما ادريك ما الحطمة لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التى تنالها عقول الخلق وقوله تع نار الله خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لشان المسئول عنها اى هى نار الله الموقدة بامر الله عز سلطانه وفى اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه التى تطلع على الافئدة اى تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما فى الجسد واشده تالما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشا الاعمال السيئة انها عليهم مؤصدة اى مطبقة من اوصدت الباب واصدته اى اطبقته فى عمد ممددة اما حال من الضمير المجرور فى عليهم اى كائنين فى عمد ممددة اى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدا مضمر اى هم فى عمد او صفة لموصدة قاله ابو البقاء اى كائنة فى عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب وتمد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرى عمد بضمتين عن النبى عم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله عليه السلام والهمزة لتقرير رؤيته عليه السلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اى الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تع وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسول الله عليه السلام فان ذلك من الارهاصات لما روى ان القصة وقعت فى السنة التى ولد فيها النبى عليه السلام وتفصيلها ان ابرهة ابن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تع طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا فى كل طريق ومنهل ودوى ابرهة فتساقطت انامله واراببه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فى شانها فلما راه ابرهة عظم فى عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى حيث جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر لا تكلمنى فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هى بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله تع عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وقرى الم تر بسكون الراء للجد فى اظهار اثر الجازم وقوله تع الم يجعل كيدهم فى تضليل الخ بيان اجمالى لما فعل الله تع بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قيل جعل كيدهم فى تعطيل الكعبة وتخريبها فى تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير وارسل عليهم طيرا ابابيل اى حزائق وجماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة لطيرا وقرى يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع وتانيثه باعتبار المعنى من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذى يكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال

وهو الارسال فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته
الدواب وراثته اشير باول حاله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله تع ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش

سورة قريش اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله تع فليعبدوا والفا لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تع عليهم غير محصورة فان
لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف الخ
وقيل تقديره اعجبوا لايلاف وقيل بما قبله من قوله تع فجعلهم كعصف ماكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا
فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم
الامن في رحلتهم ولا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله تع وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب
والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الافا والافا وقرئ
لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير
للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تع ايلافهم رحلة الشتاء والصيف
بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالتباس وفي اطلاق الايلاف
عن المفعول اولا وابدال هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ
رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منهما بواسطة
كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام وآمنهم من خوف عظيم
لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون

سورة الماعون سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب للرسول صلى الله
عليه السلام وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفا في قوله تع فذلك الذي يدع
اليتيم جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدا والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم
تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار
اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو ابو جهل كان وصيا
ليتيم فاتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا عنيفا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو
الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم
اي يتركه ويجفوه ولا يحض اي اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما
ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفا في قوله تع فويل الخ اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما
ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم
ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن اي يرون الناس اعمالهم ليروهم الثنا عليها ويمنعون الماعون اي الزكوة او ما يتعاور
عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من
الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك واما الترتيب بالفاء
ووضع المصلين موضع ضميرهم ... عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت الذي غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر

سورة الكوثر ثلث ايات بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين والرياسة العامة المستتبعة
لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال اتدرون ما الكوثر
انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد
حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنس
الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم
على الله لابره وعن ابن عباس رضي انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير

وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه وعلماء امته او القران الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تع فصل لربك وانحر
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تع اياه عليه الصلاة والسلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولم يعطها احدا من
العالمين مستوجب للمامور به اي استيجاب اي فدم على الصلاة لربك الذي افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة
خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار
اموال العرب باسمه تع وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى و
قيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص ان شانئك اي مبغضك
كائنا من كان هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك
الى يوم القيمة ولك في الاخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل وايا ما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي عم
من قرا سورة الكوثر سقاه الله تع من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون

سورة الكافرون ست ايات بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تع انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من عتاة قريش قالوا للرسول
صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره
فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام على رؤسهم فقراها
عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا
على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون
فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم يعهد مني عبادة
صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته
وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين
قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تع واشار ما في اعبد على من لان المراد هو الوصف
كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون
عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله تع ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تع لا اعبد ما تعبدون
وقوله تع ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تع لكم دينكم تقرير لقوله تع لا اعبد ما تعبدون وقوله تع
ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تع ولي دين تقرير لقوله تع ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك
مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به اماتيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان
ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لالهتكم او استلامي
اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا
العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا لقوله تع ولا انا عابد ما عبدتم
كما يقوله تع ولكم ما كسبتم وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني
كفافا ولا تدعوني الى الشرك فنا مل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه
مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعالى من الفزع الاكبر

سورة الفتح

سورة الفتح ثلث ايات بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اي اعانته تع واظهاره اياك على عدوك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تع ومطلق الفتح فان فتح مكة
لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق به امره عليه السلام
بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بانهما متوجهان نحوه عليه السلام وانهما على جناح الوصول اليه
عليه السلام عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض
ما في حيزها اعني رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي عليه السلم
عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله
الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا
اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تع امكنه من رقابهم
عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ورايت الناس اي ابصرتهم او علمتهم

يدخلون في دين الله اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تع غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان
لرايت وقوله تع افواجا حال من فاعل يدخلون اي يدخلون فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر
قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا او اثنين اثنين روى انه عليه السلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها
على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله تع اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون
في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرى فتح الله والنصر وقرى يدخلون على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا
له اي فتعجب لتيسير الله تع ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميع صنعه هذا على الرواية
الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه السلام امر بان يداوم على ذلك استعظاما للنعمة لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما
يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روى
انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تع
بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تع
واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رض انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك
استغفرك واتوب اليك وعنه عليه السلام اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروى انه لما قراها النبي عليه السلام
على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال عليه السلام انها لكما تقول
فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس رض هو الذي قال ذلك فقال عليه السلام لقد اوتي هذا
الغلام علما كثيرا ولعل ذلك للدلالة على كمال الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تع اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت
خطب رسول الله عليه السلام فقال ان عبدا خيره الله تع بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تع فعلم ابو بكر رضي الله عنه
فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي
فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار
لامته انه كان توابا منذ خلق المكلفين اي مبالغا في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول عن النبي عليه السلام
من قرا سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة ابي لهب

سورة الحطب مكية خمس ايات • بسم الله الرحمن الرحيم

تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب واثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روي انه لما
نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا
دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام به وتب اي وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تع ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
ويؤيده قراءة من قرا وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك
نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا وكاشتهاره بها
ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرى ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرى ابي لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم
يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اي شيء اغنى عنه على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل
ماله وما كسبه به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه او الذي كسبه بنفسه او عمله
الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله تع وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رض ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه
نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير
المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد بدر
لسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى حملوه
ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القرآن سيصلى بفتح الياء وقرى بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد الوعيد
وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الاخرة نارا ذات لهب اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد
وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن
ابدا فيكون مامورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور لان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان
دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطراب الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه السلام
اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر وامراته عطف على المستكن في سيصلى
لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان تنثرها بالليل
في طريق النبي عليه السلام وكان عليه السلام يطؤه كما يطؤ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد
بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة
غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب
على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب على الشتم حتما وقرى بالرفع على انه خبر وامراته مبتدا وقرى حمالة للحطب بالتنوين
نصبا ورفعا وقرى ومريئته بالتصغير للتحقير في جيدها حبل من مسد جملة من خبر مقدم ومبتدا مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف
خبر لامراته وحبل يرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امراته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد
ما يفتل من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة
بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت ام جميل تاتي
كل يوم باباله من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك
من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي عليه السلام من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص

سورة الاخلاص اربع ايات • بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بانه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره
كل احد واليه يشير كل شيء واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله القصد اطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع
على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الرابط لانها عين الشان الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من
اول الامر على فخامة مضمونها وجلالة خطرها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان
مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة احد مبدلة
من الواو واصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله تع فما منكم من احد عنه حاجزين وما في قوله عليه السلم
ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم فانها اصلية وقال مكي اصل احد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان
الهمزة تشبه الالف فحذفت احدهما تخفيفا وقال ثعلب ان احد لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان ولا
يقال رجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تع او هو لما سئل عنه اي الذي سالتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا
قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدا والله خبره واحد بدل منه او خبر ثان او خبر مبتدا
محذوف وقرى هو الله بغير قل وقرى الله احد بغير قل هو وقرى قل هو الله الواحد وقوله تع الله الصمد مبتدا وخبر والصمد
فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده اي هو السيد المصمود اليه في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في
جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم
بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية
الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى بين اولا الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن
شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما
سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه في وجودها وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض
احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل لم يلد تنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك
ورد النفي على صيغة الماضي اي لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به
قوله تع انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه ولم يولد
اي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله
وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لا يولد فهو قريب من
عطف لا يستقدمون على لا يستاخرون كما مر تحقيقه ولم يكن له كفوا احد اي لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله من
صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التاخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى
وقد جوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد وليس بذاك واما تاخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه
الجمل غني عن البيان وقرى بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة
الكريمة مع تقارب قطريها على اشتات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل ثلث القرآن
فان مقاصده منحصرة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روي عن النبي عليه السلام
انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اي ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تع ومعرفة
صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله
قال وجبت له الجنة

سورة الفلق

سورة الفلق خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تع كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة وعن السعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعادة العائذ مما يعوذ منه واجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تع واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعائذ فى قدرته تع على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها من شر ما خلق اى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبايع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم ان الاستعاذة ههنا من المضار البدنيه وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا لاضافة الرب الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينه وتفاعل كيفياتها المتضاده المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوايب الشر بالمرة وقوله تع ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تع الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تع اذا وقب اى دخل ظلامه فى كل شئ لان حدوث الشر فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رض انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فاشار الى القمر فقال تعوذى بالله تع من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى اخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعترى الانسان ووقوبه هجومه ومن شر النفاثات فى العقد اى ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرى النافثات كما قرى النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما انه كان غلام من اليهود يخدم النبى صلى الله عليه وسلم وكان عنده اسنان من مشطه عليه السلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودى وبناته وهن النافثات فى العقد فدفنها فى بئر اريس فمرض النبى عليه السلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا كرم الله تع وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهى الصخرة التى توضع فى اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقرا المعوذتين عليها فكان كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام اما انا فقد عافانى الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رض ما غضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجل بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها ومن شر حاسد اذا حسد اى اذا اظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادى الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبى عم من قرا سورتى المعوذتين فكانما قرا الكتب التى انزلها الله تع

سورة الناس

سورة الناس مكية ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ وقرى فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس اى مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تع ملك الناس عطف بيان جئ به لبيان ان تربيته تع اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلى والسلطان القاهر وكذا قوله تع اله الناس فانه لبيان ان ملكه تع ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولى لترتيب مبادى حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم

احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تع وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضيه عنده تع الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تع بالمربوبيه والمملوكيه والعبوديه فى ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعى مزيد الرحمة والرافة وامره تع بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محاله ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففى التنصيص على انتظامهم فى سلك ربوبيته تع وملكوته رمز الى انجائهم من هلكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تع ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشريه فقد قصر فى توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنيه فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسه وهى الصوت الخفى كالزلزال بمعنى الزلزله واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمى بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسه الخناس الذى عادته ان يخنس اى يتاخر اذا ذكر الانسان ربه الذى يوسوس فى صدور الناس اذا غفلوا عن ذكره تع ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم من الجنة والناس بيان للذى يوسوس على انه ضربان جنى وانسى كما قال عز وجل شياطين الجن والانس او متعلق بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسى ويجعل سقوط الياء كسقوطها فى قوله تع يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تع الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تع من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولى العصمة والارشاد وهادى الغواة الى سنن الرشاد بارئ البرية مالك الرقاب عليك توكلى واليك متاب انت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير من كل هائل مخوف الوذ بحرمك المامون من غوائل ريب المنون والتجى الى حرزك الحريز واوى الى ركنك العزيز واسالك من خزائن برك المخزون فى مكامن سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين واعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما الاطمينان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فاعذنى بحمايتك واعنى بعنايتك وافض على من شوارق الانوار الربانيه وبوارق الاثار السبحانيه ما يخلصنى من العوائق الظلمانيه ويجردنى من العلائق الجسمانيه وهذب نفسى الابيه من دنس الطبايع والاخلاق ونور قلبى القاسى بلوامع الاشراق ليستعد للعثور على سرائر الانس ويتهيا للحضور فى حظاير القدس وثبتنى على مناهج الحق والهدى وارشدنى الى مسالك البر والتقى واجعل اعز مرامى ابتغاء رضاك واشرف اماني يوم القاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرنى مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا

حسبى الله وحده
من الكتب التى وقفها الفقير
الى الاء ربه ذى المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابن
... وقفى عبد ...